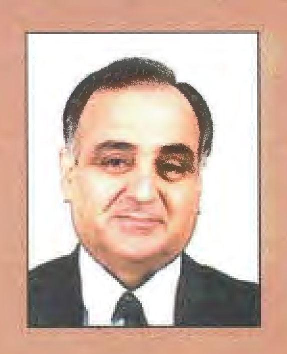

ظهور الكورد في التاريخ
دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكوردية ومهدها
الدكتور جمال رشيد احمد
الجزء الأول

ظهور الكورد في التاريخ

الدكتور جمال رشيد احمد

الجزء



يتطرق المؤلف في هذا الكتاب ، وهو متخصص في تاريخ الشرق القديم ، الى عدد من الظواهر الموضوعية المتعلقة بنشوء الأمة الكوردية التي إستندت مقوماتها بمراحل على ظواهر شتى ، منها الكنية القومية واللغة والأفكار الميثولوجية والدينية والعلاقات الثقافية التي ربطتها بجيرانها من الأمم الأخرى . إستند المؤلف في جهده على تحليلات علمية ودراسات تاريخية ومورفولوجية وانثروبولوجية واثنوغرافية عديدة ويتحدث عن التطورات التي طرات على هذه المظاهر عبر مراحل العصور التاريخية وما قبلها ، وقد ساعدته في هذا المضمار إلمامه ومعرفته باللغات الأوربية والأسيوية منها السلافية والجرمانية والأنكلو السكسونية والهندية - الأيرانية والسامية والتركية إضافة الى بعض اللغات البائدة واجادته في تتبع أصول الكلمات والمصطلحات التاريخية .

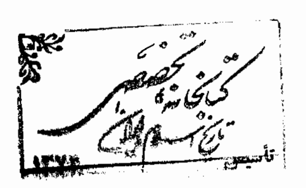
Aras Press and Publishers
Kurdistan - Erbil
2003
www.araspublisher.com

ظهور الكورد في التأريخ

دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكوردية و مهدها

الدكتور جمال رشيد أحمد

الجزء الأول



دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل- كوردستان العراق
ص.ب رقم: ١

ظهور الكورد في التأريخ

دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكوردية ومهدها

الدكتور جمال رشيد أحمد

الجزء الأول

هديتي إلى

روح الزعيم الراحل مصطفى البارزاني

بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده

اسم الكتاب: ظهور الكورد في التأريخ: دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكوردية ومهدها
الجزء الأول

تأليف: الدكتور جمال رشيد أحمد

من منشورات دار آراس - رقم: ١٩٦

التنضيد والتصحيح والإخراج الفني: المؤلف

الغلاف: آراس أكرم رحمان

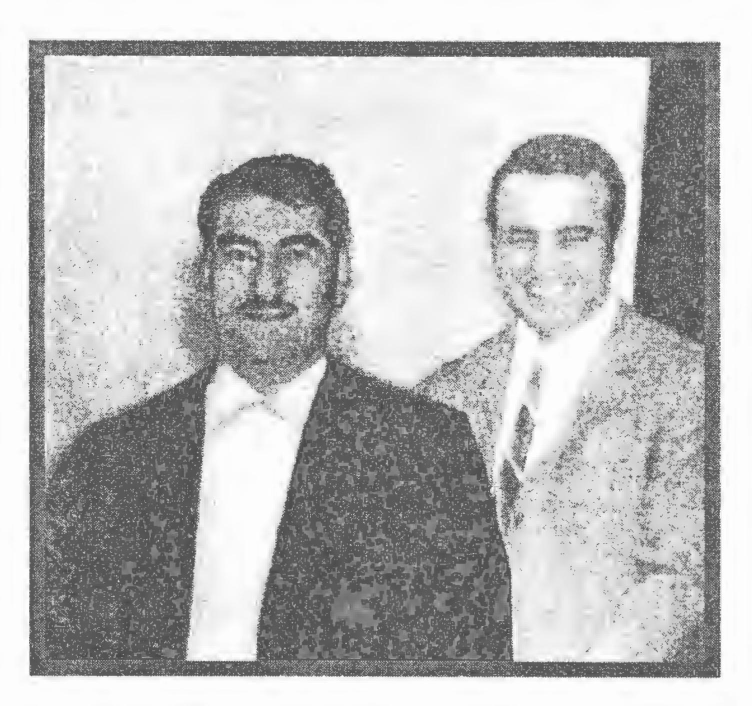
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده

الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود

الطبعة الأولى

مطبعة وزارة التربية - أربيل ٢٠٠٣

رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في كوردستان: ٢٠٠٣/٢٠٩



المؤلف مع الزعيم الراحل مصطفى البارزاني

بغداد - فندق سميراميس

١٥ تشرين الأول عام ١٩٥٨م

الفهرست

المقدمـــة

مضت مُدةٌ طويلةٌ منذ أن حاول كل من ف . مينــوْرسكي *V. Minorsky* وباسيل نيكيتين *B. Nikitin* ونيكوْلاي مار *N. Marr* و ڤ. ڤلچيڤسكي *V. Vilchevsky* ومحمد أمين زكي وحسين حزني الموكرياني و رشيد ياسمي وتوفيق وهبي صياغة نظرية تتعلق بـ«ظهور الكورد في التأريخ» ، وقد أوْعَدْنا القُراء في مقدمة كتابنا الموسوم بعنوان «دراسات كردية في بلاد سوبارتو» المطبوع في بغداد عام ١٩٨٤م بنشر مؤلَفٍ خاص يتعلق بهذا الموضوع المهم جداً[١] ، إلا أن ما أصاب وطننا من ويلات

---

(١) طُبع هذا الكتاب على نفقة الأمانة العامة للثقافة والشباب لمنطقة كوردستان في دار آفاق عربية للصحافة والنشر ببغداد . وخلال الفترة التي كانت إدارة هذه الدار مشغولة بطبعه وتزودنا بفصوله لتصحيح الأغلاط التي كانت تتكرر دائماً بيد موظفة تُبرر عملها من خلال كثرة إنشغال تفكيرها بزوجها المرسل إلى جبهة الحرب العراقية – الإيرانية ، لاحظنا أن هناك تشويهاً متعمَداً يتخلل فقرات بعض الصفحات حتى بعد تصحيحها ، ولما كانت المعارك على أشدها والسلطات العراقية مشغولة في عملية التسفير الجماعي لسكان بغداد من الكورد الفيليين ، لاحظنا ، بالإضافة إلى فقدان صورتنا النادرة من أرشيف إدارة دار آفاق عربية ، أن شخصاً ما سمح لنفسه بالتدخل في تشويه آرائنا لكي نُحال إلى المحاكم العرفية بتهمة تشجيع روح الإنتماء الإيراني للكورد ، ولعل ذلك التسفير سيشملنا كأهون عقاب ، على حد إعتقاده ، فإستطاع في النهاية من حذف كلمة «غير» الواردة في عبارة من عبارات الصفحة ٨٨ من الفصل الثالث للكتاب محولاً إياها من «أن أصل الكورد من الناحية العرقية هو غير إيراني ، لكنهم يشتركون مع العالم الهندو–الإيراني من ناحية اللغة وأسماء الأعلام» إلى « أن أصل الكورد من الناحية العرقية هو إيراني كما يشتركون مع العالم الهندو–الإيراني من ناحية اللغة وأسماء الأعلام » . وعندما طرحنا الموضوع عند زوجنا التي كانت تشرف آنئذ على مجلة «المثقف الجديد» في دار الثقافة والنشرالكوردية التابعة لوزارة الأعلام العراقية

الحرب خلال أعوام ١٩٨٠م – ١٩٨٨م وما إنتشرت من ظاهرة السرقة التي شَمِلت

أخبرتنا عن تهمة لفقها لها مهندس النفط المدعو صلاح سعد الله وأبلغها شفوياً بعصبية شديدة داخل غرفة عملها على أنها إيرانية الأصل وتعمل مع زوجها على إحياء الروح الإيرانية في العراق وعليهما تحمل مسؤولية هذه الجريمة أمام السلطات العراقية في حين ينحدر هو مع زوجها من تركيا . وعلى هذا الأساس أدركنا أن علة تلك الظاهرة في دار آفاق عربية هو هذا الرجل الذي إلتقينا فيها به صدفة قبل إتمام طبع كتابنا بأيام وهو يناقشنا حول آرائنا الواردة في الكتاب ، وعرفنا أن المبررات من وراء كل هذه المواقف العدائية تتلخص في مسألتين ، الأولى سياسية تتعلق بمواقف الحكومات العراقية السلبية من الخلافات اللهجوية بين ناطقي الكورمانجية الشمالية والجنوبية ، وتعود محاولات مهندسنا في تأجيج هذا الصراع إلى عام ١٩٥٩م لتحويل الكتابة في المؤسسات الثقافية والإعلامية العراقية إلى اللهجة الشمالية بدلاً من الجنوبية التى أصبحت رسمية في هذه المؤسسات منذ تشكيل الحكومة العراقية عام ١٩٢٣م حتى وإن أدى هذا العمل على تعقيد وضع الكورد إقليمياً وسياسياً كما خططتها لهم كذلك الحكومات العراقية من وجهة نظرعسكرية بعد قيام ثورة أيلول في كوردستان عام ١٩٦١م . وبعد عقد من الزمن إستغل المومأ إليه صدور بيان ١١ آذار عام ١٩٧٠م ليفاتح المسؤولين في قيادة الحزب الديموقراطي الكوردستاني حول الموضوع ذاته ، فحذروه بإسم الزعيم الخالد البارزاني بالكف عن هذه المحاولات الضارة بالقضية القومية الكوردية .

أما المسألة الثانية ؛ فتتعلق ببحث قدمناه في مدينة أربيل بمناسبة يوم الصحافة الكوردية في ٢٦ / ٧ / ١٩٨٣م ؛ دار موضوعه حول منهجية كتابة التأريخ الكوردي ، وعنوناها بـ «الدراسة التأريخية في الصحف الكوردية» ، فبدأنا بالحديث عن هذا الموضوع من أول صحيفة كوردية أشرف على إخراجها المرحوم مدحت بدرخان الذى للمهندس صلاح سعدالله صلة قرابة معه عن طريق المصاهرة يطلب فيها من الأمراء والأغوات الكورد أيام السلطان عبد الحميد أن يزودوه بتأريخ أسرهم لكي ينشرها في صحيفته «كردستان» . وعندما فسرنا النهج العلمي الحديث في علم التأريخ الذي لا ينحصر في الكلام عن الأمراء والأغوات فقط ، وإنما له علاقة بالتحليلات الأركيولوجية والفيلولوجية والأنثربولوجية والثقافية والدينية للأمم . هاج هذا الرجل يوم الخميس

أموالَنا وكُتُبنا منذ إحتلال الكويت عام ١٩٩١م.وخلال إنتفاضة العراقيين الكبرى التي

المصادف ١٩٨٤/١/٥م ونشر في العدد ٧١٩ من جريدة هاوكاري التي كانت تصدرها دار الثقافة الكوردية مقالاً لاذعاً إنتقدنا كما يحلو له وأورد فيه أراءً مشوهة وملفقة بإسمنا إنطلقت دوافعها من خلال إحساسه بالمساس لقدسية أقوال أحد أبناء آل بدرخان ، فلم نجاوبه في حينه ، لأن أسلوبه لم يكن يحتاج إلى مناقشة . وعندما إنتشر هذا الخبر بين موظفي دار الثقافة الكوردية ، أبلغنا الصحفي عبد الله عباس الذي كان مشرفاً على الجريدة المذكورة ، إضافة إلى مسؤولياته الأخرى في تلك الدار ، بالحذر من جماعة المافيا الكوردية التي تتاجر بالمطبوعات الكوردية االمنشورة في بغداد تجمع من ورائها أرباحاً طائلة وخاصة من تلك التي تخص التأريخ الكوردي . وبناءً على هذا الواقع لم يكن من المستغرب لدينا أن يُنشر هذا الرجل كراساً على وجه السرعة بعنوان مضلل «حول اللغة الكوردية ، بغداد ١٩٨٥م» يشير في الصفحة ٤٢ منه إلى أنه بدأ يسمع ، بعد صدور كتابنا «دراسات كردية في بلاد سوبارتو» نغمة أو «نظرية» جديدة مفادها أن اللهجة الكرمانجية الشمالية قد لا تكون كردية ، ولا علاقة لها بالكردية بدليل أنها ليست «إيرانية» ، العبارة المحرفة قصداً للسبب المذكور أعلاه وتجاهلاً للحقيقة عندما يَعتبر الكردوخيين كورداً ولغتهم كرمانجية بدون أن يملك أي دليل تتعلق بهذه اللغة المنحدرة من الحورية أصلاً . ولما كانت الساحة الثقافية الكوردية تخلوا من متخصص في التأريخ القديم ، قام هذا الرجل الذي يعمل في صناعة النفط بإحتواء تلك الساحة معتبراً كل من يمس حدودها نوعاً من الخرق لحقوقه . وبعدما نشرنا عام ١٩٧٠م مقالاً في صحيفة «التآخي» بعنوان «مرة أخرى مع الكورد وكردو» ، سارع هذا الرجل عام ١٩٧٣م بترجمة موضوع الكردوخيين الوارد في النسخة الإنجليزية لكتاب كسينوفون «أناباسيس» وسحل نصوصه كما يفهمه من دون أن يرجع إلى الأصل الإغريقي لهذا الكتاب لكي يدقق المصطلحات الواردة فيه كما قمنا بذلك عام ١٩٦٩م في كلية التأريخ بجامعة صوفيا ببلغاريا . وعندما بدأنا العمل في مجال إختصاصنا بجامعة بغداد تطرقنا في الصفحة ٣٤١ من مقدمة بحثنا المنشور في المجلد العاشر لمجلة المجمع العلمي العراقي (الهيأة الكوردية) عام ١٩٨٣م إلى علاقة الكورد بالسكان القدماء لكوردستان وأشرنا إلى «أن الكردوخيين لعبوا دوراً ذا أهمية غير قليلة في تكملة الشروط الأساسية لظهور البوادر القومية للشعب الكوردي ...إلخ» ، في حين شَوّه المومأ إليه هذا الرأي في الصفحة

لحقتهاالهجرة الجماعية للكورد إلى كل من إيران وتركيا ، أدت إلى فقـدان أوليـات الجهـد

---

٤٣ من كراسه مشيراً إلى أنه «ضمن مما يقوله الدكتور جمال رشيد ، ينفي ارتباط الكرد بالكردوخي وهو الإسم الذي أطلقـه الإغريـق ، اليونـانيون القدمـاء عليهـم ، مؤكـداً ان الكردوخـي ليسـوا مـن أسلاف الكرد ولا علاقة بين تسمية الكرد والكردوخي» ، في حين كنا قد لخصنـا النتـائج في نهايـة الفصل الثالث من كتابنا «دراسات كردية في بلاد سوبارتو» على النحو التالي :

١) أن الكورد لا ينحدرون من مجموعة معينة كالكيرتيين أو الكردوخيـين أو مـن كرداكـا مباشـرة ، وإنما لهم علاقة عنصرية وحضارية مع جميع هذه المجموعات عبر مراحل التأريخ .

٢) لا تُعتبر كنية الكورد شكلاً متطوراً لإسم كَرْدو (قردو) .

٣) أن الكورد من الناحية العرقية ذوو أصل غير إيراني ، لأن بلادهم كانت وطناً لقبائل غير إيرانية ، ولكن اللهجات الإيرانية ، وخاصة الميدية ، طغت على لسان هذه القبائل فيما بعد .

٤) تسبق كنية (الكورد) زمنياً مرحلة ظهور الشروط القوميـة الأخـرى للأمـة الكورديـة وأستعملت أحياناً بمعنى طوبوغرافي أو إجتماعي خاص يتعلق بالحياة الرعوية أو البدوية خلال العصـر الساسـاني وبداية العصر الإسلامي .

وبالرغم من هذه الآراء الواضحة ، وبعد التلاعب بالنقطة الثالثة وتصحيحنا لها قبـل وصـول الكتاب إلى الأسواق ، فقد طبع المهندس المذكور كراساً آخـر في مطبعـة شـفيق [عـن اللغـة الكرديـة وتأريخهم ، بغداد ١٩٨٩م] أشار فيه إلى تراجعنا المفاجئ من موقفنا وإسـراعنا بتغيـير محتـوى هـذه النقطة وفسر المومـا إليـه في صفحة ٤٩ وما بعدها من كراسه [حـول اللغـة الكـردية] بأننـا ننفـي «إنحدار الكرد من الكردوخي والكرتي» وهو عكس ما ذهبنا إليه ، ولكي يؤجج الحقد بين الناطقين بالكورماجية الشمالية والجنوبية ؛ صاغ آرائنا بصياغة مضللة وبنى جمله بأسـلوب مُحَـور أوصلـه إلى نتيجة طويلة معقدة غير منطقية قائلاً : «وهذا النفـي مـا هـو إلا تمهيـد لعرض مفهـوم د . جمـال الغريب عن الكرد والكرمانج ومفاده ان الكرمانجية ليست من الكردية ولا توجد علاقة بينهما أصـلاً ... فالإكتشاف الذي يهتدي إليه المؤلف ، إنطلاقاً من إعتقاده الخاطئ بعدم وجود علاقة بين الكـرد والكرمانج ، ويبشر به كمدرسة فكرية جديدة ، لا يستند إلى أي أساس علمـي أو لغـوي أو تـأريخي ... تلك هي (المدرسة الجديدة) : اللغة الكردية تتكون من الكورمانجية والكرديـة ! الشـماليون هـم كورمانج وأما الجنوبيون فهم الكرد ، ومن نافلة القول ان النهاية المنطقية لهذه النظرية قد تكون [وأما

التي جمعناها منذ عـام ١٩٧٧م في مكتبـة ليـدن بهولنـدا ونقلناهـا تدريجيـاً إلى الوطـن ، فبدأنا من جديد نجمع هذه الأوليـات بعـد هجرتنـا الثانيـة إلى هولنـدا مـع الحصـول على المصادر والمراجع الأجنبية الحديثة التي وَفّرتْها لنا بالتكليف إدارات مكتبات عديدة في أوربا حيث ترجمنا قسماً كبيراً منها ، وبخاصة مقال مينورسكي حـول الكـورد المستحدث مـن قبل توما بوا المنشور في دائرة المعارف الإسـلامية الـذي أغنينـا بـه البـاب الثـاني مـن هـذا الكتاب بعدما قارناه مع النصوص العربية والكوردية والتركية والفارسية الـتي أعددناهـا في بغداد حول الموضوع ذاته خلال الثمانينات مـن القـرن المـاضي ، ثـم قمنـا بتحقيـق بعـض نصوص الألـواح المسـمارية والآراميـة والإغريقيـة بدقـة وحددنـا فيهـا الحـروف الصوتيـة والخافتة لقرائتها بصورة صحيحة ، وأعدنا النظر في المعلومات الواردة في مؤلفاتنا السابقة

الكورمانج او الشماليون فليسوا من الكرد] ... وهذه المدرسة ليست جديـدة بـل هـي قديمـة تعتمـد طروحات (العالم الإيراني) في تحليلاتهـا الفكريـة حـول الكـرد ... وهـي طروحـات خاطئـة تأريخيـاً وقومياً وسياسياً ... ولكي لا يكون الكرمـانج كـردا ، يجـب قبل كل شئ نفي العلاقـة بـين الكـرد والكردوخي ، لأن الكردوخي كانوا شماليين ومستقلين عن (العالم الإيراني) لـذا لا يمكـن أن يكونـوا كرداً ، وأحفادهم في الشمال ليسوا كرداً بل كرمانجاً ، ولا علاقة للكرمانج بالكرد ، لأن الجنوبيـين وحدهم هم الكرد ، ؟ كرد الشمال من الناطقين بالكرمانجية ، أحفاد الكردوخي ليسوا مـن الكرديـة في شئ لأنهم لا يتمتعون بمواصفـات وخصـائص (العـالم الإيرانـي) ، وهكـذا فلغـة الكردوخـي غـير كردية لأنها ليست (إيرانية) ، فحتى تكون اللغة كردية يجب أن تكون (إيرانيـة) أولا ، والدليـل أنهـا لم تكن كردية لأنها لم تكن (إيرانية) ... إلخ» . يا لهذه النتائج غير المنطقية التي توصل إليهـا منتقدنـا الذي كان من المفـروض أن يتحـول إلى دراسـة النفـط ولا يتدخـل في أمـور اللغـة والأدب والتـأريخ والفلسفة والسياسة ورحلات الدبلوماسيين في فترة نعيش خلالهـا في مرحلـة الإختصاصـات الدقيقـة كما هو المعروف لديه ، ومن أجل إرضاء حكام العراق على حسابنا ، بدأ بمحاربـة كـل شـئ يمـس الحقائق التأريخية واللغوية لكي يرقص الناس على نغمة الأخوة والتحالف العربي–الكوردي بالطريقة التي كان يحلو له أن يسود في العراق خلال النصف الثاني من القرن الماضي .

، وخاصة تلك المذكورة في كتابنا «دراسات كردية في بلاد سوبارتو» التي حاولنا فيه أن نناقش آراء المستشرقين بالإستناد على كتبهم ومراجعهم كما أشار إليها أثناء صدورها المؤرخ العراقي القدير المرحوم عبد الرزاق الحسني في رسالة خاصة أرسلها لنا بتأريخ ٣٠ / ٣ / ١٩٨٥م إلى «أن قائمة المراجع والمستندات الواردة في هذا الكتاب تدل على عظم الجهد الذي بذلتموه في سبيل وضع هذه الدراسة القيمة والبحث اللغوي الجليل» . والآن ، فالغرض الأساسي من تأليف هذا الكتاب أيها القارئ العزيز لا يتحدد في جانب واحد من علم التأريخ ، لأن قضية ظهور المجموعات الأثنية في هذا العالم كالكورد مثلاً تستند على مقومات وشروط عديدة كالأرض التي تعتبر مهبط أمتهم وتشهد هذه الأرض منذ ظهور الإنسان فيها أحداثاً متنوعة سواء في عصور ما قبل التأريخ أو بعدها ، والكنية القومية التي بدأ سكان البلاد الكوردية القدماء يشتهرون بها عبر التأريخ ؛ ظهرت بدايةً في النصوص المسمارية منذ مطلع عصر التدوين ، واللغة التي إستمرت في تطورها كانت مستقلة في البداية ثم تفرعت إلى لهجات أو ظهرت من خلال تجمع عدة لهجات مختلفة وأما الدين الذي لم تستقر مبادءها على تقديس معبود معين على الدوام ؛ بل رافق التغيرات التي شهدتها الأفكار الميثولوجية التي حددت نمط العادات والتقاليد التي ميزت الأمم بعضها عن البعض الآخر ؛ فقد مرّ عند الكورد بنفس المراحل التي شهدتها الشعوب الأخرى . كل ذلك أدت بنا إلى تصنيف هذه المواضيع ضمن أبواب هذا الكتاب بقدر ما تتعلق بظهور الكورد في التأريخ كأمة مستقلة تميزت بحضارتها .

إلتزمنا في دراستنا ؛ كعادتنا ؛ بمبدأ النهج العلمي مع مناقشة كل الآراء المطروحة حول المواضيع التي نحن بصددها ، وإبتعدنا بقدر ما يسمح لنا هذا النهج عن العواطف والأحاسيس القومية والدينية التي تسود أوساط الكورد الذين قلما نجد بينهم ممن تخصصوا في مواضيع الأنثربولوجيا والسوسيولوجيا والتأريخ القديم ، آملين من مثقفيهم أن لا يفسروا عملنا من خلال مواقفهم التي تتغير ألوانها كلون الحرباء إرضاءً لحكام

بلادهـم على حد قول الأستاذ جمـال نبـز(٢) . فهذا النهج يدرس التأريخ كموضوع يَـدُلُّ

---

(٢) يعتبر الدكتور جمال الحاج توفيق المشهور بجمال نبز (عضو كل من جمعيـة المستشـرقين وجمعيـة علمـاء الساسـة وجمعيـة اللغويـين بالمانيـا) أحـد رواد الفكـر القومـي الكـوردي المولـود في مدينـة السليمانية في ١ كانون الأول من عام ١٩٣٣م ، درس العربية والتركية والفارسية على يد والده ؛ ثم دخل المدرسة الإبتدائية التي كانت الدراسة فيها باللغة الكورديـة . وبعـد إنهـاء مرحلـة الإعداديـة في مسقط رأسه ؛ درس الفيزياء والكيمياء وأصول التربية بجامعة بغداد ، وأثناء وجوده في هذه الجامعـة ؛ إستغل الفرصة لكي يدرس الأدب الإنجليزي في المعهد البريطـاني *British Councel Institute* واللغة الفرنسية تحت إشـراف أحـد الأسـاتذة الفرنسيين . وفي خريـف عـام ١٩٥٥م حصـل علـى شهادة الليسانس في الفيزياء فعُيِّن مدرساً في متوسطة المصلى بكركوك التي كنـا فيها طالبـا آنئذ ، ثم نُقل إلى الزبير وبغداد وأربيل لأسباب سياسية ملفقة . وفي هذه الفترة بدأ يكتب في مختلـف المواضيع اللغوية الكورديـة ، ثـم نشـر بعضـاً مـن آرائـه السياسـية في الصحـف العربيـة والكورديـة كالأهـالي والمستقبل وژين وهەتاو . وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م بدأ ينتقد الإتجاهـات الماركسـية التوتاليتاريـة للحزبين ، الشيوعي العراقي والديموقراطي الكوردستاني ، وموقفيهما غير الواضـح مـن تقريـر مصـير الأمة الكوردية ، إذ أصبحت إتجاهات فكره فيما بعـد قـاعدة لبرنـامج جمعيـة كـازيك (*Komele y Azadî u Žiyanewe u Yakêti Kurd*) التي تأسست في ١٤ نيسان من عام ١٩٥٩م ، وقد لاقـى من جراء ذلك بعض المضايقات من قبل رجال الحزبين المذكورين . وبعد قيام ثورة أيلـول الكورديـة إنتقل في شهر مايس ١٩٦٢م إلى أوربا لغرض متابعة الدراسة ؛ فبدأ باللغة الفرنسية في جامعة جنيـف بسويسرا ؛ ثم إنتقل إلى كل من ميونيخ وفيرتزبورگ وهامبورگ ليتـابع في هـذه المـدن الألمانيـة دراسـة علم السياسة والفلسفة والساميات والإيرانيات وعلم التربية المقـارن والقـانون وشـارك خـلال هـذه المرحلة في تأسيس بعض المنظمات الطلابية الكوردية مثل *NUKSE* (الإتحاد القومي للطلبة الكورد في أوربا) ؛ وكان نبز من أنشط منظري نشرياته . وأخيراً حدد موضوع رسالته لنيل شهادة الدكتـوراه في موضوع (الأمير الكوردي مير محمد الرواندوزي) التي دافع عنها في مناظرة بجامعة هامبورغ بألمانيا يوم ٩ شباط من عام ١٩٧٠م . وفي ربيع نفس العام إنتقل إلى مدينة برلين ليدرس في جامعتها الحـرة موضـوع الجرمانيـة *Germanistic* والقـــانون ، ثـــم عُـــين بعـــد عـــام محـــاضراً في معهـــد

بشكل عام على معان متفاوتة عبر العصور ، ففي اليونانية دلت كلمة «أرَخايوس *Αραχαιωσ*» على «البحث عن أخبار حوادث الماضي» ومنها إشتق الأوربيون صيغة *Archaeology* (أركيولوجي أو أرخيؤلوگيا «علم الآثار» كما إشتقت العرب منها كلمة أرّخ ويؤرخ تأريخاً) . فجوهر التأريخ عند الإغريق الذي عَنون به هيرودوتس كتابه بصيغة هيستوريا *Ηιστορια* (صاغت العرب منها كلمات كالسطر والأسطورة) كان ، بعدما أفرغها من مضمونه الأسطوري ، محاولة من قبيل البحث العلمي ، لأنه يجيب عن أسئلة تتعلق بأمور إنسانية ونشاطاتها ولا يعني هذا أن تأريخهم الديني لا يخلوا من قصص خرافية كانت تعتبر من قبيل أساطير حكومة الآلهة أو حكومة السماء . ونتيجة إنتشار الأفكار المسيحية التي أثرت على كتابة التأريخ ظهرت نزعة جديدة نحوها ؛ تذهب إلى أن أسباب الأحداث التأريخية ليس من قبيل النشاط الإنساني وأهدافه ، وإنما هو إقرار لمشيئة الله ، أي أن السبب في إحتياجات الإنسان هو الله قد كتب عليه أن يحتاج إليه ، لأنه بذلك يساهم في تنفيذ مشيئة سبق تقديرها في علم الله ، ولا يناقض هذه الفكرة كون الإنسان القوة الفعالة في أحداث التأريخ ، إلا أن أغلب أولئك الذين لم يتبعوا الكنيسة

الدراسات الأثنولوجية في الجامعتين المذكورتين ، ثم أصبح موظفاً في حقل الدراسات الخاصة *Sonderforschungsberich* التابع لـ *Deutsche Forschungs Gemeinschaft* «جمعية الأبحاث الألمانية» . وفيما بين خريف ١٩٧٨م وربيع ١٩٨٢م عمل كأستاذ مساعد في حقل تأريخ إيران وثقافتها الإسلامية ؛ كما ألقى دروساً في اللغتين الفارسية والبلوجية بجانب مواضيع الكوردولوجيا في جامعة برلين الحرة وإستلم دبلوماً في العلوم السياسية إستناداً على رسالة كتبها بعنوان (القومية العربية في العراق وسورية ومشكلة القوميات في الشرق الأدنى) ، ثم أصبح مدرساً في قسم السياسة بمعهد *Otto - Suhr Institut* التابع لجامعة برلين . وخلال فترة عمله ؛ نشر عدداً من البحوث والكتب باللغة الألمانية منها (أساطير وقصص شعبية كوردية) و (كوردستان وثورتها) ، وفي عام ١٩٨٥م شارك في تأسيس (الأكاديمية الكوردية للعلم والفن) في السويد .

وأساقفتها (وخاصة عندما إستقلت النسطورية في كوردستان وأخذ روادها يُبَشّرون الآسيويين) ، أتصفوا من قِبَل الكُتاب الكنسيين مثل مشيحا زخا وإبن العبري وأوزابيوس وغيرهم بأعداء الله وقطاع الطرق . أما المعلومات التي أبقاها لنا المؤرخون المسلمون فلا يختلف كثيراً عن النهج المسيحي المذكور .

وعلى كل حال ، فإن بعض الكتاب من المسيحيين والمسلمين تطرقوا في العصور الوسطى إلى هذا الموضوع من خلال سردهم لبعض القصص الدينية التي تتعلق بنشأة الكون كله وبما يحويه من أجرام وكواكب ومن بينها الأرض التي رأت على سطحها أحداث الإنسان . وفي الوقت الذي لا نريد إطالة الحديث عن مفهوم التأريخ كعلم من العلوم الإنسانية التي ظهرت قوانينه منذ القرن السابع عشر الميلادي في أوربا الغربية ، نقول أنه من المفيد الإشارة إلى أن هذا الموضوع هو علم النقد والتحقيق بدراسة وتفسير العامل البشري الإرادي الإنفعالي بدون تحيز وذلك بتحرير النفس من الميل والإعجاب أو الكراهية لعصر خاص أو لشخصية معينة أو لناحية تأريخية محددة . وبناءاً على هذا ؛ سنتطرق في الباب الأخير من كتابنا إلى الأفكار الميثولوجية والأديان والأساطير خلال أزمنة كانت فيها مفاهيم وسبل معيشة الإنسانية تختلف كلياً عما عليه اليوم وبعيدة عن مقاييسنا المعاصرة ، وأن ما دونته هذه الإنسانية من معلومات كانت تُعَبّر عن ذهنية متميزة ومقبولة من قبل الناس الذين عاصروها . ومن جهة أخرى ، نحاول أن نكشف في هذه الدراسة نتائج جهود الإنسان في موطن الكورد والأعمال التي قام بها بناءً على تفسير الوثائق التأريخية وتبيان الدوافع التي كانت تحفز الناس إلى تدوين أخبارهم من أجل أن نفهم أسلوب التفكير عندهم ، ذلك التفكير الذي حدد مسيرة الحوادث بالصورة التي نقرأها في هذه الوثائق . فالكلمات والمفردات والأسماء التي كانت تخص الآلهة والمدن والقبائل والبلدان والصراعات التي شهدتها المجتمعات القديمة صاغها الإنسان بناءً على مفاهيمه الفطرية وليس كما يشتهيه أبناء اليوم . ومن هذا المنطلق ؛ يجب أن لا ننظر إلى

المبادئ الدينية والقواعد الأخلاقية كقواعد أبدية لا ينالها التغيير ، بل يجب النظر إليها كمفهوم تأريخي يتغير تبعاً للتطور العام في المجتمع . فما يمكن إعتباره مقدساً أو أخلاقياً في ظروف إجتماعية معينة يمكن أن يوصم بالكُفر وباللاأخلاقية في ظروف إجتماعية مغايرة ، وما نسمعه من حُمل اليوم لم تكن تستعمل قديماً بنفس المفهوم . فكلمة (الجنس) العربية التي تدل ، بالإضافة إلى مفهوم (النوع ، العنصر ، الأصل أو الإنتساب) ، فإنها تعني صفة الإنتماء إلى فصيلة بشرية أو حيوانية محددة وكانت تعني قديماً الإتصال الطبيعي بين الرجل والمرأة ثم أشتقت منها إصطلاحات أخرى كـ(الجينات والتجنس والمتجانس) ، كما كانت تعني في نفس الوقت مجموعة بشرية ذات مصالح مشتركة تستند على أسس أخلاقية حميدة ، وقد إستعملتها الشعوب بمعاني متفاوتة . ففهم الرومان من صيغة الجنس *Gens* «بطن العشيرة» التي لأفرادها القريبين بروابط دموية فقط الحق في الممارسة الجنسية مع بعضهم البعض ، ولعبت بطون العشائر في سهل لاتيوم دورها التأريخي على هذا الأساس في بناء العلاقات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية ، وإستعار هؤلاء هذه الكلمة من صيغتها اليونانية *Gen-os* المشتقة من كلمة *Gean* الهندية – الأوربية التي تحولت في البهلوية إلى *Gan* وظلت في الكوردية تعني ، بالإضافة إلى الإتصال الجنسي ، مفهوم «الروح *Gean*» التي تأتي إلى الوجود من خلال ذلك الإتصال وصاغها كارل ماركس بالألمانية في كراسه (أصل العائلة) بصيغة *kan* . ورغم شيوع كلمة (الجنس) في اللغة العربية ، لكن صيغتها الكوردية إختفت من لسان الكورد لدوافع أخلاقية إسلامية ، بينما ظلّ معكوسها *Bêgane* «الغريب أو الأجنبي» لا يزال يعني حرفياً ذلك الذي لا يحق له النكاح الداخلي (أي لا يمكن له أن يتصل جنسياً بأحد أفراد بطن من بطون العشيرة) . وعلى هذا الأساس ، إذا كانت كلمة (الجنسية) في اللغة العربية و *Nationalizm* «الولادة» في اللاتينية ، بالإضافة إلى مفهوميهما الفسيولوجيين ، يعنيان الآن الإنتماء القانوني لشخص ما إلى دولة من دون تحديد ديانته أو لغته ، فإن جوهر هذين

الإصطلاحين كان يعني في العصور القديمة ذلك الإتصال الذي كان يجمع الذكور بالإناث لغرض التكاثر وليس لسبب قانوني أو إقتصادي كما يذهب إليه الماركسيون ، لأن الإنتاج المشترك بينهم كان حصيلة التجمع الجنسي وليس مبرره ، فالأمومة التي عبرت عن الجنس ومثلت شاوشكا أو أناهيتا في كوردستان رمزها كانت تعني في البداية القرابة الدموية والإنتماء إلى أم واحدة ، تلك القرابة التي أنشأت تقاليداً مشتركة بين سائر الأقارب ، وعندما تكاثر الناس في ظل نظام سيادة الأمومة ، تميزت هذه التقاليد بمعانيها الروحية التي إنتظمت تحت تأثير بعض المفاهيم الدينية ، فظلت كلمة (الأمة) مستعملة عند العرب على أساس الرابطة الدينية حتى بعد ظهور الإسلام وكانت تجمع أقواماً وشعوباً عديدة تحت سيادة لهجة قريش (لغة القرآن) ، وبإمتزاج التقاليد العربية مع عادات هذه الشعوب ، صار عيد الأضحى الذي يعود جذوره إلى التقاليد العبرية أيام النبي إبراهيم عيداً مقدساً عند الكورد وسائر المسلمين في العالم ، بينما تغير مفهوم (الأمة) في مرحلة إستنهاض المشاعر القومية عند العرب أنفسهم ، فبدأ الكتاب والشعراء والسياسيون منهم يفسرون إنتماءاتهم إلى أمة واحدة لا على أساس الرابطة الدينية ، وإنما على أساس لهجة القرآن المتداولة في الجهات الرسمية لدولهم ، في حين لا نرى هذا النوع من الإتجاه الفكري والسياسي عند الشعوب السلافية أو الجرمانية أو الإيرانية ، لأن كل شعب من شعوب هذه الأرومة أقامت دولتها القومية بعد إنهيار أنظمتها الإقطاعية أو الكولونيالية و لم يحاول أن ينظر إلى خلفيته اللغوية والثقافية مع الشعوب التي كان أبناؤها يوماً ما في رابطة دموية ولغوية معه لكي يقرر مصيره في المستقبل على هداها .

وعلى كل حال ، فإن القبائل والشعوب إرتبطت في مختلف العصور بحضارات أقامتها في الأصل أجناس بشرية عاشوا قبلهم ، والجذور الأولى لهذه الحضارات ترجع إلى عصور ما قبل التأريخ . فقبل نشوء دويلات المدن وتصديق المواد الدستورية لملوكها بإسم المعبودات ، لم يكن الإمتزاج الجنسي أو العرقي يخضع لقانون إجتماعي ثابت ، بل ظل في

أغلب الأحوال جزءاً من ظواهر الطبيعة . أما العلاقات الإجتماعية التي ظهرت في عصر العبودية فقد أدت إلى إندماج الأعراق وإختلاط الثقافات في وحدات بشرية شكلت فيما بعد أمماً أو شعوباً تختلف مظاهر حياتها عن الذين سبقوهم . وفي المرحلة التي أطلقت التسميات الأثنية على الإتحادات القبلية وسكان المدن إنطلاقاً من تجانس لغاتهم ومصالحهم الإقتصادية ، عند ذلك إقترنت لغاتهم بتلك التسميات القومية كالتي جرت مع كنية (المجرية) نسبة إلى سائر قبائل الهون في هنغاريا أو اللاتينية التي إنحدرت منها اللغات الفرنسية والإسبانية والإيطالية .

ومن جهة أخرى ، فإن التعرف على تأريخ وأصول الشعوب من خلال إحدى مقومات القومية فقط كالكنية أو اللغة مثلاً هو أمر غير كامل لدراسة التطور العرقي والثقافي الذي يشهده أجداد هذه الشعوب عبر العصور . فالسومريون ، بهويتهم المستقلة ، والكاشيون بثقافتهم الزاگروسية والآراميون بلغتهم السامية أصبحوا في العراق بمرور الزمن كورداً وعرباً ، كما أن الخاتيين والحيثيين والكبدوكيين واليونان في آسيا الصغرى يعتبرون الآن تركاً ، وهذا ما يصح قوله لكل شعوب العالم ، لذلك فالخوريون والكوتيون الذين إندمجوا بالميتانيين بعد توافد القبائل الهندية الآرية إلى كوردستان في بداية الألف الثاني قبل الميلاد خضعوا معاً لسيادة القبائل المادية ووضعوا معاً البنية الأثنية الأساسية للأمة الكوردية . فحلف القبائل الكوردية الذي صاحبه تعزيز الصلات الإقتصادية والثقافية بين جميع أفرادها والصدامات الحربية وهجرة الأهالي بسبب زيادة السكان أو نقلهم قسراً مع ظهور الملكية الخاصة ونظام الطبقات ، أدى كل ذلك إلى إمتزاج أبناء هذه القبائل تدريجياً وإلى إستبدال الروابط الدموية القبلية بينهم بروابط إقليمية وإلى ظهور شكل جديد من التجمع التأريخي لهم نشأ من عدد من التجمعات البشرية القريبة بعضها من البعض الآخر بأصلها ولهجتها عُرف أفرادها عند الإيرانيين بكنية (كورتان *Kort-an*) التي ترجمتها العرب إلى صيغة (الأكراد) .

بناءاً على الواقع المذكور ، تكونت القومية الكوردية في شمال وادي الرافدين وعلى مرتفعات جبال زاكروس بعد أن تغلبت مجموعة من القبّائل الهندية - الآرية الأكثر عدداً على الأخرى وسادت لغتها على لهجة المغلوبين ، فإختفت اللهجات المحلية القديمة أو إندمجت مفرداتها بلغة الوافدين . إذن كانت هذه الظاهرة تَجمُع الناس اللغوي والإقليمي والإقتصادي والثقافي التي قامت على أسلوب إنتاجي معين من دون إشتراط الدولة على خلقها ، ثم تطورت هذه الظاهرة ، بمرور الزمن ، إلى تَجمُع الناس أكثر ثباتاً بإشتراك الحياة الإقتصادية والإقليم واللغة وبعض الخصائص السايكولوجية والتقاليد الحياتية والحضارية . وأخيراً طبع هذا التطور ، مع خصائص الماضي التأريخي لسكان كوردستان ونظامهم الإقتصادي وثقافتهم ومحيطهم الجغرافي ومعيشتهم وتقاليدهم ، بطابعه الوجه الروحي للأمة الكوردية التي إعترف بوجودها ابن مسكويه من دون أن يربط هذا الوجود بقيام الدويلات الكوردية مثل الحسنوية والبزركانية والروادية والشدادية والدوستكية في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين ، وكإحدى شروط القومية ؛ سَجّل المستوفي القزويني إسم الأرض المشتركة لهذه الأمة بصيغة (كوردستان) كإحدى أقاليم دولة السلطان السلجوقي سنجر في القرن الثاني عشر الميلادي(٣) . ونظراً للغموض التي تكتنف تأريخ هذه الأرض التي إرتبطت ثقافاتها البائدة بأحداثٍ درسها غير الكورد ، متخصصين كانو أم غير متخصصين ، فإننا في هذه الحالة سنبتعد أحيانا من مركز البحث لكي نوضح العلاقة بين تلك الأحداث وواقع اليوم . وبما أننا نؤلف هذا الكتاب باللغة العربية ، وسيُترجم من دون شك إلى اللغة الكوردية(٤) ، ولأجل توضيح مواضيعها وتدوينها بدقة ،

---

(٣) راجع كتاب (نزهة القلوب) لحمد الله المستوفي القزويني ، تحقيق گاي لسترانج ، طبعة ليدن ١٩١٣م .

(٤) لقد كتبنا أصل هذه المقدمة مع الباب الثاني والثالث والرابع باللغة الإنجليزية ضمن ١١١٤ صفحة وأدخلناها بمراحل إلى جهاز الكمبيوتر الذي خصصناه من أجل برنامجنا في إقامة «المعهد

القومي للدراسات الستراتيجية» الذي كلّفنا بتأسيسه السيد نيجرفان البارزاني يوم الخميس المصادف ١٠ حزيران من عام ١٩٩٩م بعد رفضه لعرضنا في إقامة «مجلس الأمن القومي الكوردي» . وفي هذه الفترة زارنا عددٌ من أساتذة جامعة صلاح الدين في مصيف صلاح الدين وهنئونا ، بدون أن يكون لنا أي علم ، على تعييننا رئيساً لجامعتهم . ولكي نقوم بحل مشاكلها التي كنا ضحية من ضحاياها في السابق طرح هؤلاء آراءاً إيجابية حول إدارة الجامعة . وبالرغم من إنشغالنا في جعل المعهد المذكور واقعاً ملموساً ، ثم إستمرارنا في إكمال بحوثنا العلمية ، طلب منا يوم ١١ آب شيخ هرم يدعى الشيخ رشيد عبد الرحمن ، لم يكن بيننا سابق معرفة ، أن نكون خبيراً لمخطوطته الموسومة بعنوان «تأريخ زاغروس» كتبها على اليد باللغة الكوردية وكانت متروكة في وزارة الثقافة لإقليم كوردستان لأكثر من عام ونصف عام ، على حد زعمه ، راجياً منا بإلحاح أن نوافق على نشرها بعد أن نتحقق من محتواها ، فأرسلها إلينا يوم ١٨ آب عام ١٩٩٩م داخل كيس نايلون بيد المدعو فائق محمد رحيم بدون أي سند أو طلب رسمي تحريري أو غير تحريري . وعند مقابلتنا للأخ نيجرفان البارزاني يوم ٢٣ آب من أجل مناقشة تفاصيل مشروعنا حول المعهد المذكور ، طرح علينا فكرة تعيين زوجنا د. كوردستان الموكرياني في منصب نيابة رئاسة الجامعة المذكورة ، وقد وعدناه أن ننقل الخبر إليها . وبعد أن إتفقنا مبدئياً على إقامة المعهد المذكور تركنا أوليات أعمالنا وعفشنا في دار الأخ سرهد أنور بيتواته وغادرنا مصيف صلاح الدين بشمال أربيل يوم ٢٥ آب (أي بعد أسبوع من إرسال المخطوطة) إلى أوربا للإتصال بعدد من المتخصصين والعلماء الذين بإمكانهم دعم مشروع إقامة هذا المعهد . وعند وصولنا إلى إستنبول يوم ٢٦ آب أخبرتنا زوجتنا هاتفياً من هولندا أن بياناً نُشر بإسم الشيخ المذكور بعد مغادرتنا مباشرة يحوي على ١٩ نقطة غير صحيحة يطلب فيه من أجهزة الدولة ، بناءً على هذه النقاط ، القبض علينا بتهمة سرقتها ، في حين لم نغفل لحد الآن إسم أحد في جميع مطبوعاتنا المنشورة فيما لو كنا قد إستعرنا من أقواله جملة واحدة ، وهذا الكتاب الذي بين أيديكم هو خير شاهد على ما نقول . وفي نفس الوقت ، قام عدد ممن أصابهم الهلع عندما كُلِفنا بترأس أمور الجامعة بتوزيع هذا البيان بين جميع المؤسسات في مدينة أربيل ، ولأجل التشهير بنا في مجال إختصاصنا ولأسباب معروف لدينا ، أرسلوا نسخاً منه إلى أساتذة

على طبيعتهـا كالآراميـة واللاتينية والإغريقيـة وحتـى المسـمارية أيضـاً ونقـوم بتنضيدهـا

جامعة بغداد والمجمع العلمي العراقي وإلى الشخصيات الكوردية في الخارج وحتـى إلى لجان حقـوق الإنسان في لندن . لم نحمل تفاصيل هذه المسرحية في الواقع محمـل الجـد مـن رجـل غـير متخصـص أثاره الحاسدون ونحن على طريق تحقيق مشروع مهـم ومقـدس . وبنـاءاً علـى تجاربنـا السـابقة ،كنـا ندري أن هذه التفاصيل تنبع من خطـة أفـراد سبق وأن حققـوا مـآربهم معنـا عـام ١٩٨٢م حينمـا إتهمونا بتشكيل لجنة تعادي نظام حزب البعث في العراق وتشجيع طلبة جامعـة صـلاح الديـن علـى الإضراب وكان من نتائجه الحكم علينا وعلى زوجتنا بالشنق سـبع مـرات كمـا أبلغنـا بذلـك مديـر الأمن العام للمنطقة الشمالية اللواء عبد المحسن سعدون (أبـو عـلاء) لكنـه إقتنـع بنـاء علـى تقـارير أخرى إلى أن الغيرة تقف وراء كل هذه التهم ، في حين عفونا من جانبنا أصحاب هـذه الأعمـال في خضم إنتفاضة عام ١٩٩١م ، لكن هؤلاء ، وخوفاً من الإنتقام ، حشـروا أنفسـهم في المؤسسـات الحساسة لحكومة إقليم كوردستان وبدأوا يتهموننا بواسطتها ، ويبكون أمـام النـاس ، ثـم يسـبقوننا ويشتكون عند مسؤولي هذه الحكومة الذين لا سابق لهـم في الإطـلاع علـى واقـع النـاس قبـل قيـام الإنتفاضة الشعبية المجيدة الكبرى في ١٩٩١م . وعلى كل حال ، فبعد وصولنـا إلى دارنـا في هولنـدا إتصل بنا فائق محمد رحيم عن طريق الهاتف وأخبرنا بأسماء المخططين لهذه المؤامرة قبل القبـض عليـه ورميه في سجن أربيل . وبعدما سحبت لجنة رأسها نائب المحافظ الأخ مهدي خوشناو ومجموعة من أعضاء إتحاد كتاب الكورد المخطوطة من دار السيد سرهد أنور بيتواته وسلمتها إلى حـاكم التحقيـق في أربيل ، وبدلاً من أن نقيم شكوى على محاولات تشهير صاحبها ، تركنا الإنشغال بهذه الأمـور للمستقبل لكي نستمر بواجباتنا الضرورية . وبعد إنتظار طويل من أجل توقيع البرلمان علـى مشـروع معهدنا ، فوجئنـا من الأخ ن . البارزاني خلال آخـر مقابلـة بيننـا ، وبعيـداً عـن تحقيـق مشـروعنا الأساسي ، بموضوع تعييننا رئيساً لجامعة صلاح الدين ، وكان هذا الطلب الكريم المدعوم من قبـل الأخ مسعود البارزاني رئيس الحزب الديموقراطي بالنسبة لنـا بديلاً للمشروع الذي إنشـغلنا لتحقيقـه سنة كاملة . وإذا كان لرفضنا وقع سلبي عند الأخ ن . البارزاني ، فلدينا مـبررات إيجابيـة مـن أجـل تبرير موقفنا . وعلى كل حال فبعد إقامتنا الطويلـة بمصيـف صـلاح الديـن ، قررنـا مرافقـة زوجتنـا وأولادنا من أجل الرجوع إلى الوطن لتستلم حرمنا بدورها مسؤولية إدارة المجمـع العلمي الكـوردي التي كُلفت بتنظيمها مؤخراً . وقبل مغادرتنا ، ولأجل أن لا تصيبنـا تهمـة أخـرى ، ولكـي لا تتـأثر

شخصياً على جهاز الكمبيوتر الخاص بنا لكي نتجنب الأخطاء التي واجهت أغلب مؤلفاتنا المنضدة من قبل غيرنا وذلك ليكون نطق ما ندوّنها على طبيعتها . وعلاوة على ذلك ، سنبيّن العلاقات بين المسميات التي سُجلت بصيغ مختلفة في الوثائق المتباينة لغوياً . ففلك النبي نوح على سبيل المثال إستوى ، بإعتقاد الآشوريين ، على جبل كينيبا *Kinipa* الذي سموه كذلك بجبل *Nisir* «النصير» ، حيث فاضت منه مياه الطوفان

ديسكات جهاز الكمبيوترالتي كانت تحوي التخطيط العام للمعهد المذكور وكل الوثائق والرسائل الموجهة إلى المسؤولين في الإقليم مع مئات الصفحات من مشاريعنا ، حفظنا عفشنا في سيارتنا الخاصة التي أودعناها في كراج الفندق تابان بمصيف صلاح الدين ذو المناخ المعتدل وسافرنا إلى هولندا . وبعد إجراء المعاملات الرسمية بدأنا مع حرمنا وأولادنا نجمع كل ما نملك من الوثائق والكتب لكي نرجعها عن طريق البر إلى الوطن ، ولم يمر لوصولنا إلى أحد الفنادق في العاصمة البلغارية إلا بضع ساعات ، حتى سرقت المافيا البلغارية سيارتنا من داخل الموقف الرسمي للفندق الذي نزلنا فيه وهي تحوي كل ما نملك من ألبسة وهدايا ووثائق هامة يعود قسم منها إلى ماقبل تسعين عاماً ، فودعنا أهلنا في مطار صوفيا لكي يرجعوا عن طريق الجو إلى هولندا، وبعد شهر ونصف من التحقيقات والمغامرات البوليسية دفعنا ٢٠٠٠ دولارا أمريكياً عن طريق المافيا الكوردية مكافأة للصوص وإستلمنا السيارة بدفع التعويض وإستعمال السلاح وكانت متروكة على طرق إستنبول وهي خالية حتى من إطارها الإحتياطي والراديو وجهاز الكاسيت ، وهكذا قفلنا راجعين إلى مسكننا . ولما خفّت ألم هذه المصيبة عن أنفسنا إستمرينا في سبيلنا إلى أن وصلنا مع زوجنا إلى فندق تابان في مصيف صلاح الدين ، وكم كان وقع مصيبة أخرى مريرة لدينا عندما شاهدنا أن الحقيبة التي كانت تحوي أعمالنا في السيارة التي أودعناها في كراج الفندق المذكور قد سُرقت مع جهاز الكمبيوتر ، في حين ظلت آلة الطابعة والمواد الأخرى سالمة فيها ، وهذا ما يدل على أن هذه الجريمة بخلاف مثيلتها في صوفيا كانت منظمة من قبل أفراد غير محترفين في سرقة الأموال لم يهمهم غير ما يحتويه ذلك الجهاز . ومهما يكن ثمن ما سُرق ، إلا أننا حفظنا نسخ أعمالنا في هولندا على ديسكات أخرى تحتوي على نفس المعلومات ، وها نحن نترجم كل هذا الجهد من صيغتها الإنجليزية إلى اللغة العربية .

حسب أسطورة سومرية ، ثم سماه الأكديون بجبل قوتي *šad Qutî* وكان هذا المكان يقع على نهر الزاب الصغير في بلاد لولو حسبما وُرِدَ في السجلات الآشورية ، ويمكننا على هذا الأساس أن نحدده بجبل *Pîra Magrûn* بكوردستان الجنوبية ، بينما سجله يوسف الأنطاكي في العصر الروماني بصيغة (جبل كارّي *Karri*) ، وفي الترجمة الأرمنية للتوراة سُجِل هذا الإسم بصيغة ꝁ պ ո ꝑ « كَرْدي » ، في حين إستوى فلك نوح بالمفهوم العبري وكما يُذكر في العهد القديم على جبل בלעדּ آرارات (أي في بلاد أورارتو) وبالمفهوم الإسلامي على جبل جودي شمال غرب مدينة زاخو المعاصرة .

ومن جهة أخرى علينا أنْ نشير إلى أن الإنسان القديم ، بذهنيته المحدودة وإمكانيته العلمية القليلة ، كان عضواً في تشكيلة إقتصادية – إجتماعية صغيرة ذات وعي محدود ولم يخضع عند ولادته لقانون إجتماعي ثابت ، وإنما خضع للطبيعة ومقدراتها قبل السيطرة عليها وعلى قوانينها المتشعبة . بناءً على ذلك لا حرج فيما لو حاولنا إستكشاف تلك الحقائق والتأكيد من خلالها على أننا أحفاد مجتمعات ما بعد الطوفان ، وغرضنا من هذا هو التعرف على أصلنا ونَسَبنا والتعرف على تأريخ أسلافنا عن طريق مشاركتهم في المسيرة الإنسانية وما حققوها من النتائج الفكرية والمادية التي غدت القاعدة الحضارية لأمتنا . ومن المعروف أن الشعوب لم تظهر على الأرض وأبناؤها يتمتعون بكامل الإمكانية العقلية ويمتلكون قوى تكنولوجية معقدة ، بل أن الإنسان عاش في البداية بمفرده ثم إنضم فيما بعد إلى عشيرةٍ أو قبيلة على أساس الصلات الأموية وإشترك في العمل الجماعي مع أفراد قبيلته ودافع عن مصالحه في حدود قطيعه البدائي ، ولم تكن ظاهرة نشوء الشعوب في التأريخ نتيجة للزيادة البسيطة لعدد نفوس القبائل كتلك القبائل الهندية – الإيرانية التي إنتشرت في إيران وكوردستان بإسم الميديين والإخمينيين والسكس ، بل كانت تتعلق بظهور مجتمع جديد بنوعيته ، وهو ليس تكوين حكومي أو إقتصادي كآشور أو بابل ، وإنما هو إجتماعية بين الناس تتكون تأريخياً وتتحد بواسطة التسمية

العامة والأرض والثقافة واللغة والتكوين النفسي والعادات والتقاليد . وبهذه الصورة أدى حلف القبائل الذي صاحبه تعزيز الصلات الإقتصادية والثقافية بين جميع أفرادها ، والصدامات الحربية وهجرة الأهالي بسبب زيادة عدد السكان أو نقلهم قسراً ، وظهور الملكية الخاصة والطبقات إلى إمتزاج هذه القبائل تدريجياً وإلى إستبدال الروابط الدموية القبلية بروابط إقليمية وإلى ظهور شكل جديد من التجمع التأريخي ، وهو القومية التي تتكون من عدد من القبائل القريبة بأصلها ولغتها كالقومية الكوردية والعربية . وقد تظهر القوميات أحياناً من قبائل ذات لغات مختلفة تتمازج نتيجة تغلب فصيلة على الأخرى وتتحول لغة إحدى هذه القبائل – الأكثر عدداً أو أكثر تطوراً – إلى لغة مشتركة عامة للقومية كماجرت للتركية التي سادت على اللغات الفريجية واليونانية والأرمنية في آسيا الصغرى ، أما اللغات الباقية فقد تنحدر إلى لهجات وأحياناً تختفي كلياً كما جرت بالنسبة للكوتية والحورية والخلدية أمام الكوردية أو مثلما إستوعبت العربية كل من الكنعانية والعمورية والآشورية والكلدانية والآرامية في كل من العراق وسوريا .

فالقومية إذن هي تجمع الناس اللغوي والإقليمي والإقتصادي والثقافي القائم على أسلوب إنتاجي معين . أما الأمة فهي تجمع الناس أكثر ثباتاً الذي ينبثق على أساس إشتراك الحياة الإقتصادية والإقليم واللغة وبعض الخصائص السيكولوجية والتقاليد الحياتية والحضارية . فخصائص الماضي التأريخي وتكوّن الأمة وتطورها والصفة المميزة لنظامها الإقتصادي وثقافتها ومحيطها الجغرافي والتأريخي ومعيشتها وتقاليدها ، أن كل هذا يطبع بطابعه الوجه الروحي للأمة ويخلق بالتدريج خصائص الطابع القومي .

وهكذا ظهرت الأمم في التأريخ إثر تطور العلاقات الإنتاجية في العالم . فبعد أن أقامت المجتمعات البشرية أسواقاً ربطت بها مصالح سكان عدة مناطق إقتصادياً ، سواء كان هؤلاء ينحدرون من القبائل الرحالة أو من الأرياف والقرى ، جعلت منها بمرور الزمن أساساً لظهور المدن ، وقد أدى وسيلة التفاهم لغرض تبادل السلع في هذه الأسواق

إلى صياغة التركيب النفسي المشترك بين العاملين فيها وتَطبيع بعض العادات بين أهلها ودمج اللهجات المحلية في لغة مشتركة ، كما حدد كل مجتمع مدني مفهوم كلمة (الأمة) حسب واقعه وطبيعة عاداته وإعتقاداته الدينية . ففي الوقت الذي وردت كلمة (الشعوب) بجانب (القبائل) مرة واحدة في القرآن(٥) ، فإن العرب بدأت في العصر الإسلامي تعني بهذه الكلمة ، إستناداً على قول زبير بن بكار بن زبير بن عوام (توفي في ٢٥٦ هـ / ٨٦٩م) تلك المجتمعات التي كانت تتكون من عدة قبائل والقبائل من العمائر ؛ ثم البطون والأفخاذ والفصائل(٦) . وبعد هذا ؛ فقد أشار القاضي ناصر الدين البيضاوي في الصفحة ٨٩ من كتابه إلى أن الشعب هو «الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطون تجمع الأفخاذ ، والفخذ يجمع الفصائل» دون أن يلاحظ الفروق العرقية في أصل هذا (الجمع العظيم) . وبناءاً على هذا المفهوم ، فإن كلمة (الشعب) المشتقة من مصدر التشعب تعني تجمعاً بشرياً أكبر حجماً من القبيلة على حد قول الشيخ محمد بن أبي بكر الرازي (توفي في ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣م) في كتابه (مختار الصحاح) . وأشار الأستاذ جمال نبز إلى أن العرب قصدت من كلمة (الشعب) تلك الجماعة التي لها لغة وتأريخ وتقاليد متميزة ؛ وأطلقت كلمة (الشعوبي) على الموالي من غير العرب الذين كانوا يعتبرون أنفسهم بمستوى العرب في

---

(٥) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

(٦) لقد تطرق الدكتور جمال نبز في الصفحات ١٣ – ١٦ من كتابه **بيرى نەتەوەيى كوردى نە بيرى "قەومیەت"ی رۆژهەلاتی ؛ نە بيری "ناسیۆنالیزمی" رۆژئاوایی‌یە** «الفكر القومي الكوردي ليس بفكر القومية الشرقي ولا هو فكر ناسيوناليزم الغربي ، طبعة السويد ١٩٨٤م » إلى رأي زبير بن بكار الوارد في مخطوطته (نسب قريش وأخبارهم) إعتماداً على كتاب أحمد أمين الموسوم بعنوان (ضحى الإسلام ، القاهرة ١٩٥٦م ، الجزء الأول ، ص ٥٧) والمحفوظ في مكتبة أكسفورد .

الحقوق والواجبات منذ بداية الحكم الأموي ، وسمّت العرب هذه الدعوة بـ(الشعوبية) ، لأنهم رأوا منها محاولة لإستصغار الروح الإستعلائية لديهم كما عبّر عن ذلك جمال الدين بن محمد إبن منظور (توفي عام ١٣١٢م) في قاموسه (لسان العرب) قائلاً «الشعوبي هو الذي يُصَغّر شأن العرب ولا يرى فضلاً على غيرهم» . وعلى أساس هذا المفهوم شاع إستعمال إصطلاح (الشعوبية) بمفهومه العدواني عند أولئك العرب الذين شجعوا المشاعر الإستعلائية بين أبناء مجتمعاتهم وهزت العلاقة بينهم وبين الأمم الإسلامية الأخرى التي إستنهضت لديها بالمقابل مشاعر الإعتزاز بثقافاتها القومية ، في حين تُعبر كلمة (الشعب) في عصرنا عن سكان الدول التي لها حدود معترفة دون النظر إلى أصولهم اللغوية أو العرقية والدينية كالشعب العراقي أو التركي أو السوري الذي يجمع في ذاته العرب والكورد والآثوريين والتركمان والأرمن واليونانيين والشركس . ومن هذا المنطلق يعتقد الأستاذ نبز أن كلمة (مِلَت *Millet*) في كل من الفارسية والتركية تقابل مفهوم كلمة *Nation* في اللغات الأوربية التي تعني بالتالي مفهوم (الأمة) عند العرب ، بينما تقابل كلمة (مَلِيَتجلي *Milliyetçili*) في التركية مفهوم القومية في العربية و *Nationalism* في اللاتينية . ونستنتج من هذه الوقائع حقيقة موضوعية مفادها أن تصنيع الشعوب بهذه المفاهيم ما هي إلا بدعة تدل على وحدة سياسية وليست أثنية حشرها الأوربيون في عقول الشرقيين في الوقت الذي تعتبر مرفوضة لدى الكورد والعرب على المستوى القومي . فبالرغم من أن الكورد يعيشون مقسمين فيما بين حدود سياسية مصطنعة وتحت أنظمة لا تمثل مصالحهم القومية ، فإنهم لا يزالون يعتبرون أنفسهم تحت إصطلاح *Netewe* جزءاً من أمة واحدة . أما كلمة *Millet* فتُعّبر عندهم عن وجودهم القومي . وفيما يتعلق بهذا الموضوع ، فإن الماركسيين لا يفسرون (الشعب) بمفهوم (الأمة) إذا لم يتخط مرحلة النظام الإقطاعي لكي ينتقل إلى البورجوازية ، وعليه فإن شروط الأمة تتكامل ، على حد قولهم في مرحلة البورجوازية وفي وسط الحياة المدينية . والواقع ، فإن

مرد هذا القول نابع من حقيقة تتعلق بعدم إلمام كارل ماركس وحتى لينين بالتأريخ السياسي للشعوب الشرقية ولغاتها القديمة ، وإنما إستنبطوا إستنتاجاتهم من التأريخ القديم والوسيط للشعوب الأوربية . فهؤلاء لم يقصدوا بكلمة *Nation* (المترجمة إلى الأمة في المؤلفات العربية المعاصرة) بالمعنى الذي ورد في القرآن أو كما أشار إليه الأستاذ نبز ، لأن كل لغة تحدد مفهوم (الأمة) ضمن مفرداتها في مرحلة من مراحل تطورها إعتماداً على البنية الذهنية الحضارية لناطقيها . فأثناء وجود دويلات المدن السومرية المستقلة بعضها عن البعض الآخر ، إشتهر سكانها بأسماء المدن نفسها مثل أهل أور ونيبور ولغش ، إلا أن كنية *sag-giga* «الرؤوس السود» أصبحت تعبر عن كل السومريين الذين أطلقوا على بلادهم إصطلاح *Kalam* «الموطن» ، بينما إستعمل الساميون إصطلاح *salmat kakkadim* للتعبير عن أنفسهم .

عند تكامل شروط التجمع لـ *salmat kakkadim* كان أساس إدارة شؤون المدن في بلاد وادي الرافدين بيد كهنة المعابد ، وكان سيد القوم هو ذلك الذي يولَد في المعبد من أب غير معروف يُرسل إلى كاهنات هذا المعبد من قبل الآلهة ، فها هو الملك الأكدي سرجون يفخر بأنه ابن بغي مقدسة «أمي كانت إحدى كاهنات المعبد ، ولم أعرف لي أباً ...الخ» . وهكذا ؛ فإن السبب المباشر للتجمعات المتجانسة في المدن المذكورة وظهور الممالك والدويلات فيها كانت نتيجة للإعتقادات الروحية العامة لدى أبنائها الذين كانوا يولدون ويعملون وينتحون إرضاءاً لآلهاتهم ، فجاءت الإمبريالية الأوربية عقب الحرب العالمية الأولى فدكت صرح هذا المفهوم الشرقي العريق لمعنى (الأمة والدولة) بعد أن هدمت كيان الإمبراطورية العثمانية ، الوريثة الأخيرة لذلك التراث وبَنت على أنقاضها إقتصاداً مشتركاً لمجموعة من الملل والأقوام والشعوب غير المتجانسة ضمن حدود سياسية مصطنعة لكي تخدم مصالحها خارج أوطانها . ومن خلال هذا الواقع الجديد ، ظهرت عند الشعوب الشرقية ، بجانب مفرداتهم الأصيلة ، مفاهيم جديدة لـ(الشعب) بدلاً من

(الأمة) لكي تقابل إصطلاحات أوربية مثل *People, Volk* أو *Bevölkerung* التي تترجم أحياناً إلى *Gel* في الكوردية و(مردم) في الفارسية ، بينما إستعملت العرب خلال عصر النظام البويهي الإقطاعي في القرن العاشر الميلادي كلمة (الأمة *Nation*) في إطارها القومي ووحدة لغتها كما نراها في قصائد أبو طيب المتنبي وفي كتاب (تجارب الأمم) لإبن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد) عندما يشير فيه إلى أمة العرب وأمة الفرس وأمة الترك وأمة الكورد وحتى أمة الروس(٧) المتميزين بثقافاتهم ولغاتهم بعد أن كانت هذه الكلمة تعني قبل هذا العصر أكثر من شعب واحد إرتبط الواحد بالآخر برابطة الدين مثل أمة موسى وعيسى ومحمد .

بناءاً على أقوال إبن مسكويه ، فإن الأمة الكوردية عُرِفَت في القرن العاشر الميلادي لا على أساس إنتمائها الديني ، وإنما بكل مقوماتها القومية وثقافتها المتميزة . وإذا كان هذا الكلام ينبع من صلب الحقيقة ، إلا أن مفهوم (الدولة) وبنيانها الإجتماعي لم ينفصلا في بلاد الكورد عن دوافعها الدينية التي نزلت من السماء إلى الأرض بإعتقاد السومريين منذ أن إستوي فلك نوح على جبل كينيبا (نيسير) . فدفاع الأمة الكوردية عن دويلاتها الإسلامية في الثغور القفقاسية ظلت ، على هذا الأساس ، تتميز بصبغتها الدينية التي إندمجت أحياناً بالوطنية الإقطاعية الكلاسيكية (أي الدفاع عن الأرض وخيراتها المزروعة) ، لكن دوافع الغزوات المغولية والتركية إختلفت عن المشاعر القومية المعاصرة التي نمت عند زعماء وشعراء الكورد على مستوى الأمة وعُرِفَت في قاموسهم بصيغة *Kürdêtî* . فإذا كان نشاط القيادات الكوردية المعاصرة قد خرج من إطار الكفاح من أجل تشكيل الدولة القومية وإنحصرت في حدود الأقاليم الملحقة بدول الترك والفرس والعرب ، فإن مرد ذلك

---

(٧) راجع الصفحات ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٧٠ ، ٢٨٣ ، ٤١٥ من كتاب (تجارب الأمم) لإبن مسكويه ، طبعة مطبعة فرج الله زكي الكردي بمصر ١٩١٥م .

ينبع من تراجع الفكر القومي على أرض الواقع أمام أيديولوجيات ومصالح الأحزاب المحلية التي ظهرت إلى الوجود تقليداً لأحزاب الأمم السائدة في تلك الدول . وفي هذا المجال يشير الأستاذ جمال نبز إلى أن الفكر القومي (*Bîr y Nateweyî*) الكوردي ظهر في العراق كإصطلاح فلسفي سياسي لأول مرة في أدبيات (منظمة كازيك) وإنتشر في أواخر الخمسينات من القرن العشرين كمرادف لمفهوم (الفكر القومي الشرقي أو الفكر الناسيونالي الغربي) رغم أن أصحابه الحقيقيين لم يقصدوا به مباشرة المفهومين المذكورين أعلاه ، لأن كلمة *Natewe* الكوردية لا تعني (الأمة) بمفهومها العربي ولا تعني *Millet* التي تُستعمل عند الأتراك والفرس ولا هي بمفهوم *Nation* السائد في الغرب . ففي الوقت الذي يفهم الساسة العرب من كلمة *Nation* (الأمة) ، إلا أنهم لا يصيغون من هذه الكلمة صيغة (الأمتية) لكي تقابل مفهوم *Nationalism* ، وحتى أنهم يحددون معنى *National* في إطار كلمة (الوطني) التي يمكن ترجمتها إلى كلمة *Patriotic* في اللغات الأوربية . وبناءاً على هذه الحقيقة يرى الأستاذ نبز ، مستنداً على تفسيرات قاموس الكلمات والمصطلحات الأجنبية المطبوع في هامبورگ عام ١٩٨٣م ، أن كلمة *Nation* بنظر علم السياسة *Poltiology* تعني «مجموعة بشرية تكونت على أساس تقاليد عامة ودولة مشتركة» ، لذلك يؤكد على أن علماء البورجوازية الغربيين ربطوا مفهوم *Nation* بنشوء الدولة المشتركة . وهكذا ؛ يمكن تفسير هذه الكلمة اللاتينية بمفهوم (الشعب) في العربية الذي يقيم دولته على أساس دستور موحد ، بينما لا يربط الماركسيون ، وخاصة اللينينيون والستالينيون منهم ، مفهوم *Nation* في نشرياتهم مباشرة بنشوء الدولة ، وإنما يربطونه بالإقتصاد المشترك . ومن البديهي أن هذا الإقتصاد لا يتحقق إلا ضمن حدود الدولة المشتركة (لو إستثنينا من ذلك السوق الأوربي المشترك) . وبناءاً على هذه الطروحات ، يؤمن هؤلاء ، بصورة غير مباشرة ، بنظرية البورجوازية الغربية عند تفسيرهم لكلمة *Nation* بالرغم من عدم إعترافهم الصريح بذلك . ومهما حاول منظروا

الطرفان في تفسير طروحاتهم ، فإن مضمون هذه الطروحات لا يخرج من كـون (الدولـة) هي أساس وجود الأمة . وبناءاً على هذا التفسير السياسـي الأوربـي غـير الدقيـق لمفهـوم *Nation* يجب أن نقّر على وجود الأمة الكوردية بوجود الدولة الأيوبيـة على غرار وجـود الأمة العربية والتركية والفارسية بوجود الدولة العباسـية والعثمانيـة والصفويـة بـالرغم مـن عدم كون أنظمة هذه الدول ناسيونالية ، غير أن الدويلات المحلية التي ظهرت إثـر النهضـة الثقافية في أواسط وغربي آسيا قبل الإجتياح المغـولي – التـتري – الـتركي يمكـن أن تمثـل دول الناسيونال ، لأن كل واحدة منها بدأت تدافـع عـن مصالحهـا القوميـة خـارج إطـار وحدة الدين مع العرب ، فنشأت دولة السامانيين في خراسان وأينعت في أحضانها ملحمة الفرس الشهيرة (الشاهنـــامه) ، وفي كوردسـتان ظهـرت دولـة بتليـس بعـد إنهيـار الدولـة العباسية وإينعت فيها المشاعر القومية الكوردية كما عَبّر عنها أحمد خاني في خـلال القـرن السابع عشر(٨) .

واليوم ، فإن المفردات التي تستعمل في لغاتنـا للتعبير عن ظواهر تجمعات الأمم مـرت ، في الواقع ، بمراحل تأريخية عديدة وفي إطار صيغ متباينة كانت ترافـق التبـدلات النوعيـة لتلك التجمعات . فـكلمـة (الملّة ، القوم ، الجنسية ، الأمة ، الشـعب أو *Volk, Nation* التي تناسب المفردات الكوردية مثل *Komel, Netewe, Millet, Gel* لم تكـن في العصـور

---

(٨) يوضح أحمد خاني أهداف منهجه السياسي في إفتتاحية ملحمته (مَم وزيـن) قائلاً :

« ... لما ألقى خاني نظره على درجات الكمـال عنـد الكـورد وجـد فيهـا مكانـاً يخلـو مـن مشـاعر التعصب وهوية الإنتماء ... وإذا لقت هذه البدعة خلافاً في الرأي إنما سألقيها لكي أعيـد مـا أضاعـه الدهر في لسان الكورد من أجل أن لا يبدو أصحـاب هـذا اللسـان عنـد الخلـق دون معرفـة وأصـل ونسب ... إلخ» . لتفاصيل هذه الآراء راجع الطبعة الحديثة لهذه الملحمة في مطبعـة الجـاحظ ببغـداد عام ١٩٩٠م تحت إشراف وتحقيق محمد أمين عثمان .

القديمة تتناسب مع معانيها المعاصرة حتى ضمن لغة واحدة و لم تقف عند تطورها التدريجي فى حدود مفهوم واحد . فما أمر الله النبي محمد (ص) في القرن السابع الميلادي من أن يتبّع «مِلَة إبراهيم حنيفا» إنما كان إنطلاقاً من إيمان إبراهيم بإله واحد ولأنه «ما كان من المشركين»(٩) كما يورد في القرآن وليس لكونه رجلاً عبرياً . وعلى هذا الأساس يحذره الله بقوله «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع مِلتهم»(١٠) أي حتى تؤمن بدينهم .

فالإيمان بمفهوم (المِلَة) في لغة القرن السابع الميلادي كان حجة الله أتاها إبراهيم على قومه كما يتبين ذلك أيضاً في القرآن(١١) . فإذا كان العبريون(١٢) زمن النبي إبراهيم (أي في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد) لا يشكلون إلا عدداً قليلاً من الطوائف ، إلا أنهم كانوا يُعتبرون قومه من ناحية الإنتماء الثقافي وليس مِلّته من ناحية الإنتماء الديني ، ثم أن قول الرب إيل الموجه إلى إبراهيم «سأجعلك أمةً عظيمة»(١٣) ما هو إلا إشارة إلى أنه سيوحد كل أبناء قومه (العبريين) تحت ضوء الإيمان به . فإذا كان

---

(٩) القرآن ، سورة النحل ، الآية ١٢٣ . وفي الواقع لا علاقة لكلمة (المِلَة) هنا مع تقاليد التوحيد بقدر ما تعني التجمع حول طقس من الطقوس الدينية الموحدة لصفوف الإنتماءات القبلية .

(١٠) القرآن ، سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

(١١) القرآن ، سورة الأنعام ، الآية ٨٣ .

(١٢) العبرية إسم أطلق على الناس واللغة معاً ، وهو مشتق من كلمة (عبري) الذي يعني (تاناس الموجودين في البعيد) وإستخدمها الكنعانيون للإشارة إلى المهاجرين الذين جاؤا إلى فلسطين من الضفة الأخرى لنهر الأردن .

(١٣) راجع الترجمة العربية للعهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح ١٢ ، السطر ٢ . والحقيقة أن الترجمة العربية لهذه الكلمة تعني العبريين كقوم وليس كطائفة دينيتة ، لأن اليهودية كانت ولا تزال ديناً مغلقاً يخص بني إسرائيل دون غيرهم .

هؤلاء يشكلون مجموعة من طوائف النبي إبراهيم وليس مِلته ، فإن إصطلاح جَيْهودي (يهودي) أطلق في الأساس على سكان (مملكة جود أو يهودا) التي نشأت في جنوب فلسطين قبل أن يطغي مفهومه على كل العبريين . وبعد فترة من الزمن إنتشر إصطلاح (اليهود) بمفهوم ثقافي قومي متميز منذ العهد الإغريقي – الروماني ، بينما أطلق إسم إسرائيل (إسراء إيل) على يعقوب بعد أن رأى في المنام ، أنه يسرئ (يصارع) الإله إيل الذي نزل عليه بصورة إنسان كما يورد في الميثولوجيا اليهودية(١٤) . وفي وقت لاحق أصبح هذا الإسم كنية لدولة نشأت في شمال فلسطين . ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن الإنقلاب الفكري الديني عند العبريين كان يتم في كل الأحوال على يد زعماء بني إسرائيل وليس بيد سواد الناس ، وقد ظلّ أفراد الطبقة المسودة يكافحون لمدة طويلة من أجل الحفاظ على تقاليدهم الدينية ويعصون شيوخهم بإستمرار ولا يؤمنون بما أتاه لهم أسيادهم من طروحات دينية ، لذلك يشير القرآن إلى أن طائفة ممن إستكبرو من هذا القوم قالوا لشُعَيْب «لنُخْرجنك يا شُعَيْبُ والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في مِلّتنا»(١٥) أي لديننا . وتُبين هذه الآية ، التركيبة العقيدية للمجتمع اليهودي أيام

---

(١٤) وُرِد النص في العهد القديم كما يلي :

«وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ؛ ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حقّ فخذه فإنخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر ؛ فقال لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال له ما إسمك ؛ فقال يعقوب ؛ فقال لا يدعى إسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ...إلخ» . راجع الفصل ٣٢ من سفر التكوين . وبعد مرور عدة قرون إتخذ قوم موسى (القبائل الإثني عشرة التي خرجت من مصر) هذا الإسم ليطلقه على نفسه كما أمر الرب يهوه موسى بقوله «إذهب وإجمع شيوخ إسرائيل» . حول هذا الموضوع راجع سفر الخروج ، الفصلين ٣ ، ١٦ .

(١٥) راجع سورة الأعراف ، الآية ٨٨ . كانت الطوائف العربية تؤمن في هذه الفترة من تأريخهم بالطوطمية وعبادة الحيوانات .

شُعيب ، حيث كان لا يزال يتكون من أفـراد طوائـف مختلفـة مـن ناحيـة العقيـدة الدينيـة ومتوحـدة مـن ناحيـة التخـاطب ونمـط الحيـاة الإقتصاديـة البدويـة ، وعلـى هـذا الأسـاس يوصفهم القرآن بالقوم أو الأمـة . فأبناء هذا القوم كانوا حتى بعد خروجهـم مـع موسـى من مصر في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد طوطميين جعلوا «من حليهـم عجـلاً جسـداً لـه خوار»(١٦) ، أي ظلّوا قوماً ليس بمستوى الملة التي من المفروض أن يؤمن أفرادهـا بعقيـدة واحدة . وبعكس الملة ؛ حدد الله في القرآن مفهوم الأمـة بقوله «لقد بعثنا في كـل أمـة رسولاً أن أعبـدوا الله وإجتنبوا الطاغوت فمنهم مـن هـدى الله ومنهـم مـن حقـت عليـه الضـلالة ...إلخ»(١٧) ؛ أي شملت الأمة الواحدة في داخلها أولئك الذين هدوا ومن حقـت عليهم الضـلالة معاً ، ولم يشرط الله بالمفهوم العربي ظهور الأمة كـالقوم بشـروط الإيمـان بعقيدة واحدة كما رأينـا عكس هذا المفهوم في كلمة (المِلـة) ، ومـع ذلـك فقـد إشتهر المسلمون عند الفرس والكورد والترك بأمة محمـد ؛ بينمـا إستعمل هـؤلاء كلمـة (المِلـة) للإشارة إلى غير المسلمين من أبناء قومهم كالملـة المجوسـية واليزيديـة والموسـوية والعيسـوية تقابلها كلمة (الطائفة) في العربية ، بينما لا تعـني كلمـة (مالْبَـنـْد *Malbend*) الكورديـة التي تترجم أحياناً إلى (الطائفـة) غـير مفهـوم الإنتمـاء إلى مجموعـة مـن الأسـر الـتي يرتبـط أفرادها فيما بينهم برابطة القرابة والإنحدار مـن جـد واحـد . أمـا كلمـة *Gel* الكورديـة فكانت تعني في الأصل «قطيع أو شريحة» وأصبحت بعد إنقسـام الأمـم العربيـة والإيرانيـة والتركية والكوردية ضمن دول ذات أنظمة سياسـية وإقتصاديـة متباينـة تعـني (الشـعب) . وهكذا ، إذا كانت كلمة (قوم) تورد أحياناً في اللسان الكـوردي للدلالـة علـى مفهـوم

---

(١٦) نفس السورة ، الآية ١٤٧ – ١٤٨ . كان العجـل أحد معبودات العبريين في هذه الآونة .

(١٧) سورة النحل ، الآية ٣٦ . وردت كلمة (الأمـم) بمفهوم (الأقوام) في الصفحة ٣٢٣ من ديوان أبو طيب المتنبي المطبوع في مدينة بومبى عام ١٨٥٥م .

الشعب (*People, Volk*) ، فإن (*Gel*) حلّت مكانها منذ مطلع القرن العشرين ، كما حلت كلمة (*Netewe*) مكان (الأمة) بينما لا يزال الفرس يستعملون كلمة (قوم) بمفهوم (بطن العشيرة) أو ما تسمى بالإنجليزية (*Tribe*) ويطلقون على (الشعب) كلمة (الخلق) ذات الأصل البهلوي .

وعلى كل حال ، فإذا كانت العرب ، كالعبريين ، قوماً جمعوا القبائل ، والقبائل جمعت العمائر ، والعمارة جمعت البطون ، والبطن جمعت الأفخاذ والفخذ جمع الفصائل ، فإن هذا الجمع يماثل إلى حد ما البنيان البدوي للمجتمع الكوردي الذي كان *Gel* يتفرع فيه إلى *Hoz* وهذا إلى *Tîre* ثم *Pel* و *Malbend (Bine Mal)* وهلم جراً . وقد فسرت العرب (القوم) أحياناً بـ(الشعب)(١٨) ، وعلى أساس هذا المفهوم البدوي ؛ أشار القاضي ناصر الدين البيضاوي إلى أن العرب قالوا قديماً «الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب»(١٩) ، وذلك لكون الإيرانيين يتفرعون ، حسب إعتقادنا ، إلى الشعوب الميدية والإخمينية والفرثية والختنية والخوارزمية والفارسية والكوردية والبلوجية واليغنبية التي إبتعدت لهجاتها بسبب الهجرات وأقام كل واحد من هذه الشعوب دولها وثقافتها القومية بعيدا عن الآخر . أما بطون العرب ، فقد ظلت تعيش بتقاليدها البدوية كسمة من سمات المجتمع العربي ، وقد إستطاعت الإمبريالية الأوربية من تحويل هذا الواقع البدوي العربي إلى شعوب ضمن إطار الدول التي أقامتها بناءاً على إعتبارات إقتصادية وسياسية . وبكلمة

---

(١٨) جاء هذا المفهوم في القرآن (سورة الحجرات ، الآية ١٣) على النحو التالي :
«وخلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ... إلخ» . ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن كلمة (الشعب) مشتقة من تشعب الناس بكل الصور .

(١٩) راجع الصفحة ٨٩ من الجزء الخامس لكتاب (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي .

أخرى ، فإن الشعوب التي تتكون منه الأمة ظهرت في كل الأحوال من إتحادات الأسر ثم العشائر والقبائل ذات المصالح المشتركة واللهجات المتباينة . وإذا كان محمد أفندي الكوردي قد أشار إلى «أن الكورد يتشعبون إلى شعوب وبطون كثيرة لا تُحصى متغايرة ألسنتهم وأحوالهم»(٢٠) ، إنما قصد بالشعوب الكوردية التنوع اللهجوي السائد بين الكرمانج والگوران والظاظا والألوار واللك وإختلاف بنيتهم الإجتماعية . وإضافة إلى ما قلنا ، فإن إعتزاز أفراد الطوائف والعمائر والقبائل بروابطهم الدموية والدينية في جميع أنحاء العالم لا يكون الأساس الوحيد لظهور الشعوب والأمم ، لأن ولادة الأمة تستند على مجموعة أخرى من الروابط غير الدموية كما ذكرناها في الصفحات السابقة ومن أهمها الشعور الشخصي بالإنتماء التي تخلقه اللغة والثقافة والمصير المشترك ، وتربط هذه الظاهرة القومية أبناء أمة واحدة بروابط روحية وطنية بصورة أقوى حيث تختلف عن الروابط السياسية والتجنسية . ففي الوقت الذي تنظر العرب بأجمعهم إلى العراق كجزء من الأمة العربية ؛ لم يشعر أي عربي بروابط وطنية ولا قومية تربطه بمدينة حلبجة الكوردية عندما قصفها النظام العراقي بالمواد الكيمائية في الأيام الواقعة بين ١٤ - ٢٢ مارت من عام ١٩٨٨م وراح ٥٠٠٠ من سكانها ضحية هذه الجريمة ، بينما تشعر كل العرب بمسؤولية كبيرة تجاه مقتل فلسطيني واحد في إسرائيل ، وهذا ما يقال للمواطن الفارسي والتركي . وبالمقابل ؛ فإن المواطن الكوردي ، رغم دعمه الأدبي والأخلاقي والمالي للقضايا العربية ، لم ينظر يوماً من الأيام إلى مدنٍ كبغداد والبصرة ودمشق والقاهرة كجزء من وطنه ، بينما لا يزال يعتبر كركوك وأربيل ومهاباد وكرمنشاه وديار بكر وبتليس ونصيبين وقامشلي وعاموده وعفرين مدنه الرئيسية وإن كانت هذه المدن تقع ضمن حدود أربع دول متباينة ، لذلك كانت مسألة إعتبار كوردستان الجنوبية في الدساتير العراقية كجزء من الأمة

---

(٢٠) راجع الجزء الثاني من كتاب تاج العروس ، فصل الكاف من باب الدال .

العربية هو أحد المبررات بيد رجال السياسة الكوردية لإثارة الجماهير ضد التفسير الخاطئ لإصطلاح (الأمة) من قبل حكام العراق . ومن المعروف أن لهذا الإصطلاح المشتق من كلمة الـ(أمومة) علاقة مع واقع سيادة الأم *Materialchal* في المجتمع العربي القديم ، ورغم سقوط منزلة المرأة في المجتمعات العربية منذ عدة قرون تسبق ظهور الإسلام ، فإن لغة العرب لم تحدد كلمة معينة لكي تعبر عن سيادة الأبوة كإصطلاح *Paterialchal* اللاتيني الذي أشتق منه كلمة *Pateriotizm* «الأبوة أو الوطنية» ، بينما ترجمت العرب كلمة *Nation* المشتقة في اللاتينية من مفهوم (الولادة *Natio*) إلى (الأمة) ومن مصدرها *Nationalizm* إشتقوا صيغة (القومية) بمفهومها السياسي .

وهكذا ، فعند دراسة تأريخ الشعوب والأمم في عصورها المبكرة تلزمنا الأحداث والحقائق بتحليل أسباب ودوافع هذه الإجتماعية التي تظهر بين الجماعات القبلية في موطن ما كشمال وادي الرافدين ومرتفعات جبال زاكروس بالتدرج ، ثم أن تكوّن الشعوب من إختلاط مجموعات جغرافية مختلفة التي تتحد ضمن الظواهر المذكورة السابقة ، كإمتزاج الحوريين بالميتانيين والميديين بالمانيين والفهليين بالكورتان هو المنطلق الطبيعي لتكوين الأمة مثل أمة الكورد مع أنه ليس ضرورياً أن تتألف الأمة من قبيلة واحدة ومن غير المعقول أن نحاول لسبب من الأسباب خلط مفهوم الأمة بالعنصر والقبيلة كما يحلو للبعض مزج الكورد بالعنصر الآري أو بقبيلة من القبائل كالكردوخيين ، لأن القبائل التي تعتبر أكثر إستقراراً ، واللهجات القومية المختلفة المتداولة بين أبنائها هي أما تطور للغة شعب أو للهجة قبيلة تتوضح في ذاتها آثار الصلات والعلاقات المتبادلة بين الأمم .

بالإضافة إلى ما ذُكر من حقائق ، فإن هناك فرقاً بين الأمة والعرق ، فالعنصر والجنس يتميزان بعدد من الصفات البايولوجية ، والفوارق العرقية بين الناس تنشأ لأن هذه المجموعات البشرية أو تلك تعيش أمداً طويلاً في ظروف وسطها الجغرافي الخاص وتحت تأثير ذلك الوسط . ثم أن الفوارق العرقية هي فوارق في السمات الظاهرية – كلون

البشرة والشعر وغيرهما – لا أهمية لها مطلقاً في دراسة الإنسان ككائن إجتماعي . فالناس من مختلف العروق يلتقون في كونهم بشراً تتساوى إمكانياتهم في العمل والتفكير وغيرها من الإمكانيات ، في حين تمتاز الأمة بكونها ظاهرة إجتماعية وتأريخية ، أما القبيلة فتعتبر ظاهرة أثنوغرافية . وبعد تطور العلاقات الإنتاجية ، بظهور إمكانية واسعة لدى أفراد الوحدات القبلية بخلق الأسواق الداخلية التي ربطت بالتالي بين مختلف مناطق البلاد ، أدى إلى إمتزاج اللهجات المحلية في لغة قومية واحدة وجرت صياغة التركيب النفسي المشترك بين الناس الذين بدأوا يختلطون فيما بينهم بشكل أشد .

ومن جهة أخرى فقد إشتهرت المجتمعات البشرية ذات الأعراق المتباينة في التأريخ بأسماء خاصة كانت تنطلق من مفاهيم أو مفردات محددة تتصل على الأغلب بالمعتقدات الروحية كالآشوريين نسبة إلى الإله آشور رغم إنحدارهم الزاگروسي عرقياً من الحوريين أو الكوتيين أو اللولوبيين ، ثم الخلديين نسبة إلى الإله خَلْدي والبابليين نسبة إلى المدينة التي سميت بـ(باب الآلهة) دون النظر إلى مَنْ سكنها من العموريين أو الكاشيين أم الكلدان أو غيرهم . وعلى هذا الأساس فإن بلاد الكورد الحالية كانت موطناً لشعوب عديدة وظهرت عليها حضارات عديدة وسكنتها تشكيلات إجتماعية قبلية ، رحالة كانت أم مستقرة ، تكلمت بلغات ذات أصول زاگروسية كالحورية والخلدية والمانئية وهندية – آرية وإيرانية كالميتانية والميدية . وعلى هذا الأساس ، تؤدي بنا الحقائق التأريخية إلى التمييز فيما بين خلفية كوردستان كموقع لعديد من الحضارات بدأت الحياة فيه منذ العصر الباليوليثي وإستمرت خلال العصور الحجرية اللاحقة التي حددنا الباب الثالث من هذا الكتاب لتوضيحها وتأريخ الكورد كأمة إحتل المرحلة الأخيرة من تلك الخلفية بكنية متميزة ولغة عامة مشتركة حصرنا تفاصيله في الباب الخامس. فإذا كان هاتان الظاهرتان متماسكتين جوهرياً ، إلا أن نظرية خاطئة شاعت في القرن الماضي بين الأوساط العلمية الأوربية مفادها أن الكورد إنتقلوا خلال الأزمنة القديمة من الشرق (إيران) إلى الغرب

(سلاسل جبال زاگروس) وإتخذوا من شمال وادي الرافدين موطنا لهم(٢١) .

وعلى كل حال ، فإن المواضيع التي ستطرح في هذا الكتاب هي جانب من دراسات غير منشورة تتعلق بنشأة الشروط القومية الكردية في مرتفعات جبال زاگروس وكردستان التي شهدت أحداثا تأريخية معقدة لا يمكن الإلتزام بجانب واحد منها مثل هجرة قبيلة من القبائل أو التصنيف البايولوجي لشريحة من شرائح المجتمع أوالإستناد على الألفاظ والأسماء الأثنية التي لا تكون ، بناءاً على تحليله آيتيمولوجياً ، الشرط الأساسي لدراسة أصول الشعوب ، لأن التأريخ ، كما هو المعروف ، علم يدرس جميع أنشطة المجتمعات البشرية خلال العصور التأريخية وذلك بالإعتماد على عدد من العلوم والآثار. فعند البحث عن أصل قوم من الأقوام لا يجوز للباحث أن يعتمد فقط على الكنية القومية لربطها بكنية مشابهة لها أستعملت بمفهوم محدد في الأزمنة الغابرة ، كما لا يجب أن يدرس المرء قضاياه الإجتماعية واللغوية عن طريق إنتسابه الديني ، بل أن هذه القضايا ، إضافة على الأحداث التى شهدها موطنه ، تشكل المبادئ الأساسية لإنتماء الناس إلى تأريخ مشترك . فمثلا إشتهر البلغار القدماء(٢٢) *The Proto - Bulgar* في

---

(٢١) راجع هذه الآراء في بحث مينورسكي المنشور في دائرة المعارف الإسلامية ، مادة «الكورد» .

(٢٢) دُوّن إسم البلغار لأول مرة من قبل زكريا الخطيب *Zachariah of Myrilene* في القرن السادس الميلادي (حوالي عام ٥٥٥ م) . راجع كل من الموسوعة البريطانية ، مادة البلغار والمدونات السريانية من تحقيق بروكس :

E. W. Brooks, The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Myrilene Anecdota Syriac / London, 1899, P. 328 .

ويذكر يوحنا الأفسوسي حوالي عام ٥٨٥م قصة ورد فيها إسما بلغاريوس *Bulgariuz* وخزريج *Khazarig* الذين إنحدر من صلبهما البلغار والخزر على أنهما كانا أخوين . ويقول المسعودي «أن لغة البلغار في مناطق أتيل تشبه لغة الخزر . وهذه الرواية على جانب كبير من الأهمية ، ذلك لأن

هذا الجغرافي يؤكد وحدة اللغة بين جميع الشعوب التركية من الخرخيز (القرغيز) والتغزغز في الشرق إلى الغز في الغرب ، ووحدة الأصل التركي للبجناك أو البشناك . وفي الحقيقة لا يمكن أن تكون لغة الخزر والبلغار هي عين لغة الترك والروس عموماً . والصورة التي رسمها إبن فضلان للبلغار وبلادهم أكمل من سواها . وما هو جدير بالذكر أنه أطلق إسم الصقالبة على بلغار نهر أتيل ، وقد قطع إبن فضلان المسافة من الجرجانية بالقرب من المدينة الجديثة المعروفة بـ(كنية أو كنح) في خيوة إلى حاضرة البلغار في سبعين يوماً . وتحدد خرائب *Bulgarskoi* أو أوسينسكوي في مركز مينسك من أعمال قازان موقع الحاضرة (بلغار) ، وهذه الخرائب على مسيرة ٦٢ كم من الضفة اليسرى لنهر أتيل . وهذا يتفق تماماً ورواية إبن فضلان . ونستنتج من ذلك أن المدينة ومجرى النهر لم يتغير موضعهما منذ القرن العاشر ، ولا يوجد وصف سوى هذا في رسالة إبن فضلان ولا فيما نقله عنه ياقوت الحموي ، كما أنهما لم يتعرضا لمدن أخرى في هذا الإقليم . وقد ذكر الإصطخري مدينتي بلغار وسوار وهما قريبتان أحدهما عن الأخرى وخرائبهما اليوم بالقرب من (كوزنجيخة) ، وكان بكل منهما مسجد . ولابد أن يكون إنفصال البلغار عن الخزر قد تم قبل قيام الحكم الخزري في أوربا الشرقية . وإعتاد ملك البلغار على الأتيل أن يسير راكباً خلال عاصمته بمفرده من غير أن يصحبه من حرسه وكلما رآه أفراد رعيته قاموا عن مقاعدهم وكشفوا عن رؤوسهم . وكان البلغار كأهل خوارزم يغطون رؤوسهم بالقبعات المرتفعة التي يسميها العرب القلانس .

ومهما يكن الأمر ، فإن علاقة بلغار أتيل ببغداد لم تنقطع ، ويقول المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر (الجزء الثاني ، ص ١٦) أن أحد أبناء ملك البلغار حج إلى مكة في عهد المقتدر بالله ، أي قبل عام ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م وأنه إهتبل الفرصة ومر على بغداد وقدّم فروض الطاعة للخليفة . وكان البلغار أكثر إتصالاً بمملكة السامانيين لأسباب جغرافية . وهناك سكة فضية تحمل إسم الأميرالبلغاري طالب بن أحمد ضربت في سوار عام ٣٣٨ هـ / ٩٤٩م – ٩٥٠م وكذلك في ٣٤٠ هـ / ٩٥١م ، كما أن هناك سكة للمأمون بن أحمد ، ويحتمل أن يكون أخا طالب وخلفه الذي كان أيام الخليفة المطيع إلى عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٤م ، وكان للمأمون بن الحسن أمير البلغار في عهد الخليفة الطائع حق ضرب السكة .

تقهقرهم مع الهون ترك عام ٣٧٠م فرع من هذا العنصر المناطق السهلية الواقعة غرب نهر الفولغا *Volga* وهاموا على وجوههم إلى أن إستقروا عام ٤٦٠م في المناطق الشمالية لبحر آزوف . وفي القرن السادس إستمر هؤلاء بالهجوم على الأقاليم التابعة لإمبراطورية بيزنطة حوالى نهر الدانوب إلى أن وجدوا أنفسهم عام ٥٦٠م أمام تهديدات الآوار *Avars* الذين كانوا يندفعون من آسيا نحو أواسط أوربا . وعندما دمّر الآوار قبيلة بلغارية هاجر سبع بطون من الإتحادات القبلية البلغارية بزعامة الخان *Asparuch* أسبروخ(٢٣) نحو شبه جزيرة البلقان ، أما البقية الباقية من البلغار فقد سلمت أمرها إلى يد غزاة جدد من الترك وإنسحبوا معهم إلى آسيا حيث

ويقال أن الروس غزوا أراضي البلغار والبرطاس والخزر كلها وتركوها خراباً بلقعاً خلال القرن العاشر الميلادي وفرّ الذين نجوا من القتل إلى شبه جزيرة سياه كوه (منغشلق) وباب الأبواب في بحر الخزر . ويقول المؤرخون المسلمون أن سقوط مملكة البلغار النهائي وتدمير عاصمتها حدث في خريف عام ١٢٣٦م بينما يروي مؤرخوا الروس أن ذلك حدث عام ١٢٣٧م ، وقد زار يوليان المجري الدومنيكي بلغاريا الكبرى عام ١٢٣٤م وعاد إلى المجر عام ١٢٣٦م . وبعد أن ضم المغول مملكة البلغار على نهر الأتيل إلى مملكتهم القبلية الذهبية يظهر أن العاصمة (مدينة بلغار) إستعادت بعض ما كان لها من إزدهار بعد ذلك بقليل . والروس خربوا بلاد البلغار بعد ذلك عام ١٣٩٩م ، ومن المحتمل أن تكون هذه المدينة قد تأثرت أكثر من ذلك بظهور مدينة قازان التي أسسها قبيل ذلك باتوخان . ويقول بارثولد بأن للغة البلغارية صلة بلغة الخزر واللغات التركية والفنية وهي لغة البرطاس أحسن تفسير ، والمعروف أن الجواش هي لغة تركية ولكنها غير مفهومة من الشعوب الأخرى التي تتكلم التركية . وعلى هذا الأساس أن الجواش المحدثون لم ينحدروا من سكان نهر أتيل ، ولكنهم إنحدروا من جماعات بلغارية كانت تعيش دائماً في الغابات ، و لم تتأثر بالثقافة الحضرية الإسلامية إلا قليلاً .

(٢٣) أن هذا الإسم هو إيراني الصيغة (آلانية – إسكيثية *Alano - Scythian*) مركب من *Aspa* (*Asp* بالكردية) بمعنى «الخيل» و روخ **Ruh** (روخس الكردية) بمعنى «الأبيض» .

إعتنقوا الإسلام في القرن العاشر الميلادي . أما أولئك الذين إتخذوا البلقان موطنا فقد عاشوا بعيدين عن عالم لغتهم السابقة التي من صنف اللغة الخزرية فتقبلوا إحدى اللهجات السلافية الجنوبية لغة وبعد إيمانهم بالمسيحية وكَوْنهم تابعين لبابوية القسطنطينية أصبحوا منذ القرن التاسع الميلادي يشكلون الركن الأساسي لظهور القومية البلغارية(٢٤) .

أن الأحداث التأريخية والتحركات القبلية التي شهدتها المناطق الواقعة بين نهرى الفولغا والدانوب خلال الفترة الواقعة فيما بين القرن الرابع والتاسع الميلاديين لا تشير إلى التبدل في واقع القومية البلغارية وهجرتها من آسيا إلى أوربا ، وإنما تمثل هذه الفترة ظاهرة تتعلق بالتحرك الأثني التأريخي لإتحادات القبائل البدوية التركية التي كانت تنتمي إلى مجموعة ناطقي الأورال – ألطاي *Ural - Alty* إمتزج قسم منهم في جنوب نهر الدانوب بثقافة محلية وإتخذ لهجة سلافية جنوبية سبيلا للتخاطب بجانب تقبل المسيحية دينا والبلقان موطنا . وهكذا بدأت شروط القومية البلغارية تنمو في أوربا بعيدة عن موطن أسلافها في آسيا مثلما نمت مشاعر المواطنة الأمريكية للإنجليز والإسبان والفرنسيين في كل من الولايات المتحدة والبرازيل وكندا .

---

(٢٣) للإستزادة من المعلومات المتعلقة بحكام البلغار على الفولغا (الملك يلطوار وأبنائه) وعلاقاتهم مع الخليفة العباسي المقتدر بالله في بغداد راجع كتاب إبن فضلان من تحقيق زكي وليدى طوغان :
Ibn Fadlan's Reisebericht Von A. Zaki Validi Togan. Abhandlungen Fur Die kunde des Morgenlandes, Band XXIV (Leipzig, 1939) .
كذلك راجع : جمال رشيد أحمد ، مع بعثة إبن فضلان تنشر بغداد حضارتها في بلاد البلغار والطوران ، بحث قدم يوم الخامس من شهر مايس عام ١٩٩٠م في المؤتمر الأول للدراسات في كلية التربية بجامعة بغداد ونشر بعد المؤتمر مباشرة .

وبناء على الحقائق المذكورة ، فإن القاعدة التي نمت عليها القومية الكردية في التأريخ لم تكن في موطن الآريين بجنوب روسيا أو في إيران أو في أواسط آسيا وإنما في مرتفعات جبال زاگروس وطوروس وسهول سوبارتو بشمال وادي الرافدين ، ولكن بعكس ظروف البلغار فإن السكان المحليين من الكاشيين والحوريين في هذه المناطق إمتثلوا لغويا لإرادة المهاجرين الناطقين بلهجات هندو - آرية ، إلا أنهم تقبلوا المظاهر الحضارية وأصول الديانات المحلية في تلك المناطق . ففي الوقت الذي بدأت القبائل الميدية تستقر في مرتفعات جبال زاگروس وشمال وادي الرافدين سائدة لهجاتها على السكان المحليين لهذه البلاد خلال القرن السابع وخاصة بعد إنهيار الإمبراطورية الآشورية عام ٦١٢ ق.م .(٢٤) كانت هناك عدد من مقومات الأمة الكوردية متجسدة في هذه المقاطعات منذ أمد بعيد ومنها :

أ - وجود الكنية الطوبوغرافية الحورية القديمة مات كوردا كي - *mat Kurda ki*

---

(٢٤) جاء ذكر الميديين لأول مرة من قبل شلمان نصر الثالث الآشوري (٨٥٨ - ٨٢٤ ق . م .) بصيغة أمادای عاشوا في مقاطعة همدان الحالية . للإستزادة من هذه المعلومات راجع *R.Ghirshman, Iran from the earliest times to Islamic conquest, Harmondsworth, 1954* . وقد إستمر هؤلاء بالتحرك نحو غرب إيران منذ هذه الفترة . راجع التفاصيل في المرجع التالي :

T. Cuyier Young, JR, "The Iranian Migration Into The Zagrose", IRAN, Journal Of British Inst. Of Persian Studies. Vol. V, 1967, P. 11 ff.

وعندما ذكرهيرودوت هؤلاء الميديين صنفهم في ست مجاميع : آريزانتوي *Arizantoi* و بارإتاكينوي *Paretakenoi* و بووساي *Bousai* و ستروكاتيس *Strukates* و بووديوي *Boudeoi* وماگوي *Magoi* . راجع الفصل الأول من الكتاب الأول لتأريخ هيرودوت : *Herodot, History, I, 1, 11* .

أي « أرض بـلاد كوردا» التي كانت تقع حوالي مناطق جغجغه وتل الأسود في حوض نهـر خابور (بكردستان الغربيـة) كمـا حددتهـا لنـا السجلات السـومرية والأكديـة في الألف الثـالث قبـل الميـلاد . وعنـدما بدأت هذه الكنيـة الطوبوغرافيـة تُعبـر قبـل العصـر الهـللنسـتي عن مفهـوم أثنـي ، بـدأت تتوسـع حدودهـا ، فشـملت المقاطعـات الوسـطى والشماليـة مـن كردستان الحاليـة حيـث دَوّن المؤرخـون الكلاسيكيون إسمهـا بصيغـة *Cordya, Kordya* (٢٥).

ب – إستقرار العناصر الآريـة القديمة (الميتاننية) في أرض كوردا منـذ الألـف الثـاني قبـل الميـلاد وتجسيدهم لقاعدة لغـوية ودينيـة هندية – آرية فيها ، وعند حلـول أنسبائهم مـن الميـديين في أواسط الألف الأول قبل الميـلاد في هذه الأرض حدثت عمليـة الإمتـزاج بـين المجموعتيـن بشكل طبيـعي حيث تطور لهجتيهمـا (وهمـا مـن نفـس الشـعبة اللغويـة) معاً وأصبحتا قاعدة لأولى بوادر اللغة الكوردية .

ت – بما أن موطن الزاگروسييـن الذي جرت عليه عمليـة الإمتـزاج الحضاري بيـن الهنـود الآرين القدماء من الميتانيين مع الميـديين فيما بعد ، كان يتمتع برقي حضاري منـذ قيـام الثورة الزراعية في مرتفعاتـه ، فإن ظهور بوادر المجتمع المدني القديم في سـهوله كـان أمـرا طبيعيـا ، ومنذ هذا العهـد المبـكر غدت بلاد كورديا *Kordya* ومرتفعات جبال زاگـروس المهـد الذي إستكرد فيـه أقدم المستوطنين الزاگروسيين من الكوتيين واللولوبيين والحوريـين والكاشيين تحت ظل طغيان اللهجات الميتانية والميـدية على لغات هؤلاء الأقـوام ونمـت في هذا المهـد الشروط القوميـة للـكرد المعاصرين من كنيـة ولغـة وأرض مشتركـة . وبنـاءاً على هذه الحقيقة ، فإن التفتيش عن قصـة ظهور الكـرد في التـأريخ يجـب أن يتـم ضمـن

---

(٢٥) راجع كتابات كل من يوسف الفـلاوي وأوزابيوس القيصـري :

Joseph. ant. 193 ; Euseb., Praep. IX, 11

الأحداث التي شهدتها تلك البلاد العليا بشمال وادى الرافدين من خلال دراسة نتائج التحريات الآثارية التي جرت فيها ، وبالأخص تلك التي تتعلق بالعصر الباليوليثي(٢٦)

---

(٢٦) بالإضافة إلى جميع الآراء الدينية القديمة المتعلقة بقضية نشوء الإنسان على الأرض بعد الطوفان التي تحددت في كل من ملحمة كلغاميش في بلاد اللولو (على جبل نيسير في النص الآشوري) وفي العدد الثامن من سفر التكوين للعهد القديم من الكتاب المقدس (*Gen. 8 : 4*) على آرارات (بلاد أورارتو) وفي السورة ١١ ، الآية ٤٤ من القرآن الكريم على جبل جودي (الإسم المشتق من صيغة *Gudi-k* الأرمنية) وجميعها تقع في بلاد الكرد ، فإن هذه التوقعات المقدسة قد أثبتها بيروسوس *Berussos* (بار حوشا كاهن معبد مردوخ البابلي وكاتب أنطيوخوس الأول *Antiuchus I*) عندما حدد جبل نيسير في بلاد *Kordua* بشمال وادي الرافدين . حول هذه المعلومات راجع :

F. H. Weissbach, Karduchoi, Real Encyclopadis Paulys Wissowa, x 2, Stuttgart, 1919, Col. 1933 - 1938 .

وبناء على رأى الكاتب الرومانى (الكاهن الأرمنى الأصل) أوزابيوس بامفيلى ٢٦٣ – ٣٤٠ ق. م. (أوزابيوس القيصرى *Eusebius Caesariensis / Eusebius Pamphili*) الذي إعتمد في كتاباته على المؤرخ الهللنستى أليكساندر بوليهستور *Alex. Polyhistor* (القرن الأول قبل الميلاد) فإن فلك نوح (كسيثروس *Xisuthros* في الصيغة البابلية) كان قد إستوى على جبل في أرض كوردواى *Korduae* ونقرأ نفس الحكاية عند الكاتب اليهودى من العصر الرومانى يوسيفوس فلافيوس *ἐν τοῖς Κορδυαίων ὄρεσι* [*Josephus Flavius , 37 - 100*] مشيراً أيضا إلى أن جبل كردو كان في حدود أرمينيا *Armenia propter montem Carduenorum* راجع :

Euse. Praep. IX, 11 ; Joseph. ant. 193 .

وعلى كل حال ، فإن نتائج التحريات التي أجراها المعهد الأمريكى للدراسات الأثرية في كردستان دلت على الخلفية القديمة لإستيطان أقدم أنواع البشر فيها . حول هذه الحقيقة راجع كل من :

(العصر الحجري القديم) والتطورات التي طرأت على الحياة الإنسانية في مستوطناتها القديمة حتى مطلع العصر التأريخي الذي بدأت خلاله تتوافر الشروط الموضوعية لظهور الأمة الكوردية فالتغاضي عن مجريات العصور التأريخية وما قبلها تبعد قصة نشوء الكرد عن حقيقتها .

أن المواضيع التي تتعلق باللغات والمسميات وإشتقاق المفردات ومقارنة بعضها مع البعض الآخر داخل أرومة المجموعة اللغوية المعروفة بالهندو – أوربية في هذا الكتاب مستلة من أوليات بحوثنا التي كان من المفروض أن ننشرها بين أعوام ١٩٨٥م – ١٩٩١م ومن أجل كتابة مدخل يليق بهذه الدراسة ، كان لابد لنا من مناقشة الآراء التي

D. Garrod, The Palaeolithic of Southern Kurdistan : Excavations in the caves Zarzi and Hazar Merd, American School of Prehistoric Research, 1930, Bulletin No. 6 : 8 - 43
R. Solecli, Shanidar Cave, A Paleolithic site in northern Iraq, Smithsonian Institution, Annual Report, 1954, PP. 389 - 425 (1955) .
R. Solecki & Rubin, Meyer, Dating of Zawi Chami, an early village site at Shanidar, northern Iraq, Science CXXVII 1446 (1958) .
Steward, T. Dale, First Views of Research Shanidar I, Sumer XIV 90 - 96 .
C. Carieton, Cave explorations in Iran in 1949, Philadelphia, 1954 .
R. Braidwood, From cave to village in prehistoric Iraq, American Schools of Oriental Research, Bulletin No. 124 : 12 - 18 (1951) .
R. Braidwood, Matarrah, Journal of Near Eastern Studies XI 1 - 75 (1952) .
Robert J. Braidwood & Bruce Howe, Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan, The Oriental Institute of University of Chicago, 1961 .
L. Braidwood, Early food producers, Excavations in Iraqi Kurdistan, Archeology V 157 - 164 .

طرحها كل من ولاديمير مينورسكي *V. Minorsky* وتوما بوا *Th. Bois* في دائرة المعارف الإسلامية *Encyclopaedia Of Islam* وتلك الشذرات من المعلومات التي تحتويها الموسوعة البريطانية *Encyclopaedia Britanica* المستقاة من مؤلفات المسلمين الأوائل وسنحمل هذا الجانب محمل الجد على ضوء المعلومات التي سجله أستاذ قسم اللغات وحضارة الشرق الأدنى بجامعة هارفارد الزميل مهرداد إزادي في شبكة الإنترنيت *Kurdistanica* . إضافةً إلى هذه المواد والوثائق ، فقد أعدنا النظر إلى رسالتنا المعنونة بالبلغارية *Студи Върху Историята на Кюрдистан В Древноста* «دراسات حول تأريخ كوردستان قديما – صوفيا ١٩٧٣ م » التي تتقدمها تمهيد شمل بعض الحقائق المتعلقة بالجوانب الإقتصادية والسياسية في كردستان كنا قد تلقيناها في مدينة براغ عام ١٩٦٩م من المرحوم عبد الرحمن قاسملو الذي هو بدوره إستقاها من رسالته التي نشرها عام ١٩٦٤م باللغة السلوفاكية في براتسلافا بعنوان «كوردستان والكورد *Kurdistan a Kurdovia, Bratislava, 1964*» . أما الموضوعات الأساسية المتعلقة بتأريخ مرتفعات زاغروس وشمال وادى الرافدين قديماً فقد جمعناها من أجل تحضير رسالتنا خلال السنين ١٩٦٨ – ١٩٧٢ من المؤلفات الروسية والألمانية والفرنسية والإنجليزية ، وبالإضافة إلى هذا وذاك فقد دمجنا بالباب الثاني لهذا الجهد الذى بين أيديكم معلومات جغرافية مختصرة حديثة نشرت في السويد عام ١٩٩٤م من قِبل عدد من كتاب الكورد .

وفي خضم إنشغالنا بتنظيم أوليات هذا الكتاب جاءنا يوم السابع من تموز عام ١٩٩٥ طلبٌ هاتفي من مدير ما يسمى بمعهد الدراسات الكردية ببرلين د. عصمت شريف وانلى يُكلفنا على أساسه بكتابة شئ عن *The Formation Of The Kurdish Language* «نشوء اللغة الكردية» في حدود ٢٠ صفحة لكي نقدمه بعد ١٨ يوماً في مؤتمر عزم عقده في الفترة الواقعة بين ٢٤ – ٢٦ تموز من عام ١٩٩٥م بمدينة لوزان.

وبالرغم من قُصر مدة التكليف فقد أحضرنا بسرعة مقالا مختصرا بدون أن يقع تحت إشراف لغوى ، أرسلناه إليه عن طريق البريد ، لأن ظروفاً طارئة منعتنا من التوجه إلى سويسرا ، ولكننا لم نسمع لحد الآن بما جرى لهذا البحث وكان من السهل أن يُطرح في ندوة ما بعد إجراء التعديلات عليه من قبل أحد الخبراء اللغويين . وعلى كل حال ، فبالإضافة إلى الدراسة الذي قدمناها في *Hamboldt University* ببرلين عام ١٩٩٤م بمناسبة إفتتاح معهد الأخ وانلي وكان يدور حول تأريخ اللغة الكردية ، فقد أعطينا الأخ وانلي عند زيارته لنا خلال عامي ١٩٩٢م و ١٩٩٥م ، علاوة على بعض النصوص الحورية مع ترجمتها العربية ؛ عدداً من كتبنا المطبوعة مثل « دراسات كردية في بلاد سوبارتو ، بغداد ، ١٩٨٤م ؛ تأريخ الكرد القديم ، أربيل ، ١٩٩٠م ؛ لقاء الأسلاف ، لندن ، ١٩٩٤م و الثقافة ، الدين والفن في تأريخ كوردستان ، فريزلاند ، ١٩٩٤م » لكي يترجمها بإسم معهده إلى اللغة التركية كما وَعَدنا ، إلا أننا لم نَر منه ومن هذا المعهد لحد الآن أي نشاط من هذا القبيل ، لأن الإشراف عليه أصبح سياسياً أكثر مما هو أكاديمي . ومهما يكن الأمر ، فإن موضوع اللغة الكوردية سيكون من ضمن الباب الخامس لهذا الكتاب ، أما موضوع الكورد وكوردستان فخصصنا له الباب الثاني الذي سيشمل الفصل الأول منه ثلاث موضوعات وهي سرد مختصر عن موطن الكورد ونفوسهم ثم الوضع الإجتماعي ومفهوم القومية الكردية ومشاكل الإنتماء الطبقي في كوردستان وأخيرا نتائج الدراسات الأنثروبولوجية التي أجريت في هذه البلاد وإستشهدنا قليلاً في هذا الصدد بأقوال بعض الكتاب الأوربيين مثل:

-Derek Kinnane, The Kurds and Kurdistan, London - New York, 1964 ;
-Gohn Bulloch & Harvey Morris, No Friends But The Mountains, The Tragic History Of Kurds, Penguin Books, 1993 ;
-David McDowall, A Modern History Of The Kurds, London - New york, 1997 ; -Th. Bois, The Kurds, Ancyclopaedia Of Islam .

أما في الفصل الثاني من الباب الثاني فسنتكلم عن الخلفية التأريخية للكورد وتشمل ثلاث إتجاهات من المصادر ، منها ما كتب في عصرنا ، ثم الأخبار المدونة من قبل الكتاب الكلاسيكيين اليونان والرومان مثل هيرودوت وكسينوفون وبلوتارخوس تليها الآراء المعاصرة غير الواقعية المستقاة من الكتاب الشرقيين مثل الفردوسى والمسعودى وما دُون خلال العصر الإسلامى المبكر حول هذا الموضوع . وفي الفصل الثالث سنتكلم عن عصر النهضة الكردية والسلالات التي حكمت في تبريز وجنزة وأنى وميافارقين ، ثم نسرد نبذة مختصرة عن الغزوات التركية وأفول السيادة الكردية في غرب آسيا غداة معركة تشالديران وتقسيم كردستان بين إيران وتركيا ومرحلة ظهور التشكيلات الإماراتية كالأردلانية والبابانية والسورانية والبدرخانية وإنبعاث الشعور القومي والكفاح الوطني المعروف في يومنا بإسم كوردێتي *Kurdêti* « الحركة الوطنية الكوردية » .

أما في الباب الثالث فسنخصص الحديث عن عصور ما قبل التأريخ (مراحل جمع القوت ، الزراعة المبكرة وتدجين الحيوان) والمظاهر الأولى لحياة الإنسان في كوردستان خلال العصرين الحجريين ، القديم والحديث (الباليوليثي والنيوليثي) ، وسنوزع موضوعاتها في فصلين بناء على نتائج الحفريات والدراسات التي تتعلق بهما ، لكن الحديث المتعلق بمطلع العصر التأريخي سيكون ضمن الباب الرابع من هذا الكتاب ويجري الحديث فيه عن بلاد سوبارتو «مهبط الأمة الكوردية» ويشمل الفصل الأول منه الوضع الطوبوغرافي والجيوفيزيائي لهذه البلاد ومناخه وثرواته المائية والحيوانية والزراعية ، لكن السكان ونمط حياتهم سيكون من حصة الفصل الثاني . أما الفصل الثالث فسيضم دراسة عن الوضع الجيوبوليتيكي في هذه المنطقة خلال عصري دويلات المدن والإمبراطوريات في وادي النهرين ، وسنتطرق بشكل تفصيلي إلى نظام الطرق القديمة في كل من كردستان الجنوبية والشرقية على ضوء المدونات الآشورية بجانب المعلومات الأكدية والآشورية

والبابلية القديمة المتعلقة بالمسح الطوبوغرافي والجغـرافي والأثـني لسـوبارتو مـع تفسـير أقـدم الصيغ للكنية القومية الكوردية والبوادر الأولى للإعتقادات الدينية التي سادت بينهم .

وفي الواقع ، إننـا وزعنـا الموضوعـات الرئيسـية في هـذه الدراسـة بشـكل عـام علـى فصول الباب الرابع والخامس والسادس التي ستشمل :

– مهـد الأمة الكـردية :

الفصل الأول – بــلاد سوبارتو وموقعها الجغـرافي .

الفصل الثاني – مقاطعات ومدن سوبارتو .

الفصل الثالث – أقوام سوبارتو .

– الأصول التأريخيـة للكنية القوميـة الكردية وظهـور اللغـة الكـردية :

الفصل الأول – المفهـوم التأريخى لكنيـة كوردا وتطورها التأريخى .

الفصل الثانى – عصر الهجـرة والمرحلة الأولى للتحول اللغوى نحـو الهنـدولآريـة .

الفصل الثالـث – ظهور بوادراللهجـات الآرية في الوطن الكردى .

– التحرك الحورى وقضية الهكسوس :

الفصل الأول – الإمتزاج الثقافى الآرى – الزاكروسي .

الفصل الثانى – التحول نحو الخلـدية .

الفصل الثالث – الهجرات الإيرانية وقضية الإمتزاج العرقي واللغوي بكوردستان .

– أصول الديانات والتقاليد الشعبية :

الفصل الأول – البوادر الأولى للمعتقدات الروحية والأفكار الميثولوجية .

الفصل الثاني – العادات والتقاليد وخلفياتهما التأريخية .

لم ننظم ثبتـاً (بيبلوغرافيـا) لأسماء الأماكن والأعلام في نهاية الكتاب لكـي نُسَهِّل أمـر أولئك الذين سيستخدمون هذا الكتاب كمرجع أساسي لدراسـاتهم ، لأنـه بهـذا العمـل سيحتل عدداً كبيراً من الصفحات ، وهذا العمل ينفـذه عادة الجهـة التي تطبـع الكتـاب ،

كما لا يتبع هذه الدراسة فهرستٌ خاص بأسماء الكتب والمصادر التي إعتمدنا عليها في تحليلاتنا ، لأننا سنؤشر إليها في الهوامش بصورة تفصيلية إضافة إلى إختصار الأجنبية منها ووضعها داخل أقواس على النمط التالي :

بالإنجليزية *Journal Of The Royal Asiatic Society (JRAS)*

بالفرنسية *Revue d'Assyriologie et Archeologie Orientale (RA)*

بالألمانية *Keilschrifttexte aus Boghazköy (KBo)*

بالروسية *Вестник Деревней Истории (ВДИ)*

وأخيراً ، وبعد نقل الديسكات إلى أربيل وظهور صعوبة تقنية في طبع الحروف والإشارات المتميزة الواردة في هذا الكتاب ، إرتأينا أن نطبع الكتاب بالكمبيوتر الخاص لدينا ، ومع ذلك فإننا ننتهز الفرصة لكي نشكر المشرف على مؤسسة آراس للطبع والنشر في أربيل الأخ بدران أحمد حبيب الذي أبلغنا تحريرياً عن إستعداده لطبع هذا الكتاب برسالة بعثها إلينا بتأريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠١م ، كما نقدم لكل أولئك الذين دعموا جهدنا في تحقيق هذا العمل وكذلك الذين تعاونوا معنا في جميع مراحل الكتابة التي إستغرقت سنين طوال ومن بينهم السيدات أ. كنول *Annelies Knol* و س. فان فيلزى *Simon Van Velze* العاملتان في مكتبة مدينتنا هيرنفاين اللتان أمدتا المؤلف خلال السنين ١٩٩٢م – ٢٠٠٢م بكل المراجع التي أحتاجه من داخل هولندا ومن خارجها ، كما نتمنى أن يكون هذا الجهد مشاركة منا في إطار تنظيم منهجية البحث في علم الكوردلوجيا ، العلم الوحيد الذي يساعد الراغبين من طلاب الدراسات العليا في التعرف على الموضوعات التأريخية الكردية كما يساعد أولئك الذين يحبون العمل فى إطار السياسة الكردية التي تستند بالدرجة الأولى على الخلفية المادية لتأريخ موطنهم .

د . جمال رشيد أحمد

أستاذ في تأريخ الشرق القديم

الباب الأول



البــاب الأول

المراحل الأولى في دراسة أحوال الكورد

(مصادر ومراجع الكتاب)

كانت للحملات الصليبية شأن كبير لكي يستأنف الأوربيون على دراسة البلاد الشرقية . فبعد رجــوع مـاركو بولـو *Marco Polo* (١٢٥٤م – ١٣٢٣م) مـع عمـه وأبيـه مـن الصين إلى إيطاليا في أواخر القرن الثـالث عشـر (١٢٩٥م) إكتشـف برتلميـو ديـاز رأس الرجاء الصالح الذي أبحر من خلاله عام ١٤٨٦م إلى الهند ، كما مرّ بهذا الخط فاسكودي غاما الذي فتح الطريق أمام البرتغاليين لكي يحتلوا جزيرة هرمز الواقعة على مدخل الخليج الفارسي ولحقتهـم فرنسـا لتنـال بدورهـا إمتيازاتهـا في إسـتغلال ثـروات الهنـد منـذ عـام ١٥٣٥م ، وجاء دور هولندا عام ١٦١٢م لكي تنافـس بريطانيا التي غزت جنـوب آسـيا منذ عام ١٥٨٠م ، كما قام نابليون بونابرت *Napoleon I. Bonaparte* (١٧٦٩م – ١٨٢١م) بغزو بلاد مصر ووصل في ١٩ مايس من عـام ١٧٩٨م إلى الإسـكندرية حيـث درس الفرنسيون خلال فترة إحتلالهم لأرض الكنانة آثارها القديمة وخلفية شعبها ، وكـان من نتائج هذا الغزو العسكري والإقتصادي ، إنتشار حب الإستطلاع عند علمـاء الغـرب والرغبة في دراســة تـأريخ ولغـات شـعوب الشـرق شـجعتهم في هـذا المضمـار الجمعيـات السياسية والمؤسسات العلمية في بلادهم لتحقيق غايات لم تكن تنحصـر في المجـال العلمـي فقط . فبقدر ما يتعلق الأمر بالكورد ، فقـد أخـذ الأوربيـون مـن أقـوال مـاركو بولـو[١]

---

(١) راجع الصفحة ١١ لكتاب رحلة ماركو بولو :

Polo (Marco Polo Venetiano), Delle Merauiglie Del Mondo Per lui Vedute. Trevige, 1640, P. 11 .

إنطباعاً خاطئاً مع الأسف على كونهم قطاع طرق وإشتد حدة هـذا الإنطبـاع بعـد مقتـل شولتز *F. E. Shulz* مبعوث وزارة الخارجيـة الفرنسـية إلى كوردسـتان عـام ١٨٢٩م .
وعقب هذا الحادث وصف جورج بيرسـى بـادجر *G. P. Badger* في تقـارير للجمعيـة الجغرافيـة *Royal Geographical a Christian Knowledge Societies* الكـورد بـالمتمردين العصـاة ذوو الطبـع القاسـي الذيـن تتمثـل بلادهـم بالمغـامرات . وفي الواقـع ، وكمنافسـة لأطمـاع بريطانيـا ؛ دعمـت وزارة الخارجيـة الفرنسـية ، عـن طريـق الجمعيـة الآسيوية في باريس عام ١٨٢٦م ، هذا الشاب الألماني الأصل الذي كان أستاذاً في جامعة كيسين لأجل الوصول إلى كوردستان بحجة دراسة آثار الخلديين ، فوصل يوم ٢٤ تموز من عام ١٨٢٧م إلى مدينة وان *Van* حيـث جمـع فيهـا ٤٢ قطعـة مـن ألـواح ملـوك أورارتـو وأرسلها فوراً إلى باريس . وبعد عامين وأثناء عمليات نهب تـراث كوردسـتان قُتـل بيـد العاملين معـه في منطقة كولێمێرگ ؛ إلا أن كمية كبيرة من العاديـات الـتي جمعهـا وصلـت عام ١٨٤٠م ، أي بعد موته بعام واحد ، إلى باريس . فعنـد سمـاع السـير هـنري ويللـوك *Major Sir Henry Willock* بالخبر أبلغ الكابتن هاركنيس *Captain Harkness* بهـذا الحادث ونشر مقالاً في العدد ١٦ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكيـة البريطانيـة *JRAS* عـام ١٨٣٤م واصفاً فيه الكورد ، مع الأسف ، بالمتوحشين الذين قـاموا بقتـل مبعـوث وزارة الخارجية الفرنسية ، إلا أن وصول كلاوديوس جيمـس ريچ *J. Rich* ، كوجه من وجـوه التجارة والسياسة البريطانية ، إلى بغداد وقيامه بجولة في كوردستان الجنوبية وحلوله ضيفـاً على أمير بابان بمدينة السـليمانية ، والحفـاوة الـتي أستقبل بهـا في كـل مكـان مـن الوطـن

وأنظر إلى الصفحة ٤٧ من الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب :
The Travels Of Marco Polo A Venetian In The Therteenth Century, Translated From The Italian With Notis By William Marsden F. R. S., London, 1818, P 47

الكوردي ، خَفّف من حدة ذلك الإعتقاد السيئ نحو الكورد لـدى الأوربيين ، وبـدأ هـذا الرجل يدرس الخلفية الحضارية للمناطق التي زارها في هذا الوطن . ففي عـام ١٨٢٠م زار مع چارلس بيللينو *Ch. Billino* عددا من مواقع سكنى الخلديين في كوردستان وجمع معه بعض نصوصهم المدونة بالخط المسـماري . وعندمـا وصلـت عضـوة الإرسـالية التبشـيرية الكنسية البريطانية الآنسة إيزابيلا بيشوب *Isabella L. Bird Bishop* بعـد هـذا الحـادث إلى كوردستان إمتدحت بصدق تصرفات الكورد الإيجابية بصورة عامة(٢) .

---

(٢) راجع الصفحة ١٩١ من الفصل الثاني من كتابها الموسوم بعنوان :

Journy in Persia and Kurdistan, London, 1891, II, P. 191 .

ولـما قامت الآنسة بيشوب بجولة في مناطق قصـر شيرين وسـهل زهـاو وسـري بـول وكرمنشـاه ؛ لاحظت ملامح الوجوه الكوردية جميلة ؛ كما وجدت المرأة الكوردية تتمتع بقسط وافـر مـن الحريـة الإجتماعية ثم وصفت الكورد على واقعهم بعكس هنري ويللوك الذي لم يلتقي بالكورد بتاتاً . ولما وصلت بيشوب إلى مدينة أورميه بعد الحوادث التي جـرت فيهـا إثـر ثـورة الشيخ عبيـد الله النهـري بعشرين عاماً رأت بأعينها ذلك العدد الكبير من الموظفين والمعلمين السريان والنساطرة الذيـن كـانوا يعملون في كليتها بحرية تامة تحت إشراف المبشـرين الأوربيـين ومنهـم الدكتـور كوجـران المولـود في إيران والمتثقف بالثقافة الأمريكية الذي لعب دوراً سلبياً أثناء تلك الثورة ومع ذلك لم يمسهم محـاربوا الشيخ المذكور الذين قدرت عددهم بيشـوب بـ ١٠٠٠٠ رجـل بسـوء عندمـا إحتلـوا المدينـة عـام ١٨٨١م وتضيف قائلة :

«A skech of Urmi would present few feature of general interest if it did not embrace an outline of the mission work which is carried on there on a large scale, first by the numerous agents lay of Foreign Mission, and next by the English Mission clegy and the sisters of Bethany, who from what is known as (The Archbishop of Canterbury's Mission to the Assyrian christians) . Beside these there is a Latin Mission of French Lazarists, aided by sisters of St. Vincent de Paul which has been at work in Urmi and on the plain of Salmas for forty years ».

وعلى كل حال ، لم يكن شولتز يملك معلومات جيدة عن خلفية الألواح التي إكتشفها في كوردستان ، بينما كان عالم الآشوريات السير هينري لايارد *A. H. Layard* في هذه الآونة مشغولٌ بدراسة عددٍ منها ، ثم إستطاع راولينصون الذي حل رموز الخطوط المسمارية لداريوس في جبل بهستون من قراءة بعضاً من الألواح الخلدية ، وقد أكتشف علماء الآثار بالتدريج ٥٨ لوحاً من هذا النمط ومن بينها نصبي الملكين الأورارتيين إشبويني ومينوا في كيله شين وطوبزاوه بمنطقة رواندز على الحدود الإيرانية – العراقية في كوردستان .

وبهذه الصورة شَهِدت عددٌ من المواقع في بلاد ما بين النهرين وكوردستان وآسيا الصغرى وإيران وسوريا ومصر منذ أواسط القرن الثامن عشر عمليات تفتيش أجرتها بعثات أجنبية صنفت تأريخ الشرق القديم وحضاراتها ضمن إختصاصات سمتها بأسماء مثل *Assyriology, Egyptology, Iranistica* وغدت نتائج أعمالها جزءاً مهماً من علم الإستشراق *Orientalistica* الذي توسع مجال الإختصاص فيه خلال القرن العشرين ، وخاصة بعد أن هدأت الأحوال السياسية في هذه البلدان إثر إنتهاء الحرب العالمية الأولى .

إصطدمت قراءة الخطوط المسمارية في البداية بصعوبات كثيرة ، إلا أن حل رموز لوحة الملك الإخميني داريوس الأول على صخور جبال بهستون (بيستون) قرب كرمنشاه بكوردستان الشرقية ، والمدونة باللغات الإخمينية والأكدية والعيلامية ، ساعد علماء فقه اللغة الأوربيين على قراءة كل النصوص التي كتبت بالخط المسماري في بلاد غربي آسيا(٣) وبعد هذا الإنجاز العظيم ، إستطاع العلماء الأوربيون أن يتعرفوا على تأريخ الشعوب

---

(٣) إستطاع عالم الآثار الألماني فريدريش غروتفيلد *Georg Friedrich Grotenfend* عام ١٨٠٢م من قراءة الخطوط المسمارية لأول مرة خلال ستة أسابيع ، وقد خرجت آنئذ آراءاً مختلفة حولها إلى أن تأكد العلماء من كونها تسير من اليسار إلى اليمين . ويدين علم الدراسات المسمارية

والإمبراطوريات القديمة لا من مصادرها غير المباشرة مثل الكتاب المقدس أو سجلات

إلى العلامة نيبور الذي يُعتبر أول من إستنسخ لوحة دارا ثم أعلن أنها مدونة بثلاث لغات معتقداً أن النص الأول يتركب من ٤٢ علامة وكان الأسهل عنده النص الثالث رغم إلتواء إشاراتها . ، وأثناء دراسة هذه النصوص من قبل نيبور ، لاحظ الأستاذ نيكسن في جامعة روستوك ، أن علامة مسمارية مدببة الرأس تتكرر دائماً في الكتابة التي تقع بين العلامة الأولى والعلامة رقم *R* حيث تمكن في النهاية من أن يبرهن حقيقة كون النصوص الثلاثة لا تشير إلى ثلاث نصوص من لغة واحدة وإنما ترجع إلى ثلاث لغات قديمة متباينة . ورغم كون كتابات بهستون من أطول الكتابات المسمارية ، إلا أنها دونت على صخور تعلو عن سفح الجبل بـ ١٣٠ إلى ١٥٠ متراً كما رأيناها شخصياً عام ١٩٧٤م وتتوزع في خمسة حقول واضحة ما خلا الحقل الأخير المتآكل بسبب العوامل الطبيعية وتحتوى كلها على أكثر من ٤٠٠ سطراً .

وفي عام ١٨٣٥م ؛ بدأ الضابط الإنجليزي هنري راولينصون محاولاته لحل خطوط هذه اللوحة فحقق بعد ٣٣ سنة من الدراسة التي قام بها فردريك غروتفيند قراءة الأسماء الثلاثة التي وردت في اللوحة وهي هيستاسبس وداريوس وكسيركس . وفي الواقع ، فإن راولينصون كان في خدمة الأمير الفارسي عباس ميرزا ولي العهد في كرمنشاه ثم أصبح كولونيلاً ، فإستغل وجوده في مدينة كرمنشاه القريبة من محل الكتابات المذكورة على جبل بهستون من إستنساخ لوحة داريوس عام ١٨٤٦م حيث نشر صور الأعمدة المدونة باللغات الثلاثة المذكورة في العدد العاشر وما بعده من المجلة الملكية الآسيوية البريطانية *JRAS* كما تصفحناها عام ١٩٧٧م في مكتبة لايدن وتقلد راولينصون على إثر عمله هذا لقب (السير *Sir*) .

قدمت مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية عام ١٨٥٧م نسخة من كتابات بهستون المستنسخة من قبل راولينصون على إنفراد إلى كل من االمستشرق الفرنسي ***Julins Oppert*** أستاذ جامعة السوربون والمستشرق البريطاني ***Fox Talbot*** والآيرلندي ***Hincks*** وإشتغل الثلاثة بعيداً عن بعضهم البعض في قراءة هذه النصوص . وعند فتح ملفات نتائج دراسة هؤلاء العلماء من قبل اللجنة التي أشرفت على إجتماع الجمعية الملكية المذكورة لهذا الغرض ، ظهرت أنها متطابقة أجمعوا كلهم على النقاط الرئيسة الواردة في هذه النصوص ، وقد كُلف العالم الإنجليزي نوريس ***Noris*** بقراءة العمود الثاني من اللوحة التي دونت باللغة العيلامية . لزيادة المعلومات عن هذا الموضوع راجع

المؤرخين الكلاسيكيين من اليونان والرومان ، وإنما من مصادرها الأولية كألواح ملوك سومر وأكد وحتوششا وآشور وبرسيبوليس وأوغاريت ، إلا أن كل واحد منهم إتبع إتجاهاً معيناً في إستنتاجاته للأحداث التأريخية والبنية الذهنية للشرقيين وكان يصيغ نتائج أعماله أحياناً تحت ضوء ما كُلِف به من توجيهات المؤسسات السياسية التي كانت تشرف على الجمعيات العلمية في بلاده أو كما كانت تلزمه إمكانياته الذاتية المحدودة . ودفعتنا هذه الحقائق إلى أن ندرس كل المراجع بشيء من الحذر ، فنظمنا هذه الحقائق ضمن فصلين مختصرين ، فصل يشمل المراجع والمصادر الثانوية مع الإشارة إلى إختلاف نظريات أصحابها حول ظهور الكورد في التأريخ ، وفصل آخر يحوي المصادر الأولية وأهميتها في مقارنة النظريات بالوقائع التأريخية وقمنا بصياغة أقوالنا إستناداً على النصوص المدونة من قبل أصحاب كل طرف من أطراف الأحداث وترجمنا شخصياً جميع المصادر اليونانية والفهلوية والإنجليزية والروسية والألمانية والتركية والفارسية إلى العربية آملين أن نُوَفقَ في عملنا من أجل تجسيد الحقائق التأريخية لأمة الكورد .

اعداد مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية الصادرة خلال أعوم ١٨٤٦م – ١٨٥١م :

The Journal Of The Royal Asiatic Society Of Great Britain and Ireland, 1846 - 1851 .

كذلك راجع مقال الدكتور لوتس كيلهامر المترجم من قبل الدكتور محمود الأمين المنشور في المجلد الثاني من مجلة سومر ، بغداد ١٩٥٦ ، ص ٩١ وما بعدها

الفصل الأول
المصادر الثانوية وإختلاف النظريات
حول
ظهور الكورد في التأريخ

بالإضافة إلى المصادر والمراجع الإسلامية التي دُونت بالعربية (ككتب إبن الأثير والمسعودي وابن حوقل) والفارسية (كشاهنامه الفردوسي) والكوردية (كشرفنامه البدليسي) والتركية (كرحلة أوليا جلبي ومؤلفات الحاج خليفة) ، أمدتنا الدراسات الروسية (وخاصة تلك التي تعود لكل من مينورسكي ونيكيتين وفلجيفسكي) والألمانية (كدراسات نولدكه وفايسباخ وكارل هدنك) ثم الإنجليزية (كمؤلفات ريج وبيشوب وسير سدني سميث وإدموندس) التي جرت في القرنين الماضيين بموادٍ غنية لا تتعلق بجانب واحد من دراسة تأريخ شعوب آسيا الغربية فحسب ، وإنما شملت ، إضافة إلى تحليلات مظاهر الحياة البدائية عبر العصور الحجرية ، الجانب اللغوي والأدبي والديني والبناء الإقتصادى للمجتمعات القديمة في مرتفعات جبال زاگروس وشمال وادي الرافدين وآسيا الصغرى وشمال سوريا . وتحقيقنا لهذه المواد سوف لا يقف في دراسة بقعة معينة من غربي آسيا أو مجموعة من المجموعات الأثنية القديمة ، نظراً لكون هذا القسم من العالم غدت موطناً لمختلف الأقوام عبر العصور ، وقد أتاح إختلاط الشعوب والأجناس هنا أرضاً صالحة لمزج المدنيات والديانات وخاصة في وسط حضارات بلاد النهرين وإيران لكنها وقعت تحت تأثير الثقافات الهندية – الآرية والسامية والهللنية . وبما أن دراستنا ستكون ضمن إطار أزمنة سحيقة في القدم ، فإنها ستبدأ على هذا الأساس مع مواضيع تسبق مرحلة توفر الشروط القومية للشعوب المعاصرة . ففي الأرض الكوردية تربى إنسان

العصر الحجري منذ العصر الباليوليثي وحتى نهاية العصر النيوليثي إنحدر من أجناس متباينة ، وفي العصر التأريخي إستندت قضية ظهور بوادر الأمة الكوردية ، إضافة إلى أرضها وعاداتها ومقوماتها الأخرى ، على ركنين أساسيين هما :

أ – الكنية القومية ومهد نشأتها ومجريات تطورها التأريخي .

ب – الأوساط التي ظهرت فيها اللغة المشتركة للكورد مع تعدد لهجاتها عبر العصور

ومن سوء الحظ ؛ فإن كل من حاول دراسة هذه القضية بنهج ذاتي بنى نظريته بصورة غير دقيقة على أحد هذين الركنين فقط ، سواء كان مستشرقا أوربياً يجهل اللغة الكردية(١) أو وجها من وجوه السياسة العربية أو التركية التي تنكر الوجود الكردي(٢) أو حتى كُرديا غير متخصصاً لم يستطع تفسير المنبت الحقيقي للركنين الأساسيين من أركان قوميته(٣) فقد خلّف وراء بحثه صورة مشوهة عن تأريخ أمته

---

(١) مثل سير سدني سميث وأفرام سبايزر وفلاديمير مينورسكي و فلحيفسكي وتوما بوا وغيرهم . وفي الوقت الذي حدد المؤرخ السوفياتي ميخائيل دياكونوف دراسته عن الميديين في البقعة التي سكنها الكوتيون واللولوبيون والكاسيون والحوريون التي تشمل بدقة جميع أجزاء كوردستان حالياً ، فإنه بسبب جهله اللغة الكوردية أهمل علاقة الكورد بالميديين كليا .

(٢) حول النظريات العنصرية الرسمية راجع المنشورات التالية :

-- *" Son Posta ", Ankara, 11, April, 1946 .*
-- *"The Times, " London, 27 July, 1960 .*
-- *"Le Mond ", Paris, 25 - 26 July, 1960 .*
-- *"Libération", Paris, 30 - 31, July, 1960 .*

محمود الدرة ، القضية الكردية ، بغداد ، ١٩٦٦ .

أمين سامى الغمراوى ، قصة الأكراد في شمال العراق ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

(٣) راجع التصورات الخاطئة لمهندس النفط صلاح سعد الله : حول اللغة الكردية ، بغداد

حَشرها في ذهنية المهتمين بهذه القضية وغدت نتائج بحثه منهجا غامضاً غير سليما. فمثلا لم يذكرالمؤرخ السوفياتي *Michael Igorovich Diakonov* في عمله الضخم عن تأريخ الميديين عام ١٩٥٦م [*Историмя Мтдии, Москва 1956*] إسم الكورد بتاتا وبذلك أهمل أيضاً الكلام عن موضوع علاقة اللغة الكردية باللغتين الميدية أو الآڤستية *Avestic* اللتان لَعبتا دورا واضحاً في ترسيخ الدعامة الأساسية للغة الكردية خلال الألف الأول قبل الميلاد ، وحتى أن هذا العالم في فقه اللغة الذي لم يعرف عن الكردية أي شئ ، قام في أعماله الأخرى بتحريد سكان كوردستان القدماء كالكوتيين والحوريين من خلفيتهم الزاگروسية وحشرهم ضمن الشعوب القفقاسية ، بينما كان ولاديمير تيودوروفيج مينورسكي *Wladimir Theodorowich Minorsky* ، خريج كل من كلية الحقوق في موسكو ومعهد لازاريف للغات الشرقية عام ١٩٠٣م والدبلوماسي الروسي الضليع في اللغة الفارسية وعضو أكاديمية العلوم البريطانية والفرنسية وعالم الدراسات الكوردية الذي نَشر في بطرسبورغ ملخص أعماله الميدانية عام ١٩١٥م في كتاب أسماه (الكورد ، ملاحظات وإنطباعات) يحاول منذ بداية القرن العشرين أن يشرح التأريخ الكردي من خلال هجرات القبائل الإيرانية من إيران نحو مرتفعات جبال زاگروس [راجع آرائه في المقال المنشور في دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الكورد ، ليدن - لندن ١٩٢٧م وأنظر إلى كتابه القيم *Studies On Caucasian History, London, 1953*] . وبالرغم من إجادته للغة الفارسية ، إلا أنه ، مع الأسف ، لم

١٩٨٥ ؛ صلاح سعد الله ، حل المسألة السومرية ، صحيفة (الحياة) اللندنية ، العدد ١١٦٦٧ ، ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٥م. راجع كذلك نفس التصورات عند كل من : پاكزه رفيق حلمي ، زانياری زمان وزمانی کوردی ، گوڤاری رۆشنبیری نوێ ، ژماره ١١١ - ١١٤ ، بەغدا ١٩٨٦ - ١٩٨٧ ؛ هاوری قادر رسول ، کوردستان نشتمانی یەکەمێنی سومەرییەکانه ، هۆلەندا ١٩٩٦ .

يجد فرصة لدراسة اللغة الكردية ، وبناء على هذه الحقيقة فإن هذا المتخصص في الشؤون الإيرانية إعتمد في تحقيقاته عن تأريخ الكورد القديم عبر الأحداث التي شهدتها بلاد إيران . ومن خلال وجود العلاقة اللغوية بين الكوردية وباقي اللغات الإيرانية إعتبر مينورسكي الميديين مباشرة أجداد الكورد المعاصرين ، وبما أن هؤلاء الأجداد جاؤا من الشرق (إيران) إلى الغرب (جبال زاگروس) أثناء هجرة القبائل الإيرانية بصورة عامة فإنه شرح وجود الكورد على أرض كوردستان في المؤتمر العشرين للإستشراق في بروكسل عام ١٩٣٨م على أساس هذه الهجرة(٤) . ولا تزال فكرة توجه الكورد من الشرق إلى الغرب ، كحقيقة مسلمة ، معمولة بها في الأوساط الأوربية . ففي أحدث كتاب ضخم حول تأريخ الكورد الحديث الذي طُبع عام ١٩٩٧ بعنوان :

A Modern History Of The Kurds, London - New York, 1997, P. 8 يرى مؤلفه داود ماكدوال *David McDowall* صحة هذا الرأي على أغلب الإحتمال بالصورة التالية:

«*The majority of the Kurds are probably descended from waves of Indo - European tribes mainly moving westwards across Iran ...etc.*» .

وقبل طرح هذه النظرية ، فإن مينورسكي أشار عام ١٩٣٥م في النقطة الثامنة من إحدى رسائله التي كتبها بالفارسية ، بناء على طلب المؤرخ حسين حزني الموكرياني ونشرنا نصها في الصفحة ١٣٣ من كتابنا «دراسات كردية في بلاد سوبارتو» ، إلى أنه ليس بإستطاعة أحد أن يقرر قضية منبت الكورد وأصلهم ، لأنهم كالإنجليز والفرنسيين والروس هم بقايا مجموعات وقبائل متعددة ومختلفة ..! .

---

(٤) راجع : *V. Minorsky, Less Originaes des Kurdes, Travaux XX, Congres de Orientalists, 1938*

وبعكس نظرية مينورسكي ؛ فقد بذل *G. K. Driver* جهده لكي يجد أصل الكورد من خلال كنيتهم القومية وذلك بربطها مع المصطلحات القديمة المشابهة لها دون النظر إلى التطورات الإجتماعية واللغوية والأثنية التي شهدتها الأمة الكوردية في تأريخها(٥) .

ومن جهة أخرى ، فالدبلوماسي الروسي باسيل نيكيتين الذي تعلم الكوردية نشر قبل إلتجائه إلى فرنسا بعد ثورة أكتوبر كتاباً تحت عنوان *Lé Kurdes, Paris, 1956* الذي تُرجم إلى الروسية بصورة جيدة بعكس طبعته العربية الرديئة ذاكراً فيه معلومات جيدة جداً تتعلق بتأريخ الكورد ، وبالرغم من رؤيته غير الصائبة حول عدم وجود وحدة قومية تجمع بين سكان كوردستان (ص ٢٥) ، إلا أن كاتب مقدمة هذا الكتاب لويس ماسينيون (١٨٨٣م – ١٩٦٢م) إستطاع أن يُعبر بأسلوب واقعي مختصر عن تجانس القبائل في كوردستان عبر العصور وتكوينها لقاعدة ظهرت الأمة الكوردية على أساسها(٦) .

---

(٥) أنظر إلى آرائه في :

-- *G. R. Driver, The Dispersion Of The Kurds In Ancient Times, Journal Of Royal Asiatic Society (JRAS), 1921* .
-- *G. R. Driver, Studies In Kurdish History, JRAS, 1922* .
-- *G, R, Driver, The Name Kurd And Its Philological Connexion, JRAS, 1923* .

(٦) ولد لويس ماسينيون في نوجان على المارن إحدى ضواحي باريس لأب فنان كان يوقع تماثيله بإسم بيير روش وبفضله تعرف إلى هويسمان والأب دي فوكو ، وحصل على التوجيهية من ليسه لوي لجران (١٩٠١م) وليسانس الآداب (١٩٠٢م) ودبلوم الدراسات العليا في بحث على المغرب بعد زيارته (١٩٠٤م) ، وإشترك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر (١٩٠٥م) حيث تعرف إلى جولد صيهر وآسين بلاثيوس فأصبحا مع سيلفن ليفي وسنوك – هرجرونه ولي شاتلييه أحب أساتذيه إليه في الإستشراق . ولما نال من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية دبلوم اللغة العربية (١٩٠٦) إلتحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة ، ثم قصد بغداد حيث صادق العالم

وهكذا فإن تحليل تأريخ الكنية القومية لأي شعب من شعوب هذا العالم ، يجب أن يتم جنباً إلى جنب عديد من التحليلات لعملية تكامل الشروط القومية وذلك بإستنباط معلومات دقيقة عن هذه الشروط من خلال الأحداث التأريخية القديمة التي جرت في موطن كل شعب من هذه الشعوب وإستناداً على نتائج الدراسات الأثرية والفيلولوجية والأنثروبولوجية التي تتميز كل واحدة منها بعدد من المواد والخصوصيات ، وعلى المؤرخ أن يلم بتفاصيل هذه الموضوعات ، ولعلنا نجاري الحقيقة لو قلنا أننا لا نجد في ميدان الثقافة الكوردية مؤرخاً قد إلتزم بهذا النهج عندما نشر آرائه المتعلقة بتأريخ أمته . ففي الأوساط الكوردية العراقية برز في بداية القرن العشرين المرحوم محمد أمين زكي (وهو عسكري عثماني من مواليد مدينة السليمانية وكدبلوماسي شارك في تشكيل المجالس الوزارية ببغداد) وحاول أن يجد هوية أمته التأريخية في كتاب تُرجم من الكوردية إلى العربية من قِبل محمد علي عوني بعنوان «خلاصة تأريخ الكرد وكردستان ن القاهرة ١٩٣٩» . ومع كل إمكانياته الوظيفية ودبلوماسيته في إستغلال الظروف السياسية ونجاحه في الإنقلاب من عالم العثمنة نحو العمل في تجسيد بنية العراق الإدارية والسياسية تحت إشراف البريطانيين ، إلا أنه لا يُعتبر مؤرخاً من ناحية الإختصاص بقدر ما كان عسكرياً جيداً جمع معلوماته التأريخية إستناداً على ظروفه الوظيفية ، وكان هذا هو السبب في عدم وصوله إلى نتيجة مقنعة لكيفيةَ ظهور تلك الهوية التي كان يفتش عنها ، بينما إستطاع المرحوم توفيق وهبي في عديد من بحوثه (وهو يتميز من ناحية الإنتساب إلى نفس خلفية فصيلة محمد أمين زكي) من الوصول إلى هذه النتيجة بنهج علمي تقليدي ،

الآلوسي وإكتشف قصر بني لخم المسمى بالسدير في الإخيضر (بين عامي ١٩٠٧م – ١٩٠٨م) ثم عاد إلى القاهرة (١٩٠٩م) وإستمع إلى دروس الأزهر . وعند عودته إلى باريس عُين معيداً في كرسي الإجتماع الإسلامي (١٩١٩م – ١٩٢٤م) ، حاز على أوسمة رفيعة وآثاره تربو على ٦٥٠ بين مصنف ومحقق ومترجم وبين مقال ومحاضرة وتقرير ونقد ومقدمة وسيرة .

لكنه إلتزم غالباً الجانب اللغوي في تحليلاته لكي يطرح من خلاله قضية نشوء الأمة الكوردية على أرضية إيرانية ؛ رافضاً كل علاقات الكورد المعاصرين مع السكان القدماء لبلاد سوبارتو . أما المرحوم حسين حزني الموكرياني ، فقد حاول بإمكانياته المحدودة أن يصل إلى نتائج مقنعة في هذا المضمار وذلك عن طريق تبادل آرائه مع مؤرخي عهده مثل مينورسكي وباسيل نيكيتين أو لقائه المباشر معهم أو بمراسلتهم أحياناً . أما في إيران ، فقد حاول رشيد ياسمي في كتابه (كرد وپيوستگى نژادى وتاريخى او، تهران ١٩٤٠) أن يتخذ من مقارنة الكنية القومية للكورد مع مفردات إيرانية أساساً للتعرف على أصلهم . فإعتماداً على قول المؤرخ الإيراني المشهور حسن بيرنيا المنشور في الجزء الثاني من كتابه (إيران باستان) يعيد قول الجغرافي اليوناني سترابو في البند السابع من الكتاب ١٧ لجغرافيته الذي يشير إلى «أن الشباب الإيرانيين الذين كانوا يتربون على تحمل البرد والحر والحياة القاسية بأكل البلوط في الجبال وتعلم فنون الحرب والقتال في البراري كانوا يعرفون بـ *Kardak* أي المقاتل أو المحارب» . وهذا القول يمثل جانباً من نظرية درايفر *G. R Driver* التي طرحه قبل رشيد ياسمي بأكثر من عقد من الزمن في مقاله الموسوم بعنوان *The Name Kurd and its Philological Connexion, JRAS, 1923* المنشور في مجلة «الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية» وربطها كذلك بكنية الكَردوخيين ، وهي النظرية التي كانت مرفوضة أساساً من قبل ثيودور نولدكه وهارتمان وهوبشمان وفرانتس هيندريك وايسباخ حيث ناقشنا آرائهم في الفصلين الثالث والرابع من كتابنا (دراسات كوردية ... بغداد ١٩٨٤م) . لقد رأى هؤلاء من قبائل (الكورت *Κυρτιοι*) الإيرانية التي جاءت أخبارها في سجلات الكتاب الكلاسيكيين اليونان والرومان أصل الكورد المعاصرين من جميع النواحي . وبناءاً على ذلك ، فقد ناقش موضوع تلك العلاقات علماء ألمان آخرون مثل هوغو وينكلر *Winkler, Schrader Keilschriftliche Bibliothek, Vol.i* وكذلك كل من كيبرت *Kiepert, Lehrbuch der Alten Geographie, s. 80*

وسخاو *Sachau, Zeitschrift für Assyriologie, Xii, 52* ، وعلى هذا الأساس نُظمت القضايا التأريخية واللغوية المتعلقة بالكورد في المكتبات الأوربية ضمن الدراسات الإيرانية ، وبالإستناد على قرابة اللغة الكوردية مع مجموعة اللغات الإيرانية إعتقد شخص مثل *L. Rambout* بالإنتماء الآري للكورد كما أشار *Derk Kinnane* إلى هذا الموضوع في الصفحة ٣ من كتابه الموسوم بعنوان (*The Kurds and Kurdistan, London - New York, 1964, P. 3*) قائلاً : «أن الكوردية تنتمي إلى المجموعة الإيرانية ومن خلالها إلى فصيلة الهندو – الأوربية»:

«The Kurdish Language belongs to the Iranian group and is thus on of thus on of the great Indo - European bloc...»

وبدون سابق معرفة أعادت شيرين عبد المنعم حسنين هذا الرأي في الصفحة ١٠١ – ١٠٣ من مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٣٥ (القاهرة ، يناير ١٩٩٩م) مشيرة إلى «أن اللغة الكوردية ولهجاتها المحلية هي لغة شعب الأكراد الذين ينتمون إلى الجنس الآري ... واللغة الكوردية من عائلة اللغات الإيرانية » . وبدون أن تستند شيرين على مصدر موثوق وبعيداً عن الواقع وبدون دقة تقول أن «اللغة الكوردية كانت سائدة في الألف الخامس قبل الميلاد» ، أي قبل عصر التدوين ....

ومع الأسف ، فإن قضية ربط تأريخ الأمة الكوردية بالمصطلحات القريبة من كنيتها لقت التأييد من قبل كتاب الكورد غير المؤرخين مثل قناتي كوردييف (أستاذ اللغة الكوردية في روسيا) و محمود باكسي في تركيا و ن م. أورنگ ومظفر زنگنه وإحسان نوري (عسكري عثماني عاش بعد ثورته في إيران) وهادي رشيد الجاوشلي (محامي عراقي) وأنور مائي (معلم عراقي) وصلاح سعد الله (مهندس نفط) في العراق . وبإنتهاء عهد مينورسكي وباسيل نيكيتين وحسين حزني وتوفيق وهبي ، ملأ مثل هؤلاء المتدخلين ساحة الدراسات التأريخية على حساب تصنيع خلفية غير واقعية لأمة الكورد . وعلى كل

حال ، فإننا لم نر في الإصدارات الكلاسيكية الإيرانية ، بإستثناء مخطوطة الشرفنامه لمؤلفه شرف خان البدليسي ، الأمير الهارب من الهيمنة العثمانية إلى إيران والتي حققها وليامينوف زرنوف وطبعها في بطرسبورغ عام ١٣٧٦ هـ وكذلك مخطوطة خسرو ابن محمد بنى أردلان أمير ولاية أردلان الكوردية (طبعت في موسكو عام ١٩٨٤م) ، مَنْ تطرق إلى تأريخ الكورد العام منذ القرن السادس عشر الميلادي كما جرى ذلك بيد الكتاب العثمانيين مثل رئيس المنجمين (أحمد بن لطف الله منجم باشي صاحب كتاب جامع الدول) والحاج خليفة (مؤلف جهان نما) وأوليا جلبي (صاحب السياحتنامه) . وفي مطلع القرن العشرين ، يمكن إعتبار الأستاذ المرحوم أحمد كسروي التبريزي (عضو الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية والجمعية الآسيوية الأمريكية) بجانب حسن بيرنيا ، المؤرخ الإيراني الوحيد الذي إلتزم بنهج سليم أثناء تطرقه إلى أصل الشعوب الإيرانية وتأريخها ، ومن حسن الحظ فقد جمع يحيى ذكاء أعماله في مؤلف مستقل سماه *كاروند كسروى* «أعمال كسروي» . أما في النصف الثاني من القرن العشرين ، فقد نُشرت في إيران دراسات تتعلق باللغات الآذرية (كالطاليشية والتاتية) والمازندرانية وهي بقايا اللهجات المادية القديمة ولا تزال لها علاقة فونولوجية ومورفولوجية مع اللهجات الكوردية ؛ وقد إستندنا في مسألة صياغة الكنية القومية الكوردية (كورمانج) على ما جاءت في هذه الدراسات من معلومات لغوية آذرية في مؤلفات *دكتر حسينقلى كاتبى* ، *زبانهاى باستانى آذربايجان* ، *تهران* ١٣٦٩ و *على عبدلى* ، *تالشي هاكيستند* ؟ ومخطوطة خسرو ابن محمد بنى اردلان الذي سجل كنية الكورمانج بصيغة (كرماج) .

ورغم الآراء غير المعقولة الداعية إلى كون الكورد أشتات من القبائل العربية الرعوية التي نراها في بعض الكتب العربية كتلك الواردة في الصفحة ٦٧٥ من كتاب د . أحمد داود (تأريخ سوريا الحضاري القديم ، دمشق ١٩٩٤م) ، فإن منذر الموصلي ، ومن أجل أن يسعى إلى أهداف قومية عربية سامية ولتعميق الروابط وعلاقات التآخي مع

الشعوب ، كما يقول في مقدمة كتابه (الحياة السياسية والحزبية في كوردستان «رؤية عربية للقضية الكوردية» ، لندن ١٩٩١م) ، سمح لنفسه على الأقل في الصفحة ١٨٥ لكي يقول «أن الأكراد موجودون على مسرح التأريخ ، قديمه والجديد ، وهم ينتمون إلى أمة واحدة ، قد لا تملك جميع خصائص الأمة (...!) ، بوضعها الراهن ، لكنها تملك – بالتأكيد – من الخصائص ما يكفي لإعطائها مدلول الأمة الواحدة والمجتمع الواحد ... وإذا ما وضعنا في إعتبارنا الشروط الأساسية لنشوء الأمم وتكوّنها عبر التأريخ ، فلسوف نجد الأكراد يملكون هذه الشروط ومن أهمها ، شعورهم بالإنتماء إلى الوطن الواحد ، والأصل الواحد ، والتأريخ المشترك ، وتؤلف بينهم اليوم اللغة والعقيدة الروحية ووحدة المطامح القومية والأهداف الوطنية والسياسية .» .

فالإطار المصطنع لتأريخ الكورد الذي حاولت إيجاده أنظمة الحكم في كل من إيران والعراق وتركيا وسوريا وحتى في أرمينيا وجيورجيا ، وما طرحه عدد من السياسيين غير المتخصصين في علم التأريخ من أبناء القوميات السائدة في هذه الدول كان نوعاً من التلاعب بمقدرات الأمة الكوردية وثقافتها بَعْدَ أن رُبط مهدها بهذه الأنظمة وأدارتها بنية ذهنية غير كوردية حاولت على الدوام أن تجعل من ماضي هذا المهد جزءاً من تأريخ قوميتها السائدة من دون أن تعترف حتى بإستقلالية لغة وثقافة الكورد ، وهما في الواقع حصيلة أحداث جرت بعيدة عن أصحاب هذه الذهنية الذين لعلهم ينتمون إلى بلاد بعيدة مثل مصر أو اليمن إذ حاولوا بدورهم تجسيد هذا المفهوم الخاطئ في عقول أبناء جلدتهم خلافاً للنهج المعقول الذي سلكه رسل الكنائس والرحالة والسياح الأوربيون الذين من الأفضل التطرق إلى أعمالهم بصورة موجزة كما يلي :

في إيطاليا :

ففي إيطاليا تُرقى أولى المصادر التي تكلمت عن أحوال الكورد إلى عام ١٢٠٠م ،

كما تقول الزميلة ميريلا گاليتي(٧) . فهذا الأمر أوجد نوعاً من العلاقة بين كوردستان وإيطاليا وخاصة عندما بدأ السياح والدبلوماسيين والمرسلين والتجار الإيطاليون يتوجهون إلى إيران وبلاد ما بين النهرين عن طريق كوردستان . فقد بنى معماريون من جنوا قلاعاً ، هي اليوم خرائب وأطلال منتشرة في كوردستان ، وكان أطلال قلعة ديادين *Diadin* بادية للعيان حتى مطلع القرن التاسع عشر(٨) ، كما في وادي حسن قَلا وعلى ضفاف نهر دجلة في منطقة الجزيرة أطلال منسوبة إلى معماري من جنوا(٩) .

تقول ميريلا أنه يمكن تقسيم المصادر الإيطالية التي تتحدث عن الكورد وكوردستان إلى :

أ – **الآثار الخطية** – ويتصدر بين كاتبيها أسماء كل من :

١) دومينيكو لانزا *Domenico Lanza* (١٧١٨م – ١٧٨٢م) : كتب تقريراً تأريخياً مطولاً لأسفاره إلى الشرق ، واصفاً فيه مدناً كوردية مثل العمادية وأورفه وكذلك الموصل.

٢) فينشنتسو سابيلاني *Vincenzo Sapellani* (١٧٣٤م – ١٨٠٩م) : كتب تقريراً عن

---

(٧) راجع مقالها الموسوم بعنوان (التراث الكوردي في مفردات الإيطاليين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الهيئة الكوردية ، المجلد الثامن ، بغداد ١٩٨١ ، ص ٢٣١ وما بعدها ، ترجمة د. يوسف حبي) .

(٨) راجع :

J. Usseher, A Journey From London To Persepolis Including Wanderings In Daghestan, Georgia, Armenia, Kurdistan, Mesopotamia, and Persia, London, Hurst and Blackett, 1825, P. 664 .

رسائل الآباء الدومنكيين في بلاد ما بين النهرين وكوردستان من ١٧٥٠م إلى ١٨٠٣م .

٣) أوغسطينو ماركي *Augostino Marchi* (١٨٠٥م – ١٨٧٥م) كتب رسالة إلى وكيل الرهبنة العام صادرة عن مار ياقو (دهوك) في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٥٢م ، فيها إشارات عن وضع الكورد بصورة عامة .

ب) **الآثار المطبوعة** ـ من القرن ١٨ حتى القرن ١٨ ، تتصدر فيها أسماء كل من :

١) ماركو بولو *Marco Polo* (١٢٥٤م – ١٣٢٤م) : نقل في كتابه (المليون) معلومات وجيزة ودقيقة عن الموصل وعن تكوينها القومي والديني ، كما يتحدث عن الكورد *Card* وكوردستان وسكانها من المسيحيين والمسلمين .

٢) ريكولدو دا مونتيكروتشي *Ricoldo Da Montecroce* (١٢٤٢م – ١٣٢٠م) كتب تقريراً أشار فيه إلى أحوال الكورد *Curtorum* الإجتماعية والدينية وإستعدادهم الدائمي للقتال ، وتعني كنيتهم القومية في الفارسية «الذئب» على حد زعمه ، بينما الواقع أن (قورت *Curt*) كلمة تركية لا تزال تُستعمل بهذا المعنى .

٣) جوزافات بربارو *Giosaphat Barbaro* (١٤١٣م – ١٤٩٤م) : سفير جمهورية البندقية إلى إيران ، كتب تقريراً تحدث فيه عن هجوم الكورد *Cordi* في ٤ نيسان عام ١٤٧٤م على قافلته في جبل طوروس ، ثم يتطرق إلى عاداتهم ولغتهم .

٤) مجهول من البندقية *Anonimo Veneziano* : كتب تقريراً في القرن السادس عشر

---

(٩) راجع :

H. Von Moltke, Briefe Uber Zustande und Begebenheiten In der Turkei 1835 - 1839, Berlin, E. S. Mittler und Sohn, 1841, P. 431 ; tradital Lettere, Milano, Treves, 1878, P. 205 ; De Cholet, Armenie, Kurdistan et Mesopotamie, Paris, E. Plon, Norrit et C., 1892, P. 192 .

يتحدث عن حروب الشاه إسماعيل الصفوي ضد الكورد وخاصة في منطقة بتليس .

٥) مارينو سانودو الصغير *Marino Sanudo Il Giovane* (١٤٦٦م – ١٥٣٦م) : كتب يومياته في مدن كوردستان مثل أرزنجان وبدليس وموكس وتحدث فيها عن كون هذه البلاد مركز ثقل في الحروب بين العثمانيين والإيرانيين .

٦) لويجي رونتشينوتو *Lugi Roncinotto* : رحل إلى الهند ، ويتضمن تقريره بعض الإشارات عن الكورد *Cordi* الذين يعيشون في جبال طوروس وهم شعب جبلي مستقل لا يطيع الحكام العثمانيين ، كما يعيشون كذلك في أرمينيا الكبرى والصغرى .

٧) غاسبارو بالبي *Gasparo Balbi* : سافر إلى الهند ، تطرق إلى أحوال الكورد عموماً .

٨) جوفان باتيستا (١٥٥٢م – ١٦١٩م) وجيرولامو فيكييتي : رحالتان توجها إلى الشرق وكتبا تقريراً عن الشعب الكوردي ولغته وطبائعه .

٩) سفراء البندقية في القرن السابع عشر ، منهم نيكولو ماروتزي وغوليلمو بيرشيه وأوغسطين ناني (١٦٠٠م – ١٦٠٣م) وأوتافيانو بون وسيمون كونتاريني (١٦١٢م) وكريستوفورو فالييه (١٦١٦م) رفعوا مجموعة من التقارير إلى مسؤوليهم تحدثوا فيها عن أحوال الكورد السياسية والإجتماعية .

١٠) بيترو ديلا فالي *Petro Della Valle* (١٥٨٦م – ١٦٥٢م) : يُعتبر تقارير ديلا فالي عن الكورد مصدراً مهماً لدراسة معتقداتهم الدينية وأحوالهم الإجتماعية ودور المرأة في المجتمع . فيقول أنه بخلاف نساء الشرق الأوسط المسلمات «تسير النساء الكورديات بحرية وبوجه سافر ويتحدثن مع الرجال كما مع أهلهن ، سواء كان هؤلاء من أبناء البلد أو من الغرباء» ، وقد سبق ديلا فالي الآخرين في طرح الوضع الجغرافي والسياسي *Geopolitica* السيئ لكوردستان التي تبدأ أراضيها من الخليج وحتى أرمينيا وتقترب من البحر الأسود في بعض مناطقها على حد قوله . ثم يؤكد على خواص اللغة الكوردية في المجلد الثاني من تقريره .

١١) أنجيلو ليغرينتزي *Angelo Legrenzi* : غادر البندقية نحو آسيا عام ١٧٠٥م وكتب تقريراً عن تفاصيل رحلته تحدث فيه عن الكورد كأمة قائمة بذاتها رغم وصفه السيئ لطبائع أبنائها ويُقسّمهم دينياً إلى سبع فرق ومن ضمنهم الإزدية . ثم يتحدث عن المدن الكوردية كبدليس ووان والموصل وأربيل وكركوك .

١٢) فرانسيسكو جيميلي كاريري *Francesco Gemelli Careri* (١٦٥١م – ١٧٢٥م) : دكتور في القانون أحب الأسفار ، فقام بجولة حول العالم عام ١٧١٩م وأشار في تقاريره شيئاً عن الكورد الرحل ومنازلهم المتنقلة وحيواناتهم المتروكة في مراعي كوردستان .

١٣) جان فرانشيسكو بيفاتي *G. Francesco Pivati* : طُبع كتابه بعنوان (الكورد في المعجم العلمي الجديد والغريب ، الديني والدنيوي ، البندقية ١٧٤٦م – ١٧٥١م *Curdi, Nuovo Dizionario Scientifico e curioso sacro - profano di Gianfrancesco Pivati dottore della leggi, Venezia, Benedetto Milocco, 1751, 10 voll.*) تحدث عن كوردستان مع عاصمتها الأدبية والثقافية بتليس . وقد إعتبر الإزدية شريحة من شرائح الكورد ، وقال «أن نساء قبائل الرحل الكوردية ينتقلن على الخيول والبغال ويبدين شديدات العزم والبأس طبيعياً وفي وجههن مسحة إعتداد بالنفس ... إلخ» .

(١٤) لياندرو كوتالوردا *Leandro Cottalorda* (١٧٠٤م – ١٧٨٤م) : عند رحلته إلى إيران عام ١٧٥٧م ، تحدث في تقريره عن الكورد في حصن كيفا وعن بعض زعمائهم وأمرائهم ، وفي رحلته الثالثة يتكلم عن الثورات الكوردية .

١٥) ماوريتزيو غارتزوني *Maurizio Garzoni* : عاش في آميدي (العمادية) بكوردستان الجنوبية فترة طويلة وتعلم لهجة سكانها وطبع كتاباً في روما عام ١٧٨٧م يشمل مواضيعاً عن قواعد ومعجم اللغة الكوردية . يشتمل معجمه على ٤٦٠٠ لفظة كوردية جمعها في

سنين ١٧٦٤م – ١٧٧٥م ويميز في اللغة الكوردية خمس لهجات كاراجولان ، العمادية ، جولميؤك ، الجزيرة وبتليس(١٠) . ويعطينا غارتزوني في مقدمته الوجيزة بعض معلومات عن كوردستان من النواحي الجغرافية والإقتصادية والسياسية .

١٦) دومينيكو سيستيني *Domenico Sestini* (١٧٥٠م – ١٨٣٣م) : يتضمن تقريره عن معلومات ضئيلة موثوقة عن الكورد يستشهد مراراً بما وضعه آخرون زاروا كوردستان ، وتشمل المقاطع المهمة البنية السياسية ودور المرأة الكوردية . ويشير إلى الإيزدية على أنهم كورد وذلك إعتماداً على أقوال غارتزوني .

١٧) جوزيبي كامبانيلي *Giuseppe Campanile* (١٧٦٢م – ١٨٣٥م) : طبع كتاباً في نابولي عام ١٨١٨م بعنوان (تأريخ منطقة كوردستان والفرق الدينية فيها) وهذا أول أثر أوربي مطبوع مخصص برمته لكوردستان وحدها ، ويقوم فيه المؤلف بتحليل البنى الإجتماعية والسياسية والإقتصادية لسكانها ، ولكن نزعته مناوئة للكورد مع الأسف وهي متأتية من عدم إدراكه للعادات والتقاليد المحلية . يتكون الكتاب من ثمانية فصول ، مقسومة إلى فقرات ، ويتوقف في الفصل الثاني عند البنبة السياسية ويعطي الفصل عنوان (في إمارات كوردستان وسيادتها *De Principati del Kurdistan* الفصل ٢ ، ص ٦٥ – ٦٧ . ويتحدث في الفصل الثالث عن فكر الكورد الديني (ص ٧٠ – ١٤٥) وفيه يقدم تقريراً مفصلاً عن المعتقدات والممارسات السحرية والعقائد التي كان له فيها دور . ويدخل في هذا الفصل العادات والتقاليد والمنتوجات والتجارة والفن والغذاء والملابس واللهو . ويخصص المؤلف جزءاً كبيراً للإزدية في الفصل الرابع (ص ١٤٦ – ١٦٥) ، أما

---

(١٠) راجع كتابه الموسوم بعنوان :

Maurizio Garzoni, Grammatica e vocabolario della Lingua Kurda, Roma, Stamperia della Sacca Congregazione di Propaganda Fide, 1787, 288 pp.

الفصول اللاحقة فيخصصها للعشائر الرحل والأقوام الأخرى التي تعيش في كوردستان .

وللفصل الأخير أهمية خاصة فهو «في الأهمية العسكرية والسياسية والتجارية لمنطقة كوردستان» (ص ٢٠٣ – ٢١١) ولا تزال ملاحظاته والإستنتاجات التي أتى بها مقبولة حتى يومنا هذا ، فهو يبرز بشكل ملحوظ موقع كوردستان الستراتيجي . ثم يلاحظ أهمية ثروة كوردستان الإقتصادية والتجارية ، إذ أنها برأيه من المناطق الأكثر إكتفاءاً إقتصادياً بحيث تختلف عن سائر مناطق الشرق الأوسط بسبب مستودعاتها المعدنية والصناعية ، والنفطية بصورة خاصة .

١٨) جوفاني باتيستا رامبولدي *Giovanni Battista Rampoldi* (١٧٦١م – ١٨٣٦م) : ألّف كتاباً بعنوان (يوميات إسلامية ، ميلانو ١٨٢٢م – ١٨٢٦م) وفيه إشارات عن الكورد وإنتفاضاتهم ضد العباسيين في القرن التاسع الميلادي ، ويلخص في الهامش ٢٥ تأريخ الكورد منذ بداياته وحتى زمانه ولكنه نبذة مشحونة بأخطاء ، وهو يستقي معلوماته من نيبور .

١٩) جوليو فيرارىو *Giulio Ferrario* : يتطرق في كتابه (النظام القديم والحديث ... ميلانو ١٨١٨م – ١٨١٩م) عن الكورد في الفصل المخصص للفرس ، ويتكلم عن حياة البداوة الكوردية وضآلة عدد العائشين منهم في المدن .

٢٠) ج . ب . مارغارولي *G. B. Margaroli* : ألف قاموساً جغرافياً – تأريخياً للإمبراطورية العثمانية في ميلانو عام ١٨٢٥م ، إستقى معلوماته عن الكورد وكوردستان من نيبور ورامبولدي .

٢١) ب . بيونديلي *B. Biondelli* : ألف قاموس (الثقافة التأريخية الكنسية ، البندقية ١٨٤٠م – ١٨٦١م) فيه معلومات مركزة عن الكورد وكوردستان ، لاسيما فيما يخص تطور الكنائس المحلية والرسالات الكاثوليكية وأوضاعها والأوضاع الإقتصادية في مدن مثل سعرد التي كان فيها كرسي أسقفية كوردستان ومدينة الموصل المشهورة كمركز

تجاري ومستودع العفص والصمغ وشمع كوردستان .

٢٢) تشيزاري كانتو *Cesare Cantu* : مؤلف كتاب (تواريخ مقيدة للتأريخ الشامل ، تورينو ١٨٥١م) ، يتطرق فيه إلى كوردستان الشرقية ومدنها مثل كرمنشاه وسنه والحروب الدائرة بين فرقة الكورد وفرقة القاجار .

٢٣) ف . مارموكي *F. C. Marmocchi* : في كتابه المطبوع في تورينو عام ١٨٥٧م دروس عن الجغرافية التأريخية القديمة للعصرين الوسيط والحديث يتكلم فيه عن المدن الكوردية منذ أقدم العصور وحتى القرن الثالث عشر .

٢٤) س . ميني *C. Mini* : طُبع كتابه عن آسيا في جينوا عام ١٨٥٩م ، وفيه معلومات عن الكورد ويعتبر كرمنشاه المركز الرئيسي لبلاد كوردستان ، ثم له ملاحظات عن الفرق الدينية الكوردية .

٢٥) أوغسطينو ماركي *Augostino Marchi* (١٨٠٥م – ١٨٧٥م) : يتطرق في رسالته إلى رئيس الآباء الدومينيكيين فينشنتزو لاماركي في روما عام ١٨٤٣م إلى سكان كوردستان وحالتها الإقتصادية ومشاكل الرسالة الدومينيكية فيها .

٢٦) غايتانو أوسكولاتي *Gaetano Osculati* (١٨٠٨م – ١٨٨٤م) : ألف عام ١٨٤٤م كتاباً عن رحلة قام بها إلى إيران والهند وله إشارات عن الكورد وموقع كوردستان والضرائب التي تُجبى هناك ودور المرأة الكوردية في مغامرات السطو على القوافل .

٢٧) كريستينا تريفوازيو أميرة بيليجوزو *Cristina Trivulzio Principessa di Belgioioso* (١٨٠٨م – ١٨٧١م) : بعد رحلة إلى الشرق ، طبعت كريستينا بيليجوزو في باريس كتاباً بعنوان (آسيا الصغرى وسوريا ، ذكريات ورحلات ، طبعة باريس ١٨٥٨م *M. me la Princesse de Belgjojoso, Asia Mineure et Syrie (souvenenirs se Voyages, Paris, Lévy, 1858* . تُذكرنا خلاصة الرحلة هذه بما

كتبته مدام شانتر *Madame B. Chantre, A travers l'Arménie russe, Paris, Hachette, 1893.* التي سافرت وحدها أيضاً إلى كوردستان في نهاية القرن التاسع عشر ، وقامت المؤلفة برحلتها عام ١٨٥٥م حيث تطرقت في كتابها إلى أوضاع القرى الكوردية التي تنقصها كل شئ ، تسكن النساء مع أولادهن في هذه القرى ، بينما يقوم الرجال بحراسة قطعانهم في أرجاء الإمبراطورية العثمانية ، وتُعبر عن إعجابها بهذا الشعب . ثم تتكلم عن ملامح الشخصيات الكوردية ونفسياتهم وعن الأسباب الموضوعية التي تحدو الكورد إلى الثورة الدائمة ، وثمة فصل بعنوان (أمير كوردي) يحتل جزءاً كبيراً (ص ١٤٥ – ٢٧٦) من الكتاب .

٢٨) اليساندرو دي بيانكي *Alessandro de Bianchi* (المتوفي سنة ١٨١٩م) : بعد أن إجتاز كوردستان وأرمينيا وجيورجيا بمرافقة الجيش الإمبراطوري العثماني جمع معلومات عن الأحوال الطبيعية والإجتماعية والسياسية والدينية والعسكرية لهذه البلاد ودونها عام ١٨٥٩م في القسطنطنية ؛ ثم طبعها ككتاب في ميلانو عام ١٨٦٣م بعنوان (رحلات إلى أرمينيا وكوردستان ولازيستان) يحتل قمة الإبداع في الأدب الإيطالي فيما يخص القضايا المطروحة في القرن التاسع عشر . قام المؤلف بكتابة التأريخ الكوردي منذ أقدم العصور وحتى زمانه ، وتكلم عن عادات الكورد وتقاليدهم ولغتهم وحالتهم الإقتصادية والتجارية ، ورسم لنا أجمل لوحة عن المرأة الكوردية ، ثم تطرق إلى سياسة الإمبراطوريات العثمانية والإيرانية والروسية حيال كوردستان ، وهكذا قدّم بيانكي لوحة بسيطة ، طبيعية ، غنية ودقيقة عن كوردستان كما شاهدها بنفسه .

٢٩) فيليبو دي فيليبي *Filippo de Filippi* (١٨١٤م – ١٨٦٧) : درس علوم الحياة وقام برحلة ضمن بعثة دبلوماسية إيطالية إلى إيران إلتقى خلالها بالإيزدية وبدو الكورد ومدنييهم في غرب إيران ، حفظ ذكرياته عن هذه الظواهر في كتاب أسماه (ملاحظات حول رحلة إلى إيران سنة ١٨٦٢م ، ميلانو ١٨٦٥م) .

٣٠) ألفونسو غاروفاغليو *Alfonso Garovaglio* : قام برحلة إلى سوريا وبلاد ما بين النهرين ، وجد خلالها علاقات مع الكورد في أورفه والجزيرة وبغداد تكلم عنها في كتابه المطبوع بميلانو عام ١٨٩٦م .

٣١) غايتانو سولانيلي *Gaetano Solanelli* : كتب تقريراً بعنوان (أرمينيا والمناطق العائدة لتركيا ، روما ١٨٨٢م) ، يحْمِل معطيات دقيقة جداً فيما يخص الوحدات القومية في المدن الأرمنية والكوردية ، حيث يُقدّر الكورد في أرمينية بحوالي مليون ونصف المليون ، أما الرحل فهم حوالي مائة ألف نسمة . ثم يتطرق إلى المذاهب واللهجات الكوردية .

ومهما يكن الأمر ، فمع المصنفات المتخصصة التي قام بها گارتزوني وكامبانيلي ودي بيانكي *Garzoni, Campanile, De Bianchi* ، فإن المرسلين قاموا بعمل ذي أهمية بالغة لتعريف الإيطاليين بكوردستان وسكانه . ومن جهة أخرى فإن الديانة والتجارة وحب الإستطلاع إشتبكت مع السياسة حيث أصبحت كلها المحرك الأساسي لإكتشاف أرجاء آسيا النائية . فتقارير الرحلات الأولى ذات الأهمية العلمية ، تبدأ بيد الأخوان نيكولو وماتيو بولو *Nicoleoe & Matteo Polo* عندما إنطلقوا نحو آسيا سنة ١٢٥٩م ، ثم أخذا في الرحلات اللاحقة إبن أخيهما ماركو بولو *Marco Polo* وذلك في السنوات ١٢٧١م – ١٢٩٥م ، وقد ترك لنا هذا شهادة موجزة عن كوردستان في كتابة المليون (*Il Milione*) .

أما الدومنيكي ريكولدو دا مونتيكروتشي *Ricoldo da Montecroce* فترك دير مريم العذراء في فلورنسا ومضى للتبشير في بلاد المغول فطاف في أرمينيا وبلاد ما بين النهرين وكانت له مجادلات مع علماء المسلمين في بغداد ، ووعظ في الموصل ، ونقل إلينا أخباراً عن كوردستان بعد أن مرّ بشقلاوه وقطع جبال رواندز وإتجه إلى الموصل . ولتقوية الروابط في القرن الخامس عشر بين جمهورية البندقية وإيران ، بعثت البندقية رُسلاً إلى البلاط الفارسي ، منهم بربارو وكونتاريني الذي نجا عام ١٤٧٤م من هجوم الكورد

عليه في جبال طوروس . ورغم خسـران الأسبقية في التجارة في القرن السادس عشر ، وعلاوة على ذكر رحلات قام بها بعض الرحالة أمثال رونتشينوتو أو بعض التجار أمثال بالبي ، نلقى زيادة في التقارير عن كوردستان . أما في القرن السابع عشر ، فقد تدهورت الصناعة والتجارة الإيطالية وإنخفض بذلك عدد الذين كانوا ما يزالون يسافرون سعياً وراء التجارة إلى عدد الأصابع ، ولم يبق سوى ندرة من الفضوليين والعلماء والمرسلين الذين توجهوا نحو الشرق ، ووصف بيترو ديلافالي كوردستان وشعبها بدقة وتفاصيل ثمينة . وترك الطبيب البندقي ليغرينزي *Legrenzi* معلومات تستحق الإهتمام من خلال رحلته إلى وادي الرافدين وكوردستان وإيران والهند . ويعود الفضل إلى المرسلين في كونهم من الأوائل الذين درسوا اللغات القديمة والحديثة للشعوب التي عملوا عندها ، والعديد من كتب القواعد والمعجمات التي وضعوها لا تصل المستوى العلمي ، لكننا لو لاحظنا الفترة الزمنية التي نشرت فيها هذه المؤلفات ، إضطرنا الأمر إلى الإقرار بأنها ذات فوائد جليلة حتى أيامنا هذه ، ولاسيما لدراسة تطور اللغة ، وتنطبق هذه الملاحظات على كتاب (قواعد ومعجم اللغة الكوردية) الذي وضعه گارتزوني *Garzoni, Grammatica e Vocabolario della Lingua Kurda* ، فهو أول من دافع في الغرب عن إصالة اللغة الكوردية بعدما كانت تُعتبر حتى يومذاك لهجة فارسية . ورغم المؤلفات العديدة التي طبعها كل من لانزا وگارتزوني وكامبانيلي المتعلقة باللغة الكوردية والبنى الإجتماعية والسياسية والإقتصادية في كوردستان ، إضافة إلى الملاحظات المتعلقة بالعادات والتقاليد والمذاهب ، إلا أن جميعها تحمل غالباً نظرة أوربية منحازة ، إذ أن الرهبان كانوا يرسمون عادة النواحي السلبية للمجتمع الكوردي ، بينما كان الرحالة من العلمانيين وذوي الأفكار التحررية ، أمثال ديلافالي و دي بيانكي يقيمون النواحي الإيجابية والخصوصيات

المهمة وذلك بكل إهتمام ، مع تقبل لما عليه الكورد دون محاولة تشويه في مجرى حياتهم أو مساس بالأسس الخلقية والثقافية والعلمية التي يرتكز عليها مجتمعهم .

وهكذا لا يسعنا تقييم كل أعمال المرسلين بشكل إيجابي فيما يخص أحكامهم بشأن العادات والتقاليد والديانات المحلية ، لأنها كانت أحكاماً مفعمة بنزعة أوربية مركزية وعقائدية ، فجاءت تقاريرهم ثمرة نظرة متحيزة . ومع ذلك نرى من بين المرسلين الإيطاليين الذين عملوا في الرسالة الدومينيكية شخص حمل بعد إعتناقه الإسلام إسم الشيخ منصور كان له تأثير كبير في أواخر القرن الثامن عشر ، وقد قاد عشرة آلاف كوردي وإستولى في الفترة الواقعة بين سنة ١٧٨٥م و ١٧٩٠م على بدليس وسعرد وأرضروم ، ومضى حتى القوقاز ، حيث أخضع أقواماً عديدة ، فهاج الروس لإنتصاراته هذه ، وأرسلوا قواتهم لمحاربته ، وإستطاع أن يحقق إنتصارات أخرى حتى دحرّه الروس فسجنوه في دير أركانجيل حيث توفي في السجن بعد عشرين عاماً . وعقيب سنة ١٨٤٨م ، غدا كوردستان ملجأً لمواطنين إيطاليين إضطروا مغادرة إيطاليا لأسباب سياسية ، وجلهم من مقاطعة لومبارديا وفينيتو(١٠) . ونُشر سنة ١٨٦٣م كتاب دي بيانكي الذي يمكن إعتباره أهم مرجع أدبي إيطالي في الموضوع ، لأن المؤلف ، وهو ضابط في الجيش ودكتور في القانون ، قام بأسفار متعددة إلى كوردستان أبان خدمته في الجيش ، وحمل إحتراماً عميقاً للشعب الكوردي .

ومرّ في إيران كل من دي فيكي وأوسكولاتي فتركا إشارات خاطفة عن الكورد ، تلتهما بعد عشرات السنين بعثة ملكية إيطالية لم تترك لنا تقريراً رسمياً مع الأسف ، لكن نُشر في أواخر القرن التاسع عشر كتاب *Garovaglio* الذي كانت له علاقات مع الكورد أثناء إقامته في الشرق . وبوسعنا القول أنه لم يظهر بعد كتاب دي بيانكي أي

تحليل أو تقرير ذي أهمية حول الكـورد وكوردستان ، حتى أنه يمكن القول أن خيط الأدب الإيطالي بشأن هذا النوع من المواضيع إنقطع مدة قرن ونيف وتنقطع منذ الوحدة الإيطالية العلاقات والإهتمامات بكوردستان وبالشرق الأوسط عامة . ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن بعض المصادر الأجنبية نُشرت باللغة الإيطالية في القرن التاسع عشر تمثل حلقة وصل بين روح النهضة الإيطالية وحركات الشعوب المظلومة ، فقد خصص شفايكر – لرشنفيلد صفحات كاملة للعادات والتقاليد التي تتناول المرأة الكوردية(١١) ، بينما يأتي قبله في الأهمية كتاب الجنرال البروسي الذي حارب الكورد فون مولتكه يكشف عن حنكة وثقافة وأناة في دراسته للمعضلة الكوردية .

---

(١٠) راجع ... *J. Ussher, A Journey from London to Persepolis* ، ص ٢٩٠

(١١) *Schweiger - Lerchenfeld, I costumi delle donne. Descrizione dei più*

في ألمانيا :

يُعتبر سيرة رحلة (سياحتنامه *Reisebuch*) الصائغ البافاري (١٣٩٤م – ١٤٢٧م) من أقدم المصادر الألمانية التي يتطرق فيها كاتبها إلى الكورد ، وكَتب *Thomas Von Wiering* عام ١٦٨٤م تقريراً حول حروب الدولة العثمانية ونَشره عام ١٦٨٤م في هامبورغ بعنوان *Turchis-Estats-und Kreiegs-Bericht* يشرح فيه مشاركة الكورد في هذه الحروب . وفي القرن الثامن عشر ، نُشر عدد من التقارير ، ومنها تقرير نيبور *Niebuhr* الذي قام برحلة إلى البلاد العربية طُبع عام ١٧٦٦م بعنوان *Reisebeschreibung nach Arabien und anderen umliegenden Lander, Teil II (Die Kurden), 1766* تحدث في القسم الثاني منه عن الكورد ، كما أن شخصاً آخر بإسم *J. Berg* قام في نهاية القرن الثامن عشر برحلة أخرى إلى الأنضول وجيورجيا وأرمينيا وكوردستان والعراق والجزيرة ونشر ملاحظاته عام ١٧٩٩م عن هذه البلدان وأرفق عدداً من رسومات جميلة بكتابه(١٢) .

أما في القرن التاسع عشر ، فصُدر مؤلفات عديدة تتحدث عن الكورد وكوردستان . فالعلماء والمفكرون الألمان ، لسبب أو لآخر ، لم ينشغلوا في هذه الفترة بأدبيات الكورد ولغتهم فحسب ، وإنما درسوا هذا الشعب من كل الجوانب . وفي نهاية هذا القرن إشتهر

---

svariati ed originali costumi delle donne d'ogni paese, trad. con note di E. Migliorini,Milano,Vallardi, cap. 3 ; vita nomade dei Kurdi, PP. 54-60

(١٢) نشر الأستاذ جمال نبز لمحة عن تأريخ الدراسات حول الكورد في ألمانيا في مجلة المجمع العلمي الكوردي (المجلد الثاني ، العدد الأول ، بغداد ١٩٧٤م) ، تطرق بالتفصيل إلى كل الذين كتبوا بالألمانية عن الكورد سواء من الألمان أو من الكورد الذين درسوا في ألمانيا . راجع الصفحات ٤١٧ – ٤٩٧ من المصدر المذكور .

في ألمانيا كتاب أصدره كارل ماي (١٨٤٢م – ١٩١٢م) بعنوان *Durchs Wilde Kurdistsn* «في كوردستان المتوحشة» من دون أن يزور هذه البلاد شخصياً حيث يسرد فيه بعض الحكايات الأسطورية الخاصة بالأطفال مع التطرق إلى الصفات الحميدة عند الكورد . وكان قد أصدر المؤرخ النمساوي فون هامر *Von Hammer* قبل كارل ماي مجموعة من الكتب حول تأريخ الإمبراطورية العثمانية وإستقى بعض المعلومات من الجزء الثالث لسياحتنامه أوليا جلبي ، وبناءً عليها تحدث عام ١٨١٤م عن اللغة الكوردية ولهجاتها ، ثم قام نمساوي آخر هو *Von Klaproth* بجمع مفردات كوردية وقارنها مع المفردات الفارسية واللغات الإيرانية الأخرى ونشر ملاحظاته حول هذا الموضوع بعنوان *Von Klaproth, Julius - Heinrich, Kurdisches Woerterverzeichnis mit dem persischen und anderen verwandten Sprachen verglichen, in Fundgruben des Orients Wien 1818, t. VI, s. 349 - 358* . وفي القرن التاسع عشر قويت العلاقة بين بروسيا والدولة العثمانية ، فقام عددٌ كبيرٌ من ضباط الجيش البروسي في الخدمة داخل الجيش العثماني ، ومنهم هيلموت فون مولتكه *Helmuth Von Moltke* الذي رُقي فيما بعد إلى رتبة فيلد مارشال في الجيش الألماني . وبناءاً على مشاركته ضمن القوات العثمانية في الحروب ضد الكورد ، كتب مولتكه مجموعة من الرسائل إلى زوجته ، يتحدث فيها عن صفات الرجولة والشجاعة النادرة لدى الكورد أثناء المعارك التي جرت فيما بين سنين ١٨٣٦م – ١٨٣٩م حيث ظلت عنده هذه النظرة طوال عمره يفتخر ببطولة ونبل هذا الشعب . وخلال هذا القرن ، توجه عدد من الرحالة الألمان إلى كوردستان مثل *Sandreczki* الذي نَشر ملاحظاته في هذه الرحلة بعنوان *Reise nach Mosul und durch Kurdistan nach Urmia, Stuttgart, 1857* ، ثم تبعه بلان فتجول في كوردستان وكتب عن أحوال سكانها في المناطق الشمالية التى تُعتبر الآن جزءاً من جمهورية تركيا ونشرها بين أعوام ١٨٥٨م – ١٨٦٢م في مدينة لايبزغ بألمانيا

(*O. Blan, Die Stämme des nordöstlichen Kurdistan, Leipzig 1858 - 1862*)

وفي مجلة جمعية المستشرقين الألمان ZDMG كتب بلان مقالين في عـامي ي ١٨٥٨م و ١٨٦٢م تحدث فيهما عن قصة رحلته إلى المناطق الواقعة فيما بين بحيرتي وان وأورميه . وفي عام ١٨٦٣م نشر شترِيكر **Strecker** ملاحظاته عن الكـورد بعدمـا تجـول في حـوض نهر الزاب الكبير ، ثم لحقه **Vambery** الـذي نشـر معلوماتـه عـن كوردسـتان الشـرقية . وأثناء مرور بيكر **Becher** بالمناطق الواقعـة فيمـا بـين البصـرة – الموصـل – حلـب إلتقـى بالمستوطنات الكوردية التي تحدث عن سكانها وطبائعهم في مقال نشرها عام ١٨٧٣م ثـم نشر **Pachstein** في برلين عام ١٨٨٣م مقـالاً عـن كوردسـتان بعدمـا زارهـا في النصـف الثاني من القـرن التاسـع عشـر ، وعقـب زيـارة إلى كوردسـتـان وأرمينيـا طبـع **Wunsch** كتابين ، خصص أولهما المطبوع عام ١٨٨٢م للتحدث عن بلاد الكورد . وفي نهاية هـذا القرن ، قام **M. Belck** برحلـة دراسـية إلى كوردسـتان كتـب مقـالين عنهـا ونشـرهمـا في عامي ١٨٩٣م و ١٨٩٦م .

بالرغم من أن عدداً مـن مؤلفـي الكتـب ومسـجلي التقـارير الألمانيـة مثـل ف . ك . هانس وكهير تزفيلد ، إعتبروا اللغة الكوردية لهجة فارسية وألقوا بعـض التُهـم علـى عـاتق الكورد عند زيارتهم المناطق الشرقية مـن الإمبراطوريـة العثمانيـة ، إلا أن المختصـين منهـم درسوا أحوال هذا الشعب من وجهة نظر علمية مثل فردريـك فـون بـودن الـذي نشـر في سنة ١٨٤٩م بحثاً حول الأغـاني والموسـيقى الكورديـة ، كمـا تُرجمـت ثلاثـة أجـزاء مـن مؤلفات العالم الروسي بيتر ليرخ **Peter Lerch Ivanovitsch** إلى الألمانية في سنة ١٨٥٧م – ١٨٥٨م تضم تحليلات وبحوث حول الكورد والخلديـين الشـماليين ، وفي نفـس الفـترة نشر **H. A. Barb** عضو الأكاديمية العلمية في فينـا خلال عامي ١٨٥٨م – ١٨٥٩م عـدة تقارير حول الكتاب التأريخي الشهير الشرفنامه لشرف خان البدليسي ، ثم قـدّم فردريـك ميولر النمساوي نتاجات ثلاث حول اللغة الكوردية أحدهما معجم (كوردي – سرياني)

طُبع في فينـا عام ١٨٦٣م ، والآخر حول لهجة (زازا) طُبع كذلك في فينـا عام ١٨٦٤م ، والثالث حول اللهجة الكورمانجيـة الشـمالية طُبـع في فينـا عـام ١٨٩٤م . وبالإضافـة إلى هـؤلاء ، فقـد نشـر شـليفل *Schläfel* عـام ١٨٦٣م تحليلآتـه الأثنوغرافيـة عـن المجتمـع الكوردي ، ثم كتـب البروفيسـور فرديـاند يوسـتي *F. Justi* بحثـاً حـول (أصوات اللغـة الكوردية) مع مقارنتها باللغات الهندو - إيرانية ، كما طبـع عـام ١٨٨٠م في بطرسـبورغ دراسة عن القواعد الكوردية . وبعد فترة وجيزة (خلال أعوام ١٨٨٤م - ١٨٨٨م) نـرى مقالات منشورة في مجلة جمعية المستشرقين الألمان *ZDMG* تتعلق بالمفردات الكورديـة مـن قبل *Houtum - Schindler* وقـام البروفيسـور النمسـاوي *Albert Socin* المتخصـص في الشؤون الإسلامية بجامعة لايبزغ بالمشاركة مع إيغن بـيرن *Egen Perin* بـإصدار كتـابين بـين أعـوام ١٨٨٧م - ١٨٩٠م يحتويـان الأسـاطير والقصـص والحكايـات الفولكلوريـة الكورديـة . ومـن الجديـر بالإشـارة هنـا إلى البروفيسـور ثيـودور نولدكـه (١٨٣٦م - ١٩٣٠م) الذي كتب بحثاً عام ١٨٩٨م تطرق فيه إلى علاقة الكورد بالقبائل الكورتية بعد رفضه هذا النمط من العلاقة مع الكردوخيين .

وفي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، توجه علمـاء ألمـان مشـهورون كالبروفيسور أوسـكارمان وفـون لكـوك وأدوار سـخاو ومـارتن هارتمـان إلى كوردسـتان ونقلوا منها مخطوطات كوردية كثـيرة إلى متـاحف ألمانيـا وقدمـوا بحوثـاً ودراسـات حـول تأريخ ولغة وأدب الكورد وتبعهم في ذلك كل من هوغو مكـس وفـون هـاندل ورودلـف فرانك . وهناك من الألمان من كتب مقـالات عسـكرية وسـتراتيجية تخص كوردسـتان ، منهم گراف ڤيستارپ وإيڤالدبانز وفيلهلم باخمان والبروفيسور ماكسيميليان بيتنر .

مهدت هذه الدراسات الطريق بعد الحرب العالمية الأولى أمـام بعـض العلمـاء الألمـان لكي يقوموا بتقديم دراسات أخرى حول اللغـة الكورديـة أمثـال كـارل هدانـك وبرلينـر وبورخارد وتيلگه وهيسه وأرنست كليپل وزيلك وفوْن ڤيزن وغيرهم . وفي فترة الحرب

العالمية الثانية ، نشر كل من أوتوفيرنر وفوّن هينتيگه كراساً في پوّتسدام تحت عنوان (من كوردستان ... إلى الوطن) حاولا فيه كسب ود الكورد لدفعهم ضد الإنجليز ، وأوكلت هذه المهمة ، في الواقع ، إلى الضابط الألماني گوتفريد يوهانيس الذي ألف كتاباً حول الموضوع ونشره في سنة ١٩٣٧م بعنوان (الولوج إلى كوردستان المغلقة) وكتاب آخر بعنوان (في الشرق المشتعلة) ، وفي هذا الأخير يتطرق هذا الضابط كذلك إلى خصال الشعب الكوردي وعاداته الحميدة .

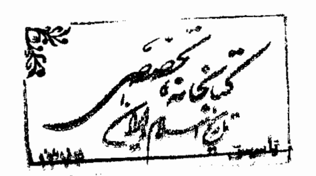
أما في أواسط القرن العشرين ، فقد كرّس بعض الألمان وقتهم في دراسة الكورد وقضيتهم الوطنية ، ومنهم العالم الألماني وأستاذ الأثنولوجيا بالجامعة الحرة في برلين فولفگانگ رودولف الذي أشغل نفسه في دراسة الثقافة والحياة الإجتماعية في كوردستان . وبعد زيارة إلى كوردستان الشمالية عام ١٩٥٨م نشر عام ١٩٥٩م مقالين في مجلتي (العلم والتكنيك) و (سوسيولوجي) ، ثم زار كوردستان الشرقية عام ١٩٥٩م و عام ١٩٦٤م - ١٩٦٥م وكتب عنها بعض المقالات ومنها عن قبيلة فيض الله بك بوكان . وبعد قيام الثورة في كوردستان الجنوبية عام ١٩٦١م قام الصحفي الألماني كارستين ديتمان بجولة فيها رافق خلالها بعض الأنصار المحاربين ، وبعد عودته ألف كتاباً عن هذه الثورة ودعم أقواله ببعض مناظر الوطن الكوردي والمقاتلين من أجل تحريرها ، وفي نفس الفترة ظهرت دراسات باللغة الألمانية من قبل غير الألمان . فكتب البروفيسور السويدي شتيك فيكاندر مقالاً عن عيد يُقام في كوردستان جاء ذكره في كتاب آفيستا زرادشت . ويقول أن الصحفي الآيسلندي ارلندر الذي زار كوردستان في ١٩٦٣م و ١٩٦٥م ألف كتاباً باللغة الآيسلندية ثم نُشر بالألمانية بإسم (كوردستان ... بلد في ثورة) وقد بيّن وجهة نظره الموضوعية تجاه المسألة الكوردية .

ت) في روسيا وقفقاسيا :

منـذ العصر الميـدي ، سكنت الكورد في بعض تخوم قفقاسـيا ، ومنـذ القـرن ١٠ – ١١ دخلت مساكن الكورد في هذه التخوم تدريجياً ضمن الحدود السياسية والإقتصادية للإمبراطورية الروسية ، وفي القرن الثامن عشر أصبحوا يمثلون إحدى المجموعات الأثنية التي دخلت في محور إهتمام الرحالة وعلما الأثنوغرافيا الروس ، وعلى هذا الأساس طبعت أكاديمية العلوم الروسية في بطرسبورغ عام ١٧٨٧م (القاموس المقارن لجميع اللغات واللهجات) وكان يضم ٢٧٣ كلمة بـ ٢٠٠ لغة ، بما فيها اللغة الكوردية كما يقول پ . س . پالاس(١٣) . وفي أواسط القرن التاسع عشر ، نُشرت بإختصار بعض الكراريس عن أصل ونفوس وتقاليد الكورد ، ثم نُشرت بعض المعلومات عن العشائر الكوردية الرحالة ضمن عدد من الإحصائيات والمطبوعات الرسمية . وقد إهتم علماء الروس بالكورد أكثر فأكثر بعد الحروب الروسية – التركية والروسية – الإيرانية ، فظهر في أفق الدراسات بروسيا القيصرية أعمال كل من ڤ. ديتيل الذي تجول في كوردستان ثلاث سنوات وكتب عن مواضيع جغرافية وأثنوغرافية ولغوية وقام خ . آبوڤيان بنشر مقالاته في مجلة (قفقاسيا) الصادرة في تفليس وكانت تتعلق بمسائل الأثنوغرافيا والتأريخ والحياة الإجتماعية والعادات والتقاليد واللغة والأمثال الشعبية ، ودرس إي بـيريزين أستاذ

---

(١٣) إستندنا في هذا الكلام على ما وردت من معلومات في القسم الخاص بالمصادر في رسالتنا الموسومة بعنوان (دراسات حول تأريخ كوردستان قديماً ، صوفيا ١٩٧٣م) ، وقد إستندنا في ذلك على ما نشرتها ژ. س . موسيليان باللغة الروسية حول نفس الموضوع وذلك بعنوان (بيبليوغرافيا الدراسات الكوردية) ومن الجدير بالذكر أن د. عبد الرحمن معروف نشر مقالاً حول نفس الموضوع ونشره في العدد الأول ، المجلد الثاني من مجلة المجمع العلمي الكوردي ، بغداد ١٩٧٤م ، ص ٤٩٩ – ٥٦٨ .



جامعة قازان اللغة الكوردية حيث تعلمها ونشر ملاحظاته عنها في قازان عام ١٨٥٣م بعنوان (دراسة في لهجات فارس) . أما ب . ليرخ فقد أرسل من قبل المجمع العلمي الروسي إلى مدينة روسلاڤل وكان فيها ٥٠ سجيناً كوردياً ، درس لغتهم عن طريق المعاشرة خلال ثلاثة أشهر ، فألف على إثر هذه الدراسة ثلاث كتب حول الكورد وكوردستان بين أعوام ١٨٥٦م - ١٨٥٧م - ١٨٥٨م معتبراً الكوردية إحدى اللغات الأصيلة في المجموعة الإيرانية(١٤) . وبين أعوام ١٨٣٦م - ١٨٦٩م بدأ القنصل الروسي البولندي الأصل في أرضروم آ . ژابا بتعلم اللغة الكوردية ، ثم جمع مواداً متعلقاً بالأدب والفولكلور والأثنوغرافيا عند الكورد ، كما إهتم بالمخطوطات الكوردية ، وحُفظت جميعها في المكتبة العامة لمدينة بطرسبورغ ، وقد طَبع هذا العالم عام ١٨٦٠م مجموعة من الحكايات الكوردية باللغتين الكوردية والفرنسية وهو صاحب أول قاموس كوردي - فرنسي طبعه بعد وفاته العالم فرديناند يوستي عام ١٨٧٩م بقرار من الأكاديمية الروسية . ومن جهته ، فقد قام يوستي نفسه عام ١٨٨٠م بنشر كتاب عن القواعد الكوردية مع مقارنها مع اللغات الإيرانية . وفيما بين عامي ١٨٦٠م - ١٨٦٢م حقق ڤ.ڤ. ڤيليامينوڤ زيرنوڤ نصوص مخطوطة (الشرفنامه) لشرف خان البدليسي الذي كتبه في الأصل بالفارسية حيث ترجمها ف . ب . شارموا إلى اللغة الفرنسية وطبعها بين

---

(١٤) راجع مثلاً كتابه الموسوم بعنوان :

П . Лерх, Исследования Об Иранских Курдах и их Предеах Северних Халдеях, ПБ, Кн.1, 1856 , Кн. 2, 1857 , Кн. 3, 1858 .

وراجع الترجمة الألمانية لهذا الكتاب بعنوان :

P. Lerch, Forschungen Uber Die Kurden und Die Iranischen Nordchaldaen , Abt. III (3 Band), St. Petersburg 1856 - 1857 - 1858 .

أعوام ١٨٦٨م – ١٨٧٥م . وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي نشر كل من المستشرق آ. سوتسين كتاباً عن نفس الموضوع ولحقه آ . يگيزاروف فنشر من جهته كتاباً عن أثنوغرافية الشعب الكوردي . ولعل مقال ن . يا . مار *Н. Я. Марр* الموسوم بعنوان (مرة أخرى مع كلمة چلبي *Ещо Раз О Слово Челеби*) يُعتبر من أشهر الدراسات الروسية في هذه الفترة ، إذ حاول أن يثبت أصل التغيرات اللغوية التي جرت على سكان كوردستان القدماء بتحول الأصل اليافيثي لهذه اللغة إلى العالم الإيراني كما سنشرحه في كتابنا هذا .

وفي بداية القرن العشرين ؛ إنتهز المرحوم حسين حزني الموكرياني البادرة الروسية في دراسة الثقافة الكوردية ؛ ففتح أول مدرسة كوردية في قرية چامورلو بقفقاسيا درّس فيها أطفال الكورد ومن ضمنهم أبناء بثمشدينوف الكوردي وكيل القيصر فيما وراء القفقاس . وبعد ثورة أكتوبر الشيوعية وإقامة جمهورية كوردستان الحمراء ، تطورت تدريجياً الجهود في حقل الدراسات الكوردية التي وقعت مسؤوليتها على عاتق الكورد أنفسهم بالدرجة الأولى ، وبعد إلغاء هذه الجمهورية إثر موت لينين ؛ أصبحت كل من مدن يريفان وبطرسبورغ وموسكو وباكو المراكز الرئيسة في هذا المضمار . ومما يؤسف له ، فإن السلطة السوفياتية أجبرت أغلب الشعوب داخل إطار حكمها على إستعمال الكتابة الكيريلية الروسية ، ومن ضمنها الكورد في الجمهوريات القفقاسية ، فحُددت الأبجدية الكوردية في أرمينيا عام ١٩٢٨م على هذا الأساس ، وفُتحت في يريفان العاصمة مدرسة دُرست المواد فيها باللغة الكوردية ، ثم تأسست في عام ١٩٣٠م عدة لجان أرسل أعضاؤها إلى القرى الكوردية لجمع مواد تتعلق باللغة والأثنوغرافيا والفولكلور ، وقد إشترك عالمان كورديان في أعمال تلك اللجنة وهما أمين عودال وحاجي جندي ، كما أن مؤتمر الدراسات الكوردية الذي إنعقد في يريفان عام ١٩٣٤م كان له أكبر الأثر في تطوير الدراسات المتعلقة بالكورد وكوردستان . وفي عام ١٩٣٣م صُدر قاموس أرمني –

كوردي ، ثـم قـام آ . خاچوتوريـان عـام ١٩٣٢م بطبـع كتـاب عـن القواعـد الكورديـة بـاللغتين الأرمنيـة والكورديـة ، كمـا صُدر عـام ١٩٣٥م قـاموس أرمـني – كـوردي للمصطلحات العلمية . وفي ١٩٣٦م نَشر أمين عودال وحـاجي جنـدي كتاباً كبـيراً عـن الفولكلور الكوردي إحتوى بعض الأغاني والملاحم والأساطير الكورديـة ، ثـم قـام أمـين عودال بنشر سلسلة من الكتب منها أثنوغرافية يتحدث الكـاتب فيهـا عـن أوضـاع المـرأة الكورديـة (١٩٤٨م) ، وتقـاليد الكـورد فيمـا وراء القفقـاس (١٩٥٧م) . أمـا كـل مـن الأخويـن أوردوخـان جليـل وجليلـي جليـل فقامـا بجمـع ودراسـة الفولكلـور والتـأريخ ، ولحقهمـا كـل مـن خـالد چتـوّ الـذي أشغل منصـب رئيـس القسـم الكـوردي في معهـد الإستشراق التابع لأكاديمية العلـوم الأرمنيـة ، فنشـر بضعـة أعمـال عـن تـأريخ الكـورد ، وشاكرو خدو وآكوبوف ومكسيم خامو الذين عملوا في القسـم الكـوردي وفي مجلـة ريـا تازه بيريفان .

وفي عام ١٩٢٨م أرسل المسؤولون في أرمينيـا عـدداً مـن طـلاب الكـورد إلى المعهـد العمالي في بطرسبورغ ، وبعد تخرجهم ؛ تـمّ قبول بعضهم في معهـد اللغـات ، حيـث قـام البروفيسور أ. أ . فريمن رئيـس القسـم الإيرانـي بفتـح قسـم خـاص للغـة الكورديـة بهـذه المناسبة ، وفي شـهر شـباط مـن عـام ١٩٥٩م تم تأسيس (القسـم الكـوردي) بـأمر مـن الأكاديمي أوربيلي مدير الإستشراق في بطرسبورغ ، ولعب كل من فريمن وأوربيلـي دوراً كبـيراً في تطويـر علـم الكوردولوجيـا . وبعـد أوربيلـى تـرأس قنـاتي كوردوييـف القسـم الكوردي ، فقدم خدمات جليلة لعلم الكوردولوجيا ، ومنها في مجال اللغة ، ونشر أغلبهـا باللغة الروسية منها على شكل كتب ومنها مقالات ، ولحقته زاري يوسوبوفا الـتي كتبـت عن اللهجة الجنوبية ، كما قام أي . أي . تسوكرمان بالعمل في هذا المضمار . ثـم بـدأت م . ب . رودينكو منذ بداية الستينات من القرن العشرين بنشر مجموعة من الدراسات منه (مم وزين ، موسكو ١٩٦٣م) ، ومن أشهر الدراسات في هذه الفترة تلك الـتي نشـرها

أو . ل . ڤلچيفسكي ضمن كتاب أسماه (الكورد ... مقدمة في تأريخ وأثنوغرافيا الشعب الكوردي ، موسكو ١٩٦١م) .

أما في موسكو ، فقد لعب كل من ب . ڤ . ميللر و چ . خ . باكاييف و ن . أ . خالفين و أي . س . لازاريف وأريستوفا دوراً جدياً في تحليل بعض المسائل اللغوية وتأريخ الكورد وقضيتهم الوطنية وشاركهم في هـذا المضمـار العـالم الكـوردي چركس بكـاييف . كما قدم بعض طلاب الكورد من كوردستان الجنوبية عن رسائلهم في موسكو منهـم عـز الديـن مصطفـى رسـول (١٩٦٣م) ونسـرين فخـري (١٩٦٥م) وكوردستان موكريـاني (١٩٧٧م) وفي النهاية نود أن نشير إلى تلك الدراسات الـتي قدمهـا عـدد مـن الكـورد في معاهد باكو بآذربيجـان ، منهـم كـل مـن علـي گلاوێژ ورحيـم قـاضي مـن كوردستان الشرقية وكمال مظهر من كوردستان الجنوبية .

الفصل الثاني

المصادر الأولية وأهميتها في هذه الدراسة

المبحث الأول ـ مصادر عصور ما قبل التأريخ :

عند التطرق إلى المصادر الأولية ، سواء منها ما تعود إلى العصور الحجرية أو ما سَجلها ملوك سومر وأكد أو ما أكتشفت بين مخلفات المدن الحورية مثل نوزي وأرّابخا وما شوهدت في نصوص بابل وآشور ، وتلك التي خلفها الملوك الإخمينيون والفرث والساسانيون ، وما أكتشف من وثائق في كوردستان تعود إلى عصر يسبق العصر المسيحي وحصلت عليها البعثات الأثرية الأجنبية والمحلية أو ما كُتبت في العصر الهللينستي أو في العصرين المسيحي والإسلامى التي حقق أغلبها المستشرقون الأوربيون ، سنتعرف من خلالها على أحداث آلاف السنين الماضية بصورة مباشرة . فلما بدأ الإنسان القديم في مرتفعات طوروس وزاگروس بإنتاج قوته وتأمين وسائل عيشه بالتعاون مع بني جنسه ، تطور وعيه الفردي والإجتماعي تدريجياً ، فظلت فنونه ووسائل إنتاجه وأسلحته البدائية مصادر رئيسية لدراسة مجتمعات ما قبل التأريخ في هذه المناطق . فمصادر العصور الحجرية تُعبر عن الخلفية الثقافية الأولى للبشر ، وتشير في نفس الوقت إلى مراحل التطور على أساس أساليب إنتاجية معينة ، كما تُعبر في نفس الوقت عن البنية الذهنية للناس الذين توفرت لهم شروط طبيعية لكي يحققوا نمطاً من أنماط التجمع البدائي . وعلى الرغم من عدم وجود إشارات ومصادر توضح الروابط الجنسية والأثنية بين المجموعات البشرية البائدة وبين الشعوب المعاصرة ، لكن مخلفات الجهود العضلية والفكرية المكتشفة في الكهوف والقرى الزراعية الأولى أخذت تمثل بشكل أو بآخر بداية الثقافة الإنسانية في هذا الموطن أو ذاك أخذت تحتك وتمتزج مع بعضها البعض تدريجياً ،

تتأثر وتؤثر بالثقافات المجاورة ، فظهرت من خلال هذه الظاهرة أقوامٌ في مطلع العصر التأريخي تميزت بلغاتها وآدابها ووضعت بمرور الزمن الأسس الأولى لظهور الأمم . وبناءاً على هذه الحقيقة ، وعند حديثه عن المجتمع الشامي ، أشار الأستاذ المرحوم محمد كرد علي في حينه إلى « أن كل أمة عظيمة عُرفت في الشام طال عمرها بضعة قرون ثم فنيت في غيرها وأدغم الضعيف في القوي وتمثّل المغلوب في الغالب مع توالي الأيام والليالي ... هكذا يُقال في السريان والعبران واليونان والرومان »(١) ، ونفس الكلام يسري بإعتقادنا على العُربان والكوردان والطوران . فالخلفية الحضارية والثقافية لآسيا الصغرى مثلاً لا تُعبر بتاتاً عن البنية الذهنية التركية التي لم تظهر بدايتها في الأنضول وإنما ظهرت وتكاملت بتركستان في أواسط آسيا . وتسري الحقيقة نفسها على العرب في شمال أفريقيا ، وكذلك الحال مع الثقافة الإنجليزية في كل من أمريكا وأستراليا ، والأمر نفسه يسرى على الكورد في خراسان ولبنان وكرمان حيث ترجع منشأ ثقافتهم إلى كوردستان .

فبما أن الوطن الكوردي يمثل وحدة جغرافية ذات خلفية ثقافية قديمة منذ العصر الحجري القديم ، فإنه على هذا الأساس يُعتبر من أقدم مراكز الإستيطان فيما قبل التأريخ(٢) حيث بدأ أصحاب هذه الثقافة بإكتشاف الزراعة قبل ما يقارب من ١٢ ألفاً من السنين ثم نشأت في هذا الوطن مجتمعات ذات ثقافات متجانسة حددت سمات تطور حياة الإنسان في العصر النيوليثي بشمال وادي الرافدين حيث ورثتها ثقافات سكان

---

(١) محمد كرد علي ، خُطط الشام ، الجزء الأول ، دمشق ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥م ، ص ٥٩ .

(٢) يقول عالم الآثار الأمريكي رالف سوليكي ، معلقاً على كتاب الأخوان ويغرام الموسوم بعنوان (مهد البشرية ، لندن ١٩٢٢م) «من المؤكد أن هذا القسم من العالم ، كما يذكر مؤلفا مهد البشرية ، هو الموطن الذي خرج منه أجدادنا الهنود الأوربيون ...» . راجع الجزء الثاني من المجلد الثامن من مجلة سومر ، بغداد ١٩٥٢م ، ص ١٣ .

المستوطنات خلال مطلع العصور التأريخية في كل من وادي الرافدين وغربي إيران ، ثم حددت ثورتهم الزراعية فيما بعد الوجه المادي والروحي لسكان جنوب وادي الرافدين السومريين والأكديين .

وعلى كل حال ، فإن إستثنينا جولة عالم الآثار الفرنسي *Jacques de Morgan* في أواخر القرن التاسع عشر ، فإن التحريات الأثرية الأولى التي أجريت في كوردستان بدأت من قبل الباحثة دوروثي گارود عام ١٩٢٧م عندما زارت كهفي زرزي وهزارميرد حيث إكتشفت في الكهف الأول الذي يقع قرب ناحية سورداش بعض الأدوات الدقيقة التي كانت تعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى وتُعرف بالمايكروليث تشير معالمها على أنها أستعملت حتى إلى ما قبل ١٢٠ ألف سنة . أما الكهف الثاني الذي يقع على بُعد ١٣ كم غرب مدينة السليمانية فقد زاره كذلك العالم الأثري أفرام سبايزر دون أن يجري فيه تحريات جدية(٣) . فدوروثي وجدت في هذا الكهف أدوات وآلات مصنوعة من الحجر يرجع زمنها إلى العصر الموستيري وإلى قبل ما يقارب من ٥٠ ألف سنة ، وتشبه مثيلاتها التي شوهدت كذلك في كهف شانيدر الواقع على طريق بله – بارزان شمال مدينة أربيل ، ولكن لم تُكتشف في الكهفين الأولين هياكل عظمية للإنسان كما كان الحال في الكهف الأخير .

أعقبت محاولات الباحثة دوروثي گارود في موقع برده بلكه تحريات أخرى أجراها كل من هربرت ي . رايت وبروس هاو عضوي بعثة التنقيب الأمريكية في المستوطن

---

(٣) راجع نتائج دراستها في :

D. A. B. Garrod, The Paleolithic Of Southern Kurdistan, Excavations The Caves Zarzi and Hazar Merd. Bulletin No. 6, American School Of Prehist. Research. New Haven 1930 .

(جرمو) حيث إكتشفا فيه آثاراً تعود أيضاً إلى العصر الموستيري(٤) . لقد قامت گارود بواجبها في مطلع القرن العشرين ، إلا أن نتائج أعمالها لم تكن بمستوى أعمال رالف سوليكي وزوجه روزا اللذان أجريا الحفريات في كهف شانيدر بجبال برادوست بين أعوام ١٩٥١م – ١٩٦١م رغم الإنقطاع الذي حصل في أعمالهما نتيجة ثورة ١٤ تموز التي قامت في العراق عام ١٩٥٨م(٥) . ومع ذلك ، فإن ما قام به هؤلاء ، بالإضافة إلى جهود كل من رايت وهاو وهانس بوبيك وروبرت برايدوود وغيرهم كان إستمراراً لنهج گارود ، ثم صاغ گوردن چايلد *Gorden Childe* بحوثه في هذا المجال بصورة مرضية حيث إستند في آرائه على نتائج هذه التحريات ، وأثناء تنظيم برايدوود لنتائج أعماله في جرمو قلّد چايلد في صياغة بحوثه .

وبالرغم من عدم تكامل الدراسات الأركيولوجية والأنثروبولوجية في كوردستان ، إلا أن ما أكتشفت لحد الآن في هذه البلد ، بفضل علماء الآثار المذكورين ، يمكن أن يلقي ضوءاً على معالم الحياة في القرى الزراعية الأولى بكوردستان قبل ظهور الكتابة والتدوين في سومر ، لكن تنظيم الإطار التأريخي للحوادث فيما بعد هذا العصر لم يتم

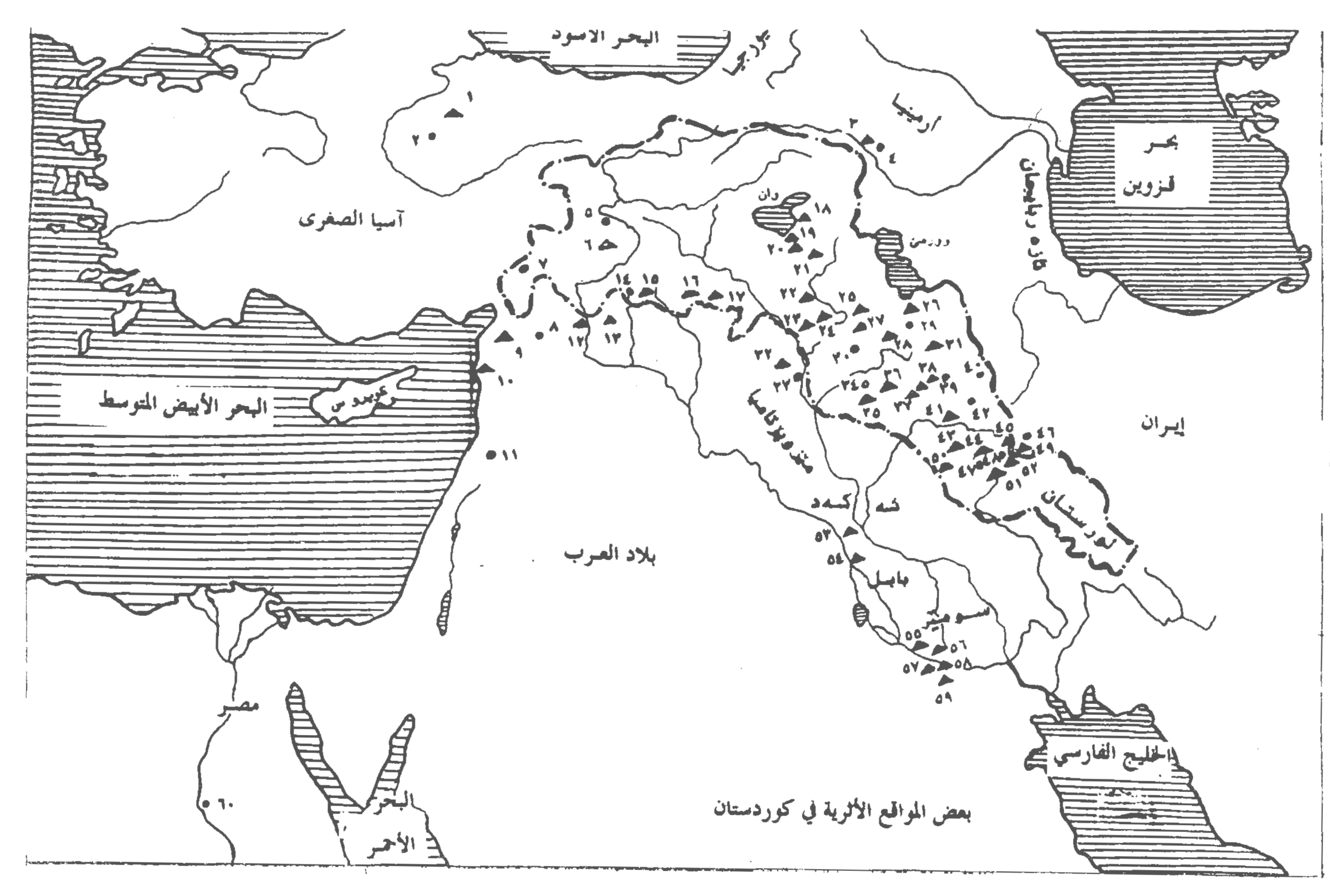
---

(٤) راجع نتائج بحوثهما في المقالين التاليين :

H. E. Wright ; B. How, Preliminary Report .On Soundings at Barda Balka. Sumer VII (1951), PP. 107 - 110 .

H. E. Wright, Geological Setting Of Four Prehistoric Sites In North Eastern Iraq. American School Of Oriental Research, Bulletin 72, PP. 933 - 983 ; Bull. 128, PP. 11 - 24 (1952) .

(٥) راجع حصيلة أعمالهما في البحوث التي نشراها في مجلة سومر ، الأعداد ١٤ – ١٨ ، بغداد ١٩٥٨م – ١٩٦٢م .


البحر الاسود
جورجيا
ارمينيا
بحر
قزوين
آسيا الصغرى
ئازه ربايجان
وان
ورمى
البحر الأبيض المتوسط
قبرص
ميزوبوتاميا
إيران
كورستان
كـه‌د
شه
بلاد العرب
بابل
سومير
مصر
الخليج الفارسي
البحر
الأحمر
بعض المواقع الأثرية في كوردستان

١ – يازلي قيّا
٢ – حتّوشا
٣ – كرمير بلور
٤ – يريفان
٥ – ملاطيه
٦ – بالانلو
٧ – مرعش
٨ – حلب
٩ – ألالاخ
١٠ – أوغاريت
١١ – بعلبك
١٢ – كركميش
١٣ – أرسلان تاش
١٤ – حران
١٥ – تل حلف
١٦ – شهربازار
١٧ – تل براك
١٨ – توبراك قلعة
١٩ – توشبه
٢٠ – تيلكي تبه
٢١ – شت
٢٢ – شانيدر
٢٣ – تبه كَوْره
٢٤ – باويان
٢٥ – موساسير
٢٦ – حسانلو
٢٧ – هرير وباتاس
٢٨ – شمشاره
٢٩ – مهاباد
٣٠ أربيل
٣١ – زيويه
٣٢ – حسّونة
٣٣ – آشور
٣٤ – أرّابخا
٣٥ – نوزي
٣٦ – جرمو
٣٧ – زرزي وهزارميرد
٣٨ – دربند كاور
٣٩ – سقز
٤٠ – بيجار
٤١ – هورين شيخان
٤٢ – سنندج
٤٣ – سربيل زهاو
٤٤ – تبه سراو
٤٥ – كودين تبه
٤٦ همدان
٤٧ – كرمنشاه
٤٨ – نهاوند
٤٩ – تبه نوشي جان
٥٠ – جوغه مامي
٥١ – بابا جان
٥٢ – تبه جان
٥٣ – دور كوريكالزو
٥٤ – بابل
٥٥ – أوروك
٥٦ – لارسا

بالشكل المطلوب ، و لم يحاول أحد دراسة واقع الأقوام البائدة ودورهم في تجسيد بوادر القومية الكوردية في هذا البلد(٦) ، بل العكس هو الصحيح(٧) .

المبحث الثاني ـ مصادر العصور التأريخية :

إعتمد عددٌ من دارسي العصور القديمة لتأريخ غربي قارة آسيا على آراء وردت أما في العهد القديم من الكتاب المقدس أو ما دوّنها رجال الكنائس وما أتى بها البلدانيون المسلمون بدون المساس بمحتوياتها . وبقدر ما يتعلق الأمر بنا ، فإننا سنحلل كل هذه الآراء واقعياً وإن كانت مقدسة بنظر البعض . فتدوين الأسماء في التوراة مثلاً يحتاج ، في كل الأحوال ، إلى مقارنة صياغتها مع أصولها اللغوية ، لأن اليهود إشتقوا لقباً ملكياً كأحشويروش من البابليين وصيغتها في الواقع هي (خشاثرا) التي تعني صاحب السلطة عند الميديين ، لفظها اليونانيون فيما بعد كـ(كسيركس) ، وكان هذا اللقب يتركب من مقطعين ، الأول (خشاي) بمعنى «يحكم» الذي كان يقابله في السنسكريتية (كساي) ، و(ثرا) المشتق من (يثيا) الذي يدل على صفة الفاعلية لهذا اللقب . وقد أضيفت أحياناً كلمة (پاد) أي «القدم» على بداية هذا اللقب فظهر في بعض المصادر بصيغة (پاد

---

(٦) لا نعني بهذا القول الدراسات الجدية التي قامت منذ القرن التاسع عشر حول السكان القدماء الذين سنتطرق إلى أحوالهم في الفصول القادمة من هذا الكتاب ، والمقصود هنا هو إفتقار هذه الدراسات إلى التحليلات المقارنة بين تلك الأقوام والسكان المعاصرين في نفس المواقع .

(٧) فقد أشار الدكتور كمال مظهر أحمد إلى هذا الموضوع قائلاً «أن التأريخ الكوردي ليس مدروس وحسب ... بل وأن قسماً من المواد القليلة المدونة عنه قد خُصص لتشويهه وليس لدراسته» . راجع هذا القول في كتابه الموسوم بعنوان (كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ، بغداد ١٩٧٧م ، ص ١٥ .

خشايثيا) التي تطورت إلى (پاد شاه) في اللغات الإيرانية(٨) و(باشا) في اللغتين العربية والتركية. ومن جهة أخرى ، فإن أحشويروش لم يكن إبناً لداريوس الإخميني كما يورد في الإصحاح التاسع من سفر دانيال ، وإنما كان إبناً لدياكو الميدي الذي إشتهر بلقب (خشثْريتا) ، وهو فرائورت الذي خلفه في الحكم كي أخسار مُحَطّم الإمبراطورية الآشورية . وإذا كان كتبة اليهود قد أشاروا إلى أن أحشويروش منحدر من أصل مادي (ميدي) ، إلا أن قولهم حول حكمه لبابل هو من صلب الخيال ، والواقع هو أنه كان متحالفاً مع الأسرة الكلدانية الحاكمة في بابل ، ولأجل كشف الحقائق في هذا الموضوع يمكن أن نعتمد على مدونات مؤرخين مثل هيرودوت ونابونائيد .

أما كتاب الآڤيستا ، فهو من المصادر الأولية الرئيسة الذي نتعرف بواسطته على البنيان الإجتماعي للشعوب الإيرانية والخلفية الروحية للهنود الآريين القدماء ، إضافة إلى المسائل اللغوية ونمط تطورها عبر العصور الميدية والإخمينية والفرثية والساسانية وعلاقاتها المورفولوجية والسينتاكسية مع السنسكريتية واليونانية واللاتينية قديماً ومع الكوردية والفارسية والبلوجية حديثاً . وقد ساعدتنا في ذلك مجموعة من الدراسات التي تتعلق بهذه الجوانب ومنها القواميس الفهلوية التي تكشف عن خلفية مئات من الكلمات والمصطلحات والأسماء المستعملة في اللغات الإيرانية والعربية والتركية المعاصرة . وبناءاً على هذه الحقيقة ، نستطيع أن نقر على أن هَرْوَدات الآڤيستي وماروتاس السنسكريتي اللذان إشتهرا في العصور الإيرانية كإلهين رئيسيين ، كانا معبودين مُعترفين بهما منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد من قبل أغلب الشعوب الهندية – الآرية ، وعلا شأنهما في

---

(٨) كانت الصفة أرتا «المقدس أو الطاهر» تتقدم أحياناً هذا اللقب فتصبح بصيغة (أرتا خشاثرا «الحاكم المقدس») حيث لفظه اليونانيون كـ(أرتاكسيركس) ، ثم تطورت عند الإيرانيين إلى أرتاخشير أو أردشير في العصر الساساني .

العهد الكاشي ، ثم نزلت منزلتهما بمرور الزمن حتى صارا ملكين في بابل كما مدونٌ ذلك في القرآن(٩) ، تماماً كما كان الحال مع جبرائيل «رجل إيل» وميكائيل «من يشبه إيل» عضوا المجمع الإلهي للإله إيل أعظم معبود عند الكنعانيين الذي ناداه المسيح بصيغة إيلي أو إيلوي(١٠) . ومنذ مطلع الألف الثاني ق. م. إعترف العبريون بهذا المعبود منذ زمن النبي إبراهيم ، ثم تلقب يعقوب بهذ الإسم وأصبح يُعرف بـ(إسرائيل) ، وإشتقت الشعوب السامية من هذا الإسم صيغته المؤنثة (إيلات) المتطورة من كلمة (إلاهة) . وفي الواقع ، فإن أصل هذه التسمية ترجع إلى الإصطلاح السومري (آل أو أل أل = ألله) الذي كان يُعبر عن مفهوم علو السماء حيث لفظها الأكديون بصيغة (عال أو عالو) وكانوا يعتقدون أن بيته يقع في أعلى قمم بلاد سوبارتو(١١) . وعلى هذا الأساس أصبح الإله (علياتم) عند الأكديين والبابليين هو المعبود المعتبر لشعوب المناطق الجبلية الكوردية وإشتهر في النصوص الحورية بالإله (إيلاني أو عيلاني) وأصبح يرادف (إيل إيليون أو عيل عليون) في كل من سوريا ولبنان ، وحددنا الباب السادس في هذا الكتاب لكي نتطرق لهذا الموضوع . وقد أفادتنا طروحات مارفين بوب حول هذا المعبود إستند فيها

---

(٩) راجع سورة البقرة ، الآية ١٠٢ . كان ماروت إله الصواعق والحروب في الفكر الميثولوجي للشعوب الآرية وكنيته كانت تتركب من - *mar* بمعنى «الشروق أو اللمعان» مع اللاحقة *vat* - ، وكانت تتطابق (إينورتا) عند البابليين . أما كنية هاروت أو هرودات (هَرْوَدات الآفيستي وسَرْودات السنسكريتي) فكانت تعني (الكامل) وتطورت إلى خوزدات أو خورداد في العصر الساساني .

(١٠) راجع الإصحاح ٢٧ ، السطر ٤٦ من إنجيل متي والإصحاح ١٥ ، السطر ٢٤ من إنجيل مرقس

(١١) عن تفاصيل هذه المعتقدات راجع دراسة كل من مارفين وهرتسفلد :
Marvin H. Pope, El In The Ugarit Texts, Leiden 1955 ; E. Herzfeld, The Persian Empire. Wiesbaden 1968 .

على النصوص الأوغاريتية وقارنها بالصيغ العبرية الواردة في الكتاب المقدس وفي النصوص الكنعانية المبعثرة التي أكتشفت في كل من سوريا وجنوب الأنضول ، وكما يظهر من كل هذه المصادر أن المعتقدات الكنعانية أثرت تأثيراً كبيراً على الإعتقادات السورية والفلسطينية وحتى اليونانية حيث إستند كُتاب العهد القديم ممن وصفوا بالأنبياء من اللاويين في بناء قيمهم الروحية على تلك الإعتقادات بصورة شاملة(١٢) .

أما في العصر المسيحي ، فإن ما دوّنه رجال الأساقفة والرهبان في كوردستان لا تُعبّر إلا عن وجهة نظر خاصة عن التأريخ ، إذ لا نستطيع أن نلتزم بمصداقية كلامهم في كل الأحوال(١٣) . وبالرغم من كون مشيحا زخا أحد أساقفة كوردستان المشهورين الذي كتب تأريخ إربل (أربيل) في القرن الخامس الميلادي بصورة دقيقة ، إلا أن مخطوطته تحوي أخبار الكنائس والأديرة وتبشير سكان كوردستان أكثر من الجوانب الأخرى للحياة ، ثم إنه يمدح أولئك الكورد الذين دعموه بالمال والخيرات ويتحامل على زعماء القبائل الذين لم يقوموا بهذا الواجب و لم يؤمنوا بدينه ، كما أنه ترك الحديث كلياً عن الأسرة السكسية الحاكمة في أربل عاصمة مملكة حذيب خلال العهد الأرشاكي ، بينما

---

(١٢) حول تفاصيل هذه التأثيرات راجع :

J. W. Jack, The Ras Shamra Tablets and Their Bearing On The Old Testament. Edinburgh 1935 .

(١٣) راجع مثلاً كتاب (التقويم) لشمعون الشقلاباذي الذي ألفه في القرن الثاني عشر الميلادي ونشر المستشرق فردريك مار باللغة الألمانية شيئاً عنه ، راجع :

Die Chronologie des Simeon Shaqlavaya

وراجع كذلك المصدر التالي :

Uval, La Litterature Syriaque (Paris 1900, P. 213)

أشار إلى علاقة هذه المملكة بـالفرث الذين كـانوا في صـراع دائـم مـع الرومـان ، وكـان إهمال الحديث عن الجوانب القومية واللغوية في نهجه الكنسي غير مقصود بـالطبع (١٤) . وقد سلك هـذا المسلك كـل مـن إبـن العـبري الـذي عـاش في ميافـارقين وتومـاس مركه (المرجي) وناثانيـال الشهرزوري وصبر يشوع أساقفة كوردستان الأوائل(١٥) .

---

(١٤) كان مشيحا زخا من رهبان دير جبل الأزل ، فلما طرده بابي رئيس الشماسـة مـن الدير هـو وكثير من رفقائه وصل إلى مقاطعة داسن (موطن الإزدية الكورد) وأسـس ديراً هنـاك كـان يُعـرف بإسم بيت ربّن زخا إيشوع أو على سبيل الإختصار بإسم ربّن ألـّف . وبعـد عـودة مـار أبـّا مـن سوسه وقبل موت أبراهام قريب نرسي أي بين سنتي ٥٥١م – ٥٦٩م كتـب مشـيحا زخـا تأريخاً للكنيسة وصل إلينـا في مخطوط ينقص من أوله وآخره ، يتناول الكـاتب في مخطوطته تـأريخ مطارنـة أربل ويظهر نشأة المسيحية على الشاطئ الشرقي لنهر الدجلة وكوردستان . ويذكـر عبـد يشـوع أن المؤلف كان دقيقاً فيما سجله ، ويظهر أنه إعتمد على معلم قديم إسمه هابيل ، وكان على معرفة تامة بتأريخ العصر الأرشاكي . وقد نشر منحانا هذا التأريخ مع ترجمة له في ليبـزغ عـام ١٩٠٨م ، كمـا نشر إدوارد سخاو ترجمة ألمانية له تبدأ بمقدمة هامة وطبعها في برليـن سنة ١٩١٥م وإطلعنا عليهـا في مكتبة ليـدن بهولندا عام ١٩٧٧م .

E. Sachau, Die Chronik Von Arbela (Abh. Pr. AK. 1915). (ed et Trad) Syrische Rechtsbuecher. Berlin 1914 .

(١٥) أنظر إلى ترجمة مخطوطات كل من إبن العبري وتوماس المرجي :

-- Die Chronik Von Arbela Von Eduard Sachau. Berlin 1915 .

-- Gregory Abu'l Faraj Bar Hebraeus. The Chronography. Being The First Of his Political History Of The World. Oxford University Press 1932.

-- The Historia Monastica Of Thomas Bishop Of Marga. Ed. by Wallis Budge, London 1893 .

كان الكهنـة ورجال الدين في كل العصور يدافعون غالبـاً ، بإسم معبودات عصرهم ، عن مصالح الطبقات العليا في الممالك القديمة ويصفون المجتمعات الأخرى بشتى النعوت كما نرى ذلك خاصة عند أولئك الذين ساد بينهم النظام العبودي في مدن سومر وأكـد ثم آشور أو عندما سجلوا أخبار أعدائهم من العيلاميين أو السوباريين كما يشتهون . ولا نرى من الحاجة هنا سرد تفاصيل القصص الخرافية التي لا تعكس أعمال البشـر إلا بـالقدر الذي يتعلق بالأديان ، ومـن المناسـب توضيـح الحـالات الإجتماعيـة الـتي تطـورت بتأثـير الأفكار الميثولوجية حيث لا تزال آثارها باقية في فكر ومعتقـدات بعـض الفـرق الدينيـة في غربي آسيا . فالتلمود مثلاً يحتوي قدراً كبيراً مـن التـأريخ الديـني والأسـاطير ، وأن المـادة الشبيهة بمادة التأريخ في العهد القديم لا تختلف إختلافاً كبيراً عما يشبهها مـن قصـص في كتابات البابليين والآشوريين والإخمينيين ، كما جاء ذكر القسم الأكبر من هذه المـادة في القـرآن ، إلا أن الفـارق هـو الحكومـة الدينيـة الـتي تحتفـظ بطـابع التخصـص في قصـــص الشعوب بينما تحتفظ بطابع التعميم في الكتاب المقدس اليهودي . فعلـى سـبيل المثـال نجـد أسطورة الخلق عند السومريين تختلف عنهـا عنـد البـابليين والآشـوريين واليهـود ، حيـث تطمع عند اليهود في تفسير أصل الشعوب التي لا نجده في آداب بلاد الرافديـن كمـا رأينـا الإختلافات في قصة الطوفان وتغيير إسم الجبل الذي وقف على قمته فلك نوح . ونقرأ في القرآن بعض الحوليات وأعمال أنبياء بني إسرائيل الذين كـانوا علـى علـم بأخبـار الميديين والسكس والإخمينيين وملوكهم ككورش أو داريـوس الـتي وردت أسمـائهم وأخبـارهم في العهد القديم ، إلا أننا لا نجد أسماء الفراعنة والملوك وحتى الأمم بأي شكل مـن الأشـكال في الآيات القرآنية إلا بقدر مـا تكـون الأسمـاء قريبـة مـن المفهـوم العربـي المحلـي القريشـي للأحداث كأخبار عاد وثمود ، بينمـا تتحول المعبودات الآرية القديمة في القرآن كهَوْرفتات

كذلك راجع الدكتور محمد حمدي البكري ، تأريخ الأدب السرياني ، القاهرة ١٩٤٩م .

وماروتاش التي سادت عبادتها في بابل أيام الكاشيين في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد إلى مَلَكَيْن بإسم هاروت وماروت ، في حين كان التأريخ الإغريقي منذ عهد هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) ، محاولة من قبيل البحث العلمي ؛ لأنها تجيب عن أسئلة تتعلق بأمور إنسانية ونشاطاتها ، ولا يعني هذا أن تأريخهم الديني لا يخلوا من قصص خرافية التي أعتبرت من قبيل أساطير حكومة الآلهة أو حكومة السماء حيث أخذنا من هذا التأريخ بقدر ما يتعلق بالمناطق التي ندرسها ، ولا يعنى ذلك أن كل ما سجلوه هو من صميم الواقع ، لكنهم أعطونا صورة عن عقليتهم الأصيلة .

لقد تعرف الإغريق لأول مرة ميدانياً على الحدود الغربية لبلاد ميديا عام ٤٠١ ق. م. وذلك أثناء رجوع كسينوفون مع عشرة آلاف من جنوده إلى موطنه عقب معركة قنقسة (كوناكسا *Cunaxa*) قرب الفلوجة الحالية وحدودها بالمناطق الكوردية الحالية التي تقع شرقي نهر دجلة ، وقبل أن يصلوا إلى نهر بوطان (الفرع الكبير لنهر دجلة بكوردستان الشمالية) دخلوا إلى بلاد كَردوخ التي ذُكرت في السجلات الآرامية بصيغة (קרדו قَرْدو) ، وتطرق هذا القائد على أخبار هذه البلاد التي سماها *τα καρδουχεια ορη* «جبال كاردوخيا» في كتابه أناباسيس (*Xenophon, anb. III, 5, 15, 17, IV ff.* «التوجه نحو الداخل») ، ثم إستند كل من ديودوروس الصقلي (٩٠ – ٢١ ق . م) وبلينيوس (٢٣م – ٧٩م م) على هذا الكتاب ، في حين تَعرّف إسطيفان البيزنطي على مقاطعة مجاورة لهذه البلاد سجّل إسمها بصيغة *Γορδυαια* « گۆردوايیا » التي جاءت في المصادر الأخرى كذلك بصيغة كۆردوايیا *Corduaia* ، ثم صاغ العالم البيزنطي سويداس كنية أهل هذه المقاطعة بصيغة *Kordua* «*Κορδυαιοι ονομα εϑνους*» ، كما ذكر سترابو موقعها خلال القرن الأول الميلادي بجانب كَردوخيا « *τα των Γορδυαιων Χωρια* جبال گۆردوايیا » ، ثم ذكر شيئاً عن (*ους οι παλαι Καρδουχους ελενον* «المقاطعة اليونانية كَردوخ») . وكما يتبين هنا فإن كل من كوردوا وكَردوخ

لا يتطابقان مع بعضهما البعض في سجلات سترابو . فعند حديثه عن الـ(گۆردويين) يقول «أنهم كانوا يسكنون كذلك في جبال طوروس ومنطقة سوزيفيني وأرمينية ودعيت بلادهم بـ(Γορδυαια ορη «مرتفعات گۆردوابيا») وكانت تابعة للحكم الفارسي Γορδυαια Χωρα Περσικη بينما إعتبر مقاطعة الكردوخ من الناحية الأثنية ميدية Καρδυοχεα εθνος Μηδιας «شعب كردوخيا الميديين» . ولما يصف موقع نهر دجلة على يمين هذه البلاد فهو يقع في خطأ كان قد إستعاره من أقوال إيراتوستين Eratosthenes (٢٧٥ ق . م .) أمين المكتبة الكبرى بالإسكندرية ، وعندما يتحدث يوليوس هونوريوس عن Corduen من جانبه ؛ يخلط موقع ومجرى نهر دجلة بصورة غير واضحة ويقول :

«ambo includentes Corduenam oppidum ad unum redacti Aethicus cosm. 10 ambo ... includent Cordubenna oppidum ... etc.»

ومع ذلك ، فقد أورد سترابو أسماء ثلاث مدن Corduen بصورة صحيحة وهي كل من ساريسا (وهي شيرش الواقعة على بعد ٨ أميال جنوب حصنكيف كما ذكرها ياقوت الحموي بصيغة ساريس الواقعة شمال طور عابدين) وساتالكا ، ثم پيناكا الواقعة لوحدها على يسار نهر دجلة (أي قصبة فينيك الآن على بعد ١٢ ميل شمال الجزيرة) . وبوضوح تام ميّز بطليموس (٣٠٥ – ٢٨٣ ق . م .) مؤسس أسرة البطالسة بمصر بلاد Corduen عن مقاطعة الكَردوخ (*Ptolemaios, VI, 2, 5 ; V, 12, 3*) ، وعلى حد قوله ، فإن فلك نوح كان قد إستوى على جبال Corduen وليس على جبال كردوخ ، كما أن إسكندر بوليهستور سَجّل في القرن الأول الميلادي هذا الإسم بصيغة Korduae وورد مرة أخرى بهذه الصيغة في سجلات المؤرخ الأرمني أوزابيوس القيصري Eusabius Cassariensis (٢٦٣م – ٣٤٠م) ، ويأتينا نفس الحديث عند المؤرخ اليهودي حامل الجنسية الرومانية يوسف الفلاوي بالتعبير التالي εν τοις Κορδυαιων ορεσι .

وهكذا تلعب الجبال الكوردية دوراً مهماً في أسطورة الطوفان التي سجّل تفاصيلها عدد من مؤرخي اليونان والرومان . وعلى رأي أليكساندر بوليهستور *A. Polyhistor* الذي عاش خلال القرن الأول الميلادي ، وحسبما يذكر ذلك أوزابيوس الأرمن أيضاً في القرن الرابع الميلادي ، فإن هذا الفلك مع بطله المعروف عند البابليين بكسيسوثروس *Xisuthros* كان قد إستوى على جبال كوردواي *Korduae* بأرمينية حيث بقي قسم صغير من الفلك مطلي بالنفط لمدة معينة إستعمله السكان المحليون (من الكورد على أغلب الإحتمال) كدواء للشفاء .

وبعدما قُبِض على بوليبيوس *Polybius* (٢٠٠ - ١٢٠ ق. م.) في معركة بين الفرس والرومان عام ١٦٨ ق. م. أخذ رهينة إلى روما وقضى فيها فترة تَقْرب من ١٦ عاماً ألّف خلالها كتاباً من ٤٠ جزءاً بإسم *Istoria* تحدث في جزئه الخامس عن *Cyrtioi* الـ«كورت» [*Polybius, Istoria, V. 52, 5*] ، وقد تميز هذا المؤرخ بعقلية تحليلية نقدية فلسفية إستطاع أن يتفادى تشويه الحقائق التأريخية ، وذلك عن طريق إبتداء الكتابة من النقطة التي إعتقد أن مصادره التي نقل عنها قد صدقت ، وعالج جزءاً كبيراً من موضوعات كتابه إستناداً على منهج البحث الذي شاع في زمانه بالإشتراك مع علماء سيبونيا الذين تتبعوا المراحل النهائية في تكوين العالم الروماني الجديد .

تبع بوليبيوس مواطنه تيتوس ليفيوس *Titus Livius* (٩٥ ق. م. - ١٧٠ ق. م.) ، والتشابه الكبير بين أقواله وأقوال بوليبيوس يدل على أنه إعتمد كلياً عليه ، وقد تطرق إلى الكورت وتحدث عن دورهم كمرتزقة عند أنطيوخوس (١٩٠ ق. م.) خلال حروب الرومان مع مملكة *Pergamon* التي جرت بين الطرفين في الفترة الواقعة بين ٢٢٠ ق. م. و ١٧٠ ق. م. [*Histoire Romaine de Tite Live. XII, 11, 42, 58, 13*] . أن التبرير في هذا التشابه يكمن في مهمة ليفي بالأصل والتي كانت جمعٌ السجلات التقليدية التي إحتوت المراحل الأولى من تأريخ روما ، لأنه كان يرى من روما وقد أصبحت هي

العالم بأسره ، وكان بصفة عامة أميّل إلى قبول رواياته التقليدية وتكرارها إعتقاداً منه فيها.

ومن بين أهم مؤرخي العصر الهللنستي الذي سجّل أخبار بلاد كوردويني بصورة واقعية خلال حروب ميثرادات ملك بنطس وحميه تيكران ملك الأرمن هو بلوتارخ الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد مشيراً إلى أن هذه البلاد كانت محكومة من قبل ملوكها المحليين . وعندما قاد لوكوللوس *Lucullus* عساكر الروم نحو شرق الأنضول لمحاربة ميثرادات ، كان ملك الكورد ، على حد قول بلوتارخ ، هو زاربيون *Zarbiunus* [*Plut. Luc. 21, 2, 29*] ، ويشير إلى أن پوّمپيوس *Pompeius* خليف لوكوللوس سلّم الحكم في هذه البلاد إلى آريوبارزان الأول الكبدوكي ، ثم يقول أن «ملك الفرث فرهاد الثالث *Pharahates III* هاجم كوردويني وعيّن أفرانيوس (عام ٦٥ ق . م) حاكماً عليها لكنه طُرد أخيراً من قبل بومبيوس [*Plut. Pomp. 36, 1*] ويسرد كاسيوس ديون [*Cass.Dio. XXXV, II, 15, 3*] بعض أخبار بلاد كوردويني *την Κορδουηνην* (كوردستان الشمالية) حين تصبح جزءاً من مملكة حذيب *Adiabênê* (كوردستان الجنوبية) ويقول أن الملك مونوباز الأول أرسل إبنه عزة الثاني إلى كوردويني لكي يحكمها بإسمه وأقام هناك طيلة حكم أبيه بين ٣٥م-٥٩م ، ثم عبر الجيش الروماني بقيادة الإمبراطور ترايانوس (٥٣م - ١١٧م) نهر دجلة في هذه البلاد كما يذكر سيكتوس روفوس [*Sextus Rufus brev. 20, Historia Misceilax 3*]. وبالرغم من إتفاقية السلم بين گاليريوس وديوكليتيانوس من جهة ، وبين الإمبراطور الساساني نرسي عام ٢٩٧م التي تُركت كوردييني بموجبها تحت إشراف الرومان ، لكن هذه المقاطعة ظلت دائماً نقطة الصراع بين الرومان والإيرانيين ، ولعل أوضح تعبير عن مآسي سكان كوردويني نتيجة هذا الواقع نقرأه في كتابات أميانوس مركلينوس ، ذلك المبعوث العسكري الروماني الذي أرسل إلى العاصمة آميد (ديار بكر الحالية) لكي يتصل خفية

بالحاكم إيوفينيان *Iovinianus* الـذي عينـه الساسـانيون سـاترابـاً لهـم هنـاك ، وبـدأ هـذا يتعاون سراً مع الرومان [*Ammianus Marcellinus, XVIII, 6, 20 ff.*] ، وقد ظلّ إسـم كوردوينى مستعملاً دائماً في الكتب الأرمنية بصيغة *Kordûx* « كوْردوخ » خلال القرون الأولى من العصـر المسـيحي . ففـي هـذه الفـترة تصـدّر إسـم الفيلسـوف اليونـاني نيقـولا الدمشقي المولود في دمشق عام ٦٤ ق . م . ومربي أبناء أنطونيوس وكليوباطرة ومستشار هيرودوس ملك اليهودية ، وقد ألّف بجانب مواضيع في الفلسفة والشعر ، كتبـاً أشـهرها التواريـخ *Historia* وحيـاة قيصـر *Vita Cassaris* . وعندمـا يجـري حديثـه في كتـاب التواريخ عن الطوفان ، يسمّى المكان الذي إستوى عليه فلك نوح بإسم باريس *Βαρις* ، ثم حدد المؤرخ اليهـودي يوسف الفـلاوي (٣٧ – ١٠٠ ميلاديـة) في مؤلفاتـه المعروفـة [*Joseph. ant. 195*] هـذا المكـان قـائلا : *Χατα τα την Αρμενιαν Βαρις* «إستوى على جبل باريس في أرمينيـة» ، بينمـا جـاء الإسـم في الترجمـة الأرمنيـة للكتـاب المقدس بصيغة (كَرْدي) كما ذكرنا ذلك في مقدمة هذا الكتاب . كان يوسف مـن مدينـة أورسليم حيث وُلِد فيها وشهد خرابها على يد تيطس ، وألف كتباً مثل (الحرب اليهودية) و(العاديات اليهودية) وهو تأريخ عام يبدأ منـذ الخليقـة حتـى عـام ٦٠م ، كمـا زار رومـا ومنح فيهـا المواطنـة الرومانيـة وتلقـب هنـاك بلقـب فلافيـوس نسـبة إلى لقـب الإمـبراطور الروماني دوميتيانوس . ومنذ هذه الفـترة بـدأ القسـس ورجـال التبشـير يُسـجلون أخبـار الممـالك والشـعوب إسـتناداً علـى نهجهـم الديـني . فبعـد أن زار المنـاطق الشـرقية مــن الإمبراطوريــة البيزنطيــة (أرمينيــة وكوردســتان) ، ألــّف المــؤرخ البــيزنطي المســيحي فيلوستوركيوس (من مواليد بوريسوس قرب القيصرية بوسط الأنضول) عـام ٣٦٨م كتابـاً من ١٢ جزءاً تحدث فيه عن التأريخ حدد فيـه بـلاد *Korduaia* في الشـمال الشـرقي مـن مقاطعة كَرْدوخ ، تماماً كما رأينـا ذلـك عنـد كـل مـن بطليمـوس وسـطيفان البـيزنطي . وبالرغم مـن أن (كـورت وجمعهـا كورتـان) كـانت الصيغـة المتعارفـة عليهـا في المؤلفـات

الإيرانية منذ بداية العصر المسيحي [راجع مثلاً كتاب كارنامك أردشير بابكان «سيرة أعمال أردشير بابكان»] ، إلا أنها أخذت صيغة (كوردايه وكوردانايه أو حتى قوردايه أو قوردانايه) في النصوص الكنسية الأرامية كما يوردها إبن العبري كما يلي :

«أن الكوردانايه الذين كانوا قد أسلموا ، إستطاعوا أن يتحرروا من حكم العرب ، لأنه ظهر بينهم ملكٌ إدعى أنه المهدي المنتظر والمسيح وروح القدس ، وجمع الناس وزوّدهم بالسلاح في جبال قَرداوايه (جزيرة قردو) ... إلخ »(١٦) .

ومع ظهور المؤلفات العربية ترجمت كنية (كوردانايـه) إلى صيغة (الأكراد) ، بينما ظلت تسمية مقاطعة ديار بكر في المؤلفات البيزنطية حتى عام ٨٦٧ الميلادي بصيغة *Korduna* مثلما سجله جيورجيوس أمرتول *Georgii Monachi* عام ٨٦٧م في الجزء

---

(١٦)راجع الترجمة الإنجليزية لمدونات إبن العبري :

The Chrography of Bar Hebraeus, Being the first his political history of the world.Ed.By Ernest A.Wallis Budge,Vol. I, Oxferd Univer. Press, 1932 .

وراجع كذلك الصفحة ١٩ من *كارنامه أردشير بابكان ، به اهتمام محمد جواد مشكور ، تهران ١٣٢٩ خورشيدي* (١٩٥٠م) . لقد حقق أصلاً كتاب (كارنامه) النادر العالم الزرادشتي المعروف بسنجانا ، وهو شمس العلماء دستور بيشوتان سنجانا المولود في مدينة بومبى بالهند يوم ١٨ نوفمبر من عام ١٨٥٧م . وبالرغم من كونه أحد رجال الدين الزرادشتيين الذي تقدم في الدراسات الآفستية والفهلوية ، أكمل دراسته العلمية حتى تقلد درجة الدكتوراه وبجانب كونه مديراً للمدارس الزرادشتية في الهند أصبح عضواً في الجمعية الآسيوية الملكية في بريطانيا ، وقد ألّف وحقق كتباً كثيرة منها «كارنامه أردشير بابكان» وكتاب «دينكرد» . وفي ألمانيا حقق ثيودور نولدكه هذا الكتاب الموسوم بعنوان *Geschichte des Artachsir i Papakan, Göttingen, 1879,* ثم في وقت لاحق أعاد هذا العمل أستاذ جامعة طهران محمد جواد مشكور . لقد ألّف كتاب الكارنامه في حدود عام ٦٠٠ الميلادي على ما يظهر وكان يحتوي على ٥٦٠٠ كلمة فهلوية ، وقد أشار المسعودي إلى أن

الخامس من كتابه *G.Monachi,Chronicon,ed.C. de Boqr, V. 1-2, Leipzig,1904* ، بينما نراها في الكتب الأرمنية بصيغة كوردوخ *Kordux* التي سجلها بهذه الصيغة المؤرخ المعروف أدونتس في الصفحة ٤١٨ من كتابه «أرمينية» .

وكما ذكرنا ، فإن من بين أشهر الوجوه الكنسية الذين سجّل أخبار مقاطعة أربل هو مشيحا زخا أحد رهبان مقاطعة حذيب الذي عاش خلال القرن الخامس الميلادي وكتب ما شاهده وسمعه من إنتشار المسيحية في كل من أربيل وكركوك تضمنت كتاباته بعض المعلومات عن حروب الفرث في بلاد قردو (الجزيرة) وموقف مملكة حذيب من هذه الحروب وقد تبعه توماس ابن يعقوب المرجي (توماس مرگه) المولود حوالي ٨٣٢م في قرية شارونايه بشهرگان حوالي رواندز وترأس في بداية حياته أسقفية دير بيث عبهي بمنطقة مرگه قرب نهر الزاب الكبير بكوردستان ، الدير الذي أسسه في الأصل يعقوب لاشوم (أسقف قرية لاسَين المهدمة الآن قرب داقوق جنوب كركوك الحالية) ، وقد أشغل توماس في وقت لاحق منصب المطرانية في كركوك وكتب أخبار قبائل (كَرْتاويه) في كل المناطق التي حلّ فيها ، وبعدما يتحامل على هذه القبائل البدوية بسبب خلافه الديني معهم يقول في مخطوطته المعروفة بالتأريخ الكنسي لتوماس المرجي :

The Historia Monastica Of Thomas Of Marga. A. B. 840, Ed. by Ernest A. Wallis Budge, Ltt. D. London, 1893

«أنهم كانوا يعيشون في المناطق التي تقع غرب نهر الزاب الأسفل وحتى شمال أربيل» .

ومهما يكن الأمر ، فإن الرهبان الذين عاشوا في بلاد الكورد قبل الفتوحات الإسلامية مثل الجاثليق صبر يشوع الأول الذي كان في الأصل راعياً من رعاة مرتفعات شهرزور ثم أصبح عام ٥٩٦م أسقف كنيسة لاشوم أو الذين عاشوا بعد القرن السابع من أمثال شمو بن فاغو وبار شبا الشهرزوري وناثنيال الشهرزوري ، فقد لعبوا دوراً مهماً في تبشير الكورد الذين تحدث عنهم كل من المسعودي وياقوت الحموي وسموهم بالأكراد

اليعقوبية والجورقان المسيحيين ، ثم أطلق عليهم ابن حوقل في الصفحة ٥٦ من كتابه المسالك والممالك (تحقيق *Sir William Ouseley, 1800*) كنية (كوردان *Kurdan* أي الأكراد) .

أما في مطلع العصر الإسلامي (القرون ٧ – ١٢ ميلادية) ، فقد جاءت أخبار الكورد على لسان المؤرخين والبلدانيين المسلمين من العرب والكورد والفرس ، وأقدمهم هو المدائني (٧٤٧م – ٨٢٣م) الذي ألّف «كتاب الكورد والحصون» تطرق إليه إبن النديم في «الفهرست» . وفي القرن الثامن تحدث كل من سهيم ابن حفص أبو اليقظة والبقيدي (٧٤٧م – ٨٢٣م) عن أحوال الكورد ، إلا أن كل هذه الجهود ، بجانب ثلاثين كتاباً ألفت باللغة الكوردية وشاهدها كاتب الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٨٥م – ٧٠٥م) أحمد بن وحشية النبطي ببغداد ، ضاعت و لم تبق لها أي أثر في المكتبات المعاصرة ، ورغم ذلك فإننا نستطيع أن نعتمد على مؤلفات عاش أصحابها في نفس الفترة تقريباً ككتاب «فتوح البلدان» للبلاذري (توفي في ٨٩٢م) الذي طُبع مجدداً في القاهرة عام ١٩٠١م ثم عام ١٩٥٩م ، وهو كتاب جليل القدر لأنه يرينا حال البلاد الكوردية حين أصبح الإسلام الدين السائد فيها(١٧) ، وتأريخ خليفة بن خياط (توفي في ٨٥٥م) طُبع في بيروت – دمشق في ١٩٧٧م ، و« الفتوح ، ج٢ » لأحمد الكوفي (توفي في

---

(١٧) البلاذري هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي ، ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة وتوفي في ٢٧٠ هـ / ٨٩٢م ، وعند تطرقه إلى المناطق الكوردية يشير إلى أن «عمر بن الخطاب ولّى عتبه بن فرقد السلمى موصل سنة عشرين فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها وهو الشرقي عنوة وعبر دجلة ... ثم فتح المرج وقراه وأرض بانو هذرى وبا عذرى وحبتون والحيان والمعلة وداسن وجميع معاقل الأكراد» راجع : فتوح البلدان ، طبعة القاهرة ١٩٥٩م ، ص ٣٢٩ . ومن الجدير بالإشارة أن الموصل أصبحت في زمن الخليفة الأموي مروان الثاني قاعدة إقليم (الجزيرة) ، وقد زارها إبن حوقل عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩م وقال عنها «أنها بلدة طيبة عامرة الأسواق نواحيها ورساتيقها كثيرة الخيرات ... وجل أهلها من الأكراد» . وقد ظلت الكورد أكثرية السكان في

٩٢٦م) طُبع في حيدر آباد عام ١٩٦٩م . و« الأخبـار الطـوال » للدينـورى و« كتـاب البلدان » لليعقـوبى حققـه دي غويـه *M. J. De Goeje* وكتـاب اليعقوبـي (تـوفي في ٨٩٧م) و«كتاب البلدان» لإبن الفقيه ، تحقيق دي غويه أيضاً . ولعل أهم مـن كـل هـذه الكتب هـو «تـأريخ الرسـل والملـوك ، ج ٣ – ١٠» للطـبري (٨٣٨م – ٩٢٣م) الـذي حققه دي غويه *M. J. De Goeje, 1879 - 1881* وطبعته مطبعة بريل في ليدن ثم أعيـد طبعه في القاهرة خلال أعوام ١٩٦٢م – ١٩٧٦م وكتاب «الكامل في التأريخ ، ج ٢ – ٦» لإبن الأثير (١١٦٠م – ١٢٣٣م) الذي طُبع في القاهرة أيضاً خلال أعوام ١٣٤٩ هـ – ١٣٥٧ هـ ، و «البدايـة والنهايـة في التـأريخ ، ج ٧ – ١١» لإبـن كثـير (١٣٠٠م – ١٣٧٢م) المطبوع في القاهرة عام ١٩٣٢م ، وكتاب «العِبَـر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ١ – ٤» لإبن خلدون (١٣٣٢م – ١٤٠٦م) الذي طُبع بمصر عـام ١٢٨٤هـ وكتـب كـل مـن الإصطخـري وإبـن حوقـل والمُقَدّسـي و«تجـارب الأمـم» لإبـن مسـكويه (تـوفي في ١٠٣٠م) الذي حققه أميدروز وترجمه إلى الإنجليزية بعنوان :

Ibn Miskawaihi, The Experiences of the Nations, ed. By H. F. Amedroz, V. I-II, Oxford, 1920 - 1921 .

تكمن أهمية هذه الكتب في قضية الإقرار علـى وجـود أمـة بإسـم الكـورد في مطلـع العصر الإسلامي رفضت الإحتلال السياسي العربي والعقائدى الإسـلامي بصـورة مباشـرة حيث يسرد أصحابها وقائع إنتفاضات أبناء هذه الأمة ضـد الحكـم الكولونيـالي لبـني أميـة وبني العباس ، ويورِد معظـم هـؤلاء الكتـاب كذلـك قصصـاً عـن الحـروب بـين الكـورد

الموصل حتى عندما زارها ياقوت الحموي في المئة السابعة من الهجرة (الثالثة عشر من الميلاد) . راجع كتاب (معجـم البلـدان ، مـادة الموصـل) . وفي الواقـع ، فـإن (الموصـل) هـو تحويـر عربـي للتسـمية الكوردية (ميسيل) التي سجلها كسينوفون عام ٤٠١ ق. م. بصيغة (ميسيبالا) .

والعرب في بلاد الجبل وأرض الجزيرة وفي فارس وحلوان ودينـاور وهمـدان وشـهرزور ، وكان من أهمها حروب الأمير ديسم إبن إبراهيم الكوردي كما يتحدث عنه كل من إبن الأثير وإبن خلدون .

إشتد التحدي السياسي والعسكري الكوردي زمن خلفاء بني أمية الذين أطلقوا يـد الحجاج بـن يوسـف الثقفـي في القضـاء علـى كـل الخـوارج ومـن معهـم مـن الكـورد ، وبالأخص عندما ثار عبد الرحمن ابن محمد الأشـعث عـام ٧٠٠م – ٧٠١م حيث تكلم عنه كل من الطبري وابن الأثير . وعلى حد قـول البلاذري ، فإن الحجـاج أرسـل قواتاً شامية بقيادة عمرة إبن حاني العبسي لمقاتلة الكورد ، ويشير كل مـن ابـن الأثـير (ج ٦ ، ص ١٦٩) وابن خلـدون (ج ٢ ، ص ٣٨٨ – ٣٨٩) إلى أن الحجـاج نصـب محمـد ابـن القسيمة حاكماً لإدارة شؤون إقليم فارس وإخضاع القبائل الكوردية فيـه . وفي الحقيقـة ، فإن الكورد أصبحوا يشكلون القسـم الأعظـم مـن الخـوارج الذيـن رفضـوا المشـاركة في صراعات بني أمية مع معـارضيهم والإنصيـاع إلى أوامرهـم ، وكـانت شـهرزور مـن أهـم مراكز هؤلاء الخوارج . وعندما قام الأمويون بالقضاء على هؤلاء إستغلهم رجـال الدعـوة العباسية وجعلوا بلادهم من المراكز الرئيسية لحركتهم السياسية والعسكرية غلى حد قول المؤرخ الأرمني أرشاك بولاديـان(١٨) . وبعـد إنتصـار هـؤلاء الـذي يعـود الفضـل فيـه إلى الكورد والفرس ، ولّى أبو العباس السفاح كل مـن أبـي مسـلم الخراسـاني (المنحـدر مـن أصل كوردي) على الجبال (ميديـا القديمة أو كوردستان الشـرقية) وأخيـه المنصـور علـى إقليم الجزيرة (كوردستان الغربية) وأرمينية وآذربيجـان وعمـه عبـدا لله ابـن العبـاس علـى

---

(١٨) راجع كتابه بالروسية «الكورد بين القرون ٧ – ١٠ الميلادي من خلال المصادر العربية»
Аршак Поладян, Курдыб в VII - X ведах по Арабским Источникам, Ереьан, 1987 .

شهرزور (كوردستان الجنوبية)(١٩) . وبعد أن ركّز سلطته في كل مكان ، قَتَل المنصور الخراساني غدراً وأدار ظهره لمن عاونوه من الكورد ، وعلى أثر ذلك بدأت الإنتفاضات في جميع أنحاء البلاد الكوردية منذ عام ٧٧٤م مما أقلق بال المنصور إلى درجة كبيرة ، فقام المنتفضون يقاتلون العباسيين في إقليمي الموصل والجزيرة حيث سجّل تفاصيل هذه الحوادث كل من الطبري (ج ٨ ، ص ٥٤ – ٥٥) وإبن الأثير (ج ٥ ، ص ٤١ – ٤٢) وإبن خلدون (ج ٣ ، ص ٢٠٢ وما بعدها) . فالإنتفاضات ظلت مستمرة ضد العباسيين ونظامهم الإقطاعي في هذه المناطق حتى خلال القرن التاسع الميلادي . وعلى هذا الأساس ، لم يكن من المستغرب أن يستغل بابك الخرمي رجال هذه الإنتفاضات ، فبعد أن إنطلق من قلعة باز بأذربيجان جعل بابك مقاطعة كوردوك *Korduk* بكوردستان الشمالية مركزاً لإنتفاضته كما تشير إلى ذلك أصحاب المدونات السريانية ومنهم ديونيس تيلماخري وميخائيل السرياني وناسخ مدونات كنيسة الرها (أورفه) ، وحتى أن كنية كورداني *Kurdani* غدت في هذه المصادر مرادفة لكلمة الخرميين(٢٠) . وفي تأريخ اليعقوبي (ج ٣ ، ص ١٩٩) نرى أن إسما الكوردي هو أشهر قائد في الحركة الخرمية الذي تولى الحكم في مَرَنْد شمال شرق تبريز . وكما يقول كل من الطبري (ج ٨ ، ص ٦٦٧ – ٦٦٨) وإبن الأثير (ج ٥ ، ص ٢٣١) ، فإن عدداً كبيراً من الخرميين تجمعوا في بداية حكم الخليفة المعتصم بالله (٨٣٣م) من جديد بالجبال (كوردستان) ، وقدّر المسعودي عددهم بمائتي ألف محارب . وعندما إشتبكت قوات معتصم مع منتفضي مقاطعة همدان قتلت من المنتفضين ٦٠ ألفاً ، فإلتجأ الأحياء منهم إلى بيزنطة . وبعد عدة سنوات قامت الكورد بإنتفاضات في مناطق أخرى من شمال وادى الرافدين وإقليم ديناور

---

(١٩) ص ٣٥ من المرجع السابق .

(٢٠) ص ٣٨ من المرجع السابق .

وحدد إبن الأثير زمن هذه الإنتفاضات فيما بين السنين ٨٣٨م - ٨٣٩م وكان أبرز مُقَدّم (قائد) لهذه الإنتفاضات هو جعفر بن فخرجس الذي يتحدث عنه إبن الفقيه ، مشيراً إلى تأثيراتها التي إمتدت إلى أرمينية وآذربيجان كل من إبن الأثير وإبن خلدون والمسعودي . وبناءاً على هذا الواقع عيّن معتصم با لله عبد ا لله ابن الأزدى والياً على الموصل لأجل القضاء على الإنتفاضات الكوردية ، ولما عسكر هذا في جبال داسن قُضي عليه وعلى قواته تماماً .

وهكذا ، فإننا نستطيع أن نعتمد أحياناً على الأخبار الواردة في المصادر العربية الإسلامية كمؤلفات إبن الأثير والإصطخري وإبن حوقل على سبيل المثال . فعن فترة ماقبل ميلاد السيد المسيح يشير إبن الأثير مثلاً إلى أن أليكساندر المقدوني خلال غزوه إيران ٣٣٤ - ٣٢٣ ق.م. «حمل كتباً وعلوماً لأهل فارس من علوم ونجوم وحِكَم ونقله إلى الرومية ...» أي علم الكونيات الذي إحتواه الآفيستا ، ويسرد قصة نشوء الدولة الساسانية ويحددها بالسنين قائلاً «لما مضى من لدن ملك أليكساندر أرض بابل في قول النصارى وأهل الكتاب الأول ٥٢٣ سنة وفي قول المجوس ٢٦٦ سنة وثب أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن أسفنديار بن بشتاسب وقيل في نسبته غير ذلك» وله إشارات إلى الحروب التي قام بها عبد ا لله بن حمدان مع كورد الجلالية في شهرزور يحدده بعام ٣١٣ هـ (القرن العاشر الميلادي) . أما الإصطخري فقد حدد البلدان على أساس واقعها الجغرافي والأثني مشيراً إلى أن «العراق في الطول من حد تكريت إلى حد عبادان على بحر فارس وفي العرض عند بغداد من قادسية الكوفة إلى حلوان ...إلخ» .

ومن جهة أخرى ، فإن ما دونّه الفردوسي عن الكورد في شاهنامته ، وإستقى منه إبن قتيبة في كتاب (المعارف) مشيراً فيه إلى أن «العجم تذكر الأكراد فضل طعم بيوراسف وذلك أنه كان يأمر أن يُذبح له كل يوم إنسان ويتخذ طعامه من لحومهما ،

وكان له وزير يقال له أربابيل ، وكان يذبح واحداً ويبقي واحد يستحييه ويبعث به إلى جبل فارس فتوالدو في الجبال وكثرو ... إلخ» هو موروث من الأساطير الساسانية(٢١) ، مثلما إعتبر المسعودي في مروجه الجان خطأ أصلاً للكورد مستنداً بذلك على القصص العبرية التي تجعل أم بلقيس زوج النبي سليمان من ذلك الأصل(٢٢) ، لكنه أخذ بالتراجع عن أقواله مشيراً إلى «أن الأصح في أنسابهم أنهم من ربيعة بن نزار بن مُعد» بعدما إعتبرهم كذلك من أبناء أسفنديار بن منوجهر(٢٣) . ومع هذا التخبط ، فقد دوّن أسماء القبائل الكوردية بصيغ تتقارب مع الحقيقة تقريباً منها الشوهجان (شۆهگان) ببلاد ماهي الكوفة وماهي البصرة بأرض الدينور وهمدان والماجردان (ماگردان) وهم من الكنكور (كەنگاوەر) ببلاد آذربيجان والهلبانية والسراة ومن حوى بلاد الجبال ومن الشادنجان (شادنگان) واللزبة والمادنجان (مادنگان) والمزدنكان (مزدنگان) والبارسان (پارسان) والخالية والحابارتية والجاوانية (گاواني) والمستكان ومن حلّ ببلاد الشام من الدبابلة وغيرهم ... ومنهم اليعقوبية والجورقان (گەوورگان) وهم نصارى وديارهم مما يلي بلاد

---

(٢١) أكمل الفردوسي حديثه قائلاً :

کنون کرد زآن تخمه دارد نژاد   کنز آباد نیاید بدل برش یاد

بود خانهاشان سراسر پلاس   ندارد در دل زیزدان هراس

راجع كتاب الشاهنامه ، المجلد الأول ، ص ٣٦ ، القصيدة رقم ٣٧ ، ٣٨ ، ليدن ١٨٧٧م ، تحقيق : *Joannes Augustus Vullers*

(٢٢) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المجلد الثاني ، طبعة بيروت ١٩٦٦م ، ص ٢٤٩

(٢٣) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، طبعة القاهرة ١٩٣٨م ، ص ٧٩ . وفي الوقت الذي إعتبر المسعودي في الصفحة ٧٨ من هذا المصدر الكورد من القبائل العربية ، إستغل بعض الكتاب هذه الدعوة لتشويه التأريخ الكوردي ، راجع مثلاً الصفحة ٦٧٥ من كتاب أحمد داود ، تأريخ سوريا الحضاري القديم ١ – «المركز» ، دمشق ١٩٩٤م .

الموصل وجبل الجودي(٢٤) .

أما في كتاب (التنبيه والإشراف) ، فقد إعتمد المسعودي بكل تأكيد على الآثار الفهلوية ، لذلك جعل الكورد أولاد أسفندياذ وإعتبر قبائل البازنجان والشوهجان والشاذنجان والنشاوره والبوذيكان واللر والجورقان والجاوانية والبارسان والجلالية والمستكان والجبارقه والجردغان والكيكان والماجردان والهذبانية كردية خالصة إنتشرت بطونها في أقاليم فارس وكرمان وسجستان وخراسان وأصفهان والجبال وهمدان وشهرزور ودرآباذ وصامغان وآذربيجان وأرمينية وأران وبيلقان وباب الأبواب والجزيرة والشام والثغور(٢٥) . والواقع ، فإن الشبانكاره كانت أعظم إتحاد قبلي كوردي إنتمى إليه الأسرة الساسانية(٢٦) لم يتطرق إليهم المسعودي ، وإنما تحدث عنهم إبن البلخي ووزعهم إلى خمسة زموم ، وكل زم مائة صومه على حد قوله ، وهي زم جيلويه وزم الذيوان وزم اللواجان وزم الكاريان وزم البازنجان ، كما أورد إبن حوقل أخبار هذه الزموم في (المسالك والممالك) . وإستناداً على هذا النهج ، فقد ورد في الجزء الثاني من فصل الكاف ، باب الدال من كتاب (تاج العروس) إشارات تدعي أن جد الكورد هو «كرد بن عمرو مزيقياء وهو لقب لعمرو لأنه كان كل يوم يلبس حلة ، فإذا كان آخر النهار مزّقها لئلا تلبس بعده إبن عامر بن ماء السماء» . وإستند أحمد بن محمد بن

---

(٢٤) المسعودي ، مروج الذهب ، الكتاب الثالث ، الباب الثالث والثلاثون ، تدقيق ووضع وضبط الأستاذ يوسف أسعد داغر .

(٢٥) *رشيد ياسمي ، كرد وپيوستگي نژادو وتاريخي او ، تهران* ١٣١٩ (١٩٤٠م - ١٩٤١م) ، ص ١١٥ .

(٢٦) المصدر السابق ، ص ١٦٩ . راجع كذلك كارنامك أردشير بابكان ، تحقيق ثيودور نولدكه ، گوتنگن ١٨٧٩م ، ص ٤٩ ، وأنظر إلى نفس المصدر من تحقيق محمد جواد مشكور ، طبعة طهران ١٣٢٩ خورشيدي / ١٩٥٠ ميلادي .

إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبـو العبـاس الأربلـي الشـافعي (٦٠٨ هـ - ٦٨١ هـ) في كتابه (وفيـات الأعيـان) ، مـع الأسـف ، علـى هـذا الـرأي مشـيراً إلى «أن الأكراد من نسل عمر بن مزيقياء وقعـوا إلى أرض العجـم فتناسـلوا وكـثر ولدهـم فسـموا الأكراد» . وقد أعاد كل من إبن دُريد والكُتبي الدعوات الـتي ورت في كتـب المسـعودي وإبن خلكان ذاكران أسماء القبائل الكوردية مثل السورانية والجورانية والعمادية والحكاريـة والمحمودية والبُختية والبشوية والجوبية والزرزائية والمهرانية والجاوانية والرضائية والسروجية والهارونية واللـرية .

ومهما يكن الأمـر ، فـإن إنتسـاب الكـورد بـالنهج الفهلـوي والإسـلامي ، أدى إلى ظهور بعض الغموض في دراسة التأريخ الكوردي ، غير أن ما رواه إبن الجواني من علاقـة الكورد بقبائل المرديين جدير بالإهتمام ، وهؤلاء عاشـوا مـع الكورتيـين والكادوسـيين في جنوب بحر قزوين ونزحوا تدريجياً نحو كوردستان .

وفي فترة لاحقة ، أبقى الفارقي الأزرقي خلال القـرن الحـادي عشـر الميـلادي بعـض المعلومـات الوافيـة عـن الدولـة المروانيـة (الدوسـتكية) الكورديـة الـتي تمركـزت في مدينتـه ميافارقين (تيگرانوكرتا القديمة) ، وقد بعثته هذه الدولة إلى البلاط الجيورجي مبعوثاً لـدى الملك ديميتـر ، فتجول في بلاد القفقاس وسجّـل ملاحظاتـه في مجموعـة مـن المخطوطـات محفوظة لحد الآن بقسم الدراسات الشرقية في المتحف البريطاني تحت رقم *3R. Mus. OR 5803* وتُرجمت هذه المخطوطات إلى لغـات عديدة . وهناك أيضاً مخطوطات أخرى تعـود إلى عام ٥٧٢ هـ دُونت في دمشق خلال القرن السابع الهجـري بخط يـد جيـد وواضـح ، وهي نسخة كاملة عن تأريخ مدينة ميافارقين نشرها لأول مرة الدكتـور مـاركوارت *Dr. J. Marquart* في *Journal Of Royal Asian Society, 1902 (JRAS)* «مجلـة الجمعيـة الآسيوية البريطانية عام ١٩٠٢م» ، ثـم حققهـا وناقشـها أميـدروز في نفـس المجلة ضمـن

عددين مختلفين(٢٧) .

أما أخبار الدولة الشدادية الكوردية التي تمركزت في مدينة جنزه (گنجه) ، فلم تأتينا مباشرة من مؤرخه المحلي مسعود بن نامدار ، وإنما من خلال مخطوطة دربند نامه (تأريخ الباب) الذي إستنسخه الكاتب العثماني أحمد بن لطف الله الملقب بمنجم باشي المشهور كذلك بدرويش أحمد أفندي (توفي بمكة عام ١١١٣ هـ / ١٧٠٢م) . ثم قام أحمد نديم عام ١٧٣٠م بإتمام هذا العمل حيث طُبع بشكل موجز في ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨م بعنوان (صحائف الأخبار) وحُفظ في مكتبة توب قابي سراي بإستنبول بعنوان (جامع الدول) حيث إستطاع ولاديمير مينورسكي من إكتشافه في بداية الخمسينات من القرن العشرين .

لقد إستعمل منجم باشي عدداً ضخماً من المصادر والمراجع بجانب دربندنامه المدونة

---

(٢٧) راجع المصدرين المهمين التاليين لأميدروز :

H. F. Amedroz, Three Arabic MSS On History Of City Of Mayyafariqin, JRAS, 1902, PP. 785ff.

H. F. Amedroz, The Marwanid Dynasty At Mayyafariqin In The Tenth and Eleventh Centuries A. D., JRAS, 1903, PP. 123 - 155.

وقد قام السيد عبد الرقيب يوسف بجمع معلومات طريفة عن المروانيين في ميافارقين وديار بكر نشرها ضمن كتابه الموسوم بعنوان (الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى ، بغداد ١٩٧٢م) . ولد زميلنا في قرية زفنگا حاجي عليان ببوطان عام ١٩٣٧م ينتمي إلى الماسكي ، إنتقل إلى سوريا عام ١٩٥٧م ومنها إلى العراق ، بدأ الكتابة في التأريخ منذ عام ١٩٦٠م وصُدر أول مؤلف له بعنوان (ديوانا كرمانجي ١٩٧٠م) ثم قام بخدمات جليلة في جمع آثار وتراث كوردستان نشر حولها ٢٩٧ مقالاً .

(٢٨) راجع النسخة الروسية من كتاب (فصول من تأريخ الباب وشروان المؤلفة حوالي عام ٤٩٨ هـ) ، موسكو ١٩٦٣م ، ص ١٣ ، تحقيق ودراسة و . مينورسكي .

في الأصل بعد عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧٠م(٢٨) من قبل فقيه ديني إسلامي(٢٩) ، وأضاف عليها بعض الفقرات مستعيناً بمعجم ياقوت الحموي وسيرة إبن خلكان وتأريخ جهان آرا للغفاري . وبالرغم من أنه يحدد أخبار الدربند بعام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦م ، لكن الحوادث الواردة في مخطوطته تتعلق بعام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥م ، إذ أشار الصحفي في كتابه (الإعلان) إلى أن الذي ألّف كتاب تأريخ الباب والأبواب (دربندنامه) كان المدعو مصوص (؟) الدربندي(٣٠) ، لكن مينورسكي لم يترك أي شك في كون الكاتب الكوردي مسعود بن نامدار هو الذي قام بتأليف ذلك الكتاب(٣١) ، وقد عزز قوله ببعض الحقائق منها ، أن كاتب الدربندنامه الذي جمع مخطوطات ووثائق محلية ، عاش في جوار مدينة جنزه ، وكان في عداء شديد مع المسيحيين ولم يكن له في نفس الوقت مشاعر جيدة نحو الترك ، فبذلك يمكت وصفه بفارسي أو كوردي ، وهذا ما يجعله أقرب إلى أن يكون مسعود بن نامدار الذي نُسخت كتابه بعد أربعين عاماً من سقوط الدولة الشدادية بجنزه . ومما يؤسف له هو أن الذين إستنسخوا هذا المخطوطة متأخراً حرّفوا أسماءاً كثيرة وردت فيها ، كما حذفوا منه مجموعة من الألفاظ والكلمات ، ومنجم باشي هو الوحيد الذي حافظ على النصوص الأصلية ولم يبتعد كثيراً عن جوهر المواضيع ، ويظهر كذلك

---

(٢٩) *V. Minorsky, Studies In Caucasian History, London 1953, P. 3 .*

(٣٠) أعاد روسينثال قول الصحفي في كتابه التالي :

F. Rosenthal, A History Of Muslim Historiographiy, 1952, P. 385 .

(٣١) راجع النسخة الروسية من (فصول من تأريخ الباب) ، ص ١٧ ، الهامش رقم (٨) . وكذلك راجع :

V. Minorsky ; C. Cahen " Le Recuil Transcaucasien " , Jour. AS, 1949, PP. 93 - 149

أن المخطوطات التي إستند عليها منجم باشي كانت في الأصل ناقصة ، وهي تختفي كوريقات في مكتبات عديدة بالدول الإسلامية ، والنسخة السليمة التي رأت النور من هذه المخطوطة كانت مهداة إلى القيصر الروسي بطرس الأكبر من قبل حاكم الدربند المدعو إمام قلي أثناء إحتلال الدربند من قبل الروس عام ١٧٢٢م ، وقد تُرجمت هذه النسخة إلى الفرنسية من قبل كلابروث عام ١٨٢٩م(٣٢) ، والعمل القدير لحفظ هذه الوثيقة تم عن طريق الأكاديمية الروسية عام ١٨٥١م حينما ترجمتها إلى الإنجليزية(٣٣) . ومع ذلك ، فإن ما وجدها مينورسكي من بقية الكتاب تحوي معلومات وافية تتعلق بالسلالات الكوردية التي حكمت قفقاسيا وتزعمت القوى الإسلامية أثناء المعارك التي جرت ضد الممالك المسيحية . وبعد التحقيقات ، قام مينورسكي بنشر ملاحظاته ضمن كتابين يُعتبران من أهم المراجع في تأريخ الكورد وهما كل من :

1) Studies On Caucasian History, London 1953 .
2) A History Of Sharvan and Darband In The 10th - 11th Century, Cambridge 1958 .

بالرغم من أن عدداً من الكتاب المسلمين الأوائل ، كالدينوري وإبن الأثير وإبن

---

(٣٢) راجع الترجمة الفرنسية لمخطوطة دربندنامه :

J. Klaproth, Exrait Du Derbend - Nameh Ou De L' Histoire De Derbend - JA. 2 Ser. T. III, 1829, PP. 439 - 467 .

(٣٣) وراجع كذلك الترجمة الإنجليزية لمخطوطة دربندنامه :

Derbend - Nameh, Or The History Of Derbend. Translated From Turkish Version ... And With Notes, St. Peterburg, Memoires Des Savants Étrangers Publies Par L' Academie Des Sciences, T. VI, 1851 .

خلكان والفارقي وغيرهم ، كانوا ينحدرون من العنصر الكوردي ، إلا أنهم لم يسردوا أخبار أجدادهم وحوادث قومهم إلا كجزء من تأريخ الأمة الإسلامية . فأبو حنيفة الدينوري أحمد بن داود المتوفي عام ٢٨١ هـ صاحب إصلاح المنطق وجواهر العلم والجبر والمقابلة وحساب الخطأ والفصاحة وكتاب النبات وكتب الوصايا ولحن العامة وكتاب الأنواء وكتب أخرى أهداها إلى ركن الدولة البويهي عام ٢٣٥ هـ ، لم يسجل شيئاً يخص تأريخ موطنه دينور (ميديا) ، وكان هذا النهج سائداً كذلك في مخطوطات الفرس والعرب والترك مثل (فارسنامه) الذي ألف في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي من قبل إبن البلخي على أغلب الإحتمال (٣٤) ، وكذلك كل من (مسالك الأبصار) للعمري و(جهان نما) للحاجي خليفة . ولكن مما يؤسف له ، هو أن الأدباء والمؤرخين المحدثين الكورد لم يتركوا بدورهم شيئاً من تراثهم اللغوي والتأريخي بعد أن تركوا دنيانا . ومن بين أشهر هؤلاء كان كل من إبن الحاجب (توفي في الإسكندرية عام ٦٤٦ هـ) الذي كتب عن فقه المالكية ، وإبن الصلاح أستاذ إبن خلكان وأحد علماء الشافعية (ولد بشهرزور عام ٥٧٧ هـ وتوفي في ٦٤٣ هـ) ، وأبو بكر الجوراني صاحب المصنف وكتاب شرح المحرر وبعض الكتب الفارسية (وافاه الأجل عام ١٠١٤ هـ) ، وأبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل علي بن كثير المولود بدمشق عام ٦٧٢ هـ والمتفي في ٧٣٢ هـ) ، ألف بالإضافة إلى مسؤوليته السياسية ، كتباً عديدة مثل تأريخ أبي الفدا والمختصر في تأريخ البشر وتقويم البلدان وكتاب الموازين . أما الآمدي (أبو الفضائل علي بن أبي

---

(٣٤) راجع :

Ibnu'l Balkhi, Farsnameh, (Ed. by G. Le Strange & R. A. Nicholson), London 1921, Cambridge University Press .

المظفر يوسف بن أحمد بن جعفر المتوفي فبغداد عام ٦٠٤ هـ) فقد كتب في الفقه والحديث والحساب ، ولحقه أبو الفضل الأربلي (شرف الدين أحمد بن كمال الدين أبي الفتح موسى المتوفي في أربيل عام ٦٢٢ هـ) صاحب كتاب إحياء علوم الدين المختصر ، ثم كتب الخلاطي عن أصول الأحكام . ومن بين كل هؤلاء ، يمكننا أن نستثني شرف خان أمير بتليس الذي إنتهى بنهجه التقليدي من كتابة تأريخ زعماء وأمراء أمته الموسوم بعنوان (الشرفنامه) عام ١٥٩٧م(٣٥) ، ذلك النهج الذي إستمر طوال العصر العثماني كما نراه كذلك في أقوال محمد أفندي الكوردي المشهور بفاضل عصره وعلامة زمانه عندما يشير إلى أن أمته ترجع إلى « كرد بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح ، وهم كثيرون ، ولكنهم يرجعون إلى أربعة قبائل ، السوران والگوران والكلهور واللر ، ثم أنهم يتشعبون إلى شعوب وبطون كثيرة لا تُحصى متغايرة ألسنهم وأحوالهم » . وبالرغم

---

(٣٥) راجع بحثنا الموسوم بعنوان (الدراسات التأريخية في الصحف الكوردية) الذي قدمناه باللغة الكوردية في أربيل يوم ٢٦ / ٧ / ١٩٨٣م بمناسبة يوم الصحافة الكوردية ونُشر في مجلة روشنبيري نوي / المثقف الجديد) ، العدد ٩٩ أيلول ١٩٨٣م . ومن الجدير بالإشارة إلى أن شرف خان ، مؤلف كتاب (الشرفنامه) عاش خلال القرن السادس عشر الميلادي وكان أميراً على مقاطعة بدليس بكوردستان الشمالية ، إنتهى من كتابة مخطوطته باللغة الفارسية عام ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٧م ، وأكمل ولادمير وليامينوف تحقيقها عام ١٨٦٠م ونشره بالعنوان التالي :

Scheref - Nameh, Ou Histoire Des Kourdes Par Scheref, Prince De Bidlis, Publice Pour La Premiere Fois Tragduite Et Annotee, Par V. Veliaminof - Zernof. Tom I, St. Petersbourg 1860, Commissionnaires De L' Academie Imperiale Des Sciences A St. Petersbourg A. Riga A Leipzig .

ثم أعاد طبعها فرج الله زكي الكردي في القاهرة ، إلا أن المرحوم جميل بندي الروزبياني ترجم النص الفارسي لهذه المخطوطة إلى اللغة العربية بشكل دقيق وطبعها في بغداد عام ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣م .

من هذا النهج الذي إلتزم به هؤلاء ، لكن شرف خان سيظل هـو البـادر الأول في قضيـة تحديد جوهر الموضوعات التأريخية ضمن إطار قومي – إقطاعي .

المبحث الثالث – مخلفات وآثار الأقوام البائدة في كوردستان :

حدد المؤرخون موطن الكورد وقبائلهم الرحالة عـبر التـأريخ فيمـا بـين آذربيجـان في الشمال وأرض فارس في الجـنوب ، وبين همدان في الشرق حتى أرض الجزيـرة في الغـرب ، ، وعندمـا خضـع لدولـة السـلاجقة أيـام السـلطان سـنجر ، عُرفـت الأقسـام الشـرقية والجنوبية منـه في القـرن ١٢ الميـلادي بـإقليم كوردسـتان(١)، فسجـّل حمـد ا لله المسـتوفي القزويني عام ٧٤٠ هــ / ١٣٤٠م في مقالتـه الثالثـة ، التكويـن الإداري للولايـات السـتة عشرلهذا الموطن(٢) . ومع تطور علم الأركيولوجيا ، أجريت في كوردستان حفريات مـن

---

(١) في الفقرة ١١ من كتابـه ، سجـّل مـاركو بولـو (١٢٥٤م – ١٣٢٣م) هـذه الكنيـة في نفـس الفترة بصيغة *Cardistan* بعـد أن أورد إسـم الكـورد بصيغـة *Cardi* . راجـع الفقـرة السادسـة ، الصفحة ١٩ من كتاب ماركو بولو ، طبعة تريفيگي ١٦٤٠م :

Marco Polo Venetiano, Delle Merauiglie del Mondo Per Lui Vedute. Di nuovo Ristampato etc. Trevigi 1640 .

كذلك راجع الصفحتين ٦٠ ، ٧٤ من الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب :

The Travels Of Marco Polo, A Venetian, In The Therteenth Century. Translated From The Italian with Notes by William Marsden, London 1818 .

(٢) تـوفي السلطان سنجـر عام ١١٥٧م بعد أن وزّع كوردسـتان على ١٦ ولايـة حملـت الأسمـاء التالية :

« آلاني ، آليشتر ، بهار ، خفتيان ، دربند تاج خاتون ، دربند زنگي (زەنگەنە) ، دزبيـل ، دينـور ، سلطان آبـاد جمچمـال ، شـهرزور ، كرمنشـاه ، كـرنـد وخوشـان ، كنگـور (قصـر اللصـوص) ، مايدشت ، هرسين ، وسطام » وأعتبرت قلعة بهار الواقعة على شمال همدان مركز هـذه الولايـات

قبل البعثات الأوربية والأمريكية طوال القرن العشرين ، فظهر لديهم أن هذا الموطن كان مهداً لحضارات قديمة وردت أخبار أصحابها في نصوص كتابية سواء منها ما أكتشفت في مناطقه العديدة كألواح ملوك أوركيش وناوار ، المملكتان اللتان نشأتا على ضفاف نهري الخابور وسيروان خلال الألف الثالث قبل الميلاد(٣) أو تلك المجموعة التي أبقاها السومريون والأكديون والبابليون والآشوريون في أرشيفات ملوكهم ومعابدهم ، ومنها نصوص مدينة نيبور التي تعود إلى سلالة أور الثالثة السومرية (٢١٠٠ ق. م. – ٢٠٠٠ ق. م.) ظهرت فيها الأسماء الخورية التي توضح بعض العلاقة الحضارية كانت موجودة بين سكان كوردستان القدماء وبلاد سومر .

لقد ألقى كل هذه المصادر الضوء على أوضاع وظروف ممالك قديمة أخرى نشأت في في شمال وشمال شرقي وادي الرافدين مثل أرّابخا وخمازي ومانّنا وأورارتو التي أنشأتها مجموعات كوتية ولولوبية وخورية . وبالرغم من بقاء ثقافة الكوتيين واللولوبيين محلية ، وهم أقدم المجموعات الأثنية في كوردستان ، إلا أن الثقافة الخورية أخذت تنتشر خارج

التي كانت تتاخم ولايات العراق العجمي وخوزستان والعراق العربي وآذربيجان وديار بكر . ومع كون ديار بكر مركز مقاطعة كوردويني منذ أزمنة قديمة ، لكنها لم تُعتبر جزءاً من كوردستان في العصر السلجوقي ، لأنها لم تكن تخضع للأتراك في هذه الفترة . للمزيد من هذه المعلومات راجع :
Mustawfi, Hamd - Allah, Nuzhat al - Qulub. The Geographical Part Of The Nuzhat al - Qulub Composed by Hamd - Allah Mustawfi Of Qazwin in 740 (= 1340), Translated by G. Le Strange. Leyden 1919, Section 10, PP. 105 - 107 .
راجع أيضاً : القزويني ، نزهة القلوب ، تحقيق گاي لسترانج ، طبعة ليدن ١٩١٢م ، المقالة الثالثة ، ويمكن كذلك مراجعة : *G. Lastrange, The Land Of Eastern Caliphate, Cambridge 1905, P. 5* ، والصفحة ١٨ من الترجمة العربية لهذا الكتاب : لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٤م ، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد .

(٣) شوهد في هذين اللوحين إسم أريزين *Arizen* كملك أوركيش وناوار وكذلك خاويلوم .

هذا الموطن ووصلت تأثيراتها في الألف الثاني قبل الميلاد إلى كل من الأنضول وسوريا وفلسطين وحتى إلى مصر في فترة سيادة الهكسوس(٤) . وعلى هذا الأساس ، فإننا ، بالإضافة إلى المناطق المذكورة ، تجد عاديات الخوريين كذلك في عيلام (إيران) وبابل وآشور (العراق) وماري (تل الحريري) وشوبات إنليل (شهربازاز) وألالاخ (تل عطشانة) وقطنة وأوغاريت (رأس شمرا) وتونب وأخت آتون (تل العمارنه في مصر) . وبناءاً على هذه الحقيقة ، فقد إنتقلت مفردات لغوية خورية ومعتقدات دينية سوبارية وبعض مظاهر صناعة العربات الميتانية من كوردستان إلى العراق وسوريا وحتى إلى مصر . وعلى كل حال فإن أغلب معلوماتنا عن الكوتيين تأتينا من خارج كوردستان منذ أن حكم ملوكهم المناطق السفلى لوادي الرافدين مثل إرّيدوبيزير *Erridupizir* المعاصر لنارام سن الأكدي

---

(٤) كانت أسماء ملوك الهكسوس في مصر شبيهة بالأسماء الخورية . حول هذا الموضوع راجع :
W. Helck, Die Beziehungen Ägyptens zu Vorderasien im 3. und 2. Jahrtausend V. Chr. Wiesbaden, 1962, 1971 .

وأشار عالم الآثار التشيكي بدريج هروزني عام ١٩٣١م بإسهاب عن دور الخوريين أثناء غزو الهكسوس لمصر ، إذ عُرفوا هناك بـ(خور *Hor*) . حول هذا الموضوع راجع دراسات هروزني للسجلات الحثية :

B. Hrozny, Le Hittite. Histore et Progres du Duchiffrement des Textes. - ArOr, 3, April 1931, P. 288 .

وإعتقد دياكونوف أن الخوريين دخلوا إلى مصر بعدما طغت عليهم السمات السامية ، وكانت المصادر المصرية التي تعود إلى بداية حكم الأسرة الثامنة عشر التي حكمت مصر خلال القرن ١٦ ق.م. تطلق عليهم كنية (خر *ḫ.r*) على أنهم مهاجرين من سوريا وفلسطين . راجع بالروسية مقال دياكونوف :

I. M. Diakonoff, Yaziki Drewney Peredney Azii. Moscow 1967, Str. 114 .
I. M. Diakonoff, Hurrisch und Urartäisch. MSS, Beiheft, 6, (1971), N. F., s. 9 .

(القرن الثالث والعشرين ق. م.) وكذلك سرلگب *Sar - Lagab* الـذي كـان في صـراع مع الملك الأكدي شار كلـي شـاري (٢٢٢٣ ق. م. – ٢١٩٨ ق. م.) . فقائمـة إثبـات الملوك السومرية التي أكتشفت في النصف الأول من القـرن العشـرين وحققهـا ثـم نشـرها جاكبسون ، كانت تحوي ٢١ لقباً من الألقاب الملكية الكوتية حكموا خارج بلادهم(٥) .

وقد أكّد كذلك أفرام سبايزر هذه الظاهرة في إحدى المجلات للعلوم التأريخية في سويسرا ، راجع :

E. A. Speiser, The Hurrian Participation In The Civilizations Of Mesopotamia, Syria and Palestine. - CHM 1 (1953 - 1954), PP. 311 - 327 .

وأن أحدث الدراسات حول إنتشار الطبقة الأرسـتقراطية الميتانيـة المعروفـة بماريـانو في سـوريا تم بيـد المؤرخ الإسرائيلي رفيف في أورسليم ، راجع بحثه في :

H. Raviv, Some Comments On The Mariannu. Israel Exploration Journal 22, Jerusalem 1972, PP. 218 - 228 .

وفي الفصل ١٣ الخاص بأصل الهكسوس ، يوضح سيتيروس في كتابـه الموسـوم بعنـوان (الهكسـوس) دور الخوريين في الهجرة نحو مصر وذلك بتأثير فرسان ماريانو الآريين . حول هذا الموضوع راجع :

J. Van Seters, The Hyksos. A New Investigation. New Haven - London 1966, PP. 181 - 190 .

P. Vernus, Les Hurrites Dans Les Sources Egyptiennes. - PCH, (1977), PP. 41 - 49 .

وعن وثائق الميتـانييـن التي أكتشفت في جميع المناطق المذكورة راجع دراسة كلينغل :

H. Klengel, Mitanni : Problem Seiner Expansion und Politischen ... (1978) .

(٥) ترجم جاكبسون هذه القائمة إلى الإنجليزية ونشرها عام ١٩٣٩م :

Th. Jacobsen, The Sumerian King List. Chicago 1939, AS IX

وإحتوت الصفحات ٩٧ – ٩٩ بقية أسماء ملوك الكوتيين وتنتهي بإسم تريكان .

أما أخبار اللولوبيين ، فتأتينا على الأغلب من المصـادر الأكدية والآشـورية(٦) . والفضـل الكبير في توضيح المعالم اللغوية والدينيـة لسـكان كوردسـتان القدمـاء فتأتينـا مـن المصـادر المكتشـفة في مـدن كنـوزي (گاسور القديمـة) وأرّابخـا وكوروخـاني وشمشـاره (شوشّـاره القديمة) وحسانلو وزيويه أو في كل من بوغـاز كويـي جنوبـي أنقـره (حتوششـا القديمـة) وألالاخ (تل عطشانة) وأوغاريت (رأس شمرا) وشهربازار وتل براك بسوريا ، وكذلك مـا

---

(٦) لاحظ أقوال سرجون الأكدي عن اللولوبيين في مقال هورست كلينگل بمجلة معهد التنقيبات الأثرية

H. Klengel, Lullubum. Mitteilungen Des Instituts Für Orientforschung, Band XI. Heft 3, (1966), s. 350 .

وحول الرسائل المتبادلة بين ملوك اللولوبييـن وملوك إيبلا (تل مرديخ جنوب حلب) راجع :

G. Pettinato, The Archives Of Ebla. An Empire Inscribed In Clay, New York 1980, P. 108, 73 .

وعن حروب مملكة حمـازي مع كيش فراجع :

Reallexikon Der Assyriologie, III, s. 70 - 71 .

وهناك نصوص مسمارية في قائمة إثبات الملوك تتحدث عن إعتداءات مدينة أوروك (الوركـاء) علـى مملـك حمـازي ترجمهـا جاكبسـون إلى الإنجليزيـة ونشـرها في كتابـه المذكـور أعـلاه . وعـن أهميـة اللولوبيين بتقلد مناصب ملكية في مطلع العصر الآشوري القديم ، راجع كتاب أفرام سبايزر الموسـوم بعنوان :

E. A. Speiser, Mesopotamian Origins. The Basic Population Of The Near East. Philadelphia 1930, P. 88ff .

راجع كذلك رسالتنا باللغة البلغـارية (دراسات حول تأريخ كوردستان قديماً ، صوفيـا ١٩٧٣م) ، وكتاب دياكونوف بالروسية (تأريخ الميديين ، موسكو ١٩٥٦) وكل من د. جمال رشيد أحمد ؛ د. فوزي رشيد ، تأريخ الكورد القديم ، أربيل ١٩٩٠م .

إحتواه كل من أرشيف الأسرة الثامنة عشر من المملكة الحديثة لفراعنة مصر المكتشفة في تل العمارنة(٧). والنصوص المكتشفة في ماري (تل الحريري قرب آلبو كمال)

---

(٧) حول هذه المواقع وعلاقة الخوريين بها راجع الدراسات التالية :

E. Cassin, Le Palais de Nuzi et la royautè d' Arrapha Le Palais et la royaute. 19 e RAI 1974, P. 1971, Ed. P. Garelli. P., PP. 373 - 392 .
B. L. Eichler, Indenture at Nuzi. The Personal Tidennutu Contract and its Mesopotamian Analogues. - Yale Near Eastern Researches, 5. New Haven - London 1973 .
W. Chow Wing - Kin, Kings and Queens Of Nuzi. DBU, 1973, PP. 32 - 73 .
رسالة دكتوراه قُدمت إلى جامعة براندايس وطبعت في ميكروفيلم .

أما حول موقع (كوروخاني) ، فراجع دراسة الدكتور ياسين محمد الخالص المنشورة في مجلة سومر ، العدد ٣ ، بغداد ١٩٧٧م ، إذ يشير فيها إلى أن إكتشف في هذا الموقع ما يقارب من ٦٠٠ لوح كتابي . راجع أيضاً :
K. Deller, Materialien Zu dem Lokalpanthea des Königreiches Arraphe. - Or, 45, Roma 1976 .
K. Deller, Die Hausgötter der Familie Šukrija s. Huja .
- Studies On The Civilization and Cultur Of Nuzi and The Hurrianss. Winona Lake 1981, PP. 47 - 76 .
C. Zaccagnini, The Rural Landscape Of The Land Of Arraphe . - Quaderni di Geografia Storica, 1, Roma 1979 .
ولعل أبرز دراسة معاصرة حول ألواح كركوك العائدة لأسرة وولو أجرتها الباحثة الدانيماركية كترزينا گروز *Katarzyna Grosz* عام ١٩٨٨م بدعم من مؤسسة الآثار الدانماركية وأعتبرتها جزءاً من مخلفات الخوريين في أرّابخا . حول تفاصيل هذا الموضوع راجع كتابها الموسوم بعنوان :
K. Grosz, The Archive Of The Wullu Family. Copenhagen 1988 .

على الحدود العراقية السورية التي درسها بإسهاب عالم المسماريات الفرنسي المعروف ثيورو دانجين في نهاية الثلاثينات من القرن العشرين حيث نشر نتائج أعماله عام ١٩٣٩م

حول المواقع الخورية الأخرى راجع :

Y. M. Al - Khalesi, Tell al - Fakhar (Kurruhanni) a demtu - Settlment. Excavation Report - Assur 1, 6, (1977), PP. 1 - 42 (= 81 - 122).

J. Læssoe, The Shemshara Tablets. A Preliminary Report. - Arkaeologisk - Kunsthistoriske Meddelelser 4, 3. Koebenhaven 1959 b.

J. Læssoe, People Of Ancient Assyria. London 1963.

وكان أول دراسة للنصوص الخورية المكتشفة في بوغاز كوني نشرت في :

Corpus der Hurritischen Sprachdenkmäler.

ثم كتب عن هذه المكتشفات كل من :

M. Salvini ; I. Wegner, Die Rituale des AZU - Priesters.
- Corpus der Hurritischen Sprachdenkmäler.
Abt. 1. Die Texte aus Bogazköy. Bd. 2. Roma 1986.

V. Haas, Die Serien Itkahi und Itkalzi des AZU - Priesters.
Rituale Für Tašmišarri und Tatuhepa Sowie Weitere Texte Mit Bezung Auf Tašmišarri.
- Corpus der Hurritischen Sprachdenkmäler.
Abt. I. Die Texte Aus Bogazköy. Bd. I. Roma 1984.

وما أكتشفت من مخلفات خورية في كيزواتنا (أطنه الحالية) درسها هاس بالتعاون مع ويلهلم :

V. Haas ; G. Wilhelm, Hurritische und Luwische Riten Aus Kizzuwatna. - Hurritologische Studien, 1 (AOAT. Sonderreihe, 3) 1974

أما عن الآثار الخورية المكتشفة في موقع ألالاخ ، فهناك دراسات عديدة عنها ، منها على صيغة رسائل جامعية مصورة على ميكروفيلم في بنسلفانيا مثل :

A. Draffkorn - Kilmer, Hurrians and Hurrian at Alalah. An Ethno - Linguistic Analysis. DUP, 1959.

في مجلة الآشورولوجيا(٨) . ولعل أحدث المحاولات لدراسة النصوص الخورية التي شوهدت في سجلات ماري كان من قبل ساسون حيث نشر حصيلة جهوده عام ١٩٧٤م(٩) في

أو ما نشر منها في التوراة ومجلة الشرق القديمة :

D. Collon, The Seal Impressions From Tell Atchana (Alalakh). - AOAT, 27, (1975) .

وحول لوحة إدريمي ملك ألالاخ فيمكن مراجعة بحث ديتريش المنشور في مجلة البحوث الأوغاريتية :

M. Dietrich, Die Inschrift de Statue des Koniges Idrimi Von Alalah. - UF, 13, (1981), PP. 201 - 262 .

E. Laroche, Documents en Langue Hourrite Provenant de Ras Shamra. - Ug, 5 ; MRS, 16, (1968), PP. 447 - 544 .

C. G. Von Brandenstein, Zum Churrischen Aus den Ras - Shamra Texten . - ZDMG, 91, N.F. 16 (1937) . .

وعن نتائج الحفريات في شهربازار وتل براك ، فراجع العدد السابع من مجلة (العراق) .

C. J. Gadd, Tablets From Chagar Bazar and Tel Brak. IRAQ VII (1940) .

وعن الرسائل المتبادلة بين ملوك ميتاني (وخاصة رسالة توشراتتا التي إحتوت على ٥٠٠ سطر) وبين فراعنة مصر ، فراجع كل من :

J. A. Knudtzon, Die El - Amarna Tafeln. - Vorderasiatische Bibliothek, 2. Leipzig 1915 .

A. Breasted, History Of Egypt. New York 1924 .

أعيد طبع النسخة الإنجليزية من كتاب بريستد عام ١٩٥١م ، وكان الدكتور حسن كمال قد ترجمها عام ١٩٢٩م إلى اللغة العربية بعنوان [جيمس هنري برستد ، تأريخ مصر من أقدم العصور حتى الفتح الفارسي ، القاهرة ١٩٢٩م] . وهناك دراسات عديدة أخرى حول علاقة المملكة الحديثة في مصر مع الممالك الآسيوية ، نستغني عن ذكرها هنا .

(٨) *Th. Dangin, Tablettes Hurrites Provenant Mari . - RA, 36, (1939), PP. 1 -*

(٩) راجع :

J. M. Sasson, Hurrians and Hurrian Names In The Mari Texts. - UF, 6, 28, (1974)

مجلة البحوث الأوغاريتية ، في حين أن أعمال فنكلشتاين المتعلقة بتنصيف ٢٩ إسماً من الأسماء الخورية التي جمعها *I. J. Gelb* أصلاً من السجلات البابلية لم تكن من الأمور الهينة في بداية القرن العشرين ، وقد تضمنت هذه السجلات كذلك أسماء أماكن جغرافية قديمة في كوردستان التي سميت في حينها بالأسماء السوبارية(١٠) .

إعتقد *C. J. Gadd* أن صيغة سوبارتو من الناحية اللغوية والأثنية أكثر ملائمة لتسمية المناطق الشمالية والشرقية لوادي الرافدين ، مستشهداً بذلك على رسائل تل العمارنه التي حوت هذه الكنية وعُرف الخوريين فيها بالسوباريين الذين يعيشون في مملكة «ميتانني»(١١) وكانت هذه صيغة أكدية لـ(سوبير) السومرية التي سُجلت لأول مرة قبل العصر الأكدي خلال فترة حكم لوكال آني موندو ملك مدينة آداب حوالي الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد أكتشفت نسخة حديثة من لوح لوكال آني موندو في مدينة إيسن(١٢) .

---

(١٠) *J. J. Finkelstein, Subartu and Subarians In Old Babylonian Sources. JCS, 9, New Haven, 1955, PP. 1 - 7.*

(١١) *C. J. Gadd, Tablets From Kirkuk. RA, XXIII, 1926, P. 62, 71.*

حاول كذلك أونغناد أن يطابق اللغة الخورية بالسوبارية من خلال سجلات بوغاز كوي ، راجع :
A. Ungnad, Subartu. Berlin - Leipzig 1936.

(١٢) تتركب كنية سوبير من مقطعين ، الأول (سو) ذو المفهوم الأثني ، والثاني (بير) ذو المفهوم الجغرافي بمعنى «الخارج» . حول تفاصيل هذا الموضوع راجع : د. جمال رشيد أحمد ؛ د. فوزي رشيد ، تأريخ الكرد القديم ، أربيل ١٩٩٠م ، ص ٤١ .

لقد إستعمل الأكديون هذه الكنية بصيغ عديدة مثل (شوبارتوم ، سوبارتوم وشوبارتو) وكانو يعنون بها المقاطعات الشمالية الواقعة بين مرتفعات عيلام (إيران) في الشرق وبلاد آمورو (سوريا) في الغرب ، بينما يمكن تهجئتها في السجلات المسمارية للملك الأكدي نارام سن (٢٢٦٠ ق. م. – ٢٢٢٣ ق. م.) بصيغة (شوبارتيم)(١٣) التي إعتبرها كإحدى جهات العالم الأربع ، وكانت تُعبّر في وقت لاحق عند الآشوريين عن مفهوم الشرق وليس الشمال . فإذا كان الأكديون يعنون بهذه الكنية الأراضي الواقعة بين عيلام وآمورو في جهة الشمال التي عاش فيها كذلك الكوتيون واللولوبيون ، فإن إصطلاح (شوبارو) كان يعني عندهم (خوريٌّ) ، لأن أغلبية سكان سوبارتو كانوا في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد من الخوريين على مايظهر ، وقد وردت في بعض السجلات مصطلحات وكلمات سوبارية شبيهة للخورية(١٤) ، وعلى هذا الأساس ،

---

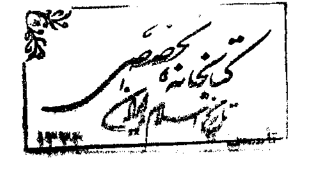
(١٣) كان سرجون هو من أقدم ملوك أكد الذي غزا سوبارتو ، وحول تفاصيل هذا الموضوع راجع :

A. Ungnad, Subartu, Berlin - Leipzig, 1936, s. 41 .

وإعتبر حفيده نارام سن نفسه كذلك ملكاً على سوبارتو حيث ذكر نفسه في لوح من ألواحه أنه : «نارام سن ، ملك أكد الحاكم ؟ على كل بلاد عيلام لحد باراهشي وبلاد شوبارتيم حتى غابات الأرز» بينما حددت لوح لوكال آني موندو هذه البلاد بين كوتيوم وآمورو كما يلي :

«عيلام ، ماراهشي (باراهشي) ، كوتيوم ، سوبير ، آمورو (مار . تو) ، سوتيوم» . للإستزادة من هذا الموضوع راجع : *E. A. Speiser, Mesopotamian Origins, P. 125, 129* .

(١٤) فالكلمة السوبارية *a(i)arahi* تقابل *hiari* في الخورية وتعني «الذهب» بينما تعني *hiaru ohhe* «الذهبي» في كليهما . وكلمة *pitqu* السوبارية التي تعني «الإبن» جاءت في الخورية بصيغة *fudgi* أو *futki* (وأحياناً *futki/hi*) . أما كلمة *astu* «المرأة» فقد ورت في الخورية بصيغة *asti* ، وكذلك نرى *haiani* «الصغير» تصبح في الخورية بصيغة *hai(-ne)* . راجع تفاصيل هذا الموضوع عند أونغناد ودياكونوف :



وبعد أن سجّل إي أنّاتم (حوالي ٢٤٧٠ ق. م. – ٢٤٣٠ ق. م.) ثالث ملك من ملوك سلالة لغش الأولى (حوالي ٢٥٢٠ ق. م. – ٢٣٥٥ ق. م.) هذه الكنية في ألواحه ، إعتبرها حمورابي (١٧٢٨ ق. م. – ١٦٨٦ ق. م.) كبلاد يسكنها السوئيون (*SU*) وكانت هذه البلاد تقع بإعتقاده بين جبال زاگروس في الشرق ونهر الخابور في الغرب ومن ضمنها آشور ، لذلك نرى مردوك بلادان (٧٢١ ق. م. – ٧١٠ ق. م.) الثائر على سرجون الآشوري في بابل لا يزال يصف خصمه كملك بلاد سوبارتو(١٥) ، بينما نرى في الحوليات الآشورية هذه الكنية بصيغة (شوبارو) بدلاً من (شوبارتو) على غرار (عيلامو) بدلاً من (عيلامتو) وكانوا يعنون بها جماعة أثنية وليس منطقة جغرافية كما إستعملها الأكديون والبابليون . وإذا إشتهر الآشوريون كسوباريين بنظر هؤلاء ، فإن مرد ذلك يرجع إلى كون جميع سكان شمال وادي الرافدين كانوا خاضعين لإمبراطورية ميتاني في الألف الثاني ق. م. ، التسمية التي أستعملت مرادفة لسوبارتو منذ هذه الفترة حيث شملت هذه الإمبراطورية المقاطعات والمدن الواقعة بين كركوك حتى تونب (بعلبك) الواقعة على نهر الأورنط ومن ضمنها نينوى(١٦) .

لقد أدت ظاهرة الترادف في إستعمال كنيتي سوبارو مع الخوري إلى ظهور بعض الإرتباك في علم الخورولوجيا المبكر ، وكان أونگناد هو أول من أشار عام ١٩٠٩م إلى أن

A. Ungnad, Subartu ..., s. 106f.
I. M. Diakonoff, Hurrische und Urartäische. München 1971, s. 6.

(١٥) طه باقر ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، منشورات دار البيان رقم (١٥) ، ١٩٧٣م ، ص ٧٧ . وفي المفهوم الأدبي البابلي أصبحت سوبارتو تعني آشور . حول هذه القضية راجع :
W. H. Ph. Römer, Studien Zu Altbabylonischen Hymnisch - Epischen Texten (3). - Wo, 4, (1967 - 1968), PP. 12 - 28.

(١٦) جيمس هنري برستد ، تأريخ مصر ... القاهرة ١٩٢٣م ، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

(ia) هي لاحقة سماها بـ *Hypocoristic Suffix* لاحظهـا في أسمـاء الأعـلام الخوريـة ، وأن تطابق السوباريين مع الخوريين ستكون من الأمور الأكيدة في المستقبل على حد قولـه(١٧) لذلك قام فنكلشتاين بتحليل أسماء المواقع الجغرافية في سوبارتو وقارنها بأسماء أخـرى ذات أصول خورية ، وقد إستفاد من الألواح المكتشفة في نوزي بعد أن نشر *J. G. Pinch* بحثه الخاص حول مدونات ونصوص الألـواح الخوريـة بصـورة عامـة(١٨) ، ثـم حـدد گـاد أسماء الأعلام لسكان نوزي إستناداً على الرقيمات المكتشفة فيها(١٩) .

وبعدما طابق هؤلاء كنية (السوباري) مع (الخوري) ، ورغم تـرادف (الميتـانني) مـع (سوبارتو) كما تورد في سجل ملك بيبليوس بسورية على حـد قـول سـبايزر(٢٠) ، فـإن صيغة (الخوري) طغت بمرور الزمن في علـم الخورولوجيـا علـى الإصطلاحـات الأخـرى ، فنُشرت البحوث على هذا الأساس بإسم (الحوريين) بدلاً من السوباريين ، ومن أهم هـذه البحـوث كتـاب گيرنوت ويلهلـم وتلـك الدراسـة الـتي نشـرها ميخالوفسـكي في «مجلـة

---

(١٧) *A. Ungnad, Subartu. Beiträge Zur Kulturgeschichte unds Völkerkunde Vorderasiens. Berlin - Leipzig 1936 .*

راجع كذلك دراسات گيلب وپوڤيس وماك راي حول نوزي :

I. J. Gelb ; P. M. Purves ; A. A. MacRae, Nuzi Personal Names. Oriental Institute Of The University Of Chicago Publications, 57, Chicago 1943 .

(١٨) راجع :

J. G. Penches, Coneiform Texts. Part 21, JRAS, 1897, P. 590ff.

(١٩) أنظر إلى ألواح كركوك :

C. J. Gadd, Tablets From Kirkuk ..., P. 49 .

(٢٠) راجع أفرام سبايزر :

E. A. Speiser, Mesopotamian Origins ..., P. 129ff.

الدراسات الآشورية وآثار الشرق الأدنى»(٢١) ، وكان گيلب منذ الخمسينات من القرن العشرين يحذو هذا النهج بعد أن طابق كنية السوباريين مع الخوريين في عدد من بحوثه التي نُشرت في الأربعينات من القرن الماضي(٢٢) . ورغم إنتشار الخوريين في بلاد سوبارتو التي سكنها كذلك اللولوبيون والكوتيون ، إلا أن أخبار هؤلاء ، سواء أثناء تعاظم شأنهم الحضاري والسياسي أو في فترة أفول نجمهم ، لم تدون باللغة الخورية ، وإنما جاءتنا من خلال سجلات أعدائهم الأكديين والآشوريين ، وليس لنا في هذه الحالة إلا الإعتماد على هذه السجلات التي لا تُعبر عن وجهة نظر سكان كوردستان القدماء . وبالإستناد على الألواح والرقيمات السومرية والأكدية والآشورية التي تعود إلى الألف الثالث – الثاني ق. م. ، وبعدما نَشَر بحوثاً في مجلات عديدة كانت تتعلق بهذا الموضوع (٢٣) ، قام

---

(٢١) راجع :

P. Michalpwski, The Earliest Hurrian Toponomy, A New Sargonic Inscription - ZA, 76, (1986), PP. 4 - 11 .

G. Wilhelm, Grundzüge Der Geschichte und Kultur Der Hurriter. Wissenschaftliche Buchgesellschaft, Darmstadt, 1982 .

وقد ترجم دونايفسكوي *I. M. Dunaewskoy* هذا الكتاب إلى الروسية بعنوان :

Древний Народ Хурриmu. Москва 1992 .

(٢٢) أنظر مثلاً إلى :

I. J. Gelb, Hurrians and Subarians. - The Oriental Institute Of The University Of Chicago. Studies In Ancient Civilization, 22, Chicago 1944 .

I. J. Gelb, New Light On Hurrians and Subarians. - Studi Oriantalistici In Onore di G. Levi della Vida. Vol. 1, Roma 1956, PP. 378 - 392 .

I. J. Gelb, Hurrians at Nippur In The Sargonic Period. - Festschrift Johannes Friedrich. Heidelberg, 1959, PP. 183 - 194 .

(٢٣) ومن هذه البحوث :

العالم الأمريكي أفرام سبايزر بجمع معلومات قيمة حول هؤلاء وطبعها في كتاب بفيلادلفيا عام ١٩٣٠م(٢٤) أسماه « أصول سكان وادي الرافدين » :

Mesopotamian Origins. - The Basic Population Of The Near East.

وتُعتبر دراساته لحد اليوم من أهم المصادر الموثوقة بها في هذا المجال . وبناءاً على الألواح والرقيمات المكتشفة في كوردستان وخارجها ، من المستطاع اليوم تحديد عاديات الكوتيين مثل لوحة هورين – شيخان ودبسة قتال الملك لاسيراب الذي أرسلها إلى مدينة سيبار والرأس البرونزي المكتشف قرب همدان والمحفوظة في متحف برايمر گاليري بنيويورك والآثار المكتشفة في أرّابخا ، وكذلك الأختام الإسطوانية التي تعود إلى عهد الحكم الكوتي بسومر وأكد . ولكن كل هذه المصادر خالية من الآثار اللغوية بكل أسف

وهكذا ، فرغم كون مصادر البحث عن تأريخ الكوتيين نادرة ، إلا أن آثار السكان المجاورين لهم من اللولوبيين تكاد تكون أكثر وضوحاً . فبالإضافة إلى لوحة آنوبانيني المنقوشة على مُرتفعٍ من مُرتفعات سربول زهاو بكوردستان الشرقية ، فإن ما تبقت من

E. A. Speiser; New Kirkuk Documents Relating to Family Law. The Annual Of Oriental Research. Vol. X, New haven 1930 .

E. A. Speiser, " Southern Kurdistan In The Annals Of Ashurnasirpal and Today" AASOR IV, VIII.

وقد نشر سبايزر بحوثاً أخرى تتعلق بقضايا لغوية في مجلة الدراسات الشرقية الأمريكية (*JAOS*) فيما بين الأعوام ١٩٣٠م – ١٩٤٨م .

(٢٤) راجع سبايزر :

E. A. Speiser, Mesopotamian Origins. - The Basic Population Of The Near East. Philadelphia, 1930 .

شذرات رسائل ملوك حمازي المرسلة إلى ملوك إيبلا بسورية في العهد الأكدي تُعتبر من أهم الوثائق اللولوبية في التأريخ ، كما أن سجلات الملوك في شوشّاره (شمشاره الحالية بسهل رانيه) تشرح أخبار الخوريين وعلاقاتهم التجارية مع اللولوبيين ، وظهرت في نصوص أرّابخا إشارات إلى بعض الأعمال الزراعية التي كان هؤلاء يقومون بها في كركوك وحواليها . ومن جهة أخرى ، فإن ما تركه ملوك آشور من العصر السرجوني من سجلات ، فإنها تحوي على الأغلب أخبار حروبهم مع اللولوبيين في بلاد زاموا (دربند بازيان الحالية) التي إشتهرت بقلاعها الحصينة ومهندسيها الممتازين الذين كان ملوك آشور ينقلونهم قسراً إلى نينوى . وقد ظلّ إسم اللولوبيين متداولاً في السجلات المسمارية حتى خلال العصر الأورارتي حيث كان يعني (الغريب أو العدو) . ومن الأعمال المتميزة للأستاذ گيلب هي قيامه بدراسة لغة اللولوبيين المتميزة بخصوصيتها من خلال الإصطلاحات الجغرافية حيث إعتبرها من مجموعة سماها بلغات (البنانا) وذلك لكثرة الأصوات المكررة فيها (٢٥) .

وفي المصادرالتي تعود إلى العهدين السومري والأكدي تورد أخباراً عن مجموعة أثنية أخرى بكنية (كاشّو) كالتي تتخل سجلات أرّابخا بصيغة (كوشّوخاي) ، وهم سكان المناطق الجنوبية من كوردستان عُرفوا عند المقدونيين في القرن الرابع ق. م. بكنية «كوساي» *Κοσσαιοι* حيث لم يكن لهم شأن عظيم إلا في الألف الثاني ق. م. عندما قادتهم العناصر الهندية – الآرية نحو حوض نهر ديالى ومنطقة الفرات الأوسط حيث بنوا على طريقهم مدينة بغداد ودور كوريكالزو . ولما قضى مورسلي الأول الحثي في القرن

---

(٢٥) راجع مجمل أعماله في هذا الصدد ضمن البحث التالي :
J. Gelb, Sargonic Texts From The Diyala Region. MAD, 1 (1953) .

السادس عشر ق. م. على خلفاء حمورابي في بابل وقرر الرجوع إلى بلاده بغتة إثر إنقلاب حدث في عاصمته حتوشا ، لم يحتل ذلك الفراغ السياسي والعسكري في بابل التي سميت بكاردونياش سوى المجموعات الكاشية التي كانت منتشرة في هذه الفترة بين لورستان ونهر الفرات ، ويشير إسم بغداد وبقايا مدينة (دور كوريكالزو) التي بناها كوريكالزو الأول (١٣٨٠ ق. م. - ١٣٧٠ ق. م.) بعقرقوف الحالية على هذه الحقيقة ، كما أكتشفت رسائل ملوكهم المرسلة إلى فراعنة مصر ضمن سجلات تل العمارنة(٢٦). ولعل من أهم الآثار المتميزة لهؤلاء هو الأحجار المشهورة بـ (كدّورو) التي كانوا ينصبونها على الأرض لتحديد الأراضي الزراعية ، وقد عُثر على عديد منها في مدينة سوزا عاصمة عيلام بعدما نقلت إليها كغنائم . وبالإضافة إلى ما ذُكر ، فإن الكاشيين تركوا لنا مجموعة جيدة من الكتابات الأدبية والطبية والفلكية ، وخاصة تلك التي تتعلق بالتنجيم ، وطائفة من الإثبات أو المعاجم المتعلقة بالخطوط المسمارية يتضمن بعضها شرح المفردات الكاشية باللغة البابلية وهي ليست كثيرة ، لكنها تستطيع على أية حال أن تنور حقيقة إنتماء اللغة الكاشية إلى المجموعة الزاگروسية . ومما يؤسف له هو أن الكاشيين لم يتركوا لنا غير شذرات من الأسماء وعدد قليل من الكلمات ، بعضها كاشية صرفة وأخرى مركبة مع البابلية أو الهندية - الآرية . وقد أوهمت هذه الظاهرة بعض الآثاريين فإعتقدوا في البداية أن الكاشية لابد هي قريبة من الحثية(٢٧) ، وإعترف *Theophilus G. Pinches* منذ عام

---

(٢٦) عن هذه الرسائل أنظر إلى المراجع التالية :

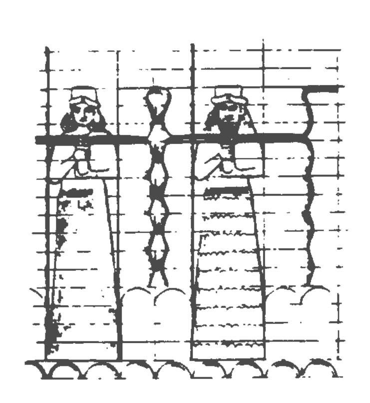
J. A. Knudtzon, Die El - Amarna Tafelen. Leipzig 1907.
E. F. Campbell, The Chronology Of The Amarna Letters. Baltimor 1964 .

وعن النصوص المكتشفة في مدينة كوريكالزو ، فراجع العدد التاسع من مجلة سومر :

O. R. Gumey, Futhe Texts Dur Kurigalzu. Sumer, Vol. IX, 1953 .

(٢٧) راجع مثلاً آراء شيفتيلوفيتس :

J. Scheftelowitz, Die Sprache der Kassaer, Kuhn's Zeitschrift (KZ), Bd. 38, Göttingen 1902 .



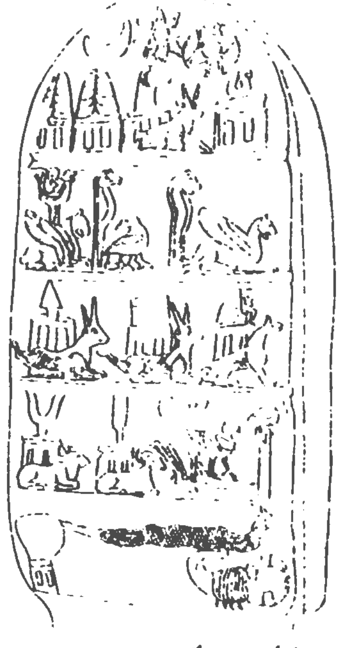
نقش من نقوش جدران معابد الكاشيين
في أوروك زمن حكم الملك كرايـنداش



كـُدّورو مردوك نادينا حي



رأس ذئب (فن كاشي)



حجـر كـُدّورو أكتشفت في سوسنه

١٩١٧م إلى أنه بالتعاون مع البروفيسور سايك *Sayce* قد بحث هذا التقارب بالإستناد على لوح يوزگت الموجود في معهد ليفربول للآثار وكذلك تلك المدونات والعاديات التي تقبع في متحف لوفر *Louvre* بباريس ، بالإضافة إلى ما إكتشفه الآشوريلوج هرمز رسام عام ١٨٨٢م من نص ، فكّ رموزه وفسرّه البروفيسور فريد ديليتش ونشر نتيجة عمله في بحث عنونه بـ(اللغة الكاسية) وطبعه في لايبزغ عام ١٨٨٤م *Fried Delitzsch, Die Sprache der Kassäer, Leipzig 1884* . وبعد مقارنته لعدد من الأسماء والكلمات الكاسية مع مفردات حثية ، ظهر عند پنچيس شكّ حول علاقة هذه اللغة بالحثية ، لكنه وصل بناءاً على دراسته الخاصة إلى قناعة تامة بإستقلالية اللغة الكاشية ، ، فنشر رأيه هذا عام ١٩١٧م في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية(٢٨) ، ورغم إكتشاف هوسينگ بعض العلاقات بين الكاشية والعيلامية(٢٩) ، فقد دعم أفرام سبايزر عام ١٩٣٠م(٣٠) رأي پنچيس في كتابه *Mesopotamian Origins* . وهكذا ، فإذا كان الكوتيون واللولوبيون والكاسيون قد تركوا لنا آثاراً لا تُعبر عن حياتهم المادية والروحية بصورة كافية ، فإن للخوريين الفضل الكبير في تنوير جوانب تلك الحياة في كوردستان ، لأنهم شاركوا بصورة رئيسة في بناء مدنية العالم القديم في غربي آسيا حيث لا يقل دورهم في

---

(٢٨) *Th. G. Pinches, The Language Of The Kassites. JRAS, 1917, PP. 101ff*.

(٢٩) *G. Husing, Die Sprache Elams. Breslau 1908*. وراجع بحثه في مجلة الآداب الشرقية

G. Husing, Kaspiches. OLZ (Orientalistische Literaturzeitung, 1917.

وأنظر كذلك إلى دراسات بلكان في مجلة الجمعية الأمريكية للدراسات الشرقية :

K. Balkan, Die Sprache der Kassiten, New Haven, AOS ("American Oriental Society"), Vol. 37.

(٣٠) *E. A. Speiser, Mesopotamian Origins, The Basic Population Of The Near east, Philadelphia 1930, P. 122*

هذا المضمار عن دور السومريين والبابليين والحثيين والكنعانيين على حد قول ويلهلم(٣١) ، بينما لا تزال الدراسات الخاصة بهم غير مكتملة كما أكتملت الدراسات السومرية والبابلية وإن كانت قد إبتدأت منذ مطلع القرن التاسع عشر ، ولعل التبرير في هذه المسألة يجد نفسه في تشتت مواقع الكوتيين والخوريين بين الدول التي تقتسم كوردستان والتي تعرقل الدراسات في مجال الكوردولوجيا وخاصة في الجانب التأريخي والأثنوغرافي منها(٣٢) . وعلى هذا الأساس سادت غموض على دور السكان القدماء لكوردستان في بناء الحضارة الإنسانية ، إضافة إلى محاولات بعض الكتاب الذين صوّروا سكان سوبارتو كمجموعة همجية عرقلوا تطور أنظمة دويلات المدن في وادي الرافدين على حد إدعاء السومريين والأكديين من دون أن يلتفتوا إلى أسباب ذلك الصراع التي كان يخلقها النظام العبودي في مدن وادي الرافدين السفلى بناءاً على إحتياجات الطبقات السائدة فيها للموارد الأولية والطاقات البشرية الموجودة في سوبارتو وعلى حساب حرية سكانها التي سلبها منهم على الدوام ملوك مثل شولغي وسرجون ونارام سين وآشور ناصربال(٣٣) .

---

(٣١) حول هذا الرأي راجع مقدمة كتاب گيرنوت ميلهلم *G. Wilhelm,* الموسوم بعنوان :

Grundzuge Der Geschichte und Kultur Der Hurriter, Darmstadt 1982 .

ترجم معهد الدراسات الشرقية التابع للمجمع العلمي الروسي هذا الكتاب عام ١٩٩٢م من الألمانية إلى الروسية وعنونه بـ *Древний Народ Хурриты, Москва 1992* .

(٣٢) وعلى سبيل المثال ، فاتحت الإختصاصية الروسية في القضايا الأثنوغرافية لكورد القوقاز السيدة أريستوفا الدكتورة كوردستان موكرياني علم ١٩٧٦م بمدينة موسكو موضوع مشاكلها المادية وفقرها المدقع مشيرة إلى أنها لا تملك حتى ثمن شراء معطف ، لأنها مختصة في الشؤون الكوردية ، فلو كان هناك دولة كوردية لما وجدت نفسها في هذه الحالة على حد زعمها ، لأن الأنظمة التي تتقاسم الوطن الكوردي لا تدعم العلماء في مجال الكوردولوجيا .

(٣٣) راجع مثلاً كلمات د. محمود حسين الأمين في كتابه الموسوم بعنوان (الكاشيون ، بغداد ١٩٦٣م ، ص ٣) الذي يربط فيها بين الإتجاه العدواني لنظامه السياسي تجاه الكورد وتجاه الأقوام التي سكنت في كوردستان . كما أن الأطروحة الكمالية في تركيا تدعي أن العنصر التركي يشكل

ومن جهة أخرى ، فقد ظلّ التوراة المصدر الوحيد الذي لا يزال يحتفظ أخبار سكان كوردستان القدماء وخاصة الحوريين منهم ، لكن رجال الدين العبريين الذين دونوا النصوص المتعلقة بهؤلاء وقعوا في أخطاء تأريخية حيث ربطوهم بأصول سامية كما يشتهون ، ورغم إستيطان قسم من الحوريين في أدوم جنوبي بحر الميت خلال مطلع الألف الثاني ق. م. إثر تحرك الهنود - الآريين ، إلا أن الكتاب المقدس سماهم «بنو سعير الحوري سكان الأرض» وأمراؤهم كانوا «أمير لوطان وأمير شوبال وأمير صبعون وأمير عنى وأمير ديشون وأمير أيصر وأمير ديشان ، هؤلاء أمراء الحوريين بأمرائهم في أرض سعير ... وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما مَلَك مَلِكٌ لبني إسرائيل ...إلخ»(٣٤) . وعلى الأرجح ، فإن سبب وصف الحوريين بصفات سامية يرجع إلى هذا النوع من الدعوات اليهودية ، في حين تنبئ أسماء ملوك الهكسوس في مصر عن أنها كانت

المصدر الرئيسي في كل حضارات العالم ، وأن اللغة التركية هي أم اللغات . فهذا الإتجاه الفكري الخاطئ أحجبت الحقائق عن التأريخ الكوردي لأكثر من نصف قرن في كل من العراق وتركيا . حول ذلك راجع دراسات السياسي التركي إسماعيل بيشكجي «تأريخ الترك والقضية الكوردية»

Turk Tarih Tezi ve Kürt Sorunu, Ankara 1977.

(٣٤) راجع سفر التكوين من العهد القديم ، الإصحاح ٣٦ ، الأسطر ٢٠ - ٣٣ . وقد إعتبر مدونوا التوراة الحيويين واليبوسيين بطوناً خورية جاء ذكرهم في أسفار عديدة ، راجع على سبيل المثال سفر القضاة ، الإصحاح الثالث ، الأسطر ٥ - ٦ . ومن الجدير بالإشارة إلى أن الخوريين إشتهرو في منطقة أدوم بإسم ***h̲ori*** وهو الصيغة العبرية لـ ***h̲urri*** ، حول هذا الموضوع راجع بالروسية دراسة دياكونوف :

И. М. Дьялонов,Язьıуи Древней Передней Азии,Москва

1967,Cmp.116 وهناك شروحات لمفهوم ***h̲ori(m)*** في التوراة في التوراة كما نراها في المرجع التالي :

Vaux R. de, Les Hurrites de L'histoire et Les Horites de La Bible. - Revue Biblique, 74, (1967.

خليط من عناصر سامية وغير سامية رغم ما زَعَمَهُ المؤرخ اليهودي يوسف الفلاوي من أن بين ملوك الهكسوس (الرعاة) الذين جلبوا معهم معدات جديدة للقتال وعربات تجرها الخيول الميتانية كان أحدهم يسمى (يعقوب)(٣٥).

وقد دخل إسم الخوريين إلى اليونانية من خلال العبرية بصيغة *Χορραιοι* ، حول ذلك راجع :

I. M. Diakonoff, Hurrisch und Urartäisch, München 1971, s. 9 .

(٣٥) إن (هيكسوس) صيغة يونانية لكلمة (هيكا – خسوت) المصرية وتعني (ملوك الرعاة) ، حول ذلك راجع : د. عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص ١٨٨ . وفي الواقع ، ينظر المؤرخون إلى أن تحركات الآباء الواردة في سفر التكوين جاءت في فترة الإضطرابات التي أحدثها ظهور العموريين في الهلال الخصيب بين نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق. م. ، تلك الفترة التي تميزت بتعطل تام للمراكز الحضرية في المنطقة ، وتدمير للمدن ونزوح وهجرات . وقد توسطت هذه الفترة بين عصر البرونز المبكر وعصر البرونز الوسيط . ففي مصر ، إنتهت المملكة القديمة حوالي عام ٢١٨٥ ق . م . إثر غزوات بعض البرابرة ، وشكّل الآسيويون جزءاً من عناصرهم ، ثم دخل الهكسوس إلى هذه البلاد في أواسط القرن الثامن عشر ق. م. وأنهوا حكم المملكة الوسطى . ومثلما يذكر فراس السواح في كتابه (الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ، دمشق ١٩٩٣م ، ص ١٩٥) ، فإنه قد غدا من الثابت اليوم ، وإعتماداً على نصوص «ماري» و «أوغاريت» أن أسماء ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر خلال فترتها الإنتقالية الثانية ، هي أسماء كنعانية أو عمورية ، وذلك مثل «يعقوب – هار» و «سَموقينا» و «باليما» . ومن السابق لأوانه إنكار وجود مجموعات غريبة عن العموريين رافقهم في حملتهم على مصر . حول نفس الموضوع راجع :

W. F. Albright, The Role Of The Cananite In History Of The Bible and Ancient Near East. De. By Ernist Right, Eisebrauns, Indiana 1979, P. 335 .

وفي الحقيقة ، لم يُعثر لحد الآن أدلة تأريخية تثبت رواية سفر التكوين المتعلقة بنزوح النبي إبراهيم من شمال وادي الرافدين إلى الشام ومنها إلى مصر التي إستقر فيها يوسف بن يعقوب . وهذه الروايات أقرب إلى القصص الخيالية لعصر الآباء . فالتأريخ وعلم الآثار لا يستطيعان إثبات الوقائع الواردة في هذه القصص . فهذه القصص ليست إلا نوعاً من الملحمة البطولية مما تعودت الشعوب تدبيجها في

لقد ظهرت حقيقة دور الخوريين في التأريخ بعد الحفريات التي جرت في كل من تركيا والعراق وسوريا وأرمينيا ، وخاصة إثر نشر هوگو وينكلر بعض البحوث عن أرشيف فراعنة مصر منذ عام ١٨٨٩م(٣٦) وما إستخرجه في حتوشا من وثائق وتلك الرسائل التي كانت مرسلة من توينبا بسورية إلى مصر دونت باللغة الحورية ، إضافة إلى الألواح الخورية المكتشفة في كوردستان . كل ذلك مهّد الطريق نحو ظهور علم خاص سميت بعلم الـ(خوريلوجيا)(٣٧) بدأ في القرن التاسع عشر وتطور خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ، ولا يزال مستمر حيث يمكن إعتباره قاعدة لدراسة تأريخ كوردستان القديم(٣٨) .

أعطت الحفريات التي جرت منذ عام ١٩٠٦م في حتوشا ؛ عاصمة المملكة الحثية (بوغاز كوبي قرب أنقره حالياً) ، توضيحات جيدة عن ***h̲urlas unde*** «البلاد الخورية» وكذلك عن ***h̲urwo-h̲e*** أو ***h̲urro-h̲e*** «الخوريين» وتخللت النصوص أحياناً بعض

التأريخ عن البدايات الأولى ، ولنا في (الشاهنامه) خير مثال على ذلك ، فبعد المقدمة الميثولوجية المتعلقة بخلق العالم ، ندخل في سلسلة أحداث مليئة بالتهويلات والمبالغات . فنرى مجموعة إبراهيم القليلة تُهزم تجمع ملوك بلاد الرافدين السبعة بقيادة «أمير أفل» الذي قرنه بعض الباحثين بحمورابي (راجع التكوين ١٤ : ١ – ١٦) ومدن بكاملها تختفي من الوجود بنار وكبريت من السماء تنكب عليها (التكوين ١٩ : ٢٢ – ٢٦) وتوهب الذرية لرجال ونساء في المائة من عمرهم (التكوين ١٧ : ١٨ – ٢٤) ، ويأتي الآلهة إلى بيوت البشر ويأكلون على موائدهم (التكوين ١٨ : ١ – ٢٣) ، وتلتحم بعض شخصيات الآباء في صراع جسدي مع الآلهة (التكوين ٣٢ : ٢٢ – ٢٩) .

(٣٦) راجع دراسات وينكلر عن أرشيف تل العمارنه :

H. Winckler ; L. Abel, Der Thontafelfund Von el-Amarna. Königliche Museen Zu Berlin - Mittheilungen Aus Den Orientalischen Sammlungen. H. 1. (1889) .

(٣٧) راجع بحث ميسيرشميدت بالألمانية :

L. Messerschmidt, Mitanni - Studien. - MVG, 4, (1899) .

(٣٨) لاحظ الدراسات الجيدة المتعلقة باللغة الخورية وقواعدها في البحوث التالية : *J. Friedrich,*

Kleine Beiträge Zur Chrritischen Grammatik, MVAG, XLII, 2, Laipzig 1939 .

القضايا اللغوية الخورية باللغة الحثية ، ومـن أهمهـا نـص تلـك الإتفاقيـة الموقعـة في القـرن الرابع عشر قبل الميلاد بين الملك الحثي شوبيليوما والملـك الميتـاني مـاتي وازا (شـاتي ڤـاژه) التي إحتوت على أسماء معبودات ذات أصول هندية – آرية .

لقد كان ينسين *P. Jensen* أول من شرح وفسّر اللغة الخوريـة عـام ١٨٩٠م(٣٩) ، ثم تبعه آخرون(٤٠) ، وبعد ذلـك خطى الخوريلوجيـا خطـوات جيـدة في الثلاثينـات مـن القرن العشرين بفضل ما أستخرِج من عاديات تعود إلى أصحاب هذه اللغة في يورغان تبه قرب ليلان الواقع على بعد ١٢ ميل جنوب كركـوك والـذي إشـتهر عنـد علمـاء الآثـار بموقع نوزي وكان من أبرزها تلك التي أكتشفت ضمن مجموعة لا يُعرف بدايـة إكتشـافها عـلى حـد قـول سـتار *R. Starr*(٤١) . وأشـار *C. J. Gadd* گـاد(٤٢) في حينـه إلى أنه

E. A. Speiser, Introduction To Hurrian, AASOR, 20, New Haven 1941 .
A. Parrot ; J. Nougayrol, Un Document de Fondation Hurrite, RA, LII, 1 - 2, 1948 .

(٣٩) راجع :

P. Jensen, Vorstudien Zur Entzitterung Des Mitanni. - ZA, 5, PP. 166 - 208. (1890), II. - ZA, 6, PP. 34 - 72, (1891) .

(٤٠) مثل :

R. E. Brunnow, Die Mitanni - Sprache. - ZA, 5, PP. 209 - 259 , (1890) .
A. H. Sayce, The Language Of Mitanni. - ZA, 5, PP. 260 - 274 (1900) .

(٤١) راجع :

R. S. Starr, Nuzi. Report On The Excavation At Yorgan Tepe Near Kirkuk, Vol. 1, Cambridge, Mass., 1939, P. XXIX .

(٤٢) راجع :

C. J. Gadd, Tablets From Chager Bazar and Tall Brak, 1937, 8. P. 51
C. J. Gadd, Tablets From Kirkuk, RA, Tom. XXIII, 1920

كان مِن أوائل مَن إكتشف هذا النوع من الألواح والرقيمات في حزيران من عام ١٩٢٥م على بُعد ميلين من قرية تركَلان ، ثم قام مبعوث مؤسسة التنقيبات الشرقية للعاديات الأمريكية إلى بغداد البروفيسور *E. Chiera*(٤٣) عام ١٩٢٥م ، وبإذن من الحكومة العراقية ، بالتنقيبات في هذا الموقع ، وقد فوجئ بوجود مئات من الرقيمات الخورية المدونة في قلعة كركوك أكتشفت بعد إنهيار جانب منها(٤٤) ، وعلى إثر هذا الحدث بدأت مديرية الآثار العراقية العامة بالإهتمام بهذه العاديات ، لكن كورنر إستطاع الحصول على عدد كبير من ألواح كركوك من أحد مواطني قلعتها ، قدّم قسماً منها إلى كل من المتحفين العراقي والبريطاني ، ونقل البقية منها عام ١٩٢٤م إلى بلاده ، وكانت الحصص هي ثلاثين قطعة إلى المتحف العراقي ، وثمانية عشر قطعة حفظها لنفسه في كانون الأول – شباط ١٩٢٥م . ومن حسن الحظ ، فإن أغلب هذه الألواح كانت في حالة جيدة ومغلقة بظروف طينية ، وقد أبلغ هذا المواطن البروفيسور الدكتور كورنر *Dr. W. Corner* بأن عدد الرقيمات كان كبيراً جداً ، لكن مهندساً ألمانياً كان يعمل مع العثمانيين أخذ حصته منها قبل عشر أو إثنتي عشر عاماً ، أي في بداية الحرب العالمية الأولى دون أن ينشر أي خبر عنها لحد تلك الفترة .

ومن ملابسات التعريف بهذه القطع الطينية ، أنها إشتهرت خطأ من قبل گاد بلوحات كركوك ويورغان تبه أو نوزي في نفس الوقت(٤٥) ، ومن الجدير بالإشارة إلى

---

(٤٣) أنظر إلى دراسات كل من جيرا وسبايزر :

E. Chier ; E. A. Speiser, A New Factor In The History Of The Ancient East. - AASOR, 6, PP. 75 - 92 .

(٤٤) عن ألواح كركوك راجع *C. J. Gadd* ، المصدر السابق .

(٤٥) *J. C. Gadd, Tablets From Kirkuk, P. 52, 64ff.*

أن إسم (أرّابخا *Arrapha*) يورد في عدد من هذه القطع ويتطابق مع أحد أحياء كركوك المعروف في يومنا هذا بـ(عـرَفه) ، في حين ليس هناك أي ذكر لنوزي في القطع التي أكتشفت بين خرائب دارين مهدمين في قلعة كركوك . ومن خلال المميزات اللغوية والباليوغرافية(٤٦) ظهر أن القطع المذكورة تتزامن مع المرحلة الواقعة بين سقوط السلالة البابلية الأولى والتوسع العظيم للقوَة الآشورية بزعامة الملك آشور أوبليط الأول الذي حكم في النصف الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

في الواقع ، تعود الرقيمات المكتشفة في قلعة كركوك إلى أفراد كانوا ينتمون إلى أسرة عُرفت بكنية (وولو *Wullu*) ، ونشر گاد ٥١ رقيماً من هذه الرقيمات التي كانت محفوظة في المتحف البريطاني(٤٧) ، ثم قارنت كاتارزينا گروْز عام ١٩٨٦م خمس قطع من هذه الرقيمات كانت مكتشفة خلال أعوام ١٩١٢م ، ١٩٢٥م ، ١٩٢٨م أرسلها إليها ميلارد مع ٣٩ لوحاً كانت تعود أيضاً لنفس الأسرة حُفظت كذلك في المتحف البريطاني(٤٨) .

وهناك مجموعة يالي نُشرت منها ٢٢ رقيماً من قبل لاخمان وأون ، أما البقية فلا يُعرف شيئاً عن مصيرها(٤٩) ، لكن كونتيناو إستطاع أن ينشر ١٦ رقيماً من مجموعة

---

(٤٦) *Palaeography* علم دراسة تطور الكتابة والنقوش والمخطوطات القديمة .

(٤٧) *J. C. Gadd, Ibid.*

(٤٨) راجع مقدمة كتاب (أرشيف أسرة وولو) لكاتارزينا گروْز :

K. Grosz, The Archive Wullu Family, Copenhagen 1988, P. 13 .

(٤٩) راجع دراسات لاخمان وأووين :

E. R. Lachman ; D. I. Owen, Texts From Arrapha and From Nuzi In The Yale Babylonian Collection. ScccNH 1, Quoted as Yale + Publication Number .

لوفر(٥٠) ، والكمية الأخرى حفظت في أرميتاژ مدينة بطرسبورغ ومتحف پوشكين بروسيا ، ومن بين أعداد كبيرة من هذه الرقيمات التالفة كانت ثمانية منها سالمة إستندت يانكوفسكا عليها في دراساتها للمجتمع الخوري في كوردستان الجنوبية حيث حللت من خلالها العلاقات الإقتصادية والإجتماعية لسكان منطقة كركوك في الألف الثاني قبل الميلاد(٥١) . وأشارت كاتارزينا گرۆز إلى أن هناك بعض الرقيمات المكسورة ربما تعود إلى أسر أخرى ، لأن إسماً يورد في قائمة يانكوفسكا بصيغة (شوكري تيلا) الذي لم يكن ينتمي إلى أسرة وولو ، وإنما كان إبناً لشخص يدعى تيخيب تيلا عاش في قرية *URU Enna - mati* وسُجل إسمه كفيلاً *mahis puti* في بعض الرقيمات . كما شوهد إسم آخر بصيغة پاي شيري إبن هانيكو يتعلق خبر صاحبه بقرض ٢٢٠ عبء حمار من القمح على حد قول يانكوفسكا وكان عليه أن يرجعه في وقت محدد ، وتشير يانكوفسكا إلى أن الإسم يجب أن يقرأ ناي شيري بدلاً من پاي شيري ، والمقطع الثاني في هذا النوع من الأسماء لا يعني *Sharri* « الملك » كما نراه في النصوص السامية ، وقد أكملت يانكوفسكا دراسة خمس قطع من مجموع سبع قطع أخرى وصلت يدها إليها(٥٢) . ومن

---

(٥٠) *K. Grosz, Op. Cit.*

(٥١) راجع دراسات يانكوفسكا :

N. B. Yankowska, Legal Decuments From Arrapha In The Collections Of The USSSR. Peredneazjatskii Sbornik, Moscow 1961.

(٥٢) حول تفاصيل دراسات يانكوفسكا في مجال تأريخ أرّابخا ونوزي راجع :

N. B. Jankowska, Communal Self - Government and The King Of The State Of Arrapha. - Journal Of The Economic and Social History Of The Orient, 12, PP. 233 - 282, (1963).

N. B. Jankowska, Extended Family Commune and Civil Self - Govern In Arrapha In The Fifteenth - Fourteenth Century B.C. - Ancient Mesopotamia,

جهة أخرى ، يحتفظ متحف كيلسي *Kelsey* للفنون والآداب بثلاث قطع نُشرت أخبارها عام ١٩٨١م(٥٣) . هذا بالإضافة إلى خمس رقيمات أشـار إليهـا كوشـيكار(٥٤) وقطعتين تحدث عنهما سبيليرس(٥٥) وقطعة واحدة نُشرت في مجلة سومر من قبـل لاخيمـان(٥٦) . ولا ريب في أن سكان كركوك تصرفوا بعاديـات قلعتهـم منـذ زمـن بعيـد دون أن يـدرو ا بأهميتها التأريخية .

أما نصوص رقيمات نوزي ، فهي تحوي أيضاً قضايا إدارية وقضائية مـن دون تحديـد أزمنة تدوينها إلا نادراً كالتي في رسالة الملك الميتاني ساوستاتار حوالي عـام ١٤٢٠ ق. م. أو في رسالة تتعلق بمـوت والـده بارسـاتاتار عـام ١٤٤٠ ق. م.(٥٧) ، وقـد نُظمـت هـذه الرقيمات حسب الأجيال . فأرشيف أسرة تيخيب – تيلا الذي يحوي على ألـف رقيـم أو تقريباً ، يوضح بجانب موضوع مُلكية الأراضي ، أعمال ستة أجيال(٥٨) ، ورغم بيع قطعاً

Socio - Economic History. A Collection Of Studies By Soviet Scholars, Ed. I. M. Diakonoff, Moscow 1969, PP. 235 - 252 .

(٥٣) نَشَر هذا الخبر أوين *D. I. Owen* عام ١٩٨١م .

(٥٤) راجع :

Drei Rectsurkunden Aus Arrapha, 1944 Quotedas Koschaker 1 - 3 .

(٥٥) راجع :

L. Spekers, Recueil Des Inscriptions De Asie Antèrieure - Bruxelles 1925 No s. 309 and 310 .

(٥٦) راجع :

E. R. Lecheman, Tablets From Arraphe and Nuzi In The Iraq Museum, Sumer, No. 8 .

(٥٧) راجع الصفحة ١٤٠ – ١٤١ من الترجمة الروسية لكتاب گيرنوت ويلهلم .

(٥٨) راجع تفاصيل هذا الموضوع في المرجع التالي :

كثيرة من الرقيمات بين أعـوام ١٨٩١م - ١٩٢٤م وصعوبـة ترتيـب العلاقـات الأسـرية لأفراد عوائل الطبقة السائدة في مجتمع نوزي ، فقد روعي أرشيفهم عموماً . ومـن حسـن الحظ ، فإن شيل *Scheil* إشترى عام ١٩١٢م ٧٧ قطعة من الرقيمات ، ثم إشترى أعداداً أخرى بين أعوام ١٩٢٠م - ١٩٢١م ، وكانت تتخلل هذه الرقيمـات المدونـة بـالخطوط المسمارية نصوص باللغة الخورية وتحوي بجانب أسماء الأعلام للسكان المحليـين(٥٩) مسـائل تجارية وقانونية ، ولم تكن في صِيَغِها ما تشير إلى تأثير آشوري أو غير آشوري ، كمـا لم تحتوي على أسماء ملوك أو معبـودات آشـورية(٦٠) ، إلا أنهـا تضمنـت أسمـاء مسـتوطنات خورية في كوردستان الجنوبيـة . ومـن الجديـر بالإشـارة إلى أن البروفيسـور *Chiera* بـدأ العمل في نوزي بين أعوام ١٩٢٥م - ١٩٢٧م لحقته عملية حفريات قام بها مبعوثون مـن جامعة هارفارد بالتعاون مع متخصصين عراقيين ، وقد كُلّـف أفـرام سـبايزر بوضـع خطـة ترتيـب الوثـائق بنـاءاً علـى مواضيعهـا القانونيـة = الإجتماعيـة . أمـا وثـائق الضمانـات والمستندات ، وعددها ٤٠ قطعة فقد ترجمها سبايزر بنفسه إلى الإنجليزية(٦١) . وبعد فـترة قصيرة بدأ گروس گوردون بدراسة هذه الوثائق وقال عنها أنها ذات أصول أكدية(٦٢) ، ثم إكتشف ميـك بعض الأسماء السومرية والأكدية من بين ٥٠٠ إسم شاهدها في ٢٢٢ نص

M. P. Maidman, The Tehip - Tilla Family Of Nuzi, A Genealogical Reconstruction. JCS 28 / 3, 1976 .

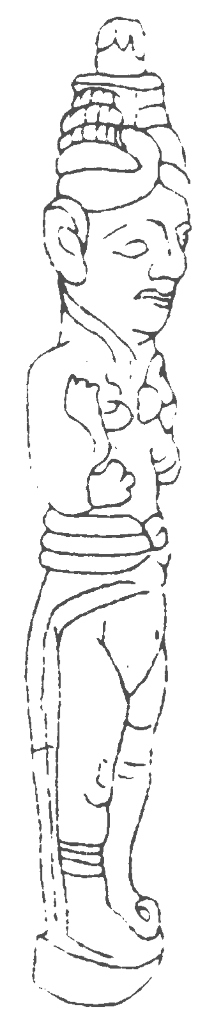
(٥٩) *C. J. Gadd, Tablets From Kirkuk ..., P. 49 .*

(٦٠) د. جمال رشيد أحمد ، الإنبعاث الميتـاني في بـلاد الكـورد ، مجلـة الأديـب الكـردي ، بغـداد ، تشرين الثاني ١٩٨٦م ، ص ١١٣ .

(٦١) *E. A. Speiser, New Kirkuk Documents Relating To Family Law. The Annual Of Oriental Research, Vol. X, New Haven 1930.*

(٦٢) راجع دراسات گوردون في مجلة الدراسات الآشورية :

G. H. Gordon, Numerals In The Nuzi Tablets, RA, Vol. XXXI, 1931, P. 54, 55 .



أحد الآلهة في نوزي

مدون أستخرج كلها من موقع نوزي فيما بين أعوام ١٩٣٠م – ١٩٣١م ، وفي أغلب هذه النصوص نرى إعادة لأسماء أستعملت كذلك في نصوص أخرى أكتشفت في كل من عيلام وكبدوكيا و لم تكن غريبة عن سكان وادي الرافدين .

وفي بداية الخمسينات ، وقبل بناء سد دوكان على نهر الزاب الصغير ، أجرت مديرية الآثار العراقية مسحاً عاماً على حوض هذا النهر في سهل بتوين بمنطقة رانيه ، فوجدت عدداً من المستوطنات وكان أبرزها في شمشاره (شوشّاره القديمة) التي شوهدت فيها ألواح مسمارية تتحدث نصوصها عن بعض القضايا أيام الصراع الآشوري – البابلي في القرن ١٨ ق. م. لأجل الهيمنة على الوطن الخوري . وقد أوضحت رسائل شمشي – عدد الأول الآشوري (وهو إبن إلا قبقابي ١٧٤٨ ق. م. – ١٧١٦ ق. م. عاصر حمورابي ١٧٢٨ ق. م. – ١٦٨٦ ق. م. لإثنتي عشرة سنة الأخيرة من حكمه) المرسلة إلى ولاته في حوض نهر الزاب الصغير برانيه وقلعة دزه ، وكذلك رسائل إشمي – داغان إبنه المرسلة إلى أخيه ياسماه التي أكتشفت في أرشيف ماري ، ظروف المعارك التي جرت مع سكان توكريش وخاصة مع قبائل توروكّوم *Turukkum* القوية وأهالي مدينة قبرا *Qabra* ، وتخللت هذه الرسائل أسماء جغرافية لها أهمية لغوية تأريخية بالنسبة للسكان القدماء في هذه المناطق دافعوا عن وطنهم بشدة ، إذ لم يستطع الآشوريون ولا البابليون من إخضاعهم ، لذلك تشير الرسائل الموجهة إلى زيمريليم ملك ماري أن مصالحة قامت بين الخوريين والغزاة الآشوريين عن طريق المصاهرة بين بيت من بيوت زعماء التوروكّيين وإشمي – داغان . كما أن هناك رسالة تشرح صورة التحدي الدائم للتوروكّيين أمام القوات الآشورية التي كانت تحاول أن تسيطر على المناطق الشرقية لنهر دجلة(٦٣) . وقد

---

(٦٣) *J. Læssoe, People Of Ancient Assyria, P. 72* .

وردت أسماء ملوك التورو كّيين في هذه الرسائل من أمثال أوشتان – شارّي إبن أوللـوم – تيشني الذي نُفي إلى بابل وكذلك كل من وليدايه الذي هاجم على شوشْشاره ثم حاصر مدينة أوتا ، وزازيا الذي صاهره إشمي – داغـان ، كمـا وصلتنـا في هـذه الرسـائل بعض الأخبار المتعلقة بمؤمرات حمورابي ومفاوضاته مـع شمشـي – عـدد لتسليم لاجئ سياسـي توروكّي إليه كان يحمل إسماً خورياً . وفي عام ٣٧ مـن فـترة حكمـه، كتب حمورابي تقريراً عن غاراته ومباغتته لقوات التوروكّيين والكاكموم وكل بلاد سـوبارتو(٦٤) ، وأن أحدث الوثائق التي أكتشفت في منطقـة الصـراع التوروكـي – البـابلي ، كـانت مسـلات بيتواته التي نُقلت مجموعة منها عام ١٩٧٧م إلى متحف السليمانية وهي على شكل أعمدة دونـت عليهـا الأخبـار بالكتابـة المسـمارية . أمـا البقيـة فقـد سُـرقت وأبتيعـت في خـارج كوردسـتان ، ويشـير عبـد الهـادي الفـوادي إلى أن جميـع هـذه السـجلات كـانت تعـود للخوريين .

وعلى كل حال ، إذا كان رواد الدراسـات الخوريـة مثـل وينكلـر وميسـير شميـدت وجينسين وبرونو وستار وچيرا وبورك وسبايزر قد إنحصروا منـذ القـرن التاسـع عشـر في معاهد أوربا الغربية والولايات المتحدة ، فإن الروس والجيورجيين والأرمن بدأوا يتدخلون في هذا المجال في وقت متأخر وذلـك بإستغلال دراسـات المتخصصـين المذكوريـن مدعـين زوراً أن دراساتهم تشمل لغات العالم القفقاسي(٦٥) ، في حين صحح سبايزر هذه التسمية

---

(٦٤) نفس المصدر .

(٦٥) ففي روسيا ، مـا عـدا يانكوفسـكا الـتي درسـت الجـانب الإقتصـادي والإجتمـاعي للمجتمـع الخوري ، بدأ إيگور ميخايلوفيچ دياكونوف يدرس اللغات الميتة لشعوب غربي آسيا ونشر بحوثـه علـى النحو التالي :

I. M. Diakonoff, Hurrisch und Urartäisch. - MSS, Beiheft, 6, N. F. München 1971 .

هـذه التسـمية فسـماها (اللغـات الزاگروسـية) ، وذلـك لعـدم كـون الخوريـين سـكان

I. M. Diakonoff ; N Jankowska, Zum Mythos Von Den Vorderasiatischen Ariern, Geschichte und Kultur Des Alten Orient (A. F. 2, s. 131 - 132), 1975 .
I. M. Diakonoff ; S. A. Starostin, Hurro - Urartian As An Eastern Caucasian Language, MSS, Beiheft 12, N. F. 1986 .

كما نشـر دياكونوف بحثاً مـن بحوثـه بالروسـية عـام ١٩٧٨م في مجلـة (الشـرق القديـم ***Drewnii Wostok***) ، المجلد الثالث ، ص ٢٥ – ٣٨ . أما عن اللغـة الخوريـة والأورارتيـة ، فراجـع بالروسـية دراسته التالية :

Sravnitelno - Grammaticheskii Obzor Khurritsko - Urartskogo Yazikov, Peredneaziyatskii Sbornik, M. 1961, Str. 369 - 423.

وبعد أوربيلي ***I. M. Orbeli*** قام إبن بلده العالم الجيورجي ملكشفيلي بدراسة تأريخ ولغة الخوريـين والأورارتيين بجدارة وإنصاف وأكثر واقعية من مواطنيه الآخرين أمثال جاقاخشفيلي وجاناشيا . راجع بحوثه الروسية والألمانية في :

G. A. Melikishvili, Urartskie Klinoobrazniye Nadpisi. - VDI, No 1, (1953).
........, ..., O Dreveyschem Ochage Urartuskikh Plemen. - VDI, No 4, (1954).
........, ..., Nairi - Urartu, Tibilisi, 1954.
........, ..., Die Urartäische Sprache, Rome 1971.

وأحدث الدراسات التي نشرها الأرمن باللغة الروسية حول الموضوع ذاته هي :

G. M. Avetisyan, Khurriti Na Rubeje Maloy Azii do Uatanovleniya Mogoshchestva Mitanni, DV, 3 (1978(, Str. 5 - 24, 259 .
H. V. Artisyan, Novie Urartskie Nadpisi Karmir - Blura, Er. 1966 .
M. L. Khachikyan, Shumersko - Khurritskii Slovar Iz Ras - Shamri Kak Istochnik Po Khurritskoy Dialetologii, VDI. No 3, (1975), Str. 21 - 38 .
......., ..., Iz Starokhurritskikh Zaklinanii, DV, T. 2, Str. 251 - 264, 303 - 304 (1976) .

قفقاسيا يوماً ما(٦٦) ، وإنما كانت الجبال الكوردية التي عُرفت بزاكروس منذ العصر الهلليني مهد هؤلاء . ورغم محاولات دياكونوف الهادفة إلى ربطُ الخوريين بالعـالم القفقاسـي ، إلا أنه لم يجد بدأ من أن يقر عام ١٩٦٤م بعدم جـدوى هـذه المحـاولات ، لأن اللغـة الخوريـة أستعملت قبل ٤٥٠٠ سنة في منطقة تبتعد عن قفقاسـيا بمسـافة كبـيرة(٦٧) وإليهـا تنتمـي اللغة الأورارتية التي سادت خلال الألف الأول قبل الميلاد في المنطقة الواقعة بين بحـيرة وان وبلدة رواندز ، مركز تجمع الأمة الكوردية في الوقت الحالي . وبناءاً على هذا الواقع ناقش *H. Skold* في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عام ١٩٢٦م(٦٨) آراء *F. Bork* الـتي لا تـزال مدرسته القفقاسية تحاول بين فترة وأخرى أن تجعل من نفسها صاحبـة الـتراث الخـوري – الأورارتي(٦٩) .

---

(٦٦) حول تعريف الخورية كإحدى اللغات القفقاسية راجع كذلك دراسات كل من گاد وبـورك *C. J. Gadd* في *RA* «مجلة الدراسات الآشـورية» ، العـدد ٢٣ ، ١٩٢٨م ، وبـورك المنشـورة عـام ١٩٠٦م في *OLZ* ، العـدد ٩ ، وفي عـام ١٩٠٩م في *MVG* ، العـدد ٤ ، وكذلـك الصفحـة ٢٢٠ من كتاب «تأريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي لهنري برستد . أما تصحيـح هـذه التسـمية إلى اللغـات الزاگروسـية فجـاء في الفصـل الرابـع مـن كتـاب سـبايزر *Mesopotamian Origins* المطبوع في فيلادلفيا .

(٦٧) *I. M. Diakonoff, Yaziki Drewneyperedney Azii, M. 1964, Str. 21* .

(٦٨) *H. Skold, Surla Lettreen Langue Mit nni. JRAS, 1926* .

(٦٩) راجع مثلاً آراء تسيريثيلي في :

M. Tseretheli, Die Neuen Haldishen Inschriften Des Konigs Sardurs Von Urartu, Heidelberg 1928

M. Tseretheli, Sumerian and Georgian, JRAS, 1913 - 1915 .

المبحث الرابع ـ المخلفات الميتانية :

كان لدخول العناصر الهندية – الآرية إلى الجبال الكوردية في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد أهمية خاصة في تأريخ الشرق القديم ، فإذا كانت هذه العناصر قد سادت على سكان هذه الجبال ، فقد تمركزت بالدرجة الأولى في رقعة سكنها الناطقون بالخورية(٧٠) ، وتمازج الجميع في حدود مملكة ميتاني ظهرت في أفقها لأول مرة في التأريخ أسماء أعلام وألقاب ملكية تنتمي إلى نفس أسرة اللغة السنسكريتية في الهند . وتحت سلطة الميتانيين توحدت البلاد الخورية في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد بفضل فرق الفرسان التي أشرف عليها أفراد طبقة الماريان *Maryannu* «النبلاء» (٧١) الذين ورد ذكرهم مع ظهور دولة الميتاني في الجهات الغربية من كوردستان ، تلك المناطق التي إشتهرت عند البابليين والآشوريين وفي سجلات نوزي فيما بعد إنهيار هذه الدولة بخانيگلبات أو خاليگالبات(٧٢) ، ومع توسع رقعة تربية الخيول وصناعة العربات الحربية التي إختص بها الميتانيون ، إنتشرت نفوذ الماريانو بمرور الزمن في خارج كوردستان .

---

(٧٠) شكلت مقاطعة *mat Kurda ki* التي كانت تقع على نهر الخابور في الألف الثالث قبل الميلاد مركز الإمبراطورية الميتانية .

(٧١) لقد تحدث كثيرون عن هذه الطبقة التي إشتهر أفرادها بالبطولة والإقدام ومنهم إدوارد توماس :

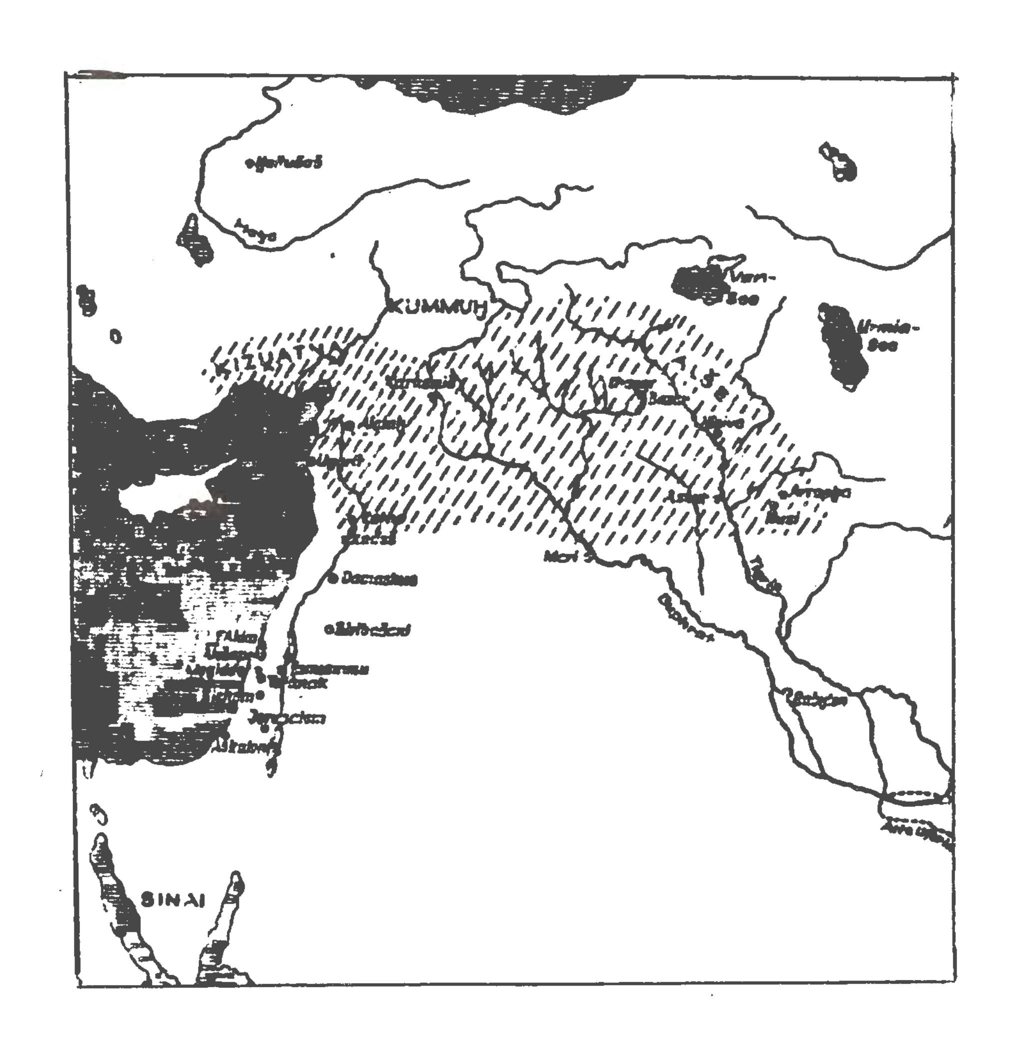
Edward Joseph Thomas, The Indo - Iranians and Their Neighbours, INDO - IRANIAN STUDIES, London 1925, PP. 179 - 183 .

سُجل لقب هذه الطبقة في النصوص المسمارية بصيغة *Marianni* التي لا تزال تستعمل في الكوردية بصيغة *Mêrani* وهي مشتقة من كلمة *Mêrini* بمعنى «الرجولة» . حول هذا اللقب راجع :

B. Hrozny, Le Hittite, Histore et Progres Du Dechiffrement Des Textes. - Ar Or, 3, April 1931, P. 290

(٧٢) حول تسمية خانيگلبات راجع : *I. M. Diakonoff, Yaziki Drewney ... Str. 115*

وعن إنتشار الماريانو في كل من سوريا ومصر راجع دراسة كل من :



الأراضي التي إحتوتها مملكة ميتانـي

لم نعثر ضمن النصوص المسمارية على أي ذكر للميتانيين في الفترة التي تسبق القرن الخامس عشر ق. م. ، وما أن حلّ القرن المذكور حتى بدأنا نسمع بعض ملوك المناطق الخورية يلقبون أنفسهم بالميتانني وخاصة أولئك الذين تمركزوا في وديان نهري الخابور والباليخ(٧٣) . وأول ملك من هؤلاء الملوك الذي ظهر إسمه في السجلات إشتهر بلقب باراتارنا *Paratarna* حكم حوالي عام ١٤٨٠ ق. م.(٧٤) ، وتلقب أحياناً بـ(شوتتارنا الأول) وُرد ذكره في نَصْب إدريمي ملك ألالاخ (تل عطشانة قرب حلب) ، حيث أشار إليه بإعتباره سيده ، كما جاء ذكره كذلك في سجلات نوزي(٧٥) . وعلى هذا الأساس ، فإن أقدم المصادر حول الميتانيين تأتينا من موقع ألالاخ(٧٦) الذي جرت الحفريات فيه بين أعوام ١٩٣٦م – ١٩٤٩م وظهرت فيه عاديات وآثار مختلف العصور . لقد كان هذا الموقع مركز مملكة أيمخد التي زاد عليها التأثير الخوري منذ منتصف الألف الثاني ق. م. وكان من أشهر المواقع أمام أطماع الحيثيين في شمال سوريا ، وقد وصلت نفوذ الميتانيين

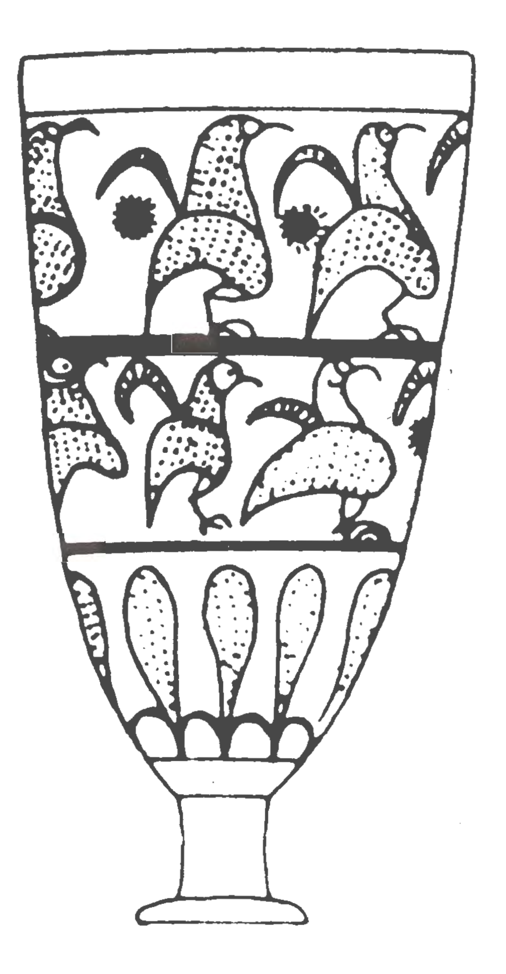
H. Reviv, Some Comments On The Marianmu, Israel Exploration On Journal 22, Jerusalem 1972, PP. 253 - 257 .
G. Steindroff ; K. C. Seele, When Egypt Ruled The East, Chicago - Illinuis 1957, P. 51 .

(٧٣) *M. Liverani, Hurri e Mitanni, OA, 1, (1962), P. 253, 257*

(٧٤) راجع الصفحة ٣١ من كتاب گيرنوت ويلهلم وأنظر كذلك إلى كتاب جورج رو الموسوم بعنوان : *G. Roux, Ancient Iraq, L. 1964, P. 229*

(٧٥) أنطون مورتكات ، تأريخ الشرق الأدنى القديم ، دمشق ١٩٦٧ ، ص ٢٠٤ من الترجمة العربية .

(٧٦) - *H. Klengel, Geschichte Syriens Im 2. Jahrtausend V.U. Z. T. 1. Nordsyrien . (1965)* راجع بحث نفس المؤلف في صفحة ١٧٣ من المجلد الثالث لنفس المجلة المنشورة عام ١٩٧٠م .



من الأعمال الفنية الميتانية

تل بيلا - القرن الخامس عشر قبل الميلاد

على هذه المملكة إلى درجة ، أضاف ملوك ألالاخ أحد الأرباب الميتاننية إلى مجمعهم الإلهي(٧٧) ، وكان كل من الملكين إدريمي ونقميبا في علاقة طيبة مع أباطرة ميتاني خلال القرن الخامس عشر ق. م. ، لذلك تصلنا من هذه المرحلة مجموعة من الأخبار ، وإن كانت تأتي من خارج حدود كوردستان ، لكنها تستطيع أن تنظم لدينا المسيرة التأريخية لسكانها التابعين في مناطقها الغربية .

أما آثار نوزي في الداخل فتُدَعّم هذه الحقائق ، وخاصة ذلك الختم للملك الميتاني شاوشاتتار الذي ذيّل به الوثائق مدوناً عليه عبارة (شاوشتّار مار بارشتّار شار ميتاني أي «شاوشتّار إبن بارساشتّار ملك ميتاني»)(٧٨) . ومن جهة أخرى ، فإن وثائق تل العمارنة بمصر هي من أهم المصادر التي تستطيع أن تزودنا بمعلومات جيدة عن الميتانيين منذ أواسط القرن الخامس عشر ق. م. حيث تتوضح من خلالها أولى بوادر العلاقات الدبلوماسية بين هؤلاء وبين الفرعون تحوتمس الثالث الذي دخل آسيا عنوة وقاد حملة على مملكة قادش عام ١٤٤٧ ق. م. كما تتوضح هذه المعلومات في الرسائل المتبادلة بين ملوك ميتاني وفراعنة مصر الآخرين من الأسرة الثامنة عشر ، وخاصة بعد أن قامت مصاهرة بينهم لثلاث أجيال على الأقل وحتى إنهيار الإمبراطورية الميتانية بيد شوبيلوليوما .

---

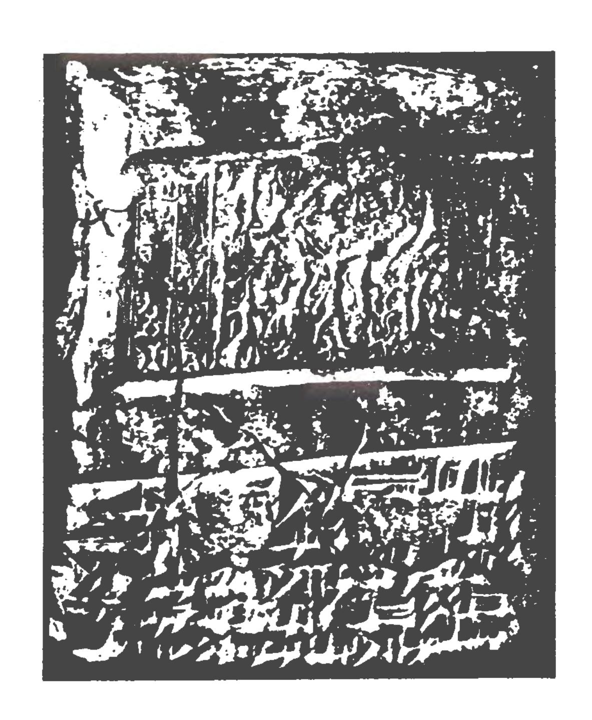
(٧٧) راجع كل من د. سامي سعيد الأحمد ، د. جمال رشيد أحمد ، تأريخ الشرق القديم ، بغداد ١٩٨٨م ، ص ٢١٩ .

(٧٨) جورج رو ، المصدر نفسه . وعن شكل الختم أنظر إلى الغلاف الداخلي لكتاب مانفريد مايرهوفر

M. Mayrhofer, Die Indo - Arier Im Alten Vorderasien, Wiesbaden 1966 .

كما قام لاروخي *Laroche* بدراسة الوثائق التي تعود إلى عصر سقوط ألالاخ بيد الحثيين :

E. Laroche, Catalogue Des Texts Hittites, Etudes et Commentaires 75, No 9, (1971) .



Sa - us - ša- at - tar mar Bar - sa - ša - tar
šar Ma - i - ta - ni

ساوشتار بن بارساشتار ملك مَيْتاني

ختم الإمبراطور الميتاني ساوشتار

الحثي(٧٩) ، وقد تأكدت هذه القرابة الأسرية من خلال وثائق تل العمارنة بمركز ملوي في محافظة المينا الواقع على الجهة الشرقية من نهر النيل الـتي جرت الحفريات الأولى فيه منذ عام ١٨٨٧م وكان في الأصل عاصمة المملكة الفرعونية الحديثة التي عرفت في زمانه بـ(أخت آتون) .

ساعدت وثائق تل العمارنة المؤرخين في تصحيح جوانب مهمة من الأحداث المتعلقة بتأريخ العالم القديم . وبعد أن قامت مؤسسة الدراسات الشرقية الألمانية بين أعوام ١٩١١م – ١٩١٤م بتنظيم نتائج الحفريات في هذا الموقع(٨٠) ، قام الأثري بيتري *W. M. F. Petrie* وبالإستناد على نصوص هذا الموقع ، بترتيب الرسائل الملكية المرسلة إلى فراعنة المملكة الحديثة من قبل ملوك آسيا الغربية وأتمت جمعية العاديات المصرية بين أعوام ١٩٢٦م – ١٩٣٧م هذا الترتيب فيما بعد ، ثم نُشر بعض نتائج هذه الأعمال في لندن عام ١٩٥١م(٨١) ، وكان هنري برستد قد حدد في حينه عدد الرسائل المدونة بالخطوط المسمارية على قوالب طينية بـ ٣٠٠ رسالة ، كانت مرسلة منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد من ملوك بابل ونينوى وميتاني وقبرص ومجموعة من الزعماء وأمراء غربي قارة

---

(٧٩) راجع تفاصيل هذه الأحداث في المراجع التالية :

J. J. Finkelstein, "Mesopotamia" - JNES, 21 (1962), PP. 73 - 92 .
R. T. O'Callaghan, Aram Naharaim, Analecta Orientalia, 26. Roma 1948 .

(٨٠) عن نتائج أعمال بيتري المنشورة راجع :

W. M. Petrie, Tell - Amarna, London 1949 .

(٨١) راجع :

The City Of Akhnaten III, Fourty - Fourth Memoir Of The Egypt Exploration Society, PP. 224 - 235 .

وخاصة من بلاد سورية وفلسطين(٨٢) ، إلا أن الرسائل الميتاننية كانت تتميز بالكلمات التي تُعبر عن الروابط القوية التي قامت بين أصحابها وفراعنة الأسرة الثامنة عشرة من المملكة الحديثة منذ زمن الملك شوتتارنا إبن أرتاتاما ومعاصره تحوتمس الرابع وإبنه آمونحوتب الثالث الذي ولدته الأم الميتاننية گيلوخيپا *Gilu - hipa* المشهورة في مصر بـ(موت أوم أويا *Mutemuya*) . لقد جلبت هذه الأميرة الميتاننية من بلادها بعض القيم الدينية إلى مصر بعدما رفرف البهاء والعظمة في قصور الفراعنة بمصر على حد قول فيليب فاندينبيرگ(٨٣) .

صنّف المسؤولون في المتاحف الأوربية الرسائل الميتاننية تحت أرقام ٢٧ و ٢٣ *EA* وهي مرسلة بشكل خاص من الملك توشراتتا وعليها علامة تشير إلى يوم إستلامها في أواخر حكم آمونحوتب الثالث . كما أن هناك رسائل أخرى أرسلت إلى آمونحوتب

---

(٨٢) إستطاع فيليب فاندنبيرگ أن يعين أماكن تواجد هذه الرسائل كما يلي :
٢٠٢ لوح في متحف برلين الشرقية ، ثمانية منها تالفة ، وهناك ٨٣ منها في المتحف البريطاني و ٥٠ في المتحف الوطني بالقاهرة وأغلبها مكسورة . ويحتفظ متحف أشموليان بأكسفورد بـ ٢٣ لوح منها ٢١ في حالة غير جيدة ، بينما هناك ثمانية من هذه الألواح سالمة تقبع في لندن تحتفظ بها جمعية التحريات المصرية *Egypt Exploration Society* ، وسبع ألواح محفوظة في صالة روستوفيتز ، وثلاثة في بطرسبورغ ولوحان في متحف ميتروبوليتان بنيويورك . أما متاحف كل من هاسكل التابع لجامعة شيكاغو وإستنبول ، فيحتفظان بلوح واحد لكل منهما ، كما أن هناك لوح عند أحد الفرنسيين بباريس . عن هذه المعلومات راجع الصفحة ٦٤ من الترجمة الهولندية لكتاب فيليب فاندنبيرگ :

Ph. Vandenberg, Nefertete, een Archeologische Biografie, Tweede Druk, Amsterdam - Brussel, blz. 64 .

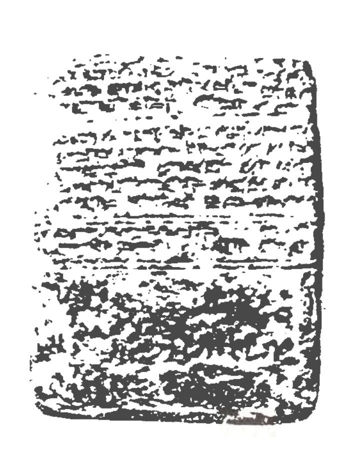
(٨٣) *A. Breasted, History Of Egypt, PP. 224 - 235* .

راجع الصفحة ٧٣ من الطبعة العربية لهذا الكتاب ، ترجمة الدكتور حسن كمال ، القاهرة ١٩٢٩م



رسالة من الرسائل الميتانية

العدد ٢٧ (متحف برلين)



رسالة من رسائل الملك الميتاني توشراتا

إلى آمونحوتب الثالث فرعون مصر

(المتحف البريطاني)

الرابع (آخنـاتون) محفوظة في متحف برلين مرقمة بالعدد ٢٧ ، وقـد درس ريـدل *Riedel* الرسائل المرقمة مـن ١٧ إلى ٢٩ وتبـين لـه أن الرسـائل السبعة الأولى مـن هـذه المجموعـة كانت معنونة من ملوك ميتـاني إلى نـب – مأ – رع (وهـو آمونحوتـب الثـالث)(٨٤) . وهناك رسالة عزاء خاصة إلى الملكة (تيـا) تسلمتها بمناسبة وفاة زوجها ، وشوهدت ثلاث رسائل أخرى معنونة إلى آخنـاتون صُنفت تحت رقم ٢٨٠ ، ومحتـوى الرسـالة المرقمـة بـ ٢٧ يشبه محتويات الرسائل المرقمة بـ ٢ و ١٢ ، ويشير ريدل إلى أن جميـع هـذه الرسـائل كانت مرسلة من توشراتا خلال الفترة الأخيرة من حكم آمونحوتب الثالث وبدايـة حكـم آخنـاتون .

في الفترة التي بدأ علماء الآثـار بجمع وثـائق تـل العمارنـة ، كـان زملاؤهـم برئاسـة هوگوّوينكلر في بوغاز كوبي ينظمون العاديات الحثيـة ، فعـززت نتـائج هـذه الأعمـال في الأنضول تأريخ العلاقات الدبلوماسية الميتـانية – المصرية والميتـانية – الحثيــة ، فإستطاع هؤلاء العلماء من ترتيب أحداث ذلك العصر الذي تخللته صراعـات داخليـة وخارجيـة في الإمبراطورية الميتانية لحد ظهور الملك الحثي الطموح شوبيلوليوما في حتوششا الذي إنتهج نهج أسلافه فيما بين أعوام ١٣٤٠ ق. م. – ١٣٨٠ ق. م. في محاربة المصريين وحلفائهم الآسيويين ، لذلك حاول شوبيلوليوما تسوية حسابه مع مملكـة ميتـاني معتبراً إياهـا مـن أقوى حلفاء مصر في آسيا ومسؤولة عـن سـوء الحالـة الـتي وصلـت إليهـا بـلاده ، فدخـل واشوكاني العاصمة مدمّراً عوالمها حيث يصعـب الآن الحصـول علـى وثـائق ميتانية مـن موقعها الأصلي بصورة مباشرة ، لكن أرشيف بوغاز كوبي وتلك الرسـائل الـتي أتتنـا مـن

---

(٨٤) *Riedel, Unter Suchungen Zu Den Tell - el Amarna Briefen, PP. 6 - 7.*
يتعلق موضوع هذه الرسائل غالباً بالهدايا التي كانت على فراعنة مصر تقديمها في حالة طلب يد أميرة من أميرات البيت الملكي الميتـاني .

تـل العمارنـة يمكـن أن يزودنـا بأخبـار فـترة إزدهـار المملكـة الميتـانية وأسـباب إنهيارهـا السريع(٨٥) ، وكان أبرز وثيقة ميتانية شوهدت في بوغاز كوبي هـي ذلـك اللـوح الـذي دونّـه السائس الميتـاني كيكوليش بالخط المسماري تتخلل نصوصه أرقام ومفـردات هندية – آرية(٨٦) .

وهكذا ، ظلت لنـا من آثار الألف الثاني قبل الميلاد مجموعة كافية من المصادر يمكـن الإعتماد عليها عموماً في تصنيف الأحداث التأريخية للمناطق الواقعة في شرق وشمال وادي الرافدين (كوردستان) والتعرف على القضايا السياسية والدينية واللغوية في ربوعها وتَتَبّـع المراحل الأولى لظهور بوادر اللغة الكوردية المستندة على قاعدة ميتـانيـة إستطاعت بمـرور الزمن أن تستوعب في بودقتها اللغات الزاگروسية البائدة .

---

(٨٥) راجع البحث القيم للعالم التشيكي بدريج هروزني *Bedrich Hrozny* المتعلق بتفاصيل أخبار الميتـانيين والخوريين في كل من العهد القديم ونصوص بوغاز كوبي نشـره بالفرنسـية في مجلـة معهـد الدراسات الشرقية التشيكسلوفاكية :

B. Hrozny, Le Hittite, Histore et Progres Du Dèchiffrement Des Textes. - Ar Or, 3, April 1931, PP. 272 - 295 .

(٨٦) راجع البحث الآخر لهروزني المنشـور في نفـس المجلـة بـين الصفحـات ٤٣١ – ٤٦١ ، وفيـه نصوص كيكوليش باللغة الخورية تتخللها جمل آرية وتقابلها ترجمة فرنسية :

L 'Entrainement Des Chevaux Chez Les Anciens Indo - Europeens D'Apres Un Texte Mitannien - Hittite Provenant 14e Siecle AV. J. - C.

المبحث الخامس ـ عاديات الأورارتيين :

لقد ظلّت كنية ميتاني معروفة في المصادر التأريخية حتى القرن الخامس قبل الميلاد حيث تطرق إليها في هذه الفترة المؤرخ اليوناني هيرودوت وإعتبرهم مغ الأرمن والساسبير (وهم صنف من القبائل الكرتفالية) والألارود (الأورارتيون) من إحدى المجموعات الأثنية في شرق آسيا الصغرى(٨٧) ، وحدد موطنهم في المناطق التي تقع على غرب بحيرة أورميه حيث سماها الجغرافي سترابو بحيرة ماتييني أو مانتيانا(٨٨) وحددها بين نهري أراكس في الشمال و گيند (ديالى) في الجنوب أي مركز تجمع الأمة الكوردية حالياً . ويدعي دياكونوف أن مقصود هيرودوت بالماتييني هم الخوريون(٨٩) ، لكن الحقائق لا تُدعم هذا القول ، لأن فترة غير قصيرة مرت على إبتعاد الخوريين من مسرح التأريخ أيام هيرودوت ، ثم أن العناصر التي إستوطنت في هذه المناطق بإسم الميتانيين كانوا آريين ، في حين شكلّ الأورارتيون المنحدرين من الخوريين بعض الممالك في غرب هذه المناطق مثل مملكة دياوخي على نهر قره صو ومملكة گوزانا بشهربازار قرب تل حلف وخوبوشكيا بمنطقة بوتان وشوبريا في صاصون ، وإحتوت سجلات ملوك آشور من العصر السرجوني فيما بين القرنين ٩-٧ أخبار كل هذه الممالك ونرى فيها عاهلا المملكتين الأخيرتين يحملان

---

(٨٧) راجع هيرودوت ، التأريخ ، الكتاب الخامس ، الفقرة ٤٩ (*Her. V. 49*)

(٨٨) وأضاف هيرودوت قائلاً «أن نهر هاليس أصبح حدود الميديين مع الليديين وكانت هذه الحدود تصل إلى جبال أرمينيا مروراً بكيليكيا ومؤدياً إلى بلاد الماتيان » (*Her. III. 94*) «وبعد أرض الماتيان كان يعيش الكيسيون (أي الكاشيون ... ج . ر)» (*Her. VII. 72*) ، «ويُقدر الطريق من أرمينيا إلى ماتيينا بـ ١٣٦ فرسخاً ويجري في هذه البلاد أربع أنهر ، دجلة التي تنبع في أرمينيا والثاني والثالث لهما نفس الإسم زابات (وهما الزاب الكبير والصغير... ج . ر) وينبعان في ماتييني والنهر الرابع يسمى گيند » (*Her. V. 52*) .

(٨٩) راجع بالروسية آراء دياكونوف في *I. M. Diakonoff, Yaziki Drewney ..., Str. 117*



أورزانا ملك موصاصير أمام معبوده الكبير

الإله خلدي

فن كوردستاني من القرن الثامن قبل الميلاد

كنيتـان خوريتان ، كما كان الحال مـع أورزانـا ملـك موساسير (روانـدز الحاليـة) أيـام سرجون نفسه(٩٠) ، أما أرتا سَري *Arta Sari* «الرئيـس الطـاهر» ملـك إقليـم شـورديره على نهر الزاب الصغير المعاصر لشالمانصّار عام ٨٢٨ ق. م. فإن كنيتـه تُعبر عـن سـيادة اللغة الكوردية في كوردستان الجنوبية ، كما كانت كنية كاكيـا *Kakia* «العـم أو الخـال أو الأخ الكبير» ملك خوبوشكيا بوسط كوردستان تُعبر عام ٨٥٩ ق. م. عن هذه الحالـة ، وهذا ما يقال لكنية كونده أسبا *Kunde Aspa* «حصان الحرب» الذي سجّلها تيغلات بلاصر عـام ٨٥٤ ق. م. علـى نصبه وظهـرت في النصـوص الساسـانية بصيغـة كونـدا گوشاسپ(٩١) ، ثم عُرفت أراضي هـذه الممـالك في مطلـع العصر الهلليني بـگوردويني أو كوردويني *Gorduene, Kordouene*(٩٢) أي «بلاد الكورد» .

لا تُبقي سجلات ملوك أورارتو أي شـك في وجـود العلاقـة اللغويـة بـين الأورارتيـة (الخلدية) والخورية القديمة ، وتُبين هذه السجلات تلـك العلاقـة الثقافيـة بـين القبـائل الـتي إمتهنت الرعي والزراعة وتربية المواشي والخيول في المناطق الجنوبية لبحيرة وان ومنها قبيلـة دياوخـي التي نشأت الدولة الأورارتيـة في وسـطها وبـين الخوريـين الذيـن إندمـج أغلبهـم

---

(٩٠) *D. D. Luckenbill, Ancient Records Of Assyria and Babylonia, Chicago 1929, Vol. II, P. 12 .*

(٩١) راجع الصيغ القديمة لهذه الأسماء وغيرها من الأسمـاء الهندية – الآريـة والهنديـة – الإيرانيـة في المصدر الروسي التالي :

K. A. Grantovsky, Rannyaya Istoriya Iranskikh Plemen Azii, Moskwa 1970 .

ثم راجع الفصل الخامس من كتابنا الموسوم بعنوان «دراسة لغوية حول تأريخ المنـاطق الكورديـة ، بغداد ١٩٨٨م ، باللغة الكوردية» .

(٩٢) جاءت الصيغة الأولى عند كاسيوس ديون (*Cass. Dio., XXXVII, 15, 3*) ، أما الثانيـة ، فقد أوردها عدد من المؤرخين اليونان والرومان ، منهم بلوتارخ (*Plut. Luc. 21, 2 ; 29, 9*) .

بالقبائل الميتاننية . فإذا كان الثقل السياسي لهؤلاء قد تمركز في مدينة توشبا على بحيرة وان ، فإن قبلتهم الدينية ظلت تتمثل بموساسير (أرديني) بكوردستان الجنوبية ، ومع ذلك فقد إشتهرت البلاد التي حكمها الأورارتيون بـ(بياينا) ، بينما أطلق الآشوريون كنية (نايري) على بعض أجزائها . وعلى هذا الأساس ، يرى كل من الروسي ميشتشانينوف *I. I. Meshchaninow* والجيورجي ملكشفيلي *G. A. Melikishvili* أن اللغة الأورارتية عرفت بإسمين هما الوانية (نسبة لبحيرة وان) والموساسيرية (نسبة إلى موساسير) وكانتا قريبتين من الخورية(٩٣) ، إلا أنهما تأثرتا ببعض المفردات السامية أثناء التسلط الآشوري على تلك المناطق بمرور الزمن .

بالإضافة إلى مكتشفات أعوام ١٩٧٠م – ١٩٨٠م فقد وصلتنا لحد الآن أكثر من ٤٠٠ لوح أورارتي مدوّن بالخطوط المسمارية ، وتتعلق مواضيع جميع هذه الألواح بأعمال الملوك العسكرية والعمرانية والدينية أكتشفت بصورة عامة في المناطق الواقعة فيما بين نهر آراكس شمال كوردستان وبلدة رواندز بكوردستان الجنوبية . وكان أول من درس هذا التراث هو العالم الفرنسي *J. St. Martin* بعدما زار مدينة وان عام ١٨٢٨م حيث قام فيها بمقارنة ما رآه من آثار مع تلك الأخبار المتعلقة بتأريخ أرمينيا التي سجلها موسى الخوريني في كتابه . ثم بدأ أوستن هنري لايارد *A. H. Layard* بدراسة بعض النصوص

---

(٩٣) في الوقت الذي يعيد دياكونوف كلام كل من مشتشانينوف وملكشفيلي ، يقول أن الأورارتية عُرفت خطأ بالخلدية . راجع رأيه هذا في المرجع السابق . وفي الواقع ، فقد نشر مشتشانينوف بحثه بشكل محاضرات في المجمع العلمي السوفياتي عام ١٩٢٨م وهي محفوظة في أرشيف معهد الدراسات الشرقية تحت رقم ٦ (١٩٣١م) ، ثم ألّف مشتشانينوف بعض الكتب حول الأورارتيين . فحول اللغة الوانية ومملكة أورارتو راجع بالروسية دراسات كل من :

I. I. Meshchaninow, Yazik Wanskoy Klinopisi, Band II (1935).

B. B. Piotrowskiy, Vanskoe Carstvo (Urartu), 1959.

الأورارتية(٩٤) ، ولاحظ هنري كريسويك راولينصون *H. C. Rawlinson* في نفس الفترة أن اللغة التي دوّن بها هذه النصوص تختلف عن تلك التي شوهدت في المستوطنات القديمة لوادي الرافدين(٩٥) ، لذلك سماها عن طريق الخطأ بلغة ميدو – الآشورية - *Medo Assyrian* ، لكنها إشتهرت فيما بعد من قبل لينورمانت عام ١٨٧٦م بالجيورجية تارة وبالأرمنية من قبل موردتمان تارة أخرى عام ١٨٧٢م ، في حين سماها روبيرت عام ١٨٧٦م بالسامية ، فوصف كل من يجد مصلحة من هذا التراث كجزء من حضارة ملته ، فإستمرت هذه الحالة حتى زمن إكتشاف ٥٨ قطعة من الألواح الأورارتية ومن أبرزها

---

(٩٤) سير أوستن هنري لايارد *Sir Austin Henry Layard* المولود في باريس عام ١٨١٧م والمتوفي في لندن عام ١٨٩٤م هو أحد أبرز علماء الدراسات الآشورية في القرن التاسع عشر الميلادي . أثناء حفرياته في موقع قوينجق عام ١٨٤٥م إكتشف قصر نينوى ، ثم أجرى حفريات أخرى في نمرود . أصبح لايارد فيما بعد عضواً في البرلمان البريطاني وتقلد مناصب وزارية ومثّل حكومته في كل من مدريد (١٨٦٩م) وإستنبول)١٨٧٧م) ، وله بعض المؤلفات مثل :

- *Nineveh and Its Remains, (1849)*.
- *Discoveries In The Ruins Of Nineveh and Babylon, (1853)*.

(٩٥) كان راولينصون *Sir Henry Creswicke Rawlinson* ضابطاً بريطانياً ولد بأكسفورد شاير عام ١٨١٠م وعمل في شركة الهند الشرقية فيما بين ١٨٢٧م – ١٨٣٣م ، ثم سافر إلى إيران لتنظيم أمور الدولة فيها فظل في خدمة الأمير عباس ميرزا ولي العهد بقوة كرمنشاه ، ورقي إلى رتبة كولونيل . ولقربه من جبل بهستون ، بدأ عام ١٨٤٦م يدرس كتابات الملك داريوس على سفح هذا الجبل التي ترجع إلى عام ٥١٦ ق. م. ، فإشتهر راولينصون بعد أن إستنسخ جميع نصوص هذه الكتابات وحللها وعمم صور أعمدتها ضمن بحوث نشرها بداية في العدد العاشر من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية *JRAS* عام ١٨٤٦م ، ثم نشر البقية في الأعداد التي تلى العدد العاشر ، فتقلد على إثر جهوده لقب *Sir* ، ثم إشترك في حفريات نينوى بين أعوام ١٨٥١م – ١٨٥٥م حيث إكتشف فيها مكتبة آشور بانيبال ، وزار بعض المواقع في كل من كوردستان وأرمينيا ، وتوفي عام ١٨٩٥م .

نصب كيله شين(٩٦) ولوحة طوبزاوه بكوردستان الجنوبية اللذان سجّل فيهما الملكان إشبويني وإبنه مينوا بالخلدية والآشورية قصة زيارتهما لموساسير (أرديني) ، وكانت هذه ظاهرة فريدة منذ أن قام كلاوديوس جيمس ريج *C. J. Rich* و چارلس بيللينو بتحديد بعض السجلات الأورارتية عام ١٨٢٠م(٩٧) وحتى وصول بعثة الجمعية الآسيوية الفرنسية برئاسة شولتز *F. E. Shulz* من قبل وزارة الخارجية الفرنسية إلى مدينة أورميه حيث زارت المناطق الكوردية الواقعة فيما بين الإمبراطوريتين الإيرانية والعثمانية وإكتشفت فيها عام ١٨٢٦م ٤٢ قطعة من الوثائق الأورارتية نقلت حينئذ مباشرة إلى باريس(٩٨) . وبعد ذلك قام كل من گوتز *A. Goetze* وفردريك *J. Friedrich* بنشر بحث حول نصب كيله شين إثر زيارته له(٩٩) ، ثم ترجم العالم الأثري سايك *A. H. Sayce* نصوص هذا النصب

---

(٩٦) نصب الملك الأورارتي مينوا بن إشبويني في القرن التاسع قبل الميلاد نصبه المدون على صخرة من البازلت الأسود بجبال سيكاو قرب قادر جاي على الحدود العراقية – الإيرانية المشرفة على بلدة أشنويه . ومما يؤسف له أن الإيرانيين نقلوا هذا النصب إلى متحف أورميه وتركوه على بابه مهملاً دون عناية كما رأيناه عام ١٩٩١م وهو بطول مترين وبعرض ٦٠سم وسمكه ٣٠سم وعلى وجهيه نص أورارتي بـ ٤١ سطراً ونص آشوري بـ ٤٢ سطراً .

(٩٧) عُيّن ريج بمنصب مقيم في دار شركة الهند الشرقية في بغداد عام ١٨٠٦م وحاول بالتعاون مع مساعده هاين بتوثيق الصلات مع رؤساء القبائل الكوردية ، ثم قام برحلة طويلة في كوردستان مدعواً من قبل محمود باشا البابان في نيسان من عام ١٨٢٠م ، وقد قضى عاماً كاملاً فيها زار خلاله مدن السليمانية ومريوان وسنندج وبانه وأربيل والموصل وقرى كوردية عديدة .

(٩٨) كان شولتز أحد الأساتذة الألمان بجامعة گيسين ، وصل إلى مدينة وان يوم ٢٤ تموز من عام ١٨٢٧م ، وتجول في المناطق الكوردية لأسباب عديدة ، ثم قُتل في جوليميرك عام ١٨٢٩م . حول تفاصيل هذا الموضوع راجع مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية *JRAS* ، العدد ١٦ (١٩٣٤) ؛ د. جمال رشيد أحمد ، لێكۆڵینەوەیەکی زمانەوانی دەربارەی مێژووی وولاتی کوردەواری «دراسة لغوية حول تأريخ المناطق الكوردية» ، بغداد ١٩٨٨م ، ص ١٩ – ٢١ .

(٩٩) راجع كل من غوتز وفريدريك :

النصب إلى الإنجليزية من خلال مقارنة نصه الخلدي بنصه الآشوري و لم يكن يختلف موضوعيهما أساساً إلا عند إستعمال كنية (بياينا) في النص الخلدي بدلاً من (أورارتو) التي تورد في النص الآشوري(١٠٠) . وأخيراً كتب بينيدكت بحثاً عن هذا النصب في مجلة الجمعية الأمريكية للدراسات الشرقية عام ١٩٦١م(١٠١) ، بينما كان كل من لايارد والدكتور رينولدز والقنصل البريطاني في مدينة وان الكابتن أميليوس كلايتون(١٠٢) قد إبتاعوا عام ١٩٧٧م مجموعة جيدة من الأعمال الفنية الأورارتية . وبعد هذه الفترة إكتشف الباحثان الروسيان ف . نيكولسكي و أ. أ. إيفانوفسكي في السفح الشمالي لجبل آرارات وقرب قصبة تاش برون بعض المواقع الأثرية الأورارتية وإعتقدا في

A. Goetze, Hethiter, Churriter und Assyrer, 1936
J. Friedrich, Einführung ins Urartäische, Leipzig 1933.

(١٠٠) راجع دراساته تحت عنوان (اللغة الميتانية) المنشورة في مجلة الدراسات الآشورية وآثار الشرق الأدنى : *A. H. Sayce, The Language Of Mitanni, ZA, 5, Leiozig 1900.*

(١٠١) *W. C. Benedict, The Urartian - Assyrian Inscription Of Kelishin. JAOS, 81, 1961, PP. 359 - 385 .*

(١٠٢) نقصد بلايارد *A. H. Layard* الوارد ذكره آنفاً ، لكن الدكتور رينولدز هو كنظيره الدكتور كوجران عاش في مدينة أورميه أثناء ثورة الشيخ عبيد الله النهري التي قامت في شمدينان وكان من الأطباء المبعوثين مع بعض الإرساليات التبشيرية المسيحية إلى كوردستان لأهداف سياسية غير معلنة . أما الكابتن كلايتون ، فقد إشتهر بدوره غير الرزين حيث كان يشجع الشيخ الثائر بالقضاء على المسيحيين قبل إعلان الثورة ، وكشف الشيخ هذه المؤامرة البريطانية أمام الوفود المسيحية التي حضرة مؤتمر ناوجيا عام ١٨٨٠م ، ومع ذلك فقد حمل كلايتون رسالة خاصة من الشيخ عبيد الله إلى المسؤولين البريطانيين يشرح فيها قضية توحيد أمته وتحرير بلاده من الهيمنة العثمانية والإيرانية .

حينه أنها قلاع الملك مينوا ، لذلك أسرعت أكاديمية بروسيا الألمانية عام ١٨٩٨م بإرسال العالم ف . ليهمان الذي إشتهر فيما بعد بـ *Lehman Haupt* برفقة *W. Beich* إلى موطن الأورارتيين في كوردستان ، وبعد دراسة جيدة إستطاع هذا من نشر نتائج أعمال بعثته بين أعوام ١٩١٠م – ١٩٣٠م ، لكن قسماً من هذه الأعمال لم تنشر إلا بعد وفاته عام ١٩٣٥م(١٠٣) .

ومهما يكن من أمر ، فإن العاديات الأورارتية لقت الإهمال بشكل عام من قبل المؤرخين ، غير أن بعض الدراسات المتقطعة جرت حولها إبتدأها سايك *A. H. Sayce* منذ عام ١٨٨٢م(١٠٤) بعد أن كان أوربيلي *I. A. Orbeli* قد إكتشف شخصياً نصباً في توبرك قلا شمال مدينة وان إشتهر بإسم موقعه المعروف بخزينه قابوسي ، وكان يعود إلى الملك سَردوري الثاني ، وقام نيكولاي مار *N. Y. Marr* على أساسه بتوضيح العلاقة التأريخية بين الكورد والأورارتيين معتقداً بالتبدلات التي سرت على لغتهم وتحولها من

---

(١٠٣) راجع مثلاً الدراسة التي نشرها ليهمان هاوبت فيما بين أعوام ١٩١٠م – ١٩٣٠م :

L. Haupt, Armenien Einst und Jetzte, Berlin 1910 - 1930 .

وقد حُفظت أعماله المتعلقة بتأريخ أرمينية وبلاد ما بين النهرين في :

"Abh. der Königl. Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen", Phil - hist. Klasse NF Bd. 9, Nr. 3 (1907), s. 108.

أما مجموعة أعماله ، فقد عُرفت بعنوان *CICh* أي :

Corpus Inscriptionum Chaldicarum, in Verbindung mit F. Bagel U. F. Schachermeyer hagg. Von C. F. Lehmann - Haupt (Berlin u. Leipzig 1928 - 1935) .

(١٠٤) راجع :

A. H. Sayce, Cuneiform From Inscriptions Of Van, JRAS 1882 .

اليافثية إلى الإيرانية(١٠٥) ، ثم طبع تسيريثيلي بعض المعلومات عن هذا النصب مستمراً في دراسة العاديات الأوراتية المحفوظة في المتحف الجيورجي(١٠٦) .

وحول نفس الموضوع وخلال العشرينات وبداية الثلاثينات من القرن الماضي ، إستطاع كل من سبايزر *E. A. Speiser* وفريدريك *J. Friedrich* أن يجدا مبررات واقعية لكي يقارنا الأورارتية باللغة الخورية من ناحيتي الكلمات المشتركة والبناء القواعدي للحمل(١٠٧) .

وفي نهاية القرن الماضي أكتشفت مجموعة من لوحات الملك الأورارتي إشبويني وإبنه مينوا في كل من مناطق أرماور (أرمينيا) والشكاك وقلعة گاه وحلديان وأشنويه وقره گوندوز(١٠٨) بكوردستان ، في حين كانت مثيلاتها قد شوهدت في كل من زمزم داغ

---

(١٠٥) راجع مناقشة هذا الرأي من قبل كل من :

B. Nikitin, Kurdi, Moskwa 1964, Str. 46 .
O. Wilchewski, Kurdi, M - L 1961, Str. 142 .
G. W. Tseretheli, Haldischen Inschriften des Konigs Sardurs Von Urartu, Heidelberg 1928 .

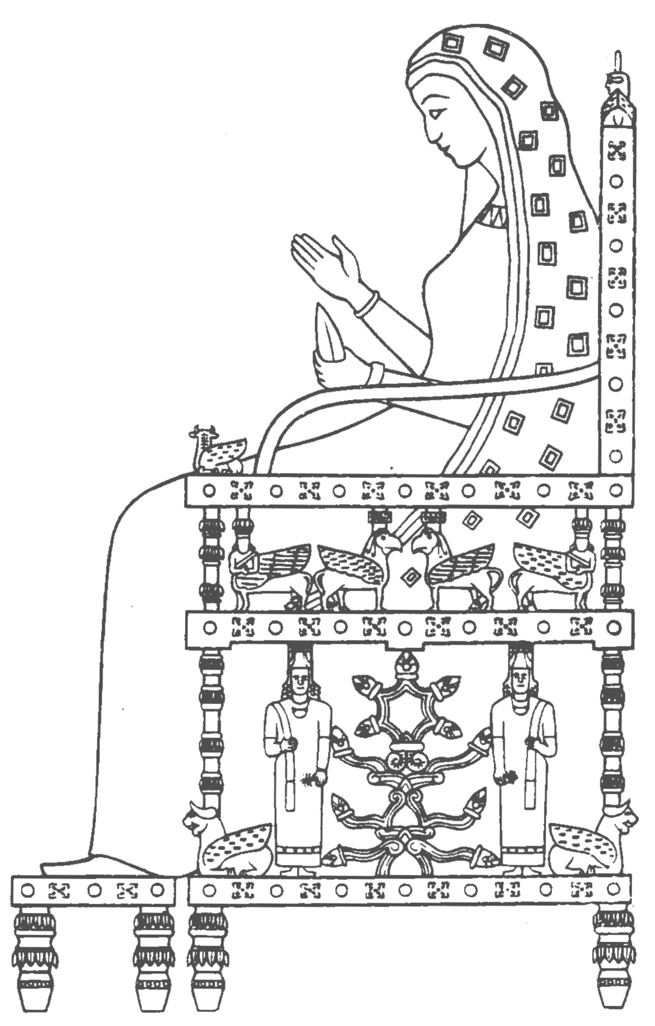
(١٠٦) *G. W. Tseretheli, Urartskie Pamyatniki Muzeya Gruzii, Tbilisi 1939*

ولتسيريثيلي دراسات أخرى في هذا الميدان نشرها في *RA* (مجلة الدراسات الآشورية والآثارية الشرقية) ، الأعداد ٣٠ (١٩٣٠م) ، ٣٢ (١٩٣٥م) ، ٤٥ (١٩٥١م) ، ٥٣ (١٩٥٩م) .

(١٠٧) يمكن مشاهدة هذه المقارنة لسبايزر في عديد من بحوثه المتعلقة بالخوريين ومستوطناتهم ، أما عن فريدريك فراجع : *J. Friedrich, Einfürungins Urartäische, Leipzig 1933 .*

(١٠٨) عن نتائج هذه المكتشفات راجع البحوث التالية :

G. A. Melikishwili, K Chteniyu Odnoy Armavinskoy Urartskoy Nadpisi, Drevniy Vostok i Mirovay Kultura, M. 1981 .
M. Salvini, Utochneniya V Chteni Dwuch Urartskikh Nadpisey Iranskom Azerbayjan, Drevniy Vostok i Mirovay Kultura, M. 1981 .



لوحة فنية رائعة لأميرة أورارتية

أكتشفت في تـوّيراك قَلا بكوردستان الشمالية

وأنـزور تبـه وعلـى محـور يتنوس – قـره قـوش قـرب ألوديـري في المنـاطق الشـرقية لآسـيا الصغـرى ، ثـم شـوهد معبـد الإلـه خَلْـدي الـذي بنـاه مينـوا في زفستـان وكذلـك في أنزف(١٠٩) ، لكن المعبد الكبير الذي شُيـّد في موساسير بكوردستان الجنوبيـة ظـل هـو القبلة المباركة الرئيسة لملوك أورارتو. وفي السنين الأخيرة من القـرن العشـرين ، أكتشـفت مواقع قلاع على طريق آسكي دوغو بايزيد المؤدي إلى جبل آرارات ، كما شوهدت آثار معسكرات مينوا في مناطق باشبولاق وچوله گرد قرب تاش برون وگوورزيت قـلا والمراديـة وقره خَرْمان وكذلك في كل من پالو وعلى نهر مـراد صو ، كما أكتشـف نصـب مينـوا الذي يتحدث فيه عن حملاته في مناطق شمدينان الكوردية التي سماها (شيبيتيريا) حيث بنـى فيها معبـداً للإلـه خَلدي قبل زحفه نحو ملاطيه على التخوم البلاد الحثية .

أن لنُصب ومسلات وألواح كل من روسـا وسـردوري وإشـبويني ومينـوا وأركشـتي

د. جمـال رشيد أحمد ، اللغة الكوردية بين علم اللغة والتأريخ ، المثقـف الجديـد (المجلـة العلميـة لـدار الثقافة الكوردية) ، الأعداد ١٢٠ – ١٢٢ ، بغداد ١٩٨٨م ، ١٩٨٩م .

(١٠٩) حول نتائج الحفريات في هذه المواقع راجع البحوث المنشورة في مجلة الدراسات الأنضولية ومنها

P. Hulin, New Hurrian Inscriptions From Adlicevaz, "Anatolian Studies", IX (1958).

P. Hulin, New Urartian Inscribed Stones From Anzaf, "Anatolian Studies", X (1960).

P. Hulin, New Urartian Inscription From Adlicevaz "AS", IX (1958), s. 189ff.

P. Hulin, New Urartian Inscription From Anzaf, Ibid., X (1960), s. 209ff.

M. Von Loon, The Euphrates Mentioned By Sarduri II Of Urartu, "Anatolian Studies" Istanbul 1974.



لوحة هرير

كوردستان الجنوبية

التي درسها *F. W. König* ونشر بحوثاً جيدة حولها أهمية لغوية وأثنية خاصة تتعلق بمرحلة تكامل الشروط القومية للكورد في التأريخ(١١٠) . ومن حسن الحظ ، بدأت دائرة العاديات التركية منذ عام ١٩٥٠م بجمع الآثار الخورية والأورارتية بدعم من إختصاصيين أوربيين(١١١) ، ثم شاركت المؤسسات الآثارية والتأريخية السوفياتية من جانبها بعد الحرب العالمية الثانية في دراسة حصيلة كل هذه الأعمال ، فبرز عندهم بجانب إيگور ميخايلوڤيچ دياكونوف العالم الجيورجي ملكشفيلي الذي بلغت عنده حدود العمل دراسة ٣٧٠ نصاً من النصوص الأورارتية إستقاها من أعمال سايك وليهمان هاوبت

---

(١١٠) *F. W. König, Handbuch der Chaldischen Inschriften, I - II, Graz 1955 - 1957 .*

(١١١) راجع قسم العاديات الأورارتية بمتحف إستنبول للآثار ، وأنظر إلى بحث بوك حول هذه الآثار :

Bock H. G. Güter, Urartian Inscription In The Museum Of Van, JNES, XXII, 4 (1964), s. 268ff.

(١١٢) راجع الكتب والدراسات المتعلقة باللغتين الخورية والأورارتية التالية :

I. M. Diakonoff,, Hurrische und Urartäisch. - MSS, Beihelt 6, N.F. 1971.

G. A. Melikishvili, Urartskie Klinoobraznie Nadpisi, 2 - e, Izd. Moskwa 1960.

راجع كذلك أعمال بيوتروفسكي :

B. B. Piotrowsky, Wanskoye Tsarstwo, Moskwa 1957 .

B. B. Piotrowsky, Urartu : The Kingdom Of Van and Its Art, Translated By P. S. Gelling, London 1967.

وصُدر في هولندا عام ١٩٦٦م دراسة عن الفن الأورارتي من قبل فان لون :

Maurits N. Van Loon, Urarttian Art, Netherlands Historical - Archaeological Institute, Istanbul 1966 .

وغيرهما(١١٢) . وعلى كل حال ، فإن الألواح الأورارتية التي أكتشفت حديثاً جُمعت عام ١٩٧٣م وهي ٢٣ لوح مدون تخللت نصوصها بعض الخطوط المميزة كانت تتركب من مائة رمز لا تزال من الصعب حلها لحد اليوم ، وإذا كان العالم الجيورجي الآخر المدعو تسيريثيلي قد حاول من جانبه إيجاد علاقة بين الخورية والأورارتية ثم الإيبيرية والقفقاسية(١١٣) ، فإن كل من دياكونوف وستاروستين السوفياتيان حاولا بدون حق تأكيد تلك العلاقة مع لغات قفقاسيا الشرقية(١١٤) في وقت يجهلان تماماً علاقة الكوردية بالخورية–الأورارتية التي سنوضحها في الفصل الثاني من الباب الخامس من هذا الكتاب .

---

(١١٣) راجع بالروسية دراسة تسيريثيلي حول علاقة الأورارتية باللغات الإيبيرية – القفقاسية :
G. V. Tserethili, K. Woprosu Ob Otnoshenii Urartskogo Yazika K Iberiysko - Kawkazsko Sem'e Yazikow, Tezisy Dokladow, Moskwa 1953, Str. 23, 24.
سميت هذه اللغات أحياناً بالقفقاسية الشمالية نسبة إلى الغربية منها التي أعتبرت الكرتفالية فرعها الرئيسي وتشمل اللغات التالية :
أ) الشرقية ، كالدرگي – اللزگية التي تنقسم على ثلاث فروع يتكلم بها بعض سكان داغستان وآذربيجان . تشمل الدرگية لغة الدرگنوا بلهجاتها الخينالوجية . أما اللزگية فتشمل اللزگية الشرقية ولغة كل من منطقتي تبسران وآغول ، واللزگية الغربية هي الروتولية والكاخورية ، أما اللزگية الجنوبية فتشمل الشاهداغية والكريزية والبودوخية . وهناك لغة الأرجي والأودي (لغة الألبان أو الأغوان وهي ما تُعرف في المصادر العربية بالرانية .
ب) اللغة اللكية المستعملة في أواسط داغستان .
ت) لغة الآوار – الأندو – جيزي وهي تتفرع إلى عدة فروع .
ث) الناخية وفروعها .
وقد إعتبر كل من دياكونوف وستاروستين الخورية – الأورارتية كفرع خامس من هذه المجموعة كما يشتهيان . حول هذا الموضوع راجع كتابهما المشار إليه أعلاه .
(١١٤) *I. M. Diakonoff ; S. A. Starostin, Hurro - Urartian As An Eastern Caucasian Language, München 1986.*

المبحث السادس ـ مصادر البحث عن الكورد :

من المعروف أن الألفاظ الكلامية القائمة على أساس عقلاني تظهر عند الإنسان كتفسير لظواهر طبيعية أو إجتماعية محددة بدرجة رقي السلم المعرفي عنده ، وتكون هذه الألفاظ قابلة للتطور مع مرور الزمن شكلاً ومضموناً كما تختفي أحياناً أو تموت لأسباب شتى . والشعوب كظاهرة إجتماعية – إقتصادية – سياسية لم تتميز في التأريخ إلا بعدما تكاملت سماتها ، ثم إنشتهرت بأسماء غالباً ما كانت دون إرادتها الذاتية . فالكنية القومية بدأت تُعبّر أما عن إنتماء ديني أو طبقي أو عن إنحدار طوبوغرافي – جغرافي مُعيّن كانت تشوبها أحياناً أما مشاعر التفاخر أو الإستهزاء والتحقير . وبناءً على هذه الحقائق إشتهر الآشوريون والخلديون بأسماءِ معبوداتهم ، كما عُرِفَت شعوب المناطق السفلى من وادي الرافدين كالعموريين والكاشيين والكلدانيين كبابليين دون الإهتمام بنمط ألسنتهم ، بينما إدعى الملوك الإخمينيون والسكس أنهم من الآريين ، أي من النبلاء والأشراف(١١٥) . وقد سَجّل داريوس إسم المقاطعات الشرقية لإمبراطوريته بصيغة الـ(هِنْد) بدلاً من الـ(سِنْد) وذلك بناءً على تحوّل حرف السين إلى الهاء وبالعكس داخل أرومة اللغات الهندية الإيرانية ، فأصبحت إسم نهر يجري في تلك المقاطعات كُنْيَةً لمجموعة شعوب وحضارات معروفة . ولا غرابة من إشتهار الروس والصرب والبولونيين والتشيك عند الرومان بالسلاڤ (العبيد) وذلك لإنحدار أغلب العبيد في الإمبراطورية الرومانية من هذه الأجناس كما كانت الحالة عند السومريين الذين سموا عبيدهم بـ *Lu - Kur-ra* «أهل الجبال» بينما أطلقوا على بلادهم كنية *Su.bir* «البلاد العليا» مثلما أطلقت الشعوب الجرمانية على الفريزيين والفلامان كنية *Niederlander* «سكان الأراضي المنخفضة» . وبسبب عدم فهم اللغات الجرمانية عُرف جميعهم عند السلاڤ بالـ(*Nemtsi* «الخرسى») ، الكنية التي

---

(١١٥) راجع : *T. Burrow, The Sanskrit Language, London 1973, P. 1*

إشتقت العرب منها تسمية (النمسا) . ومنذ أواسط الألف الأول ق. م. تَعــرّف الآسيويون الغربيون على الهللنيين عن طريق الإيونيين الذين عاشوا في الجنوب الغربي من شبه جزيرة آسيا الصغرى دون أن يعرفوا شيئاً عن الآخيين والدوريين والتساليين الذين عاشوا في البلقان ، بينما إحتك الأوربيون بهؤلاء عن طريق قبائل الإغريق *Graioi* فإشتهر الجميع عندهم بـ *Graeci* المرادف لليونان(١١٦) . وقبل عصر السيادة الميدية كان ملوك آشور يصفون كل الأقوام البدوية بالـ(عربي *Ari-bi*) ، في حين أطلق الساسانيون على بدو آسيا الوسطى كنية الـ(توران)(١١٧) حيث ميّزوهم عن تلك البطون التي عُرفت عندهم بالـ(كورتان)(١١٨) ، بينما أطلقت الغُز الأتراك على قسم من قبائلهم كنية القرغيز «اللصوص» وهي لا تزال إسم من أسماء شعوبهم ، ونرى نفس الظاهرة عند الكورد عندما نرى يطلقون على شريحة من قبائلهم كنية ال(ژنگەنه «ذو اللون الداكن

---

(١١٦) كانت كنية (اليونان) صيغة الجمع لـ(إيون *Ione*) عند الإيرانيين على غرار العُربان والتوران والرومان والسريان والكورتان .

(١١٧) وجاء مفردها في الفهلوية بصيغة (تور ـ يك) أي التركي .

(١١٨) وجاء مفردها في الفهلوية بصيغة (كورد ـ يك) أي الكوردي . وبدون تمييز المفهوم البدوي عن المفهوم القومي لهذه الكنية ، أشار الأستاذ عباس العزاوي إلى أن الكورد «أما أنهم بدو الفرس وأن الفرس القسم المتحضر منهم أو أنهم أمة برأسها ولا تزال في البداوة إلى ظهور الإسلام ، فهذا موضع الأخذ والرد بين الكتاب والمؤرخين» . راجع : عباس العزاوي ، تأريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم ، بغداد ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥م ، ص ٥ . يظهر أن العزاوي أنه إنطلق في تفسيره من خلال النهج الذي يدرس التأريخ عن طريق تفسير الكنية الطبقية . وعلى هذا الأساس فإننا نخطئ فيما لو إعتبرنا القبائل الميدية التي إلتقى بها ملوك آشور في جبال بكني (البرز حالياً) عرباً ، في حين يمكن إعتبار القبائل التي إلتقى بهم تغلات بلاصر (٧٤٤ – ٧٢٧ ق. م.) في سوريا بهذه الكنية عرباً حيث قهرهم سرجون الثاني (٧٢١ – ٧٠٥ ق. م.) في معركة طاحنة وكان من بينهم رجال قبيلة ثمود حيث سجل أخبارها كما يلي :

كالصدأ») المتحولة في الفارسية إلى الـ(زَنگەنه) وفي التركية إلى (چەنگەنه) أي (الغجر) ، ثم وصلت هذه الكلمة الكوردية إلى أوربا فصارت في الروسية بصيغة (تسيگان) وفي الألمانية *Zigeun* . وعلى هذا الأساس لا غرابة من إطلاق الأوربيين كنية جێپونگ أو نيپونگ على اليابان بعدما سمعها ماركو بولو من الصينيين بصيغة *Yipin* ، في حين سجلوا إسم الصين المعروف محلياً بـ(تون كوا *Tun Cua*) بصيغة *China* . ومن جهتهم يطلق الصينيون على روسيا كنية (إيسلاند) وعلى فرنسا (فاكوا) وإنجلترا (إينگوا) وعلى أمريكا (مَيْ كوا) وهلم جراً .

وهكذا ، فالتسميات والإصطلاحات التي ألصقت بالشعوب في التأريخ لم تكن تُعبّر غالباً عن مفهوم واقعي مثل آشور وخَلدي ، وكانت الكنية القومية تظهر بعد تكامل مقومات الوحدة بين مجموعات أثنية متجانسة ، وفي خارج هذا المفهوم تُعتبر الكنية إصطلاحاً غير قومياً نفهم منها الإنتماء الديني أو الطبقي أو الجغرافي . فالإصطلاح الجغرافي كَرْدا *Kar-da* الوارد ذكره في سجل شوسين (٢٠٣٦ – ٢٠٢٨ ق. م.) رابع

«بناءً على نبوة صادقة من إلهي آشور ، سِرْتُ وقهّرتُ قبائل ثمود وإباديدي ومارسيمانو وحايا الآريبي (العربية) الذين يعيشون بعيداً في الصحراء لا يعرفون البحار ولا يدفعون الجزية لأي ملك ، لقد أبعدت من بقى منهم حياً وأسكنتهم في السامرة» . راجع الترجمة الإنجليزية للنص الآشوري من قبل أوبنهايم :

Leo Oppenheim, Babylonian and Assyrian Historical Texts (In : Pritchard's Ancient Near Eastern Texts, Princeton 1969, P. 286 .

(١١٩) كان النص كما يلي «إيرننا حاكم سكان منطقة سو وأراضي منطقة كَردا» ، حول ذلك راجع :

Reportoire Geographique Des Textes Coneiformes, Band 2, Wiesbaden 1974, s. 91-92; The. Dangin, Notice Sur La Trois Eme Collection De Tablettes. RA, 3, 1902, P. 101 .

وراجع د. جمال رشيد أحمد ، د. فوزي رشيد ، تأريخ الكرد القديم ، أربيل ١٩٩٠م ، ص ٤٠ .

ملوك سلالة أور الثالثة(١١٩) جاء كإسم مقاطعة لم يُعبّر عن مفهوم أثني بتاتاً ، ومع ذلك فقد ربطه درايفر *G. R. Driver* بعدد من المصطلحات التأريخية مثل كَردَاكيس *Kardakes* (أصحاب القوافل عند الإيرانيين) كما جاء ذكرهم عند هيرودوت وكَرْدوخيا *Karduchia* التي سجلها كسينوفون في أناباسيسه و گوّردوئيني *Gorduene* المذكورة في جغرافية سترابو(١٢٠) . وبجانب نجاح درايفر في تحديد موقع كَرْدا قرب مناطق السوئيين بجنوب بحيرة وان ، فإنه جعل بصواب من كنية قورتي *Qur-ti-e* الواردة في سجل من سجلات الملك الآشوري تيغلات بلاصر جذراً لكنية الكورد القومية ، لكنه ربطها خطأً بمختلف الصيغ الواردة في الوثائق اليونانية والرومانية عابراً من خلالها نحو المصطلحات الأرمنية مثل *Gortai-kh, Gortu-kh* من دون أن يميز المسميات الجغرافية عن القومية(١٢١) . وفي الواقع ، فإن إقليم الجزيرة الواقع في شمال شرق سوريا إشتهر منذ فجر التأريخ بمستوطناتها الزراعية سُجلت أخبارها في الألواح الحثية والبابلية القديمة ، وكان من أشهرها مستوطن نيلابشينو *Nilabšinu* (ويمكن قراءتها ليلابسينوم)(١٢٢) المعروف الآن بتل براك ، وكان طوبوغرافياً في إتصال مباشر مع كل من

---

(١٢٠) تجد تفاصيل هذه المحاولة في :

G. R. Driver, The Dispersion Of The Kurd In Ancient Times, JRAS, 1921, Part I, P. 563 .

(١٢١) راجع :

G. R. Driver, The Name Kurd and Its Philological Connexion, JRAS, 1923, PP. 393 - 403 .

(١٢٢) راجع عن هذا الإسم الوارد ضمن النصوص الحثية في مقال كوتز المنشور في مجلة دراسات الشرق الأوسط الأمريكية الصادرة بشيكاغو : *A. Goetze, JNES, 5 (1946) 167 Anm. 22*

وراجع أخبار نفس المنطقة في السجلات البابلية القديمة عند :

K. Kessler, Untersuchungen Zur Historischen TopographieNordmesopotamiens (1980), s. 89 .

مملكة أوركيش الحورية(١٢٣) التي نشأت في وادي نهر الخابور(١٢٤) ومقاطعة أشناككوم (شهربازار) وكحات (تل باري) ، وكلها كانت تحيط ببلاد عرفت في هذه الألواح بـ mat Kurda ki «بلاد أرض الكورد» التي شملت الأراضي الواقعة على نهر الخابور بشمال الحسكة ووادي عاموده وتل أسود التي تُعرف اليوم بإسم جغجغه(١٢٥) . وعلى هذا الأساس ، فإن الصيغة الطوبوغرافية (كوردا *Kurda*) تُعتبر بإعتقادنا أقدم وأقرب الأشكال التأريخية إلى صيغة الكنية القومية للأمة الكوردية المعاصرة . ومع وجود إختلاف ظاهر بين كوردا (منطقة جغجغة) و كَرْدا أو قَرْدى (مقاطعة الجزيرة) ، إلا أنهما يعتبران إصطلاحين قديمين جداً جاء ذكرهما معاً في الألواح المسمارية ثم تعرّف بهما كُتاب الإغريق والرومان في وقت لاحق(١٢٦) . أما في المدونات الآرامية فقد أستعمل الإصطلاح الأول بمفهوم أثني والثاني بمفهوم طوبوغرافي كان يتقدم عليه أحياناً كلمة بيث *Beth* «بَيْت أو المستوطن» المشتقة من الصيغة بيت *Bit* الآشورية وأستعمل بدلاً من كلمة *mat* السومرية ، وبناءً عليه فقد سجله الآراميون كـ(بيث قردو *Bêth Qardu*) ، ولأسباب

---

(١٢٣) أنظر إلى تفاصيل هذا الموضوع في مقال كيسلر المنشور بمجلة الدراسات المكينية والإيجو الأنضولية :

Kessler Von Karlheinz, Nilabšinu und Der Altorientalische Name Des Tel Brak. Stud Micenei Ed Egeo - Anatolici. Rome 1984, PP. 21 - 29 .

(١٢٤) إستقى كيسلر هذه المعلومات عن لوريتس *Loretz, AOAT 3/1, 69* .

(١٢٥) وقد سُجل كنية هذه البلاد بصيغة *mat Kurda ki* حسبما قرأها كل من :

B. Groneberg, RGTC 3 (1980) 145 / 6 (aB) .
H. Kühne, Ba M II (1980) 58 .
Kh. Nashef, RGTC 5 (1982) 173 .

(١٢٦) حول تفاصيل هذا الموضوع راجع بحثنا المنشور بعنوان (الكردوخيون) في مجلة المجمع العلمي العراقي (الهيئة الكوردية) ، المجلد ١٠ ، بغداد ١٩٨٣م .

لغوية سجله البلدانيون المسلمون بصيغة (بقـردى أو قـردى)[١٢٧] . وعلـى هـذا الأسـاس ميّـز أبو الفرج الملطي المعروف بإبن العبري (١٢٢٦م – ١٢٨٦م) الكنية القومية للكـورد *Qurd-an-aye* عن المنطقـة الجغرافيـة *Qarda-waye* (قـردى بجزيـرة إبـن عمـر)[١٢٨] . وبالتأكيد لا توجد أي علاقة بين هذين الإصطلاحين وكلمـة كـاراداكيس *Karadakes* الإيرانية التي جاءت بلسان هيرودوت معبرة عن قـوات غـير نظاميـة شـاركت في حـروب الملك الإخميني داريوس بن هستاسبس ، لأن كارداكيس مركبة في الواقع من مقطع إيرانـي (كارا *Kara*) بمعنى «العمل ، الخدمة» مع علامة المعرفة *ak*- ولاحقة يونانية (يس *es* -)، ومن دون هذه اللاحقة إستعمل الإيرانيون هذه الكلمة بصيغة *Karad-ak* وتعني «مسؤول عن خدمات القافلة » ومنها جاءت كلمة *Kara - van* «القافلة» . وكان الناس في الهنـد يستعملون بالسنسـكريتية كاللاتينيـة ثـلاث صيـغ لهـذه الكلمـة العامـة وهـي ،- *Karya* *Karaniya - Kartavya,* التي تعني بالإنجليزية *to be done* ، بينما ظل جذر هذه الصيـغ بشكل *Kar* كما نسمعها في الكوردية لحقته أحيانـاً اللاحقـة *tva* [١٢٩] . أمـا في اللغـات الأوربية الحديثة فإن كل من *Kar* الألمانية و *Car* الإنجليزية يُعبّران عن مفهوم العربة الـتي تجرها الخيول أو السيارة الحديثة التي تعمل بالوقود .

بناءً على الحقائق الواردة أعلاه ، فإن كلمة كاراداك ظهرت في التأريخ بعـد وصـول القبائل الميدية والإخمينية إلى إيران في النصف الأول من الألف الأول ق. م. ، بينما سُجِلّ إصطلاحي كوردا وقردى في نصوص ترجـع إلى نهايـة الألـف الثـالث ق. م. وعلـى هـذا

---

(١٢٧) راجع مثلاً مادة (قردى) في معجم البلـدان لياقوت الحموي .

(١٢٨) راجع الصفحات ١٣١ ، ١٣٩ من مدونات إبن العبري :

The Chronography Gregory Abu'l Faraj Bar Hebraeus, Being The First Part Of His Political History Of The World. Ed. By Ernest A. Wallis Budge, Vol. I, Oxford University Press, 1932, P. 131, 139 .

(١٢٩) ظهرت صيغة *Karya* في الريكفيدا فقط . حول هذا الموضوع راجع :

T. Burrow, The Sanskrit Language, London 1978, P. 371, 372 .

الأساس يجب أن يُترك قضية ربط هذه الكلمة بكنية الكورد القومية .

لم يشر الإخمينيون ضمن مقاطعاتهم الإدارية (ساترباتهم) إلى كل من كوردا وقردى لأنهم إعتبروهما من ضمن ساتراب عام سموها أرمينا (أرمينية) كما يتوضح ذلك في كتابات داريوس على جبل بهستون(١٣٠) . وإذا كانت صيغة الـ(كورت ـ ي) الآشورية قد ظهرت في الوثائق الساسانية بصيغة (كورت وجمعها كورتان) ، فلابد وأن الإخمينيين والفرث قد إستعملوها بهذه الصيغة(١٣١) ، لأن كُتاب ومؤرخوا اليونان والرومان سجلوها من بعدهم مباشرة بنفس الصيغة *Κυρτιοι* و *Cyrtii* ، في حين سموا بلادهم *Cord - uene* التي تمركزت في آميد (ديار بكر)(١٣٢) . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نشير إلى أن هذه الكنية نابعة من صميم واقع الموطن الكوردي .

---

(١٣٠) راجع الترجمة الإنجليزية للمقطع السادس لنصوص داريوس ضمن مقال الميجر راولينصون المنشور في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية *JRAS, Vol. X, L, MDCCC* .

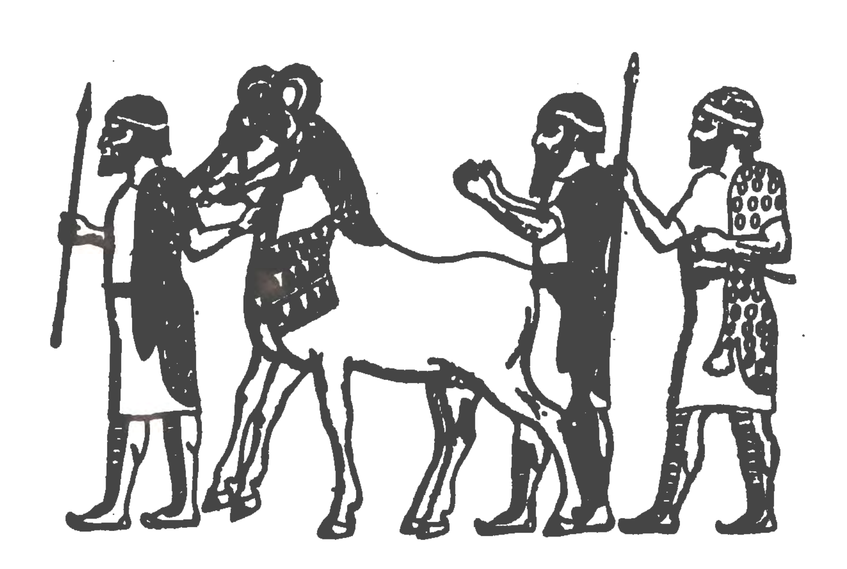
(١٣١) لا تزال هذه الصيغة مستعملة من قبل الأرمن ويلفظها الأتراك بصيغة (كيورت *Kürt*) ، حول وجود هذه الصيغة في الوثائق الساسانية راجع دراسات سنجانا لكتاب سيرة أردشير بابكان :
Darab Dastur Pesotan Sanjana (ed.)., The Karname i Artakshir i Papakan, Bombay 1895, P. 22 .
وهناك ترجمة ألمانية لهذا الكتاب أنجزت من قبل ثيودور نولدكه ، وحول الموضوع ذاته فيه راجع :
Th. Nöldeke, Geschichte Des Artachsir i Papakan, Gottingen 1879, P. 48 .
وقام محمد جواد مشكور أستاذ جامعة تبريز عام ١٩٥٠م بترجمة هذا الكتاب إلى الفارسية حيث نرى أخبار الكورد في هذه الترجمة على الصفحات ١٩ – ٢١ . راجع : كارنامهء أردشير بابكان ، به اهتمام محمد جواد مشكور ، تهران ١٣٢٩ خورشيدي .

(١٣٢) لاحظ *Cord* هنا مع اللاحقة الخلدية *uene* ذات الأصل الخوري ، وقد دونها بهذه الصيغة كذلك كل من بليني (*Plin. n. h. VI, 44*) وبلوتارخ (*Plut. Alex. 31, 4*) بينما سجلها أليكساندر بوليهستور بصيغة *Kord-u-ae* كما يُخبرنا بذلك أوزابيوس (*Euseb. Praep. IX, 11*) . ويشير كاسيوس ديون إلى أن كل من آريو بارزان الأول وأفرانيوس حكما من بعد مقتل الملك الكوردي زاربيون *Zarbionus* بيد تيكران الأرمني (*Cass. Dio. XXXVII, 15, 3*)

المبحث السابع ـ منابع اللغة الكوردية :

لم تفرض الأقوام الكوتية والكاسية والخورية التي إتخذت قديماً من كوردستان موطناً لها إرادتها اللغوية في صياغة الكوردية المعاصرة بقدر ما إشتركت في التكوين العرقي والحضاري للأمة الكوردية ، فجاءت تلك الإرادة من الهنود الآريين الذين إستوطنوا في هذه البلاد منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد . وبناءً على هذا الواقع التأريخي ، فإن صياغة مقومات القومية الكوردية تستند بدايةً على هاتين الحقيقتين . فإذا كان أساس العرق الزاكروسي أصيلاً في هذه البلاد منذ أن إنحدر أصحابه من مستوطنات العصر النيوليثي (العصر الحجري الحديث) ، فإن لهجة من اللهجات الهندية الآرية (المعروفة بالميتانية) سادت في المناطق التي تقع إلى شمال وادي الرافدين مع هجرة ناطقيها إليها خلال المراحل الأولى للعصر التأريخي وفرضت نفسها على لغات هؤلاء الزاكروسيين في وقت لاحق ، لكن الإمتزاج الحضاري بين هذين الصنفين من البشر أخذ مئات من السنين من عُمر سكان هذه المناطق . ورغم سيادة الميتانيين على سكان كركوك والجزيرة ووادي نهر الخابور وشمال حلب ، فقد ظلّ سكان كوردستان الشرقية والوسطى من المانيين والنائيريين والكَرْدوخيين بعيدين عن هذا التأثير ومحافظين على تقاليدهم اللغوية الزاكروسية لحد فترة الهجرات الميدية والإسكيثية نحو مناطق سكناهم في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد . لقد كان المانيون حتى نهاية العصر السرجوني في آشور قوة سياسية لا يُستهان بها ، ورغم إكتشاف بعض الرموز لكتابتهم فإنها لا تساعدنا في التعرف على لغتهم ، أما أعمالهم الفنية فكانت تضاهي الأعمال الآشورية والبابلية وتُعبر عن المستوى الحضاري الرفيع لمجتمعاتهم الأرستقراطية . ولم تكن بلاد نائيري أقل شأناً من مانا بنظر الآشوريين الذين كانوا ، على خلاف المانيين ، في صراع دائمي مع ممالكها الصغيرة . أما الكردوخيين ، فقد شكلوا في هذه الفترة جانباً من المجتمع الأورارتي .

بالرغم من أن هيرودوت تطرق إلى مقاطعة *Pakhtuikh* (بوهتان ـــ كوردستان



هجـرة الميـديين في العصـر السرجـوني

نحو بـلاد مـاننـا

نموذج من الكتابة المانية على صحن ذهبي

يعود إلى بداية الألف الأول ق . م .

أكتشف في موقع زيويه

بكوردستان الشرقية

الشمالية) و *Matiene* (غربي بحيرة أورميه ـــ وسط كوردستان) ، لكنه لم يكن يملك معلومات كافية عن المانيين والنائيريين الذين ساد عليهم الميديون والإسكيث بكوردستان الشرقية في عشية سقوط نينوى عام ٦١٢ ق. م.(١٣٣) ، وهذا ما يقال لكتاب اليونان والرومان الآخرين حيث سَجّل كسينوفون (٤٣٥ – ٣٥٤ ق. م.) وبطليموس (٣٠٥ – ٢٨٣ ق. م.) وديودورس (٩٠ – ٢١ ق. م.) وبلينيوس (٢٣م – ٧٩م) وغيرهم(١٣٤) على الأغلب أخبار الكردوخيين *Καρδουχοι* الذين إحتكوا بهم مباشرة في الجهة الشرقية من نهر دجلة وجنوب نهر بوهتان من دون التطرق إلى لغتهم واصفين الطابع الجبلي لبلادهم *τα Καρδουχεια ορε* .

وعلى كل حال ، فمن خلال ألقاب ملوكماننا وأسماء مدنهم الواردة في سجلات ملوك آشور نستطيع الإقرار على زاگروسية اللغة المانية ، بينما تتوضح من خلال سجلات

---

(١٣٣) كانت مقاطعة *Pakhtuikh* تدخل ضمن الساتراب الثالث عشر للإمبراطورية الإخمينية ثم أعتبرت جزءاً من ساتراب أرمينا (أرمينية) . وعلى رأي ثيودور نولدكه فإنهما تتطابق مع منطقة بوطان (بهتان) الحالية التي سُجلت أحياناً بصيغة *Pakhtu* أو *Pakht* ، حول ذلك راجع :
Th. Nöldeke, Grammatik der Neusyrischen Sprache Am Urmia-See und Kurdistan, Leipzig 1868, s. XVIII .

(١٣٤) كان كسينوفون إبن جريلوس مؤرخاً إغريقياً وكاتباً فلسفياً ومن أتباع سقراط إنحدر من وسط أرستقراطي أثيني . إنضم إلى كورش الصغير في حملته على أخيه أردشير بن داريوس الإخميني وقد قتل الأول في معركة على نهر الفرات عرفت بكوناكسا (قنقسة) وأنتخب كسينوفون لقيادة العساكر المرتزقة اليونانية لكي يقودهم إلى بلادهم وعبروا كوردستان وأرمينية عام ٤٠١ ق. م.

أما بطليموس فهو سوتير بن لاغوس مؤسس سلالة البطالسة في مصر وأحد قادة أليكساندر المقدوني . وديودورس هو مؤرخ يوناني لكنه عاش في روما وزار البلاد الشرقية ثم ألف كتاباً أسماه (المكتبة التأريخية *Bibliotheke Istorike*) ، في حين كان بلينيوس من علماء الطبيعة الرومان وإشتهر بمؤلفه *Naturalis Historia* .

كل من الملكين الآشوريين عدد نيراري (٩١٢ - ٨٩١ ق. م.) وإبنه توكولتي نينورتا (٨٩١ - ٨٨٤ ق. م.) اللذان دخلا في عدة حروب مع النائيريين على أن هؤلاء كانوا يتكلمون بلهجة من اللهجات الخلدية (الأورارتية) ، ويُدَعّم هذه الحقيقة لوح الملك الأورارتي سَردور الأول (حوالي ٨٣٢ - ٨٢٥ ق. م.) الذي يشير فيه إلى أنه «الملك العظيم ، الملك القوي ، ملك العالم ، ملك بلاد نائيري الذي لا مثيل له ... إلخ»(١٣٥) . وعلى هذا الأساس ، فإن لغةً بمعنى الكوردية ، فيما لو إستثنينا الميتانية في خانيگلبات (الجزيرة وطور عابدين) وبعض أسماء زعماء المناطق الواقعة على نهر الزاب الصغير ، لم تكن تسود في شرق ووسط كوردستان في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد ، إلا أن ما جرت من أحداث في هذه المناطق منذ سقوط مملكتي ماننا وأورارتو أدت إلى ظهور لهجات الميديين والإسكيث والكيميريين على حساب اللغات الزاگروسية(١٣٦) وإنتشرت بين المانيين والنائيريين تدريجياً لهجات هؤلاء الذين يُعتبرون أنسباء الميتانيين سادت لغتهم الهندية الآرية في الأوساط الحورية بشمال وادي الرافدين قبلهم بعشرات من القرون .

---

(١٣٥) عن هذا اللوح أنظر إلى المرجع التالي :

Fischer Weltgeschichte, 4, Die Altorientaleschen Reiche, III, Die Erste Halfte Des ! Jahrtausends.

(١٣٦) عن هذه التحولات راجع بالكوردية بحثنا الموسوم بعنوان :

«التحولات التأريخية الكبرى في الألف الثاني قبل الميلاد في آسيا الصغرى وشمال وادي الرافدين» ، مجلة « رۆشنبیری نوێ » ، العدد ٨ ، ١٠ ، بغداد ١٩٨٥م . وعن الموضوع ذاته راجع الفصل الثاني من الباب الثاني لكتابنا المنهجي «تأريخ الكورد القديم» المطبوع بدار الحكمة في أربيل ١٩٩٠م .

لقد درس البعض اللهجات الشرقية للغة الإسكيثية وإعتبروا (الختنية) إحداها ، راجع البحوث التالية :

R. E. Emmerick, Saka Grammatical Studies, London 1968 .
R. E. Emmerick, Saka Documents, 5, London 1971 (Corpus Inscriptionum Iranicarum, P. 2, Inscriptions Of The Seleucid and Parthian Period ...) .



محاربان ميديان يصارعان اثنين من السكيث



فارسان من قبائل الساكا ((السكيث))

وأثناء صياغة الكوردية في إطار هندي – إيراني خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد تأثرت لهجاتها بالآفستية ، اللغة المقدسة للديانة الزرادشتية التي آمن بها ملوك الدولة الإخمينية كما سادت من بعدهم اللهجات الإسكثية أثناء الحكم الفرثي(١٣٧) . فكل هذه اللغات ذات الأصول المشتركة قضت تدريجياً على اللغات الزاگروسية ومنها العيلامية التي كانت منتشرة في جنوب مرتفعات جبال زاگروس محددة سمات اللغة الكوردية في إطار الهندية – الإيرانية بعد أن أصبحت البهلوية بعد سقوط الإمبراطورية الساسانية في القرن السابع الميلادي إحدى لهجاتها الجنوبية(١٣٨) .

R. E. Emerick, Skjaervo P. O., Studie In The Vocabulary Of Khotanese 1, Wien 1982 .

(١٣٧) عن إمتداد السيادة الفرثية على شمال وادي الرافدين وكوردستان راجع الدراسات التي نشرناها في مجلة رۆشنبيرى نوىَ الكوردية ، الأعداد ١٠٣ – ١٠٨ ، بغداد ١٩٨٣م – ١٩٨٥م ، راجع كذلك كتابنا الموسوم بعنوان لێکۆلینەوەیەکي زمانەواني دەربارەي مێژووى وولاتي كوردەوارى «دراسة لغوية حول تأريخ المناطق الكوردية» ، بغداد ١٩٨٨م ، وأنظر إلى البحث الخاص الذي نشرناه بالعربية في العدد ١٠ من مجلة كاروان ، أربيل ١٩٨٣م .

وحول بعض الوثائق الفرثية المكتشفة في دور أوروبوس الواقعة على نهر الفرات فراجع :

J. Harmatta, The Parthian Parchment From Dura - Europos - AAH, 6, 1958, PP. 87 - 175 .

وهناك دراسات أخرى عن هذه الوثائق نشرها كل من :

R. N. Frye, The Parthian and Middle Persian Inscriptions Of Dura - Europos, London 1968 .

B. Geiger, The Middle Iranian Texts. 1956 ; C. H. Kraeling, The Excavations at Dura - Europos, Final Report, Pt. 1. The Synagogue, New Haven, 1956, PP. 283 - 317 .

(١٣٨) بالإضافة إلى هذه الكنية ، فقد إشتهرت هذه اللغة بالزندية نسبة إلى ترجمة نصوص آفيستا

وبناءاً على ما ذكرنا ، فإن المصادر المتعلقة باللغات الزاگروسية (وبالأخص الخورية - الأورارتية) ثم الهندية - الآرية (السنسكريتية - الميتانية) والهندية - الإيرانية (الميدية - الآفستية) يمكن أن توضح لنا الخلفية التأريخية للغة الكوردية المعاصرة وتطور مفرداتها سواءً

إلى البهلوية الساسانية . عن هذه الحقيقة راجع :

Chr. Bartholomae, Awestasprache und Altpersisch . -GiPh. B. 1, Abt. 1, 1910, s. 152 - 248 .

Chr. Bartholomae, Die Gotha's des Awesta, Zarathushtra's Verspredigten, Strassburg, 1905 .

J. Darmesteter, Le Zend - Avesta, Traduction nouvelle avec Commentaire historiqe et philologique, Vol. 1 - 3, 1892 - 1893 .

W. Geiger, Handbuch Der Avesta Sprache. Grammatik Chrestomathie und Glossar, Erlangen, 1879 .

وقد قام جاكسون في نهاية القرن التاسع عشر بدراسة الآفستية ومقارنتها بالسنسكريتية :

A. V. W. Jackson, An Avestan Grammar in Comparision with Sanscrit. Stuttgart, 1892 .

ثم وضع ثبتاً للدراسات الآفستية والبهلوية خلال النصف الأول من القرن العشرين بدانمارك :

Codices Avestici et Pahlavici Bibliothecae Universitatis Hafniensis, Vol. 1 - 12, Copenhagen, 1931 - 1944 .

كما أن هناك دراسة للأناشيد البهلوية قام بها هيننگ :

W. B. Henning, A Pahlavi Poem. - BSOAS, Vol. 13, 1950, PP. 641 - 648 .

وتُعتبر دراسة سوكولوف من أحدث الدراسات عن الآفستية :

S. N. Sokolov, The Avestan Language, Mpscow 1967 .

وعن مفردات هذه اللغة راجع :

B. Schlerath, Awesta - Wörterbuch, Vorabeiten, 1 - 2. Eiesbaden, 1968 .

وعن تأثيرات اللغة العيلامية على اللغات الإيرانية فراجع :

I. Gershevitch, Iranian Nouns and Names in Elamite Garb. - TPhS. 1969 (1970), PP. 165 - 200 .

ما أكتشفت منها داخل الوطن الكوردي ككتابات ملوك خوريين مثل تيش أتـل (٢٠٤٥ – ٢٠٣٧ ق. م.)(١٣٩) أو خَلْديين مثل سَرْدوري وإشبويني وإبنـه مينـوا وميتـانيين مثـل شاوشتتار(١٤٠) أو نصوص گاثات آفيستا وكتابات داريوس على جبـال بهسـتون (قـرب كرمنشاه)(١٤١) أو وثائق هورامان التي تعود إلى العصر الفرثي ونصب بايكولي من العصـر

---

(١٣٩) راجع بالروسية الصفحـة ٤٤٣ مـن كتـاب ديـاكونوف الموسـوم بعنـوان «اللغـات القديمة للشرق الأدنى» :

И. М. Дъяконов, Язык Древны и Передней Азии, Москваб 1961

(١٤٠) عن ختم ونص كنية هذا الملك ، راجع كتاب مانفريد مايرهوفر :

M. Mayrhofer. Die Indo - Arier im Alten Vorderasien, Wiesbaden 1966 .

(١٤١) زرنا عام ١٩٧٤م موقع هذه الكتابات على جبل بهستون الواقع على الطريق العـام المـؤدي من كرمنشاه إلى همدان ورأينا أنها مدونة على إرتفاع ١٣٠ متر من مستوى ينبوع ماءٍ يتدفـق مـن تحت الجبل تتعلق قصته بعشق شـيرين وفرهـاد كمـا أبلغنـا سـائق سيارتنا . دُونـت اللوحـة بخطـوط مسمارية وبلغات إخمينية – عيلامية – بابلية ونُظمت ٤٠٠ سطر ضمن خمسة حقـول ، ويظهـر أن تسمية بهستون مشتقة من باگستان (موطن الآلهة) القديمة ، وقد إكتشف العـالم جـورج فريدريـك غروتفيند *Georg Friedrich Grotefend* الألماني عام ١٨٠٢م إتجاه هذه الكتابة ، ثم يدين علم الدراسات المسمارية إلى العلامة نيبور في فك بعض رموزها ولاحظ نيكسـون مـن جامعـة روسـتوك بألمانيا من بعده أن إشارة مدببة الرأس تتكرر في النصـوص فإستنتج أنهـا لغـرض فصـل الكلمـات ، وأخـيراً بـدأ هـنري راوليتصـون عـام ١٨٣٥م بحـل رمـوز هـذا الخـط بـدءاً بقـراءة الألقـاب الملكيـة (هيستاسبس وداريوس وكسيركس) ، وتابع نوريس *Nurris* قراءة العمود الثاني المدون بالعيلاميـة ، ثم قدمت الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية عام ١٨٥٧م ما إستنسخها راولينصون مـن نصـوص إلى كل من المستشرق *Julins Oppert* أستاذ جامعـة سـوربون والمستشـرق *Fox Talbot* والأسـتاذ الإيرلندي *Hincks* ، فكانت النتيجة التي توصلوا إليها متشابهة مع بعضهـا البعـض . حـول تفـاصيل هذا الموضوع راجع الدراسات التالية :

שנת ווון ירחא ארותת פרבנו פתזבך ברי תורין
״..ו זכי כרמא אבנק מה אבי יתן פלג זאת
רוכנו אזל ברי בסנך וד אזה כלא מן ווו ///ו
מה מן בסמחור ש.. ח . הפו ; ולא קדשתה
שהדין הידך ברי אגן ... ברי ישו ארשתה
ברי אבנו פרמגד ברי סתרפרי כנך ברי מגתבג
... כרמא אבנק כרמא רת. אזל מן
פתזבך כלא מן ווו ////ו

صورة لنص من نصوص وثائق هورامان

كتبت بالخط الآرامي

القرن الأول ق . م .

الساساني الذي دَوّن الملك نرسي عليه أخباره بالبهلوية الفرثية والساسانية(١٤٢) إضافة إلى كُتب ومخطوطاتٍ مثل الكارنامگ والخداينامگ وأرداڤيرافنامگ وپندنامگ ومينوكي خرد ودينكرد وبوندهشن(١٤٣) أو ما شوهدت في خارج هذا الوطن مثل رسائل الملك الميتاني توشراتتا المكتشفة في تل العمارنه بمصر أو كتابات السائس كيكولي التي شوهدت بين مخلفات مدينة حتوشَشا عاصمة الحثيين وما ظلت من المفردات الميدية في الكتابات الإخمينية .

L. W. King; R. C. Thompson, The Sculptures and Inscriptions Of Darius The Great On The Rock Of Behistun In Persia, London 1907 .
G. Cameron, The Old Persian Text Of The Bisitun Inscription, - JCS. Vol. 5, No 2, 1951, P. 47 - 54 .
G. Cameron, The Monument Of King Darius at Bisitun.- Archaelogy. Vol. 13, No 13, 1960, PP. 162 - 171 .

(١٤٢) درس أرنست هرتسفيلد نصوص هذا النصب بشكل كامل ، راجع آرائه مع آراء كل من هومباخ وسكيارفو في المراجع التالية :

E. Herzfeld, Paikuli, Monument and Inscription Of the Early History Of The Sasanian Empire, Bd 1 -2 , 1924 .
H. Hambach; P. S. Skjaervo, The Sasanian Inscription Of Paikuli, P. 1 - 2. Wiesbaden, 1978 - 1980 .

(١٤٣) وقبل أن ينصهر البهليون (الفيليون) في إطار القومية الكوردية ، كان مؤسس الدولة الساسانية أردشير بابكان ينتمي بنظر الإيرانيين إلى بطن من بطون قبائل شبانكاره الكوردية ، حول ذلك راجع :

رشيد ياسمي ، كرد وپيوستگى نژادى وتاريخى او ؛ تهران ١٣١٩ (١٩٤٠م - ١٩٤١م) ؛ ص ١٦٩ .

وعلى كـل حـال ، فـإن للصـرف والنحـو (المورفولوجيـا والسـنتاكس) علاقـة قويـة بصورة عامة مع نمط التفكير عند الشعوب ، وتُعكس صياغـة الكـلام علـى هـذا الأسـاس الإطار الفلسفي لذهنية الإنسان حيث تغدو اللغة وسيطاً تبدو فيه درجة رقـي الوعـي عنـد المجتمعات التي تسـتطيع أن تُعـبر عـن ثقافـة معينـة . وبنـاءاً علـى هـذا الواقـع ، تتمـيز لغـة المزارعين والتُـجـار وأهل المدن عن لغة البدو ، وهذه اللغات لا تبقى ساكنة ، وإنما تتطـور بتطور مظاهر الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية للمجتمع ، ومن خـلال تبـاين نمـط الحياة الإقتصادية وظهور ظروف جديدة لكل مجتمع كانت شرائحه تتبنى لهجاتها الخاصة، وهذه الظاهرة إنطبقت على اللغة الكوردية في مسيرتها التأريخية بطبيعة الحـال . وكمـا أن فن الكتابة بدأ في المدينة إثر تقدم العلاقات الإنتاجية وتطور البناء الإقتصادي فيهـا(١٤٤) ، فإن لغة هذه الكتابة كانت في البداية لهجة تُعبر عن وعـي الحكـام وكهنـة المعـابد (الطبقـة الأرستقراطية في المجتمع المدني) . فنصوص زند آفيستا التي دونها الكاهن تَنْسَر بأمر من

---

(١٤٤) يشير الأستاذ صموئيل نوح كرامـر ، المختص في الشؤون السومرية ، إلى أن الكتابة نشأت لأول مرة بيـد السومريين في نهاية الألف الرابع قبـل الميـلاد . حـول هـذا الموضـوع راجـع كتابـه الشهير :

S. N. Kramer, History Begins At Sumer, London 1961, P. 19 .

(١٤٥) كان دارمستتر هو أول من درس أعمال تنسر بشكل جدي في القرن التاسع عشر الميلادي :

J. Darmesteter, Lettre de Tansar Su roi de Tabaristan, JA. 1894, PP. 185 - 250, 502 - 555 .

راجع أحدث دراسة لأعمال تنسر في :

M. Boys, The Letter Of Tanser, Roma 1968 .

أردشير بن بابكان(١٤٥) ، على سبيل المثال ، كانت بالپهلوية(١٤٦) ، لغة أهل شهرستانان («لغة المدائن») التي غدت مقدسة ، أما لهجات الكورتان فكانت تختلف قليلاً عن تلك اللغة(١٤٧) . لذلك من البديهي أن تُبقي لغة التدوين الپهلوية (الفيلية) من غير لهجات

---

(١٤٦) پهلويك *Pahlavic* كلمة إيرانية مشتقة من پهلو *Pahlav* «المدينة» . وعلى هذا الأساس إعتبرها إبن المقفع لغة أهل مدن الري وأصفهان وهمدان ونهاوند وآذربيجان وظلت هذه الكلمة في الكوردية بصيغة پالو التي تُشتق منها كلمة پهلوان «المدني أو المثقف *Gentleman*» وقد إستعارتها العرب بمفهوم «الرياضي أو المتمرس في الأشغال الشاقة» . حول تفاصيل هذا الموضوع راجع كل من :

H. S. Nyberg, A manual Of Pahlavi, Wiesbaden 1964 - 1977, P. 1 - 2 .
J. C. Tavadia, A rhymed ballad in Pahlavi. - JRAS, 1955 .
E. W. West, Pahlavi Literature. - GiPh. Bd. 2, Strassburg, 1896 - 1904 .

وهناك قواميس عديدة حول اللغة الپهلوية ومنها :

دكتر بهرام فرەوشي ، فرهنگ پهلوى ، إنتشارات بنياد فرهنگ ايران ٢٦ ، گنجه فاروس .

محمد جواد مشكور ، فرهنگ هزوارشهاي پهلوى .

D. N. A. Mackenzie, Concise Pahlavi Dictionary, London 1971 .

(١٤٧) نعني بكنية الكورتان بدو الكورد ومفردها كورتيك . حول هذه الحقيقة راجع بالفارسية : فرهنگ پهلوى ، تاليف دكتر بهرام فرەوشي ، تهران ١٣٤٦ . وقد أطلق الإيرانيون هذه الكنية كذلك على البدو من غير الكورد على حد قول حمزة الأصفهاني (٣٥٠ هـ / ٩٦١م) ، فمثلما سموا الديلم أكراد طبرستان أطلقوا على بدو العرب كنية أكراد سورستان . وعلى هذا المفهوم أشار إبن الأثير إلى أن عبد الله بن عمر قال «أن الذي أشار بتحريق النبي إبراهيم كان رجل من أعراب فارس قيل وهل للفرس أعراب قال نعم الأكراد هم أعرابهم ... إلخ» . راجع الكامل في التأريخ ، الجزء الأول ، طبعة ليدن ١٨٦٦م ، ص ٧٠ . وهذا الكلام مستقاة من الطبري الذي يقول «حدثني محمد بن إسحق عن الحسن ابن دينار عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال تلوتُ هذه الآية على عبد الله بن عمر فقال أتدري يا مجاهد من الذي أشار بتحريق إبراهيم (عم) بالنار قال قلت لا قال رجل من أعراب فارس قال قلت يا أبا عبد الرحمن وهل للفرس أعراب قال نعم الكرد هم أعراب فارس

الكورتان آثارها الكتابية في التأريخ تماماً كما ظلت لغة القرآن المقدسة (لهجة مدينة مكة) محفوظة إلى يومنا هذا .

في الواقع ، لم تكن لغة أردشير بابكان ، مؤسس الدولة الساسانية بهلوية أصلاً ، لأن إبن البلخي يؤكد لنا في (مجمع الأنساب)(١٤٨) إنتماء هذه الشخصية التأريخية إلى طائفة الشبانكاره الكوردية التي كانت أحياؤهم «تكثر في الإحصاء غير أنهم بجميع فارس زادوا على خمسمائة ألف بيت شعر ينتجعون المراعي في المشتى والمصيف على مذاهب العرب»

فرحل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار» . راجع الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ، الجزء الأول ، ص ٢٦٢ ، طبعة ليدن ١٨٧٩م – ١٨٨١م ، تحقيق دي غويه . وبما أن الإيرانيين كانوا يطلقون على هؤلاء كنية (كورتان شوبانان) [راجع *I. M. Oransky, Wwedenie w Iranskuyu Filologiyu, Moskwa 1988, str. 311*] فسماهم إبن حوقل على هذا الأساس الشبانكاره (أي البدو) . راجع الصفحات ٥٦ ، ٨٣ من كتاب المسالك والممالك ، تصنيف إبن حوقل ، تحقيق أوسلي [*Ed. Sir William Ouseley, 1800*] .

(١٤٨) راجع : رشيد ياسمي ، المصدر نفسه ، ص ١٦٨ . ويمكن الإستزادة من المعلومات حول طوائف الشبانكاره في الصفحة ١٤٦ من مجمع الأنساب لإبن البلخي ، طبعة أوربا .

وبالإضافة إلى ما ذُكر ، فإن خصم أردشير أردوان الخامس ، آخر ملوك الفرث وصفه ببدوي كوردي وقد سَجّل درب بيشوتان سنجانا هذه الكنية بصيغة *Koerd* ، راجع :

Darab Dastur Peshotan Sanjana (ed), The Karname i Ardashir i Papàkan, Bombay 1895, 6, P. 22 .

كما ذكر الطبري هذا الواقع على النحو التالي : «فبينما هو كذلك إذ ورد عليه رسول الأردوان بكتاب منه فجمع أردشير الناس وقرأ الكتاب بحضرتهم فإذا فيه : أنك قد عدوت طورك وإجتلبت حتفك أيها الكردي المربى في خيام الأكراد ، من أذن لك في التاج الذي لبسته والبلاد التي إحتويت عليها وغلبت ملوكها ... إلخ» . راجع الطبري ، الجزء الأول من طبعة ليدن ، ص ٨١٧ ، والجزء الثاني من طبعة القاهرة ، ص ٣٩ .



لوحة من أربعينات القرن الثالث الميلادى
تشير إلى مراسيم تتويج الملك الساسانى أردشير بن بابكان
نقش رجب – إيران

على حد قول الإصطخري(١٤٩) ، ولا يزال أحفاد هذه الطائفة يعيشون في نواحي كالون عبدو في إقليم فارس ويتكلمون بإحدى اللهجات الكوردية الجنوبية(١٥٠) التي لا شك في إتصال مباشر مع اللهجات الفارسية التي تنتشر في تلك الأنحاء(١٥١) . وبما أن اللغات القومية ولهجاتها متطورة من بعض اللغات القديمة المنتمية إلى أسرة واحدة أو منحدرة من

---

(١٤٩) الإصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ٦٨ . وقد أعاد إبن حوقل هذا القول عند ذكره لزموم الكورد (حومهاى كوردان) . حول ذلك راجع الصفحة ٨٣ لكتاب المسالك والممالك ، الجغرافية الأصلية لإبن حوقل ، تحقيق أوسلي .

(١٥٠) تقع كالون عبدو في القسم الشمالي الغربي من محافظة شيراز وللمعلومات عن لهجتهم راجع بالروسية الصفحة ٣٢٧ من كتاب أورانسكي المشار إليه أعلاه .

(١٥١) منذ بداية القرن العشرين درس ميدانياً كل من أوسكارمان وكارل هدنك مختلف اللهجات الكوردية بأسلوب علمي دقيق ونشرا بحوثهما تحت العناوين التالية :

O. Mann; K. Hadank, Kurdish - Persische Forschungen. Die (Kurdische) Sprachinsel Kälun - Abdû. B., 1909 .

------------- Die Mundarten Der Lur - Stämme (Mamassäni und Kûhgälûi, Bakhtiäri, Faili). B., 1910 .

K. Hadank, Mundarten Der Guran, besonders das Kändûlaî, Auramani und Badschälàni. B., 1930 .

K. Hadank, Mundarten Der Zaza, Hauptsächlich aus Siwerek und Kor. B., 1932

K. hadank, Kurdische Dialekte. Bd. 3. Die Mundart der Mukri - Kurden. Vol. 1 (1906(, Vol. 2 (1909) .

من خلال وجود بعض العلاقات بين الكوردية وعالم اللغات الإيرانية حاول مكنزي إلى فصل اللهجة الهورامية عن بقية اللهجات الكوردية ، حول هذه النظرية الخاطئة راجع :

D. N. Mackenzie, The Dialect Of Avroman (Hawraman-i Luhon), Kopenhaven 1966 .

لهجة قبيلة حملت بمرور الزمن آثار الصلات بين ناطقيها وبين لغات أقوام أخرى ، ونشوء الأقوام نفسها ناتجة عن إختلاط مجموعات جغرافية متعددة ضمن تكوين تأريخي تكاملت أسسها بجانب التسمية القومية والأرض والثقافة والتقاليد والتكوين النفسي المشترك ، فإن اللهجة الفيلية (البهلوية) تكون في هذه الحالة أغنى اللهجات في دراسة اللغة الكوردية القديمة مع ملاحظة المفردات التي دونت على طريقة أزوارش(١٥٢) . وإذا كانت رباعيات بابا طاهر الهمداني (٩٣٥م – ١٠١٠م) تُعبِّر عن إنسياب البهلوية إلى كيان اللغة الكوردية من الجنوب ، فإن قصائد على الترموكي (القرن الحادي عشر الميلادي) وأحمد جزيري (١٤٠٧م – ١٤٨١م) وعلى الحريري (١٤٢٦م – ١٤٩٥م) تمثل إنسياب الميدية إلى هذه اللغة من الشمال . أما اللهجات الديملية والهورامية والروزبيانية والشبكية والشيخانية فظلت محتفظة على تقاليدها الإيرانية بشكل أو بآخر .

وبالمقابل دافع أصحاب هذه اللهجة عن إنتماء لهجتهم إلى اللغة الكوردية ، راجع بشكل خاص آراء: محمد أمين هوراماني ، نظرة إلى الألفاظ السورانية والهورامية ، مجلة المجمع العلمي الكردي ، المجلد الثاني من القسم الثاني ، بغداد ١٩٧٤م ، ص ١٢ ، باللغة الكوردية .

وقد سبق لمكنزي أن إعتبر الكوردية بكاملها مرتبطة بالفارسية الوسطى (البهلوية ...!) ولم يعترف بعلاقتها مع الميدية . حول ذلك راجع :

D. N. Mackenzie, 'The Origin Of The Kurdish', Transaction Of The Philological Society 1961, Oxford, Blackwell, 1961 .

وقد ناقش الأستاذ توفيق وهبي هذه الآراء غير الدقيقة في بحثه الموسوم بعنوان «أصل الأكراد ولغتهم» المنشور في مجلة المجمع العلمي الكردي ، القسم العربي ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، بغداد ١٩٧٤م ، ص ١ – ٢٥ .

(١٥٢) يُطلق على هذه الطريقة في الكتابة كذلك هزوارش ، وكانت تتحدد في تدوين المفردات بالآرامية ثم تهجئتها بالبهلوية ، مثال ذلك قرأ منا = ختاي ، أرتا = زميك ، ميا = آب ، تورا = گاو ، لحما = گوشت ، بسرا = نان ، ملكا = شاه ، جمنا = أشتر ، توما = سير وكلبا = سگ وغيرها من الكلمات ، وتستعمل جميع هذه الصيغ الآن في الكوردية المعاصرة .

المبحث الثامن ـ خلفية الثقافة والدين والميثولوجيا والفن والتقاليد الكوردية :

لا ريب في أن ثقافات وأديان وحكايات الميثولوجيا والأساطير وفنون الشعوب المعاصرة مدينة بصورة أو بأخرى لحصيلة أفكار المجتمعات البشرية التي عاشت قبلنا بآلاف من السنين ، كل مجتمع حسب موقعه وإصالته الزمنية . فالثقافة *Cultur* هي النموذج الأصيل للمعرفة الإنسانية وتشمل اللغة والإعتقادات الدينية والشرائع والأنظمة الإجتماعية ومجموعة الطقوس والمحرمات والأعمال الفنية وغيرها من الإبداعات ، وتتميز حسب تطور ذهن الإنسان وتوَسُّع مدار علومه ومعارفه وما تتراكم عليها من المستجدات على مر الأجيال وعبر التعامل المشترك بين الشعوب . فمنذ أن شرح *Burnett Tylor* في كتابه *Primitive Cultur* عام ١٨٧١م الثقافة على أنها تشمل كل القدرات والإمكانيات والأعراف التي إكتسبها الإنسان كفرد من أفراد المجتمع ، قَدّم العلماء في دراسة علم الأجناس (الأنثروبولوجيون) عدداً من التعريفات حولها تُعكس إتجهات بعض المدارس الفكرية لا نرى من الحاجة الدخول إلى تفاصيلها ، غير أنه من المفيد الإشارة هنا إلى أن لكل شعب كان ثقافة خاصة ونظاماً إحتماعياً متميزاً ، وأن الإختلاف بين الثقافات يُعزى على الأغلب إلى البيئة التي تنشأ فيها بالتدريج ، أما الأوضاع والقيم والأفكار والنشاطات الفردية فتتأثر بشكل كبير بثقافة المجتمع التي تحيط بها وتعيش في وسطها أو تمر بها أو تحتك ببعض جوانبها ، وأثناء عملية التطور تتحدد السمات لثقافات الشعوب ، أما من خلال إختلاط هذه الشعوب أو الإمتداد الزمني لمراحل وجودها . وهكذا يمكن أن نتحسس مظهر الثقافة من صيغ الأنماط الأصيلة لعناصرها وخواصها ومواقع ظهورها وأشكالها المتميزة التي يحددها بنيانها كتعبير عن النظم الإجتماعية والإقتصادية ودرجة رقي المعارف عند أصحابها .

بناء على ما ذُكر وإستناداً على المخلفات الأركيولوجية والشواهد التاريخية يمكن تصنيف ثقافات الموطن الكوردي بدءاً من حياة الإنسان الفطرية فيه خلال عصر ما قبل

التأريخ مروراً بثقافات دويلات المدن التي إمتزجت بمدنية الميسوبوتاميين وتأثرت بلهجات الهنود الآريين حتى تطورت في إطار السيادة الإخمينية والهللنية والفرثية والساسانية والإسلامية حيث نشأت بعد العصر الهلليني نوعٌ من الثقافة الإقطاعية والطائفية التي خلفتها الأنظمة الفرثية والساسانية في كوردستان وظلت آثارها حتى نهاية العصر العثماني .

وفي مجال الميثولوجيا التي تشمل في المقام الأول الحكايات الأسطورية التي تتحدث عن خلق العالم والإنسان وما فعله الآلهة والأبطال الأسطوريون ، فقد أظهرت لنا الآداب الخورية المكتشفة في كوردستان عن نمط تلك الحكايات والمؤثرات السومرية والأكدية عليها ثم تأثرها بأفكار هندية – أوربية . ولا ريب في أن الفكر الميثولوجي مرت في بلاد الكورد كالمناطق الأخرى في العالم بعدة أطوار منها طور اللقط والصيد والإنتقال إلى الإقتصاد المنتج حيث كان البشر (ومنهم نياندرتاليوا كهف شانيدر) لا يفصلون أنفسهم عن الطبيعة خلال هذا الطور ، ثم التحول من إستخدام أدوات العمل الحجرية نحو إستخدام الأدوات المعدنية (كسكان مستوطنات جرمو وتبه سراب) وأخيراً ظهور النظام الأبوي مكان الأموي (كمجتمع مدينة نوزي وكوروخاني وشمشاره) .

يبدأ نشوء الفكر الميثولوجي عند الإنسان الكوردستاني منذ أن أعطى الأشياء المادية الروح خلال عصر سيادة الأم وكان تابعاً للطبيعة ، وفي الطور الأخير من هذا العصر ، ربما تكون ظهرت الميثولوجيا العفوية ، مع شخصيات آلهاتها وأبالستها وأبطالها المستقلة . والتغيرات اللاحقة التي عرفتها حياة المجتمع الكوردستاني البدائي ترتبط بأول تقسيم كبير للعمل ، أي إنفصال الرعي وتربية الحيوانات عن الزراعة . وأدى هذا الحدث الكبير إلى قفزات جدية وقعت في مجال العلاقات السوسيولوجية حين فقدت المرأة بالتدريج وظيفتها كقاعدة لمشاعة القربى ومنظمة لحياتها ، وأخذ الرجل يتقدم ليحتل مكان الصدارة في إدارة الإقتصاد الذي أصبح أكثر تعقيداً . وهكذا حلت الأبوية محل الأمّية ، وهو الأمر الذي أدى بدوره إلى حدوث تغيرات كبيرة وجوهرية في عالم الميثولوجيا . فغدا البطل



صورة لنصب كلـكاميش

الشخصية الرئيسة في الأساطير مثل أسطورة الصياد كشي الخورية وأسطورة كلغاميش الذي يرد الثور بوجه الربة عشتار وأنكيدو الذي يقتل الوحش في الغابة ، فهؤلاء يجترحون البطولات ويصرعون الوحوش المخيفة التي قهرت الإنسان زمناً طويلاً وسيطرت عليه . وبشكل عام ، فإن عناصر الدين التي تتجمع عند المجتمعات القديمة في غربي آسيا تظهر في قلب الوعي الميثولوجي ، فتصبح الميثولوجيا أحد مصادر الدين في بلاد ما بين النهرين ومرتفعات جبال زاگروس وليس الدين نفسه الذي إستقى منها فكرة تعدد الآلهة *Polytheism* كأبطال للعالم السماوي . فبعد عبادة الأجداد وزعماء القبائل والأشكال المادية الموجودة في الطبيعة من حيوانات ونباتات وإنقسام الزراعة والرعي كقطاعين مستقلين في التشكيلة الإقتصادية البدائية ، بدأ الناس يقدسون الأرواح والكائنات الخارقة التي تحمي القطعان والعمل الزراعي وتمنح الخصب ، معتقدات كانت تحتوي على لحظة تبجيل مجموعة من الكائنات ، خارقوا القوى ، سادة الظواهر الطبيعية ، يقفون فوق العالم الواقعي المحيط ويسودون عليه .

ومع تطور المجتمع الطبقي في كل من سوبارتو وسومر وأكد وعيلام ثم في ميديا وظهور دول المدن والحكم الملكي في دويلاتها ، بدأ ينشأ تدريجياً الإعتقاد بإله واحد جبار يتزعم معبودات كانت مسؤولة عن مختلف ظواهر الطبيعة *Henotheism* . فمع ظهور ملوك سوباريين جبابرة خلال الألف الثالث قبل الميلاد مثل كيكلب أتل ملك توكريش وشادوشري ملك أزيخينوم (قرب نوزي) وشين نام ملك أورشوم (قرب أورفه) إنفردوا بالسلطة ، قام في أذهان المتدينين تصوّر عن ملك سماوي واحد جبار مثل (كوماربي) كلي القدرة موجود في كل مكان ويرى كل شئ حيث برز هذا الإله في المجمع الإلهي الخوري عظيم القدرة ، نسخة طبق الأصل عن ملوك ميتاني الذين إنفردوا بالسلطة . وقد تبع ذلك نشوء ديانات تقوم على فكرة الوحدانية (مونوتيزم *Monotheism*) يمكننا ملاحظتها في الدور الذي لعبته الأميرة تادو حيبا (نفرتيتي) بنت الملك توشراتا الميتاني ،

بدعم من زوجها آمولحوتب الرابع في مصر ، في تجسيد هذه الفكرة بعبادة الشمس حيث كان الإله آسورا في بلادها يتزعم مجمعه المقدس . وعلى أساس هذه الحقيقة التأريخية ، فإن الإيمان بإله واحد في بلاد سوبارتو (كوردستان الحالية) لم ينزل إلى البشر من السماء ، بل تَطّلب الأمر قروناً من السير على طريق تطور المعتقدات الدينية قبل أن تقوم العبادات الموحدة . و لم تحدث هذه العملية ، حسب علم التأريخ ، بإرادة قوى فوقية ، وإنما فرضتها في كل حال من الأحوال ، شروط تأريخية طبيعية محددة . فقد إنعكست في عملية تحـّول الديانات المتعددة الآلهة إلى ديانات موحدة ، العمليات التوحيدية التي جرت أثناء تأليف التشكيلات الدَولَوية ، وسعي كهنة القبائل والشعوب المسيطرة إلى ترسيخ سلطتهم ، والنهج السياسي للفراعنة والطغاة والملوك والأمراء . وبناءاً على ذلك لا نستطيع مثلاً تصديق النص التوراتي الذي يشير إلى أن «الرب الإله غرس جنة في عدن شرقاً وجعل هناك الإنسان ... وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ومن ثم يتشعب فيصير أربعة رؤوس إسم أحدهما فيشون ... وإسم الثاني جيحون ... وإسم الثالث حدّاقل (دجلة) وهو الجاري شرقي آشور ، والنهر الرابع هو الفرات»(١٥٣) لأن يهوه لم يغرس أية جنة هنا ، وإنما ملوك سومر وبتسخير العبيد هم الذين جففوا مستنقعات المنطقة وسقوا أراضيهم وحوّلوها بعملهم إلى بستان مزهر يانع ، حَسِبَتْه فيما بعد القبائل البدوية اليهودية في بادية الشام الجافة جنة إلهية .

أما الفن ، كجانب من الثقافة والميثولوجيا والدين ، فيُعبّر عن مقومات أفكار الجمال وغايتها ، وذلك بإستعمال المهارة عند الإنسان وإبداع خياله في خلق الأشياء أو صنعها وتوفير بيئة لها ، وهي حصيلة التجارب التي يمكن أن تتوزع مظاهرها من شعب إلى آخر . فالفن يمكن أن يُحَدّد عدداً من أساليب تجربة الأعراف التي تُصَنّف نسبة إلى

(١٥٣) راجع العهد القديم ، سفر التكوين ٢ : ٨ – ١٥

أشكال المنتوجات والأعمال ورسم اللوحات والنحت والرقص وأساليب أخرى للتعبير الجميل . وتستعمل لفظة الفن في هذه المجالات بناءاً على مواضيعه المختلفة ولتمييز الأشياء الخاصة وحالة التقييم الجمالي عن الأعمال العادية للإنسان حيث يمكن أن نشاهد رسم بديع على سُجاد أو تخطيط جميل على بناءٍ أو نسمع قطعة موسيقية ترقصنا فنٌ بذاته وليس مجرد نشاط إنساني عادي . وكجانب من التقاليد التأريخية ، فإن هذه المواضيع تدخل ضمن كل من فنون جميلة وفنون حرة *Liberal Arts* ، وإن الأخيرة تخص ، مع براعة التعبير ، كل من اللغة والكلام والإستدلال . أما الفنون الجميلة فتخص تقييم الجمال بنقاوة وصفاء وذوق ، وأن أشكال التعبير تظهر من خلال صناعة الخزف (الفخاريات) والأعمال البرونزية وهندسة البنايات ، لكننا يمكن أن نلاحظ تحديد الإقتباسات الفنية أثناء إنتقال الثقافات من بلد إلى آخر . فالإقتباس يُعبر عن عملية تلقيح لجوانب متعددة للفن تتجمع فيه ظواهر بيئات وأقاليم مختلفة . وهناك نظام آخر لتصنيف مواضيع الفنون الجميلة ينشأ كأبواب لها مثل الأدب (الشعر ، الدراما ، الحكاية ، القصة) والفنون البصرية (اللوحات ، الرسم ، النحت) والفنون التخطيطية (الأعمال الگرافيتية والتشكيلات) ثم الفنون البلاستيكية (النحت والموديلات) وكذلك فنون الديكور (كأعمال التغليف بالميناء وزخرفة الأثاث المنزلية وآلات الموسيقى) ، وأخيراً الفنون المسرحية (كالتمثيل والرقص والموسيقى) .

وبما أن موطن الكورد يُعتبر من أقدم مراكز الإستيطان البشري المتواصل فإنه شهد بعض الأعمال اليدوية ونتاجات الفكر البشري الفطري منذ العصر الباليوليتي (العصر الحجري القديم) ، ثم إحتضنت بمرور الزمن مختلف الأجناس من المهاجرين ، ساميين وهنود أوربيون وأورال ألتاي الذين أبقوا حصيلة ثقافاتهم في الفكر الكوردي المعاصر . وبناءاً على هذه الحقائق ، فإن الإنسان بدأ قبل عشرات الآلاف من السنين يتفنن في شانيدر بكوردستان في أستعمال الأدوات الحجرية وكانت مخلفات أعماله نماذج أصيلة

لثقافة العصور الحجرية . فالقطع التي إكتشفها العالمان الأمريكيان هـ. ي. رايت وبروس هاو في موقع برده بەلكه المصنوعة من حجر الصوان والمكاشط المصنوعة من قشرة نفس الحجر والفؤوس اليدوية التي تشبه القلب أو اللوزة وكذلك القلائد وألات الصيد والأعمال الخشبية وبقايا الصبغ المصنوع من النباتات المستخرجة من المواقع الأخرى مثل حاجياي وسبيلك وپالي گەوره وشانيدر وبيهستون وخارو ثم تمتم في مناطق الشكاك ووار ويسي وأحنه و وكونجي ويغته ما هي إلا إشارات للمستوى الثقافي لسكان كوردستان في عصور ما قبل التأريخ . والجدير بالإشارة هنا إلى أن أدوات الصوان الدقيقة المكتشفة في برده بەلكه كانت بأشكال مختلفة منها مقاشط ساذجة مصنوعة من قطع صوانية وكذلك من شظايا وكسر لا توجد على حوافها علامة تدل على الإستعمال أو الصقل . أما اللب فكان على أنواع منها القرصية الشكل المتعددة الوجوه ، وكان أغلبها متوسطة الحجم أو صغيرة ، لكن الفؤوس اليدوية المصنوعة بعضها من شظايا كبيرة فكانت تتخللها فؤوس رقيقة حسنة الصنع وكانت هناك فؤوس غليضة ساذجة الصنع على شكل القلب .

بالإضافة إلى ما ذُكر ، فإن المواد التي أكتشفت في پالي گەوره وبيخال وبَراك وشنگار ونمرود داغ قرب بحيرة وان وكذلك في مناطق هيكاري وقارص تكاد تكون جميعها مشابهة لما أكتشفت في الطبقة C من كهف شانيدر مثلما كان هناك تشابه بين مواد كهفي هزار ميرد وبرده بەلكه مع مواد الطبقة D في شانيدر وهي تتطابق تماماً مع تلك التي أكتشفت في كهف گلى سور بجبال بهستون .

لا نرى هنا من الحاجة الإشارة إلى تفاصيل التحولات من حياة الصيد نحو الإستقرار وإنتاج القوت في العصر الميزوليثي (العصر الحجري المتوسط) حيث أن ملاحظات الباحثة الأثرية الأمريكية روزا سوليكي تكفينا لشرح الأدوات ونماذج الثورة الزراعية في زاوي جمي شانيدر خلال الألف العاشر قبل الميلاد ، ثم أن المواد المكتشفة في

كل من كريم شهر وملفعات وگرد چاى توضح حسب التسلسل الزمني مظاهر الإنتقال من العصر الباليوليثي المتأخر نحو العصر الميزوليثي . وهناك نوع من التشابه في هذه المرحلة بين فنون كوردستان وأطراف بحر قزوين الغربية وخاصة المواد التي تتميز بزواياها الثلاث وهي قوالب هندسية مصقولة من الجانبين برتوش ظاهرة ، كما أن لها علاقة مع ما شوهدت في وادي نطوف بفلسطين .

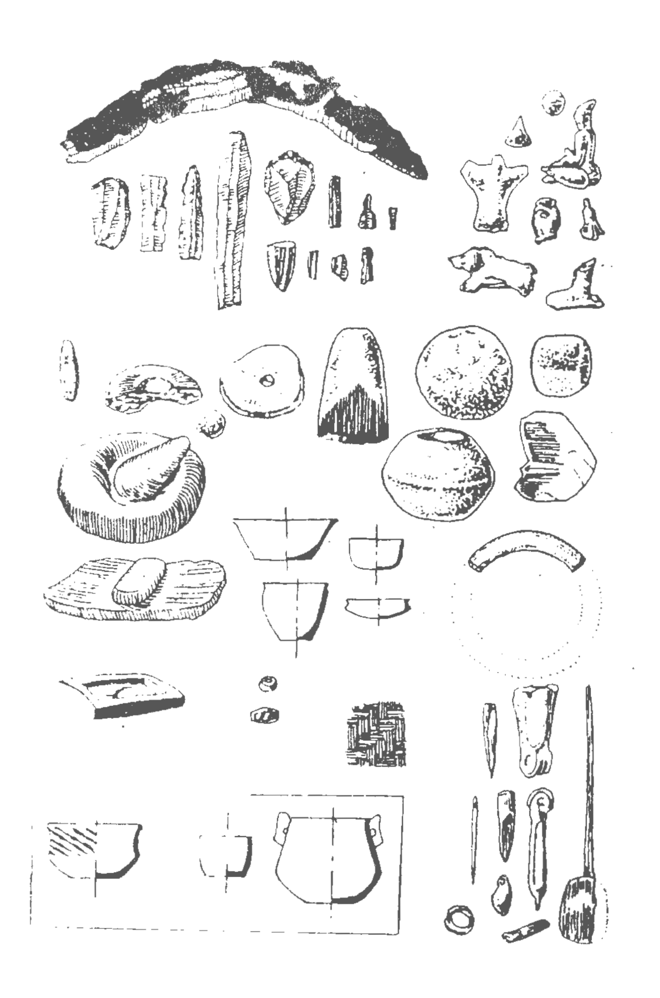
في الواقع بدأ الإنسان في كوردستان بالإستقرار في مجمعات سكنية قبل عصر زاوي جمي شانيدر بعدة آلاف من السنين حيث أنتج قوته بشكل بدائي كما أكدته البذور المتحجرة التي أكتشفت في السهول الواقعة حوالي بحيرة زريبار قرب مريوان ، وقد مَثّلت الأدوات المكتشفة في موقع كريم شهر هذا الطابع للحياة فيما بعد أحسن تمثيل حيث ظهر في هذا العصر صناعة الفخار بشكلها البسيط تطور فنها تدريجياً إلى نوع من الفخار سُمي بفن فخار جرمو الذي ساد بكوردستان خلال ٩٠٠٠ – ٧٠٠٠ سنة ق . م. وبعد أن قامت بعثة أمريكية من المعهد الشرقي للآثار تابع لجامعة شيكاغو برئاسة بريدوود بأعمال التنقيب في موقع جرمو المطل على وادي چمي گەوره قرب چمچمال منذ عام ١٩٤٨م إستظهرت فيه ستة عشر طبقة أثرية كانت الإحدى عشرة طبقة الأولى خالية من الآثار الفخارية . وفيما يخص هندسة البناء ، فقد تجاوز سكان جرمو سكنى الأكواخ البدائية المستديرة التي إنتشرت قبل عصرهم بكوردستان حيث كانت بيوتهم مستطيلة الشكل مع أربع زوايا قائمة كانت تضم كل دار غرفاً عديدة ومبنية بالطين (الطوف) ، أما بيوت الطبقات العليا من المجتمع فقد شُيدت فوق أسس من الأحجار الطبيعية ، وكانت جدران البيوت تُملّط بالطين . أما أرضيات الدور فقد بُلِطت بالطين أيضاً بعد أن وُضِعَت تحته طبقة من القصب ، ثم أستعمل القصب مع الخشب لتسقيف البيوت . نرى ما يماثل هذا الواقع في موقع سَراو قرب كرمنشاه والقطع الفخارية التي أستخرجت في الطبقة الثالثة لهذا الموقع كانت تشبه مثيلاتها في جرمو إلى حد كبير ونرى أن بعض

التطور طرأ على فن الفخاريات في مستوطنات مثل جعفر آباد (عيلام) وباكون قرب برسيبوليس .

ومن الفنون التي شوهدت ضمن الأدوات البيتية التي عُثر عليها في جرمو هي الملاعق المصنوعة من العظام والإبر العظمية وأقراص المغازل الصوانية التي تدل على معرفة سكان جرمو بالغزل والحياكة . وإضافة إلى ذلك ، هناك طائفة من الأدوات الحجرية الدقيقة صنعت من حجر الصوان ومن حجر الأوبسيد ومن بينها نصال على الخشب شُدت ببعضهما بواسطة القير وهي على هيئة مناجل . أما الأدوات الكبيرة ، فقد صنعت من حجر الكلس ، مثل الفؤوس وأحجار الرُحى والمساحق والمدقات والهواوين وعدد من الأواني المنزلية ومن الكماليات والأساور المصنوعة من حجر المرمر والقلائد أو الولايات من الصدف والمحار . أما فيما يخص المعتقدات الدينية لسكان جرمو ، فقد كانوا يعبدون الخصوبة وكل ما يسبب الوفرة في الإنتاج ، ورمزوا لعبادتهم بالدمى المصور للإلهة الأم .

إستمر تأثيرالعلاقات العينية للألف العاشر ق. م. التي تعود إلى كريم شهر على الجانب الذوقي لسكان كل من تل حلف وجمدة نصّر والقرى الأولية للسومريين ، وأوضحت آثار كريم شهر أن أقدم المزارعين في كوردستان تفننوا في صنع الأدوات الحجرية من ملاط ومدقات ومناجل وأدوات العمل الأخرى .

أما المعادن ، فقد ظل مستعملاً في كوردستان على نطاق ضيق إلى أن إحتكر سكان وادي الرافدين مصادر خاماتها ، ويتشابه الذوق الفني لصناعته إلى حد ما مع الفنون التي سادت في كل من سوريا وفلسطين وحتى كيليكيا جنوب الأنضول ، كما إمتد خط التشابه في الشرق لحد أواسط آسيا مروراً بسيالك جنوب كاشان في إيران . أما الرموز الفنية التي شوهدت على الصحون وأدوات الطبخ الفخارية غير المشوية في تبه سراب بكوردستان الشرقية فكانت نوعاً من النقوش البدائية البسيطة ، لكن فنون مستوطن آسياب وهندسة بناء بيوتها فإنها تشير إلى نمط الحياة الزراعية لمجتمعه الذي ساد في كريم



مجموعة من الأدوات المنزلية أكتشفت في قرية جرمو

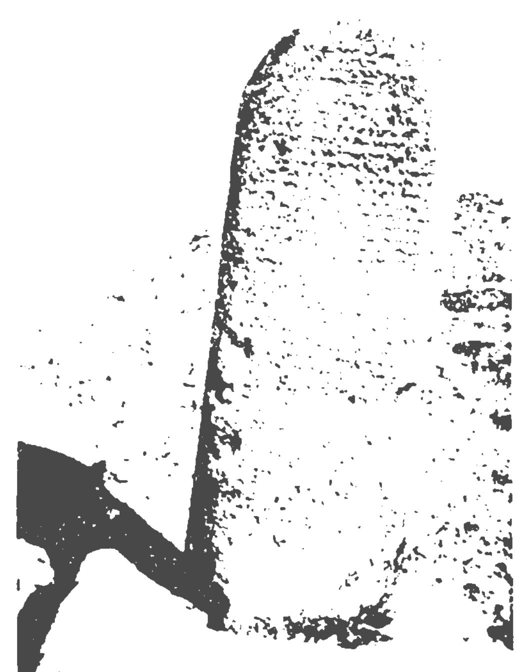
شهر . ومن جهة أخرى ، فإن التماثيل وحفر الأحجار وفن الكتابة تتوزع على مجتمعات كوردستانية ذات ثقافات متنوعة عاش أصحابها في فترات زمنية متباينة . فبالإضافة إلى ألاف القطع التي تعود إلى مستوطنات العصر الزراعي ، نرى منحوتة دربندي گاور على جبل قره داغ ومسلة آنوبانيني في سربول زهاو من أعمال ملوك محليين يعودان إلى العصر الأكدي ، لكن نصبي طوبزاوه وكيله شين فهما من أعمال كل من الملكين الأورارتيين إشبويني وإبنه مينوا ، أما آثار كور وكچ ورمز آهورا مازدا في كهف قزقبان فهي تعود للميديين ، بينما منحوتة هرير تمثل زعيماً محلياً من العصر الفرثي ، لكن الأديرة المبنية في مختلف المرتفعات الكوردية فهي مدينة للفن المسيحي ، مثلما يعود فن بناء المساجد إلى العقل العربي بعد ظهور الإسلام .

وهكذا يمكن القول ، أن نوعين من الثقافة سادت في مستوطنات ما قبل التأريخ بكوردستان ، الأول له صلة بالعصر الحجري المبكر تختلط معالمه بالعصر الحجري المتوسط كمستوطنات گرد چاي والطبقات الدنيا لجرمو حيث كانت صناعة الفخار فيه بدائية . والنوع الثاني هو ذلك الذي شوهد في الطبقات العليا من المستوطنات نفسها وقد تقدمت فيها صناعة الفخار وأصبحت متينة وثخينة كالتي سادت كذلك في كل من أريحة وسيالك وحسونة وسامراء وچتال هيوگ ، ثم عقبته ثقافة العصر الحجري المعدني .

أما في مطلع العصر التأريخي ، فقد ترك سكان كوردستان من الكوتيين والكاسيين رموز ثقافتهم ودينهم وفنونهم ليس في مواقعهم الأصلية فحسب ، بل وكذلك في مدن وادي الرافدين السفلى عندما سادوا عليها منذ أواخر الألف الثالث ق. م. ومنها فن بناء معبد الإلهة الأم إينانا في أوروك ومعالم مدينة كوريكالزو قرب عقرقوف الحالية والرسوم الملونة في الأبنية البابلية التي بنوها على طريقتهم وكذلك الأختام الملكية وأحجار كدورو ورموز التنجيم وإعادة كتابة ملحمة كلغاميش ونسخة من قصة الطوفان المعنونة (أترا – حاسيس) ، إضافة إلى إهتمامهم الملحوظ بنصوص التعاويذ والرقى وطائفة من الإثبات



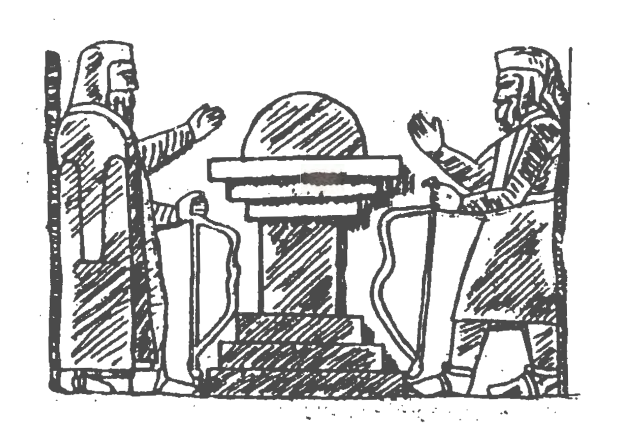
منحوتة دربنــدي گاور في قره داغ



مسلـة كل من الملكين الأورارتيين
إشبويني ومينـوا في قمة كيـله شين



مسلـة طـوبزاوه قرب
مدينة رواندز



معبـد آهورا مازدا من العصر الميدي في كهف قزقبـان



رأس برونزي لأحد ملوك الكوتيين

والمعاجم والقواميس المتعلقة بالكتابة المسمارية منها شرح المفردات الكاشية باللغة البابلية .

أما الخوريين ، فقد إنتظموا بكوردستان ضمن وحدات سياسية حكمها ملوك سادوا تدريجياً على المناطق الواقعة بوسط وادي الرافدين . فقبل سقوط دويلات المدن السومرية والأكدية بيد الكوتيين ، يشير لوح مسماري أكتشف في المدينة السومرية المقدسة نيبور إلى أسماء عدد من ملوك الخوريين ومنهم شخري – إيقري (الملك شخري) الذي سَجّل كنيته على قطعة من المرمر بدلاً من الطين يجري الحديث في حولياته عن تقديم الهدايا الرسمية له عندما كان يحكم الأراضي الواقعة حوالي مدينة بغداد الحالية . ولما إنهارت مملكة أكد بيد الكوتيين في أواخر فترة حكم شاركاليشاري (٢١١٤ – ١٠٩٠ ق. م.) إزدهرت المملكة الخورية التي تزعمها الملك أتل شين أو آري شين بكوردستان ، وقد ترك لنا خبر سيادته على كل من المقاطعتين أوركيش ونوار اللتان كانتا تقعان بين نهر الخابور في الشمال وسيروان في الجنوب (كورستان الغربية والجنوبية) . ومنذ هذه الفترة غدا الخوريون وسطاء في نقل المعالم الحضارية لوادي الرافدين إلى كل من سوريا وبلاد الأنضول ، إلا أنهم ظلّوا يتميزون بثقافتهم السوبارية التي أثرت بدورها على ثقافات هذه البلدان وظهرت معالمها في مدن كإيبلا شمال سوريا وماري على نهر الفرات (آلبو كمال) وألالاخ (تل عطشانه) الواقعة بين حلب وأنطاكية ، كما طغت هذه الثقافة مزيجة ببعض عوالم ثقافة وادي الرافدين على ثقافة شعوب الأنضول وكيليكيا ومناطق كيزواتنا (أطنه الحالية) وكذلك على ثقافة عدد من المدن اليونانية الواقعة على سواحل البحر المتوسط .

وبناءاً على هذه الحقيقة ، فقد وردت أسماء أقدم المعبودات السوبارية مرادفة لأسماء المعبودات المحلية لهذه البلدان إلا أن معابدها الرئيسة ظلت في كوردستان . فالمدينة التي بُنيت من أجل عبادة الإلهة الأم شاووشكا في مطلع العصر التأريخي تحولت بعد ظهور السيادة الأبوية في المجتمع الكوردستاني القديم إلى مدينة مقدسة بكنية أور – بيل (← أربيل) مركز عبادة رمز الذكورة الإله بيل ، ثم إنتقلت طقوس

عبادة هذا الإله عن طريق الآشوريين إلى الكنعانيين الذين إشتهر عندهم بإسم بعل حيث لا يزال مستعملاً عند العرب بمعنى الزوج . ومع ذلك فقد ظلت شاووشكا من أشهر معبودات مدينة شموخا قرب آميد (ديار بكر) ظهرت صورها كذلك في أختام أكتشفت في تبه گيان ونهاوند إضافة إلى مسلة أونتاش هوبان في سوسه وعلى حجر الكدورو للملك من ملوك الكاشيين ، كما سماها العاهل الميتاني توشراتتا «ملكة بلادي وملكة السَماء» وإعتبرها الخوريون شقيقة تيشوب إله العواصف وقد بنيت لها معابد في كيزواتنا وحلب والالاخ وأوغاريت ويازلي قيا قرب حتوششا عاصمة الحثيين حيث رُسمت صورتها بجانب المعبودات الحثية الأخرى . لكن تأثيرات كومار بي رئيس المجمع الإلهي الخوري الذي تمركز مقر عبادته بأوركيش (بهدينان) وجاء أقدم خبر له في لوح يرجع تأريخه إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد في الديانة الخورية كان أكثر بُعداً وأشد عُمقاً فهو يماثل الإله إيل عند الكنعانيين . وظلت أسماء المعبودات الخورية مثل رب العواصف تيشوب الذي كان معبده يتمركز في مدينة كوممي قرب مدينة آمدي (العمادية بكوردستان الجنوبية) وزوجه خيبا (حيوا ← حوات ← حواء) التي أعتبرها العبريون ومن بعدهم العرب أم البشرية وزوج آدم وكذلك كوروي وشيري وشوالا وتيلا وتيروي وكوسوه وسيمكي تحتفظ بطابعها الكوردستاني رغم إعتبار رب العواصف تيشوب عضواً بارزاً في كل من المجمع الإلهي الحيثي والمجمع الإلهي الأورارتي بكنية تيشيبا فيما بعد(١٥٤) ، بينما ظلت (نيني أو نه‌نه) في كل من مناطق ألون وشيخان معبودة كوردستانية وسميت مدينة نيناوا (نينوى) بإسمها جعلها الآشوريون فيما بعد عاصمة لهم ، لكنها كانت تشكل في الأصل مع إله القمر

---

(١٥٤) راجع بالألمانية تفصيلات هذا الموضوع في كتاب گيرنوت ويلهلم :

G. Wilhelm, Grundzüge der Deschichte und Kultur der Hurriter, Darmstadt 1982 .

معبودة ثنائية لبلاد كوتيوم ثم إنتقلت طقوس عبادتها إلى البلدان المجاورة . ففي أسطورة لوكال باندا التي تتعلق بأقدم عصر في تأريخ السومريين نرى خبراً مفاده أن إلهة مدينة دير *ilat Deritum* (خانقين وحواليها) المدعوة ننه *Nana* قررت أن تسكن في مدينة أوروك ولعل السبب في ذلك يرجع إلى إنتقال بعض سكان دير من الكاشيين إلى أوروك التي بنيت فيها كذلك معبداً للإله كاش *ilat Kashitu* . ومع ذلك فقد ظلت معابد هذه المعبودات منتشرة في مدن كوردستان مثل أربيل وكركوك (أرّابخا) وبيتواته ونينوى وناوار وواشوكاني حيث كان كل من المعبودين شيميكا وكوشوخ يمثلان فيها إلهي الشمس والقمر ، وحتى أن توشراتتا ذكر سيميكي (شيميكا) في خطابه المرسل إلى الفرعون آمونحوتب الثالث ككائن سماوي عوضاً عن (رع) ، وكان هذا المعبود بنظر سكان كوردستان مسؤول عن فن التكهن داخل الطبيعة لكون موقعه عالياً في السماء بحيث يستطيع أن يرى كل ما يحدث على الأرض .

ومن جهة أخرى كان إله القمر محاطاً على حد إعتقاد الخوريين بِقَسَم اليمين وكان يختلف عن نظيره الإله سن الأكدي إله اللعنات والموت . وبمرور الزمن بدأ تيشوب يتزعم المجمع الإلهي في كومي بدلاً من أبيه كوماربي عارف الغيب والشهادة الذي كان قبلاً بيده رمز الصواعق وعلى رأسه قرون الألوهية ، وكان السكان في هذه المنطقة من كوردستان يعتقدون أن تيشوب يركب على عربة ذات أربع عجلات يجرها ثوران عظيمان هما شيريش وخورييش الذان إستعارهما الآشوريون فيما بعد وصورهما بتمثالين ضخمين لثورين مجنحين وضعوهما على أبواب معابد الإله عدّد رب العواصف عند الشعوب السامية ، ولا تزال هذه القصة بطابعها الإسلامي منتشرة بين الكورد حيث يعتقدون أن ملكين من ملائكة الله يقودان تلك العربة التي تجرها الخيول ويضربان الغيوم بسوطيهما فيحدثان الصواعق على إثره .

لا تلعب البحار ومعبوداتها دوراً مشهوداً في الميثولوجيا الكوردستانية القديمة ، وإنما

نرى غالباً رموزاً إلهية للجبال والأنهار وخاصة كل من دجلة والزابين . ففي ملحمة كوربانزاخ الخورية يلعب البطل أرانزاخ(١٥٥) دوراً مهماً بعد أن يكتسب فيها شخصية معنوية . وهناك بعض القصص والروايات الكوردستانية القديمة أكتشفت نصوصها أما بالخورية أو الحثية كقصة الصياد كشي ورواية الأب وإبنيه الذان كانا يمثلان الخير والشر وأسطورة إله الشمس والبقرة التي ولّدت طفلاً آدمياً رباه صياد سمك ، كما أن هناك أسطورة الأفعوان هدّامو ، الوحش النهم الذي خضع لسحر جمال الربة شاووشكا . وفي أسطورة خورية أخرى ترجمت إلى الحيثية ، يزور تيشوب شقيقته ألاني إلهة العالم السفلي حيث ترضيه بوليمة كبيرة بعد أن تذبح له عشرة آلاف ثورٍ وثلاثين ألف خروف (غنم) .

ومهما يكن الأمر ، فإن للآلهة في الميثولوجيا الكوردستانية القديمة صفات بشرية وكان لهم وسطاء لإرزاقهم على الأرض وهم لا يُرزِقون البشر من السماء ، لذلك كان على البشر أن يعملوا ويزرعوا لكي يُرضوا المعبودات بما ينتجونه من خيرات الأرض . وعلى هذا الأساس كان الكهنة ومسؤولوا إدارات المعابد يستغلون السكان بإسم الآلهة وتقديم الخدمات لهم ، ففي نص خوري نرى أن على المواطن رفع يديه أمام رموز الآلهة مردداً دعاء (سأعطي ما دام أنت أعطيتني) . ولكن في رواية الطوفان (أتراخاسيس) تقول خدّامو «عندما فُنيت البشرية ، لم يبقَ أحدٌ لكي يُقدم القربان والخبز والخمر للآلهة إلى أن جاء رب العواصف ، ملك كومي ، القادر على كل شئ ، وقبض على المحراث بنفسه وبدأ بالإستزراع حتى جاءت الربة حوات (عشتار) لكي تنثر الحبوب على الأرض بدورها»(١٥٦) .

---

(١٥٥) هذا الإسم مشتق من الكنية الخورية لنهر دجلة (أرانزاخ) ، راجع المصدر السابق .

(١٥٦) راجع گيرنوت ويلهلم ، نفس المصدر .

إستناداً على الأساطير المذكورة ، فإن طقوس الهبات والعطاء الإنساني لعالم السماء كان تلافياً من الغضب الإلهي ، وهي جزء من الطقوس الدورية التي نُظّمت أسس التقويم في كوردستان على أساسها قبل آلاف من السنين ، وكان على الفرد أن يطبخ من أجل المعبد . ففي القائمة المقدمة قرباناً للربة شاووشكا (عشتار) في نوزي (ليلان) كانت الأغذية تتركب غالباً من الحبوب (الحنطة والشعير) ، والخبز عادة كان يخفف عذاب الإنسان لمدة يومين . أما في أرّابخا (كركوك) فكان اليوم الأول من كل شهر يُعتبر عيداً طقسياً يحمل إسم الشهر نفسه مثل عيد كينوني وميتيروني وشيخالي ، وكانت المراسيم تقضي في هذه الأعياد أن يجتمع مواطنوا المدينة أمام معبد شاووشكا لتسجيل مقدار الحصاد وثمار الحقول وتوزيعها حسب الشرائع الدينية . وكان هناك أناشيد تُنشد أثناء هذه المراسيم حيث تشير بعض النصوص الخورية إلى تلك الآلات الموسيقية والأصوات الغنائية الجميلة خلال إجراء مراسيم الطقوس في المعابد ، ثم يخرج الملك من معبد إيشخاري ويُقدم طيراً وماعزاً قرباناً للرب إيلاني أثناء توجهه إلى معبده ، ثم ترش فتاة الماء وعطر الأرز أمام تماثيل الآلهة وأحياناً يقوم الكاهن بهذا العمل الذي كان يرش الدم المسفوك للذبائح على منصة المعبد وكان المفروض على الملك من بعده بقطع قطعة الخبز المصنوع من الجريش ، ومن بعد ذلك كان الناس من سكان المدينة يجلبون قوارير وكؤوس الشراب الفضية ويملأ كل واحد منهم عدداً من الكؤوس المذكورة ، كأس من أجل الرب إيلاني وكأس من أجل الرب تسيماتستساللي وأخرى للآلهة كوري وإيشاري والمعبودات الأخرى ، ثم كان الكاهن يتمم من بعدهم السكب ويليه الملك الذي يخرج من معبد الرب إيلاني لكي يزور معبد الإله نوباتيك بيبيتخي ، وكان الناس أحياناً يجلبون الزيوت إلى المعبد بعد تقدمة القرابين والغذاء والماء وذلك من أجل تطهير الروح .

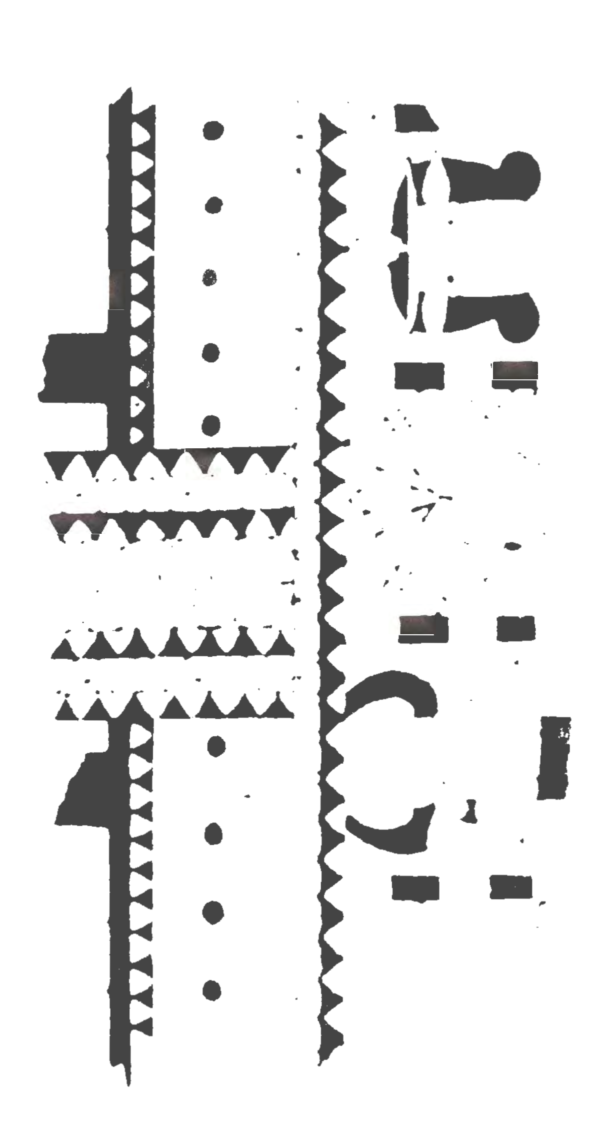
في الواقع ، من الصعوبة أن نخطط بدقة الفن المعماري للمعابد القديمة بكوردستان ، لأن أغلب هذه المعابد أما هُدمت أو إختلطت معالمها مع معالم المعابد ذات الفنون غير

المحلية ، إلا أنه يمكن لنا وصف المواد التي أستعملت أثناء الطقوس في هذه المعابد . ففي معبد واشّوكاني عاصمة الدولة الميتانية الذي إشتهر كبيت الطهارة ***bit narmakti*** إستعمل الناس أباريق فضية أثناء القيام بمراسيم شرب الخمور من أجل الآلهة . وكانت في داخل معبد شاووشكا بنوزي تماثيل أسود تقف مقابل منحوتات حيوانية أخرى . أما في نهاية المعبد فقد شوهدت مجموعة تماثيل نسوة عاريات كن يُعَبّرن عن قوة الربة شاووشكا في الحرب والجنس ، وقد دونت على مداخل هذه المعابد على العموم عدداً من النصوص الكتابية . ومن جهة أخرى ، فإن منصة القرابين بنيت على شكل مواقد كانت تسمى بالخورية (خوبروخشي) تتقدمها دكة للصعود وتحيطها أقداح (أخروشخي) لغرض ملئها بمواد مُعطرة ، وبجانب المنصة يوضع كرسياً (كيشخي) وأمامها توجد مقصورات (ناتخي) ، وأثناء تقديم القرابين كان الكاهن يصعد على هذه المنصة ويُجلب الخروف ليُذبح أمامه ويقوم شخص آخر بتنظيف أحشائه(١٥٧) ثم يقرأ الكاهن بعض الأدعية للنذر ويسهر المعنيون بأمور المعبد طوال اللّيل لكي يتنبئوا بما سيحلمون به . ولا ريب في أن هؤلاء كانوا يقومون كذلك بمراسيم دفن الموتى من البشر وإن كنا لا نملك دليلاً على ذلك كما نملكها بعد وصول الهنود الآريون إلى كوردستان .

ومهما يكن الأمر ، فإن التصورات حول الوجود المادي وواجب الإنسان نحو العالم الغيبي والتكهنات والروايات والقوانين والنظريات التي صاغها السوباريون كانت توسطاً بين آرائهم الذاتية وتأثيرات الأساطير السومرية والبابلية . ومن الجدير بالإشارة إلى أن

---

(١٥٧) أثناء إجراء مراسيم القسم ،كان في معابد كوردستان تُذبح الطيور أيضاً ، وما يورد في العهد القديم حول هذه العادة إنما مشتقة من الخوريين الذين إستوطنوا في فلسطين ، ويمكن ملاحظة الإصطلاح الخوري (يم) كمعبود يورد إسمه غالباً في الإصحاح ٢٨ من سفر صموئيل الأول . كما قُدم في كوردستان حيوانات أخرى كالثور والماعز والحمار قرابيناً لإستئصال غضب الآلهة .



من الأعمال الفنية المكتشفة في مدينة نوزي

الخوريين ترجموا كُتباً دينية بابلية تتعلق بهذه المواضيع إستعارها منهم الحيثيون بالأنضول ومنها ما تُشاهد في روايات (باروتو وشوما أيزبو و إينوما آنو إنليل) ، كما شوهدت في نصوص الألواح المكتشفة في حتوشا كلمات خورية مقدسة مثل (إتخي «بمعنى الإيمان») . وقد وصلت هذه الألواح بنُسخ عديدة إلى بلاد الحثيين من جنوب شرقي آسيا الصغرى (كوردستان الحالية) وكانت تحتوي على بعض الحواشي التي تزج بالملاحظات المحلية . فعلى سبيل المثال ، فإن سلسلة (إتكالزي) كانت تتكون من عدة نسخٍ تحوي إحداها عشر لوحات جُلب إلى هنا من مدينة شابينوڤا . وبغض النظر عن التباين في إفتتاحيات النصوص ، فإن الأحاديث المتعلقة بالطقوس تبدأ دائماً بكلمة (الطهارة والإيمان) ثم تستمر في الحديث عن القضايا المادية كالفضة والمياه والزبدة واللازورد والأرز وغيرها من المواد ، ولكل هذه الأسماء أدعية خاصة ، أما الكلام عن القوس والسهم فكان دعاءاً لإبعاد الدنس .

وبالإضافة إلى المعلومات المذكورة أعلاه ، فإن أساس الإعتقاد في كوردستان كان يقوم قديماً على فكرة تعاقب سلطة الآلهة كالتي نشاهدها في أسطورة إينوما إيليش (عندما كان في العُلى) البابلية وفي أشعار هزيود الإغريقي . فإله السماوات آنو (السومري) دخل ، بإعتقاد الخوريين ، في صراع مع إبنه كوماربي (رئيس المجمع الإلهي) حيث نزع الإبن السلطة من أبيه ثم حال دون تقربه من إبنه تيشوب رب الصواعق ، تماماً كما يشير هزيود إلى أن كرونوس الذي قضى على أبيه أورانوس لكي يُبقي السلطة في النهاية بيد إله الصواعق زڤس . فكل هذه القصص والحكايات الأسطورية الخورية التي شوهدت في النصوص المكتشفة بكوردستان وخارجها ، إنما تُشكل أدباً سوبارياً رفيع المستوى سادت خلال الألف الثاني قبل الميلاد في أغلب مناطق الشرق الأوسط والأدنى . وقد أضاف المهاجرون من الهنود الآريين في أواسط هذه الفترة الزمنية مبادئ دينية جديدة على هذه المعتقدات السوبارية ، وخاصة عندما أعترف الزاگروسيون بمعبودات مثل ڤارونا وميثرا







مجموعة من تماثيل الإله ميثرا في القرن الرابع الميلادي

وإندرا وناساتيا أعضاءاً في بانثيونهم (مجمعهم الإلهي)(١٥٨) . في الواقع كان للإله آسورا (سوار أو شوار) ، وهو سورياش عند الكاشيين وأسوارا في نصوص الڤيدا بالهند وآهورا

---

(١٥٨) كان ڤارونا إله النظام والأخلاق الذي إشتهر عند الإغريق بأورونوس *Ouronos* ، وإعتبره الميتانيون راعياً للطبيعة والشرائع التي سميت عند الرومان بريتا *Rita* المشتقة من كلمة (أرتا «الطاهر») الآرية ، بينما ظل إندرا إله الشهوة والحرب وتشير نصوص الفيدا إلى أنه كان حسب المعتقدات الهندية رئيس المجمع الإلهي ، وبالإضافة إلى كون ناساتيا ربة الحب والجمال ، إلا أنها كانت في نفس الوقت إلهة الحقيقة . أما ميثرا (ميهرا) فكان رب المواثيق ونور الصباح وإعتبر القدماء الشمس التي لا تُقهر رمز هذا المعبود في الطبيعة ولا يزال هذا الرمز مقدس من قبل الفرق والطوائف الدينية في كوردستان مثل الزازا والكاكئية والعلي ألّلهية والإزدية والشبك .

توسعت رقعة عبادة ميثرا في العصر الهلليني حيث شملت البلدان الواقعة بين الهند وقارة أوربا ، وبدأ الملوك الآسيويون يحملون ألقاب تتركب من إسمه كميثرادات (وفي الإيرانية مهرداد «عطاء ميثرا») ، وكان الناس يصورونه في هذه الفترة كفتى جميل ينحر بسكينه ثور السماء لكي يسقي بدمه سنابل الأرض . ومنذ عام ١٣٦م صنع فنانوا الرومان مئات التماثيل لهذا المعبود كانت تحيطها حيوانات رمزية ويحف بها شابان يحملان المشاعل بأيديهما ، وقد شجع بعض الأباطرة الرومان عبادته مثل كومودوس (١٨٠م – ١٩٢م) وسيبتيموس سفيروس (١٩٣م – ٢١١م) وكاراكالا (٢١١م – ٢١٧م) ، كما بُنيت له عدد كبير من المعابد في بلدان مثل إيطاليا وإنجلترا وإسبانيا وفي وديان نهر الراين والدانوب .

لقد قاوم الميثرائيون المسيحية عند ظهورها ، لكن سياسة الدعم والتشجيع التي إتبعه كومودوس لم تثمر بنتيجة إيجابية ، لأن دستور أورليان قد أهمل عام ٢٧٤م عبادة ميثرا ، لكن إنفيكتوس وهب إعتباراً لهذا المعبود الذي إبتعد عن عبادته الجماهير رغم إعتراف الإمبراطور دقلديانوس عام ٣٠٧م به كحامي الإمبراطورية الرومانية ، ثم إنتعشت عبادته زمن يوليان (٣٦٠م – ٣٦٣م) الذي مجّد الميثرائية وإحتقر المسيحية ، لأن الأولى كانت دين العسكر قامت على أساس النظام وضبط النفس والرجولة ، وهي الأسس التي إحتاجها الحكم الروماني والأباطرة بالذات ، وفي الوقت نفسه كان إلهاً شفيعاً وتتطهر النفوس بأداء شعائر عبادته بجلال وروعة في المعابد المظلمة المبنية على شكل سراديب تحت الأرض وكان يتحسد من خلال علاقته مع الكواكب السبعة بسبع مراتب ذات ألقاب فخمة .

المذكور في كتاب ثافيستا زرادشت وآوور الكوردي (هور أو خور) أعلى منزلة بالنسبة لكل هذه المعبودات في ذلك المجمع ، وكان الميتانيون يرمزون له بقرص الشمس البارز المجنح بجناحين الذي قلده من بعدهم المصريون والآشوريون والإيرانيون . ومن جهة أخرى ، كان الميتانيون يُبقون على طقوس عبادة آلهات البلاد المفتوحة ويكرمونها ويعتبرونها أعضاءاً في مجمعهم الإلهي خشية سخطها وغضبها ، وقد وردت أسماء هذه المعبودات في ذيل المعاهدات الميتانية التي سُجلت نصوصها تحت بركة تيشوب وخيبا وآلهة السموات والأرض والريح والسحب وجبال كوردستان وأنهارها (الدجلة والفرات والزابين) . وعلى هذا الأساس زادت مسؤولية وواجبات الفرد تجاه أمور السماء كما زاد عدد معابد هذه الآلهة على الأرض .

وبناءاً على دور معبودات الهنود الآريين في تنظيم العقائد الدينية لسكان مرتفعات زاگروس وكوردستان خلال الألف الثاني ق. م. فإن تقبل مبادئ الدين الزرادشتي التي تتركز أصلاً على تنظيم وتطوير تلك العقائد كان من الأمور الطبيعية التي تقبلتها ذهنية سكان هذه البلاد في أواسط الألف الأول ق. م. حيث وجدت في مستوطناتها أرضية صالحة لإنتشار مبادئها ، لكن زرادشت يُعتبر مُصلحاً ومُنظّماً للعقائد الآرية إضافة إلى أنه طَوّر صفات المعبودات ، بإستثناء ميثرا ، وحوّلهم إلى ملائكة أو جان تماماً كما فعلت اليهودية والإسلام بالنسبة لأعضاء المجمع الإلهي في العقيدة الكنعانية .

لقد حيّر ميثرا المسيحيين الأوائل وأقلق بالهم ذلك التشابه بين دينهم وبين الميثرائية ، ذلك أن ميثرا لم يكن له الأب فحسب ، وإنما نذر كهنته أنفسهم للرهبنة مع العذروات اللاتي إنقطعن لعبادتهإضافة إلى أن شريعته كانت تقول أيضاً برجعته إلى الحياة حيث يسبقها وقوع محن وشدائد ، ويقوم ميثرا ليهبهم الخلود ثم يقضي في النهاية على الشر بنيران ينزلها من السماء . وعلى هذا الأساس ، بدأت الكنيسة تجامل ميثرا بمجاملة عظيمة بإحتضان عيده الأكبر الذي يقع في ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) إذ إعتبرته عيد ميلاد المسيح . وفي العصر الساساني إعتبرت الكورد هذا الإله ميراً (أميراً) فإشتقوا هذه الكلمة في الواقع من إسمه (ميهرا ← ميهر ← مير) .

أما من ناحية تطبيق بعض المراسيم لدفن الموتى ، فلنا بعض الشواهد حول التغيرات التي حصلت على هذه التقاليد بين فترة وأخرى . فالملك توشراتتا الميتاني بَلّغ فرعون مصر في إحدى رسائله أنه صنع ضريحاً لجده ، بينما أحرقَ حثمان الملك باراتارنا حسبما يرد هذا الخبر في سجلات مدينة نوزي . وفي وقت لاحق لا نرى ضريحاً لأي ملك ميدي ، بينما بنى الإخمينيون ضريحاً لكورش ولا يزال يُرى سالماً في أطراف برسيبوليس ، وعندما إعترف داريوس بآهورا رب الخير والبركة كما نقرأ ذلك في كتابات بهستون ، بدأت تقاليد حرق الموتى تعود مرة أخرى إلى المجتمعات الإيرانية حتى مرحلة ظهور الإسلام .



آهورا مازدا

البـــاب الثــــاني



الباب الثاني

الكورد وكوردستان

الفصل الأول

كنية الكورد

الكورد [وفي الكوردية : كورد ، كورمانج ، كورداس ، كوردان ، كورْدَله ، وفي الفارسية : كرد وكردها ؛ وفي التركية : *Kürt, Kürtler* ؛ وفي الأرمنية : *Kurt, Kurtêr* وفي العربية : الكُرد و الأكراد] ، كنية عامة لمجموعة أثنية متميزة يُقدّر عدد أفرادها الآن بأكثر من ٢٥ مليوناً من الأنفس(١) نشأوا كأمة متميزة في مرتفعات زاگروس

---

(١) تلاعب المسؤولون المحليون في كل من تركيا والعراق وإيران وسوريا بعدد نفوس الكورد أثناء الإحصاءات الرسمية ضمن حدودهم الرسمية . ففي كوردستان الجنوبية ومنذ إحتلالها من قبل البريطانيين سجّل هؤلاء مع الأتراك أرقاماً متفاوتة وفصلوا الإيزديين عن الكورد المسلمين والمسيحيين *Y. de V. Loder, The Truth about Mesopotamia, Palestine and Syria, London 1923, P. 214* وقد شاركنا رسمياً في العهد الملكي بالعراق كعداد ضمن حدود متصرفية كركوك في عملية إحصاء عام ١٩٥٧م ، وعند مقارنتنا نتائج هذه العملية ومثيلاتها التي جرت في المناطق الكوردية الأخرى مع عمليتي إحصاء ١٩٤٩م و ١٩٦٧م أثناء تحضيرنا لرسالة الدكتوراه ببلغاريا بين عامي ١٩٦٨م – ١٩٦٩م ظهر لنا بالإستناد إلى التزايد الطبيعي في كوردستان الجنوبية أن نفوس الكورد يقرب كلياً من عشرة ملايين ونصف المليون في جميع أنحاء كوردستان : راجع الفصل الأول من رسالتنا المعنونة :

Студи Върху Историята На Кюрдистан В Древноста, София, 1973.

وطوروس بغـرب إيـران وجنـوب شـرق الأنضـول وشمـال وادي الرافديـن وفي مقاطعـات

وكان كل من باسيل نيكيتين وبروك وعبد الرحن قاسملو وعصمت شريف وانلي وإدموندس وغيرهم أعطوا أرقاماً متباينة ، راجع :

Basil Nikitine, Les Kurdes, Paris 1958, P. 42 S. I. Brouk, L'ethnographie, 1958, P. 30 (C, И, Брук, Неселение Мира, Етнографическю Справочник, Москва 1986) ; A. Ghassemlou, Kurdista a Kurdowia, Bratislava 1956, P. 23; C. Vanly, Le Kurdistan Irakien, 1970, P. 30 ; C. J. Edmonds, Kurdish Nationalism, in Journal Count. Hist. VI / 1 (1970), 92

وحددوا نفوس الكورد بالملايين على النحو التالي :

	١	٢	٣	٤	٥
تركيا	٤,٥٠٠	٢,٥٠٠	٤,٩٠٠	٦,٦٠٠	٣,٢٠٠
إيران	١,٥٠٠	١,٨٠٠	٣,٣٠٠	٤,٢٥٠	١,٨٠٠
العراق	٠,٥٠٠	٠,٩٠٠	١,٥٥٠	٢,٠٠٠	١,٥٥٠
سوريا	٠,٥٠٠	٠,٣٠٠	٠,٢٥٠	٠,٥٠٠	٠,٣٢٠
قفقاسيا	٠,٢٥٠	ــــ	٠,١٠٠	٠,١٥٠	٠,٨٠
المجموع	٧,٢٥٠	٥,٥٠٠	١٠,١٦٠	١٣,٥٠٠	٦,٩٥٠

وفي مجموعة بحوثه التي نشرها الدكتور جمال نبـز عام ١٩٧١م كان رأيه عن نفوس الكـورد يتقـارب مع رأينا . وقد أضاف المترجم كوردو علي على هامش هذه البحـوث الـتي ترجمهـا مـن الألمانيـة إلى الكوردية عام ١٩٨٥م وطبعها في كتاب أسماه (كوردسـتان وثـورتـها) بعض الملاحضات الإضافيـة المستخلصـة من رسالة دكتوراه الآنسة هـانـا كيوشـلر *Hannelore Küchler* الـتي تشـير إلى أن نفوس الكورد في نهاية السبعينات كانت (٢٠ مليوناً) . حول هذا الموضوع راجع بالألمانية :

Hannelore Küchler, "Eine Theoretisch Methodologisch Betrachtung und Eine Exemplarische Zum Selbsverständnis der Untersuchung Kurden", Frei

متناثرة في كل من شمال سورية وأرمينيا وآذربيجان سُميت بأجمعها في مطلع العصر

Universtät, Berlin, 1978, s. 535

تعطي دائرة المعارف البريطانية آراءاً متباينة وتحدد دائرة وينكلر الكبيرة الهولندية هذا العدد فيما بين ١٥ – ٢٠ مليوناً [راجع *Grote Winkler Prince Encyclopedie 13 (Koerden), Amsterdam - Elsevier - Antverpen 1991, P. 469*] بينما أشار عصمت شريف وانلي في الثمانينات إلى العدد ٢٢,٥ من الملايين كأقرب رقم لنفوس الكورد [راجع مقاله المعنون : حول الإستراتيجية السياسية والعسكرية للحركة الوطنية الكوردية ، مجلة الدراسات الكردية *KURDICA* العدد ١ – ٢ ، كانون الثاني ١٩٨٥ ، ص ٣١] ، في حين قدّر كل من [الدكتور كمال فؤاد ، المدخل إلى كتاب محمد أمين زكي ، تأريخ الكرد وكردستان ، لندن ١٩٨٦م] وصلاح بدر الدين [الأكراد شعب وقضية ، بيروت ١٩٨٧م ، طبعة دار الكتب] هذا العدد بـ ٢٠,٧٠٠,٠٠٠ عام ١٩٨٤م و ٢٦,٣٠٠,٠٠٠ عام ١٩٩٠م ، ثم أوصل الأستاذ ألياس حرفوش في ١٩٩١م هذا العدد إلى ٣٠ مليوناً [راجع مقاله المعنون : سقوط المناطق الكردية في العراق ، المجلة الدولية ، العدد ٥٨٢ ، نيسان ١٩٩١م] بينما أوصله مؤسسوا البرلمان الكوردي في أوربا عام ١٩٩٥م إلى ٤٠ مليوناً . وقد وزّع أورانسكي ، المتخصص الروسي في اللغات الإيرانية عام ١٩٨٨م الوجود الكوردي في كوردستان على النحو التالي :

« تركيا ١٠ ملايين ، إيران ٥ – ٦ ملايين ، العراق ٤ ملايين ، سورية ١ مليون » راجع بالروسية

И. М. Оранский, Введение в Иранскую Филологию, Москва, 1988

وفي السنين الأخيرة ، وبعد مناقشة أوضاع التلاعب الرسمي بنفوس الكورد عامة ، يحدد فان براونسن عددهم بين ١٣,٧ و ١٤,٢ مليون نسمة . [راجع الفصل الأول من كتاب (الآغا والشيخ والدولة) لمارتن فان براونسن] . حول نفس الموضوع راجع كل من بروك ، نفوس العالم ، القاموس الأثنوغرافي ، موسكو ١٩٨٦م ولازاريف ، الكورد والمسألة الكوردية ، آسيا وأفريقيا اليوم ، موسكو ١٩٨٣م :

С. И. брук, Неселение Мира, Етнографическию Справочник, Москва 1986 ; М. С. Лазарев, Курди и Курдский вопрос, Азгия и Африка Севодния, 1983

التركي بكوردستان(٢) . وقد أشار حاجي خليفة (إستنبول ١٦٠٩م – ١٦٥٨م) في جهان نما (ص ٤٥٠) إلى أن هذه الكنية ترادف مفهوم بهادر (البطولة) وأنحدر أشهر الشجعان في التأريخ من هؤلاء .

لم تُدَوّن أحوال الكورد بالتفصيل قبل العصر الإسلامي ، فصنّفها المستشرقون ضمن تأريخ الشعوب الإيرانية بناءاً على القرابة اللغوية بين الكوردية والفارسية (٣) ، غير أن

---

(٢) عاشت الكورد في التخوم القفقاسية منذ هجرة القبائل الميدية إليها في القرنين ٨ – ٧ قبل الميلاد حيث إنتشروا خصوصاً على منحدرات وسفوح جبل آرارات وفي مقاطعات قاقزمان وتوزلوجه إچميادزين وأوكتوميريان وأشتراك وتالين وأرا گاتس ، وفي آذربيجان إستقروا في كل من كَلْبَجار ولاچين وكوباتلين وزنگيلان . لزيادة المعلومات حول هذا الموضوع راجع دراسات حول تأريخ قفقاسيا في كتاب مينورسكي :

V. Minorsky, The Studies On Caucasian History, London, 1953, PP. 125-126.

وراجع أيضاً كتابنا «لقاء الأسلاف ، لندن ١٩٩٤م » . وفي القرنين ٨ – ١٠ توسعت رقعة الحكم الكوردي في قفقاسيا بعد الفتوحات الإسلامية على حساب الأقوام المسيحية كالأرمن واللان والجيورجيين حيث أدى هذا الواقع إلى إيجاد نفور تأريخي عام لدى مسيحي قفقاسيا تجاه الكورد فحاربوا الوجود الكوردي بمساعدة الإمبراطورية البيزنطية في قفقاسياً سياسياً وإجتماعياً وثقافياً وإستمر هذا الصراع حتى ظهور النظام الشيوعي في هذه البلدان حينما وجد جوزيف ستالين الجيورجي المنشأ حلاً عنصرياً لهذه المعضلة حينما قضى على «حكومة كوردستان الحمراء السوفيتية» التي نشأت في لاچين بعد ثورة أوكتوبر ثم بدأ بترحيل الكورد من قفقاسيا إلى جمهوريات آسيا الوسطى السوفياتية ، وكان آخر شيوعي إستمر في تنفيذ هذا المخطط هو غورباتشوف . ومع ذلك ، وبالإضافة إلى أولئك الذين يعيشون في كل من يريفان وتبيليسي وباكو ، فقد ظلت ٣٥ قرية في مقاطعات أپاران ، باسارگيچار ، هوكتومريا ، تالين إچميادزين بأرمينيا و ٢٥ قرية في كيلبيجان ، لاچين ،وكوباتلي بآذربيجان كوردية خالصة . حول هذا الموضوع راجع دراسات السيدة أريستوفا حول كورد قفقاسيا : *Аристова, Курдий Закавказия, Москва, 1964, Стр. 47*

(٣) حول هذا الموضوع ومنذ عام ١٨٦٤م يقول كلارك ويليام بناءاً على آراء بيتر ليرخ ما يلي :

بُنْيتهم وسِماتهم ، بنظر هؤلاء ، تختلف من منطقة إلى أخرى ، وحسب إعتقاد عدد منهم ، فإن العناصر الكوردية وصلت إلى مرتفعات زاگروس أصلاً من الشرق (إيران) إستناداً على ما تشير السجلات الآشورية إلى بعض الأحداث المتعلقة بقبائل الكورطي *Kur-ṭi-e* الميدية التي دخلت إلى قلب كوردستان الحالية كمجموعة أثنية متميزة خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد(٤) . ومع ذلك ، فإن مسميات جغرافية وردت في

«The differences of the Kurdish from the Persian took root, in great part, in the very early separation of the Kurds from the Iranian main trunk. » . Hörnle says, having no regard to the Persian, since this would have obscured that an acquaintance withe how ever, remarks that Garzoni has done well in experimental and impartial view he tok of the material of the language. He who enters upon the study of the Kurdish with the Persian is indispensable for a right understanding of the Kurdish language. Rödiger, knowledge of the Persian overcomes, it is true, the first ... difficalties, but, at the same time, he runs the risk of disturb ... ing his objective stand-point, since the comprehension of a language depends upon phililigical accuracy ; in this case, he would not be at pains to expound or explain the language out of itself. Cognate and other similar languages, out of which much can be borrowed, should be used only as secondary helps.

Michaelis, after having given the Kurdish language much attention, draws the following conclusion with respect to the Kurds themselves, that "the belong to the great Medo-Persian family, and if they are the descendants of the old Chaldeans, who formerly inhabited these mountains, they are also related to the Medes and Persians, and are altogether a different people, in language and descent, from the Assyrians, Syrians, and Babylonians. " .

cf. Clark William, Rev., "The Kurdish Tribes of Western Asia, " The New Englander, Vol. 23, issu 86 (January 1864), PP. 34 - 36 .

(٤) يُعتبر الكورتيون من الإتحادات القبلية المحاربة الرعوية الميدية القديمة التي هاجرت من آتروپاتين (آذربيجان) إلى كوردستان الشمالية في مطلع الألف الأول قبل الميلاد على أغلب الإحتمال وواجهت بالطبع ضغوطاً كثيرة أثناء إستقرارها في القرى الزراعية للسكان المحليين من الزاگروسيين ، وقد حارب تيغلات بلاصر الآشوري هذه القبائل في جبال آزو التي تتطابق مع جبال حزو قرب

سجلات السومريين والأكديين قبل هذه الفترة بأكثر مـن ألـف سنة مثـل كَـردا - كـا ، كوردا وقردو(٥) المشابهة لكنية الكورد الحالية . والسؤال المثير للجدل بنظر المهتمـين لهـذا الموضوع هو كيفية إنتشار هـذه القبـائل في شمـال وادي الرافديـن وفي مرتفعـات طـوروس وجـزيرة قردى بشمـال سوريا ، وعلى ما يظهر مـن الحـوادث التأريخيـة ، فـإن الفتوحـات الميدية في هذه الأنحاء هي التي فسحت المجال على إنتشار الكورطيين مثلمـا تسـربت قبـائل الزيكورتو (الآساگارتيا) إلى سهل أربيل . ولعل مـا يذهـب إليـه الزميـل ميهـرداد إيـزادي المدرس بجامعة هارفارد في دائرة معارف *Kurdistanica* المربوطـة بالإنـترنيت هـو قريـب جداً لما نذهب إليه حيث يقول :

«... By the 6th century BC, many large tribes which we now find among the Kurds were also present in the southern Zagros, in Fars and even Kirman. As early as the 3rd century BC, the'Cyrtii' ('Kurti') are reportedby Greek, and later by Roman authors, to inhabit as much the southern (Persia or Pars / Fars) as the central and northern Zagros (Kur-distan proper)».

صاصون على حد قول درايفر . راجع هذه المقارنة في :

G. K. Driver, The Name Kurd and Its Philological Connexion, JRAS [1923].

وفي المؤلفات الأرمنية ملاحظات قيمة تشير إلى أن تيكران الكبير ملك الأرمن قـد نقـل بضعـة آلاف من الأسرى الميدين ووزعهم على ضفاف نهر أراكس حيث تعرف بهم المسلمون العرب في القـرن السابع بإسم (الأكراد) ، ويشير المـؤرخ الأرمـني *Chamich* في القـرن الرابـع عشـر الميـلادي إلى أن الميـديين الذين يقال لهم في عصره الكورد إحتلوا أرمينيا : *«Armenia was taken possession of by the Medes, who also known by the name of Kurds or Keurds. »* راجع :

Clark William, Rev., "The Kurdish Tribes of Western Asia," The New Englander, vol. 23, issue 86 (January 1864), P. 32.

(٥) حول هذه المسميات راجع المرجع السابق وكسـينوفون (أناباسـيس) وكذلـك النـص المسـماري المترجم من قبل ثيورو دانجن والمنشور في مجلة الدراسات الآشورية عام ١٩٠٢م :

Thureau Dangin, Revue d'Assyriologie, V, 99, VI, 671.

وإذا كانت المجموعات الأثنية القبلية الميدية المهاجرة قد وضعت مع المجموعات الأثنية الزاگروسية المستقرة على أرض سوبارتو القديمة الأسس الأولى لمقومات القومية الكوردية في التأريخ ، فإن مجموعات أثنية إيرانية أخرى كالگوران والزازا والزنگنه والپهلية (الفيلية) إلتحمت تدريجياً بهذه الأسس وبدأ الجميع يعيشون عبر تأريخ مشترك وتحت كنية عامة واحدة وعلى أرض مشتركة ولهجات متقاربة للغة كانت ولا زالت تُعبّر عن ثقافة مشتركة .

اللغة الكوردية :

تشير الموسوعة البريطانية (مادة الكورد) إلى أن اللغة الكوردية تعتبر من اللغات الإيرانية الغربية ، لها علاقة باللغتين الفارسية والپشتو وهي الثالثة من حيث عدد ناطقيها . ورغم هذه العلاقة ، فإن الكوردية تعتبر مستقلة لها قوانينها الصرفية والنحوية الخاصة تطورت عبر التأريخ في كوردستان وإستوعبت على أرضيتها من اللغات البائدة مجموعة من المفردات والسابقات واللاحقات الزاگروسية ثم تسربت إليها عن طريق لغة آفيستا المقدسة والعهد القديم والقرآن بعض الأصوات والمفردات الهندو - الإيرانية والآرامية والعربية ، وتنقسم هذه اللغة الآن إلى لهجتين ، الشمالية والجنوبية ، ويشتهران عند الكورد بالكورمانجية ، وهناك بجانب اللهجتين بعض اللهجات المحلية أيضاً كاللورية والگورانية والديملية (الزازائية) .

يُشير ثيودسيوس دوبزانسكي في كتابه [تطور الجنس البشري ، القاهرة - نيويورك ١٩٦٩ ، ص ٨٦ وما بعدها ، ترجمة د. عبد الحليم منتصر] إلى أن معرفة الإنسان للغة رمزية تعتبر من أهم الصفات المميزة له عن الحيوانات ، إن لم تكن أهمها جميعاً ... وإذا كانت القدرة على تعلم أية لغة تتحكم فيها الوراثة ، فإن اللغة المعينة التي نتعلمها إنما نأخذها عن الثقافة التي ننشأ في أكنافها . وبالإضافة إلى هذه الحقيقة ، فإن اللغة التي



أميـر كوردي من القرن التاسع عشر

نتكلمها ليست مجرد أداة إتصال فقط ، ولكنها تصيغ تفكّيرنا وهي وسيلة لتوجيه تفكير متحدثيها . وعلى هذا الأساس تُعتبر اللغة واحداً من الشرايين التي عن طريقها تحدث البيئة الثقافية تأثيرها الإنشائي على الشخصية الإنسانية . فالناس الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة لا يختلفون عن بعضهم البعض فيما يأتون من أفعال فحسب ، ولكن لهم أساساً سلوكياً مختلفاً ، وأنهم يعملون وفق مبادئ مختلفة ويبينون الحقيقة على صورة مختلفة ، وينسقونها بطريقة مختلفة ، واللغة أداة فعالة بدرجة كبيرة في عملية التنسيق هذه . فمثلما كانت الكلمة السومرية المركبة (آب – لال «مسكن – معلق») تعني (العش) ، وعلى هذا النمط تصيغ الكورد كلمة (الزيارة) العربية بصيغة (سەرلێدان *serlêdan* «ضرب الرأس») وهي ظاهرة قديمة كان أجداد الكورد يُزاولونها أثناء زياراتهم لبعضهم البعض ، كما كان لدى السومري طريقة خاصة للتعبير في مراحل نموه الذهني الأولى على خلاف الأكدي ، فلم تكن للفظة السومرية مثلاً تصريف كالأكدية ، فكانت تبقى بنفس الصياغة في جميع الحالات . فالكلمة المركبة (لو – كال «الرجل – الكبير») قابلتها (مَلْكا) في اللغات السامية وهي مشتقة من مصدر التملك . وإذا قارنا بين الإنجليزية والروسية ، نجد أن أزمنة الأفعال تستعمل فيهما بأشكال مختلفة . وبمعنى آخر ، أن الإختلافات التي تحكمها العوامل الوراثية بين طرائق التفكير في الجماعات المختلفة من الناس قد تنعكس على لغاتهم ، وهذا ما ينطبق كذلك على اللغة الكوردية .

أما اللغة الأدبية الكوردية المدونة فبدأت مسيرتها الجادة منذ القرن الحادي عشر الميلادي في بايزيد وهيكاري وبوتان وباللهجة الكورمانجية الشمالية ، ثم لم يلبث أن إزدهرت باللهجات الأخرى ، وكان معظم مدونات هذا اللغة قصائد شعرية ترتكز مضامينها على إحياء المثل العليا والتقاليد الكوردية العريقة وأنها تشكل المواضيع الرئيسية للملاحم والحكايات والأساطير الشعبية والغزل . ولا يزال هذا الأدب زاخر بموضوعاته ، وأول ما يدهش له الإنسان عند القيام بدراسته هو غزارة القصائد الشعبية الكوردية ،

وإن أكثر تلك القصائد تتحدث عن الحروب والمغامرات والحب ووصف الطبيعة . والمجتمع الكوردي يتناقل الحكايا في كل مكان من بلاده ، حكايا وقصص تدور حول مواضيع الفروسية والشجاعة ، والمروءة والنخوة ، والصفح والإنتقام ، كما فيها حكايات كثيرة عن التقاليد القومية والأحداث الواقعية كملحمة الدفاع عن قلعة دمدم التي غزاها الشاه عباس الصفوي في القرن السبع عشر الميلادي ، يترنم بها الكورد بحب وإعجاب وهي تحتوي على أحداث واقعية . وهناك محاولات لوضع الفولكلور الكوردي في صرح أدبي مدون ليقتبس منه المسرح والأدب المسرحي ما يفيده . ولعل أهم الملاحم الشهيرة عند الكورد قاطبة هي ملحمة (مم وزين) التي نظمت في شعر ونثر مسجوع تغنى في جميع الوطن الكوردي . والواقع فإن للأساطير بعض الأثر في بناء بواكير أدب الرواية الشعرية في كوردستان . أما الفن الشعري فواسع جداً عند الكورد أيضاً وإشتهر بينهم أدباء وشعراء تركوا مؤلفات قيمة باللغة الكوردية وكتب بعضهم بالعربية والتركية والفارسية وأقدمهم هو بابا طاهر الهمداني (٩٣٥م – ١٠١٠م) الذي نظم قصائده باللهجة الفيلية (اللورية) وهي قريبة من اللغة التي كانت تسود في الإمبراطورية الساسانية ، ثم علي الترموكي من مقاطعة هيكاري (القرن الحادي عشر الميلادي) الذي وضع مؤلفاً ممتازاً في الصرف والنحو الكوردي باللهجة الكورمانجية الشمالية ، وكان مغرماً بالفنون الجميلة ومولعاً بالتدريس وترجمت نخبة من قصائده إلى الفرنسية منها (كلمة واحدة) و (أبناء وطني) و (عقد ياقوت) و (إن كانت الحياة نومة) . ثم برز شاعر متصوف هو الشيخ أحمد الجزيري (١٤٠٧م – ١٤٨١م) من منطقة بوتان وله (ديواني حزيري) . أما ملا أحمد باتي (توفي في ١٤٩٢م) وعلي حريري (١٤٢٦م – ١٤٩٥م) وبيساراني (١٦٤١م – ١٧٠٢م) ونالي (١٧٩٧م – ١٨٥٥م) وسالم (١٨٠٠م – ١٨٦٦م) ومولوي (١٨٠٦م – ١٨٨٢م) وكويي (١٨١٥م – ١٨٩٢م) فيُعتبرون رموز قمة الشعر الكوردي ، كما أن هناك شعراء حديثين تناولوا مختلف ضروب الشعر منهم شيخ رضا

الطالباني (١٨٣٥م – ١٩٠٩م) وسالمي سنه (١٨٤٥م – ١٩٠٩م) ومجدي (١٨٤٩م – ١٩٢٥م) وبيره ميرد (١٨٦٧م – ١٩٥٠م) وناري (١٨٧٤م – ١٩٤٠م) وزيور (١٨٧٥م – ١٩٤٨م) وأحمد مختار (١٨٩٧م – ١٩٣٥م) وبيكهس (١٩٠٥م – ١٩٤٨م) وغيرهم . وفي القرن العشرين برز فى الأوساط الأدبية الكوردية شعراء عبّروا عن قضاياهم الوطنية ومعاناة أبناء أمتهم بعد تقسيم موطنهم الكبير كوردستان كـ(هژارو هيمن وگوران) وغيرهم .

بالإضافة إلى ما ذُكر ، فإن التراث الشعبي الكوردي (الفولكلور) على جانب كبير من الثراء كما يشهد على ذلك منذر الموصلي(١٤) وقد توارثت الأجيال عن طريق الرواة والقصائد والأغاني التي تقص تأريخ الأحداث الغابرة فلم يأت عليها النسيان ، تلك الأحداث التي لا تخلو من لمسات إنسانية وعاطفية مع رومانسية واضحة تبرز هيكلية بناء الحكاية وحوارها وخواتيمها ، ولعلها لا تخلو أبداً من تقديس روح الشجاعة والبطولة والإيثار . وغالباً ما نسمع أحداث المعارك أو قصص الحب والصراع من أجل البقاء من خلال الأغاني الشعبية المعروفة بـ(لاوك وحيران) .

ومن الطبيعي أن تحتل الأسطورة أو حكايات الأساطير أو الخرافات مكانة بارزة في الأدب الشعبي الكوردي ، لأن الأسطورة تلازمت دائماً مع الحياة الفطرية الأولى والبدائية للشعوب القديمة ، وهي شعوب إتسمت بالقدرية وبالخضوع لقوى الطبيعة وما ورائها كما تلائمت الأسطورة مع أوضاع هذه الشعوب وحوادث عصرها والمفاهيم التي كانت سائدة فيه حول الجن والعفاريت والأبطال الأسطوريين والحكايا الغريبة المهولة والخرافات التي يقيس الفكر الإنساني من عوالمها المجهولة تخيلاته المرهفة وأساطيره المشرقة الجميلة . وهذه القصص المحكية التي تكون عادة مجهولة المؤلف تُعد بالمئات عند الكورد وتتركز

---

(١٤) راجع منذر الموصلي ، عرب وأكراد ، بيروت ١٩٨٦م ، ص ٣٣٩ .

مواضيعها بوجه خاص ، حول الحب والقتال والمرأة والشجاعة والرجل المحارب وعاقبة الخيانة والغدر ، وتتحدث عن صراع الإنسان الكوردي ضد الكوارث الطبيعية وضد الغزاة وفي مواجهة الوحوش الجبلية الشرسة ، تذكر قضايا البؤس والفقر ، كما تتحدث عن ظلم ومظالم الحكام والأمراء وجشعهم ، وعن حب الوطن والأهل ، ويكون جميع هذه الحكايات مرآة عصرها تعكس إلينا المفاهيم الروحية للكورد في الماضي .

الكورد تحت ضوء الأنثروبولوجيا البايولوجية :

تتركب الكلمة اليونانية أنثروبولوجيا من *Anthrop* (الإنسان) و *Logy* (العلم) أي (علم دراسة الإنسان) . ينقسم هذا العلم إلى قسمين رئيسيين ، هما : الأنثربولوجيا الفيزيقية أو البايولوجية ، والأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية ، ويختص أول هذين القسمين – وهو الأنثروبولوجيا البايولوجية – بدراسة تطور الإنسان وسلوكه ، وكذلك الخصائص اليايولوجية العديدة التي يتباين فيها البشر القدماء والمحدثون . لقد تعرضت الأنثروبولوجيا البايولوجية في القرن الماضي لقدر كبير من التغير والتخصص يفوق أي فرع آخر من فروع الأنثروبولوجيا ، سواء من حيث درجة تعقد المشكلات التي تدرسها وتنوعها ، أو دقة أساليب البحث التي تستخدمها , وكان الجانب الأكبر من الأنثروبولوجيا الفيزيقية يقوم في الماضي على الملاحظات المورفولوجية والقياسية الموحدة عن الهياكل العظمية . وكذلك عن الشعوب المعاصرة وأقارب الأقربين من العالم الحيواني . كما كانت الأنثروبولوجيا الفيزيقية تقوم في تلك المرحلة على إستخدام بعض التحليلات الإحصائية البسيطة نسبياً . وكانت قامات الأفراد ، وأحجام الجمجمة ، والأبعاد الجسمية المختلفة تقاس ، وتصنف الشعوب طبقاً لبعض المعايير الواضحة (الظاهرة) إستناداً إلى المتوسطات التي كانت تحجب مدى النوع القائم . أما المعلومات الإضافية اللازمة فكانت مقصورة على الدراسة التشريحية والفسيولوجية المقارنة ، وعلى دراية محدودة بعلم

الحفريات البشرية ، وتصور مبسط لنظرية مندل في الوراثة . أما اليوم فقد أصبحت الأنثروبولوجيا البايولوجية - إزاء إهتمامها ببعض المشكلات المتخصصة - تعتمد إعتماداً كبيراً على البايولوجيا الجزئية ، وعلى بعض الأساليب الحديثة مثل الهجرة الكهربية *Electro Phoresis* (للدقائق المعلقة) ودراسة الهيموجلوبين ، والمعالجة الرياضية المعقدة لعلم الوراثة . وعلى العموم تنقسم البحوث العديدة المتنوعة في الأنثروبولوجيا البايولوجية إلى ميدانين رئيسيين هما دراسة الإنسان كنتائج لعملية التطور ، ودراسة وتحليل الجماعات البشرية ، وكلا الإتجاهين يركز على موضوع مشترك هو التنوع البشري . والملاحظ أن البشر المعاصرين يتشابهون بعضهم مع بعض تشابهاً كاملاً في البناء الأساسي ، رغم الفروق الموجودة بينهم في المظهر الخارجي ، وأن الوجه الثالث للأنثروبولوجيا البايولوجية هام في هذه الحالة إذ يتمثل في دراسة سبل تفاعل الإنسان مع البيئة التي يعيش فيها ، وآثار هذا التفاعل على طبيعته البايولوجية . وهكذا يمكن أن يضيف هذا البُعد إلى معرفتنا بالظروف التي عملت على تنوع الأشكال البشرية .

إذا كانت الدراسات الأنثروبولوجية قد ظهرت منذ عصر هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) ، فإن كمية كبيرة من المعلومات حولها قد تراكمت مع بدأ عصر الإكتشافات (القرن الخامس عشر الميلادي) وتجمعت هذه المعلومات على يد الرحالة والمبشرين والجنود حيث أمدتنا بركيزة يمكن أن ينهض عليها علم الأنثروبولوجيا . لقد أثمر التراكم التدريجي للمعلومات عن الإنسان وثقافته نتائج ذات شقين ، إذ قادت :

أولاً : إلى بذل جهود علمية لتصنيف الإنسان ، ووصف وتحديد موقعه في المملكة الحيوانية ، وتحديد أنواعه وسلالاته المختلفة ، وبيان تأريخ تطوره .

ثانياً : إلى قيام علم مقارن للثقافات الإنسانية .

ولقد كان العالم لينو *Linnaeus* أول من حاول أن يحصر ويصنف الأجناس البشرية المختلفة حوالي عام ١٧٥٠م مقسما البشر بناءاً على عامل الموقع ولون البشرة إلى أربعة

مجموعات : الأوربيون البيض ، الآسيويون الصفر ، الأمريكيون الحمر ، الأفريقيون السود ثم حدثت دفعات قوية في ميدان الدراسات المقارنة للثقافات خلال الفترة من ١٨٦٠م إلى ١٨٩٠م ، وكان أبرز علماء هذه الفترة السير إدوارد تايلور (بريطانيا) ولويس مورجان (الولايات المتحدة) والسير هنري مَيْن وباخوفين (إنجلترا وألمانيا) ومنذ بداية القرن العشرين ، أصبحت الأنثروبولوجيا تخصصاً أكاديمياً معترفاً به .

وبقدر ما يتعلق الأمر بدراسة الكورد تحت ضوء الإعتبارات الأنثروبولوجية البايولوجية ، فقد ظهرت أمام نظر المهتمين الأوائل لهذا الموضوع الذين زاروا كوردستان في القرن التاسع عشر الميلادي معالم مشتركة بينهم وبين جيرانهم من الأتراك والأعراب والفرس وشعوب ما وراء القفقاس ، ورغم ذلك فإنهم بنظر هؤلاء كانوا يتميزون عن الأمم المذكورة بوضوح تام ، وقد لاحظ كثيرٌ من المستشرقين هذه الظاهرة عند دراستهم سكان كوردستان ميدانياً . وفي نفس الوقت ، ظهرت في آراء هؤلاء تباين وخلاف يتعلق بالمميزات الوراثية عند الكورد المتجانسين وخاصة في روابطهم الدموية (راجع دراسات روفي *(Ruffié, 1972)* . وبقدر ما نعلم ، فإن الدراسات الأنثروبولوجية في كوردستان بدأت قبل قرن ونصف قرن تقريباً من قِبَل كل من دوسي وخانيكوف *E. Duhousse (1863) ; N. V. Khanikoff (1866)* اللذان أجريا دراساتهما ميدانياً في المقاطعات الكوردية التابعة للإمبراطوريتين العثمانية والإيرانية(١٤) . ثم إستمر هوسي *M. Houssay (1887)* في هذا المضمار . أما فيما وراء القفقاس ، فقد درس الكورد من هذه الناحية شانتري وبانتوخوف(١٥) *E. Chantre (1880, 1890) ; Pantukhoff (1891)* .

---

(١٤) *E. Duhousset, Etudes sur les populations de la Perse, Paris 1863 ; N. V. Khanikoff, Mémoire sur l'ethnographie de la Perse, Paris 1866*

(١٥) *E. Chantre, Aperçu sur les caractères ethniques des Ansariès et des Kurdes, in Bull. Soc. Anthrop. de Lyon, I (1882), PP. 164 - 185*

وفي وديان نهري الدجلة والفرات التي كانت تدخل ضمن حدود الإمبراطورية العثمانية درس بيسون *G. Pisson* الأحوال الأنثروبولوجية لسكانها من الكورد(١٦) ، وحتى في جنوب البحر الأسود (قره كوس ونمرود داغ) وفي غرب بحيرة وان وقرب زنجرلي فقد بدأ فون لوشان *Von Luschan (1922)* يدرسهم بجدية(١٧) وفي دمشق إستمر آريينس كَبَرْس *Ariëns Kappers* في تحليل سمات الكورد وأحوالهم(١٨) . وبالنسبة للإزدية بقفقاسيا ، فقد درسهم كل من إليسييف وإفانوفسكي *Ivanovski ; Eliseyev (1887) (1900)* ثم جاء هينري فيلد عام ١٩٣٦م لكي يتعمق أكثر في دراسة إزدية الشيخان وسنجار بجانب دراسته لكورد المدن مثل زاخو ورواندز وعقره وكركوك والسليمانية ، إلا أن بحوثه لم تنشر حتى عامي ١٩٥١م و ١٩٥٢م .

كان أغلب هذه الدراسات تُعبر عن آراء شخصية ، وهي محاولات لعرض نماذج لعدة مئات من أفراد المجتمع الكوردستاني دُرسوا تحت ضوء بعض الإعتبارات العلمية ، وفي نفس الوقت كان بعض الرحالة قد طرحوا أحياناً آراءاً عن الكورد في منطقة ما قضوا ردحاً من الزمن بينهم و لم يقارنوهم بمجموعات كوردية أخرى تعيش على بعد ٦٠٠ كيلومتراً من هؤلاء ، وبما أن البلاد الكوردية واسعة الأرجاء تبدأ من جبال آرارات بتخوم قفقاسيا لحد المرتفعات الجنوبية لجبال زاگرۆس في الجنوب ، ومن همدان في الشرق لحد

---

(١٦) *G. Pisson, Races des hautes vallées du Tigre et de l'Euphrate, in Rev. scient., Paris 1892; xlix (1892), no. 18, PP. 557 - 560, no. 19, PP. 581 - 588 .*

(١٧) *Von Luschan, Völker, Rassen, Sprachen, Berlin 1922 .*

(١٨) راجع :

Arëns Kappers, Contributions to the anthropology of the Near East. v. Kurds, Circassians and Persians, in Koninklijke Akad, van Wetenschappen, Amsterdam, Proceeding, Amsterdam, xxxiv/4 (1931), PP. 531 - 541 .

عفرين قرب البحر الأبيض المتوسط في الغرب ، فإن آراء هؤلاء لا ينطبق على الجميع بدقة ، لذلك قام باشماكوف *A. Bashmakoff* بتصنيف الكورد ضمن مجموعات محلية(١٩) ، فرأى فون لوشان *Von Luschan* أن الكورد الغربيين يتميزون عن الكورد الشرقيين والجنوبيين . فالغربيون ، على حد قوله ، شقر و ذوو عيون زرق وهم من صنف *dolichocephalic* بينما الباقون يميلون إلى اللون البني ذوو عيون سود ومن صنف *brachycephalic* . ومن خلال بحوث كل من السير مارك سايكس ولينتش وسوبرير *Mark Sykes ; Lynch ; Soubrier* ظهر بعض التقارب بين معالم الكورد والعرب واليهود والنساطرة والتركمان . وبنفس الطريقة وبعد أن قَسّم السلالات المتحصلة إلى مجموعات أربع (زاخو ، رواندز ، كركوك - السليمانية ونتيجة المجموعات الثلاث الأولى) وتوخياً لتحديد الشواذ وجد هنري فيلد(٢٠) من بين ٥٩٨ كوردياً ١٦٢ فرداً يحمل ٤٨ منهم طابعاً أرمنياً و ١٢ منهم لهم طابع بلقاني ، بينما ٣٦ منهم ذوو طابع شرق متوسطي و ٣٨ منه أوربي - أنضولي و ٤ إيراني و ١٢ ألبي وواخد منغولي وواحد نيجيري (أسود) ، بينما لا ينطبق هذا المعيار على الإزدية الذين درس فيلد ٢٣٥ منهم وقارنهم بالآثوريين وعرب الشمر والتركمان . ومن ناحية الطابع المورفولوجي

---

(١٩) راجع :

A. Bùschmakoff, Les peuples autour de la Mer Noire dans leurétat actuel, in l'Ethnographie, 1930 .

(٢٠) راجع :

H. Field, The anthropology of Iraq, Part II, no. I, The Northern Jazira, no. 2, Kurdistan, no. 3, Conclusions, 1952

راجع ترجمة هذا الكتاب من قبل جرجيس فتح الله (هنري فيلد ، جنوب كردستان ، دراسة أنثروبولوجية ، أربيل ٢٠٠١م) .

للمجموعات الكوردية الثلاث ظهر عند فيلد أن لون الشعر بني قاتم أو أسود بتموجات خفيفة وخشونته متوسطة . والعيون بنية غامقة ، علىٰ أن ثلثهم تقريباً ذو عيون مختلطة وهو دليل على عنصر شقرة كامن قويّ ، خلا أن إثني عشر (٢,٢٪) زرق العيون . أما الأنف فمعقوف بنسبة ٦٨,٠٦٪ ومستقيم بنسبة ١٨,٠٦٪ بإنفراج عظمي سفلي منظم ، وإنطباق إعتيادي للأسنان ، والحالة العامة مع الجهاز العضلي والصحة فهي جيدة . ويشير فيلد إلى الكورد الذين فحصهم على أنهم مجموعة متجانسة الأصل والإختلاف الإحصائي الظاهر الوحيد هو حجم الرأس . وعند مقارنة المجموعة الموحدة بالآلان الشماليين في قفقاسيا *North Osetes* وعرب هور الحويزة شرقي العمارة ، فإن الفروق واضحة ومتمايزة إحصائياً بين الفئتين . ففي معرض المقارنة لإيجاد معامل الروابط ما بين شكل القامة والرأس ولون العين في المجموعات الأولى والثانية والثالثة ، ثم المسلسلة المتألفة من تلك المجموعة ، وُجد أن نسبة ٦٥,٧٤٪ من ٣٢٤ كوردياً من قصار الرؤوس مستديريها هم متوسطوا القامة ، وأن ٥٦,٥٥٪ من ١٦٨ كوردياً من قصار الرؤوس مستديريها هم طوال القامة . وفي كل هذه الصنوف كانت الأغلبية سوداء العيون أو بلون بنيّ غامق ، وفي الصنف الأكثر طولاً توجد أعلى نسبة من العيون ذات الألوان الخليطة أي ٤٤,٣١٪ . وعلى العموم رأي فيلد أن الكوردي هو من ذوي الطول المتوسط وجذعه من النوع الطويل أو الطويل كثيراً ، وسيقانه قصيرة إلى حدّ ما ، والجبين عريض والرأس عريض جداً ، ونسبة ٤٠,٣٧٪ هي من صنف مادون القصير الرأس المستدير (؟ – ٨٥) . الإرتفاع الوجهي الأعلى والإرتفاع الوجهي الكامل يدل على أن الوجه يتراوح ما بين متوسط الطويل إلى الطويل ، وبعدد متساو من صنفي الوجه العريض والوجه المتوسط العرض والأنف متوسط الطويل والعريض يميل إلى مقاييس الصغر والدقة .

وبعد أن قامت الآنسة وينفرد سميتون *Winifred Smeaton* بأخذ مقاسات وفحص ثلاث وثلاثين أنثى كوردية ، رأت أن المرأة الكوردية بيضاء البشرة إذا ما قورنت بعرب



أميـرة كوردية من القرن التاسع عشر الميلادي

العراق ، والشعر كستنائي غامق بموجات منخفضة وذو خشونة متوسطة ، والعيون بنية داكنة مع وجود إحتقان في الصلبة . الشكل الأنفي الجانبي محدّب أو مقعّر بمنخرين متوسطين أو ناتئين ، وإنطباق الفكوك متوسط الصحة والجهاز العضلي متوسطان .

أما بالنسبة للفرد اليزيدي العادي من منطقة جبل سنجار فهو ذو شعر كستنائي غامق بموجات خفيفة وهو متوسط الخشونة أو ناعم ، بعيون بنية ذوات قزحيات متجانسة وصلبة صافية ، ومظهر أنفي جانبي محدّب الشكل بقاعدة منخرية متوسطة أو ضيقة رغم وجود عدد غير متوقع من ذوي المناخير العريضة ، والأسنان جيدة وإنطباق الفك إعتيادي والصحة جيدة وبجهاز عضلي جيد وهناك عنصر قويّ من الشقرة الكامنة . واليزيدي الذي يسكن بلد سنجار متوسط القامة طويل الجذع ، ضيق الرأس أو عريضه ، واسع الجبهة ، ونسبة قياسات رأسه تضعه في صنف الطويل . الجزء الأعلى من الوجه طويل وكذلك الأمر بالإرتفاع الوجهي الكلي وهو من الصنف النحيف الأنف من متوسط الطول والضيق إلى متوسط العرض ومن الصنف النحيف . أما اليزيدي العادي من منطقة الشيخان فكستنائي الشعر إلى داكن بتموجات متوسطة مادته ناعم أو متوسط النعومة . لون العين بنيّ داكن ، بقزحية متجانسة وصلبة صافية . الأنف محدّب بخناب متوسط . الفكان إعتياديان وأسنان جيدة وجهاز عضلي محكم والصحة جيدة . لوحظت عيون خليطة نسبتها ٣٤,٧٤٪ وشعر كستنائي فاتح يشيران إلى عنصر شُقرة كامنة قوية. وعلى العموم فإن يزيدي الشيخان متوسط القامة طويل الجذع وبرأس وجبهة عريضتين ، ونسبة قياس الرأس هو من الصنف العريض الكروي . وإرتفاع الجزء الوجهي الأعلى هو من الصنف الطويل كإرتفاع الوجه الكلي ، وكذلك من الصنف النحيف ، والأنف متوسط الطول بمنخرين ضيقين أو واسعين وبعين نسب الأنف النحيف .

ومن جهة أخرى ، فإن هناك إحساس عام عند أغلب الباحثين يتعلق بوجود مظاهر مشتركة وعلامات متميزة عند مقارنة الأطراف الكوردية العديدة أثنياً وجغرافياً ، و لم

تمنع هذه الحقيقة دوهوسيت *E. Duhousset (1863)* من أن يتعرف على عناصر غريبة بين الكورد في القرن التاسع عشر رغم تجانسهم العام ، لكن آرييس كيرس *Ariëns Kappers* أشار عام ١٩٣٣م إلى أن «الكورد ، بالرغم من إختلافاتهم الأنثروبولوجية ، فهم يشكلون في الحقيقة عنصراً متميزاً » . وفي النصف الأول من القرن العشرين وصل هنري فيلد إلى نتيجة مفادها «أن الكوردي متوسط القامة (١,٦٦ متر) و ذو جسم طويل نسبياً وأنفه على العموم محدب ، أما كثافة شعر جسمه فأكثر من كثافة شعر العرب وشعر رأسه بني اللون ومُجعد ومرن غالباً وعيناه سوداوان ، لكننا نجد في غرب كوردستان أوناساً لهم شعر أشقر وعيون زرقاء اللون . أما الجلد ففاتح عندهم أكثر مما عند العرب وأقل مما عند الآثوريين ، وأسنانهم طبيعية » ، ومع ذلك فهذه الإنطباعات غير كافية على مستوى عموم كوردستان .

الكورد في العصور القديمة :

في الوقت الذي لم يتم التوسع في دراسة الموضوعات التي ذكرت آنفاً لحد يومنا هذا ، لكنها في الواقع تُعتبر الأسس الرئيسة في علم الكوردولوجيا ، والآراء العديدة المطروحة لحد الآن حول (التأريخ القديم للكورد) لا تزال تتراوح في إطار فكري ضيق غير واقعي ، إذ لم يتوصل المستشرقون ولا كتاب الكورد أنفسهم إلى إتفاق حول تفاصيل الأحداث التي جرت في كوردستان ونتائجها المترتبة على ظهور الأمة الكوردية في التأريخ . ففي أوائل القرن العشرين (١٩٢٧م) أراد ولاديمير مينورسكي في بحثه (الكورد) المنشور بدائرة المعارف الإسلامية وبالإستناد على الصلة الموجودة بين الكوردية واللغات الإيرانية ، أن يثبت نظرية «إنتقال الكورد من الشرق (إيران) إلى الغرب (جبال زاگروس) » مشيراً إلى أنهم « يختلفون من منطقة إلى أخرى من ناحية الشكل والبنية الجسمية » . وقد أصبح هذا القول فيما بعد أساساً لآرائه التي أعلنها في التقرير الذي قدمه إلى المؤتمر العشرين

للإستشراق المنعقد في بروكسل عام ١٩٣٨م حيث أكّد فيه أمام المؤتمرين على « أن الكورد ما هم إلا أحفاد الميديين الذين هاجروا من المناطق التي تحيط ببحر قزوين جنوباً وغرباً (آذربيجان) ودخلوا كوردستان الحالية خلال الألف الأول قبل الميلاد ثم إنتشروا في شمال وادي الرافدين بشكل أوسع بعد سقوط دولة آشور عام ٦١٢ ق. م. »(٢١) . فإذا سلمنا بصحة هذا الرأي ، فإننا والحالة هذه يجب أن نقطع صلة الكورد بسكان كوردستان القدماء وأن نقر بأن تأريخهم في هذه البلاد يبدأ منذ وصول الميديين إليها خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد حيث وردت أخبارهم في هذه الفترة ضمن سجلات ملوك آشور . وهذه النظرية ، بشكل أو بآخر ، يتوافق إلى حد ما مع تلك التي طرحه كل من ثيودور نولدكه (١٨٦٨) ومارتن هارتمان (١٨٩٧) ووافق عليها فرانتس هينريك وايسباخ (١٩١٩) ومفادها «أن الكورد ما هم إلا أحفاد قبائل (الكورت *Κυρτιοι*) الذين إتجهوا مع قبائل الكادوشيين والمَرْديين وغيرهم من تخوم أذربيجان إلى كوردستان ولعبوا دوراً مشهوداً خلال العصر الهلليني »(٢٢) ، في حين نرى

---

(٢١) راجع البحث الموسوم بعنوان «أصل الكورد» الذي قدمه ولاديمير مينورسكي في المؤتمر العشرين للمستشرقين المنعقد في بروكسل عام ١٩٣٨م :

V. Minorsky, Les Originaes des Kurdes, Travaux xx Congres de Orientalists, Bruccelles 1938 .

(٢٢) سجل الرومان هذه الكنية بصيغة *Cyrtii* وتنطق (كورتي) لأن الحرف (*y*) في اللاتينية يُقرأ واواً وليس ياءاً . أنظر كذلك مقال وايسباخ (كردوخوي) المنشور في الجزء ١٠ لدائرة المعارف باولي :

Paulys Wissowa, R. E. x, 2, Stuttgart, 1919, Col. 1933 - 1938 . وأنظر كذلك تحقيقنا لهذا المقال المنشور في المجلد ١٠ من مجلة المجمع العلمي العراقي (الهيئة الكوردية) ، بغداد ١٩٨٣م . ويقول كلارك وليام أن للمرديين القدماء علاقة قوية مع الكورد إن لم يكونوا كورداً حيث يطابقهم إدوارد ماير مع الكورد الإزدية . راجع كلارك وليام ، نفس المصدر ، ص ٣٣ .

أن أغلب الكتاب المحليين من غير المتخصصين الذين يحشرون أنفسهم في هذا الموضوع يلتقون بمعضلة أمام عدم توافق هذه الحقيقة مع المسميات التأريخية الواردة في السجلات السومرية والأكدية واليونانية والآرامية منذ الألف الثالث قبل الميلاد مثل (كَردا ، كوردا ، كَردوخ وقردو) التي إعْتَبَر درايفر جميعها منحدرة من جذر واحد(٢٣) إضافة إلى الغموض المتعلقة بالتحولات اللغوية التي أدت إلى إختفاء الحورية والأورارتية من الساحة السوبارية وظهرت الكوردية مكانهما خلال أواسط الألف الأول قبل الميلاد .

بالرغم من إطلاع الهللنيين منذ عام ٤٠٠ ق. م. على أحوال البلاد الجبلية لكَرْدوخيا « *τα Καρδουχεια ορη* » التي كانت تقع في جنوب نهر كينتريتس (بوتان) ، لم يورد شئ من هذا القبيل عند الكُتاب الذين رافقوا أليكساندر المقدوني نحو آسيا وعبروا معه فيشخابور وأربيل وكركوك عام ٣٣٣ ق. م. ، وحتى أنهم لم يتطرقوا لسكان ميديا عندما عبروا جبال زاگروس وسهول ناسايا (كرمنشاه وحواليها) وإستولوا على عاصمتها القديمة أكبتانا (همدان) ، بينما وردت أخبار الكورد بعد هذه الفترة في عديد من السجلات اليونانية والرومانية وخاصة عندما أصبح وطنهم بعد موت أليكساندر عام ٣٣٢ ق. م. من حصة دولة سلوقس(٢٤) وسادت عليها معالم الحضارة الهللنية

---

(٢٣) راجع :

G. K. Driver, The Name Kurd and Its Philological Connexions, Journal of the Royal Asiatic Society 1923, P. 393ff.

(٢٤) كان نيكاتور سلوقس كبير قادة أليسكندر المقدوني الذي تولى الحكم في بابل بعد وفاة أليكساندر فيها عام ٣٣١ قبل الميلاد ، وقد أصبح العراق وسوريا الكبرى كلها تابعة إلى سلوقس الذي حكم من ٣١٢ إلى ٢٨٠ ق. م. وقد بنى سلوقس مدينة جديدة سميت بإسمه (سلوقية) تقع على نهر دجلة قرب الدورة جنوبي بغداد وتُرف آثارها بإسم (تل عمر) مقابل سلمان باك ، فغدت هذه المدينة هي عاصمة الدولة السلوقية وإنتقل أكثر سكان بابل إليها .

(اليونانية) ، لذلك لا غرابة في أن أغلب المسكوكات من هذه الفترة المكتشفة في كوردستان تعود إلى الهللنيين ، سواء مما تحمل منها صورة أليكساندر نفسه أو الملوك السلوقيين خلفائه ، وتدعم هذه الحقيقة تلك الوثائق التي أكتشفت في هورامان ويعود زمنها الى القرن الأول ق. م. دُوّن بعضها بالكتابة اليونانية(٢٥) . لقد جاء في سجلات الهللنيين خبر إشتراك قبائل الكورت تحت زعامة مولون الميدي عام ٢٢٠ ق. م. في حربٍ ضد أنطيوخوس الثالث ، ثم إنضمّ هؤلاء إلى قوات إنيوخ الثالث وحاربوا تحت لوائه الدولة الرومانية التي كانت تهدف آنئذ السيطرة على آسيا الغربية ، ثم شارك عدد من إتحادات هذه القبائل في معركة مگنيزيا على نهر سبيليوس ، وساعدوا عام ١٧١ ق. م. أومينيس الثاني *Aumenes II* ملك *Pergamun* في حروبه مع كالينيكوس(٢٦) ، وعندما إستقلت الفرث عام ٢٥٠ ق. م. في بارثيا (تركمانستان الحالية) أصبح ملوكهم يشكلون خطراً على إمبراطورية السلوقيين ، فإستطاع الملك ميثرادات الأول أن يغزوا كوردستان ثم يدخل العراق في حدود عام ١٤١ ق. م. وعقبه بعد هذا الغزو أفراهاط الثاني (١٢٨ – ١٢٤ ق. م.) حيث قضى كلياً على قوات السلوقيين في إيران ثم إستتب الحكم الفرثي في كل من العراق وإيران في عهد أرطبان الثاني ، ومع ذلك فقد تمتعت دويلات

---

(٢٥) راجع بالكوردية تحقيقاتنا ودراستنا لوثائق هورامان المنشورة في مجلة روشنبيري نوي (المثقف الجديد) خلال الأعوام ١٩٨٥م – ١٩٨٨م التي إحتواها فيما بعد كتابنا (دراسة لغوية حول تأريخ المناطق الكوردية ، بغداد ١٩٨٨م) ، وأنظر كذلك إلى دراسات كل من كاولي في مجلة الجمعية الملكية البريطانية وإليس مينس في مجلة الدراسات الهللينية ، العدد ٣٥ :

A. Cowley, "The Pahlavi Document From Avroman", Journal Of The Royal Asiatic Society (J.R.A.S), London 1919, PP. 147 - 154 ; E. Minns, Parchment Of The Parthian Period From Avroman in Kurdistan, Journ. Hell. Studies, 35 (1915), PP. 22 - 65 .

(٢٦) راجع كتابي تيتوس لبسفيوس وبوليبيوس :

Livy, Xlii, 58, 13 ; XXXVII, 40, 9

مثل كوردوئيني (كوردستان الشمالية) وحذيب (أربيل) وأرمينية وأوسرويني (الجزيرة) وسوزوفيني (أورفه) وهاترا (الحضر) بإستقلال محلي حيث غدت كل هذه الممالك نقطة التصادم فيما بين الفرث والرومان . ومن جهة أخرى ، كان الصراع قائماً بين أعضاء مجلس السناتو (مجلس الشيوخ) في روما حيث إستطاع الضابطان المتخاصمان ماريوس وسولا أن يخلصا روما من تلك الأزمة السياسية عام ١١١ ق. م. وقاما بتنظيم الجيش الروماني وإعادة الإستقرار السياسي في العاصمة وذلك بمحاربة أولئك الذين تمردوا على الحكم الروماني في كل من آسيا وأفريقيا ، وقد ساعدت هذه الظروف على ظهور قوى سياسية جديدة في الشرق ، ومنها ممالك بنطس بزعامة الملك ميثرادات السادس ومملكة الأرمن التي تزعمها ملكها الطموح تيكران الكبير ومملكة الكورد *Cord - ueni* بزعامة زاربيون . وبعد أن عقد حلفاً مع حميه تيگران ملك الأرمن ، حاول ميثرادات توسيع رقعة مملكته في شمال شرق آسيا الصغرى على حساب مملكة *Cord - ueni* «كوردوئيني» والإمبراطورية الرومانية ، وبَدَءا معاً يستوليان على الأراضي الكوردية والرومانية ويطردان موظفي ووكلاء الرومان من المناطق التي إحتلاها ، لذلك كُلّف القائد الروماني سولا بإرجاع الموظفين والوكلاء إلى أماكنهم ، فعقد في البداية معاهدة مع الفرث ورجع بعدها إلى روما عام ٩١ ق. م. ليتزعم الحزب الديموقراطي فيها ، لكن ميثرادات إستطاع أن يستولي في هذه الآونة على كبدوكيا بوسط الأنضول ثم حاول أن يستولي على مملكة بيرگامون على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، فدخل كيليكيا وإحتل بيثينيا عام ٩٠ ق. م. ، إلا أنه إنسحب منها بعد عام(٢٧) . وإثر هذه الأحداث ، قررت روما إرسال قوة

---

(٢٧) *Plutarch, The Lives Of The Noble Grecians and Romans (Lucullus), The*

برية مع أسطول بحري بقيادة لوكولوس *Lucullus* (١٠٩ – ٥٧ ق. م.) إلى آسيا لمواجهة تلك المشاكل ووضع حد لطموحات عاهلي بنطس وأرمينيا(٢٨) .

لم يعر تيگران الأرمني أي إهتمام بتلك الإستعدادات الرومانية ، فإستولى بدعم من ميثرادات على مملكة الكورد (كوردوئيني) ومقاطعة كبدوكيا وأغلب المناطق الشمالية لوادي الرافدين وسوريا ، وبذلك طوّق عاهلا الأرمن والبنطس بقواتهما المشتركة سواحل البحرين الأسود من الشمال والأبيض المتوسط من الجنوب . وعلى إثر هذا الوضع الناشئ في آسيا ، ظهر الأسطول الروماني عام ٨٥ ق. م. بقيادة لوكولوس في بحر إيجة وجرت معارك بين هذا الأسطول والقوات البحرية التي نظمها هناك ميثرادات التي لم تصمد أمام الرومان كثيراً ، فإنفتح الطريق لسولا بالتوغل براً نحو آسيا الصغرى . وفي هذا الأثناء بدأ اليونانيون يميلون إلى الرومان بعد أن كانوا يبدون الولاء لميثرادات ملك بنطس .

توغلت القوات الرومانية إلى آسيا الصغرى وكانت الحالة في غير صالح ميثرادات بشكل عام ، لذلك حاول جهده للمصالحة مع سولا الذي رغب هذا الأخير في تحقيقه لكي يرجع إلى روما ويحاول فيها أن ينتصر على خصومه السياسيين ، ووقع الصلح عام ٨٥ ق. م. في مدينة دردانوس قرب موضع طروادة القديمة . وعلى أساس هذا الصلح إنسحب ميثرادات من المناطق التي إحتلها في آسيا الصغرى ، وكان عليه دفع جزية كبيرة

Decline and Full Of The Roman Empire. Vo. I, By Edward Gibbon, Encyclopaedia Britanica, NC 1952, P.412 .

وحول تفاصيل حياة وصراع كل من ماريوس وسولا راجع مادتين بإسميهما في دائرة المعارف البريطانية .

(٢٨) راجع بلوتارخ ، نفس المرجع ، ص ٤١٢ من الترجمة الإنجليزية ، وأنظر أيضاً إلى مروان المدور ، الأرمن عبر التأريخ ، بيروت ١٩٨٢م ، ص ١٤٩ وما بعدها .

مع تنازله عن عدة سفن حربية والرجوع إلى حدود مملكته كما كانت سابقاً ، فشعر أخيراً بخطورة وقساوة هذه الشروط . وبناء على هذا الوضع قرر منذ هذه اللحظة أن يقوم على تقوية مملكته وتنظيم قواته العسكرية لملاقاة الرومان مرة أخرى . وبالمقابل دبّ الضعف بسيادة الرومان على الآسيويين عقب إنتشار سفن الكيليكيين في البحر المتوسط الذين كانوا يهاجمونهم في كل مكان وحتى في إيطاليا نفسها حيث كانوا يتاجرون بأسراهم .

وبناءاً على ما ظهرت مثل هذه المخاطر على المصالح الرومانية في آسيا ، فقد قرر مجلس السناتو (مجلس الشيوخ) في روما تنظيم حملة عسكرية تحت إمرة سرفيليوس لكي تتوجه إلى مناطق لوكيا وبامفيليا وكيليكيا في جنوب غرب الأنضول التي خرجت من أيدي الرومان على إثر إنتفاضات وثورات محلية كانت تقوم بها سكان الممالك المحلية التي أخضعتها القيادات العسكرية الرومانية ، إلا أن هذه الخطة فشلت قبل تحقيق هذه الحملة بسبب تصاعد قوة المملكة الأرمنية على يد تيگران الذي تم له إحتواء كبدوكيا وكوردستان الشمالية ومن خلالها دخل إلى كوردستان الجنوبية وسوريا وإعتبر جميع هذه المناطق التي حكمها لمدة عشر سنوات جزءاً من دولته الكبرى . في حين حاول ميثرادات من جانبه عرقلة الرومان بإستيلائه على بثينيا ، وأيّد إبن ملك بثينيا عندما إستلم الحكم في بلاده بعد موت أبيه ، لأنه بهذه الطريقة كان يستطيع أن يستولي على طريق البحر الأسود وأن يغلق طريق الدردنيل والبسفور بوجه الرومان ، وشكّل هذا الموقف خطراً على خطط روما التي قررت أخيراً أن تنيط الحملة على آسيا بلوكولوس . ففي عام ٧٤ ق. م. إستطاع ميثرادات من إحتلال بثينيا مرة أخرى ، ثم إستولى على أغلب مقاطعات آسيا الصغرى وحاصر مدينة كوزيكوس على بحر مرمره لمدة غير طويلة ، لأن لوكولوس قطع عليه الإمدادات ، وبعد عدة معارك تراجع إلى بثينيا بعد أن مني بخسارة كبيرة ، وأخيراً هرب وإحتمى عند قريبه ملك الأرمن .

إستمر لوكولوس في ملاحقة ملك بنطس الذي إلتجأ إلى أرمينيا ، وطلب من تيگران أن يُسلم ميثرادات إلى السلطات الرومانية ، لكن ملك الأرمن لم يلبي هذا الطلب ، لذلك وبدون موافقة مجلس السناتو ، قام لوكولوس في ٦ تشرين الأول من عام ٦٩ ق. م. بحملة على تيگرانوكرتا (ميافارقين) ، المدينة التي بناها تيگران في بلاد الكورد وسماها بإسمه وجعلها عاصمة له ، وحررها من حكم الأرمن ثم وضع يده على ٨٠٠٠ تالانت من الفضة وعلى كميات هائلة من القمح والمؤونات الغذائية الفائضة على حد قول ك . ل . إسترجيان(٢٩) . ويخبرنا المؤرخ بلوتارخ عن الموقف السياسي في هذه المناطق خلال تلك الفترة مشيراً إلى أن « تيگران إحتل بلاد *Cord-uênê* كوردوئيني ودخل إلى العاصمة آميد (ديار بكر) وقضي على ملكها المدعو زاربينوس (زاربيون) . ولما كان لوكولوس قد إتخذ من مدينة تيگرانوكرتا مقراً له ، فقد جاءته وفود حكام أديابيني (حذيب) من أربيل وكذلك من آشور وكوردوئيني وكبدوكيا وإتفقوا على أن ينضموا إليه » . ويضيف بلوتارخ قائلاً « أن ملوك ميديا وكوردوئيني وأديابيني وعرب جنوبي بابل والألبان (أذربيجان وقسم من داغستان) والإيبيريين (الجيورجيين) وسكان نهر أراكس حضروا جميعاً عند لوكولوس ، لكن زاربيونوس ملك الكورد كان غائباً لأنه قُتِل مع أطفاله وأفراد أسرته قبل وصول الرومان إلى بلاد كوردوئيني ، و لم ينس لوكولوس أمر هذا الحليف ، فأقام عند وصوله إلى عاصمة كوردوئيني إحتفالاً ملكياً رسمياً على شرف ملك الكورد المقتول ، فدَفَنَ جثمانه في عاصمته آميد (ديار بكر الحالية بكوردستان الشمالية) مكللاً بالذهب والفضة والمجوهرات التي إستولى عليها أثناء معاركه مع تيگران الأرمني ، ثم أشعل لوكولوس بيده مشعل الإحتفال ، ووزع أموالاً طائلة على أهل ومعارف الملك الكوردي المقتول ، وأمر ببناء نصب كبير له في عاصمته آميد (ديار بكر

---

(٢٩) ك . ل . استرجيان ، تأريخ الأمة الأرمنية ، ص ٧٨

الحالية) »(٣٠) .

كان لوكولوس ، في الواقع ، قائداً عسكرياً موهوباً ، وكانت خُطته ترمي إلى إستدراج الجيش الأرمني إلى الأرض التي إختارها هو لنفسه للقتال ، وهو ما نجح فيه بالفعل ، إذ قامت القوات الرومانية بالإنسحاب تدريجياً خلال الإشتباكات مع القوات الأرمنية ، في حين أخذت بعد ذلك تلاحقها ، وما أن وصلت القوات الأرمنية إلى القرب من المرتفعات الكوردية وضع فرسان الكورد ومشاة الرومان كميناً لها وظهروا على غزاة الأرمن فجأة من الخلف ، فتضعضعت صفوف الجيش الأرمني ثم إنهارت تماماً ، وتمت الغلبة للقوات الكوردية – الرومانية المشتركة وتحررت أغلب مقاطعات مملكة كوردوئيني من النير الأرمني ، لكن تيگران عاد مع ميثرادات بجيش خليط من مرتزقة الأرمن والجيورجيين والألبان لإحتلال البلاد الكوردية ، فرجع لوكولوس عبر جبال طوروس ثانية وتوغل في كوردوئيني حتى بلغ ولاية موش في طريقه لملاقاة تيگران الذي إتخذ هذه المرة مدينة أردشاد القديمة مقراً له ، فإلتقى الجيشان في معركة ضارية ألحقت قوات تيگران وميثرادات في البداية بعض الهزائم بالرومان الذين إنسحبوا إلى قواعدهم بمدينة نصيبين الكوردية ، وبلغ مجلس السيناتو (الشيوخ) في روما نبأ هزيمة لوكولوس في معركة نهر الأرزاني (مراد صو) ، لذلك تقرر إعفاؤه من مهمته . وفي أثناء هذه الحوادث جاء فرهاد الثالث (فرائاتيس المشهور بثيوس) على الحكم في إمبراطورية الفرث بعد وفاة والده سنطرق (سيناتروكس) في الوقت الذي كانت دولة البنطس يدب فيها الضعف وعلامات الإنهيار ، فإحتل المنطقة الكوردية المعروفة بـ(هفتا دول «الوديان السبعين») التي كانت

---

(٣٠) بلوتارخ ، نفس المرجع . رغم الوضوح غير التام لحدود مملكة كوردوئيني ، إلا أن مدنها الرئيسية مثل ساريسا وساتالكا وبيناكا بالإضافة إلى آميد العاصمة كن يقعن على نهر دجلة وكانت تضم أيضاً الأراضي الواقعة بين ديار بكر وموش [راجع *Strabo, IX, 12, 4*] .

تحت سيطرة الأرمن ، ثم إستولى على مناطق عديدة حوالي أربيل وشمال وادي الرافدين(٣١) .

وبعد مرور عام واحد على هذه الأحداث ، هاجم لوكولوس أرمينيا لغرض الإستيلاء عليها ، إلا أن جنوده لم يطيعوه لسبب إبتعادهم عن أوطانهم ، فحوّل محور عساكره نحو بلاد الرافدين . وهكذا نجا كل من تيگران وميثرادات من خطر لوكولوس وقواته الرومانية :

لقد قلّل مجلس السيناتو في هذه الفترة المسؤوليات التي كان يتحملها لوكولوس ، و لم تصله المساعدات والقوات الإضافية التي طلبها في حينه ، وأخيراً أناط أعضاء مجلس السيناتو القيادة العامة للجيوش الرومانية في آسيا عام ٦٧ ق. م. إلى بومبيوس *Pompeus* (١٠٦ - ٤٦ ق. م.) بدلاً من لوكولوس ، وإلتقى الإثنان ببعضهما شمال نهر هاليس (قزل إيرمق) في الأنضول حيث إستلم بومبيوس القيادة منه بعد جلسة تخللها نقاش وتهديد ووعيد . فقرر هذا الأخير ملاحقة قوات ميثرادات ، وقبل الهجوم على بنطس ؛ عقد إتفاقاً مع إمبراطور الفرث فرهاد الذي ساءت علاقته مع تيگران ، وشجعه بومبيوس على مهاجمته لكي ينشغل الملك الأرمني بإمبراطور الفرث حتى يتفرغ هو من جهة أخرى لمحاربة قوات ميثرادات . وهكذا هاجم بومبيوس ميثرادات الذي لم يستطع الوقوف أمام قوة الرومان فإلتجأ مرة أخرى إلى صهره تيگران ، ولما كان هذا في حالة حرب مع الفرث ، لم يستطع قبول لجوء ميثرادات ، فقبض عليه لكي يساوم به ، لكن ميثرادات هرب من الأسر . وفي هذا الأثناء ثار إبن تيگران ودعى بومبيوس وقواته رسمياً للدخول إلى مدينة أردشاد في الوقت الذي كان تيگران قد إلتجأ إلى الجبال . وعندما تداعى إبن تيگران

---

(٣١) راجع بالفارسية كتاب نيلسون دوبواز ، التأريخ السياسي للفرث ، ترجمه عن الفرنسية علي أصغر حكمت ، ص ٥ .

السلام مع بومبيوس ، رد إليه هذا الأخير شعارات والده الملكية بعدما جرده من نفوذه على سوريا ولبنان وكيليكيا وكبدوكيا وكوردوئيني ، ثم ربط أرمينيا بمعاهدة مع روما وفرض على أبيه الذي سلم نفسه أخيراً إلى الرومان غرامة حربية باهضة ، وعلى إثر ذلك لم يبق أمام بومبيوس غير القضاء على ميثرادات ، وعاش تيگران بعد ضياع إمبراطوريته ١٥ عاماً ، ثم توفي عام ٥٥ / ٥٤ ق. م.

فكّر بومبيوس في هذه الفترة أن يسلم الحكم على بلاد كوردوئيني وسوفيني إلى إبن تيگران ، ولكنه أعطاه إلى آريو بارزان الأول الكبدوكي ، ثم طرد أفرانيوس الذي بُعث من قبل الفرث ليحكم في كوردوئيني عام ٦٥ ق. م. كما يذكرنا بذلك بلوتارخ . وظهر في هذه الفترة وضع جديد في العلاقات الفرثية – الرومانية حول بلاد الكورد ، فقد حاول فرهاد أن يُخرج (كوردوئيني) من أيدي الأرمن ويضمها إلى إمبراطوريته ، لكن بومبيوس وقف حائلاً دون تحقيق الفرث لهذا الغرض ، ثم بدأ بالإستيلاء على كوردوئيني ، وعند ذلك طلب فرهاد عقد هدنة مع الرومان ، لكن بومبيوس لم يحقق ما أراده فرهاد ، فأرجع السيادة على الأراضي الكوردية إلى أيدي الأرمن ، ثم بدأ بتنظيم الأمور الإدارية والسياسية في الممالك المحلية التي تخلصت من شر ميثرادات وتيگران في شرق آسيا الصغرى والبلاد الكوردية ، وحدد لها قوانين خاصة دونها في دساتيرها لكي يبعث الحياة الهللنية مرة أخرى بين مجتمعاتها وتنظيم أمورها تحت ظل دولة المدينة (پوليس) ، وإستثنى من هذه الممالك مملكة أديابيني (حذيب) ، حيث سُلمت أمورها إلى الفرث ودامت العلاقة بين الطرفين طيبة لمدة طويلة .

كان بومبيوس، على حد قول بلوتارخ ، يشجع السكان المحليين في غربي آسيا بالعيش في المدن لكي يتركوا الحياة القبلية ، وقد بنى ٣٩ مدينة في آسيا الصغرى وسوريا إضافة إلى ١١ مدينة في كل من بثينيا وبنطس على شرط أن تتمتع كل دولة بحكم ذاتي . وكان يشجع السياسيين في هذه المدن بإمتلاك الأراضي مع دفع نسبة تقدر واحداً من

عشرة من الإنتاج إلى الرومان بجانب الرسوم والضرائب التي حددها لكل مدينة . لقد خلقت هذه السياسة لبومبيوس في الشرق ظاهرتين ، الأولى بعث الحياة الهللنية من إنتشار اللغة والكتابة اليونانيتين والفنون المعمارية وغيرها من مظاهر الحياة المدنية . والثانية تتعلق بتنظيم العلاقات الإقتصادية والسياسية للممالك في هذه الأنحاء ، وقد أكدت الوثائق التأريخية المدونة باليونانية المكتشفة في هورامان حقيقة إنتشار هاتين الظاهرتين في كوردستان .

في روما لم يُخلف يوليوس قيصر بعد إغتياله عام ٤٤ ق. م. وريثاً من بعده ، لذلك ظهرت أزمة سياسية في روما ، وإستطاع أخيراً حزب القيصر من السيطرة على الوضع وكان يرأسه القنصل ماركوس أنطونيوس (٨٢ – ٢٠ ق. م.) . وعنما وصل إلى روما عارضه إبن القيصر بالتبني المدعو أوكتاڤيانوس (٦٢ – ١٤ ق. م.) بشكل غير منتظر ، وإذا كان ماركوس أنطونيوس لم يعر إهتماماً لعدوه الضعيف هذا ، إلا أنه إنتهى أخيراً بيده . وبعد عقد إتفاق في تارينتوم بين الإثنين توجه أنطونيوس إلى الشرق عام ٣٦ ق. م. وعن طريق أرمينيا حاول أن يزحف نحو ميديا (كوردستان وآذربيجان) لكي يهاجم الفرث من هناك ، إلا أن الأرمن وقفوا في هذه الفترة بجانب الفرث وخسر أنطونيوس خلالها عشرين ألفاً من جنوده في الجهات الشرقية من كوردستان الحالية ، لذلك غيّر فكرته في مهاجمة الفرث . ويذكر نيلسون دوبواز « أن ماركوس أنطونيوس إتفق مع الميديين (الكورد) في هذه الفترة لمحاربة الفرث ، إلا أن الفرث إستطاعوا بمساعدة أرتاكسس إبن الملك الأرمني الذي كان لاجئاً عندهم من الإنتصار على القوات الرومانية – الميدية (الكوردية) المتحالفة(٣٢) . وعلى إثر ذلك إنسحب ماركوس أنطونيوس من المناطق الكوردية التي إستوطنها الميديون منذ سقوط الإمبراطورية الآشورية ، وتوجه نحو

---

(٣٢) نيلسون دوبواز ، نفس المصدر ، ص ١١٤ .



كايوس يوليوس قيصر أوكتافيانوس

(٦٢ ق . م . – ١٤م)



ماركوس أنطونيوس

(٨٢ – ٢٠ ق . م .)

آسيا الصغرى حيث عقد قرانه عام ٣٦ ق. م. بكيليوباطرة ملكة مصر في مدينة أنطاكية ، ثم إرتحل معها إلى مصر .

وهكذا ، فإن الرومان بدأوا يتدخلون قبل ميلاد المسيح ببعض السنين في الشؤون السياسية للمملكة الأرمنية التي كانت تحتل المقاطعات الشمالية للبلاد الكوردية ، وأصبح القائد الروماني تيبيريوس الذي إتخذ من جزيرة رودس مقراً له عام ٢٠ ق. م. المسؤول عن المناطق الكوردية والأرمنية التي إشتد الصراع فيها بين أتباع الفرث والرومان إلى أن أدى الموقف أخيراً بالموالين لروما في هذه المناطق إلى الطلب من الإمبراطور أوغسطوس إقالة أردشيس الثاني الموالي للفرث من حكم بلادهم . فأرسل الإمبراطور عدداً من الفرق الرومانية إلى أرمينيا ونصب تيگران الثالث بن أردافست الثاني على عرش هذه البلاد ، وحكم هذا حتى عام ٨ ق. م. وبعد وفاته نصب الأرمن تيگران الرابع على العرش الذي حكم مع شقيقته التي تزوجته بإسم (إيراتو) . وكان هذا العمل كفيلاً بإثارة حفيظة إمبراطور روما ، فعمد إلى إثارة أنصاره ضد تيگران وإيراتو اللذان لاذا بالفرار . وأخيراً أرسل الإمبراطور حفيده گايوس على رأس حملة إلى المناطق في شرق آسيا الصغرى وشمال وادي الرافدين التي عادت إليها القلاقل وكان يحكم أغلب الأقاليم فيها آريوبارزان إبن أرتباز الكوردي ملك ميديا . وبعد لقاء گايوس بملك الفرث فرهاد ، إتفق معه بالإعتراف بآريوبارزان كملك لكوردستان وأرمينيا . وقد خلف آريوبارزان إبنه أردافست الذي حكم هذه البلاد ثم راح ضحية القلاقل التي خلقها الأرمن . ومن جهة أخرى إلتقى گايوس عام ٣م بمجموعة من المشاكل مع الممالك المحلية في شمال وادي الرافدين وإنتهى أمره بيد زعماء هذه الممالك ، وعندما وصل الخبر إلى روما أمر القيصر بشن حملة على هؤلاء الزعماء .

بعد اللقاء الذي تمّ بين فرهاد و گايوس ، عقد الفرث مع الرومان معاهدة تنازلوا بموجبها عن أرمينيا وكوردوئيني ، لكن القتال تجدد بين الطرفين في عهد أرطبان الثالث

(مطلع العهد المسيحي) من أجل الإستيلاء على البلدين ، ومنذ هذه الفترة حاول الطرفان إزاحة الملوك المحليين وتعيين مرؤوسيهم ملوكاً ذوو أصول أجنبية في كلا البلدين منهم العبري والبونتي والجيورجي والأرمني والفرثي . وبعد أن خلّف كودرز والده أرطبان الخامس عام ٤٠م ، حاول إستعادة بلاد كوردوئيني ، لكن زعيماً أرمنياً يُدعى ميثرادات إستطاع أن يسيطر على قسم من هذه البلاد ، ثم غزا مملكة حذيب (أربيل) في كوردستان الجنوبية ومنها توجه نحو كرمنشاه حيث أدارها لفترة قصيرة .

عقب هذه الأحداث جاءت أخبار الكورد منذ القرن الأول قبل الميلاد بلسان ديودوروس (٩٠ – ٢١ ق. م.) وسلوستيوس (٨٦ – ٣٥ ق. م.) وتيتوس ليفيوس وغيرهم ، ثم ذكرهم في بداية العصر الميلادي كل من بلينيوس (٢٣م – ٧٩م) وكاسي ديون وأميانوس مركلينوس (٣٣٠م – ٤٠٠م) ويوليوس هونوريوس وزوسيموس . ثم نشأت في كوردستان الجنوبية خلال العهد الفرثي مملكتين محليتين (مملكة أديابين «حذيب» وگرمكان «جرمى») حكمتهما أسرتان إنحدرتا من قبائل السكس (الإسكيث) التي إستكردت بمرور الزمن بجانب القبائل الميدية . كانت مملكة حذيب توالي الإمبراطورية الفرثية (٢٤٧ – ٢٢٤ ق. م.) في سياستها العامة مع الإحتفاظ بصفتها النصرانية خلال العصر المسيحي . وعندما كانت الوثنية دين الدولة الرسمي ، تزوج الملك مونوبازوس (مونوباز) شقيقته هيلينا (توفيت عام ٥٠م) ثم إعتنقا معاً اليهودية ورزقا بطفل سمياه إيزاتيس (عزة الثاني) وقد دُفن الثلاثة في أضرحة ملوك أورشليم . وفي القرن الأول الميلادي سرعان ما إنتشرت الديانة المسيحية في كوردستان الجنوبية ، فآمن بها أفراد العائلة الملكية لحذيب وأصبحت مدينة أربيل مركزاً مهماً للتبشير من أجل إنتشار مبادئ الدين الجديد .

لقد إنتقلت السلطة على كوردوئيني بكوردستان الشمالية من أيدي الأرمن إلى أيدي ملوك حذيب ، بذلك توحّدت الأقسام الشمالية والجنوبية للوطن الكوردي ، وسلّم

مونوباز الأول الحكم على القسم الشمالي إلى إبنه عزة الثاني(٣٣) الذي أقام فيها بين أعوام ٣٥م - ٥٩م . وبعد وفاة مونوباز ، إعترف الإمبراطور الفرثي أرطبان بعزة الثاني ملكاً على كوردستان الجنوبية وأعطاه مدينة نصيبين والمناطق التي تحيط بها في كوردستان الغربية بعد أن إنتزعها من أيدي الأرمن لقاء مساعدته له في حينه عندما حاول إسترجاع عرشه خلال إقامته منفياً في كوردستان ، و لم يتعاون عزة مع مهرداد ابن ونونز (انوش) الذي تربى عند الرومان فحاول هؤلاء أن ينصبوه على عرش الإمبراطورية الفرثية بدلاً من كودرز أيام القيصر كلاوديوس عام ٤٧م ، لذلك دخل مهرداد بدعم من الرومان إلى كوردستان بعد أن تعاون معه أبكاروس الخامس ملك الرُها (أورفه) حيث لقى من سكانها بعض التأييد . وفي عهد نيرون زحفت قوة رومانية إلى شرق الأنضول وإستولت على قسم كبير من كوردوئيني ثم جرى صلح بين الفرث والرومان في القرن الأول الميلادي دام مفعوله لمدة نصف قرن ساد خلالها الأمن والإستقرار في كوردستان مؤقتاً ، إلا أن الخطر جاء هذه المرة من الجهات الشمالية عندما حاولت القبائل اللانية عبور الممرات القفقاسية والإغارة على بلاد الكورد التي منيت بيدها لكثير من الويلات والسلب والنهب و لم تستطع الإمبراطورية الفرثية في هذه الفترة حتى من الدفاع عن حدودها الشمالية . ومن جهة أخرى ، أرسل الإمبراطور الروماني ترايان (تراجان) عام ١٠٠م قوة إلى أرمينيا وإستولت عليها بعد أن قضت على ملكها ميثرادات ، ثم قام ترايان بنفسه عام ١١٥م وعن طريق سوريا بحملة عسكرية على كوردستان ، فإستولى على أغلب الجهات الشمالية والغربية من هذه البلاد ، ثم زحف على حذيب (كوردستان الجنوبية) بعد أن إحتل الحضر ومن خلالها توجه نحو بابل . وقد حصلت هذه الحملات بعد أن

---

(٣٣) راجع الكتاب ٣٧ لكاسيوس ديون والكتاب ٢٠ ليوسف الفلاوي :

Cass. Dio., XXXVLL, 5, 3 ; Joseph. Ant. XX, 24

إجتاحت القوات الفرثيــة المـمالك الكوردية والأرمنية(٣٤) وإستولت على تيكرانوكرتا عاصمة مملكة أرتاكساتا حيث إلتجأ أحد أفراد العائلة المالكة فيها إلى أرمينيا وكان الرومان يتعقبونه .

ومن جهة أخرى ، فقد سحب وولاش (بلاش) إمبراطور الفرث كل الإمتيازات التي كان أرطبان الخامس قد أعطاها إلى عزة الثاني ملك حذيب مع أمراء آخرين في كوردستان الجنوبية . فقرر عزة أن يستحكم مواقعه العسكرية ويجمع الغلات وينظم جيشه ويُعَمّر قلاعه ، وإرتحل نفسه مع ستة آلاف فارس إلى المناطق الجبيلية المطلة على الزاب الكبير في قلب كوردستان . وبعد التهديد والوعيد ، إنسحب ملك الفرث من كوردستان وتوجه نحو باختريا (أفغانستان) . وفي روما قرر نيرون أن تزحف قواته إلى آسيا الصغرى ، فأمر كل من أنطيوخوس الرابع ملك كوماجيني وأكربيادوم زعيم خلقيس الإنضمام إلى هذه العملية . وبعد عبورهم لنهر الفرات إستولوا على المناطق الكوردية التي كانت تابعة للملكة الأرمنية آنذاك ، فعينوا أريستيوبولوس إبن هيرود ملك كاليس لإدارتها . وفي عام ٥٩م دخل القائد الروماني كوربولو المستوطنات الكوردية حوالي مدينة ماردين ثم توجه إلى ميافارقين (تيكرانوكرتا) ولاقى صعوبات جمة في هذه الحملة وقرر أن يقضي الشتاء في كوردستان ويلتقي فيها بسفراء هركانيا الذين وصلوا إليه بعد أن عبروا نهر الفرات قرب ملاطيه . وبعد أن نصب الرومان شخصاً على عرش أرمينيا بلقب تيكران الخامس قسموا هذه البلاد وضموا بعض مقاطعاتها إلى جيورجيا وبنطس بأمر من القيصر نيرون ، وهاجم تيكران الخامس مملكة حذيب في كوردستان الجنوبية ودمر المعالم المدنية فيها تدميراً كاملاً ، لذلك لم يكن أمام مونوباز ملك حذيب غير الإذعان للرومان ، إلا أن الإمبراطور الفرثي أمر موناسيس أحد أمرائه بالهجوم على أرمينيا

(٣٤) راجع مروان المدور ، نفس المصدر ، ص ١٦٧ وما بعدها .



تمثال لأمير فرثي من القرن الثاني ق. م.
متحف طهران

بعد أن يتحالف مع مونوباز . وبعد ترتيب هذا الحلف بدأ الهجوم على أرمينيا المتحالفة مع الرومان ، ودخل القائد الروماني كوربولو إلى المعركة ضد الفرث قرب نصيبين وبعد قيام الصلح بين الأطراف المتحاربة ، فك الجيش الفرثي والحذيب المشترك الحصار عن مدينة ميافارقين وظلت المقاطعات الكوردية الشمالية ، وخاصة كل من ملاطيه وميافارقين وآميد (ديار بكر) تحت النفوذ الروماني ، وكان الملك مونوباز شاهداً على عقد الصلح الذي حدد مناطق نفوذ الإمبراطوريتين في المناطق الأرمنية والكوردية .

وعلى كل حال ، فقد تجدد القتال مراراً بين الإمبراطوريتين الفرثية والرومانية في البلاد الكوردية والأرمنية خلال القرن الأول الميلادي ، وفي كل الأحوال ظلت مملكة أربيل محافظة على صداقتها مع الفرث ، لذلك فقد سلّم فيروز (پيروز) في بداية القرن الثاني الميلادي منطقة أوسرويني (الجزيرة) لأبكاروس السابع بن إيزاتيس (عزة) لقاء الضرائب التي كانت تُجمع فيها لصالح الفُرث ، وكان هذا في الوقت الذي توجه الإمبراطور ترايان نحو شرق الأنضول ، فدخل أديسا (أورفه) ، ثم رجع إلى أنطاكية حيث حل عنده كذلك أبكاروس السابع حاملاً معه هدايا كثيرة لكي يعادل سياسته بين الفرث والرومان . ولما إستولى ترايان على مدينة ملاطيه جاءته وفود ممالك أرمينيا وكبدوكيا وجيورجيا وألبانيا (بلاد شروان غرب بحر قزوين) ، ثم قضى شتاء عام ١١٤م – ١١٥م في أديسا (أورفه) وفجأة إحتل نصيبين . وفي ربيع عام ١١٥م وصل إلى نهر دجلة في كوردوئيني (كوردستان) وإستعمل الطريق النهري لقيادة عساكره نحو مركز الإمبراطورية الفرثية . وهكذا أصبحت مملكة حذيب في حالة مواجهة مع الرومان ، ثم إستطاع الإمبراطور ترايان من الوصول إلى السلوقية عاصمة الفرث عام ١١٦م ، ومنذ هذه اللحظة إشتهر بلقب پارتيكوس *Particus* أي فاتح بلاد الفرث ، وفي النهاية رجع من العراق عبر الحضر نحو بلاده عام ١١٧م .

وفي نفس العام ، أصبح هادريان إمبراطوراً في روما ، وبعد القرار على تأمين السلم

والإستقرار في شرق الإمبراطورية ، إتخذ عام ١٢٢م نهر الفرات حداً فاصلاً بين بلاده وإمبراطورية الفرث . وهكذا أصبحت كوردستان قاطبة تحت الهيمنة الفرثية . وحوالي عام ١٣٦م ، وبدعم من واغواي فاراسمانس ملك إيبيريا (جيورجيا) ، نزلت القبائل اللانية عبر قفقاسيا مرة أخرى إلى الجنوب ودخلت إلى بلاد شروان وآذربيجان وميديا والمناطق الكوردية وتوجهت نحو كبدوكيا في وسط الأنضول ، وقد أشار المؤرخ الكنسي الأربلي مشيحا زخا في القرن الخامس الميلادي إلى غارات هؤلاء نحو بلاد الكورد *Corduene* ، وقد قامت في هذه الفترة إنتفاضة كوردية في مقاطعة قردو (الجزيرة) بقيادة كيژۆ(كيزو) ، فجهّز حاكم حذيب المدعو راخدُخْت جيشاً قوامه عشرون ألفاً ونظم كذلك بلاش إمبراطور الفرث في طيسفون (كتيسوفون) العاصمة قوة بقيادة أرشاك وأرسلهم بجانب جيش حذيب لمحاربة اللان والزعيم الكوردي المنتفض ، وقد لاقى هؤلاء جميعاً صعوبات جمة في محاربة القبائل اللانية والكوردية حيث قُتل أرشاك قائد تلك الحملة في كوردستان . وبعد حل بعض المشاكل بين الفرث والروم والجيورجيين ، مات الإمبراطور هادريان عام ١٣٨م وحل محله أنطونيوس بيوس . أما في طيسفون ، فقد توج بلاش الثالث عام ١٤٨م إمبراطوراً على الفرث وظل الصراع على المناطق الكوردية والأرمنية قائماً بين الطرفين . ولما مات أنطونيوس بيوس عام ١٦١م أصبح ماركوس أورليوس إمبراطوراً في روما ، فجرت في زمانه معارك عديدة بين الفرث والروم وتوسعت نفوذ الفرث من خلال هذه المعارك بكوردستان وشمال وادي الرافدين ، في حين إنهزم بلاش فيما بعد من أمام القائد الروماني أفديوس كاسيوس ، وبذلك رجعت تلك المناطق مرة أخرى إلى أيدي الرومان .

وهكذا ، ففي أغلب الأحوال ، كانت مملكة كوردوئيني ، بين الخضوع والإستقلال ، تتأرجح مع الممالك الصغيرة الأخرى بشمال وادي الرافدين في خضم الصراع الفرثي — الروماني الطويل ، ودام هذا الوضع إلى زمن سقوط نظام الفرث ومقتل أرطبان الخامس

عام ٢٢٦م بيد أردشير بن بابكـان بـن ساسـان في بداية القـرن الثـالث الميـلادي . وقـد إستمرت الإنتفاضات والثورات والقلاقل المحلية في كل مـن كوردستان (ميديـا وحذيـب وكوردوئيني) وأرمينيا ضد الفرث والروم على الدوام ، لأنهم كانوا سبباً مباشـراً في تـأخر هذه البلدان وشعوبها من الناحيـة الإقتصادية والسياسـية ، ولعـل آخـر هـذه الإنتفاضـات كانت ثورة الميديين (الكورد) المشتركة مع ملوك حذيب وكركـوك عـام ٢٢٠م ، ولكـن ظهور الساسانيين كقوة سياسية بدلاً من الفـرث لم يُغـير مـن وضـع هـذه الممـالك وحالـة سكانها شيئاً يُذكر ، فقد أغار أردشير مؤسس الدولة الساسانية بعـد مقتـل ملـك الفـرث مباشرة مناطق شـهرزور وميديـا وأغلـب المنـاطق الكورديـة الأخـرى الـتي إنتهـز سـكانها الفرصـة للتحـرر مـن حكـام طيسـفون أو شهرستانان (المدائـن) . ففـي شـهرزور واجـه كورتانشاهي مادگ (مادگ ملك الكورت) أردشير وجيشه الذي لاقى مقاومة عنيفة مـن جانب الميديين الكورد كما يورد في كارنامك أردشير بابكان(٣٥) (كتاب سـيرة أردشـير) ، وبعـد عـدة معـارك إستطاع الساسـانيون مـن ضـم مقاطعـة شـهرزور الكورديـة إلى إمبراطريتهم .

أعقبت هذه الأحداث محاولات ساسانية زمن سابور (شاهبور ابن أردشير) لإحتـلال نصيبين ثم حران ، وإستطاع الجيش الساساني من الدخول إلى أراضي مملكـتي كوردوئيـني وأرمينيـا ، لكـن السـكان في مملكـة كوردوئيـني إستطاعوا أن ينتصـروا علـى الساسـانيين ويحافظوا على إستقلالهم ، ثم ثـارت الكـورد في أرض الجزيـرة بوجـه الساسـانيين ، لكـن شاهبور أغار على هذه المنـاطق بمشـاركة قـوات القبـائل القزوينيـة ورجـع ليحـاصر آميـد عاصمة كوردوئيني حيث لاقى السكان فيها وفي القرى المجاورة لها الأهوال من جراء هذا

---

(٣٥) راجع كتاب سيرة أردشير من تحقيق ثيودور نولدكه :

Th. Nöldeke, Geschichte Des Artachir i Papakan, Göttingen 1879, s. 49.

الحصار ، وكان أحد أفراد الحامية الرومانية في هذه المدينة هو المؤرخ أميانوس مركلينوس(٣٦) .

لقد إستمرت الثورات والقلاقل في المناطق الكوردية الشمالية بعد رجوع شاهبور من بلاد كوردوئيني ، وكانت هذه المرة ضد كل من الساسانيين والبيزنطيين ، فإنتهز إمبراطور بيزنطه المدعو ڤاليريان الفرصة وأغار على منطقة الجزيرة ، ثم أرسل قسماً من قواته لمحاربة مملكة كوردوئيني ، فقُتل الملك الكوردي في إحدى المعارك ، فقام خليفه بمصالحة الساسانيين تحت شروط جد قاسية بحيث أخضعتهم للسلطة الساسانية منذ عام ٢٤٢م(٣٧) وفي عام ٢٨٦م عيّن الإمبراطور الروماني ديوكليتيانوس (دقلديانوس) المدعو ميثرادات ملكاً على أرمينيا وعضده سياسياً وعسكرياً ، فأغار هذا بجيش روماني على أرمينيا وكوردوئيني ، وبالمقابل دخل الساسانيون إلى المناطق نفسها لإفشال خطط الرومان بمحاربة ميثرادات ، ثم إلتقوا بالجيش الروماني في حران عام ٢٩٦م . وبعد عام واحد زحف القائد الروماني گاليريوس على كوردستان وأرمينيا وإنتصر على الملك الساساني نرسي الذي جُرح في المعارك وإنسحب إلى كوردستان طالباً الصلح من أعدائه شريطة ترك خمس ولايات من أملاكه للرومان وهي أرزون ، موك ، زبدا وقردو ، وجميعها مناطق كوردية خالصة . هذا بالإضافة إلى المناطق الكوردية الأخرى على يمين نهر دجلة في الشمال ، جاعلاً عام ٢٩٧م هذا النهر حداً فاصلاً بين الإمبراطوريتين الساسانية والرومانية .

---

(٣٦) *Ammianus Marcelinus, XVIII, 6, 20ff.* وراجع تفاصيل هذه الحوادث في كتاب آرثر كرستنسن ، تأريخ الدولة الساسانية ، ص ٢٢٩ من الترجمة العربية .

(٣٧) محمد أمين زكي ، خلاصة تأريخ الكورد وكوردستان ، ترجمة محمد علي عوني ، القاهرة ١٩٣٩م ، ص ١٧٥ وما بعدها .

وهكذا ، وبعد إنتصار الرومان على الساسانيين، أسس الأرمن ؛ بدعم روماني ؛ مملكة في أطراف بحيرة وان عُيّن المدعو تيردات حاكماً عليها ، وحاول هذا إحتلال مناطق كوردوئيني وضمها إلى مملكته(٣٨) ، وبذلك أصبحت الكورد في القرون الأولى للعصر المسيحي يجابهون ثلاث قوى سياسية أحاطتهم من كل الجوانب . وإذا كانت سمة الإضطهاد ونتائج الحروب لحد هذا العصر سياسية ، فقد ظهر بعد ذلك سمة أخرى لذلك الإضطهاد وهي معاقبة السلطات الساسانية للكورد الذين تركوا الزرادشتية وتقبلوا المسيحية ديناً ، فقام الملك يزدهگورد (يزدجرد) مثلاً بمذابح دموية بين الرؤوساء الروحانيين للسكان المحليين في كوردستان الجنوبية ودامت هذه المذابح والقلاقل المذهبية في عهود ملوك ساسانيين آخرين . ففي عام ٣٥٠م حاصر شاهبور قلعة نصيبين ، لكنه لم يتمكن من الإستيلاء عليها ، فعاد خائباً . وبعد عشر سنوات ، أي في عام ٣٦٠م زحف هذه المرة على كوردوئيني وحاصر مدينة آميد (ديار بكر) ، وكان الإمبراطور قسطنطين قد حصّن قلعة هذه المدينة تحصيناً عظيماً وأنشأ فيها داراً لصناعة العجلات العسكرية والمستلزمات الحربية الأخرى ، ومع ذلك إستطاع شاهبور من إحتلال القلعة بعد حصار دام ٧٣ يوماً وبقوة هائلة العدد ضحى بقسم كبير منها في سبيل ذلك ، ثم غزا منطقة بازبدا الكوردية التي عرفت بالجزيرة في العصر الإسلامي .

بعد مرور ثلاث سنوات على الحوادث المذكورة ، أغار الإمبراطور يوليان (جوليان) على المناطق الكوردية في شمال بلاد ما بين النهرين ومن خلالها توجه نحو شهرستانان (المدائن) ، ثم رجع منها عابراً جبال حمرين ، ومن خلال كركوك توجه نحو كوردوئيني ، لكن الجيش الساساني أحاط بقواته في جهات كفري التي دارت فيها المعارك بين الطرفين حيث جُرح خلالها الإمبراطور ومات على إثر هذا الجرح عام ٣٦٣م . وبعد تعيين

---

(٣٨) مروان المدور ، الأرمن عبر التأريخ ، بيروت ١٩٨٢م ، ص ١٧٥ وما بعدها .

جوفيان خلفاً له ، بادر هذا إلى سحب القوات الرومانية عن طريق طوزخورماتو إلى سامراء ، ثم عقد صلحاً مع الساسانيين وبموجبه خضعت المناطق الكوردية في شمال وادي الرافدين مرة أخرى أيام شاهبور الثاني للسلطة الساسانية .

وفي عهد بهرام الخامس ، أصبحت كوردستان مسرحاً للفتن والحروب لم يستطع الساسانيون من القضاء عليها ، إلا أن قباد الأول أغار على الأراضي الكوردية في القرن السادس الميلادي ، وبعد إستيلائه على مدن آميد وأرضروم توجه عام ٥٠٦م إلى محاربة الروم في جهات آسيا الصغرى ، وبسبب الخسائر التي مني بها في كوردستان نقل قسماً من سكان ميافارقين وأسكنهم في خوزستان (الأحواز) ، وبعدما إعترف الرومان بالديانة المسيحية أصبحت مقاطعة بيث قردو تشكل مركزاً قوياً لإنتشار المذهبين المسيحيين النسطورية واليعقوبية بين الكورد وسجل كل من البلاذري والطبرى في العصر الإسلامي كنية هذه المقاطعة بصيغة قرداي أو باقردى ، وبناءاً على أقوال إبن الأثير إعتبرها ياقوت الحموي جزءاً من جزيرة ابن عمر الذي كان يضم ٢٠٠ قرية وكان جميعها يقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة مقابل بازبدا وإختفت هذه الكنية تدريجياً من الكتب العربية وحلّ محلها صيغة (الجزيرة) . لقد تجددت المعارك بين السكان المحليين لهذه المناطق والسلطات الساسانية ، و لم تخمد نتائجها إلا بإنهيار الدولة الساسانية بيد العرب المسلمين(٣٩) .

---

(٣٩) حول تفاصيل هذه الموضوعات راجع : د. جمال رشيد أحمد و د. فوزي رشيد ، تأريخ الكورد القديم ، أربيل ١٩٩٠م .



فتاة من الجزيرة / كوردستان الغربية

(شمال شرق سوريا)

الكورد في العصور الإسلامية

عصر السيادة العربية :

أشار البلاذري عند حديثه عن غارات العرب في ديار الكورد وآذربيجان إلى أن : «المغيرة بن شعبة قدم الكوفة والياً من قبل عمر بن الخطاب ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية آذربيجان فأنفذه إليه وهو بنهاوند وبقربها فسار حتى أردبيل وهي مدينة آذربيجان وبها مرزبانها وإليه جباية خراجها ، وكان المرزبان قد جمع إليه المقاتلة من أهل باجروان دميمذ والنرير وسراة والشيز والميانج وغيرهم ، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً ، ثم أن المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل آذربيجان على ثمانمائة ألف درهم وزن ثمانية على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبيه ولا يهدم بيت نار ولا يعرض لأكراد البلاشجان وسبلان وساترودان ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزمن في أعيادهم واظهار ما كانوا يظهرونه»(٤٠) .

وفي عام ٢٢ هـ / ٦٤٣م عَبَرَت القوات العربية كوردستان الشمالية لغزو أرمينية بأمر من الخليفة عثمان بن عفان ، حيث أشار اليعقوبي (٢٧٨ هـ / ٨٩١م) إلى أن « عثمان قد وجّه حبيب بن مسلمة الفهريّ إلى أرمينية ثم أردفه سلمان الباهلي مدداً له فلما قدم عليه تنافراً وقتل عثمان وهم على تلك المنافرة وقد كان حبيب بن مسلمة فتح بعض أرمينية وكتب عثمان إلى سلمان بإمرته على أرمينية فسار حتى أتى بيلقان فخرج إليه أهلها فصالحوه ومضى حتى أتى برذعه فصالحه أهلها على شئ معلوم وقيل أن حبيب بن مسلمة إفتتح جرزان ثم نفذ سلمان إلى شروان فصالحه ملكها ثم سار حتى أتى أرض مَسَقَط فصالح أهلها وفعل مثل ذلك ملك اللكز وأهل شابرّان وأهل فيلان ولقيه خاقان ملك الخزر في جيشه (على؟) نهر البلنجر في خلق عظيم »(٤١) .

وقد أكد الدينوري(٤٢) الوجود الكوردي في أرمينية ، ثم ذكر بعده الكاتب المعروف بـ(ليو) صيغة أرمنية لكنية هؤلاء قائلاً : « أن سكان منطقة (البذ) الجبلية التي أصبحت مركزاً لثورة بابك والحركة الخرمية ، كانوا يسمون بالكورد ــ وك *Kurduk* »

(٤٠) البلاذري ، فتوح البلدان ، طبعة القاهرة ١٩٥٩م ، ص ٣٢١ .

(٤١) تأريخ اليعقوبي ، الجزء الثاني (ليدن : بريل ١٨٨٣م) ، ص ١٩٢ .

(٤٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٤٠ .

ويضيف أن هذه التسمية ترتبط بدون شك بكلمة (الكورد)(٤٣) . ومن بين البلدانيين المسلمين ، يُعتبر كل من المسعودي (حوالي ٣٣٢ هـ / ٩٤٣م) والإصطخري (٣٤٠ هـ / ٩٥١م) من أوائل الذين صنفوا بشكل منظم أخبار القبائل الكوردية ومناطق سكناهم . ومن خلال إشارات المسعودي إلى العداء والخصو ات التقليدية التي كانت مستمرة بين أمراء غسان العرب والكورد قبل ظهور الإسلام ، أعاد في الجزء الثالث من الباب السادس والأربعين من كتابه «مروج الذهب ومعادن ا عوهر ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٣ ، طبعة باريس» الروايات الخاطئة التي تتحدث عن الأصول العربية للقبائل الكوردية قائلاً :

«أن الناس متنازعون في بدء الكورد فمنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار ابن معدّ بن عدنان بن بكر بن وائل إنفردوا في قديم الزمان وانصافوا إلى الجبال والأودية لأحوال دعتهم إلى ذلك وجاوروا من هناك الأمم الساكنة المدن والعمائر من الأعاجم والفرس فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية . ولكل نوع من الأكراد لهم لغة بالكوردية ومن الناس من رأى أنهم من مُضَر بن نزار وأنهم من ولد كُرد بن مَرد بن صعصعة بن هوازن وأنهم انفردوا في قديم الزمان لوقائع بينهم وبين غسان ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومُضر إعتصموا بالجبال طلباً للمياه والمراعي فحالوا عن اللغة العربية لمن جاورهم من الأمم ، ومن الناس من ألحقهم بإماء سليمان بن داود حين سلب ملطه ووقع على إمائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن فعلقن منه المنافقات ، فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الآماء الحوامل من الشيطان قال أكردوهن إلى الجبال والأودية فرتبهم بأمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدئ نسب الأكراد . ومن الناس من رأى أن الضحاك ذا الأفواه المقدم ذكره في هذا الكتاب الذي تنازعت فيه الفرس والعرب من أي الفريقين هو أنه خرج بكتفيه حيّتان فكانتا لا تغذيان إلا بأدمغة الناس فأفنى خلقاً من فارس وإجتمعت إلى حربه جماعة كثيرة وأتاه أفريدون بهم وقد شالو راية من الجلود تسميها الفرس درفش كاوان فأخذ افريدون الضحاك فقيّده في جبل دنباوند على ما ذكرنا وقد كان وزير الضحاك في كل يوم يذبح كبشاً ورجلاً ويخلط أدمغتهما ويطعم تلك الحيتين التي كانتا في كتفي الضحاك ويطرد من تخلص إلى

---

(٤٣) ليو مؤرخ أرمني كتب مجلدات ضخمة عن تأريخ موطنه ويسرد فيها روايات مؤرخي القرون الوسطى ، راج كتابه تأريخ أرمينيا (يريفان ١٩٤٧م) ، المجلد الثاني ، ص ٤٢٦ .

الجبال فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدو الأكراد وهؤلاء من نسلهم وتشعبوا أفخاذاً»
ونرى مختصر هذا الكلام في (جهان نما) .

ولما دخل الغزاة المسلمون العرب شهرستانان (المدائن) إنهارت المؤسسات الرئيسية للدولة الساسانية عام ١٦ هـ / ٦٣٧م ، وعقب هذا الحدث ، وبعد إحتلال تكريت وحلوان في سنة ١٦ هـ / ٦٣٧م ، أغارت العرب على ديار الكورد وتوجه سعد بن أبي وقاص نحو مدينة ميسيل (الموصل) التي كان أغلب سكانها حينئذ من الكورد على حد قول ياقوت الحموي ، ثم توجه لإحتلال مناطق مرگه (المرج) وبانو هذرا وبا عذرا وحِبتون وداسن وغيرها من مساكن الكورد التي يتحدث عنها إبن الأثير في الصفحة ٤٠٨ من الجزء الثاني من كتابه (الكامل في التأريخ – طبعة ليدن) على النحو التالي :

«وقيل أن عمر بن الخطاب إستعمل عتبه بن فرقد على قصد الموصل وفتحها سنة عشرين فأتاها فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها وهو الشرقيّ عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الغربي وهو الموصل على الجزية ثم فتح المرج وبانهذرا وباعذرا وحبتون وداسن وجميع معاقل الأكراد وقردى وبازبدى وجميع أعمال الموصل فصلرت للمسلمين» .

وبعد فترة وجيزة ، توجهت قوات عمر بن الخطاب بقيادة عياض بن غنم وعُتبة بن فرقد نحو الجزيرة (البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣١) فاتحة الطريق أمام تغلغل بدو العرب إلى مناطق أخرى من الوطن الكوردي مثل حلوان ونهاوند وميسيل (الموصل) وآميد (ديار بكر) وجميع نواحي بلاد الجبل والجزيرة . أما حول غزو شهرزور وصامغان فيقول إبن الأثير في الجزء الثالث من الكامل (ص ٢٩) « لما إستعمل عمر عَزْرة بن قيس على حلوان حاول فتح شهرزور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح أهل الصامغان ودارباذ على الجزية والخراج وقتل خلقاً كثيراً من الأكراد ...» . وفي الجزء الثاني من (الكامل ص ٤٢٥– ٤٢٦) يورد خبراً عن وقوع إختلاف بين هرمزان وغالب وكليب في الأهواز ، ويقول « فحضر

سلمى وحرمله لينظرا فيما بينهم فوجدا غالباً وكلياً محقين والهرمزان مبطلاً فحالا بينهما وبينه فكفر الهرمزان ومنع ما قبله وإستعان بالأكراد وكف جنده » ثم يقول « وراسلهم هرمزان يطلب الصلح فأجاب عمر إلى ذلك وأن يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم ثم إصطلحوا على ذلك وأقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه إذا قصده الأكراد ويجئ إليهم ونزل حرقوص جبل الأهواز وكان يشق على الناس الإختلاف إليه ...» .

وبالرغم من كون گابان (جابان) الكوردي ، كسلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي ، أحد الصحابة المسلمين الأوائل الذين رافقوا النبي محمد (ص) ، كما يورد ذلك في التأريخ الكبير للبخاري ، إلا أن أبناء المجتمع الميثرائي والزرادشتي وحتى المسيحي الكوردي رفضوا بطبيعة الحال ذلك التحول الروحي والسياسي المفاجئ والخضوع للعرب التي دعى إليها السادة الأوائل من المسلمين . فكانت مجموعات كوردية في العصر الذي سبق هذه الفترة قد إنتشرت بعدة مراحل من مرتفعات زاگروس وطوروس (مهد الأمة الكوردية) شمال وادي الرافدين إلى فارس وكرمان وسجستان وأصفهان ودرآباذ وصامغان ومناطق أخرى في أواسط آسيا وخراسان(٤٤) فهؤلاء هم الذين تصدّوا للحملات العربية الأولى .

---

(٤٤) يسرد المسعودي في مروج الذهب أسماء القبائل الكوردية المنتشرة في هذه المواقع كما يلي : « الشوهجان في كنگاور وماجوردان في آذربيجان ، هذباني وسراة في الجبال ، شادنجان ولزبه ومادنجان ومزدانكان وباريسان والجلالية والجاواني وموستكان في سوريا والدبابلة وغيرهم في الموصل والكورد المسيحيين من اليعاقبة والجورقان في الجزيرة » . أما في كتاب التنبيه فيضيف المسعودي أسماء أخرى على قائمته مثل « بازنجان نشويره ، بوذيكان وكيكان في مناطق مرعش » ثم يحدد أماكن وجود رمومهم (زمومهم) في مقاطعات عديدة مثل في كل من فارس ، كرمان ، سجستان ، خوراسان [في حين يشير الإصطخري إلى وجود قرية كوردية في مقاطعة أسدآباد] ، إصفهان [وبقربها مدينة بإسم الكورد تسكنها البازنجان على حد قول كل من اليعقوبي والإصطخري] ، الجبال التي شملت ماه الكوفه وماه البصره وماه سباذان (ماسبذان) وكذلك في إغارس وهمدان وشهرزور التي شملت أيضاً كل من درآباد وصامغان (زمكان) ، كما تعيش الكورد

ويقول إبن الأثير حول هذا التصدي في الأهواز « لما فصلت الخيول إلى الكور إجتمع ببيــروذ جمع عظيم من الأكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى أن يسـير إلى أقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتي المسلمون من خلفهم وخشـي أن يهلـك بعض جنوده أو يخلفـوا في أعقـابهم فـإجتمع الأكراد ببيـروذ وأبطأ أبو موسى حتى تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيـروذ فإلتقوا في رمضان بين نهـري تيري ومناذر » ويضيف قائلاً « في عهد خلافة عثمان بن عفان إحتل حبيب بن مسـلمة قـاليقلا ، ثم سار فنزل مربالا فأتاه بَطْريق (بطريك) خلاط بكتاب من عياض بن غنم بأمانه فأجراه عليه وحمل إليه البطريق ما عليه من المال » (الكامل ج ٣ ص ٣٥ ، ٦٥) . وهكذا ظفر بطريك الزوزان ، كما يقول البلاذري (فتوح البلدان ، ص ١٧٦) « إقراراً من المحتلـين العرب على أن يدفـع خراجاً عن رعاياه الكورد . ثم سار سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أرّان حتى بلغ برذعة فعسكر على الثرثور ... وشن الغارات على قراها ... ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية ودعا أكراد البلاشجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفـر بهـم فأقـرّ بعضهـم على الجزيـة وأدى بعضهـم الصدقـة وهـم قليـل » .

أخرى على قائمته مثل « بازنجان نشويره ، بوذيكان وكيكان في مناطق مرعش » ثـم يحـدد أمـاكن وجود رمومهم (زمومهم) في مقاطعات عديـدة مثـل في كـل مـن فـارس ، كرمـان ، سجستان ، خوراسان [في حين يشـير الإصطخري إلى وجـود قريـة كورديـة في مقاطعـة أسـدآباد] ، إصفهـان [وبقربها مدينة بإسم الكورد تسكنها البازنجان على حـد قـول كـل مـن اليعقوبـي والإصطخـري] ، الجبال التي شملت ماه الكوفه ومـاه البصـره ومـاه سباذان (ماسبذان) وكذلـك في إغـارس وهمـدان وشهرزور التي شملت أيضاً كل من درآباد وصامغـان (زمكـان) ، كمـا تعيـش الكـورد في كـل مـن آذربيجان وأرمينية [في دوين ، وعلى حد قول الإصطخري فإن يعيشون على نهر آراكـس في بيـوت مبنية من الطين والحجر] وأرّان [ويشير إبن مسكويه إلى الحاكم الذي صدّ الزحف الروسـي على أرّان عام ٣٣٢ هـ / ٩٤٢م بقوات كوردية] وفي بيلقان وبـاب الأبـواب (دربنـد) والجزيـرة بسـوريا وفي الثغور . ومـن الجدير بالإشـارة إلى أن المنـاطق الكورديـة في خراسـان سُميت أيـام تيمورلنـك بكوردستان خراسان (كوردستان المشرق) راجع ص ٨ من الترجـمة العربيـة لكتـاب محمـد أمين زكي ، خلاصة تأريخ الكرد وكردستان ، بغداد ١٩٣٦م .

ويضيف البلاذري قائلاً أن حبيب «وجه سرية إلى شَمكور ففتحوها وهي مدينة قديمة و لم تزل معمورة حتى أخربها السّناوردية الكورد» . وفي هذه الفترة عزل عثمان بن عفان أبي موسى الأشعري عن البصرة ، وذلك لأن أهل ايذّج والكورد كفروا في السنة الثالثة من خلافة عثمان .

ومع بدء العهد الأموي وأثناء وثوب المختار بالكوفة ، بُعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان وأمر بقتال الكورد (الكامل ج ٤ ص ١٨٧) . وفي فترة حكم الحجاج بن يوسف الثقفي يقول إبن الأثير أن « مطّرف سار نحو حلوان وكان بها سُوَيْد بن عبد الرحمن السعدي ، فأراد هو والأكراد منعه ليعذر عنه الحجاج فحازه مطّرف بمواطاة منه وأوقع مطّرف بالأكراد فقتل منهم وسار» . وفي الجزء الثالث ، ص ٣٥٢ يشير إلى أن « في هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في سجن الحجاج وكان الحجاج قد خرج إلى رستقاباذ للبعث لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على فارس » .

وبالإضافة إلى المسعودي وابن الأثير ، فقد تطرّق عدد كبير من البلدانيين والمؤرخين المسلمين في كتبهم إلى أخبار الكورد ومنهم ابن الفقيه (توفي في ٩٠٢م) وابن خرداذبه (توفي في ٩١٣م) وأبو دُلَف (توفي في ٩٤٢م) وابن حوقل (توفي في ٩٧٧م) واليعقوبي (توفي في ٨٧٥ ؟) والمقدسي (توفي في ٩٨٥م) وياقوت (توفي في ٨٩٧م ؟) وابن مسكويه (توفي في ١٠٣٠م) والإدريسي (توفي في ١١٦٥م) . وقد أشار أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الملقب بالإصطخري (توفي في ٩٥١م) في كتابه « المسالك والممالك » الذي ألفه في ٣١٨ - ٣٢١ هـ / ٩٣٠م - ٩٣٣م وأعيد كتابته في ٣٤٩ هـ / ٩٥١م إلى زموم الكورد أي بطون الكورد (ومفردها في اللغة الكوردية زم) في كورة سابور ببلاد فارس ، وقال أن «أكبرها زَمّ جيلُويَه ويعرف بزم الزميجان ويليه زم أحمد بن الليث ويعرف باللّوالجان ويلي في الكُبر زمّ الحسين بن صالح ويُعرف بزمّ الديوان ثم زمّ شهريار ويعرف بزمّ البازنجان والبازنجان الذي في حدود أصبهان ناقلة من هذا الزمّ

وزمّ أحمد بن الحسن ويُعرف بزمّ الكاريان وهو زمّ أردشير بن بابكان » ثم وصف أحياء الكورد في فارس قائلاً «أما أحياء الأكراد فإنها تكثر في الإحصاء غير أنهم بجميع فارس يُقال أنهم يزيدون على خمسمائة ألف بيت شعر ينتجعون المراعي في المشتى والمصيف على مذاهب العرب ويخرج من بيت واحد من الأرباب والأجراء والرعاء وأتباعهم ما بين رجل واحد إلى عشرة من الرجال ونحو ذلك ... وهذه الأحياء هي : الكرمانيّة والرامانيّة ومدثر وحيّ محمد بن بشر والبقيليّة والبندادمَهْريّة وحي محمد بن إسحاق والصباحيّة والإسحاقيّة والأذركانيّة والشهركيّة والطهمادهنيّة والزباديّة والشهرويّة والبندادكيّة والخسرويّة والزنجيّة والصفريّة والشهياريّة والمهركيّة والمباركيّة والأشتامهريّة والشاهونيّة والفراتيّة والسلمونيّة والصيريّة والآزاد دُختيّة والبراز دُختيّة والمطلبيّة والمحاليّة والشاهاكانيّة والكجتيّة والجليليّة ، فهؤلاء الذين حضرني أسماؤهم .. ولهؤلاء من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكراع ما يستصعب على السلطان أمرهم ... إلخ»(٤٥) . وسجّل إبن حوقل في نفس الفترة تقريباً أخبار بطون الكورد في

---

(٤٥) راجع : الإصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني ومراجعة محمد شفيق غربال ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصري ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م . ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن لكل زمٍ من هذه الزمزم كان ملكٌ يحكمها حسب قاعدة ملوك الطوائف المتبعة في النظام السياسي الفرثي والساساني ، وعلى هذا الأساس يقول الإصطخري «أن ملوك الزموم الذين على أبوابهم الجيوش الدائمة من ألف رجل إلى ثلاثة آلاف رجل ، فإن منهم في زم الزميجان المعروف بزم جيلُويَه المهرجان بن روزبه ، وهو أقدم من جيلويه وأعظم شوكة ومنزلة وأخوه سلمة ابن روزبه بعده وكان جيلويه ناقلة إليهم من حمايجان السفلى من كورة إصطخر وكان يخدم سلمة ، فلما مات تغلب جيلويه على هذا الزم وإستفحل أمره حتى نسب الزمّ إليه إلى يومنا هذا وبلغ من شوكته أن أوقع بآل أبي دُلف وقتل معقل بن عيسى أخا أبي دلف ثم قصده أبو دلف فقتله وحمل رأسه فكان لآل أبي دُلف إلى أن إنقضت أيامهم يقيمون برأسه في الحروب يحمل بين أيديهم على رمح وق صبّب القِحْف بالفضة حين وقع في يد همرو بن الليث ولما هزم احمد بن

هذه المناطق وإستعمل صيغة حوم ، ومزادها حومهاى كُردان « بطون الكورد» بدلاً من صيغة (زم) وقال «أن حومهاى كُردان كثير جداً لا يُعرف عددها ويقال أن في فارس لهم أكثر من خمسمائة ألف خانه (بيت شعر)(٤٦) » وكان أشهر هؤلاء الكوردان (الأكراد) هم أفراد قبائل شُبانكاره التي تحدث عنهم إبن البلخي بشكل مفصل . وفي الواقع ، فإن أفراد إتحادات قبائل شُبانكاره المشهورة في إقليم فارس كانوا يمثلون على مذاهب بدو العرب ؛ شريحة رعوية من شرائح الأمة الكوردية ، لذلك فإن تسميتهم بهذه الكنية التي تعني في نفس الوقت (البدو) شملت الأسرة الساسانية كما يقول حاجي خليفة في كتابه جهان نما (طبعة القسطنطنية ١٧٣٢م ، ص ٢٧٩) وقد أشار كِتاب «مجمع الأنساب» إلى أن طائفة الشبانكاره كانت سُبّطاً من أسباط أسرة أردشير مؤسس الدولة الساسانية مثلما

عبد العزيز بالزرقان فكسره ورياسة هذا الزم في أولاد جيلويه إلى يومنا هذا . وأما زمّ الديوان فكان رئيسهم آزادمرد بن كوشهاذ من الأكراد فملكه دهراً ثم عصى فقصده السلطان فهرب إلى عمان وبها مات وصار الأمر بعده الى الحسين بن صالح من الأكراد فصار الزمّ في يده ويد أولاده الى أيام عمرو بن الليث فنقله عنهم الى ساسان بن غزوان من الأكراد ، فهو في أهل بيته إلى يومنا هذا . وأما زمّ اللوالجان فكان في أيدي آل الصفّار الى ان ولى محمد بن ابراهيم الطاهري فارس فجعله في يدي أحمد بن الليث رجل من الأكراد فهو في يدي أهل بيته إلى يومنا هذا ومحمد بن إبراهيم هو الذي أوقع بآزادمرد ابن كوشهاذ حتى هرب . وأما زمّ الكاريان فهو في يدي آل الصفّار الى يومنا هذا على قديم الأيام ورئيسهم اليوم جعفر بن أحمد بن الحسن ، وأما زمّ البازنجان فإن رئيسهم كان يسمى شهريار من الأكراد ، والزمّ منسوب إليه وكان مصاهراً لجيلويه وصار بعده للقاسم بن شهريار ثم إنتقل إلى موسى بن القاسم ، والبازنجان الذين هم في حد أصبهان هم من هذا الزمّ فإنتقلوا إلى فارس إلا أن لهم في حدود فارس ضياعاً كثيرة وكان رئيسهم موسى بن عبد الرحمن ثم صارت لموسى بن مهراب وصار بعده لأحمد بن موسى والرئاسة فيهم الى يومنا هذا .

(٤٦) راجع الصفحة ٨٣ وما بعدها من كتاب « المسالك والممالك » تصنيف ابن حوقل ، ترجمها من الفارسية إلى الإنجليزية سير وليام أوسلي *Sir William Ouseley* عام ١٨٠٠م .

يعيد هذا القول الأستاذ رشيد ياسمي[٤٧] . وفى هذا الصدد يذكرنا الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ، توفي في سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢م) بمحتوى رسالة أردوان الخامس ؛ آخر ملوك الفرث الذي أرسلها إلى أردشير موصفاً إياه بإنتمائه الكوردي حيث يقول « فبينما هو كذ لك إذ ورد عليه رسول أردوان بكتاب منه ، فجمع أردشير الناس لذلك وقرأ الكتاب بحضرتهم فإذا فيه : أنك عدوت طورك وإجتلبت حتفك ايها الكردي المربى في خيام الأكراد من أذن لك في التاج الذي لبسته والبلاد التي إحتويت عليها وغلبت ملوكها وأهلها»[٤٨] . وعلى أساس هذا المفهوم ، ليس من الغريب أن نقرأ عن هؤلاء البدو في كتاب «الكامل في التأريخ» لإبن الأثير عندما يشير إلى «أن نمرود وأصحابه أجمعو على إبراهيم فقال أحرقوه وأنصروا آلهتكم ، قال عبد الله بن عمر أشار بتحريقه رجل من أعراب فارس قيل وللفرس أعراب قال نعم الأكراد هم أعرابهم قيل كان إسمه هيزن فخسف به يتحلحل فيها إلى يوم القيامة ... إلخ »[٤٩] .

تَثْبُت أقوال عدد من كتبة الحوليات المسلمين ، بالإضافة إلى مدونات الكنائس والأديرة حقيقة العلاقة السلبية بين الكورد والعرب في بعض فترات عصر صدر الإسلام وخلال عصري بني أمية والعباسيين رغم ما يحلو للبعض المتطفلين على التأريخ تصويرها بصورة عكسية . ففي أثناء خلافة عمر بن الخطاب حررت الكورد صيمره وماسَبَذان ، المنطقتان الرئيسيتان في كَرَخا (اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٣٦) ، إلا أن العرب إحتلوا بعد معارك دموية كل من مقاطعات شهرزور ودارَباذ وصمغان عام ٢٢ هـ / ٦٤٣م

---

(٤٧) راجع رشيد ياسمي ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ ، ١٦٨ .

(٤٨) راجع الطبرى ، تأريخ الرسل والملوك ، الجزء الأول من طبعة ليدن ، تحقيق *M. J. De Goeje* ١٨٧٩م – ١٨٨١م وراجع الجزء الثاني من الطبعة الثانية ، القاهرة ، ص ٣٩ .

(٤٩) راجع ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، الجزء الأول ، طبعة ليدن ١٨٦٦ ، ص ٧٠ .

(فتوح ، ٣٣٤ ، الكامل ، الجزء الثالث ، ٢٩) ، حيث يحدثنا إبن الأثير عن حرب عبد الله بن حمدان فيما بعد مع كورد الگلالية (الجلالية) في شهرزور . وفي الجنوب ، حاول أبو موسى الأشعري حاكم البصرة عام ٢٥ هـ / ٦٤٥م إخماد ثورة الكورد في كل من بيروذ وبلاشجان (بلاشگان) . وأثناء خلافة علي بن أبي طالب إشتركت الكورد مع الفرس والمسيحيين في ثورة الخريت قرب أهواز ببلاد فارس وقُتل قائد هذه الثورة في رام هُرمُز . أما أثناء حكم الخليفة الأموي عبد الملك عُيّن المختار عام ٦٦ هـ / ٦٨٥م والياً على حلوان بعد أن كان قد إستولى على أرمينيا وآذربيجان ، فبدأ بمحاربة الكورد (الكامل ، الجزء الرابع ، ص ١٨٧) ، لكن موت المختار أجهض تنفيذ هذه الخطة . وبأطراف سابور في بلاد فارس ، حاول عبد الرحمن الأشعث أن يحالف الكورد أثناء إنتفاضتهم عام ٨٣ هـ / ٧٠٢م . وفي عام ٩٠ هـ / ٨٠٨م حررت الكورد إقليم فارس ثم أخرجهم منها الحجاج بن يوسف الثقفي بعد مقتلة عظيمة(٥٠) . وفي عام ١٢٩ هـ / ٧٤٦م تحالفت الكورد مع الخوارج ، وإستطاع سليمان الثائر على الخليفة مروان الثاني الذي ولّدته أمَةٌ كوردية من محاصرة قوات بني أمية في سابور (الطبري ، الجزء الثالث ، ص ٥١) .

وفي فترة حُكْم أبي جعفر المنصور العباسي الذي ولّدته أيضاً أمَةٌ كوردية (الطبري ، الجزء الثالث ، ص ٤٤٢) ، غزت الخزر عام ١٤٧ هـ / ٧٦٤م بلاد أرمينية ؛ حيث بدأت تنتشر فيها الفتن والعصيان ، وبعد عدة سنين توسعت رقعة الإنتفاضات الكوردية في ميسيل (الموصل) ووجدت لها الأصداء في همدان . ففي الجزء الخامس من الكامل (ص ٤٤٨) يقول إبن الأثير «وفيها إستعمل المنصور على الموصل خالد بن برمك وسبب ذلك أنه بلغه إنتشار الأكراد بولايتها وإفسادهم فقال من لها فقالوا المُسيّب ابن زهير فأشار عماره بن غمرة بخالد

---

(٥٠) إستقينا هذه المعلومات والتي تليها من دائرة المعارف الإسلامية (مادة الكورد) .

بن برمك فولاه وسيره إليها» . ونتيجة للسياسة القبلية العنصرية للعباسيين ، أرسل الخليفة المأمون قائده الحسن لمحاربة كورد الجزيرة فإلتقت قوات الطرفان في طور عابدين ، على حد قول ابن العبري الذي أشار أيضاً إلى العصيان الكوردي الذي بدأ في بلاد قردو (الجزيرة) ضد حكم المعتصم عام ٨٤٢م بعد أن إنتفض بوجهه عام ٢٢٥ هـ / ٨٣٩م نبيل كوردي يُدعى جعفر بن فهرجس حوالي الموصل ، حيث قضى على عساكر العباسيين في مانغيش (مانگيش) ، ثم توجه إلى جبال داسن وإنتصر هناك على فلول قوات الخليفة العباسي . وقد أرسل معتصم قوة جديدة ضد الكورد بقيادة أحد زعماء الترك المدعو آيتاخ حيث قضى هذ أخيراً على تلك الثورة الكوردية ويسرد إبن الأثير تفاصيل قصة هذه الثورة في الجزء السادس من الكامل (ص ٣٦٠ - ٣٦١) ويقول «في هذه السنة [٢٢٥ هـ / ٨٣٩م] عصى بأعمال الموصل إنسان من مقدمي الأكراد إسمه جعفر بن فهرجس وتبعه خلق كثير من الأكراد وغيرهم ممن يريد الفساد فإستعمل المعتصم عبد الله بن السيد بن أنس الأزدي على الموصل وأمره بقتال جعفر ، فسار عبدا لله إلى الموصل وكان جعفر بمانغيش فقصد جبل داسن وإمتنع بموضع عال فيه لا يرام والطريق إليه ضيق فقصد عبد الله هناك وتوغل في تلك المضائق حتى وصل إليه وقاتله فإستظهر جعفر ومن معه من الأكراد على عبد الله لمعرفتهم بتلك المواضع وقوتهم على القتال بها رجالة فإنهزم عبد الله وقتل أكثر من معه وممن ظهر منهم إنسان إسمه رباح حمل على الأكراد فخرق ضعهم وطعن فيهم فقتل وصار وراء ظهورهم وشغلهم عن أصحابه ... فتكاثروا الأكراد عليه فألقى نفسه من رأس الجبل على فرسه وكان تحته نهر فسقط الفرس في الماء ونجا رباح ، وكان فيمن أسره جعفر رجلان أحدهما إسمه إسماعيل والآخر إسحاق بن انس وهو عم عبد الله ابن السيد وكان إسحق صهر جعفر فقدمهما جعفر إليه فظن إسماعيل أن يقتله ولا يقتل إسحاق للصهر الذي بينهما فقال يا إسحاق أوصيك بأولادي فقال له إسحاق أتظن أنك تُقتَل وأبقى بعدك ثم إلتفت إلى جعفر فقال أسألك أن تقتلني

قبله لتطيب نفسه فبدأ به فقتله وقتل إسماعيل بعده ، فلما باغ ذلك المعتصم أمر آيتاخ بالمسير إلى جعفر وقتاله فتجهز وسار إلى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل داسن وجعل طريقه غلى سوق الأحد فإلتقاه جعفر فقاتله قتالاً شديداً فقتل جعفر وتفرق أصحابه فإنكشف ثره واذاه عن الناس وقيل أن جعفر شرب سماً كان معه فمات وأوقع آيتاخ بالأكراد فأكثر القتل فيهم وإستباح أموالهم وحشر الأسرى والنساء والأموال إلى تكريت » .

وفي عام ٢٣١ هـ / ٨٤٥م ، وفي فترة حكم الواثق با لله ، قامت الكورد في كل من أصفهان والجبال وفارس بثورة كبرى إنتهت آثارها بيد القائد التركي وصيف ، ويقول إبن الأثير (في ج ٧) حول هذا الموضوع « أن غانم بن أبي مسلم بن أحمد الطوسي خرج على حرب الموصل وأخذ محمد بن عبد ا لله أسيراً فبعث به إلى سامرا فحبس وفيها قدم وصيف التركي من ناحية أصبهان والجبال وفارس وكان قد سار في طلب الأكراد لأنهم كانوا قد أفسدوا بهذه النواحي وقدم معه بنحو من خمس ماءيه نفس فيهم غلمان صغار فحبسوا » ولما حرر كورد الجزيرة والموصل موطنهم من حكم العباسيين بدأوا يديرونهابأنفسهم لفترة من الزمن ، ومن باب عاطفة العصبية.القبلية وصف العجيني هذه الحالة كما يلي :

ما رأى الناس لهذا الدهر مذ كانوا شبيهاً ــ ذلت الموصل حتى أمر الأكراد فيها

أما في فترة الحكم الكوردي في فارس فكانت وقعة الزنگ (الزنج) مع أحمد بن لَيثويه حيث لعبت الكورد خلالها (عام ٢٦٢ هـ / ٨٧٥م) دوراً مهماً وقامت الإنتفاضة بقيادة عليد الخارجي المشهور بعلي محمد الخبيث(٥١) كما كان للكورد الدور الرئيسي في ثورة يعقوب الصفار مؤسس السلالة الصفارية . وقد عيّن يعقوب قائداً كوردياً على أهواز هو محمد بن عبيد ا لله هزارمرد الذي كان متفقاً بشكل خفي مع علي محمد الخبيث . ولأجل تعزيز الخطة غزا محمد بن عبيد ا لله بمساعدة الخبيث مدينة السوس ولكن قائد الحامية الكوردية أحمد بن لَيثوية الكوردي منعه من الدخول إليها ، وكان هذا مُرسلاً إلى هناك

من قبل الخليفة للقضاء على ثورة يعقوب الصفار (ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق *de Slane* ، الجزء الرابع ، ص ٣٠٤-٣٠٨) . وعندما غادر أحمد ، عزز محمد موقفه بمساعدة الخبيث وبدعم الكورد المتواجدين هناك ، فتحررت شوشتر بيده وكان من المفروض أن تُلقى خطب الجمعة فيها بإسم الخبيث ، لكن أحمداً قرر أن يكون بإسم الخليفة المعتمد وغريمه يعقوب الصفار ، وقد كافأت الزنج محمداً وأحتلت شوشتر من قبل إبن ليثوية وإلتجأ محمد إلى رام هورمز ، إلا أنه أخرج منها من قبل قواد الخبيث . وعندما وجد محمد صعوبات في التعامل مع كورد الدارنان طلب العون من الخبيث الذي أرسل له هذا قواتاً إضافية حيث دخلت مباشرةً إلى المعركة ، في حين ترنحت هذه القوات وهاجم عليها محمد . ولكي يتجنب التصادم مع الخبيث ، وافق محمد أن ينادي به خليفة . وقد وضع موت كل من يعقوب النجار (٢٦٥ هـ / ٨٧٩م) والخبيث (٢٧٠ هـ / ٨٨٣م) نهاية لهذه المآثر . وبنظر إبن الأثير كان سبب هذه المشاكل (الكامل ، ج ٧ ص ٢٠٣) « أن مسروراً البلخي وجّه أحمد بن ليثويه إلى كور الأهواز فنزل السوس وكان يعقوب الصفار قد قلّد محمد بن عبيد الله بن هزارمرد الكردي كور الأهواز فكاتب محمد قايد الزنج يطمعه في الميل إليه وأوهمه أنه يتولى له كور الأهواز وكان محمد يكاتبه قديماً وعزم على مداراة الصفار وقايد الزنج حتى يستقيم له الأمر فيها فكاتبه صاحب الزنج يجيبه إلى ما طلب على أن يكون علي بن ابان المتولي للبلاد ومحمد بن عبيد الله يخلفه عليها فقبل محمد ذلك فوجه إليه علي بن ابان جيشاً كثيراً وأمدهم محمد بن عبيد الله فساروا نحو السوس فمنعهم أحمد بن ليثويه ومن معه من جند الخليفة عنها وقاتلهم فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر جماعة وسار أحمد حتى نزل سابور وسار علي بن ابان من الأهواز ممداً محمد بن عبيد الله على أحمد بن ليثويه فلقيه محمد في جيش كثير من الأكراد ...» . ويضيف إبن الأثير (ص ٢٣٩) قائلاً «وفيها كانت وقعة للزنج إنهزمو فيها

---

(٥١) راجع :

Th. Nöldeke, A servile war in the East, in *Sketches from eastern history,* Edinburgh-London 1892, PP. 146-175 .

وكان أن محمد بن عبيد الله كتب إلى علي بن ابان بعد الصلح يسأله المعونة على الأكراد الدارنان [الداربان] على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم ... فسير محمد طائفة من أصحابه إلى الأكراد فخرج إليهم الأكراد فقاتلهوم ونشبت الحرب فتخلى أصحاب محمد عن الزنج وقتلت الأكراد منهم خلقاً كثيراً » .

أما في الموصل فنشب خلاف بين الخوارج عام ٢٦٣ هـ / ٨٧٦م كان يمثله جناحين كورديين بقيادة كل من هارون الخارجي ومحمد بن خرزاد اللذان إصطدما في معركة بباعذرا ثم بالقرب من قرية شمرخ على حد قول إبن الأثير (ص ٢٥١ ، ٢٥٢) ، ويشير إلى أن «هارون إنهزم وقُتل من أصحابه نحو مايتي رجل منهم جماعة من الفرسان المشهورين ومضى هارون منهزماً فعبر دجلة إلى العرب قاصداً بني تغلب فنصروه ، ورجع ابن خرزاد من حيث أقبل وعاد هارون إلى الحديثه فأجمع عليه خلق كثير وكاتب أصحاب ابن خرزاد وإستمالهم فأتاه منهم الكثير ولم يبق مع ابن خرزاد إلا عشيرته من الشمردليّه وهم من أهل شهرزور وإنما فارقوه أصحابه لأنه كان خشن العيش وهو ببلد شهرزور وهو بلد كثير الأعداء من الأكراد وغيرهم ... وواقع ابن خرزاد بنواحي شهرزور الأكراد الجلاليه وغيرهم فقتل وتفرد هارون بالرياسة على الخوارج » .

وفي حوالي ٢٨١ هـ / ٨٩٤م ساهمت الكورد في أعمال عساكر حمدان بن حمدون عندما إحتلوا الموصل والمناطق المحيطة بنهر الزاب الكبير ، فخرج الخليفة العباسي المعتضد الخرجة الثانية إلى هذه النواحي قاصداً حمدان لأنه بلغه كما يقول إبن الأثير (ص ٣٢٣ ، ٣٣٥) «أن حمدان مال إلى هارون الشاري ودعا له مما بلغ الأعراب والأكراد مسير المعتضد تحالفوا أنهم يقتلون على دم واحد وإجتمعوا وعبوا عساكرهم وسار المعتضد إليهم في خيله جريدة فأوقع بهم وقتل منهم وغرق منهم في الزاب خلق كثير وسار المعتضد إلى الموصل يريد قلعة ماردين ... وفي سنة ٢٨٢ هـ كتب المعتضد إلى القائد الكوردي إسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون بالمسير إليه وهو في الموصل فبادر إسحاق وتحصن حمدان بقلاعه ... فسير المعتضد الجيوش نحوه ... فقصد خيمة إسحاق بن أيوب وهو مع المعتضد واستجار به فأخره إسحاق عند المعتضد فأمر بالإحتفاظ به وتتابع الأكراد في طلب الأمان وكان ذلك في المحرم » . ثم يشير إبن الأثير إلى أنه « في سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥م ولّى المكتفي بالله الموصل وأعمالها أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي

فسار إليها ... فأتاه الصريح من نينوى بأن الأكراد الهذبانية ومقدمهم محمد بن بلال قد أغاروا على البلد وغنموا كثيراً فيه فسار في وقته وعبر الجسر إلى الجانب الشرقي فلحق الأكراد بالعروبة على الخازر ... وكتب إلى الخليفة يستدعي النجدة فأتته النجدة بعد شهور كثيرة وقد إنقضت سنة ٩٣ ودخلت ٩٤ ، ففي ربيع الأول منها سار فيمن معه إلى الهذبانية وكانوا قد إجتمعوا في خمسة آلاف بيت فلما أرادوا جدّه في طلبهم ساروا إلى البابة في جبل السَلَق وهو مضيق في جبل عال مشرف على شهرزور فإمتنعوا وغار مقدمهم محمد بن بلال وقرب من ابن حمدان وراسله في أن يطيعه هو وأولاده ويجعلهم عنده يكونون رهينة ويتركون الفساد فقبل ابن حمدان ذلك فتركهم وسار يقفوا أثرهم فلحقهم وقد تعلقوا بالجبل المعروف بالقنديل فقتل منهم جماعة وتعلق الأكراد بذروة الجبل وإنصرف ابن حمدان عنهم ولحق الأكراد بأذربيجان وأنهى ابن حمدان ما كان من حالهم إلى الخليفة فأنجدوه بجماعة صالحة . وعاد إلى الموصل فجمع رجاله وسار إلى جبل السَلَق وفيه محمد بن بلال ومعه الأكراد فداخله ابن حمدان والجواسيس بين يديه ... وجاوزوا الجبل وقاربوا الأكراد وسقط عليهم الثلج ... فلما رأى الأكراد صبرهم أنهم لا حيلة لهم في دفعهم لجأ محمد بن بلال وأولاده ومن لحق به وإستولى ابن حمدان على بيتهم وسوادهم وأهلهم وأموالهم وطلبوا الأمان بآمنهم ... ثم أن محمد بن بلال طلب الأمان من ابن حمدان فآمنه محضر عنده وأقام بالموصل وتتابع الأكراد الحميدية وأهل جبل داسن » .

وهكذا وبعد الإنتفاضة الكوردية التي قادها المدعو أبو ليلى عام ٢٨٤ هـ / ٨٩٧م ، تزعم محمد بن بلال قبائل الكورد الهذبانية في ٢٩٣ هـ / ٩٠٦م ووجّههم نحو نينوى حيث قاومهم عبد الله بن حمدان حاكم الموصل الذي أصيب في المعطوبة . ولأجل تعزيز موقف الحمدانيين أرسل الخليفة قواتاً إضافية إليهم ، فبذلك إستطاعت العرب بعد سنة واحدة من إبعاد خمسة آلاف من عوائل الهذبانيين الكورد من إقليم نينوى ، وأخيراً وبعد مفاوضات إتفق الطرفان على أن يعود الهذبانيون إلى آذربيجان ويبقى عبد الله في الموصل في سبيل الخدعة ، إذ جمع فيها قواتاً أخرى هاجم بها الهذبانيين بغتة وكان هؤلاء قد مستقرين في حبال السَلَق ، ثم إنتقلوا لكي يحتموا في النهاية بجبال داسن . ومع ذلك ، ففي زمن الخليفة المقتدر بالله سيطرت الكورد على مشارف الموصل ، إلا أنهم إنسحبوا منها بعد أن إتفق معهم الحمدانيون ثم إنتفضت الكورد والعرب معاً عام ٣١٤ هـ /

٩٢٥م بأرض الموصل وطريق خراسان وكان عبد الله بـن حمـدان يتـولى الجميـع في بغـداد وإبنه ناصر الدولة بالموصل ، فقتلا جمعاً كبيراً مـن المنتفضـين ورحّـل البـاقين إلى شـهرزور فوطئ الأكراد الجلالية فقاتلهم وإنضاف إليهم غيرهم فإشتدت شوكتهم .



عـددٌ من جنـود إمارة موكـريان الكوردية
خلال القرن التاسع عشر الميـلادي

عصر السيادة الكوردية والديلمية :

أشار إبن مسكويه عام ٣٣٧ هـ / ٩٤٣م (الصفحة ١٠٥ من الجزء السادس من كتابه تجارب الأمم) إلى الغزو الذي قام به حسين الحمداني في آذربيجان بمساعدة جعفر بن شكوية زعيم الهذبانيين الكورد في سلماس . وبعد الضعف الذي دبّ تدريجياً على الحكم العباسي في آذربيجان وذلك بتأثير تسلط الساجدية ، لم يملأ الفراغ السياسي غير الديلم والكورد . وبعد سقوط الساجدية ظهر على مسرح الأحداث شخصية من الخوارج هو ديسم بن إبراهيم كان ينحدر من أب عربي وأم كوردية ، وتألفت قواته من المقاتلين الكورد قاطبة مع جمع صغير من الديلم وإستولى بهم على آذربيجان بعد أن كان يحكمها يوسف بن أبي السادي ، وفي عام ٣٢٧ هـ / ٩٣٨م إستطاعت هذه القوات من إخراج لشكري بن مَرْدي أحد زعماء زياريد ووشمَگير من آذربيجان ، ومع ذلك إستطاع مرزُبان حاكم المسافرية الديلم من إبعاد ديسم من هذا البلد حيث إلتجأ إلى صديقه حاجيق بن الديراني (خاچيك ابن ديرانيك ملك واسبوراقان الأرمني) ، وعندما ألقى ركن الدولة البويهي القبض على مرزبان عام ٣٣٧ هـ / ٩٤٨م-٩٤٩م إلتمس أهالي تبريز بزعامة شقيق مرزبان المدعو وهسوذان من ديسم أن يرجع إلى آذربيجان وهو متوجه نحو الطرم شرق بحر قزوين . وعندما كان ديسم يقود عساكره الكوردية في هذه الفترة سيطر على أردبيل وبرذعه ، لكن هذه القوات إندحرت هناك أمام عساكر ركن الدولة . وعندما رجع مرزبان من الأسر ، كان ديسم موقوفاً في أرمينيا حيث نُقل إلى بغداد وعامله مُعز الدولة البويهي بِكَرمٍ . ولما أراد الرجوع إلى آذربيجان ، طلب العَوْنَ من حمدانيي الموصل وسوريا أن يمدوا له يد المساعدة ، فرجع عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥م - ٩٥٦م من الموصل إلى سلماس (كوردستان الشرقية) وطلب هناك أن يُلقى الخطبة بإسم سيف الدولة الحمداني ، فأخرجه مرزبان من هناك حيث إلتجأ مرة أخرى إلى صديقه الأرمني ديرانيك بن خاچيك . وفي أواخر عُمره فَقَدَ ديسم عينيه ومات في السجن عام ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦م

(الكامل ، ج ٨ ، الصفحات ٢٨٩ ، ٣٦١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ وكذلك تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٣٤٥ ، ج ٢ ص ١٤٨ – ١٥١ تحقيق *Amedroz*) .

وعلى العموم ، فقد تعامل البويهيون مع الكورد بطريقة قاسية وخاصة في زمن عضد الدولة البويهي الذي إستعمل شتى الوسائل معهم أكثر من أبيه ركن الدولة . فهجّر هذا مئات الآلاف من الكورد من إصفهان إلى فارس حيث إختلطوا باللورية على حد قول الإصطخري . ويحدثنا صاحب كتاب (فارسنامه) عن التطورات القوية التي طرأت على التشكيلات العسكرية لبطون قبائل الشبانكاره بفارس في هذه الفترة ، ومن جهة أخرى يشير العُمَري في كتابه (مسالك الأبصار) إلى وحدة هذه القبائل ونمط حياتهم الحرة رغم تعدد قيادات بطونهم . وعلى كل حال ، فإثناء تطور كورد مقاطعة فارس تميزوا تمييزاً كبيراً عن أولئك الكورد في كوردستان . وكإنعكاس لسياسة عضد الدولة السيئة تألقت في هذا العصر نجم الزعيم الكوردي ابن بادويه على مسرح الصراع مع البويهيين ، فإستقل هذا في أردموشت قرب جبل جودي وساعده أبو تغلب الحمداني على حد قول ياقوت الحموي . وبسبب خُطط عضد الدولة للقضاء على بادويه ، أعلنت الكورد في شهرزور عن إستقلالهم ، كما يقول إبن مسكويه (تجارب الأمم ، الجزء الثاني ، ص ٣٩٨) . وبناءً على ذلك نظّم عضد الدولة حملة عسكرية للقضاء عساكر بادويه ، ولكي يبعد بدو بني الشيبان العرب الذين تعلقوا بزعماء شهرزور عن طريق المصاهرة عن الساحة ، هددهم بقواته ، فإنسحب هؤلاء على حد قول إبن الأثير (الكامل ، الجزء الثامن ، ص ٥١٦) إلى البادية العربية وسقطت شهرزور بيد القوات البويهية . ويضيف إبن الأثير (ص ٥٠) قائلاً «أن حملة بويهية أخرى عام ٣٧٠هـ/٩٨٠م سارت على أسرى كورد الهيكاريه الذين إعتمدوا على وعود الغزاة بالحفاظ على أرواحهم ، لكن قائد هذه الحملة قضى على جميع هؤلاء في الطريق الذي يقع بين معلثايا والموصل» ونتيجة لهذه الحملات ، برز في وسط الزعامة السياسية الكوردية إسم أبو شُجاع باذ بن دوستك (أبو عبد الله حسين بن

دوشنج) رئيس قبائل الحُمَيْدي بعدما أصبح سيد الموقف في مدن أرديش وآميد وميافارقين . وأثناء الدفاع عن ثورة الكورد في نصيبين ضد البويهيين ، إصطدم باذ بقوة صمصم الدولة ، فقضى على قواتهم تماماً في معركة قرب باجولائيه على نهر خابور الحسينية بمقاطعة كواشي (أردموشت) ، ثم سار من هناك وحرر الموصل وقرر من بعد ذلك التوجه نحو بغداد لأجل القضاء على الحكام البويهيين فيها ، لكن صمصم الدولة وقف أمام باذ ، فقرر هذا الأخير الرجوع إلى ميافارقين حيث بدأ منذ عام ٣٧٤ هـ / ٩٨٤م بتنظيم الأمور العامة في كل من ديار بكر وطور عابدين وغيرهما من المدن الكوردية .

لم يتنازل باذ عن حقه في حكم مدينة الموصل التي كان أغلب سكانها من الكورد في هذه الفترة ، وفي عام ٣٧٩ هـ / ٩٩٠م جمع قوة هائلة من كورد البشنوية وحاصر بهم هذه المدينة وفاوض أهلها ، إلا أن الحمدانيين الذين كانوا قد إستولوا على بعض الأطيان والأملاك في المدينة طلبوا العون من بني عُقيل العرب الدعم لمهاجمة القوات الكوردية . ولسوء حظ مات باذ على إثر وقوعه من فرسه حيث إندقت رقبته ، ومع ذلك خرج أهل الموصل برمتهم لكي يشاركوا مراسيم دفنه كمجاهد كبير حارب الكفار حسب تصورهم(٥٢) . وبعد هذه الحادثة رجع أبوْ علي بن مروان بن دوستك إبن أخت باذ وحليفه إلى مدينة حصنكيفا بعدما قبض على أبي عبد الله الحمداني الذي حارب خاله ، إلا أنه عامله بكل لطف وكرم ، ثم إستقر في آميد بعدما نجح في إسترضاء أهاليها ومنذ هذه الفترة بدأ الحكم المرواني .

تألقت في هذا العصر أسماء سلالات كوردية لعبت أدوارا رئيسة في تأريخ كل من

---

(٥٢) الكامل ، الجزء التاسع ، ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٩ ، راجع كذلك إبن العبري ، مختصر الدول ، تحقيق *Pococke* ، ص ٣٢١ ــ ٣٢٣ .

الجبال وآذربيجان والبلاد القفقاسية وشرق الأنضول ومنها سلالة الحسنويه والروادية والشدادية والمروانية وبنو عناز ، حيث حكمت الأولى في الجبال (همدان وكرمنشاه وديناور ونهاوند وزهاو) والثانية في آذربيجان والثالثة في أرمينيا وجيورجيا والرابعة في آميد وميافارقين وحواليها والخامسة في الجبال . فدولة الحسنويه تأسست من قبل حسنويه بن حسن زعيم كورد البَرْزيكاني (بَرزيني) الذي ساند ركن الدولة البويهي في حملته على خوراسان وكان هذا الأخير في علاقة طيبة مع الكورد على العموم . وعندما توفي حسنويه عام ٣٦٩ هـ / ٩٧٩م في عاصمته سرماج (جنوب بيستون) حاول عضد الدولة البويهي أن يضع يده على أملاكه في همدان وديناور ونهاوند ، ولكن بدر بن حسنويه حال دون ذلك ، وكان هذا مخلصا لعضد الدولة وحتى أنه حارب أخاه الذي كان يميل إلى فخر الدولة البويهي . ولدينا أخباراً عن صراع شمس الدولة البويهي مع هؤلاء الحسنويه عام ٤٠٦ هـ / ١٠١٥م . مات ونداد الحسنوي عام ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م ولحقه شقيقه أبو الغنائم عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١م في الحكم وبعد ذلك إنتزع إبنه أبو سالم ديسم قلعته قسنان قرب بابا يادكار في زهاو وإستولى على غانم آباد وغيرها من المناطق .

أما في آذربيجان ؛ فإنتقلت قوة المسافريه الديلم زمن سالار مرزبان الديلمي إلى يد الروادين الكورد حيث إمتلك هؤلاء آذربيجان عام ٣٤٣ هـ / ٩٥٤م وجعلوا مدينة تبريز عاصمة لهم ، ثم فتحوا أغلب جهات هذه البلاد عام ٣٧٣ هـ / ٩٨٣م ، أما أفول نجمهم السياسي وسقوطهم فكان عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م ، ودام حكمهم ١١٧ عاماً تقريباً ، وأول من حكم من هذه السلالة كان محمد بن حسين الروادي ، فبالإضافة إلى حكمه لبعض المقاطعات في أرمينيا ، توسعت سلطته في آذربيجان بعد أن أسر سالار . وبعد وفاته أصبح إبنه وريثاً له حيث عمّر مدينة تبريز عام ٣٤٥ هـ / ٩٥٦م ، ثم خلفه أبو الهيجا بن حسين ، وإستطاع هذا من القضاء على آخر حكام الديلم مثل مرزبان بن إسماعيل بن وهسوذان بن محمد ابن مسافر الديلمي وسجنه عام ٣٧٤ هـ / ٩٨٤م وضم

إلى حكمه بلاده ، فتمرد عليه شقيق المرزبان السجين . وبعد وفاة أبي الهيجا ورثه أبو ناصر بن حسين الروادي عام ٤١٦هـ / ١٠٢٥م ثم تبعه شقيقه أبو منصور وهسوذان بن محمد الذي حكم لمدة طويلة إلى أن توفي عام ٤٥١ هـ / ١٠٥٩م وخلفه إبنه محمد بن وهسوذان . وفي الواقع ، فإن ديسم بن إبراهيم كافح بعد سقوط الساجدية ليتسلم السلطة في آذربيجان (٣٢٧ هـ – ٣٤٥ هـ / ٩٣٨م – ٩٥٦م) التي دامت بيده ١٨ عاماً ، وكان هذا خارجياً ، ولد من أب عربي وأم كوردية وكانت قواته تتألف من العنصر الكوردي بشكل رئيسي . وعلى كل حال ، قدم *N. F. A.* عام ١٩٠٩ في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية *J:R.A.S* توضيحاً خاطئاً بعض الشيء عن سلالة الرواديين ، لكن بوسفورت *K. E. Bosvort* عدّل في الصفحتين ٣٦ ، ١٣٢ من كتابه (السلالات الإسلامية) الذي تُرجم إلى الروسية بعنوان *Musulmanskye Dinastii, M. (1971), Str. 36, 132* هذا التوضيح ونظم أسماء سلالة الرواديين من الحكام كما يلي :

الإبتداء من القرن الرابع الهجري (عام ٤٦٣) / بداية القرن العاشر الميلادي (عام ١٠٧١)

محمد بن حسين الروادي ... ؟

حسين بن محمد ... حوالي ٢٤٠ هـ / حوالي ٩٥١م

أبو ناصر حسين الثاني بم مملان ... ٣٩١هـ / ١٠٠٠م

وهسوذان بن مملان ... ٤١٦هـ / ١٠٢٥م

الإحتلال السلجوقي لآذربيجان ... ٤٦٣هـ / ١٠٧١م

أحمد بن إبراهيم بن وهسوذان ... ؟ توفي في مدينة مراغه في ٥١٠هـ / ١١١٦م

حكم أتابكي مراغه من أسرة الأحمديلية

أما في أرمينيا ، فقد سكن محمد بن شداد بن قرطق مع أهله بمدينة دبيل (دڤين)(٥٣)

(٥٣) إستقينا هذه المعلومات وما بعدها من مؤلفنا (لقاء الأسلاف ، طبعة لندن ١٩٩٤ ، ص ٢١١ وما بعدها) . ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن مساكن الكورد كانت تقع في هذه الفترة في جنوب أرمينيا وكانوا يتبعون المذهب السني وقسم منهم كانوا من الخوارج وإشتهروا كفرسان محاربين إعتمدوا على الخيول بالدرجة الأولى في تنقلاتهم . يعود وجود الكورد في أرمينيا إلى زمن توسع سلطة الميديين في نهاية القرن السابع ق. م. عندما توجهوا من آذربيجان نحو الغرب وعبروا نهر آراكس (آراس) ، وقد أشار المؤرخ الأرمني موسى الخوريني في القرن الخامس الميلادي إلى أن المار (الميديين) سكنوا على نهر آراكس منذ زمن الملك تيكران الكبير (١٤٠ - ٥٥ ق. م.) في وقت حاول أن يربط في الفصل ٣٠ من كتابه الأول بين مختلف الأساطير الأرمنية والإيرانية ، فهو يجعل من تيكران حليفاً لكورش الإخميني عندما إنتصر هذا الأخير على ملك المار (الميديين) رغم التفاوت بينهما بخمسة قرون . ويضيف أن تيكران أعاد إلى داره شقيقته تيكرانوهي التي كانت زوج الملك الميدي ، كما أخذ معه زوجه الثانية آنوش مع عشرة آلاف من أسرى المار لإسكانهم على جانبي نهر آراكس خلف السلسلة الشرقية للجبل العظيم (آرارات). ثم يصف كبير مؤرخي الأرمن بالتفصيل المنطقة التي أسكن فيها هؤلاء الأسرى من الميديين فيحددها بالأراضي الممتدة من القسم الشرقي من جبل آرارات وإلى نخجوان وخولفه ثم إلى أوردوباد ، وكذلك أسكن قسم منهم في حدود كولتعن وتمبات وأوسكيول ودازكونيك وفي مناطق أخرى قرب ضفاف نهر آراكس حيث يسمى أحد روافده بـ(فرانجونيك) مقابل حصن نخجوان ، كما خصص لهم ثلاث مناطق وهي خرام وجوله وخوشه كونيك المقابلة للسهل الممتد بين أزدناكان جنوباً نحو نخجوان حيث تقع فيه نهر كارني الذي كانت المصادر الإسلامية تسميه (نهر الأكراد) . حول هذه القصة راجع كل من :

Mosses of Khoren, I, Ch. 30. Trans. to Russian by N. O. Emin, Moscow, 1893

V. Minorsky, Studies On Caucasian History (London, 1953), PP. 125 - 126.

ففي عام ٢٢ هـ / ٦٤٣م ، وصل حبيب بن مسلمة الفهري إلى أردسات (أرتاشات) ، عبر نهر الأكراد ونزل مرج دبيل فسرب الخيول إليها كما يقول البلاذري (فتوح ، ص ٢٠٣ ، طبعة القاهرة ١٩٥٩م) .

وأطاعه سكانها ، وبدأ حكمه من هناك منذ عام ٣٤٠ هـ / ٩٥١م وإمتدح المؤرخون المسلمون دولة الشداديين بناءاً على الصفات والمميزات السياسية التي إتسمت بها أعمال أبناء هذه السلالة لعدلهم وإحسانهم وحسن تصرفهم مع المحكومين أياً كانت جنسيتهم ولغتهم .

إتخذت سلالة الشداديين مدينة گنجه (جنزة) جنوب يريفان عاصمة لهم ، ثم إنتقلت إلى دفين (دوين) وحَكَم فرع أحدث من هذه السلالة في آني ، وقد وقعوا في تماس مباشر مع جيران مسيحيين من الأرمن والجيورجيين والآلان والروس . وبعد وضع خطة لسلطته ، زار محمد ابن شداد إمبراطور الروم ، وكانت سنة ٩٥٤م مرحلة مهمة للتوسع البيزنطي في شرق الأنضول تحت قيادة قسطنطين بورفيرو كينيتوس (٩٤٤م – ٩٥٩م) ويشير المؤرخ الأرمني آسوليك في الفقرة السابعة من كتابه الثالث إلى ان البيزنطيين إستولوا على مدينة كارين (قاليقلا) وثيودوسيوبوليس (أرضروم) ، ولعل هذه الأوضاع غير المستقرة أدت فيما بعد بالمؤرخ الأرمني ورتان (ڤاردان) الذي عاش في أواسط القرن الثالث عشر إلى أن يعتبر أبناء محمد بن شداد الثلاثة ، مرزبان ولشكري وفضلون مؤسسين حقيقيين للدولة الشدادية(٥٤) . وقد ظهر إسم الأمير فضل بن محمد بن

---

(٥٤) لأجل التقليل من شأن الأسرة الشدادية ، يشير ورتان إلى أن هؤلاء وصلوا مع أمهم من إيران إلى مدينة فاريسوس بأرّان أيام كريكور ثم تركوا أمهم في ضيافته وإستولوا على قلعة شميرام ومعظم مقاطعة آزو وصادقوا أمير مدينة كنجه وخدعوه وبعد ذلك قتلوه ووضعوا أيديهم على مدينته . لقد صحح الأستاذ أحمد كسروي التبريزي قصة حلول الشداديين في أرمينيا مشيراً إلى أنه « لا يمكن الإعتماد على أقوال وارتان ، لأن الشداديين ينحدرون بالأصل من الكورد الرواديين الذين عاشوا في أرمينيا منذ أزمنة قديمة ... إن وارتان لا يتطرق إلى أبيهم الذي لعب دوراً مهماً هناك ، وإلا كيف يستطيع أشخاص ثلاثة مع أمهم أن يستولوا على بلاد وهم غريبون عنها بعدما أمّنوا على أمهم عند حاكم غير مسلم ، ثم تحايلوا عليه وقتلوه . راجع بالفارسية تفاصيل هذا الموضوع عند *كسروى تبريزى* ، *شهرياران گمنام* ، الجزء الثالث ، تهران ١٣٠٧هـ / ١٩٢٨م ص ٨ .

شداد على مسكوكتين بصيغة « الأمير السيد المنصور فضل بن محمد شداذان » وعلى مسكوكة إبنه شاڤور بصيغة « الفضل بن شداد » . وفي الواقع فقد ظهر بنو شداد في عالم السياسة في وقت كان أباطرة بيزنطة يلتمسون ، وعلى حساب أعصابهم ، ضمان أوضاعهم في أرمينيا وقفقاسيا ، وكان هناك في قارة آسيا حركة غزو واسعة للقبائل التركية التي غيّرت وجه الحياة لسكانها ، لذلك يُعتبر الحكم الشدادي أحد الفواصل لعصر هام رفيع المستوى وقصير الأمد ، بين دوري السيادة العربية والإحتلال التركي الطويلين نسبياً . وكان أبناء هذه السلالة الذين حكموا في دوين وكنجه هم :

محمد بن شداد (في دوين) ... حوالي ٣٤٠هـ / ٩٥١م

علي لشكري الأول بن محمد (في كنجه) ... ٣٦٠هـ / ٩٧١م

مرزبان بن محمد ... ٣٦٨هـ / ٩٧٨م

فضل الأول بن محمد ... ٣٧٥هـ / ٩٨٥م

علي لشكري الثاني ... ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م

أنو شيروان بن لشكري ... ٤٤٠هـ / ١٠٤٩م

أبو الأسوار شاڤور الأول ... ٤٤١هـ / ١٠٤٩م

ابن فضل ... ٤١٣هـ / ١٠٢٢م (حكم في دوين) و ٤٤١هـ / ١٠٤٩م (حكم في كنجه)

فضل الثاني بن شاڤور ... ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م

فضل الثالث (فضلون) ... ٤٦٦هـ ــ ٤٦٨هـ / ١٠٧٣م ــ ١٠٧٥م

ابن فضل

إستيلاء سوتكين وجند السلاجقة على أرّان

أبناء الشداديين الذين حكموا في آني (عاصمة البكراتيين الأرمن) :

منوچهر بن شاڤور الأول ... حوالي ٤٦٥هـ / حوالي ١٠٧٢م

أبو الأسوار شاڤور الأول ... حوالي ٥١٢هـ / حوالي ١١١٨م

دخول الجيورجيين إلى المدينة ... ٥١٨هـ / حوالي ١١٢٤م

فضل الرابع (فضلون) ... حوالي ٥١٩هـ / ١١٢٥م

ابن شافور الثاني

محمود ... ؟

خوشچهر ... حوالي ٥٢٥هـ / حوالي ١١٣١م

شدّاد ... ؟

فضل الخامس ... ٥٥٠هـ / ١١٥٥م

إستيلاء الجيورجيين على المدينة ... ٥٥٦هـ / ١١٦٦م

شاهنشاه ... ٥٥٩هـ ــ ٥٧١هـ / ١١٦٤م ــ ١١٧٤م

إحتلال الجيورجيين المدينة نهائياً (٥٥)

أما في ميافارقين ، فقد إستمر الحكم المرواني منذ ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م لحد عام ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦م ، ولم ينحصر هذا الحكم في هذه المدينة ، بل شمل كذلك آميد وأرزان وحصنكيفا وخيلاط وملازكرد وأرديش والمقاطعات الشمالية لبحيرة وان شرقاً وحتى أورفه غرباً .

أغار أبو علي حسن عام ٣٨١ هـ / ٩٩١م على سوريا وحررها من سيطرة الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني ، ومن مفارقات القدر أنه قُتل بيد أهالى مدينة آميد (ديار بكر) عندما تمردوا عليه ، ثم حكم من بعده شقيقه أبو منصور ممهد الدولة الذي فتح ميافارقين بعد وفاة باذ بن دوستك كما يذكر ذلك أبو الفدا ودام حكمه حتى عام ٤٠٢ هـ / ١٠١١م ، وبعده ورثه شقيق آخر بإسم أبو ناصر أحمد كما يقول إبن خلكان (ج ١ ، ص ١٥٧و ١٥٨) حيث دام حكمه من ٤٠٢ هـ / ١٠١١م حتى ٤٥٣ هـ / ١٠٦١م وقد إستطاع عام ٤١٦ هـ / ١٠٢٥م من تحرير مدينة أورفه ، إلا أن البيزنطيين إستطاعوا من إرجاعها عام ٤٢٢ هـ / ١٠٥٠م كما يقول إبن العبري (مختصر الدول ،

---

(٥٥) إستقينا هذه المعلومات من كتاب بوسفورت (السلالات الإسلامية) ، إلا أن هناك جدول آخر من تحقيق كسروي تبريزي ، يمكن ملاحظته في مؤلفنا (لقاء الأسلاف) ، ص ٢١٩ وما بعدها

ص ٣٤٢) . كسب أبو ناصر شهرة واسعة بين المسلمين وذلك بقدراته القتالية وعدالته وحكمه المستقيم ، وكان عليه أن يبايع بدون حق طغرل بيك زعيم السلاجقة الغزاة . أما إبنه أبو القاسم ناصر (٤٥٣ هـ ـ ٤٧٢ هـ / ١٠٦١م ـ ١٠٧٩م) فاقتسم حكمه مع شقيقه سعيد (مات عام ١٠٦٥م) ، ثم إستولى على حران وسويدا ومناطق أخرى في شمال سوريا وأخيراً ورثه إبنه منصور بن سعيد الذي حكم من ٤٧٢ هـ ـ ٤٨٩ هـ / ١٠٧٩م ـ ١٠٩٦م . وفي عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م بدأ القائد السلجوقي فخر الدولة بن جاهر يستولي تدريجياً على أملاك المروانيين ويسلم إدارتها إلى أتابكية الموصل(٥٦) .

ومن جهة أخرى ، وعندما زالت سلطة السلالة الحسنوية في الجبال ، ظهرت في محلهم أسرة بني عناز الذين إشتهر من بينهم أبو الشوك حاكم حلوان . وعلى ما يظهر ، فإن مؤسس سلالة بني عنّاز هو أبو الفتح محمد بن عنّاز ، على حد قول إبن الأثير (الكامل ، ج ٩ ، ص ١٥٨) ، وحكم فيما بين ٣٨٠ هـ ـ ٤٠١ هـ / ٩٩٠م ـ

---

(٥٦) حول تفاصيل حكم المروانيين راجع كل من كتاب الدولة الدوستكية للأخ عبد الرقيب يوسف ومخطوطات ابن الأزرقي الفارقي الأصلية لتأريخ ميافارقين المحفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم ٥٨٠٣ *Oriental* وأنظر كذلك المقالات المنشورة في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية لعامي ١٩٠٢م (ص ٧٨٥ وما بعدها) و ١٩٠٣م (ص ١٢٣ وما بعدها من قبل أميدروز :

H. F. Amedroz, "The Marwanid Dynasty At Mayyafariqin In The Tenth And Eleventh Century" J.R.A.S, 1902 ; "Three Arabic MSS On The History Of The City Of Mayyafariqin.", J.R.A.S, 1903 .

وراجع الملاحظات القيمة حول البحثين السابقين في :

H. F. A., "Notes On Two Articles On Mayyafariqin", J.R.A.S (1909) .

١٠١١م ، وقضى إبنه أبو الشوك عام ٤٠٦ هـ / ١٠١٥م ـ ١٠١٦م على آخر حاكم من حكام الأسرة الحسنويه المدعو ظاهر (أو طاهر) .

ومن جهة أخرى ، حكم أمراء بني عنّاز الأوائل ، بالإضافة إلى الجبال ، مقاطعات كرمنشاه وشهرزور وبيلوار وصمغان وداقوقا وخوفتيذاكان ، إلا أن طغرل بيگ السلجوقي أرسل شقيقه إبراهيم ينال إلى الجبال لغزو ديار الكورد ، فأخرج گرشسب كاكويه من همدان (عاصمة الميديين القديمة) ، ثم إحتل مناطق كورد الجوزكان حوالي هذه المدينة في وقت كانت حامية أبي الشوك معسكرة في كرمنشاه ، وعند إعتزامه لملاقات قوات السلاجقة الغزاة وافاه الأجل وهو في سيروان ، وإنتهز إبراهيم هذه المناسبة فأغار على شميران وإحتلها ، ثم أخضع كورد الجوزكان وأخيراً سلّم أبو الشوك نفسه بيد السلاجقة .

دام حكم سلالة بني عنّاز إلى سنة ٥٢٠ هـ / ١١١٦م على حد قول الكاتب التركي منجم ياشي . وفي عام ٤٩٥ هـ / ١١٠١م أشار إبن الأثير (ج ١٠ ، ص ٢٣٨) إلى مقتل ٢٠٠٠ شخص من بطن عشيرة بني عنّاز التابعين لسُرخاب بن بدر بيد التركمان التابعين لسلغور قره بولي عند إحتلالهم كل أراضي هؤلاء ما عدا شهرزور وداقوقا وخوفتيذاكان .

وفي نهاية القرن الخامس الهجري ، حررت الكورد كل من دُجيل وماردين وغيرها من مقاطعات كوردستان الغربية خلال الأعوام ٤٩٦ هـ / ١١٠٣م ـ ٥٠٣ هـ / ١١١٠م ، وأثناء الغارات الكوردية على سوريا بقيادة محمد بن ملكشاه (٥٠٤ هـ / ١١١٠) ، بدأ أحمديل بن وهسوذان الروادي يحكم كوردستان الشرقية من مدينة مراغه (آذربيجان) ، لكن الموقف الكوردي في الغرب أخذ يصطدم بنفوذ ومصالح الفرنج داخل سوريا .

عصر السلالة الأيوبية :

إشتهرت هذه السلالة بإسم والد القائد الإسلامي صلاح الدين المشهور بأيوب شادي بن مروان المنحدر من كورد الروادية أو الروندية إحدى بطون قبائل الهذبانية التي سكنت في دوين(٥٧) . ومن المعروف أن هذه المدينة كانت في حينها مركز الأسرة الشدادية التي حكمت بلاد الثغور وكانت تأثيراتها قد تجسدت في شخصية شادي بن مروان . أما شقيقه شيركوه بن شادي ، فقد وُلد في موطنهم القديم (قرية أجدنقان) ، بينما وُلد صلاح الدين في تكريت وإنتمائه الكوردي من خلال إنحداره الروندي لا شبهة فيه بتاتاً . ومن المعروف أن نشاط هذه الأسرة نما في كل من مصر وسوريا ، وحتى أن الأسر الأتابكية السلجوقية القديمة (الأرتوقية) أتباع بني أيوب حكموا بإسم السلطة الأيوبية في ديار بكر والزنكية في الموصل والبكتيكينية في أربيل . و على أساس المعاهدة التي وقعها مع عز الدين الزنكي عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٧م ضمّ صلاح الدين إلى حكمه كل من حلب وشهرزور(٥٨) . وفي عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م أعطى صلاح الدين مقاطعة شهرزور إلى مملوكه كشتوغدي قريب يعقوب بن قيفجاق . والطريقة الوحيدة التي سلكها الأيوبيون لتغلغل نفوذهم إلى كوردستان كان عن طريق مدينة خيلاط فقط ، وقد أحتلت هذه المدينة من قبل تقي الدين عام ٥٨٧ هـ/١١٩١م على حد قول ابن الأثير وكان بعد موت صلاح الدين مباشرة حيث تولى فيها ابن أخيه الملك الأوحد نديم الدين أيوب منذ عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م . وفي وقت لاحق أصبحت خيلاط من حصة أخيه أشرف

---

(٥٧) عن الفصل الخاص لهذا الموضوع راجع كتاب مينورسكي التالي :

V. Minorsky, Prehisory of Saladin, in Studies in Caucasian history, London 1953, PP. 107 - 157 .

(٥٨) راجع موضوع الأتابكية عند إبن الأثير .

أخيه أشرف الذي حمل لقب (شاه أرمان) ، ثم أعطيت للشقيق الثالث مظفّر الذي حكم هناك حتى عام ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م ، إلا أن السلام في مقاطعة خيلاط كان مهدداً دائماً من قبل الجيورجيين وقوات خوارزم شاه والمغول . فقائدا القوات الجيورجية اللذان كانا يهددان خيلاط في هذه الفترة هما الأميرين زكريا ثم إيواني المنحدران في الأصل من العشيرة الكوردية (خێل باپيركان) .

لقد تسرّب عدد كبير من المقاتلين الغُز إلى الجيش الأيوبي حتى وصل الأمر إلى أن تظهر عناصره الكوردية الأصلية وكأنها الأقلية ، وقد نظم صلاح الدين حملة بالإعتماد على هؤلاء المقاتلين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م ووجهها إلى المناطق الكوردية الواقعة على ضفاف نهر دجلة العليا لضمها إلى دولته وقد تبددت قوات الجزيرة عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م ، إلا أن عساكر ديار بكر ، وخاصة قبائلها ظلت مستعدة للقتال تحت راية الأيوبيين ، وقد نشأت خلافات شديدة بين الكورد والتركمان داخل القوات الأيوبية .

في الحقيقة ، فإن أكبر الأعداد لموظفي الإدارة الأيوبية وقواتها العسكرية كانوا من الكورد الذين كانوا في خلاف دائمي من أجل دعم أمراء البيت الأيوبي عند وراثتهم لحكم دولتهم . وعندما توفي شيركوه ، كان هناك صراع بين الكورد حول ولاية خليفه صلاح الدين على حد قول ابن خلكان . وأهم شخصية هذه الأسرة التي لعبت دوراً هاماً في هذه الفترة هي أبو الهيجاء (الهذباني) الزعيم الوارث للحكم الأيوبي في أربيل ، وقد قاد القوات الأيوبية ضد الصليبيين في عكا كـ(سوپاهسالار «قائد الفرسان») للقوات الأيوبية وحاكم القدس . وفي عام ٥٩٢ هـ / ١١٩٦م نُقل إلى بغداد وقاد من هناك حملة على همدان ومات في دقوقا . أما ابن شقيقه قطب الدين ؛ فقد بنى مدرسة القطبية في القاهرة ، ولإدارة عكا ورث أبو الهيجاء شخصية كوردية أخرى هي سيف الدين بن أحمد المشطوب الهيكاري وواجه أبناؤه بعض المشاكل من بعده فقضى واحدٌ منهم ، هو أحمد ، أيامه في سجن حرّان ، أما حفيده القاضي عماد الدين فقد تآمر ضد الكامل فنُفي إلى بلاد

بعيـدة .

وهكذا فبالرغم من عدم ظهور وحدة شاملة بين الحكومات الكوردية في بداية العصر الإسلامي ، فإن أمراء وزعماء التشكيلات السياسية الكوردية كآل رونـد في آذربيجان وأبناء شداد بن قرطق في بلاد الثغور وكنجه (جنزة) بقفقاسيا ثم مروانيوا ميافارقين وأخيراً الأيوبيون في كل مـن سوريا ومصر أخذوا يمثلون منذ أواسط القرن العاشر الميلادي الدعامة الرئيسة للقوة السياسية الإسلامية ، ذلك في مرحلة تُعتبر في الحقيقة من أهم صفحات التأريخ الكوردي . وبما أن التشكيلات السياسية في البلاد الكوردية تميزت إسلامياً بنوع من نظام الممالك الطائفية التي ظهرت إلى الوجود منذ العصر الفرثي وتلقب أسيادها بكنية (الأمراء) بدلاً من (الملوك) ، فإن العلاقات السياسية فيها كانت قد تحولت نحو الإقطاعية الأوليگاركية العسكرية التي إستمرت تقاوم مظاهر الإضطهاد العرقي بصورة أشد منذ أن غزا السلاجقة الأتراك شمال وادي الرافدين وجعلوا موطن الكورد مَعْبراً لجحافل قبائلهم المتوجهة نحو بلاد العرب واليونان .

ومهما يكن الأمر المتعلق بالتوزيع الأثنوغرافي للكورد عبر التأريخ ؛ فإن ظاهرة إنتقال أبنائهم داخل موطنهم أو خارجه سواء عن رغبة أو نتيجة لسياسة التهجير أو لحاجات تعبوية أو هرباً من سخرة ملوك إيران أو سلاطين آل عثمان أو ظلم الحكام الحاليين للدول التي يتوزعون فيها إستمرت حتى يومنا هذا . فقد إستوطن الأيوبيون لأسباب ستراتيجية حربية في كل من سوريا ولبنان وفلسطين ومصر واليمن وإستعربوا تدريجياً منذ القرن الثاني عشر الميلادي ، كما نقل الشاه عباس الصفوي (١٥٨٧م – ١٦٢٨م) في القرن السادس عشر الميلادي أعداداً كبيرة من قبائل الكورد الشماليين المحاربين إلى خوراسان لمحافظة حدود دولته من هجمات بدو آسيا الوسطى ، فسكن هؤلاء في نيشابور وقوچان وشيروان وبنغرد وبوجنورد حتى المناطق التي تقع الآن في

جنوب توركمانيا وجنوب عاصمتها الحالية أشخاباد (عشق آباد) . وفي زمن نادر شاه (١٧٣٦م - ١٧٤٧م) وصلت أعداد أخرى من القبائل الكوردية إلى نفس هذه المناطق ، وعلى هذا الأساس سميت كل هذه المقاطعات في المراسلات الرسمية آنئذ بكوردستان خوراسان (كوردستان المشرق) . ونجد الكورد كذلك في بلوجستان وكرمان وديلمانين بشمال مدينة قزوين وفي الضفة الشرقية لنهري سفيد رود وشاهرود بمقاطعة كلوني عبدو شمال غرب شيراز بفارس وكذلك في المناطق الواجهة للحدود العراقية قرب نهر كارون .

ورغم إستقرار بوادر الدين الإسلامي بين نفوس الكورد بقوة السيف منذ القرن التاسع الميلادي ، إلا أنهم بعد هذه الفترة أصبحوا يمثلون تشكيلة إسلامية قوية في جبهات عديدة من غرب آسيا أمام بيزنطة والجيورجيين والأرمن وبدو اللان قبل إجتياح الأتراك لها وظلوا مستقلين عن سلطة الخلفاء العباسيين في بغداد ، وكانوا يديرون شؤونهم ضمن دويلاتهم التي أدارها الأمراء والسلاطين المحليين كما تبين . فبدلاً من الدفاع عن مصالحهم القومية وثقافتهم المحلية ، بدأوا يحاربون من أجل إنتصار مبادئ ديانتهم الجديدة وخاصة أثناء الحروب الصليبية ، وقد تغيرت هذه المبادئ بعد خراب كوردستان بيد المغول والتتر والأتراك .

عصر السيادة المغولية ـ التركية :

لقد واجهت الكورد قبل الهجرات التركية تحديات كبيرة من قبل القوى السياسية المحيطة ببلادهم ، ففي العصرين الوثني والمسيحي أصبحوا ضحية الصراع الأرمني ــ الروماني ثم الفرثي والساساني ــ البيزنطي ، وخلال هذين العصرين إشتركوا في أغلب الحروب التي جرت في غربي آسيا ، ومنذ عصر صدر الإسلام وحتى سقوط الخلافة العباسية كانوا في خَلاف عقائدي مع العرب وتحدوا الخلفاء الذين غزت جيوشهم ديارهم ، كما ساهموا في حروب البويهيين مع بني عقيل من أجل السيطرة على إقليم الموصل ودخلوا إلى همدان عام ٤١١ هـ / ١٠٢٠م للقضاء على القوات التركية التي إحتلتها وفي ٤١٥ هـ ــ ٤٢٠ هـ / ١٠٢٤م ــ ١٠٢٩م ، ثم نراهم يحاربون في فارس وخوزستان ضد الحاكم البويهي أبو خاليجار ، ولما حلت طلائع الغُز من السلاجقة في الري عام ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م ، كما يقول إبن الأثير (الجزء التاسع ، ص ٢٦٨) ذهب القائد الغزنوي تاش فراش لملاقاتهم مع ثلاثة آلاف من فرسان الكورد الذين قبضت الغز على قائدهم وبادلوه من أجل إيقاف القوة الكوردية عند حدها . وهكذا كانت الكورد أمة منهوكة القوة عندما بدأت قوات القبائل التركية تحرق الأخضر واليابس في كل من إيران وآذربيجان متوجهة نحو كوردستان .

لقد تحولت موافقة أمير تبريز الكوردي الروندي مملان بن وهسوذان (١٠٥٩م) عند سماحه لقبائل التركمان البدوية بالإلتجاء إلى داخل دولته هرباً من بطش السلاجقة نقمة سياسية على الحكم الكوردي في آذربيجان ، وعندما حاولت عساكر الغُز دخول مدينة تبريز عام ٤٣٢ هـ / ١٠٤١م قام وهسوذان الثاني بن محمد بمذبحة كبيرة بينهم فتوجهوا إلى مدينة مراغه بكوردستان الشرقية وقتلوا فيها جميع سكانها الكورد من الهذبانيين ، فعقدت الكورد معاهدة تحالف مع وهسوذان الثاني حاكم آذربيجان ، فتقهقر هؤلاء أمام قوات هذا التحالف وتوجهت نحو هيكاري من خلال سواحل بحيرة أورميه فهاجمها هناك

أبو الهيجاء الهذباني ، إلا أن السكان قاسوا عذاباً كثيرا بأيدي هؤلاء الغزاة . وعند وصول طغرل بيَگ مع قواته السلجوقية إلى هذا الإقليم أزاحتهم الكورد نحو الجزيرة وإستقر قسم من هؤلاء الغز بقيادة منصور بن غوزوغلو مؤقتاً في شرق الجزيرة ثم توجه بعضهم بقيادة بوكا نحو ديار بكر سالبين وناهبين جميع ديار الكورد مثل قردو وبازبدا وحسينية وفيشخابور ، ولأجل المراوغة إتفق حاكم الجزيرة سليمان بن ناصر الدولة المرواني مع الغُز على أن يوقفوا غزواتهم حتى يمر فصل الربيع ، وبالإتفاق مع كورد البشنويه في فينيك إستطاعت القوات الكوردية من دفعهم إلى الوراء ، فحرروا بذلك مقاطعة ديار بكر من شرهم ، لكنهم نزحوا هذه المرة نحو الموصل حيث خربوا في طريقهم جميع المعالم الحضرية فهاجمتهم الكورد قرب الموصل وقتلوا منهم ١٥٠٠ رجل وأسروا البقية الباقية منهم . وفي عشية الغارات الغزية ، نرى حركات عسكرية كوردية ناجحة وبطولات فردية مشهورة . ففي زمن الخليفة العباسي القادر (٣٨١ هـ ــ ٥٢٢ هـ / ٩٩١م ــ ١٠٣١م) قام أحمد بن الضحاك الكوردي بقتل الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني فأوقف بعمله هذا تقدم القوات البيزنطية نحو بلاد المسلمين . وفيما بين ٩٧٧م ــ ٩٩٨م وضعت الكورد حداً للصراع بين البويهيين وقوات الزيارية على إحتلال جرجان ، كما شاركت الكورد مع قوات محمود الغزنوي لمحاربة الكرخانية ، ونتج من خلال إندحار الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع قرب ملاذكرد عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧١م وقوع أرمينية بيد ألب أرسلان فتوجه قوات السلاجقة نحو الغرب . أما في إقليم فارس فسادت سلطة كورد الشبانكاره فيما بين أعوام ١٠٣٠م ــ ١٣٥٥م إضافة إلى عدد من الدويلات الكوردية التي بدأت تحكم في الجبال خارج النفوذ السلجوقي .

لقد جلبت هجرة القبائل المغولية والتركية إلى كوردستان نتائج وخيمة لمصير الأمة الكوردية وتطورها الطبيعي ، وتُعتبر الفترة الواقعة فيما بين القرون ١٢ ــ ١٨ الميلادية من أخطر مراحل التأريخ السياسي لهذه الأمة إذ سقطت خلالها جميع التشكيلات الحكومية

الكوردية المستقلة بصورة تدريجية . وفي زاگروس وقفت الكورد عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧م حائلاً دون تقدم قوات جلال الدين خوارزم شاه من همدان نحو بغداد ، وعند توجهه إلى خيلاط فيما بين أعوام ١٢٢٦م ـ ١٢٢٩م خرّب جلال الدين كل المناطق التي مرّ بها وأهلك عدداً كبيراً من سكانها فتنقصت المؤن وإنتشرت المجاعة بسبب غارات هذا الرحل ، وقد أدت غلبة المغول عليه ومطاردته إلى أن تقبض عليه الكورد عام ١٢٣١م في ديار بكر حيث إنتقموا منه بالكامل . وبعد موته غزت كذلك المغول هذه المناطق حتى خيلاط ، ثم إنتشرت سيادتهم في كل من مراغه وأربيل ، وفي ١٢٤٥م وقعت شهرزور أيضاً بيدهم ، كما إحتلوا ديار بكر في ١٢٥٢م ، لكن نادراً ما تُذكر أخبار الكورد خلال فترة حكم المغول الإيلخانيين ، فهؤلاء كانوا وثنيين ثم إعتنقوا الإسلام ، وكانوا في علاقة طيبة مع المسيحيين عموماً ، فلم يستاء أحد من هؤلاء في هذه الفترة من جيرانهم الكورد المسلمين .

لقد أطلق السلاجقة على إقليم الجبال في القرن الثاني عشر الميلادي كنية (كوردستان) وجعلوا قلعة بهار التي كانت تقع على مقربة من همدان الحالية عاصمة لهذا الإقليم ، وقد إحتلها ملك بن توذان والد الأمير چوپان ، وعندما غادر هولاكو همدان عام ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧م متوجها نحو بغداد نَهَبَ في طريقه مدينة كرمنشاه وقتل فيها عدداً كبيراً من سكانها الكورد . وقبل أن يستولي على بغداد ، أرسل هذا المغولي قواتاً إلى أربيل حيث سلّم حاكمها تاج الدين بن صلايا نفسه لهذه القوات ، لكن الحامية الكوردية ظلت تقاوم الغزاة في المدينة إلى أن وقعت بيدهم بمساعدة أتابك الموصل بدر الدين لؤلؤ . أما سقوط بغداد فكانت نتيجة للفراغ السكاني الذي ظهر في إقليم شهرزور على حد قول شهاب الدين العمري ، إذ إلتجأ أغلب سكانه إلى كل من سوريا ومصر ، وحتى أن ابن خلكان يذكر لنا خبر هجرة قبيلتين كورديتين (لاوين وبابين) من شهرزور إلى الجزائر. وعند رجوع هولاكو إلى آذربيجان من خلال إقليم هيكارى ، وضع أعناق جميع

سكان هذا الإقليم من الكورد تحت حد سيوف جنده ، وبعد أن إحتل كل من مدينتي ديار بكر وميافارقين اللتان كان يحكمهما الملك الكامل ناصر الدين الأيوبي ، غزا ماردين . وبعد موت بدر الدين لؤلؤ الذي ظلّ في علاقة طيبة مع هولاكو ، إلتجأ إبنه صالح إلى البيبرس سلطان مصر وإعترف به هذا كحاكم على الموصل وما والاها . أما كورد الموصل فقد حاسبوا أولئك المسيحيين الذين ساعدوا المغول ، ثم صمدوا بشجاعة مع التركمان والشول بوجه القوات المغولية التي كانت تسرح وتمرح في هذه الأنحاء .

أما في سوريا فقد تحالفت الكورد مع المماليك ، ويتفاخر البيبرس في رسالة وجهها إلى خان بركه بأولئك الأفراد في قواته التي كانت تتكون من الكورد والترك والعرب إذ كانت الكورد قد إستولت في هذه الفترة على خمسة آلاف بيت مغولي في شمال سوريا ، كما يذكر ذلك المؤرخ الأرمني هايتون . وبعد أن تقهقر هؤلاء عام ٦٨٠ هـ / ١٢٨١م ، وبالتعاون مع التركمان ، لحق المقاتلون الكورد شراذمهم حتى كيليكيا . ومن الغريب في حوادث هذا العصر تلك المعارك التي خاضتها الكورد في مقاطعة فارس تحت قيادة أولجيتو المغولي ، ثم هاجموا على مقاطعة گيلان عام ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦م ، ويقال أن أولجيتو قضى على زعيم كوردي كان يدعي أنه المهدي المنتظر . وفي عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢م وقف زعيمٌ كورديٌ آخر بإسم بدر الدين حاكم الرحبة بوجه المغول وأبعدهم عن موطنه .

مع كل الكفاح الذي خاضه أبناء الكورد في سبيل قيمهم المادية والروحية ، فقد إستطاع المغول من وضع أيديهم على بعض المقاطعات الكوردية ، لذلك ففي أربيل لم تنقطع معارك الكورد مع هؤلاء الهمج الذين إعتمدوا على مسيحييها في إدارتها . لقد شكّل النصارى الذين عُرفوا بـ(قيّاچى) بغض فصائل الجيش المغولي وتمركزوا في قلعة أربيل بعدما حملوا السلاح بوجه حاكمها زين الدين بالو ، ثم دخلوا في صراع مع الكورد المسلمين المدعومين من العرب . وبعد أن صعّد المسيحيون من شدة نقمتهم على المسلمين

قام الصراع المسلح بينهم وبين الكورد عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٧م وإشتدت حدة هذا الصراع عام ٧١٠ هـ / ١٣١٠م ، إلا أن المغول حاولوا بكل جهدهم إنقاذ نصارى القلعة المحصورين من قبل الكورد ، فإتفقوا مع أمرائهم على إنقاذهم من تلك المجزرة التي كانت العرب ينوون القيام بها ، ومع ذلك فقد نُفذت العملية و لم يكن للكورد يد فيها كما يذكر ذلك مار يالاهاا(٥٩) .

لقد كانت المناطق التي تقع على طريق مراغه ـ أربيل تُشكل محوراً رئيسياً لحركات عساكر المغول . وفي بداية القرن الرابع عشر الميلادي خضعت مقاطعات كوردستان الشرقية لحكم أمراء الترك والمغول ، وأمر أولجيتو بنقل عاصمة كوردستان من بهار إلى سلطان آباد وبذلك قلّت إيرادات هذه البلاد وساء وضعها الإداري إذ إنخفض دخلها إلى العشر نسبة إلى فترة الحكم السلجوقي فيها كما يذكر ذلك حمد الله المستوفي القزويني(٦٠). وبعدما إختفى الإيلخانيون عن مسرح الصراعات في كوردستان ، إحتل أسرتان مكانهم ، سكنت الأولى في سَلْدوز شرق بحيرة أورمَيه ، وخرجت من الثانية الأسرة الجلائرية التي إشتهر من بينهم عام ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢م بايزيد الجلائري الذي سادت زعامته خارج كوردستان .

أما أشهر الأسر الكوردية التي حافظت على إستقلاليتها ونظامها الإقطاعي بعد نكبات المغول فكانت تتكون من :

١) الأسرة الگورانية وكانوا جنداً ورعية .

٢) الأسرة الگلالية (الجلالية) بزعامة الأمير شرف الدين حاكم أربيل الذي قتله المغول ،

---

(٥٩) راجع :

Histoire de Mar Jabalaha III, tr. J. B. Chabot, Paris 1895, PP. 152 - 177.

(٦٠) نزهة القلوب ، ص ١٠٧ ، تحقيق *Le Strange* .

وهاجرت بطن من هذه االأسرة فيما بعد إلى سوريا .

٣) الزنگلية (زنگنه) .

٤) أسر كووسه ومَبير في شهرزور ، وقد هاجر عدد كبير منهم إلى سوريا ومصر .

٥) سبوولي (سوتووني) عاشوا في شهرزور وأوشنو قرب مساكن القرتاويه .

٦) الحسنانية (أو خوشناوي ؟) إنحدرت منهم مئات من الأسر إنقسمت إلى ثلاث فروع عاشوا في كركار بمنطقة دربند قره بولي على شعاب نهر الزاب الصغير قرب مساكن القرتاويه .

٧) عدد من الأسر بلغ عدد أفرادها ٧٠٠ شخص كانوا يعيشون في كركوك وداقوق .

٨) قبيلة عاشت بين جبلين في منطقة أربيل إتخذ المغول سهولها في فصل الشتاء لرعي خيولهم وداباتهم لكي يدعموا بها قواتهم المغيرة على مصر .

٩) أسرة المازنجان وكان عدد أفرادها ٥٠٠ شخص عاشوا قرب أربيل ونيروه وبيخمه على وديان نهر الزاب الكبير شرقي عقر (آكري) ، وحكم زعماء هذه الأسرة كذلك قبيلة حُمَيْدي التي كانت تتألف من ١٠٠٠ شخص . وقد لقّب العباسيون أحد زعماء المازنجان بكنية مبارز الدين ، إلا أن المغول قسموا موطنه إلى قسمين بالرغم من أنه كان نائباً لمقاطعة أربيل ، ثم حاول أرغون أن يسلب منه كذلك هذا الحق ، وقد أشار القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى) إلى أن أولاده وأحفاده إستطاعوا أن يورثوا أطيانه وضيعاته في مقاطعة العقر والشوش .

١٠) أسرة السوهري التي أشرفت على عدد من قبائل السوهران (السوران ؟) قرب جبل حفتون .

١١) الزرزاريه (أبناء الذهب) الذين عاشوا في شمال موطن السوهران وقد وضعوا أيديهم كذلك على كل من ملازگرد (روباري برازگرد) وروستاق (القسم الجنوبي من شمدينان).

١٢) أسرة جولاميرگ ، إدعى أفرادها أنهم إنحدروا من بني أمية وعددهم ٣٠٠ شخص .

١٣) أسرة مَرْكَوان (مرگەوەر) التي كانت في تحالف مع الجولاميـرگيه والزرزاريه .

١٤) أسرة گوار قرب الجولاميـرگيه .

١٥) الزيبـاريه عاشوا قرب عقر والعمادية وتعدادهم كان ٥٠٠ شخص .

١٦) الهيـكاريه الذين بلغ عددهم ٤٠٠٠ شخص .

١٧) بيْسيتكي ، عاشوا في جبل العمراني وكهف داود قرب مَرْدي والهيكاريه .

١٨) البُختيـه الذين كانوا مع الحُـمَيْديه في نزاع عاشوا قرب الموصل .

١٩) الداسنية ، وكان عددهـم كثـير جـداً ، إلا أن زعيمهـم بـدر الديـن نـزح مـع ألـف شخص إلى منطقة قريبة من الموصل ، وعاش ٥٠٠ منهم في منطقة العقر .

٢٠) الدومبلية الذين عاشوا في المرتفعات الجبلية .

عصر سيادة التتر والتركمان :

عقب إنتهاء التسلط المغولي في كوردستان ، مدّت الأسر التركمانية نفوذها نحوها والأخبار التي تتعلق بهذه المرحلة ، وهي مهمة بالنسبة للتأريخ الكوردي ، غير دقيقة مع الأسف . تسربت أفراد قبائل القره قوينلو (الخروف الأسود) التركمانية الذين إتبعوا المذهب الشيعي إلى قلب كوردستان وتسببوا لفترة طويلة في إيجاد خصومات سياسية ودينية كثيرة بين سكانها مستفزين مشاعرهم إلى درجة أدت بهم إلى ترك مواطنهم الأصلية ، وفي هذه الفترة بالذات إستولت كورد الموكرية على المناطق المحيطة ببحيرة أورميه من جهة الجنوب . وبعكس هذا ، فإن غارت تيمولنگ الموجهة إلى المناطق التي ساد فيها القره قوينلو بكوردستان كانت مؤقتة . ومن حسن الحظ ، فإن هذه الحوادث وحوادثاً كثيرة في تأريخ حصنكيفا والجزيرة المتعلقة بالفترة فيما بين ٧٩٦ هـ ـــ ٨٩٧ هـ / ١٣٩٣م ــ ١٤٩١م دُونت بالسريانية ونشرت في بريسلاو من قبل بيهنش :

Behnsch, Rerum seculo XV in Mesopotamia gestarum liber, Breslau 1838

وأثناء غارات الفترتين ٧٩٦ هـ / ١٣٩٤م و ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠م ، إتفق تيمورلنگ مع الكورد على عدم المواجهة ، إلا أنه بعد إحتلال بغداد وديار بكر ، هاجم منطقة الجزيرة ودمرها تدميراً كاملاً ، وخلال عبوره المناطق الجبلية التي تقع فيما بين ديار بكر وموش أغار على الدويلات الكوردية وكان شرف الدين أمير بدليس من أشهر حكام هذه الفترة بعلمه ورجاحة عقله فإستقبله تيمور بكل إحترام . وفي عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠م توجه تيمور عن طريق كوردستان إلى آذربيجان وفي الطريق قضى عليه الكورد وشتتوا قواته ، فإنتهز قره يوسف زعيم القره قوينلو هذه المناسبة فطلب اللجوء عند شمس الدين البدليسي الذي زوّجه بإبنته ، فنظم قره يوسف بهذه الطريقة قواته على الأرضية الكوردية وبدأ يطلب حق زوجها في حكم إمارة بدليس الكوردية . وعندما وصل شاهروخ إبن تيمورلنگ عام ٨٢٤ هـ / ١٤٢١م إلى أرمينية رحّب به كل من شمس الدين البدليسي

وملك محمد الهيكاري وملك خليل أمير حصنكيفا وأمراء خيزان وبعض سكان مدينة خوي وغيرهم .

وخلال هذه الفترة إستولت قبائل الآق قوينلو (الخروف الأبيض) بزعامة أسرة بياندوز على ديار بكر ، وعلى حد قول شرف خان البدليسي ، فإن هؤلاء نظموا خطة خاصة لتصفية الأسر النبيلة الكوردية وخاصة تلك التي تنتمي إلى قبائل چميشگزك . وعلى كل حال ، فإن الآق قوينلو بدأوا على العموم يضطهدون أفراد القبائل الكوردية الذين تعاونوا قبلاً مع قبيلة القره قوينلو (الخروف الأسود) ، وفي هذا الوقت أرسل أوزون حسن قائدين هما كل من صوفي خليل وعربشاه إلى منطقة هيكاري للتحكم في أمور الكورد هناك ، لكن قبيلة الدومبولي الكوردية التي وصلت من بوتان إلى هذه المنطقة إستطاعت من السيطرة على الوضع فيها . وفي عام ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠م وقعت الجزيرة بيد الآق قوينلو وعيّنوا عليها حاكماً بإسم چلبي بيگ ، ومن هنا بدأ الزعيم التركماني سليمان بن بيزان يتحارش بإبراهيم خان البدليسي إلى أن قتله يعقوب بن أوزون حسن التركماني . ومن خلال هذا الواقع ، فإن بوادر النضال من أجل الدفاع عن المصالح القومية في إطار الإقطاعية الأوليغارشية ظهرت في المجتمعات الكوردية إنعكاساً للأعمال التي قام بها المغول والترك والتتر بكوردستان في فترة لم يعد أمراء الكورد يعتمدون على قوة الخلافة الإسلامية المتمركزة في بغداد ، ثم أن منعة المواقع في هذه البلاد والبنيان القبلي الحربي للأمة الكوردية فيها ساعدا الإمارات الكوردية في الحفاظ على إستقلالها مدة طويلة ، وتشير الحقائق التأريخية إلى أن دفاع الكورد عن تشكيلاتهم الحكومية والأدوار التي لعبها زعماؤهم من أجل تجسيد الأحكام القانونية إنما عبّرا عن تكامل مشاعر الإرتباط بالأرض والثقافة القومية . ومن جهة أخرى ، فإن لإنشغال سلاطين آل عثمان في غزو القسم الأوربي من الإمبراطورية البيزنطية وظهور الصفويين في إيران وزيادة طموحهم في إبتلاع الحكومات الكوردية دور مهم في زوال سلطة الآق قوينلو بكوردستان ، كما كان لبقاء

الإمارات الكوردية دور أعظم في إنتصار سليم خان الأول بـن بـايزيد عـام ١٥١٤م علـى الشاه إسماعيل الصفوي في معركة چالديران بكوردستان الشرقية ، إلا أن كـل مـن الشـاه طهماسب الأول (١٥٢٤م ـــ ١٥٧٦م) وعبـاس الصفـوي إستطاعا مـن إختـراق حـدود كوردستان فغزا ديار بكر والجزيرة ودمرا أغلب المناطق الـتي مـرا بهـا ، فـأصبحت الديـار الكوردية منذ هذا الوقت مسرحاً للصراع العثماني الصفوي .

إستعاد الشاه طهماسب السيطرة على بغداد عام ٩٣٦ هـــ / ١٥٣٠م بعـد أن كـان يحكم فيها القائد الكوردي ذو الفقار الموصلي ، وبدأت مجموعة من الحـروب مـرة أخـرى بين العثمانيين والإيرانيين وكان للكورد دور رئيسي فيها . فوجّه سليمان القـانوني قواتـه نحو إيران في الفترة الواقعة بين أعوام ١٥٣٣م ـ ١٥٣٥م وكذلك في ١٥٤٨م و ١٥٥٣م و ١٥٥٤م . وفي السنة الأخيرة ، وإنطلاقاً من بغـداد ، هـاجمت القـوات الإيرانيـة كـورد البلقاس وشهرزور ، وفي خلال إتفاقية عام ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠م تخلى الشـاه عبـاس الأول للأتراك عن المقاطعات الغربية مثل آذربيجان وشـهرزور ولورستان ، وبعـد عشـرة أعـوام أعيدت المعارك حيث إستطاع الإيرانيون على إثرها من إرجاع آذربيجان ولورستان ماعدا شهرزور إستناداً على المعاهدة المعقودة عام ١٦١٢م ، ونقـل الشـاه عبـاس ١٥ ألفـاً مـن الكورد الذيـن ينطقـون بالكورمانجيـة الشـمالية(٦١) إلى خوراسـان لكـي يقـاوموا الـنزوح التركماني نحـو إيـران حيـث يقـرب عـدد نفوسـهم الآن مـن مليـون ونصـف المليـون مـن الأنفس.

وفي نهايـة فـترة حكـم الشـاه عبـاس ، كـانت جهـود ومحـاولات الأتـراك تـتركز

---

(٦١) حول لهجة هؤلاء راجع :

W. Ivanow, " Notes On Khorasani Kurdish ". - JASB, N. S. Vol. 77, No. 1, 1927 .

بالسيطرة على بغداد ، وخلال الغارات التي قام بها حافظ باشا عام ١٦٢٣م كانت القوات العثمانية تتكون من جيش كوردستان ، وحارب المقاتلون الكورد ببسالة ، في حين بدأ خسرو باشا بعد موت الشاه عباس من جهته التقدم نحو بغداد عام ١٦٢٩م مستغلاً قادة كورد أمثال سيد خان من العمادية ومير بيك سوران وعشائر باجلان كما هدد أحمد خان أردلان من جانبه الأتراك . وبعد ذلك توجه الإيرانيون مع حلفائهم الكورد إلى سنندج وهمدان ، وخلال رجوع هذه القوات أغارت عليهم القوات العثمانية قرب چمچمال ودارتنگ ، ثم إسترد مراد خان الرابع بغداد من الفرس عام ١٦٣٨م . وبعد عام وقعت إتفاقية گلستان بينه وبين الإيرانيين وبموجبها رُسمت الحدود الدولية بين الأتراك والفرس وقُسّم موطن الأمة الكوردية بموجب هذه الإتفاقية بين إمبراطوريتي آل عثمان وبيت الصفويين .





عدد من المقاتلين الكورد في القرن التاسع عشر الميلادي

يتقدمهم زعيمهم أيوب باشا

الفصـل الثـاني

كــــوردســتـان

تُعتبـر مرتفعـات زاگروس وطـوروس والمنـاطق الشـمالية والشـرقية لـوادي النهريــن العظيمين ، الدجلة والفــرات ، المهــد الـذي توفـرت فيـه مقومـات الأمـة الكوردية عـبر التأريخ وهو يتميز بجباله الشاهقة وغاباته الكثيفة وسهولها الخصبة وإمكانياتهـا الإقتصاديـة الهائلة ، إشتهر في أقدم الوثـائق المسـمارية السـومرية والأكدية بكنيـة سـوبير أو سـوبارتو وكذلك بعليـاتم (البلاد العليا) ، وعُرف سكانها تعميماً بالسوبازيين (أهل البلاد العليا) أو بالخوريين (المشرقيين)(١) والخلديين نسبة إلى الإله العظيم (خَلْـدي) الذيـن أطلق عليهـم اليونان خَلدوي Χαλδοι أو خـَلدَيوي Χαλδαιοι وظلت هـذه البـلاد وكذلك مدينـة أخلاط حتى العصر البيزنطي تُعرف بخَلْديـا Χαλδια ، الصيغة التي جاء ذكرهـا كذلـك في كتـاب (حـدود العـالم)(٢) ، وطابقهـا بيـتر ليرخ (P. Lerch, 1856) مـع كوْردي

---

(١) كانت كلمة خورويگى تعني (بلاد الشروق) .

(٢) *V. Minorsky (ed), Hudud al-Alam, The Regions of the World, A Persian Geography (372 A. H. - 932 A-D), Transil. from the Russian, London 1937 (GMS, NS, XI) .*

ألـّفَ هذا الكتاب عام ٣٧٢ هـ / ٩٨٢م الأمير حارث محمد بن أحمد مـن سـلالة فرغوني التي حكمت گوزگانان بأفغانستان ، وإستنسخه أبو مؤيد عبد القيوم ابن علي الفارسي عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م وترجمه بارثولد *V. V. Barthold* من الروسـية إلى الإنجليزيـة وأضـاف عليـه مينورسـكي بعض الملاحظات . وعندما يجري الحديث في هذا الكتاب عن الأقاليم المحيطة ببيزنطة يقـول كاتبـه في الصفحة ١٥٦ أن ثلاث منها كان في غربها وأحد عشرة أخـرى في شـرقها وهـي كـانت كـل مـن طابلان الذي كان يضم القسطنطنية ومقدونيا الواقعة على بحر الروم وثراقيـا (براقيـا) وثراكيسـيون (برقسيس) وأوبسيكيون (أبسيق) وأوبتيماتون (أفطمات) وسلوكيا (سلوقية) وأنـاتوليكون (نـاطليق) وبوكيلاّريون (بقلار) وبفلاطونيا (أفلاخونيا) وكبدوكيا (قباذق) وخرسيانون (خرشانه) وأرمينيكون (أرميناق) وخلـديا (خالديا) .

وكورتي وگۆردويني . وبناءاً على هذا الواقع لا يـزال الكـورد في منـاطق شمدينـان وبوتـان يطلقون على أنفسهم (خالتي) ، ثم أطلـق الإيرانيـون على بـلاد علياتيم كنيـة كوهسـتان ترجمتها العرب إلى (الجبال) وهي تطابق حرفياً الإصطلاح الحثي (كور كـور أوگو) ، ثـم بدأت الجبال تُعرف بكوردستان زمن السلطان السلجوقي سنجر (توفي في ١١٥٧م) كمـا يبلغنا حمد الله المستوفي القزويني في مؤلفه (نزهة القلوب) الذي أنهى كتابته عـام ١٣٤٠م مشيراً إلى أنها تتألف من ١٦ ولاية (آلاني ، آليشتر ، قلعة بهـار ، خفتيـان ، دربنـد تـاج خاتون ، دربند زنگي «زەنگەنه ؟» ، دزبيل ، دينور ، سلطان آباد جمچمـال ، شـهرزور ، كرمنشاه ، كرندوخوشان ، كنكور «قصر اللصوص» ، مايدشـت ، هرسـين ، وسـطام) وكانت قلعة بهـار في شمال همدان الحالية تُعتبر مركز هذه البـلاد متاخمـة ولايـات العـراق العربي وخوزستان والعراق الفارسي وآذربيجان وديار بكر(٣) . وفي القـرن السـابع عشـر الميلادي ، وبعد أن تجول في شرق الأنضول ، حدد الرحالة التركي المشهور أوليا چلبي في الجزء الرابع من كتابه (سياحتنـامه) مساحة كوردستان قائلاً «أن ولايـات أرضـروم ووان وهيكاري وديار بكر والجزيرة والعمادية والموصـل وشـهرزور وأردلان تؤلـف بمجموعهـا كوردستان التي يستغرق قطعها ١٧ يوماً » ، وكان هذا الكلام لا يطابق المفهـوم القومـي لكلمة كوردستان في تلك الفترة ، لأن المستوطنات الكوردية في خوراسان (مناطق قوچان وشيروان وسبزور وبيرجند وبوجنـورد وأطراف مشهد) كانت تُعـرف أيضـاً بكوردسـتان في عهد نادر شاه(٤) . ونرى في الصفحة ٤٥٠ من كتاب (جهان نما) الذي ألّفه بالتركيـة حاجي خليفة (مصطفى عبد الله المشهور بكاتب چلبى) في القرن السـابع عشـر وطُبـع في

---

(٣) حمد الله المستوفي القزويني ، نزهـة القلـوب ، تحقيـق گـاي ليسـترانج ، طبعـة ليـدن ١٩١٣م ، المقالة الثالثة ، ص ١٠٧ .

(٤) محمد أمين زكي ، خلاصة تأريخ الكورد وكوردستان ، بغداد ١٩٣٦م ، ص ٨ .

القسطنطنية في ١٠ محرم ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢م ، أن كوردستان تبدأ من هرمزد حتى ملاطيه ومرعش وشمال ولاية وان ومن الجنوب إلى الموصل والعراق العربي .

وبعد الحرب العالمية الأولى أشار المندوب السامي في بغداد أ . ت . ويلسون ، إلى «أن كوردستان ، مثل ميسوبوتاميا ، إصطلاح طليق غير محدد بدليل جغرافي معين»(٥) ، في حين تشير الوثيقة البريطانية للقسم السياسي المؤرخة في ١٤ كانون الأول ١٩١٨م *Kurdistan. Note By Political Department F 0371 / 3386, 14 Dec. 1918* إلى أن « كوردستان : بمفهومها الواسع : تضم المناطق الجبلية المحيطة بالسهول الخصبة لنهري دجلة والفرات في الشمال ممتدة بخط من مدينة حلب نحو بحيرة أورميه ومنها نحو مندلي وحتى جبال بشتكوه في الجنوب التي تقابل مدينة الكوت من الجهة الشرقية . ويبدأ الخط الآخر لكوردستان في الغرب من بلدة بيرجك حيث يمتد شمالاً عبر ملاطيه ثم نحو أرزنجان ويتجه نحو الزاوية الشمالية الغربية لبحيرة أورميه ويمر بمدينة مياندواب ويصل إلى خورساباد ومن هناك إلى كرمنشاه وحتى مندلي التي تقع على مسافة ٩٠ ميلاً شمال وشمال شرق مدينة بغداد كما مدون في وثيقة قلم إدارة الأمور الحربية البريطانية *War Office* الموسومة بعنوان *Kurdistan and Kurds* المؤرخة في ١١ تشرين الأول ١٩١٩م والمرقمة بـ(ف ٠٣٧١ / ٤١٢٢ — *F 0371 / 4122*) . ولعل إدموندس *C. J. Edmonds* المتخصص البريطاني في الشؤون الكوردية حاول ، بعد ضم كوردستان الجنوبية إلى العراق ، أن يكون منصفاً في رسم حدود الوطن الكوردي ، إذ قال أن خط هذه الحدود يبدأ بقرب يريفان ويَمّر بأرزنجان ثم مرعش ويتجه نحو حلب في الجنوب

---

(٥) راجع تفاصيل هذه النظرية في :

Arnold T. Wilson, Mesopotamia 1917 - 1920, A Personal and Historical Record. Oxford University Press, London 1931, P. 127 .

الغربي وأخيراً ينحرف إلى الجنوب الشرقي ويعبر نهر دجلة إلى أن يصل إلى جبال حمرين متجهاً لحد مندلى على الحدود العراقية - الإيرانية . أما الخط الشرقي فيبدأ أيضاً بالقرب من يريفان ويمر بمدن ماكو وخوي وأورميه ومهاباد وسقز وسنه وحتى كرمنشاه . وفي خط كرمنشاه ومندلي يختلط هذا الخط بمناطق اللك واللور(٦) .

تنطلق الآراء المذكورة من واقع نظري أكثر مما هو سياسي ، لأن لهذه المسميات معايير حضارية نمت أصلاً في بؤرة أقدم مراكز المدنيات في غربي آسيا ، وَوَصْف الظواهر وتسميتها كانا يتمّان في هذه المراكز من خلال المفاهيم التي كانت ترتبط بواقع الأرض أو بنمط حياة سكانها وثقافتهم المتميزة . وعلى هذا الأساس فكنية (كوردستان) تعني أثنياً وتأريخياً (موطن الكورد) ، وإذا كان هناك بعض التباين في الآراء حول الحدود القومية للأمة الكوردية ، فمردها يرجع إلى الحروب والظروف السياسية التي ظهرت في هذه البلاد منذ فترة الغزوات المغولية والتركية لحد يومنا هذا ، ومع ذلك نرى أن دائرة المعارف البريطانية (مادة كوردستان) تشير إلى أن هذه البلاد تتكون من قطعة أرض مستطيلة تمتد من لورستان في الجهة الجنوبية الشرقية إلى مدينة (ملاطيه) في الجهة الشمالية الغربية ويقرب طولها من ٦٠٠ ميل وعرضها يتراوح بين ١٢٩ و ١٥٠ ميل ، وبذلك تفصل هذه الدائرة المناطق اللورية من كوردستان . وإذا كان مينورسكي قد أشار في بداية القرن العشرين(٧) إلى أن الكورد تعيش على أرض واسعة تمتد من مندلى في الجنوب (دون المناطق الفيلية !) حتى جبال آرارات في الشمال وعند حدود الدولتين العثمانية والإيرانية ، ويعيشون مع الأرمن في جميع أصقاع سلاسل جبال أرمينيا وتمتد موطنهم بمحاذاة أرضروم حيث ينتهي هذا الخط في قره صو أحد روافد نهر الفرات ، فثمة شئ من الصعوبة في

---

(٦) راجع : *C. J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, Politics, Travel and Research in North Eastern Iraq, 1919, London 1957, P. 2 .*

في تحديد خط جميع المناطق الكوردية خلال مختلف المراحل التأريخية وخاصة بعد تتريكها وتعريبها ، وقد أشار گاى لوسترينج في الصفحة ١٩٢ من كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) إلى « أن إقليم كوردستان كان يشمل أيام السلاجقة مدن كرمنشاه وحلوان وجمچمال وآليشتار وكينكور ودينور وشهرزور وبهار » ، ولكن هذه الأسماء ليست إلا ثمانية من أصل ستة عشر إسماً ذكرها القزويني في نزهة القلوب ، في حين لم يشمل جدوله إقليم ديار بكر الذي كان يشكل مركز كوردوئيني (كوردستان) خلال العصر الروماني إذ أعتُبِر أحياناً جزءاً من أرمينية ، و لم يُحَدّد مدناً مثل همدان (عاصمة الإمبراطورية الميدية ومركز التجمع الكوردي القديم) ولا الموصل أو حلب ككوردية خالصة ، وإذا كانت كنية كوردستان أطلقت على مقاطعة درسيم في زمن الأمير شرف خان البدليسي (١٥٩٦م) ، فإنها في الفترة التي تسبق الحرب التركية – الروسية (حرب القرم) كانت تتشكل إدارياً من أقاليم باشوية واحدة وكانت تحتوي على ألوية وان وهيكاري وبايزيد والموصل ، وعقب هذه الحرب إنكمشت حدودها إدارياً وألحقت بباشوية أرضروم(٨) . وبنفس الأسلوب نرى أن كوردستان لا تُعْتبر إدارياً في إيران غير أستان (ولاية) سنندج ، أما المقاطعات الكوردية الأخرى في هذا البلد فهي جزء من ولايتي آذربيجان وباختران ، وقد سلكت الأنظمة العراقية بعد إتفاقية ١١ آذار عام ١٩٧٠م هذا السلوك عندما فصلت منطقة كركوك وخانقين وكفري وطوز خورماتو وسنجار وزمار من كوردستان وألحقتها بالمحافظات العربية . وفي الواقع لايمكن بناء الحجج التأريخية أو الديموغرافية بالإستناد على المصالح السياسية ، وإنما العكس هو الصحيح ، ولأجل إنكار الحياة المدنية عند الكورد

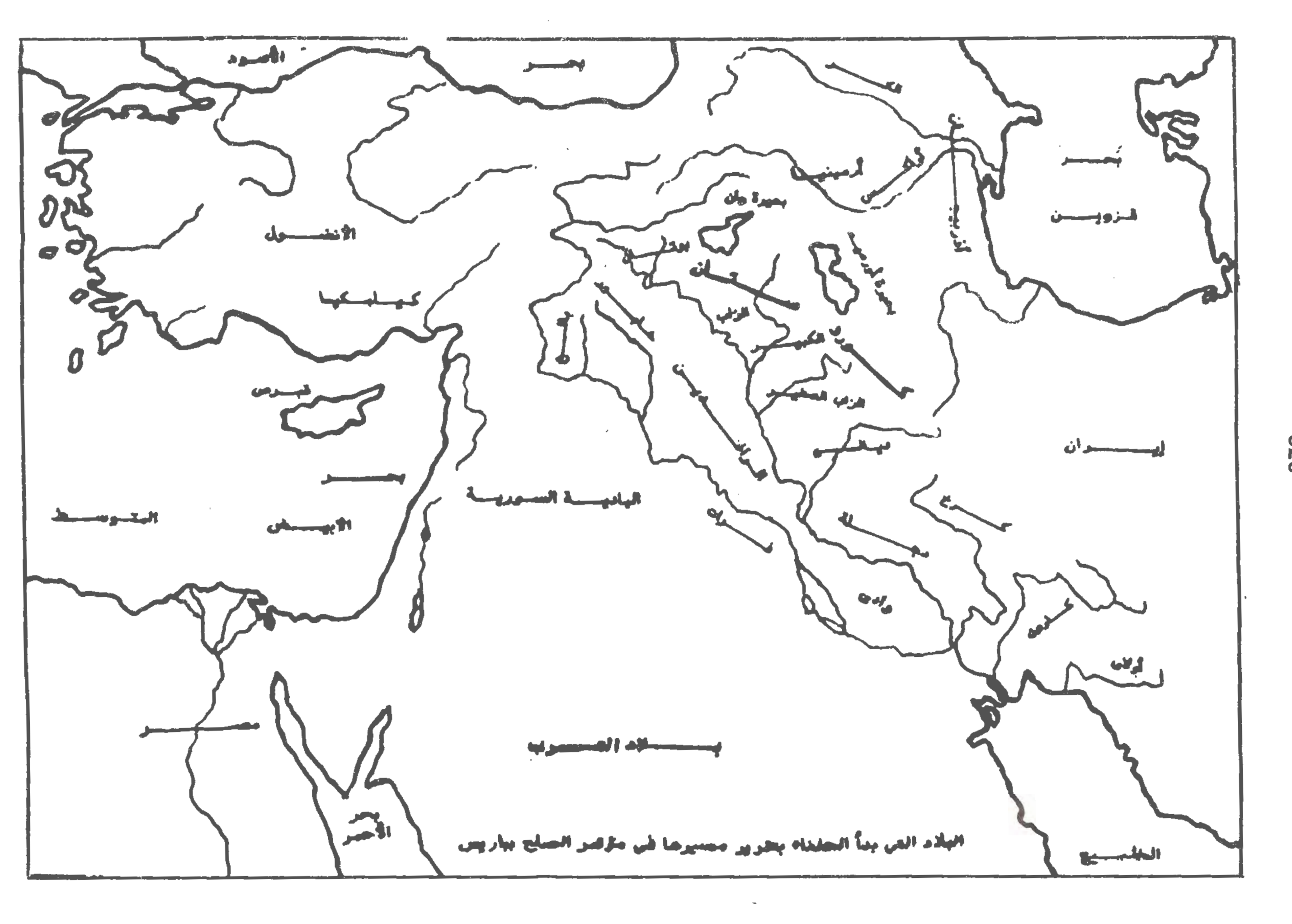
---

(٧) و . مينورسكي ، الأكراد ، ملاحظات وإنطباعات ، بغداد ١٩٦٨م ، ص ١٢ ، ترجمة الدكتور معروف خزندار .

(٨) محمد أمين زكي ، نفس المصدر ، ص ١٠ .

هناك من يعتقد أن الجبل مرادف لمفهوم الكورد ، أي كلما شاهدنا الجبال علينا الإقرار بأن مستوطنوها هم الكورد ، تماماً كما يترادف مفهوم الصحراء مع العرب . والحقائق التأريخية تشير إلى أن المجموعة البشرية ذات التجانس اللغوي والعرقي التي ظهرت في مرتفعات زاگروس وطوروس وشمال وادي الرافدين بإسم (الكورد) هم الذين أنشأوا حضارة ومدنية هذه المناطق منذ آلاف السنين ، والتغيرات الديموغرافية التي حصلت في حدود موطنهم الأثني لم تكن إلا نتيجة لغارات الأرمن والرومان والفرس والأعراب والأتراك الذين وجدوا في هذا الموطن مصادر مختلفة لإحتياجاتهم من المعادن والمراع المعشوشبة لتربية الماشية ومجالاً واسعاً للثروات الإقتصادية ، وقد برر أغلب هؤلاء غزواتهم تحت طائلة من الحجج سواء كانت دينية أو مذهبية أو سياسية . ففي مطلع القرن السادس عشر الميلادي أغار الشاه إسماعيل الصفوي على أرمينية لكي ينهي سطوة قبائل الآق قوينلو السنية فيها على حد زعمه ، بينما إحتل بعد معركة شرور (٩٠٧ هـ/ ١٥٠٢م) كل المناطق الواقعة فيما بين بغداد ومرعش ، ولم تختلف سياسته العدوانية تجاه الكورد عن تلك التي إتخذها تجاه قبائل الآق قوينلو السنية . فقد إستعمل جهاراً سياسة الإضطهاد المذهبي في جميع أنحاء كوردستان ، ولما حضر أحد عشرة زعيماً كوردياً إلى مدينة خوي للمثول أمامه والإعتراف به ، سجنهم جميعاً وعيّن مكانهم أفراد من القزلباش ليحكموا رعاياهم بدلاً منهم . ومنذ هذه الفترة غدت كوردستان نقطة الصراع بين الإمبراطوريتين العثمانية والإيرانية ، فأدى هذا الصراع المذهبي السني – الشيعي بعد معركة چلديران (١٥١٤م) التي تأثرت بها مصير كوردستان سلبياً إلى ظهور ضعف عام داخل مؤسسات الإمبراطوريتين السياسية والإدارية ، وأصبحت مشكلة تقسيم كوردستان السبب الرئيسي لإستمرار هذه الظاهرة . فمن حصنكيفا إنطلق الأمير ملك خليل ليحرر

سعرد والأطيان الموروثة له ، كما نقرأ ذلك في الشرفنامه ، وكان محمد بيگ في صاصون يقاتل الإيرانيين دفاعاً عن مبادئه ، وأعلن كل من أحمد بيگ أمير ميافارقين وقاسم بيگ في أگيل وجمشيد بيگ في بالو تحالفهم مع العثمانيين على أساس وحدة المذهب . وصد حاكم الجزيرة القوات الإيرانية المتوجهة لإحتلال الموصل لنفس الغرض ، كما حرر سعيد بيگ السوران في أربيل وكركوك من سلطة الصفَويين الذين إستطاعوا أن يستميلوا ٢١ زعيماً كوردياً إلى الجانب الإيراني في وقت كان الحكيم إدريس البدليسي قد جمع ٢٥ حاكماً كوردياً لكي يدعموا السلطان سليم (ياووز) في صراعه مع إسماعيل الصفوي وكان أهم نتيجة من نتائج جهود الحكيم الإدريسي هو إنتصار سليم خان في الشرق (معركة چالديران) وتغيير وجهة السلاطين الآخرين نحو إحتلال البلدان الأوربية ، ومنذ هذه الفترة التي نمت خلالها الأنظمة الإمبريالية والكولونيالية في أوربا نتيجة الثورة الصناعية وحاجاتها الماسة إلى المواد الأولية ومن أجل صد الأتراك عن إحتلال مزيد من الأراضي في القارة الأوربية ، بدأ الأوربيون يشجعون الصراعات السياسية بين الشعوب الإسلامية وغدت كوردستان لمدة ثلاث قرون منطقة الصراعات والحروب بين الإيرانيين والعثمانيين . وبعد ذلك إستغلت الدول الإمبريالية الأوربية هذه الفرصة للتدخل في شؤون الإمبراطوريتين الإيرانية والعثمانية الداخلية حتى إقتنعت كل من روسيا وفرنسا وبريطانيا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي على تقسيم أراضيهما بناءً على إتفاقية سايكس بيكو ، فقامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م لتحقيق تلك الغاية ، لكن ثورة أكتوبر الشيوعية أفشلت هذه الخطة وغدت كوردستان مسرحاً رئيسياً للعمليات العسكرية للحلفاء الأوربيين والعثمانيين التي إستمرت حتى عام ١٩١٨م حيث بدأت بعدها المفاوضات في مؤتمر صلح عُقد بسيفر قرب باريس لتقرير مصير هذه البلاد ، ودامت المناقشات بين الأطراف المتحاربة عدة أشهر ثم وقّعت معاهدة الصلح مع العثمانيين على


البلاد التي بدأ الحلفاء بتقرير مصيرها في مؤتمر الصلح بباريس
بحر الأسود
الأنضول
كيليكيا
قبرص
بحر الأبيض المتوسط
مصر
بحر الأحمر
بلاد العرب
البادية السورية
أرمينيا
بحيرة وان
بحيرة أورميه
أذربيجان
بحر قزوين
إيران
الخليج

أساس ٤٣٣ مادة ، وإستمرت هذه المفاوضات ثلاث سنوات بدأت من ١٠ أغسطس عام ١٩٢٠م وإشتركت فيها ، ما عدا الولايات المتحدة الأمريكية بصفة مراقب ، كل من بريطانيا ، فرنسا ، اليونان ، إيطاليا ، اليابان ، بولندا ، البرتغال ، رومانيا ، صربيا ، سلوفينيا ، كرواتيا ، تشيكوسلوفاكيا ومراقبين مثلوا الكورد والعرب والأرمن ، وتقررت مصير الشعوب العثمانية على أساس عدد من البنود المتفق عليها من قبل الأطراف المشاركة في المؤتمر(٩) وورد في الباب الثالث بعض المواد المتعلقة بكوردستان على النحو التالي :

المادة ٦٢ : على اللجنة التي مقرها في القسطنطنية والمؤلفة من ثلاثة أعضاء تعينهم حكومات بريطانيا وفرنسا وإيطاليا إعداد لائحة خلال فترة ستة أشهر من تأريخ سريان هذه المعاهدة ووضعها موضع التنفيذ بالتحضير لتطبيق نظام الحكم المحلي في المناطق التي يغلب عليها العنصر الكوردي والواقعة إلى شرق نهر الفرات وجنوب الحدود الأرمنية التي سيتم تحديدها فيما بعد ، وشمال حدود تركيا مع سوريا ووادي الرافدين المنصوص عليها في المادة ٢٧ من الفصل ٢ (٣،٢) وفي حال عدم حصول الإجماع على أي مسألة : على أعضاء اللجنة إحالة الموضوع إلى حكوماتهم ، أن توفر الخطة (الخاص بالحكم المحلي) ضمانات كاملة لحماية الآشوريين والكلدان وغيرهم من الأقليات العرقية والدينية في المنطقة ، ولهذا الغرض ستقوم لجنة مؤلفة من ممثلين بريطانيين وفرنسيين وإيطاليين وإيرانيين وكورد بزيارة المنطقة المعنية لدراستها والقرار على ما إذا كانت هناك أي تعديلات يجب إجراؤها على الحدود التركية حيثما تلتقي بالحدود الإيرانية كما هو منصوص عليها في المعاهدة الحالية .

---

(٩) للإستزادة من المعلومات المتعلقة بمعاهدة الصلح في باريس أنظر إلى المراجع التالية : *Precis Of Affairs In Southern Kurdistan*. وكذلك راجع وثائق المسألة الكوردية في أرشيف وزارتي الخارجية لكل من بريطانيا وروسيا ، وكذلك راجع :

Hunter Miller, The Drafting Of The Covenant. New York, London 1928 ;
Ph. W. Ireland, Iraq. A Political Development, London 1937 .

المادة ٦٣ : أن الحكومة العثمانية توافق منذ الآن على قبول وتنفيذ قرارات اللجنتين المنصوص عليهما في المادة ٦٢ خلال ثلاثة أشهر بعد إبلاغها هذه القرارات .

المادة ٦٤ : في حال توجه السكان الكورد في المناطق المحددة في المادة ٦٢ بعد مرور عام على تنفيذ المعاهدة الحالية إلى مجلس عصبة الأمم وأثبتوا أن غالبية السكان في هذه المنطقة ترغب في أن تستقل عن تركيا ، وإذا قرر المجلس في ضوء ذلك أن هؤلاء السكان قادرون على ممارسة مثل هذا الإستقلال وأوصى بمنحه ، فإن تركيا توافق منذ الآن على إلتزام هذه التوصية وتتنازل عن كل حقوقها وإمتيازاتها في المنطقة ، وستكون تفاصيل التنازل موضوعاً للبحث في مؤتمر خاص يعقد بين تركيا والقوى الحليفة الرئيسة . وفي حال إعلان التنازل المشار إليه ، فإن القوى الحليفة الرئيسية لن تبدي أي إعتراض إذا سعى الكورد القاطنون في ذلك الجزء من كوردستان الذي يضم ولاية الموصل إلى أن يصبحوا مواطنين في الدولة الكوردية المستقلة .

ورغم قرار المجلس الأعلى لدول الحلفاء في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠م المتعلق بالإعتراف بكوردستان المستقلة وإحتواء المواد ٦٢ ، ٦٣ ، ، ٦٤ من معاهدة سيفر على صيغ ذلك القرار ، فإن الدول الإستعمارية لم تجد في النهاية من صالحها الإلتزام بقراراتها نتيجة التحولات التي جرت في كيان الإمبراطورية العثمانية أثناء إنهيارها وإنتصار الحركة الكمالية عليها ورفضها لبنود المعاهدة المذكورة . لذلك ولأسباب أخرى ، تنازلت هذه الدول عن إلتزاماتها نحو القضية الكوردية وأغلقت ملفها عشية مؤتمر لوزان الذي لم يتضمن نص من نصوصه الموقعة يوم ٢٤ تموز عام ١٩٢٣م أي ذكر لهذه القضية ، وإنما قُسمت كوردستان على أساس هذه النصوص ومن دون إستشارة أبنائها بين حكومات محلية في غرب آسيا ظهرت إلى الوجود تمشياً مع مصالح الدول الكبرى التي هيمنت على المؤتمر المذكور ، فتوزعت المدن الكوردية بين هذه الحكومات على النحو التالي :

في شرق الأنضول (كوردستان الشمالية) ، فإن الولايات التي غلب عليها الطابع الكوردي وأصبحت جزءاً من أراضي الجمهورية التركية هي گولي ميْرگ (جولميرك) ، وان ، بايزيد ، أرضروم ، سعرت ، ماردين ، ديار بكر ، ملاطيه ، العزيز (ألزيك) ، أرزنجان

، سيواس ، مرعش وغيرها . وفي إيران أصبحت الأكثرية الكوردية في كل من ماكو ، خوي ، سلماس ، ديلمان ، مياندواو ، مهاباد ، أشنويه ، لاهيجان ، سقز ، سنندج ، كرمنشاه ، خرم آباد يتمتعون بالجنسية الإيرانية . أما في كوردستان الجنوبية ، فبالإضافة إلى مقاطعات الإزدية في السنجار والشيخان ، ألحقت كل من محافظة دهوك التي تشمل زاخو وبرواري وميزوري وآكرى (عقره) ومحافظات كركوك وأربيل والسليمانية التي تشمل مدناً صغيرة مثل كفري وطوزخورماتو وخانقين ومندلي ، والمناطق الفيلية في محافظتي الكوت والعمارة كالعزيزية وعلي الغربي والزرباطية والنعمانية والبدرة والجصان إلى الدولة العراقية المنتدبة من قبل بريطانيا . وفي كوردستان الغربية ظلت المقاطعات الكوردية فيما بين ديريك في الشرق وعفرين في الغرب وما حواليها من مستوطنات مثل قامشلي وعامودة وسركاني في الجزيرة وقطمة وإعزاز بشمال حلب جزءا من مناطق نفوذ الإنتداب الفرنسي التي أصبحت فيما بعد تشكل المحافظات الشمالية السورية . وبعد القضاء على الثورات والإنتفاضات خلال النصف الأول من القرن العشرين التي قامت إحتجاجاً على واقع تقسيم كوردستان ، إلتجأ أعدادٌ كبيرة من المشتركين في هذه الإنتفاضات من وإلى العراق وتركيا وإيران وكذلك الأردن والسعودية وفلسطين ، كما إتجه البارزانيون عام ١٩٤٧م إلى روسيا . وخلال النصف الثاني من القرن العشرين ، بجانب عدد ضئيل من الطلاب وأفرادٌ من الطبقة المثقفة ، إنتقل ما يقرب من نصف مليون من أهل القرى والأرياف الكوردية في تركيا إلى ألمانيا وبلاد أوربية أخرى لإيجاد فرص العمل فيها . وفي نهاية القرن العشرين وصل الأمر بعد حرب الخليج الثانية (وخاصة فيما بين سنين ١٩٩١م - ٢٠٠٢م) إلى درجة أجبرت الظروف المعيشية السيئة وتدهور إقتصاد العراق وإيران وتركيا مئات الألوف من سكان كوردستان إلى ترك مدنهم والتوجه إلى حارج كوردستان ، ومع ذلك لا تزال المناطق الواقعة فيما بين بحيرتي وان بتركيا

وأورمية في إيران وسهل أربيل في العراق تعتبر المركز الرئيسي لكوردستان (٩) ، ذلك البلد الذي لا يزال تمتد حدودها الطبيعية حتى جنوب منطقة كرمنشاه وبلاد لورستان حيث تتصل بسلاسل جبل حمرين في العراق ، السلاسل التي تشكل إحدى الظواهر الطبيعية التي تفصل البادية العربية عن المرتفعات الكوردية ، كما أنها تمتد شمالاً على حد قول أورانسكي نحو المناطق العليا لمصادر نهرى الدجلة والفرات(١٠) .

يتوزع (٤٣٪) من أراضي كوردستان في الشمال داخل حدود دولة تركيا المستحدثة على أساس بنود معاهدة لوزان (١٩٢٣م) . وكما يقول تروتر *Trotter* عام ١٨٧٨م ؛ فإن حدود مساكن الكورد كانت تصل في العهد العثماني إلى الخط الموصل بين ديفريغي *Divrigi* وكل من أرضروم وقارص ، وكانوا يعيشون كذلك في الجهات

---

(٩) ظهرت كنية (كوردستان) في الوثائق التأريخية خلال العصر الإسلامي المبكر . راجع كل من :

(أ) تأريخ أرمينية (٩٥٠م – ١١٣٠م) لماثيوس الأورفلي *Mathius of Edessa* الذي تُرجم إلى الفرنسية بعنوان :

Jean Paul Dulauvier, Rècit de la Premiere Croisade (1850 ; Narrative of the first Crusade) ;

(ب) نزهة القلوب لحمد الله المستوفي القزويني ، المقالة الثالثة ، تحقيق غاي لسترانج ، طبعة ليدن ١٩١٣م .

(ث) *Marco Polo, Delle Merauiglie Del Mondo Per lui Vedute, Trevige 1640, Paragraph 11* .

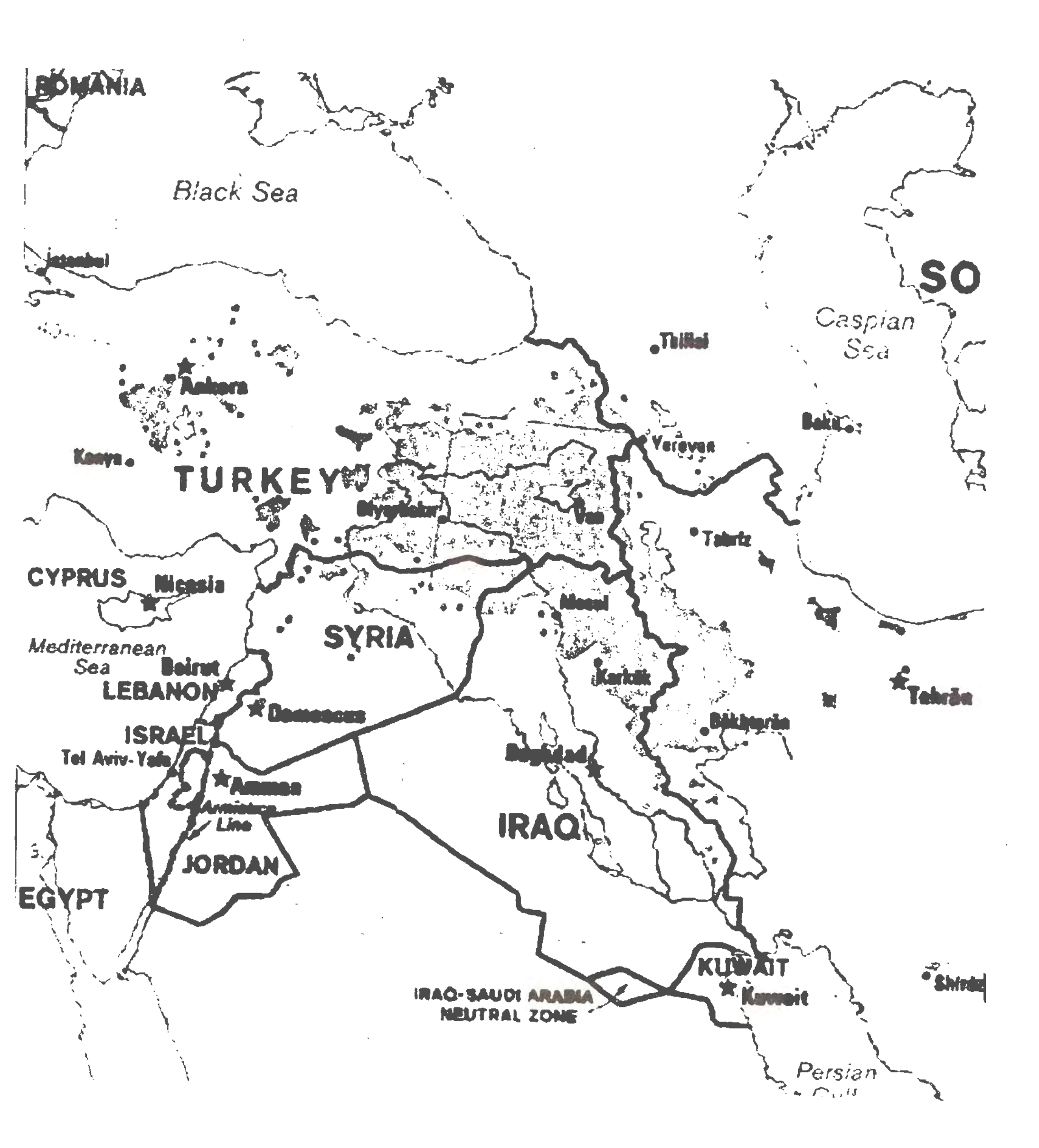
(١٠) *И, М, Оранский. Введение В Иранскую Филологию. Москва 1988. Стр, 309* . ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن الأرمن يعتبرون أغلب المناطق الكوردية في كوردستان الشمالية جزءاً من أرمينية كما يقول الميجر نوئيل في كتابه « ملاحظة عن الوضع الكوردي *E. W. C. Noel, Note On The Kurdish Situation, Baghdad, 1919* » وحتى تلك المناطق التي إستولى عليها ملكهم تيكران في القرن الأول قبل الميلاد لمدة عشر سنوات .

الشرقية والجنوبية الشرقية من أرضروم ويحتلون في نفس الوقت السفوح الغربية لجبل آرارات وقاقزمان وتوزلوجه(١١) وكانت أراضيهم تمتد إلى المقاطعات التي تقع غربي نهر الفرات(١٢) . أما في مقاطعة سيواس فلا تزال الكورد تعيش في منطقتي كنگال وديفريگ وفي كل المناطق التي تقع على الخط الممتد بين جنوب وجنوب شرق هاتين المنطقتين وهناك في خارج كوردستان عدد من المستوطنات الكوردية في كل من كيليكيا وجنوب أنقره مثل يوناك وهَيْمانا وجيانبيلي نُقل قسم من أهلها (المنحدرين من عشائر الشيخ بزيني والهموند) منذ القرن السادس عشر بأمر السلاطين من مناطق كركوك والسليمانية . وبالإضافة إلى مدن بنطس (على البحر الأسود) مثل توكات ، يزغات ، حوروم وإماسيا في حوض نهر يشيل يرمق التي وجدت فيها مجموعات كوردية منذ العصر البيزنطي يعيش في مدن كأنقره وإستنبول وإزمير عدد كبير من الكورد نُقلوا إليها من كوردستان الشمالية لغرض التتريك خلال القرن العشرين . وبكلمة أخرى ، فإن تركيا مقسمة على ٦٧ وحدة إدارية بصيغة ولايات ؛ ثمانية عشر منها تضم مقاطعات كوردية تتكون من أرزنجان وأرضروم وبايزيد وقارص . وفي الوسط يمتد الخط الكوردي من الغرب نحو الشرق ومن الشمال إلى الجنوب ماراً بمدياط وسيواس وتونجلي ومأمورية العزيز (ألزيك) وبينگول وموش وقره كوسه (آغري) ثم أديامان ومرعش وديار بكر وسعرت وبتليس ووان . وأخيراً فإن كل من أورفه وماردين وحوليميرك أو گوليميرگ (هيكاري) تُشكل الولايات الجنوبية من الوطن الكوردي في تركيا . وبهذه الصورة ، فإن الحدود الشرقية لهذه الولايات تحاذي المناطق الكوردية (٣١٪) في شمال غرب إيران التي تشتهر بكنية «آذربيجان الغربية» حيث تتشكل من مدن ماكو وقتور وشاهبور في شمال بحيرة أورميه .

---

(١١) راجع دائرة المعارف البريطانية ، مادة الكورد وكوردستان .

(١٢) نفس المصدر (*Ritter, XI, 144*) .



كوردستان

والمستوطنات الكوردية في غربي آسيا

أما في جنوب هذه البحيرة ، فبالإضافة إلى ما ذُكر ، فإن مقاطعات مهاباد وبوكان وسقز وسردشت وبانه وبيجار وأردلان ومريوان وهورامان وقصر شيرين وكرمنشاه وخُرّم آباد تُشكل جزءاً من كوردستان الشرقية . ويشير الزميل مهرداد إيزادي أستاذ جامعة هارفارد (قسم دراسات لغات وحضارات الشرق الأدنى) إلى أن أراضي كوردستان الواسعة جنوب مرتفات زاگروس تبدأ من كرمنشاه وتصل حتى شيراز في مقاطعة فارس وكان لسكان هذه المنطقة من الكورد دوراً سياسياً مهماً منذ القرن التاسع الميلادي في تلك المناطق ويشكل اللك (الطائفة المعروفة بيارسني) شريحة من شرائح الكورد المختلطين باللور في هذا الخط(١٣) .

أما في كوردستان الجنوبية التي تضم (١٨٪) من أراضي عموم الوطن الكوردي فتشكل كركوك وأربيل والسليمانية ودهوك وآكرى وسنجار وطوز خورماتو وكفرى وخانقين وجمجمال والعزيزية والزرباطية وعلي الغربي أهم مدنها .

وفي شمال سورية ، فإن كوردستان (٦٪) تتوزع على ثلاث مقاطعات وهي متناثرة تبدأ إحداها قرب كورد داغ وتمتد على عرض ٤٠ كم جنوب الحدود التركية ، وتقع الثانية على شرق نهر الفرات (٦٠ × ٤٠ كم) من نقطة دخوله إلى الأراضي السورية قرب جرابلس ، أما الثالثة وعرضها ٣٠ كم تقريباً فتمتد على مسافة ٢٥٠ كم شرقاً

---

(١٣) إستناداً على أقوال حاجي خليفة (كاتب چلبي) يُقَدّر مينورسكي في دائرة المعرف الإسلامية (مادة كوردستان) طول كوردستان بـ ٦٠٠ ميل (لورستان – ملاطيه) وعرضه ٢٥٠ ميل على خط موصل – آرارات . وقد أورد كل من آمد تيگريس وناصر رزازي وفرهاد گردواني هذه المساحة بـ ٥٢٠ ألف كم مربع ، منها ٢٥٠ ألف كم مربع داخل تركيا ، ١٧٥ ألف كم مربع في إيران ، ٧٢ ألف كم مربع في العراق و ٣٢ ألف كم مربع في سوريا ، وطولها من الشمال إلى الجنوب ١٠٠٠ كم ومن الشرق إلى الغرب ٧٥٠ كم . راجع كتاب *Geografya Kurdistan, Sweden 1993, Lapar 7 .*

وتشمل أراضي الجزيرة الواقعة بين رافد نهر الفرات المشهور بخابور ونهر دجلة وتقع فيها القصبات الكوردية مثل سَرْكاني (رأس العين) والدرباسية وآموده وقامشلي وعين ديوار وديريك . وفي المدن الرئيسية كدمشق وحلب وحماة يعيش ، لأسباب عديدةً ، بضعة آلاف من الكورد . وبالرغم من الذين أستعربوا في كل من مصر واليمن ، فإن الكورد الذين يعيشون لحد الآن خارج كوردستان كأفغانستان وخوراسان وباكستان لا يزالون ينطقون بالكوردية . وعلى كل حال ، فالمناطق التي تدخل الآن في حدود كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا هي المراكز التأريخية التي نشأت عليها المقومات القومية للأمة الكوردية وتطورت على أساسها مشاعر الإنتماء إلى هذه الأمة ، لكن الظروف التي ظهرت إلى الوجود منذ فترة الغارات الغزية نحو كوردستان والأنضول وقيام الصراع المذهبى بين العثمانيين والصفويين أدت إلى تشتت الكورد حتى في هذه الأراضي ، ثم إزدادت محنة هذا التشتت إثر قيام الحرب العالمية الأولى حيث وزّع الحلفاء الأوربيون مهد الأمة الكوردية وموطنها التأريخي بين الدول التي أنشأوها في غربي آسيا بناءاً على ستراتيجية مصالحهم السياسية والإقتصادية كما ذكرنا ، ومع ذلك فإن إدموندس مستشار وزارة الداخلية العراقية في عهد الإنتداب لم يستطع إنكار حقيقة وحدة أراضي كوردستان رغم مشاركته في تقسيمها أثناء دوره البارز في مباحثات لجنة الإقرار على عائدية ولاية الموصل التي بدأت في اليوم الخامس من تشرين الأول عام ١٩٢٣م(١٤) .

---

(١٤) بعد أن شارك في تأسيس الدولة العراقية وضم ولاية الموصل (كوردستان الجنوبية) إليها ، يقول ج . س . أدموندس مستشار وزارة الداخلية العراقية للشؤون الكوردية في كتابه الكورد والترك والعرب *C. J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, London, 1957, P. 2.* أن «كوردستان بمفهومها الواسع تعني موطن تسكنه الكورد كمجتمع متجانس ومقسم فيما بين تركيا والعراق وإيران مع أجزاء في كل من الإتحاد السوفياتي وسوريا ، وبناءً على ذلك لا تتطابق حدوده مع الجبهات الدولية :

موقع ومناخ وطبيعة كوردستان :

تقع كوردستان على خط الطول ٣٠ –٤٠ شرقاً درجة وخط العرض ٣٧–٣٨ درجة غرباً فيما بين جبال قفقاسيا من الشمال وخط الخليج الفارسي والبادية العربية من الجنوب وسهول إيران وآذربيجان من الشرق والأنضول والمقاطعات التي تشرف على البحر الأبيض المتوسط من الغرب وتُقـدّر مساحتها بـ ٢٠٠,٠٠٠ ميل مربع تقريباً وهي تعادل مساحة فرنسا أو ولايتي كاليفورنيا ونيويورك بأمريكا على حد قول ميهرداد إيزادي(١٥) .

تشتهر كوردستان على العموم بطابعها الجبلي ، وإن أعلى جبل فيها هو آرارات (قمة آگري) ويبلغ إرتفاعه ٥١٥٨ متراً ثم جبل رَشْكو في منطقة جيلو داغ(١٦) الذي يصل إرتفاعه إلى ٤١٦٨ متر . وعلى العموم ، فإن إرتفاع كوردستان برمتها يتراوح فيما بين ١٠٠٠ – ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر ، ومناخها يختلف من منطقة إلى أخرى ، وهو شبه إستوائي ويمتاز بأمطاره الشتوية وبجفافه الصيفي ، ومعدل الأمطار فيها يتراوح سنوياً من ٢٠٠ملم – ٤٠٠ ملم . أما في الأراضي المنخفضة المنحصرة بين سلاسل الجبال ، فيبلغ المعدل السنوي بين ٧٠٠ملم – ٢٠٠٠ ملم ، وقد يصل أحياناً إلى ٣٠٠٠ مم . أما في الوديان الوسطى فيكون المناخ قاري إلى حد ما ، وقد يكون قاحلاً ، إذ يبلغ المعدل

Kurdistan in its broadest sens means the country inhabited by the Kurds as a homogeneous community. It is divided between Turkey, Iraq and Persia with small overlaps into the Soviet Union and Syria ; thus its boundaries do not coincide with any international frontiers or internal administrative divisions .

(١٥) جهاز الإنترنيت *Kurdistanica*

(١٦) عن تفاصيل هذه الموضوعات راجع بالسلوفاكية رسالة دكتوراه المرحوم عبد الرحمن قاسملو :

A. R. Ghassemlou, Kurdistan a Kurdovia, Bratislava 1964 .

السنوي للمطر بين ٣٠٠ – ٥٠٠ مم ، ومن الملاحظ أن الفرق بين درجة الحرارة الدنيا ودرجة الحرارة القصوى كبير جداً . ويُعزى سبب سقوط الأمطار جزئياً إلى الإضطرابات الإعصارية الآتية من البحر المتوسط ، ويُعزى جزءها الآخر إلى دورة الرياح حول أضداد الأعاصير التي تتركز شتاءاً فوق شبه الجزيرة العربية . أن أمطار المنطقة تزداد مع تزايد الإرتفاعات ، ويتراوح معدلها بين ٣٠٠ ملم في السنة في التلال الخارجية وإلى أكثر من ١٠٠٠ ملم في الأجزاء العليا للسلاسل في منطقة جيلو داغ وهلكرد . ولا يصل التساقط هنا إلى أقصاه بسبب كون الجبال عالية ومتكتلة وحسب ، بل لأنها أيضاً تميل وتنعطف من الشرق إلى الجنوب الشرقي ، وهذا يضطر الأعاصير الآتية من البحر المتوسط والمتجهة شرقاً ، وبعد إجتيازها للتلال الخارجية ، إلى الإرتفاع نحو أعالي الجبال أو إلى الإنعطاف بشكل حاد نحو الجنوب الشرقي . أما في المنطقة الداخلية للهضبة الإيرانية ، وهضبة الأنضول فإن معدل التساقط يهبط إلى ما بين ٣٠٠ملم – ٥٠٠ ملم .

تمتلك غالبية المناطق الكوردية مصادر وفيرة من المياه ، فما عدا بعض المناطق الواقعة في العراق وسوريا التي تتاخم الصحراء ، تعوزها المياه ليس فقط لأغراض الزراعة ، بل حتى للإستعمال المنزلي . وتنبع في جبال كوردستان أربع أنهار كبيرة ، وهي آراس وقيزل أوزان الذان يصبان في بحر قزوين ، ثم دجلة والفرات . وهناك أنهر شهيرة أخرى تنبع بمسافات طويلة في كوردستان منها الزابان الكبير والصغير (الأعلى والأسفل) ونهرا بتليس وبوتان ، ثم سيروان وكاماسياب وجغتو وغيرها . وقد أنشأت الحكومات المحلية خلال القرن العشرين سدوداً عديدة بكوردستان لخزن مياه هذه الأنهر لخير السكان خارج الوطن الكوردي كسدود دوكان ودربندي خان وحمرين وبيخمة في العراق وسدود همدان وسقز ومهاباد في إيران وكل من گاب في تركيا وبعض السدود في منطقة الجزيرة بسوريا وذلك لأجل الحصول على الطاقات الكهربائية وإرواء مزارع الأمم السائدة في الدول التي تتقاسم أراضي الكورد . ومن حسن الحظ فإن مسحاً آثارياً قد جرت في

المناطق التي كانت مياه السدود ستغطيها في كوردستان الجنوبية وخاصة في المستوطنات الحورية التي كانت واقعة في حوض نهر الزاب الصغير مثل شمشاره المليئة بالكتابات المسمارية العائدة إلى مملكتي سيموروم وخارخار نشأتا في هذه المناطق قبل أربعة آلاف سنة ، ثم أن بعض المتخصصين الدنماركيين كالدكتور هينري هرالد هانس بدأوا يدرسون المجتمع الكوردي أثناء بناء سد دوكان عام ١٩٥٧م . وفي نفس الوقت بدأت مياه سد دربنديخان تغطي أخصب أراضي مقاطعة شهرزور التأريخية الغنية إقتصادياً . والسد الذي أنشِأت على نهر الفرات يُزوّد تركيا بـ ٢٦ مليار كيلوواط من الطاقة . ويلتقي نهرا آفيرەش وچەمي موراد اللذان ينبعان أيضاً في كوردستان ببعضهما قرب مدينة كاباني حيث بنيت في موقع ضيق لمياههما المشترك سداً كبيراً عام ١٩٧٤م يزود تركيا بطاقات كافية . وكذلك على نهر الفرات وقرب مدينتي ملاطيه والرها بنيت سد أتاتورك وبدأت الحكومة التركية تستفاد من طاقات هذا السد منذ عام ١٩٩٢م . أما مشروع گاب فيحتل أراضي تقدر بـ ٧٣٠٠٠ كيلومتر مربع من أملاك الكورد ويتوزع إلى ١٣ مشروعاً منها ٢١ سد و١٧ مراكز للطاقات الكهربائية و ٣٠ مؤسسة للمياه العذبة . وأكبر البحيرات الطبيعية في هذه البلاد هي كل من وان وأورميه وهزار گويل وقاد وچەرچووە وغيرها ، فبحيرة وان تُزود سكان المنطقة بـ ١٠٠ – ١٥٠ ألف طن من الأسماك تقريباً في كل سنة في حين تفتقر بحيرة أورميه في إيران لهذه الثروة .

أما النبات الطبيعي في كوردستان فيعكس بدقة ظروف المناخ ، وإن خط نمو الأشجار الأسفل *Lower Treeline* يُحَدّدْ بشكل عام بإرتفاع ٧٠٠م – ١٠٠٠م على التلال الخارجية الممتدة على طول إمتداد السلاسل الجبلية ، وهذا الخط يتبع في الغالب خط مطر ٥٠٠ ملم . تسود في أرض الغابات أشجار البلوط التي تحولت محلياً إلى شجيرات بسبب الحطابين والمواشي وقصف الطائرات والمدافع أثناء الحروب . ويمكن العثور في الأطراف العليا من نطاق الغابات على أشجار العرعر *Juniper* ، كما توجد

أشجار القيقب *Maple* والجوز والزعرور البري واللوز والدرداء *Ash* ضمن أشجار الجوز في الإرتفاعات المتوسطة . وتوجد في كوردستان أشجار الفستق والزيتون في بعض المواقع الجافة . ويظهر خط نمو الأشجار الأعلى فوق الجبال العالية على إرتفاع حوالي ٢٠٠٠م ويحتمل أن يكون لعامل درجة الحرارة أثر في تحديده بهذا الإرتفاع (معدل حرارة كانون الثاني ٥١٠ م) وفي الجنوب الشرقي وعلى طول إمتداد الجبال في إيران حيث يهبط إرتفاع القمم الجبلية بشكل عام إلى أقل من ٣٠٠٠م ، فإن الغابات تغطي هناك مساحات تمتد نحو الداخل وتنتهي فيما يمكن أن نسميه بخط نمو الأشجار الداخلي *Inner Treeline* في المناطق التي يصل معدل التساقط فيها حوالي ٥٠٠ ملم ويتراوح إرتفاعها بين ١٣٠٠م – ١٥٠٠م .

وقبل ما يقارب من ١٢ ألف سنة ، أي في بداية مرحلة تربية الحيوان في كوردستان ، كانت آثار العصر الجليدي لا تزال باقية في ربوع هذه البلاد التي تميزت خلال هذه المرحلة بفصولها وبثروتها النباتية والحيوانية الغنية وبأراضيها المعشوشبة وبأنواع ورودها وأزهارها البرية . وعلى الرغم من وجود الدليل لحالات المناخ المتغيرة خلال الفترة الجليدية الأخيرة من عصر البلايستوسين على حد قول البروفيسور رايت(١٧) ، إلا أن هناك أدلة قليلة حالياً على كون التغيير المناخي في نهاية عصر البلايستوسين كان حاسماً في تطور الإنسان القديم من مرحلة الصيادين إلى المزارعين والرعاة . أن هذه المراحل الإنتقالية حدثت قبل ١١٠٠٠ – ٩٠٠٠ سنة ، وربما حدث التغير المناخي الذي تسبب في تراجع وإنسحاب الثلاجات في نفس التأريخ . وعلى كل حال فإن تغيرات المناخ في عصر البلايستوسين أثر في الإنتقال العمودي لدوائر الحياة فقط ضمن الجبال الكوردية وتلالها

---

(١٧) راجع تفاصيل هذا الموضوع في : *H. Wright, "Pleistocene Glaciation in Kurdistan," Eiszeitalter und Gegenwart XII (Wiesbaden, 1961).*

الباب الثالث



الباب الثالث

ظهور الحياة على الأرض

ومراحل تطور الإنسان في كوردستان

إذا كانت السمات البدائية لقضية الوجود المادي ومراحل نشوء الحياة على الأرض ظاهرة من ظواهر الفكر الإنساني حاول كهنة المعابد ورجال الدين منذ آلاف سنين مضت أن يجدوا تفسيراً أسطورياً لها ؛ فقد حاول رواد النهضة الأوربية ، بفضل التقدم العلمي والتقني الذي طرأ على وسائل البحث عندهم ؛ دراسة هذه الظاهرة على أساس واقعي ، ورغم مرور فترة طويلة على تلك النهضة ؛ فإن هذه الظاهرة في كوردستان لم تدرس مع الأسف بصورة كاملة . فهناك بعض المعضلات رافقت المحاولات الجادة للتعرف بصورة عامة على حقيقة نشوء الحياة على الأرض ومصادرها الأولية وعلى التنظيم الزمني لعملية تطورها . ففي كوردستان لا ترجع أسباب الوهم حول هذا الموضوع إلى قلة عدد المتخصصين فحسب ؛ بل تكمن هذه الأسباب في عدد من التفاسير اللاواقعية المنتشرة بين الأوساط الشعبية ؛ تدعمها المؤسسات الدينية والسلطوية ، إضافة إلى أن هناك إهمال عشوائي ومبرمج في نفس الوقت تتعلق بالدراسات الأركيولوجية والمورفولوجية والأنثروبولوجية والتأريخية تنظمه الحكومات المحلية التي تتقاسم الوطن الكوردي . ومن البديهي ؛ فإن عملية الوصول إلى لب الأحداث التي شهدها الإنسان خلال العصور الحجرية والتأريخية تحتاج إلى الدراسات المذكورة أعلاه ولا يمكن برهنة النظريات إلا بالإستناد على المواد المكتشفة المدروسة علمياً ، ومن سوء الحظ فإن أغلب ما درس من المواد المكتشفة في كوردستان تَمّ على يد عدد من الأجانب الذين إعتبروها جزءاً من آثار الدول التي ظهرت إلى الوجود بعد الحرب العالمية الأولى ثم إلتزم بهذه الفكرة المتخصصون المحليون في هذه الدول ، وعلى هذا الأساس طغت ظاهرة التعتيم المتعمد على تراث

كوردستان بقصد أو بدون قصد .

من المعروف أن تأريخ الأرض ؛ التي يبلغ عمرها برأي البعض ستة آلاف مليون سنة ؛ يُقَسّمُ جيولوجياً حسب مظاهر الحياة وآثارها إلى أربعة دهور *Era* ويُقسم الدهر إلى عدة أزمان *Periods* ويُقسم الزمن إلى عدة عصور *ages* ، إلا أن علماء الجيولوجيا والباليونتولوجيا يعيرون الدهر الأخير من عمر الأرض المسمى بسينوزويك *Cenozoic* إهتماماً خاصاً بإعتباره الدهر الذي تطورت فيه الكائنات الحية ووصلت خلالها إلى أنواعها المعروفة الآن ؛ بما في ذلك ظهور الإنسان العاقل ، ويُقسم هذا الدهر إلى حقبتين ، هما ، الحقبة الأولى *Tertiary* الذي بدأ قبل حوالي ٦٣ مليون سنة ، والزمن الرابع *Quaternary* الذي بدأ قبل حوالي مليون سنة . ويُقَسّمُ الزمن الرابع هذا بدوره إلى عصرين ، الأول هو عصر البلايستوسين الذي حدثت خلاله ظاهرة التجمد بدأت قبل حوالي ٦٠٠ ألف سنة وإنتهت قبل ٣٠ ألف سنة وشهد تطور البشرية وظهور الإنسان العاقل ، والثاني هو العصر الحديث *Holocene* الذي بدأ عقب إنتهاء العصر الجليدي مباشرة ولا نزال نعيش فيه .

سيشمل هذا الباب من الكتاب بعض الآراء المتعلقة بالحقب الزمنية التي مرت بها الحياة الإنسانية نطرح في فصله الأول موضوع التحولات الفسلجية للمجتمعات البشرية التي عاشتها عبر العصور ومحاولات العلماء في تحليل أوليات هذا الموضوع قبل قرنين من الزمان حيث أثبتت لحد اليوم عديداً من الحقائق المادية تتعلق بتطور هذه الحياة ، أما في الفصل الثاني ، وبناءً على نتائج الحفريات الأركيولوجية ، نلقي ضوءاً على الحياة البدائية للبشر في كوردستان وما تحيطها من الأقاليم التي إتخذها الإنسان القديم موطناً له .

الفصل الأول

ظهور الحياة على الأرض

من المعروف أن علم الجيولوجيا يحدد عمر طبقات الأرض ، بينما تضم الدراسات الأنثروبولوجية إلى مادتها مسألة خروج الإنسان من مملكة الحيوانات وذلك بتكامل مظهره الخارجي تحتّ تأثير نشاطه العملي . أما علم الآثار أو الدراسات الأركيولوجية فتدرس بقايا الثقافة المادية التي خلفها لنا القدماء كأطلال المساكن وأدوات العمل والقبور ، نصل على أساسها إلى إستنتاج يتعلق بالتبدلات التي طرأت على صورة الإنسان القديم وشخصيته .

إن تحديد عمر الأرض ؛ في الواقع ؛ هو من الأمور التي طرحت حوله نظريات تقبل البرهان وإن بدأ الآن يظهر بعض الأدلة التي تشير إلى تقديره بثلاثة مليارات من السنين بدلاً من خمسة أو عشرة . ومن المعلوم أن الكرة الأرضية إستطاعت بمرور الزمن أن تحمل على ظهرها مختلف وسائل الحياة ، درسها الإنسان عبر العصور وقدّسها بطرق دينية ثم حللها فلسفياً ، وأخيراً بدأ مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي يعيد النظر في طروحاته السابقة عقب رحلاته الإستكشافية العلمية حول العالم وتراكم حصيلة الدراسات في حقل الطبيعيات لديه . وبناءاً على هذه الحقائق ؛ فإن مواضيع الطرق الدينية والتحليل الفلسفي ثم الدراسات العلمية يمكن تبويبها في بندين أساسيين وهما :

البند الأول ـــ مظاهر الحياة بين الأسطورة والفكر الفلسفي .

البند الثاني ـــ الأركيولوجيا وقضية نشوء الإنسان على الأرض .

البنـد الأول – مظاهر الحياة بين الأسطورة والفكر الفلسفي

أ – قضية الخلق في الميثولوجيات القديمة :

لعبت الميثولوجيا في العصور القديمة ، سواء ماقبل التأريخ أو بعد ظهور الكتابة ، دوراً رئيسياً في نشوء مختلف أشكال الأيديولوجيا ضمن التصورات البشرية التي ظلت القاعدة الأساسية لظهور الأديان في مختلف البلدان وإستمرت بعض سمات التفكير الميثولوجي حية في وعي الناس إلى جانب عناصر المعارف الفلسفية والعلمية الصرفة . فالمصريون القدماء ذهبوا إلى أنه كان ثمة وقت لم يكن فيه وجود للسماء والأرض ولم يكن لشيء وجود غير الماء البدئي الذي لا حدود له وكان تغلفه ظلمة كثيفة . وقد ظلّ الماء البدئي على هذه الحالة مدة طويلة ؛ ثم شعر روح الماء البدئي برغبة في الفعالية المبدعة . وما أن نطق الكلمة حتى ظهر العالم إلى الوجود على الفور ؛ على الهيئة التي كان موصوفاً بها في عقل الروح قبل أن ينطق الكلمة التي نتج عنها خلقه . وتلا ذلك صوغ البيضة التي إنبثق منها الإله رع ؛ إله الشمس ؛ الذي تجسدت في هيئة شعاعه قوة الروح الإلهي ذات القدرة . وهذا الإله هو الذي خلق السماوات والأرض والأعماق والمياه والجبال . ومع ذلك فإن إحدى الروايات تشير إلى أن أوزيريس كان أساس المادة البدئية التي طورت عدداً لا حصر له من الأطوار منذ بدء الزمان(١) . وفي الأساطير السومرية نرى أن مدينة نيبور كانت مسكناً للآلهة قبل أن يُخلق الإنسان ، ثم فتق إنليل (أبو الآلهة) السماوات والأرض وأنبت بذرة الأرض وزرع الأشجار وقدّمها إلى البشر بعدما نظّم إله الماء (إنكي) الحكيم الكون وأصبح مسؤولاً عن خصوبة الحقل ورعي الماشية ، فملأ دجلة والفرات بالمياه العذبة وزود المستنقعات بالأسماك وأنزل المطر على

---

(١) راجع كتاب (الديانة الفرعونية) لواليس بودج *Ernest A. Wallis Budge* ترجمة نهاد خياطة ، ص ٣١ وما بعدها .

الأرض ، وأخيراً خلقت الآلهة فردوس ديلمون (دار الخالدين عند البابليين وجنة عدن عند العبريين) كان يسقيها إله الشمس (أوتو) بالمياه العذبة المستنبطة من الأرض ، ثم كان هناك ضباب على الأرض ، فبدأ إله الحكمة إنكي بخلق الإنسان من صلصال فوق البحر « *dry clay, argillaceous earth* » إلا أنه أكل نباتات ثمانية ترعرعت في الفردوس بفضل الإلهة الأم نينهورساك (إلهة الأرض في العصر الزراعي) فلعنته على ذلك وبدأت صحة إنكي في الإنحدار حيث إعتلت ثمانية من أضلاعه ، ومن ضلع هذه الأضلاع عند شفائها تظهر سيدة الضلع التي تحييه من جديد (سميت في التوراة حوّات وفي القرآن حوّاء) التي تأتي من الأحياء[٢] . ونرى في قصة الخليقة البابلية إنوما إيليش (عندما كان في العلى) أنه لم يكن سوى العماء الذي إنبثق منه عنصران ، تيامه (أنثوي) وأبسو (ذكري) وُلد من إتحادهما (ممو) ثم (عدد أو حدد) من الآلهة مثل لاحمو ولخامو وأنشار وكيشار . وقد وُلد للآخرين آنو وغيره . وبعد أن تسرد القصة قضية الصراع بين الآلهة ، يقول كاتبها «أن مردوخ دخل المعمعة وحمل على تيامه وقتل كينغو وأخذ ألواح القدر ثم مسك تيامه بشبكة وقتلها بسهم أصاب قلبها ، وخلق من نصف جسمها السماء ومن النصف الآخر الأرض ثم الحيوان والنبات ومن دمها البشر ، ولهذا صار الإنسان مندساً به عنصر شر لأنه خلق من دم آلهة شريرة . ثم نصب مردوخ رئيس المجمع الإلهي بقية الآلهة في مراكزهم السماوية وأمر القمر أن يقرر للكل الأشهر والأيام والشمس وأن

---

(٢) راجع تفاصيل هذا الموضوع في :

Samuel Noah Kramer, Sumerian Mythology, Memoir No. XXI Of The American Philosophical Society. Philadelphia, 1944 ; S. N. Kramer, "Sumerian Myths and Epic Talls", In Ancient Near Eastern Texts Relating To The Old Testament. Princeton University Press, 1957 .

تخلق الليل والنهار »(٣) .

تضمنت قصة الخليقة الأخرى المعروفة بقصة أريدو خَلْق مردوخ للإنسان بمساعدة الإلهة أرورو بأن وضع قصبة على وجه الماء وخلق طيناً وضعه في القصبة ، ثم خلق الحيوانات ودجلة والفرات والنباتات والأراضي والأهوار(٤) . كما هناك تعويذة تُرقى للعصر البابلي القديم تؤكد على أن الربة مامي قد خلقت البشر بأمر أيا والآلهة الآخرين ، وقد خلقته مامي من الطين الذي مزجته بدم إله مذبوح(٥) . وبجانب الأساطير البابلية الأخرى ، فقد دَوّنَ بارحوشا *Berosoes* الكاهن المؤرخ البابلي من القرن الرابع والثالث قبل الميلاد الذي دوّن تأريخ بلاده بإيعاز من أنطيوخوس الأول المقدوني قصة الخليقة وأشار إلى أنه لم يكن في البداية سوى السماء والماء ويُطابق الماء مع إمرأة يسميها (أوموركا) ويقول أن معناها البحر ويطلق عليها أيضاً الظلمة ويذكر أن الإنسان خُلق من دَمِ إله ممزوجاً مع التراب(٦) . وفي الهند رأى أصحاب الريگڤيدا(٧) أنه قبل أن يوجد عالمنا كان هناك كائنات تسمى آسورا (القوة الحية) وهم مجموعة كانت تشكل العالم الروحي

---

(٣) *P. Jensen, Assyrische - Babylonische Mythen und Epen. Berlin 1900, PP. 38-43 .*

(٤) *H. Weissbach, Die Relligion Der Babyloniere, Oxford, 1960, PP. 85ff .*

(٥) *A. Ungnat, Die Relligion Der Babylonier und Assyrer, Jena 1921 .*

(٦) *W. Lambert, Babylonina Wisdom Literature. Oxford, 1960, PP. 85ff.*

(٧) يُعتقد أن نصوص الريگڤيدا *Rig - Veda* التي تحتوي على ١٠٢٨ نشيداً ألف مابين الأعوام ١٥٠٠ - ١٠٠٠ قبل الميلاد ، لكن أقدم الأناشيد في هذه النصوص تعود على أغلب الإحتمال إلى القسم الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ، وريگڤيدا هو أقدم كتاب مقدس في العالم ، وتعني كلمة الڤيدا «المعرفة» .

لها صفات إلهية . وبعد صراع بين أفرادها خرجت المياه الكونية من الجبال المرتجفة أو من كهف أو من جوف فريترا(٨) وكن إناثاً كأنهن الماشية الثاغية تجري فوق جسد سيدهن فريترا ليعترفن أمام إندرا(٩) بأنه السيد الجديد ، ثم أصبحت المياه حبالى وكأن جنينهن الشمس(١٠) وتجمّع كل ما يحتاج إليه إنشاء الكون من السماء والأرض والهواء ، العناصر الرئيسية الثلاثة للوجود في الإعتقاد الهندي القديم . ومن المعروف أن آلهة الهنود الأوربيين الرئيسية مثل وارونا وإندرا وميترا وناساتيا وآسورا (سورياش) وبورياش وبوغاش وماروتاش ، بالإضافة إلى الآلهة المحلية للحوريين نظمت بالإجماع الفكر الميثولوجي لسكان كوردستان القدماء وحددت آرائهم المتعلقة بالوجود وقضية خلق البشر .

أما كتاب الأفيستا (الآبستاگ) فقد حوى منذ القرن السابع قبل الميلاد أفكاراً دقيقة شاملة عن التصورات والنظريات الإيرانية في شأن خلق العالم ، إذ أن آهورا – مازدا إله الخير والحكمة هو مبدع وخالق الشمس والنجوم والأرض والقمر وهو يقيم المياه

---

(٨) كان فريترا أحد أفراد مجموعة آسورا وصوّره الهنود كمارد ، لأن الآسورا *Asouras* كانوا بالنسبة لهؤلاء شياطين ومردة ، بينما أصبحوا عند الإيرانيين أرواح الخير تجسدوا في آهورا *Ahoura* الصيغة الإيرانية لآسورا .

(٩) كان إندرا إله الطبيعة وإله الرعد والعاصفة والمطر وإله محارب يخوض معارك مظفرة من أجل شعبه سواء في الهند أو في كوردستان خلال العصر الميتاني (أواسط الألف الثاني قبل الميلاد) وقد ورد إسمه كذلك مع كل من الإله ميترا ووارونا وناساتيا في نص معاهدة بين الميتانين والحثيين . راجع تفاصيل هذا الموضوع في : *E. Laroche, Catalogue Des Textes Hittites, Etudes Et Commentaires, No. 51, 1971, P. 52*.

(١٠) تدل كلمة *Sourya* في الأناشيد الفيدية على الشمس أو إله الشمس إبن *Prithivi matar* (الأرض الأم) وهو بدون شك سورياش الكاشيين ، وقد دخلت هذه الكنية بصيغة *Souar* في تركيب الألقاب الملكية الميتانية مثل سوار – داتا (عطاء الإله سوار) وعُرفت في الكوردية بصيغة (خوردات) .

والنباتات وهو أصل العالم كله كما يتوضح ذلك من الياسنا يسأل فيها زرادشت ربه عن سر الخلق قائلاً : « تت توا پرسا أرش موئي وئوجا آهورا ، كسنا زان تا پتا أشهيا پئواوروييم ، كسنا خونگسترم چا دات أدوانم ، كه يا ماو أرخش ى ايتى نرفس ايتى توت تا چيت مزدا وس مى انيا چا ويدوى »(١١) . وفي الحوار الآفيستي نشأ (ماشيا وماشيانگ) وهما أول زوجين بشرين (ذكر وأنثى) من بذرة گيومرت التي سقطت فتلقت جزءاً منها سپاندرامات (الأرض) وظلّت أربعين ألف عاماً في الأرض ثم إنبعث ماشيا وماشيانگ من الأرض في هيئة نبات ولما إتخذا الشكل الإنساني خاطبهما آهورا مازدا قائلاً « أنتما بشر ، أبو العالم وأمه ، أديا عملكما وفق نظام حق وعقل كامل ، فكرا وتكلما وإفعلا ما هو صالح ، ولا تعبدا الشياطين » . على أنهما بأفعال مناقضة لتلك النصائح قد قصرّا من العمل الذي كان متوقعاً منهما ، وإذا بهما بعد خمسين سنة فقط ينجبان نسلاً . وقد إشتهر أب البشر وأم البشر عند النبي الفيلي الكوردي ماني خلال أواسط القرن الثالث الميلادي بإسم گيه مورد وموردديانگ(النفس الميتة)(١٢) .

---

(١١) يسأل زرادشت ربه قائلاً «أسألك أجبني بصدق يا آهورا ، من هو خالق الأصل في اليوم الأول ، ومن الذي دلّ طريق الشمس والنجوم ، ومن الذي يُحوّل الهلال إلى البدر ، يا آهورا أصبو إلى فهم هذه الحقائق ومعارف أخرى » . راجع الياسنا هات ٤٤ ، البند ٣ من الگاتات في [*گات ها سرودهاى زرتشت ، ترجمه وتفسير موبد فيروز آور گشنسب ، جلد دوم ، تهران ١٣٥٩ ، ص ٧٥*] .

وهكذا وبعد بنود أخرى تحوي أسئلة كثيرة تتعلق بالحكمة والمعرفة الإنسانية وسر الوجود في كتاب الأفيستا ، يقر زرادشت بأن خالق كل شئ هو آهورا . ومن الجدير بالإشارة هنا إلى تلك الكتب الفهلوية الساسانية التي تناقش غالبا موضوع خلق العالم وخاصة ضمن الفصل الأول من بونداهشن حيث تشير إلى أن آهورا بعد صراعه مع الروح المدمر (أهريمن) وإبرامه الإتفاق معها خلق المقدسات الستة الخالدة (أميشا سپنتا) التي يصبح عددهن معه (الخالدون السبع) ، ومن خلالهن خُلقت السماوات في هيئة بيضة ثم الماء والأرض والنباتات والماشية والإنسان .

(١٢) كان ماني كوردياً فيلياً ، إنحدر والده فاتك (پاتك) من همدان (أكبتانا) إلى المقاطعة

ومن جهته رأى ماني أنه كان في مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأن

الفيلية في نواحي ميشان (بدرة وحصان) ، المنطقة التي وُلد فيها ماني عام ٢١٥م حيث كان يحضر هناك أيام صباه مجالس (المغتسلة) فنشأ على مذهبهم وتعمق فيما بعد في دراسة الزرادشتية والمسيحية والمذاهب الجنوستيكية وخاصة مذهبي إبن ديصان ومرقيون تاركاً مذهبه الأول . وكان يرى الوحي عدة مرات في صورة ملاك إسمه (القرين) فكان يكشف له الحقائق الإلهية ثم بدأ يعلن دعوته .

زعم ماني أنه«الفارقليط الذي بشّر به عيسى عليه السلام » [راجع ص ٢٠٧ من الآثار الباقية للبيروني] وأشار في كتابه (شابورگان) إل «أن الحكمة والأعمال هي التي لم يزل رُسل الله تأتي بها في زمن دون زمن فكان مجيئهم في بعض القرون على يد الرسول الذي هو [البُد = بوذا] إلى بلاد الهند وفي بعضها على يدي [زردشت] إلى إيران وفي بعضها على يد [عيسى] إلى أرض المغرب ثم نزل هذا الوحي وجاءت هذه النبوّة في هذا القرن الأخير على يديّ أنا [ماني] رسول إله الحق إلى أرض بابل » وقد إدعى أنه جاء ليبلغ دعوته للناس كافة ولتكميل كلام الله وأنه خاتم الأنبياء [راجع ص ١٧٨ من كتاب *Arther Christensen, L 'Iran Sous Les Sassanides, Copenhagen, 1936, P. 178*] .

كانت أول خطبة لماني حسب رواية إبن النديم ، في يوم تتويج الملك سابور ، وذلك في يوم الأحد أول نيسان ، حيث كانت الشمس في برج الحمل (أي في اليوم العشرين من شهر مارت سنة ٢٤٢م ، وإن أهم المصادر عند المانوية هي الرسائل الجدلية التي ألفها كُتاب النصارى وخاصة تيتوس البستري وسانت أوغسطين ، ثم ما جاء في *Acta Archelai* ، وفي الصيغ اليونانية واللاتينية الخاصة بالإستغفار والتي فرضت بتلاوتها على المانويين المهتدين ، ورسالة فلسفية أفلاطونية كتبها إلكسندر ليكو بوليس ، ثم المواعظ السريانية التي كتبها سيفير الأنطاكي وعددها مائة وثلاث وثلاثون موعظة ، وكتاب *Livre des Soclies* للأسقف السرياني تيودور بركوناثي . وهذا الكتاب الأخير والرواية المفصلة عن المانوية التي ذكرها المؤلف العربي إبن النديم في الفهرست كانتا زمناً طويلاً المصدرين الأساسيين لمذهب ماني في خلق الدنيا . ثم إن بعض المصادر الإسلامية الأخرى ، وخاصة الآثار الباقية للبيروني ، تمدنا بتفاصيل هامة في هذا الموضوع . وفي سنة ١٩٠٨م نشر بحث بعنوان *Recherches Sur Le Manicheisme* يتطرق مؤلفه كيمو بقضية خلق الدنيا في مذهب ماني أساسه نبذ من تيودور بركوناثي . وفي بداية القرن العشرين كشفت البعثات العلمية الألمانية

«الأول» هو «العظيم الأول» أو الإله «سروشاو» ويشار إليه أحياناً بإسم زُروان ، وهو يتحلى في خمسة أشياء هي بمنزلة الوسائط بين الخالق والخلق وبمثابة أقانيم الأب الخمسة : الحلم والعلم والعقل و الغيب والفطنة . وقد إتفق ماني مع زردشت في أن عالمي النور والظلمة لا متناهيان من جوانب ثلاثة وأنهما يتلاقيان في الجانب الرابع . ولكن إله الظلمات هاجم النور بكل قواه حين رآه ، فنظم «العظيم الأول» إذاً دفاعه عن مملكته وذلك بخلقه أول المخلوقات . فدعا «أم الحياة» أو «والدة الأحياء» ودعت هي بعد ذلك «الرجل القديم» . فالعظيم الأول وأم الأحياء والرجل القديم يكونون التثليث الأول (الأب والأم والولد) . وبعد هذا وُلد من الرجل القديم خمسة أبناء هم : النسيم والريح والنور والماء والنار جُسّدوا تحت إسم «مهر سپندات» وقد إختلطت العناصر الخمسة النورانية بعناصر الظلمات الخمسة ونتج عن ذلك صفتا الطيبة والخبث . ولكن «الرجل القديم» بعد هذا ، كان متألماً ضيق الصدر ، فطلب الغوث من «العظيم الأول» سبع مرات . فلكي يعينه هذا رأى أن يأتي بخلق جديد ألا وهو : «صاحب الأنوار ميهر يزد / ميثرا» الذي دعا «روح الحياة» إلى مملكة الظلمات مصحوباً بأبنائه الخمسة : زينة المجد

والإنجليزية والفرنسية في التركستان الصينية عن عدد كبير من النصوص المانوية باللغة الكوردية الفيلية والصغدية والأويغورية والصينية نشر بعضها في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية عام ١٩١٩م . وفي سنة ١٩٢٦م نشر بحثاً عن درج صيني يحوي أدعية مانوية ونصوصاً كوردية فيلية وصغدية مع تعليقات تتناول دور المسيح في مذهب ماني . وهناك عدة كتب تحوي مواضيع مانوية نشرت في الثلاثينات من القرن العشرين . وبعدما كشف في مصر كمية من ورق البردى التي كانت تحتوي على نصوص من كتب مانوية مترجمة إلى اللغة القبطية ، نشر جزء منها بترجمة ألمانية ، وهذه النصوص تحوي تفصيلات عن حياة ماني ومذهبه كانت مجهولة من قبل . وعلى كل حال ، لا نرى من الحاجة هنا أن نشير إلى الدراسات العديدة المتعلقة بأناشيد زردشت (الكاثات) ، لكن تلك الأجزاء التي تتعلق ببونداهشن يمكن أن نجدها في المرجع التالي : *W. B. Henning, "An Astronomical Chapter Of Bundhisn", JRAS, 1942, PP. 229 - 2248*.

وملك الشرف وآدم النوراني وملك الإفتخار والحامل . وعند هبوط «روح الحياة» إلى مملكة الظلمات دعا «الرجل العظيم» بصوت عال كالنصل البتار ، ثم خلصه(١٣) . وأخيراً قُتل روح الحياة بعدما إستعان بأبنائه وسلخ أراكين مملكة الظلمات(١٤) ، ومن جلودهم خلقت «أم الحياة» السماء . ولكن أجسادهم ألقيت إلى أرض الظلمات حيث تكونت الأرض من لحمهم ، والجبال من عظمهم ، وهي رواية جديدة لقصة دينية عن خلق الدنيا توجد منها آثار في القصص الزردشتية . والدنيا التي خلقت من أجسام الشياطين النجسة تتكون من عشر سماوات لكل منها إثنا عشر باباً ومن ثمان أرضين . وقد رفعت «زينة المجد / العظمة» السماء ، وأما «الحامل» فإنه قد حمل الأرض على كتفه . وأما «ملك الشرف» فقد جلس في الوسط ملقياً أوامره على الآلهة الحراس الآخرين . ثم إن «روح الحياة» وجد صوره في أبناء الظلمات فأثار الشهوة الجنسية فيهم بحيث إنهم تركوا جزءاً من النور الذي إختلط بهم يسقط . ومن ذرات هذا الجزء من النور خلق الشمس والقمر والنجوم ومن بعدها خلق الأفلاك الثلاثة وهي الهواء والماء والنار التي رفعها «ملك الفخار» فوق الأرض وذلك حتى تمنع سم الأراكنة من أن يصل إلى مساكن الآلهة .

ولكي يتم طريقة الحماية خلق «العظيم الأول» خلقاً جديداً ، «المبشر» أو «الرسول الثالث» الملقب بـ(مهريزد «إله عالم النور / ميهرا أو ميثرا) . وبهذا «المبشر» إكتملت سلسلة الآلهة السباعية . ومن المعروف أن الإعتقاد كان في سلسلة تحتوي على

---

(١٣) إن «صيحة» روح الحياة سميت بـ« خروشتگ» في اللهجة الفيلية (الفهلوية) وتصاغ كـ«خروشان أو خروش » في اللهجات الكوردية الأخرى .

(١٤) إقرأ تفاصيل هذا الموضوع في النسخة الفرنسية لكتاب آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ، الصفحات ١٧٤ وما بعدها .

تثليثين وإله واحد كانت معروفة عند الكلدانيين أيام ماني ، وقد نسل «المبشر» إثنتي عشرة عذراء نورانيات هي السلطة والحكمة والنصرة والإعتقاد والطهارة والحقيقة والإيمان والصبر والصدق والإحسان والعدل ثم النور ، وأما «المبشر» نفسه فكان إلى درجة ما في مرتبة البتول الأولى النورانية (بهمن الفهلوية و وَهومَنَه في كاثات الآفيستا) ، وقد إتخذ مقامه في الشمس (الإله ميثرا) ، ومن هنا سير السفينتين ، أي الشمس والقمر ، وكانت النجوم والشمس والقمر . والبروج تكون نوعاً من الآلهة عملها أن تخلص ذرات النور من إختلاطها بمخلوقات الظلام ثم تنقلها إلى سماء النور . وبأمر «المبشر» سيرت العجلات الثلاث وشيد «البان الكبير» أرضاً جديدة وسجناً للشياطين . وهكذا بدأت الحركة المنظمة للعالم كله . وحينئذ أعاد «المبشر» التجربة التي قام بها من قبل «روح الحياة» ، فقد إطلع على جمال صوره في الأراكنة المقيدين بالسلاسل على السماء ، وذلك بأن طلع على الذكور من الأراكنة في صورة إمرأة فاتنة ، وعلى الإناث منهم في صورة شاب جميل . فالأراكنة ، وقد أخذتهم الشهوة ، أسقطوا عنهم بعض الذرات النورانية ولكنهم نفضوا عنهم في الوقت نفسه «الإثم» فسقط على الأرض . ومن نصف هذه المادة الظلمانية الذي سقط على الجزء المائي (البحر) ولد تنين ، وقد غلبه آدم النوراني وهزمه ، ومن النصف الآخر الذي وقع على الجزء اليابس (الأرض) نبتت خمس شجرات هي أصل النبات كله . وكانت الإناث من الأراكنة حاملات بطبيعتهن ، فلما رأين جمال «المبشر» سقط من أجنتهن على الأرض مَـزَن وآسريشتار فوُلد منهما حيوانات الأرض والبحر والهواء ، وهكذا نشأت الحيوانات ، كالنباتات ، من الشياطين النجسة .

وأخيراً فإن الحرص (آز) زوّج (آسريشتار) و (مَـزَن) وبلع أولادهما ، وبعد ذلك ولد لعفريتين أحدهما ذكر والثاني أنثى إسمهما (أشقلون ونمرائيل) ولد إسمه كيهمرد (كيومرد عند المزديين) ثم بنت إسمها مرديانگ (مشيانگ عند الزردشتيين) حسب الروايات السريانية . وفي هذا الزوج الشيطاني الأصل ، هذا الزوج الذي يُسمى آدم وحواء ، أبو

وأم البشر ، تركزت آخر ذرات النور التي كان الشياطين يحتفظون بها .

كان ا لله عند ماني هو المبدأ الطيب أما الهيولي فهو المبدأ الخبيث . ويتدخل ا لله لينظم الحركة ، وإذاً يبدأ بإرسال قوة ، هي النفس التي تختلط بالهيولي ثم يرسل قوة أخرى هي العقل فيبدأ حركة التخليص . فالنفس التي تنبعث من ا لله ، والتي قد وقعت تحت سلطان المادة بإتحادها مع الجسد والتي فقدت الإحساس بأصلها ومصيرها ، يوقضها ويخلصها روح من عند ا لله . والإنسان مكون من النفس التي ترجع كلياً إلى العالم العلوي ، ومن الجسد الذي يتبع تبعية كاملة العالم السفلي ، ومن بينهما الروح التي تتبع من غير شك العالم العلوي ، ولكنها لإمتزاجها بالجسد ، قد تعلقت بالعالم السفلي وهذا التنظيم في عالم الإنسان له نظيره في العالم الدنيوي الذي هو خليط من الحياة الإلهية المنيرة ومن مادة مظلمة وهو كالإنسان في حاجة إلى التخليص . ونظرية المانوية في خلق الدنيا تعطي الأخلاق أساساً عقلياً وإلهياً .

أما في التوراة ، فهناك حكايات تأثرت بالميثولوجيا البابلية والهندية الآرية تتعلق بظهور العالم المادي في الكون ، فيشير مدونوا العهد القديم إلى أن « ا لله خلق في البدء السماوات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح ا لله يرف على وجه المياه ، فرتب النور والظلام في اليوم الأول وحسر المياه على الأرض في اليوم الثاني وفصل السماء عن الأرض في اليوم الثالث ورتب ضوء النهار بالشمس وضوء الليل بالقمر والنجوم في اليوم الرابع وخلق التنتانين والطيور في اليوم الخامس ثم البهائم والوحوش والإنسان في اليوم السادس وفرغ من عمله في اليوم السابع فإستراح »(١٥) .

---

(١٥) يرجع أصل هذه الفكرة إلى معتقدات الآريين الذين نزحوا في بداية الألف الثاني قبل الميلاد إلى وادي الرافدين ، وقد إستعار اليهود الرقم ٧ (*Sapta* عند الآريين) من الميتانيين وورد في التوراة ٦٠٠ مرة حيث أصبح (السبت) على هذا الأساس اليوم السابع المقدس من أيام الأسبوع عند اليهود.

نرى أن مؤلف (مصحف رش) ، الكتاب المقدس للإزدية الكورد ، يشير بدوره إلى أنه «لم يكن هذا الفضاء الواسع سوى ظلمات ... وتعصف فيه رياح وليس فيه سوى الله قائماً بوحدانيته ، منفرداً بربوبيته . ولما أراد خلق الكائنات ، أوجد من نوره الأزلي دُرّة بيضاء وضعها فوق ببغاء وسكن عليها أربعين ألف سنة ، ثم صاح بالدُرّة فإنفلقت وخرجت منها هذه الأرض ثم تفجرت منها الأنهر والبحار . و لم يكن هذا الكون في بدأ خلقه على نظام وترتيب ، فأرسل الله جبرائيل على صورة طير فأحسن تنظيمه ووضع له الجهات الأربعة وزاد في تنسيقه . وطاف في البحار وجاء لالش فإهتزب به الأرض وجعل الجبال فيها أوتاداً فأخذ قطعتين من دُرّة بيضاء وعلقهما في السماء ، فكان منهما الشمس والقمر ، وخلق مما تناثر من الدرتين مصابيح في هذا الفضاء . وبعد ذلك خلق أشجاراً وثماراً ونباتات وزيّن بها الأرض ووضع عرشاً على عرش وصعد عليه وخاطب الملائكة قائلاً : أني خالق آدم وحواء ليكونا جدين للبشر ومنهما تكون الملة الإزدية التي تدعى ملة عزازيل وهو طاووس ملك» . وهكذا خلق من اليوم الأول للأسبوع حتى السابع منه الملائكة عزازيل ودردائيل وأسرافيل وميكائيل وجبرائيل و شمنائيل ونورائيل وجعل طاووس مَلَك رئيساً لهم ، ثم نزل إلى الأرض وقال لهم أني خلقت السماء فليخلق كل واحد منكم شيئاً ، فخلق الأول الشمس ، والثاني القمر ، والثالث الفلك والرابع نجمة الصبح والسادس الفردوس والسابع الجحيم . وعلى حد قول صديق الدملوجي (اليزيدية ، الموصل ١٩٤٩م ، ص ٢) فإن نظرية التكوين هذه هي عين نظرية التكوين عند الإسلام ، إذ يشير القرآن إلى أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء و « هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً ثم إستوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات » كما «خلق الأرض في يومين ... وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسابلين ثم إستوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا آتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحي في كل سماءٍ أمرها .

وزيّنـا السماء الدنيـا بمصابيح وحفضاً ذلك تقدير عزيز » و «ا لله خلق كل دابة من ماء » و «أن ا لله فالق الحب والنوى » و « هو الذي أنشأ جنـات معروشـات وغـير معروشـات والنخل والزرع مختلفاً أكُله والزيتون والرمـان متشـابهاً وغـير متشـابه »(١٦) « وإذ قـال ربك للملائكة أني خالق بشراً من صلصال من صماء مسـنون »(١٧) و « خلـق الإنسـان من صلصال كالفخار »(١٨) ثم قال لآدم «يا آدم أسكُن أنت وزوجك الجنة وكُلا منهـا رغداً حيث شئتمـا و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا مـن الظـالمين . فأزلهمـا الشيطان عنهـا فأخرجهما مما كانا فيه » . ثم أشار ا لله إلى آدم ونسله قائلاً «إهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين »(١٩) .

بنـاءاً على ما أوردنـا مـن الأمثلـة عـن التصـورات الدينيـة الوثنيـة والوحدانيـة ، فـإن الطروحات الكوردية كانت ولا تـزال متـأثرة بهـذه التصـورات الـتي إمتزجت في العصـر الهلليني بالآراء الفلسفية اليونانية المتعلقة بنظرية الخلق . وهكـذا فـالتمييز الدقيـق بـين خـير الطبيعة وخبثها أي دنيا النور ودنيا الظلمات وما على الإنسان من واجب خاص في حياته ، والجنة والنـار ، يوم الحساب ، وبعث الدنيا ، والروح الكلية ، وما بين الإنسان والقـوى الملكوتية من إرتباط تام ، وكل هذه العلامات المميزة للمزدية الإيرانية والأسـاطير السـامية خضعت لإرادة الفكر الفلسفي اليوناني بعدما إختلطت بآراء مصرية وكلدانية ويهودية .

---

(١٦) راجع على التوالي السور : هود ٧ ، البقرة ٢٩ ، فصلت ٩ – ١٢ ، النور ٤٥ ، الأنعـام ٩٥ ، ١٤١ .

(١٧) سورة الحجر ، الآية ٢٨ .

(١٨) سورة الرحمن ، الآية ١٤ . وفي أسطورة إنكي – ننهورساك السزمرية خلق الإله الإنسـان مـن صلصال فوق البحـر .

(١٩) سورة البقرة ، الآيتـان ٣٥ ، ٣٦ .

وفي القرن الثاني الميلادي تطورت في كوردستان فكرة الجنوستيكية(٢٠) وكان مذهباً ثنائيا

---

(٢٠) الجنوستيكية (الكنوستيك أو الغنوسطية) العلم الحق الذي ، بالحقيقة نفسها ، يؤدي إلى النجاة . ومن أشهر رواد هذا المذهب هو إبن ديصان الذي وُلد من أبوين أربيليين وثنيين هما كل من نوحاما و نحيرام ، تركا عاصمة مملكة حذيب حوالي عام ١٤٤م وإتجها نحو مدينة الرُها (أورفه) فرزقا بوليد على نهر ديصان الذي سُمي بإسمه ، ثم إستقرا عند أسقف كوردي بإسم (كودوز) الذي بشرهما ببعض المبادئ الدينية المسيحية التي تربى عليها إبن ديصان فيما بعد على يد هسبس أسقف الرها .

ليس فيما وصل إلينا من أقوال إبن ديصان ما يجعل إخلاصه لعقيدته المسيحية موضع شك . فنحن نجد في كتاباته أنه يعتقد بإله واحد ، قوي لأن كل كائن محتاج إليه ، خلق العالم ، وهو عون كل موجود ، خلق العناص الأساسية وهي النار والهواء والماء والنور والظلمة وجعل لكل واحد من هؤلاء قسطاً معيناً من الحرية وهو يشكل حيزاً محدوداً وله طبيعة خاصة به . فالظلمة مضرة وهي تخيم على الأرض حيث كانت لتختلط بالعناصر الطاهرة التي تدعو الله إلى إغاثتها فيشفيها المسيح . وقد ترك الله الشر يعمل لأنه حليم ، لكنه سيكوّن فيما بعد عالماً لا شرّ فيه .

لم يقبل رجال الكنيسة كتابات إبن ديصان ووصفوها بأنها نوع من الهرطقة وعملوا على صد المسيحيين عنها ، وحاربها بشدة كل من مار أفريم وربّولا أسقف الرها في أوائل القرن الخامس الميلادي وشوّه بعضهم إسمه فأشارو إلى أنه زعم أن الأنواع سبعة ثلاثة منها عظام شريفة وهي العقل والقوة والفكر والأربعة الأخرى دون ذلك وهي النار والماء والنور والريح ، فتألفت هذه السبعة بعضها من بعض وكان منها ستون وثلاثمائة عالم وإن الإنسان مخلوق من هذه الأصول السبعة أيضاً من الثلاث الشريفة وجسده من الأركان الأربعة الدنيئة وقال أن دماغ الإنسان من الزهرة وجلده من القمر ، كما زعموا أنه أنكر قيام الأجساد . لكن الباحث المنصف لا يستطيع أن يغفل الأصل الجنوستيكي لخلق الدنيا والمعاد عند ماني تلميذ إبن ديصان . وقد وجد بعضهم في ملخص عقائد ماني أساس الفلسفة الهللنية التي أثرت على نظرية إبن ديصان . فالفكرة المجردة التي تختفي تحت هذا التصوير الخرافي هي أن الأصلين القديمين هما الله والهيولي (الحركة المضطربة) . للإستزادة من هذا الموضوع راجع :

آرثر كرستنسن ، إيران في عهد الساسانيي ، ص ١٨٤ من الطبعة الفرنسية .

بادئ الأمر بفارق عظيم بينها وبين المزدية الإيرانية لأن الجنوستيك تقرن دنيا النور بالروح ودنيا الظلمات بالمادة ، أما المزدية فآمنت بعكس هذا المفهوم .

ثم أخذ أهل هذا المذهب يبحثون عن أسانيد لنظرياتهم في الكتابات المسيحية المقدسة . فوراء العالم المرئي وخلف العالم المعقول أيضاً يوجد الله ، الذي هو الأب المجهول الذي لا إسم له ، والذي لا يصل إليه الفكر البشري . وقد خرج العالم من ذات الله هذا بواسطة إشراقات دائمة أو تجليات ، كل منها أقل درجة من سابقتها ، حتى نصل إلى العالم المادي الذي هو آخر الإشراقات وأقلها نقاءاً ولكن فيه الرغبة للرجوع إلى الأصل الإلهي . والمادة ، دنيا الجسد ، هي مستقر البشر ، ولكن بارقة إلهية ، كامنة في طبيعة الإنسان تريه الطريق إلى النجاة وتهديه إلى الصعود في أفلاك الأراكين إلى أن يبلغ دنيا النور . هذا هو أساس تكوين المخلوقات عند الجنوستيكيين المحدثين . فالإنسان (الإنسان الأول) هو صورة نصف إلهية يبدو أنها مستعارة من الخرافات الإيرانية ويجعله بعض الجنوستيك آدم ، وهو عند غيرهم المسيح الأزلي ، أو هو قد حلّ أولاً في آدم ثم في المسيح . هو المولود الأول لله الأعظم ، نزل في المادة ، وهو روح الدنيا ، هو نصف إله ، هو العقل وهو الكلمة ، وبه بدأ الهبوط نحو المادة وفي الوقت نفسه الصراع من أجل الخلاص الذي لا يتيسر بغير عون الله . وعلى هذا الأساس نجد جميع الكتابات الجنوستيكية الإعتقاد في مخلص سماوي ، وهذه الفكرة التي قادت الجنوستيكيين إلى إعتناق المسيحية .

كان إبن ديصان آخر الجنوستيكيين الكوردستانيين (العارفين بالله) ألفت فرقة بإسمه حتى القرن الثامن الميلادي تحدث عنهم إبن النديم والمسعودي والشهرستاني حيث إنتشروا في العراق وخراسان وتركستان والصين ، وكان لإبن ديصان كتبٌ مثل (النور والظلمة ، روحانية الحق ، المتحرك والجماد «كتبه في نصرة الدين المسيحي بطريقة فلسفية» ، أنشودة الروح «أو إبن الملك» وقوانين البلدان الذي نشره أحد تلاميذه وهو يبحث عن علة الشر الطبيعي وبخاصة الشر الخلقي في العالم ودفاع عن حرية الإختيار أو

حرية الإرادة المطلقة .) .

وهكذا ، ففي القرن الثاني الميلادي تطورت فكرة الجنوستيكية (الغنوسطية) في الإمبراطورية الرومانية ، وأخذ أهل هذا المذهب يبحثون عن أسانيد لنظرياتهم في الكتابات المسيحية المقدسة . وطرق ڤالنتين وباسيليد ومرقيون وتصوّف الأوفيزم والناسينيزين والألشائيين هذه هي الجنوستيكية تحت أوضاعها المختلفة ، مع ما بين العقائد والآداب من تفاوت ، ولكن إتجاهاً عاماً للآراء قد تميز عن هذه الطرق المختلفة .

ومع مطلع العصر الإسلامي ، ظهر في كوردستان بعض الفرق الدينية حاول مرشدوها تحت تأثير المسلمين تغطية المعتقدات الكوردية القديمة في قالب متميز . وبذلك نرى الإزديون (اليزيديون ؟) ينظرون إلى قضية الخلق بناءاً على الأساطير الكوردية المتأثرة بميثولوجيا الديانات التوحيدية(٢١) . وهي كل من اليهودية والمسيحية والإسلام التي إمتزجت ببعض المعتقدات المانوية التي تطورت عندهم في أرضية زرادشتية .

فكتاب (مصحفي رَشْ)(٢٢) للإزديين يشير إلى أن الله كان موجوداً على مياه

---

(٢١) يعتقد صاحب مقال [(اليزيدية أو عبدة إبليس) المنشور في مجلة «المقتطف ، الجزء الرابع من المجلد التاسع والأربعين ، ١١ تشرين الأول ١٩١٦م ، ص ٣٢٥] أن « ديانة اليزيدية مزيج من اليهودية والمسيحية والوثنية والإسلام أو هي بقية من المزدكية مازجها شيءٌ من تعاليم اللاإدريين الذين قاموا في القرن الثاني المسيحي » ، أما الأستاذ قيصر صادر عضو جمعية العاديات السورية في الثلاثينات ، فيرى « أن عناصر الديانة اليزيدية تكونت من مزيج ديانات الشرق الأدنى » . [راجع رأيه في : اليزيدية ، عقائدهم وتقاليدهم ، مجلة المقتطف ، المجلد الثامن والثمانون ، الجزء الثالث ١٩٣٦م ، ص ٣٦١] .

(٢٢) يشير صاحب مقال [(اليزيدية أو عبدة الشيطان) المنشور في مجلة المقتطف ، المجلد ١٣ من الجزء السادس ، ١ آذار ١٨٨٩م ، ص ٣٩٤] إلى «أن حسن البصري تلميذ الشيخ عادي هو الذي كتب (مصحف رش) وذلك في أواخر القرن العاشر للميلاد ، وبما أن هذا الكتاب سُجل باللغة الكوردية فمن غير المستبعد أن يكون حسن البصري كوردياً أجاد التحدث بالكوردية .

البحار(٢٣) قبل وجود السماء والأرض(٢٤) وكان له مركبٌ يتنزه عليه لذاته(٢٥) ، ولما قرر خلق الكون صنع درّة بيضاء(٢٦) من سره ، ثم خلق طيراً(٢٧) إشتهر عند الإزديين بإسم (انگر *Angir*)(٢٨) ووضع الدرة على ظهره ، وسكن عليه أربعين ألف عام(٢٩) ،

---

(٢٣) الصيغة الأصلية لكنية اليزيدي في اللغة الكوردية هي (*ëzdî* أي الإلهي) التي دخلت في تركيب عدد من أسماء الأعلام الكوردية مثل إيزْدَكَرْت (عطاء الله) ، إيزدانشير (أسد الله) وإزدين (دين الله) . وقد أصاب الأستاذ قيصر صادر لب الحقيقة عندما أشار إلى أن إسم اليزيدية مشتق من (أيزد) بمعنى الخليق بالعبادة ، وهذا مشتق من كلمة (يزاتا) الميدية أطلِقَ مزادها (يزدان) على الملائكة الجديرون بالإحترام لتوسطهم بين الله والبشر . ولا تزال هذه الكلمة مستعملة في الكوردية بنفس المعنى .

(٢٤) يشير القرآن في الآية ٧ من سورة هود كذلك إلى أن الله « كان عرشه على الماء » ..

(٢٥) وما يشابه هذا الإعتقاد يورد في الأساطير المصرية القديمة ويتحدد في إبحار أوزيريس في السماوات بقارب إشتهر بإسم (ماتت أو سكتت) ، كما أن في الإصحاح الأول لسفر التكوين من العهد القديم (التوراة) يشير إلى « أن روح الله كان يرف على وجه المياه » وسماها المسيحيون بالروح القدس .

(٢٦) ورد في النص الكوردي لكتاب (مصحف رش) بدلاً من (درّة) كلمة (گوهر «جوهر») ، راجع : فقرة *Mashaf(-i)räš* تحقيق ماكسمليان بيتر من كتاب :

Abhandlung : Dr. Maximilian Bitter, De NK Schriften Der Kaiserlichen Akademie Der Wissenschaften In Wien, Philosophisch - Historisch Klasse, Band LV.

(٢٧) ورد هذا الموضوع في النص الكوردي من المصدر السابق كما يلي « خلق الله حمامة » وهذه الحمامة هي جوبيتر عند الإغريق الذي إقترب من ليدا على صورة أوز .

(٢٨) هو *Angra-Mainyu* الذي يورد في كتاب الآفيستا إشارة إلى رب الشر أهريمن .

(٢٩) هذا الإعتقاد يشبه ما يورد في الآفيستا عن بذرة (گايومرت) التي سقطت على الأرض وظلت فيها أربعين ألف عام ، وهناك في نهاية مصحف رش إشارة إلى أن الله خلق من نفسه دُرّة ،

بعد ذلك بدأ بخلق الملائكة السبعة الذين تعاقبوا على إدارة العالم ، وقد وردت أسماء الملائكة في كتاب (مصحف رش) بالصيغ التوراتية حيث خلقهم الله حسب أيام الأسبوع بدءاً من يوم الأحد وهم ، عزرائيل(٣٠) رئيساً للملائكة حيث إشتهر عند الإزدية بـ(مَلَكْ طاوس «تَموز») ، ثم دردائيل(٣١) وإسرافيل ، ميكائيل ، جبرائيل ، شمنائيل ونورائيل(٣٢) الذي تم خلقه في يوم السبت . وقد أخذت هذه الأسماء في العصر الإسلامي صيغاً عربية وسمين بـ(طاوس ملك ، الشيخ حسن ، الشيخ شمس الدين ، الشيخ أبو بكر ، سجادين ، ناصر الدين والشيخ فخر الدين). وعلى هذا الأساس ، فإن هؤلاء هم كذلك بنظر الإزدية من مخلوقات الله وليسوا أعضاء مشاركين في المجمع الإلهي كما إعتقد القدماء . ثم خلق الله صورة للسموات السبع والأرض والشمس والقمر ، وبأمره يشير كتاب (مصحف رش) إلى أن فخر الدين خلق الإنسان والحيوان والطير والوحوش(٣٣) ،

حكم عليها أربعين سنة ، ثم غضب عليها ورفسها ومن منحيها ظهرت الجبال ومن عجاجها تشكلت التلال ومن دخانها السماوات .

(٣٠) سَجّل السيد عبد الرزاق الحسني هذا الإسم بصيغة (عزازئيل) ، راجع الصفحة ٣٧ من الطبعة السابعة لكتابه «اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ، بغداد ١٩٨٠م » .

(٣١) سَجّل الأب أغناطيوس عبد خليفة اليسوعي في مقاله المنشور عن اللإزدية بمجلة «المشرق ، ص ٥٧١ – ٥٨٨ » هذا الإسم بصيغة (وردائيل) ، كما حوّل ميكائيل إلى ميخائيل . راجع :
Al-Machriq, Revue Chatholique Orientale Paraissant Taus Les Deux Mois. Universite Saint - Joseph, Beyrouth, 1953 .

(٣٢) ورد هذا الإسم في النص الكوردي بصيغة (طورائيل) . راجع تحقيق ماكسمليان بيتر .

(٣٣) صاغ السيد عبد الرزاق الحسني هذه المقاطع متصرفاً على النحو التالي :
« ثم خلق الله صورة للسماوات السبع والأرضين السبع ، وخلق الفكر الذي صوّر به الإنسان ، والطيور ، والوحوش . وكان الرب ، في هذه المدة ، في الدُرّة ، فخرج منها في اليوم السابع تحيط به ملائكته بين التهليل والتسبيح ، فتولى تكوين السماوات والأرض ، أولئك الملائكة الذين يعتقد

ووضعهم في جيب الخرقة ، ثم خرج من الدرّة ومعه الملائكة فأطلق صيحة عظيمة فتجزأت الدرّة إلى أربع قطع ومنها سالت الماء وظهر البحر فكانت الأرض مدورة بلا ثقب . وبعد فترة من الزمن خلق الله جبرائيل بصورة حمامة وسلم له جهات العالم الأربع ، فصنع مركباً ونزل به ماكثاً ثلاثين ألف سنة ، وأخيراً إستقر في لالش(٣٤) ليسكن فيها ، ثم صاح في الدنيا فتجمدت الصخور وتحولت إلى أرض بادئة بالإهتزاز . أمر الله جبرائيل أن يجلب قطعتين من الدرّة المكسورة ، ليضع إحداها تحت الأرض لتهدئتها والثانية على باب السماوات التي جعل فيها الشمس والقمر وعلق فيها أيضاً القطع المثورة الأخرى للدرّة البيضاء للزينة(٣٥) ، كما زيّن الأرض والجبال بالأشجار المثمرة والنباتات الخضرة ، ثم خلق العرش على الفرش(٣٦) .

ولما أراد الله أن يخلق البشر ويسكنه الأرض التي أعدها له ، نزل أرض المقدس وأمر

اليزيديون أنهم أرواح من ذات الله ، وأشباح من نوره ، وأنهم أزليون يتعاقبون على وضع الشرائع وسن السنن في رأس كل ألف سنة ، حيث يهبطون على الأرض . وإنفصلت الدُرّة فصارت سبعة بروج وأنصب الماء منها فكان بحراً خضماً ، وإستدارت الدنيا فكانت طافية على ذلك الماء ، فمدّ الإله يده وعيّن جهاتها الأربع ، وتناول من الدُرّةِ قطعتين وذرات صغيرة فجعل إحداها شمساً ، والأخرى قمراً ، ونثر الذرات نجوماً وزينة للسماء ، وأنبت النبات والأشجار المثمرة في السهل وعلى الجبل ، وخلق بعد ذلك فلكاً إستوى على جبل لالش النوراني فمكث فيه ثلاثين ألف عام » . راجع الحسني ، ص ٣٨ .

(٣٤) يقع جبل لالش قرب قرية عين سفني التابعة لقضاء الشيخان بكوردستان الجنوبية ، حيث يتواجد في واديه مرقد الشيخ آدي (عادي) وهو من أقدس أماكن الإزدية .

(٣٥) يورد موضوع هذه الزينة في القرآن (سورة الحجر ١٦) كما يلي :

«ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيّناها للناظرين » .

(٣٦) وهي نفس الحمامة التي دخلت على ما تدعي المسيحية على مريم وحملت منها عيسى اليسوع على غرار قصة دخول جوبيتر على ليدا الواردة في الأساطير الإغريقية .

جبرائيل أن يأتي له بتراب من أربع جهات الأرض ، فعجنه بالماء والهواء والنار وخلق منه روحاً سماه (آدم) ولما أمر الملائكة أن يسجدوا له إستكبر طاوس ملك وعصى هذا الأمر ، ومع ذلك أبقاه الله في منزلته ، وخلق من ضلعه الأيسر حواء وأسكنهما الأرض ، فتناسلا وكثرا وملآ البسيطة ، ثم كتب عليهم الفناء وأبادهم جميعاً بعد مضي عشرة آلاف سنة ، وما ترك أحداً غير الجن يسبحون بحمده ويقدسونه . ثم عاد بعد ذلك يخلقهم ويبيدهم هكذا خمسة أجيال ، وفي الجيل السادس خلق (آدم) جد البشر الحالي وأسكنه مع حواء الجنة وأباح لهما التمتع بنعيمها وأكل ثمارها عدا شجرة الحنطة فإنه منعهما عنها .

وهكذا قال الرب العظيم للملائكة ، أني سأخلق آدم وحواء ، وأجعلهم بشراً ، ومن آدم يكون شهر بن سفر (شهد ابن جرة) ومنه تخرج أمة عزرائيل أي أمة مَلَك طاووس وهم اليزيدية . وبعد أن إنتقل الشيخ عادي من أرض الشام إلى لالش نزل الله على الجبل الأسود (أي جبل لالش) وصاح ، فخلق ثلاثين ألف ملائكة وحوّلَهُم إلى عبيد[٣٧] ، فعبدوه أربعون عاماً ، وسلّمَهُم أخيراً لمَلَك طاووس حيث صعد بهم إلى السماوات فتجلّى الرب في الأرض المقدسة وأمر جبرائيل أن يجمع ذرات تراب من جهات العالم الأربع ، فخلق التراب والهواء والنار والماء[٣٨] ، وبقدرته صنع منه روحاً ، ثم أمر جبريل أن يضعه في الفردوس[٣٩] ليأكل من كل الثمرات إلا الحنطة .

---

(٣٧) وُردت مكان (العبيد) في النص الكوردي صيغة (قول *Qûl*) .

(٣٨) هذه العناصر هي نفسها التي أشار إليها المفكر اليوناني *Empedocles* (٤٩٠ ق. م. - ٤٣٠ ق. م.) .

(٣٩) أتت هذه العبارة عند الحسني كما يلي :

«ونفخ فيها الروح فكان منها آدم ، وأمر الله جبرائيل أن يدخله الفردوس» راجع الحسني ، المصدر السابق ، ص ٣٩ . وقد إدعى الأب أغناطيوس اليسوعي أن أحد الآلهة السبعة نزل إلى الأرض وخلق الجهنم والفردوس ، وعي عبارة لم تورد في مصحف رش .

ب – الفكر الفلسفي اليوناني وقضية الخلق :

بدأت منذ بداية القرن الخامس قبل الميلاد محاولات عدة للتحرر من قيود الفكر الميثولوجي المتعلق بتفسير قضية خلق العالم المادي ، ورغم ذلك ، فقد ظلت آراء أفطن الفلاسفة تحت سيطرة ذلك الفكر . وفي بداية القرن الخامس قبل الميلاد طرح *Empedoctes* (٤٩٠ ق. م. – ٤٣٠ ق. م.) نظريته الواضحة عن التطور البايولوجي للحياة ، ومع ذلك فإنه ظلّ يحمل تصورات عن أن الأشياء الحية ظهرت في الأصل بشكل تلقائي من السماء والطين والقمامة والخضار وما شابهها من مواد ، وصوّر الوجود المادي بأكمله كحصيلة مبادئ أربع ، وهي النار والهواء والماء والأرض (التراب) . هذا بالإضافة إلى أنه أشار إلى قوتين متعارضتين يقودان هذا العالم ، وهما قوة الحب التي توحده ، وقوة الحقد التي تُدمّر العالم ووحدته . وبناءاً على هذا الإعتقاد ، فإن النباتات وجدت على الأرض قبل كل شئ وأحييت براعمها العالم الحيواني وظهرت جميع هذه الكائنات تدريجياً عبر سلسلة من مراحل الإرتقاء والتطور . وفي بعض التفسيرات التي تشوبها الأساطير أشار بعض المفكرون إلى أن التراب مع إمتزاجه ببراعم هذه النباتات أدت إلى نشوء مخلوقات ذات أجسام متباينة ومنها تشكلت الأيدي والأرجل والرؤوس والأضلاع ، ثم الأجساد وباقي أجزاء الجسم بصورة طبيعية منتظمة ، وما كادت قوة الحقد تسود على الكون حتى بدأت الكائنات الحية تتحول إلى أشكال بسيطة وغير طبيعية ، فالرؤوس بدأت ، على سبيل المثال ، تتصل مع الأيدي بالأجساد مباشرة ، والرؤوس الآدمية شكلت أحياناً جزءاً من أجساد الحيوانات كالأسود والثيران أو الخيول ، ثم إتخذت أشكال طيور العنقاء *Griffon, Gryphon (Griffin)* وأبي الهول *Sphinxes* والقنطورس *Centaurs* ومخلوقات أسطورية أخرى آمن بها الأغارقة القدماء . أما بذور النباتات ، فقد وجدت على نفس هذا الأساس ، ونتجت في الأصل من التربة وظهرت الأغصان والزهور من الهواء ، لكن أثمارها خرجت من مواد طبيعية أخرى .

لقد عاصر أمبيدوكس فيلسوف آخر وهو أناكساگوراس *Anaxagoras* (عاش فيما بين أعوام ٤٩٠ ؟ - ٤٢٨ ق. م.) ، وهو من مواليد مدينة ميليتوس *Miletos* وتوفي في أثينا وقد رفض الإيمان بنظرية *Abiogenesis* ومع ذلك أصبح رائد المسائل التي تبحث عن الطبيعة وتطور ظواهرها (*Teleologic*) و تفسير علل وجود المخلوقات الكونية بتخطيط تصادفي . فآمن بظهور الأرض مع ظواهر الكون الأخرى في الأصل على شكل بذور ، وإختلطت بمعادن ذات كتل كبيرة في إطار الإضطراب غير المتعمد داخل حيز فارغة مليئة بالضباب . ومن هذا الإضطراب الحار والبارد معاً نشأت التربة والمعادن والماء ، ومن هذا الواقع ظهرت بذور الحياة بتوجيه سلطة روحية . وفي هذه الحالة تجمعت النباتات في الهواء ثم نزلت إلى الأرض بتأثير الأمطار حيث غطيت بمواد خضراء معشوشبة . ثم بدأت البذور الحية ، عن طريق التفاوت ، تتحشد في مواطنها ضمن أثير حار وأخذت تتنزل على الطين الدافئ أو الصلصال الموجود في الأرض . وفي هذا الوسط تطورت الكائنات البسيطة وإرتقت نحو أجسام حيوانية بناءاً على الإمكانية التي كانت تملكها .

هكذا تصوّر أناكسوگوراس قضية نشوء الحياة من أشياءٍ بدائية بسيطة وإرتقت بنظره نحو أجسام كاملة متطورة ، لكن هذا التصور كان ، من دون شك ، بداية لذلك التأثير العظيم الذي أحدثه *Arstotle* (آرسطوطاليس ٣٨٤ ق. م. - ٣٢٢ ق. م.) فيما بعد عندما شرح موضوع التطور البايولوجي للحياة وآمن بقضية *abiogenesis* وبمبدأ إنسياب السوائل إلى الكون *Flux* مشيراً إلى وجود مرحلة إنتقالية من حيّز الفراغ نحو ظهور النبات - الحيوان على شاكلة مرجان البحر *Corals* وشقائق النعمان *Sea anemones* وما شابهها من النباتات التي تنشأ على المياه ثم تتحول إلى الصنف الحيواني . ونظّم آرسطو أول تخطيط لتصنيف الأحياء حسب تصوره ووضع الإنسان بعد خلقه من التراب في مرتبة تلي مرتبة الآلهة ومُنح قوة الفكر . وأخيراً إعتقد آرسطو أن أجناساً من الأحياء

كانت تعيش على الأرض في حدود بيئة ساعدتها على الوجود ، وقد إختلطت مع بعضها البعض بشكل غير منظم عن طريق التهجين وعاشت أجيالها في بيئات أخرى كانت تلائمها في الإستمرار بالعيش ، وكان آرسطو مقتنعاً ببقاء الخصائص الفسلجية عند الأحياء حيث توارثتها الأجيال(٤٠) ، وقد إستند في إعتقاده هذا على الشبه الذي يمكن ملاحظته بين الأطفال وآبائهم أو أمهاتهم حتى من ناحية السلوك والطبائع الشخصية والعلامات الفارقة في الأجسام .

البند الثاني – العلم وقضية نشوء الإنسان على الأرض

إنقرضت مع مطلع عصر النهضة في أوربا أغلب التصورات الخيالية عن نشوء الحياة على الأرض وتقدمت الدراسات العلمية خلاله وبدأت آراء آرسطو تتدهور ، فجاء بوفون (١٧٠٧م – ١٧٨٨م)(٤١) مكانه ليطرح موضوع وحدة الطبيعة على بساط البحث متابعاً مبدأ نشوها من تدفق المياه منتقداً كل الآراء التي تعارض قوانين تطور الحياة وخاصة تلك التي أتى بها كارل لينـاو *Carl Linnaeus* بين أعوام ١٧٥٠م – ١٧٥٨م ومفادها ثبات الأجناس على أشكالها وعدم خضوعها لقوانين التطور والإرتقاء(٤٢). فحاول

---

(٤٠) يمكن ملاحظة هذه الآراء في كتاب *The Generation Of Animals* .

(٤١) كان بوفون *G. L. Leclerc, Comte De Buffon* صحفياً بارعاً وعالماً عظيماً في الطبيعيات ، ألّف كتاب *Histoire Naturelle* المكون من ٤٤ جزءاً يتضمن بجانب البايولوجيا جميع العلوم المتعلقة بالوجود المادي للكون من النجوم والطبيعة والكيمياء الذي إقتنع بوحدته ونبذ عكس هذه الوحدة .

(٤٢) عُرِف هذا العالم فيما بعد بـ *Carl Von Linne* وقد هام منذ صباه بحب الزهور ، لذلك عُرف منذ السنة الثامنة من عمره بـ *The Little Botanist* «النباتي الصغير» .

بوفون وضع تصميم عن تأريخ الحياة مع مراحلها بناءً على بقايا الحيوانات والنباتات المتحجرة ، وقد تأكد من إنطباعاته بعدما درس الآثار الباقية عند الحيوانات الثدية . وبمرور الزمن إقتنع بوجود صراع بين الأجناس خلال العصور الغابرة ، لكن جميع هذه الأحياء حافظت على بعض الأدلة المتعلقة بمظهرها الخارجي كالأصابع الجانبية لأقدام الخنازير التي لا يفيدها اليوم ، وأشار بوفون إلى أن الأجناس إنحلت في بعضها البعض لتشكل مجموعات جديدة أثناء عملية التطور ، فالخنزير الحالي مثلاً ظهر من خنزير متفوق عاش في الأزمنة القديمة ، كما إنحدر الحمار من الحصان والقرد مع الإنسان يرجع إلى أصل مشترك .

وعلى كل حال ، فإن الفكر الأوربي ، بدأ مع إنتهاء القرن الثامن عشر يتحرر من القيود الكنسية والتفسير اللاهوتي لقضية الخلق وظهور الحياة الإنسانية على الأرض ، وإلتزم عدد من العلماء بجانب الواقع المادي التجريبي لدراسة هذه الظاهرة . فكانت أعمال لامارك(٤٣) إحدى علامات تكامل الدراسات في مجال العلوم الكيميائية

---

(٤٣) كان لامارك *Jean Baptiste Pierr Antoine de Monet, Chevalier de Lamarch* أحد البايولوجيين الأرستقراطيين الفرنسيين الذي عاش فيما بين سني ١٧٤٤م – ١٨٢٩م وتفرغ للعلم بدلاً من جمع الثروة . وبسبب عوزه لبعض الأموال من أجل الإستمرار في إكتشافاته العلمية في أواخر فترة من فترات حياته ، باع مجمل بحوثه المتعلقة بإختصاصه لكي يسد رمق عيشه ، ولعل الفترة المزدهرة من تلك الفترات كانت أثناء عمله كإختصاصي في علم الأحياء (الفقريات) بحديقة *Jardin du Roi* عام ١٧٩٣م . وبالرغم من أنه نشر ثلاثة أجزاء من مؤلفه *Flire Française* ، لكن منهجيته العلمية إنصبت تدريجياً على الفقريات ، وقد تأثر في مقتبل عمره بآراء بوفون ، وقد إمتلك نوعاً من الفطرة في دراسة علم الحيوان والنبات وديناميكية الحياة . وكباحث في علم الأحياء ، تجول لامارك في أروقة المؤسسات العلمية بأوربا ، وبمرور الزمن بدأت شخصيته تمر بأطوار غريبة ، تلك السمة التي لازمته طوال الفترة الباقية من حياته وأدت إلى إستياء أصحابه من التصرفات التي كانت تبدر منه أحياناً .

والفسيولوجية التي حملت الباحثين على الإعتقاد بأن البحوث عن حقيقة الوجود المادي عبر الإستنتاجات يجب أن تكون مبنية على مناهج محددة أثناء التجارب الميدانية وإستناداً على الأدلة يمكن الوصول إلى أصل المكتشفات . وبناء على هذا الواقع بدأ لامارك يثير تصورات إنتقادية لنُظم الطبيعة بحرية كاملة مستنداً على وحدة الكون ، وحاول أن يُعرّف الطبيعة بتوضيح موقع الناس فيها بدلاً من أن يكون الموضوع محصوراً في أفكار المتخصصين فقط . وعلى هذا الأساس وضع خطة لمجموعة من البحوث ضبط فيها وحدة القضايا الطبيعية (الفيزيائية) والكيميائية والجيولوجية والمناخية والحياتية(٤٤) . ثم قدّم كتابه (هايدروجيولوجي *Hydrogeology*) عام ١٨٠٢م كتفسير علمي لتأريخ الكرة الأرضية مصوراً إياها ككتلة مرت بمجموعة من الأطوار كانت تغمرها المياه محتوية على طاقات

وبالإضافة إلى تلك الأفكار الراديكالية المتعلقة بتطور الأحياء لدى لامارك ، فإن بعض الإتجاهات الخاصة التي بدرت منه أدت إلى إنهيار شخصيته بنظر علماء عصره ، ومع ذلك فقد أثنى العالم *Cuvier* بعد موته عام ١٨٢٩م عليه بما قدم للبشر من جهد مُعبرا بواقعية عن الآراء المتعلقة بالدراسات الفقرية التي طرحها في حياته . وهكذا ولد لامارك في اليوم الأول من أغسطس عام ١٧٤٤م وتوفي في باريس يوم ١٨ ديسمبر عام ١٨٢٩م ضريراً بعد أن وقع في حالة فقر دقيق وهو أول من إستعمل كلمة (البايولوجيا) عام ١٨٠٢م .

(٤٤) كان يتقدم هذه البحوث جزءان من الدراسات الفكرية هما :

أ – التنقيب عن علل مبدأ الحقائق الفيزيائية وخاصة القابلة منها للإحتراق (صدر عام ١٧٩٤م) :

Recherches Sur Les Causes des Principaux Faits Physiques, et Particulierement Sur Celles de la Combustion (1794) ;

ب – كتاب دحض نظرية ضغط الهواء أو المذهب الحديث للكيمياء العصرية (صدر عام ١٧٩٦م) :

Refutation de la theorie pneumatique, ou de la nouvelle doctrine des chimistes modernes (1796) .

هائلة طغت تدريجياً على القارات مُخلِفة فيها رواسبها . وقد كشف هذا الكتاب عن نظريات خارقة وعجيبة تتعلق بقدرة الطبيعة عبر العصور الجيولوجية حيث لا قيمة للزمن أمام الأحداث في قضية التكوين الطبيعي للأرض ذو الطاقات الهائلة غير المحدودة . وبالرغم من جدية هذا البحث ، فقد أهمل في حينه ، ومع تزايد الإنتقادات على الآراء التي وردت فيه نتج توجه علمي نحو الموضوعات التي تطرق إليها لامارك فلمع نجمه على هذا الأساس في هذا المجال من العلم الذي بدأه بأسف شديد .

وفي عام ١٨٠٠م أعلن لامارك مراجعته لتصنيف الحيوانات حسب نوعياتها من ناحية الصغر كالطفيليات والديدان والرخويات (الأصداف) وذلك بتمييز التحليلات للوظائف والمركبات في الأعضاء الجوهرية لهذه الحيوانات حيث أخذ هذا العمل من عمره ثلاثين عاماً(٤٥) ، وقد إستند بعض العلماء على هذا النوع من دراسات لامارك كما هي معمولة بها لحد اليوم ، وخاصة تلك الدراسات المنهجية للحيوانات اللافقرية التي كانت تمثل قمة أعماله(٤٦) . وفيما بين أعوام ١٨١٥م – ١٨٢٢م عرض لامارك(٤٧) في كتابه (البحث عن نظام الأجسام الحية) مجموعة من البراهين تتعلق بالمنهجية البايولوجية شرح فيها أشكال الحياة الهائلة مؤكداً على أنها مرّت بسلسلة من التدرج مبتدءاً

في هذا الكتاب يعترض لامارك على نظرية الإحتراق عند لافوسير :

Lavoisier., Comte Antoine de Fourcroy

(٤٥) نُشرت هذه الدراسة تحت عنوان (نظام الحيوانات اللافقرية أو القائمة العامة للطبقات) :

Systeme des Animaux Sans Vertebres, ou Table General des Classes (1801) .

(٤٦) راجع كتابه عن (التأريخ الطبيعي للحيوانات اللافقرية) :

Histoire Naturelle des Animaux Sans Verebres .

(٤٧) *Recherches Sur l'organisation des Corps vivans (1809)*

من البساطة نحو التكامل المعقد مبيناً فيها مظاهر الهيجان والميوعة والعلاقة بين الطاقات الفيزيائية الطبيعية والنظام الكلي للحياة . أما في مؤلفه المشهور (فلسفة الحياة)(٤٨) فقد أشار إلى أنه إستند على قانونين عند تطرقه لموضوع إرتقاء وتطور أعضاء الحيوانات . كان القانون الأول يتعلق بتحسن الأعضاء التدريجي عن طريق الإستعمال والحركة ، وضعف هذه الظاهرة كانت تنتج عن الإهمال والإبتعاد عن العمل . أما القانون الثاني فيبحث عن ملازمة التأثيرات البيئية بوضعية هذه الأعضاء وتعدد أشكالها ، فقوة وضعف هذه الأعضاء متعلقان بالوسط المعيشي الذي يتوفر للحيوان . وعلى هذا الأساس أصبحت الأرجل الأمامية والرقبة عند الزرافة ، على سبيل المثال ، طويلة بناءاً على محيط رعيه المعتاد .

وبعد خمسينَ عاماً ، ومع إنتشار كتاب (أصل الأنواع) لجارلس داروين(٤٩) ، ظلت آراء لامارك تحتل المركز الأول في المناقشات العلمية ، وقد أستيعرت منها مقتبسات يمكن الشعور بها في النظرية الداروينية ، وبالأخص ما يتعلق بعلم الوراثة الذي لم يحالف الحظ لامارك زمنياً لكي يطوره ويطيل في دراسته . فالموروثات القديمة قبل عصر داروين هي المؤثل الأسمى لسلوك الإنسان وتصوره في أصل الكون ، وقد تقبلت أفكار الناس هذه

---

(٤٨) راجع : *Philosophie Zoologique (1809)*

(٤٩) وُلد العالم الإنجليزي جارلس داروين *Darwin, Charles (Robert)* صاحب الكتاب المشهور (أصل الأنواع *Origin Of Species*) في ١٢ شباط من عام ١٨٠٩م في منطقة *The Mount, Shrewsburg, Shropshire* ومات في ١٩ نيسان عام ١٨٨٢م في *Down Hous, Downe, Kent* وتخصص في الطبيعة وإشتهرت دراساته بالداروينية *Darwinism* وإشتهرت أفكاره من خلال نشر كتابيه التاليين الذين أثّرا على الإعتقادات الروحية والعلمية لأبناء عصره :
Selection and The Descent Of Man (1859) .
Selection/In Relation To Sex (1871) .

الموروثات على علاتها . وحتى منتصف القرن التاسع عشر ، كان المعتقد أن كل نوع من الأنواع الحية قد خُلق مستقلاً ، وأن خَلْق الإنسان كان النهاية التي توّجت أعمال الخلق ، وينبني على هذا ، أن الأنواع ثابتة لا تتغير ولا تتطور .

في سنة ١٨٥٩م أظهر داروين خطأ هذه العقيدة ، وأن الأنواع المختلفة ، نباتاً كانت أم حيواناً ومعها الإنسان ، إنما نشأت تدرجاً من طريق الإحتفاظ بمختلف التحوّلات التي تنشأ في أفراد كل منها . أما هذا التحول فقد إستغرق أحقاباً طويلة جهد الطول ، وفقاً لما يقتضيه تأثير سنن طبيعية دائمة التأثير في طبائع الأحياء . ولقد أبان داروين أن ما في مستطاع الإنسان أن يتكر في السلالات الداجنة من صور مستحدثة بالإنتخاب الأصطناعي ، في مكنة الطبيعة أن تستحدث مثله بالإنتخاب الطبيعي ، وإن كان الإنتخاب أبطأ أثراً في تحوّل الأحياء من الإنتخاب الأصطناعي . وسميت هذه النظرية « نظرية التطور » ، والعوامل الطبيعية التي يؤدي فعلها إلى التطور ونشوء الأنواع فخمسة عوامل :

١) الوراثة : ومحصلها أن الشبه يأتي بمشابهه ، فالسنانير لا تلد كلاباً ، بل سنانير .

٢) التحول : أفراد كل نوع تتشابه ولا تتماثل ، أي لا تكون نسخة مطابقة لأصولها .

٣) التوالد : إن ما يولد من النبات والحيوان أكثر مما يقدر له البقاء ، فالطبيعة تسرف في الإيجاد ، كما تسرف في الإفناء ، ومن هنا ينشأ عامل التناحر على البقاء .

٤) التناحر على البقاء : وهو عامل مضطرد التأثير غير منقطع الفعل ، فكل نبات أو حيوان يبرز إلى الوجود ، ينبغي له أن يسعى إلى الرزق وأن يجاهد غيره على ضرورات الحياة .

٥) بقاء الأصلح : فالأفراد التي تتزود من بنائها بقوة أوفى أو تكون أكثر قدرة على مقاومة الأفاعيل الطبيعية ، تكون أكثر قابلية للبقاء .

إقتصر بحث داروين في أصل الإنسان على ناحية واحدة ، هي أن الإنسان يعود بأصله

العضوي إلى عالم الحيوان ، و لم يمر بذهنه قط أن يقيم وزناً لتلك الظاهرة العجيبة في الإنسان ؛ ظاهرة أن فيه «إزدواجية» وأنه مكون من «جسد ونفس» ، وإستطاع داروين أن يثبت أن الإنسان بجسده حيوان ، ولكن ما خطب النفس ؟ لم ينفها و لم يثبتها . لقد حدد موضوعه تحديداً ، وحصره في دائرة أن الإنسان حي ، تجري عليه سنة التطور .

وعلى أي حال فقد لمُع في عصر داروين إسم الجيولوجي الأسكتلندي سير چارلس ليل *Sir Charles Lyell* وكان هو المسؤول الأول لتقبل النظرية التي تشير إلى أن ملامح وتضاريس الكرة الأرضية كانت قد تكاملت لأسباب تتعلق بقضايا فيزيائية وكيميائية وبايولوجية ظهرت عليها هذه القضايا خلال فترات طويلة من العصور الجيولوجية ، وقد إشتهرت هذه النظرية في القرن التاسع عشر الميلادي بكنية *Uniformitarianism* التي تعتبر من إكتشافات مبدأ التطور البايولوجي ومعرفة إرتقاء الحياة على الكرة الأرضية . وعلى هذا الأساس إعترفت الأوساط العلمية بچارلس ليل منذ عام ١٨٤٨م حيث رُقي إلى مرتبة بارون عام ١٨٦٤م(٥٠) .

---

(٥٠) وُلد البارون سير چارلس ليل *Lyell Sir Charles, Baronet* في ١٤ نوفمبر من عام ١٧٩٧م في مقاطعة فورفارشاير بأسكتلنده وتوفي بلندن يوم ٢٢شباط عام ١٨٧٥م ، وكان جيولوجياً تأثر في البداية بمعالم الغابات قرب ساوثامبتون *Southampton* بإنجلترا ، المنطقة التي عاش بجوارها في صباه وكان والده شغوفاً بالطبيعة *Naturalist* قبلما أن يتحول إلى عالم الأدب حيث كان مقر إقامته زاخر بالكتب التي تبحث عن الطبيعة ومواضيع أخرى كالجيولوجيا . وعندما بلغ ليل التاسعة عشر من عمره دخل إلى جامعة أكسفورد وكان يرغب التخصص في الآداب الكلاسيكية والرياضيات والجيولوجيا . وبنصائح المدرسين في *William Bukland* قام بمحاولة في إثبات قيام طوفان نوح ، فبدأ يكتب عام ١٨١٧م دراسة حول أصل الأراضي المنخفضة في مقاطعة *Yarmouth* وبعدما توغل في مراقبة الموضوع الذي حاول أن يعيش من أجله ؛ قام بجولة في قارة أوربا عام ١٨١٨م ماشياً عدة أميال يومياً ثم نال في شهر ديسمبر عام ١٨١٩م شهادة *B. A.* بشرف وتوجه بعدها إلى لندن لدراسة القانون . ومن سوء الحظ فقد ضعفت عيون هذا العالم في

فالحياة ، على أساس النتائج التي توصّل إليها العلماء ، ظهرت أول مرة في الصورة الهلامية المعروفة بالبروتوبلازم ، وهي الذخيرة أو الأصل الذي تعود إليه كل صور الحياة من نبات وحيوان . فأبسط صور الحياة حي ، هو عبارة عن شذرة صغيرة من البروتوبلازم تتضمن جسماً مستديراً هو «النواة » ، وكلاهما من الصغر بحيث لا تراه العين ، وهذه الشذرة المكونة من البروتوبلازم والنواة ، هي ما يسميه الأحيائيون « الخلية » ، والأحياء أما تتألف من خلية واحدة أو من خلايا متعددة ، والإنسان نفسه ، لا يتعدى أن يكون توليفة من عدد لا يحصى من الخلايا المختلفة . فالكائنات الحية ظهرت على الأرض بعملية التطور ، فخرج بعضها من بعض على طول الأحقاب الجيولوجية . وبالرغم من أن الإنسان قد وجد في الأرض خلال أزمان قريبة نسبياً بالقياس على تطاول الأحقاب الجيولوجية ، فإنه ينبغي لنا الكلام في التقدير الزماني لوجوده في الأرض منذ نشأ من الصور الحيوانية الأدنى منه مرتبة في نظام الأحياء . ومن المؤكد أن أوائل البشر لم يكونوا على صورة الإنسان الحالي ، بل كانوا أكثر مشابهة للقردة العليا . ومن أجل أنهم عاشوا في الكهوف ، إغتذوا بالجذور والدرنات والجوز ، وإتخذوا من أدوات الدفاع عن النفس عصياً وأحجاراً جمعوها خبط عشواء ، غير أنهم إصطنعوا بعد ذلك أدوات من الصوان جلبوها بالنحت لتتفق مع أغراضهم وتركوها غير مصقولة . كما كان لتوليد النار أثر

عز شبابه ، ومع ذلك فقد إستمر في بحوثه وكان يشعر بالأرتياح عندما كان يعمل في مجال الجيولوجيا خارج موطنه ، فزار عام ١٨٢٢م سوسيكس ليرى دلائلاً عن الحركات العمودية للقشرة الأرضية . وعند زيارته لباريس عام ١٨٢٣م إلتقى بعالم الطبيعة المشهور آنذاك *Alexander Van Humboldt* وكذلك *Georges Cuvier* وقام مع الجيولوجي الفرنسي *Louis - Constant Prevost* بدراسة حوض باريس ، ثم درس ليل عام ١٨٢٤م تكوين رواسب المياه العذبة للبحيرات قرب كينوردي *Kinnordy* .

إنقلابي في حياة الإنسان ، فبدأ يطبـخ لحوم الحيوانـات الـتي كـان يصطادهـا ويتخـذ مـن جلدها كساءاً . ومن جهة أخرى ، أصبح هذا الإنســان فنانـاً يخلـف وراءه آثـاراً منقوشـة على العاج والعظام والحجر أو صورها خطوطاً أو تلويناً على جوانب الكهوف الـتي عـاش فيها ، كما تدرجت قدرته على الكلام في درجات من التطور ، إستطاع بعدهـا أن ينقـل إلى نسله عاداته الكلامية ، ثم إخـترع القـوس والسـهام والصنانـير وبـدأ يربـي الحيوانـات وينسج الملابس ويصنع الفخار ويزرع بعض صنوف من الحنطة .

واليوم ، فإنه بات من الأمور المؤكدة تلك الملايين من السنين التي مرت علـى مسـيرة الحياة على الأرض كما أثبتته الدراسات الجيولوجية ، لكن حياة الإنسان لم تحتل من هــذه الملايين من السنين إلا فترة قصيرة من الأطوار والعصور التي مرت بتلك المسيرة وتقع هــذه الفترة حسب قول علماء الجيولوجيا والأركيولوجيا ضمن الحقبتين الثالثة والرابعة من عمـر الأرض معروفتان بحقبتي *Quaterrary ; Teritiary* كما ذكرنا ذلك في بداية هذا الفصل حيث أن أقدم أثر لوجود الإنسان خلال هذه الفترة تأكدت بواسطة الهياكل العظمية الـتي بدأت تُكتَشف منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومستمرة لحـد يومنـا هـذا(٥١) .

---

(٥١) حول هذا الموضوع يشير الأستاذ طه باقر في كتابه (تأريخ الحضارات القديمة ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٧٣م ، ص ١٦١ وما بعدها) إلى «أن العصور القديمـة تبـدأ منـذ أن وجـد الإنسـان علـى الكرة الأرضية قبل أكثر من مليون عام (؟) ... » ثم أن « عصور ما قبل التأريخ إستغرقت القسـم الأعظم من حياة الإنسان ، وإذا كانت المرحلة التأريخية في بلاد الرافدين تبدأ من الألف الثـالث قبـل الميلاد ، فإنها فترة جد قصيرة بالنسبة إلى عمر الإنسان الكلي لا تتجاوز نسبة الواحد بالمائة إذا قدرنـا عمر الإنسان بمليون عام . أما إذا قدرناه بمليوني عام أو مليون ونصف فتكون تلك النسبة زهـاء ١ / ٢ بالمائة . وبتعبير آخر شغلت عصور ما قبل التأريخ أكثر من ٩٩ ٪ من عمـر الإنسـان ، وأن نسـبة الواحد أو النصف بالمائة المتبقية من عمره تتضمن عمر جميع الحضارات قديمها ووسيطها وحديثها ، وشغل ما يسمى بالعصور الحجرية القديمة من عصور ما قبل التأريخ أكـثر مـن ٩٨ بالمائـة مـن عمـر الإنسان» .

ومما يجلب النظر في هذا الموضوع ، فإن العمر التقريبي لهذه الهياكل والعصر الذي عاش فيه أصحابها والمواد التي وجدوها في محطاتهم تم تحديدها من قبل العلماء المختصين في الجيولوجيا والبانتولوجيا والأركيولوجيا . وإستناداً إلى مقارنة هذه اللقى إتبع هؤلاء طريق نشوء الإنسان وصيرورته . ومن الملاحظ أن الصنف القديم من البشر قد مرّ بمراحل معقدة من التطور ضمن مختلف الأوساط البيئية التي ظهرت على الكرة الأرضية(٥٢) . يتفق أغلب هؤلاء العلماء على أن عملية خروج الإنسان من عالم الحيوان قد بدأت قبل حوالى مليوني عام . فبعدما عثر عدد من علماء الآثار في عفار بأثيوبيا على بقايا متحجرة لكائنات شبيهة بالإنسان يعود زمنها إلى ما قبل أربعة ملايين من السنين ، فقد أعلن هؤلاء في نهاية شهر أيلول من عام ١٩٩٤م عن عثورهم كذلك في نفس المنطقة على متحجرات تعود لأقدم المخلوقات الشبيهة بالإنسان عاشوا هناك قبل أربعة ملايين ونصف المليون من السنة ويمثلون نوعاً قائماً بذاته رغم تقاربه مع عالم القردة ، فإعتبروه من الصنف المعروف بـ(أسترالوبيثيكوس) ثم إستبدلوه بكنية راميدوس نسبة إلى إسم المنطقة التي أكتشفت فيها هذه المتحجرات(٥٣) . واليوم يُعتبر هذا الصنف أقدم من الصنف المعروف بأسترالوبيثيكوس أفريكانوس الذي عاش قبل ١ – ٣ ملايين من السنين ، وقد عرض الفريق العلمي الذي عثر على البقايا من عظام الصنف الأول ، وهم كل من الدكتور تيم رايت من جامعة بيركلي في كاليفورنيا (الولايات المتحدة الأمريكية)

---

(٥٢) حول تفاصيل تطور الإنسان ومراحله راجع بالهولندية مقال ***Helmuth Plessner*** *الموسوم بعنوان* ***Conditio Humana*** المنشور في الصفحة ٢٧ وما بعدها ضمن الجزء الأول من كتاب (تأريخ العالم العام ***Universal Wereld Geschiedenis***) .

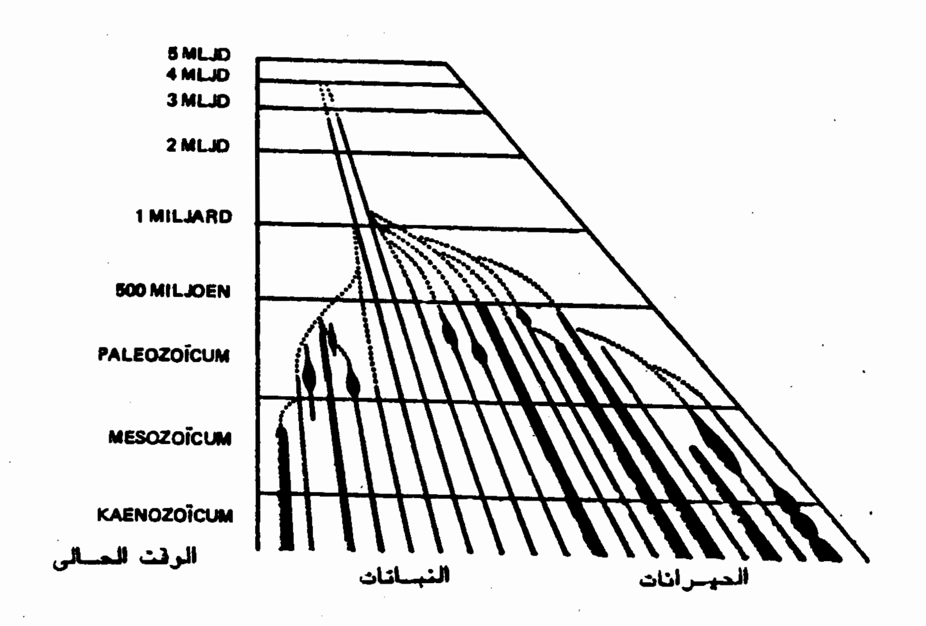
(٥٣) راجع هذا الموضوع في صحيفة (الحياة) ، العدد ١١٠٠ ، ٤ تشرين الأول ١٩٩٤م ، ص ١٢

والدكتور جين ساوه من جامعة طوكيو (اليابان) والدكتور بيرهين أصفاو من أثيوبيا تفاصيل الإكتشاف في تقرير لهم نشر بمجلة *Nature* العلمية دولية حيث أن التحليلات الجينية التي أجروها على ٥٠ قطعة من بقايا أسنان وفكوك وأنياب وجزء من عظام اليدين للأجسام المتحجرة ، أشارت إلى أنها تعود إلى أقدم كائن شبيه بالإنسان ولعله يمثل الحلقة الوسيطة بين البشر والقرود ويزيد عمره نحو مليون سنة عن صنف أسترالوبيثيكوس أفارنسيس المشهور بإنسان (لوسي) الذي عثر على بقاياه العظمية في نفس المنطقة وأعتبروه لحد الآن أقدم الكائنات الشبيهة بالإنسان . وقد صُدرت إعتراضات لهذا الإكتشاف من الدكتور كريس سترينغر عالم الأنثروبولوجيا في متحف التأريخ الطبيعي بلندن والذي ذكر لجريدة الحياة العربية الصادرة ببريطانيا أن الغموض لا يزال يحيط بالمتحجرات التي عُثر عليها في أثيوبيا ، ثم أنه لم يُعثر علي دليل يبرهن أن راميدوس كان قادراً على السير منتصب القامة حيث لا يمكن إثبات ذلك من دون العثور على بقايا عظام الحوض والركبة والقدم ، كما نفى سترينغر وجود حلقة واحدة مفقودة بين الإنسان القديم والحالي ورجح أن هناك ملايين الحلقات تمتد إلى ما قبل خمسة ملايين سنة ، ثم أن إختفاء المخلوقات الشبيهة بالإنسان يعود إلى عدم قدرتها على البقاء في الظروف البيئية المتغيرة .

ومهما يكن الأمر ، فإن الدراسات الجيولوجية أثبتت لحد الآن وجود ثلاثة مراحل لظهور الحياة على الأرض منذ أن طرح كل من سير تشارلس ليل وكارل إرنست فون هوف آرائهما حولها(٥٤) . وبهذه الصورة إستطاع العلماء تقدير المراحل الزمنية لنشوء

(٥٤) وُلد الجغرافي والجيولوجي الألماني هوف *Karl Ernst Adolf Von Hoff* في **Gotha** عام ١٧٧١م وتوفي في ١٨٣٧م وكان مديراً لمتحف مسقط رأسه . طرح نظرية التطور البطيء للقضية البايالوجية وكان أحد المناصرين للأسلوب الواقعي لعلم الجيولوجيا الذي دافع عنه في كتابه المعنون : *Geschichte der durch überlieferung nachgewissenen natülichen veränderungen der Erdoberfläche (3 dln. met supplement, 1822 - 1841*.

الحياة الأرضية بشكل تقريبي عجزت الفلسفات والأفكار الميثولوجيـة علـى تحقيقـه ، وقـد حددت النظريات العلمية مراحل تطور تلـك الحيـاة منـذ نشـوئها بمليـارات مـن السـنين ، لذلك كان لابد من توزيع هذه المليارات إلى فترات وعصور بناءاً على المظاهر المتميزة الـتي لازمت الأحياء .



الرسم البيـاني لتطور الحياة على الأرض

ومن جهة أخرى ، أشارت الدراسات الفيزيائية إلى أن الحياة بدأت بشكل فطري على الأرض قبل ثلاث مليارات من السنين بظهور الخلية الحية الأولى بعدما أن تغطى الجو بمواد تعرف بـ *Helium, Mesotorium - Lood, Radium - Lood* ووصول الحياة إلى هذه المرحلة من ناحية التطور كلفت الطبيعة ملايينا من السنين ، ثم إبتدأت الأرض بالإخضرار ونشأت في هذا الجو الحيوانات الأولى ، وعن طريق الدراسات الباليونثولوجية (علم التشريح) قُدرت فترة التنوع في العالم الحيواني ونشوء الفقريات ذات الفكوك *Agnatha* في مرحلة سميت بـ *Ordovicium* التي تعتبر بداية الإنفصال بين العالمين النباتي والحيواني . ومنذ هذه المرحلة تبدأ أطوار الحياة الإنسانية المتعددة التي قسمها الأركيولوجيون والمؤرخون إلى عصور تسبق التأريخ مرّ خلالها الإنسان بحياة فطرية قبل أن يهتدي إلى إختراع وسيلة للتدوين . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن البحوث التي إضطلع بها العلم الحديث في تحريه عصور ما قبل التأريخ تُعد من أروع ما أسهم به علم الآثار في إغناء المعرفة البشرية بتتبعه قصة تطور الإنسان العجيبة منذ ظهور تلك الفصائل البشرية التي كانت أصل النوع الإنساني قبل أكثر من مليون أو مليوني عام بحسب أحدث الدراسات والإكتشفات . ففي بداية تلك العصور الموغلة في القدم تمت تلك الأعجوبة في تطور الحياة على الكرة الأرضية بتطور بعض مراتب الحيوانات العليا إلى ظهور الإنسان « الناطق الصانع للآلة » . واللغة وصنع الآلة هما السمتان اللتان ميزتا النوع الإنساني عن سائر أنواع المملكة الحيوانية . وما كاد ينتهي أقدم عصور ما قبل التأريخ ، وهو العصر الحجري القديم ، حتى حدث تطور بايولوجي خطير آخر ، وهو إنتقال الأنواع البشرية القديمة البائدة *Palaeoanthropic* إلى نوع الإنسان الحديث *Neoanthropic* أي ما يسمى بالإنسان العاقل *Homo Sapiens*. قبل نحو ٥٠،٠٠٠ عام ، وعلي وجه التحديد في النصف الثاني من العصر الحجري القديم ، المسمى *Upper Palaeolithic* « العصر الحجري القديم الأعلى » .

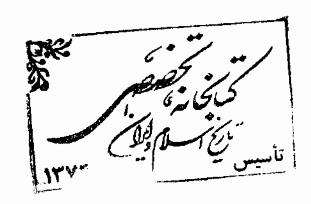
شغلت الحياة البدائية والفطرية للإنسان خلال عصور ما قبل التأريخ أكثر من ٩٩٪ من عمر الإنسان ، وأن نسبة الواحد أو النصف بالمائة المتبقية من عمر الإنسان تتضمن عمر جميع الحضارات قديمها ووسيطها وحديثها . وشغل ما يسمى بالعصور الحجرية القديمة من عصور ما قبل التأريخ أكثر من ٩٨٪ من عمر الإنسان ، على أن ما يمكن تدوينه من الأحداث عن عصور ما قبل التأريخ برمتها لا يؤلف سوى جزء ضئيل بالنسبة إلى ما دون ولا يزال يدون عن فترة أو دور واحد من العصور التأريخية ، والسبب في هذا لا يعسر إدراكه إذا علمنا أن ما جاء إلينا من عصور ما قبل التأريخ يقتصر على الأدوات والآلات المادية البدائية وبقايا الهياكل العظمية والبقايا المادية الأخرى القليلة حيث لم يهتد الإنسان إلى إبتداع وسيلة لتدوين شؤون حياته .

رسم بياني لتأريخ ظهور الفقريات على الأرض

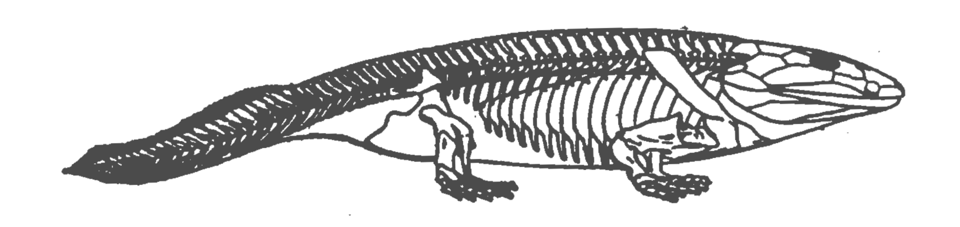
العصور		الفترات والأزمنة	الدوام بملايين السنين	الإبتداء قبل مليون عام	تطور المجموعات والأشكال المهمة للفقريات
		Pleistoceen	I	I	hominae prehominae
Kaenozoicum	T	Plioceen	10	11	*dryopithecus*
	e	Mioceen	14	25	*proconsul*
	r	Oligoceen	15	40	*propliopithecus*
	i	Eoceen	20	60	*tetonius*
	a	Paleoceen	10	70	primaten
	i				
	r				

	Krijt	65	125	*deltatheridum* eutheria
Mesozoicum	Jura	45	180	*amphitherium* pantotheria
	Trias	45	225	ictidosauria *cynognathus*
	Perm	45	270	*seymouria*
	Carboon	80	350	stegocephalia
	Devoon	50	400	*ichthyostege* crossopterygii
Paleozoicum	Siluur	40	440	chondrichthyyes
	Ordovicium	60	500	agnatha
	Cambrium	100	600	
Proterozoicum	Algoncium		Fossielgrens	
Azoicum	Archaicum			

قبـل مليارين من السنين



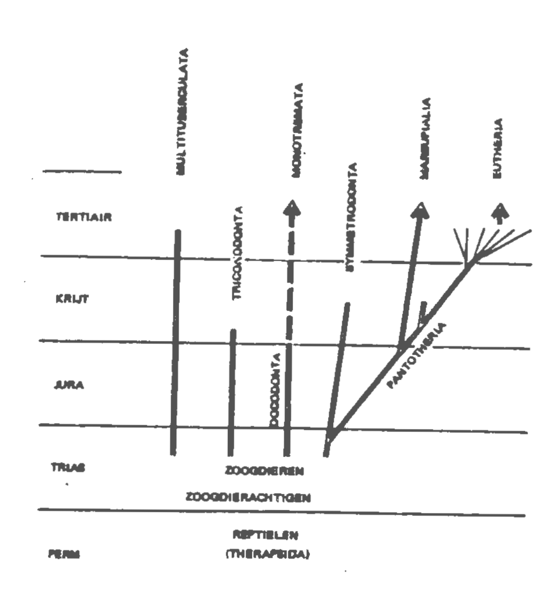
أما إنفصال الخلية الحيوانية عن النباتية بصورة بدائية ، فقد جرى على أغلب تقدير قبل خمسمائة مليون سنة وأن الهيكل العظمي الكامل لطير بدائي متحجر *Archaeopteryx Lithografica* الذي أكتشف عام ١٨٦٢م في سولنهوفن *Solnhofen* ويعود جيولوجياً إلى عصر جورا *Jura* أي إلى ما قبل ثمانين مليوناً من الأعوام يثبت وجود عالماً حيوانياً كان قد تطور قبل هذا التأريخ ، ثم شوهدت نماذج أخرى من هذا الطير كان آخرها عام ١٩٥٩م بجانب بعض البقايا العظمية المتحجرة الأخرى لزواحف ذات أحجام كبيرة أستخرجت من أرض گرينلاند بين أعوام ١٩٤٨م – ١٩٥٠م .



رسم بياني للهيكل العظمي لصنف من زواحف *Ichthyostega*
أكتشف في غرينلاند

كانت عملية التطور للفقريات بشكل عام معقدة ، والإختلافات التي حصلت أثناء عملية التنوع مرت بنفس التعقيد ، لكن يُعتقد أن تطور العالم النباتي كان مرافقاً لتطور العالم الحيواني إبتداءاً من إخضرار الأرض ونشوء الحيوان . وكما ذكرنا ، فإن الدراسات الباليونتولوجية أثبتت فترة التنوع في العالم الحيواني وكانت تتزامن مع نشوء الفقريات

ذات الفكوك المتنوعة *agnatha* في فترة سميت بأوردوفيسيوم *Ordovicium (onderste Siluur)* أي الطبقة الدنيا لعصر سيلور حيث ظهرت أثنائها الفقريات السمكية *Chondrichthyes* التي تحولت خلال عملية التطور إلى مخلوقات برمائية ذات عظام ثخينة وأكتشفت من فترة ديفون *Devoon* نموذجاً لعملية التطور *Ichthyostega* .



رسم بياني لأصل الثدييات

أما نموذج آخر من فترة *Perm* فقد دلّ على ظاهرة التحول بين البرمائيات وعالم الزواحف *Seymouria babylorensis* وهذا النموذج محفوظ الآن في مدينة *Seymour* بتكساس في الولايات المتحدة الأمريكية . وهناك نموذجين آخرين من فترتي ; *Perm Trias* إشتهر الأول بذو الفك الكلبي *Cynognathiden* والآخر بـ *Martersauriers* .
وفي عصر *Mesozoicum* تبدأ فترة ظهور الزواحف ذات الدم الحار من نوع *Sauropod* و سحليات وقد أكتشف نماذجاً من هياكل عظميه لصنفين متميزين هما

وتتزامن فترة ظهور الطيور العملاقة خلال فترة جورا *Brontosaurus ; Atlantosaurus* مع أواسط هذا العصر وأشهر صنف منها شوهد في المتحجرات ويعرف بـ *Archaeopteryx* . وخلال هذه الفترة تطور أيضاً صنف حيواني آخر سمي بـ *Pantotheria* . أما في الطبقات الطباشيرية العليا فقد وجدت البعثات الجيولوجية عالَماً حشرياً متطوراً إنطلق منه الوجود الحيواني بعد تزايد غاز الكاربون المؤثر للوجود النباتي منذ فترة *Paleoceen* . وفي عصر *Mesozoicum* غطت الغابات ، عن طريق عملية نشر البذور والتناسل الطوعي *Gymnospermen* أغلب المناطق على الكرة الأرضية ، لذلك بدأ يغلب على فترة *Tertiar* ظاهرة الإتصالات الجنسية حسب النوعية *Angiospermen* عن طريق التطور الذي طرأ على العالم الحيواني وظهور بوادر النسل البشري(٥٥) *Hominoidea* .

لقد حددت عملية التطور في العالم الحيواني موقف النسل البشري وشكله ضمن مجموعة الثديات *Primate* وقد صنّف العالم ليناوس *Linnaeus* هذا التطور في رسم بياني وبيّن علاقته مع تطور العالم النباتي لا إعتماداً على نظرية التطور الدارويني ، وإنما على أمثلة إحصائية على الطبيعة الحية(٥٦) . ومع ذلك فقد ظلت النظريات الكلاسيكية لبعض

---

(٥٥) راجع تفاصيل كل هذه المعلومات في موضوع (أصل البشر) لجيرهارد هيبير المنشور باللغة الهولندية في موسوعة (التأريخ العام للعالم) ، الجزء الأول :

Gerhard Heberer, De Oorsprong Van Het Mensdom, Universele Wereld Geschiedenis, Deel 1, Hasselt, 1974, Vertaling : J. A. Thiecke, Eindredactie : Prof. Dr. J. Huizinga .

(٥٦) كان ليناوس (ويعرف أحياناً بـ *Carl Linnaeus ; Linnaeus ; Carl Von Linne*) عالما سويدياً إبن أحد القسس ولد في ٢٣ مايس ١٧٠٧م براشولت في السويد ودرس في جامعة لوند ونال شهادة الطب ثم تخصص في علم النبات ، وهو أول من صنّف وحدد أجناس وفصائل الكائنات العضوية ، وقد بدأ من طفولته شغوفاً ومحباً لنمو الأزهار . مات ليناوس في أوبسالا في اليوم العاشر من كانون الثاني من عام ١٧٧٨م .

علمـاء البايولوجيا مثل داروين ولامارك وصموئيـل ويلـبرفورس *Samuel Wilberforce* وألفريد روسل والايس *Alfred Russel Wallace* وتومـاس هـنري هوكسـلي *Thomas Henry Huxley* جـد كل من العالمين البايولوجيين المعاصرين *Aldous Huxley ; Julian Huxley* هي المعمولة بها في جامعات الدول المتقدمة(٥٧) .

واليوم بات من الواضح تلك العينات التي أكتشفت في الطبيعة وتشير بالتأكيد على الإنتماء المشترك للعالم الحيواني منذ عصر *Paleoceen* أي منـذ أقـدم مرحلـة مـن مراحـل حقبة *Tertiaire* وقبل ما يقارب سبعين مليوناً من السنين . وخلال ملايين من السنين التي تلت هذه الحقبة كانت عمليات التطور تطغي بصورة عامة على الجنـس الحيواني ويمكـن التحسس بها عن طريق بقايا أجسام البشر والقـردة الـتي أكتشـفت في كـل مـن مدغشـقر ومالاييزيا .

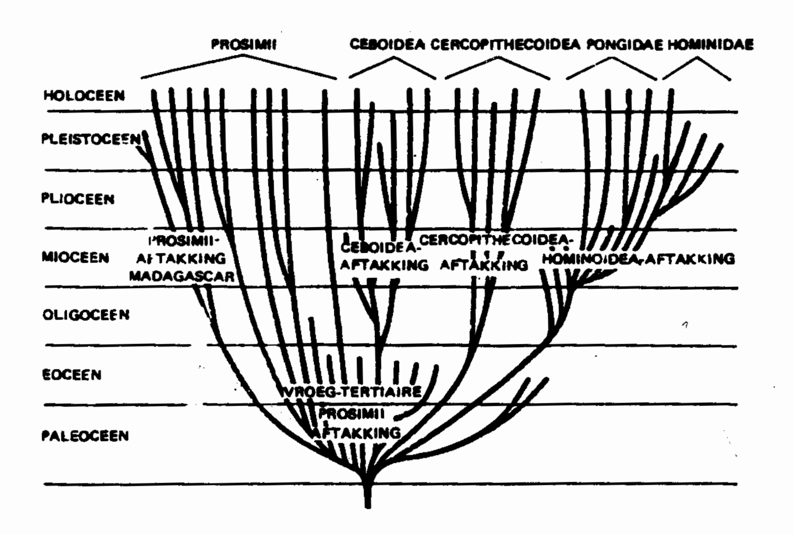
أمـا في الفيـّوم قـرب القـاهرة ، فقـد أكتشـفت بقايـا هيـاكل عظميـة مـن صنـف *Parapithecus* الكائن ذو الفك السفلي الذي يُعتبر أصلاً لنوع من القردة الشـبيه لأصـل

---

(٥٧) راجع هذه النظريات في المراجع التالية :

Ch. R. Darwin, On The Origin Of Species By Means Of Natural Selection (1859)
Ch. R. Darwin, The Descent Of Nan (1871) ;
Thomas H. Huxley, Evidence As To Man's Place In Nature, London, 1863 .

توماس هوكسلي هو إبن عم جورج هوكسلي معلم الرياضيات الإنجليزي ، ولد في الرابع من مـايس ١٨٢٥م وتوفي في التاسع والعشرين من عام ١٨٩٥م ، وكان بايولوجياً ومفكـراً في المجـال الفلسـفي واللاهوتي وإدت به نشوء الداروينيـة إلى الإدعـاء باللاإدريـة *Ggnosticism* ، وكـان مـع كـل مـن تشارلس ليل ويوسف دالتون ياركون كتاب داروين (أصل الأنواع) ، ونشر ملاحظاته المشـهورة في مهرجان جامعة أكسـفورد عـام ١٨٦٠م ولـه دراسـات في الباليونتولوجيـا والأنثولوجيـا وقـد تقلّد مناصب عديدة في الجمعيات الجيولوجية والأنثولوجية .



رسم بياني يصور علاقة البشر مع عالم القردة

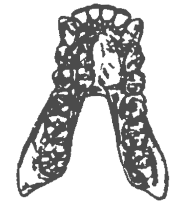
الإنسان ، كما أظهرت الدراسات الأولية على خمسة نماذج من هذا النوع كونه حلقة بين جنسي الإنسان والقرد أي بين *Pangidae* و *hominidae* عاش في الطبقات الأدنى لحقبة *Oligoceen* حيث تميّز ببروز فكه إلى الأمام .

أكتشف كذلك في الفيّوم نماذجاً من عظام كائنات أشتهرت بفكوكها السفلى وكان أصحابها من صنف *Propliopithecus haeckeli* الذي يُعتبر من الثديات التي كانت لها صفات إنسانية أكثر من إنتمائها إلى عالم الحيوان المعروف بـ *hylobaidae* أي أسرة الإنسان القرد *Pangidae* وتمثل كل هذه النماذج بشكل واضح أقدم أصناف البشرية البدائية ومنها إنبعث صنف *Propliopithecus* الذي شوهدت بقايا هيكله العظمي في الطبقات السفلى من عصر ميوسين *Mioceen* في شرق القارة الأفريقية وهو




بقايا من الفكوك الإنسانية *tetonius homunculus* من عصر إيوسين

قريب لصنف آخر أشتهر بكنية *Limnopithecus* . ومـن مجموعـة - *Propliopithecus* *Limnopithecus* كحذر أولي ومروراً بمجموعة *pliocene pliopithecus* - *mio* ظهر صنف القردة التي كانت تستعمل أياديها للتسلق كما نرى هذه الظاهرة عند القردة المعروفة الآن بـ *Gibbon* التي تعيش في شرق قارة آسيا ، وقد إنفصل هذا الصنف عن خط تطور الإنسان في حقبة *Oligoceen* . وبناء على هذه الحقيقة ، فإن لهذه القردة صلة قوية مع الجذر القديم للإنسان وهما معاً ينتميان إلى صنف من الثديات إشتهر بكنية *Limnopithecus* وجدت بقاياها في الطبقات العليا لحقبة ميوسين . وكان الإنسان القرد لفترة ميوسين الذي عاش قبل ١٥ مليوناً من الأعوام (وتتزامن مع فترة *Tertiai*) يملك طاقماً من الأسنان كانت تدل على قرب وضعيتها مع الأسنان عند الإنسان الحالي ، وتمثل بقايا الجماجم المكتشفة في منطقة *Sivalik* بشمال الهند ، وهي من صنف عُرف بإسمه المحلي *Sivapithecus* هذه العلاقة أحسن تمثيل حيث كان القسم الأعلى للأسنان كبير ومائل نحو الشفة العليا ، أما الأسنان الداخلية فكانت مرتبة وعلى خط مواز مستقيم . وعلى هذا الأساس ، يمكن الإشارة إلى أن نظام الفكوك عند الإنسان الحالي ظهر في الفترة الزمنية المعروفة بعصر ميوسين وكانت الظروف المناخية لهذا العصر تشبه ظروف عصرنا الحالي مع إعتدال قامة الإنسان خلال الطور الثالث من حقبة تريتسير الذي عُرف


بعض الأمثلة من أسنان إنسان سيفابهثيكوس في الهند

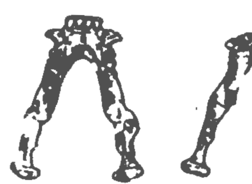
بـ *Conditio humana* بعد مروره بعملية التكامل المعروفة أثناء إقترابه من عصر البلايستوسين *Pleistoceen* قبل ما يقارب من مليون سنة . أما بعض النماذج للهياكل العظمية التي أكتشفت في جزيرة *Rusinga* في خليج *Kavirondo* قرب بحيرة فكتوريا والتي تعود إلى الطبقة السفلى لفترة عصر ميوسين فهي تمثل دور التحولات في قضية التكامل الفسلجي للإنسان ، في حين ما أستخرجت في مناطق شرقي القارة الأفريقية من هياكل عظمية فهي تمثل الصنف الإنساني المشهور بـ *Subhumane* التي تمثل الطور الوسيط بين قردة الشمبانزي والغوريلا وأشهر مجموعة من هذا الصنف هو *Proconsul africanus* :



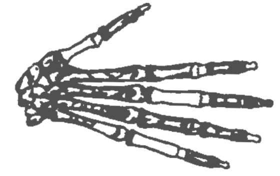

نموذج من جمجمة *Proconsul africanus*

وبغض النظر عن كون هذا النوع من الهياكل تمثل الإنسان العاقل أم لا ، إلا أنه يتميز بجمجمة وأسنان قوية وسليمة مع إنحراف في البنية خلافاً لصنف *Pongid* الذي نتج منه النوع المعروف بـ *Orangoetan* . ومع ذلك فإن النوع الأول لم يملك الحواجب البارزة المعروفة بـ *tori Supraorbitales* وكانت جبهته صغيرة حيث كان رأسه يبدأ مباشرة بعد الحواجب ، وهذه الظاهرة طغت على الشمبانزي والغوريلا قديماً مع إستثناء الفكوك والأيدي المتميزة لـ *Proconsul* وإن كان قد إستعملها للتسلق على الأشجار كما يؤكد ذلك حجم عظام أصابعه ، وكان هذا الكائن يقضي عيشه على الأرض خلافاً لأصناف القردة .

ظلّت العلامات وظواهر الإنتماء المشترك بين الإنسان والحيوان عند عديد من الكائنات لفترات طويلة من الزمن كما درسها *J. L. Smith* بعد أن إكتشف خلال الثلاثينات من القرن العشرين هياكل لنوع من السمك عاش في عصر البلايستوسين في الساحل الشرقي لأفريقيا الجنوبية ، كما نرى هذه الظاهرة عند صنف من الإنسان يُعرف بـأوسترالوبيثيسين *australopithecin* عاش على الكرة الأرضية لفترة طويلة إكتَشَفَ بقايا من هيكله العظمي رحال قسم التشريح لمدينة جوهانسبيرغ عام ١٩٢٥م وكانت تعود لطفل قُدّر عمره فيما بين ٥ – ٦ سنوات تميّز بفكوكه الحيواني ، ولأسباب موضوعية أعتبر هذا الطفل من العالم الإنساني وسمى العلماء هذا الصنف من الكائن بـ *australopithecus africanus* حيث شوهدت أمثالها في كل من المناطق ترانسفال



تشابه الفك السفلي لـ *proconsul* (اليمين)
وفك قرد من صنف الشمبانزي (اليسار)

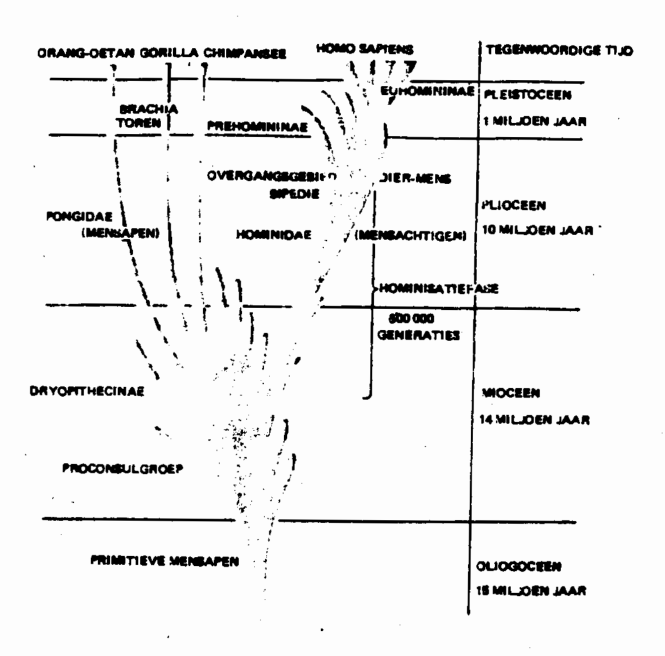


بقية عظام اليد عند *proconsul africanus*



جمجمة لكائن من صنف *Orang - Outan*

وگاروسي ونؤلد واي *Transvaal, Garusi, Old Way* بشـرقي قـارة أفريقيـا وفي كـل مـن أومسترِيدن بجزيرة جاوه وفي جنوب الصين(٥٨) .



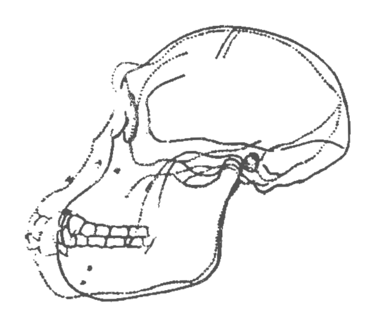
رسم بياني لشجرة نشوء البشرية على الأرض

وعند مقارنة العلامات المتميزة في جمجمـة هـذا الصنـف مـن الكـائن نـرى أن هنـاك علامات تربطه بعالم الغوريلا أو الشمبانزي ، لكننا لا نـرى تلـك العلاقـات عنـد الكـائن الآسيوي المعروف بـ *Orang - Oetan* المتميز عن الأول بفجوات عيونه وفكوكه ، لذلك

---

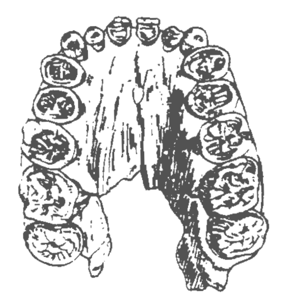
(٥٨) راجع . *Gerhard Heberer, Ibid. PP. 113 - 117* . من المؤكد أن إنسان جـاوه ينتمي إلى نفس جنس الإنسان الحديث ،

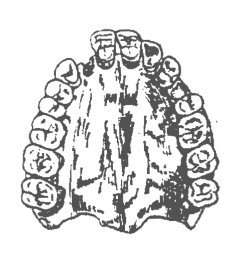
كانت هذه البقايا العظمية تحتاج في البداية إلى دراسات فسيولوجية واسعة وعميقة



جمجمة أوسترالوبيثيكوس الشبيهة لجمجمة الشمبانزي

لمقارنتها بأصناف أخرى من البشر ، فكان ذلك ممكناً بعد أن أكتشفت في كينيا عام ١٩٥٩م نموذجاً دُرس بشكل مركّز وكان يمثل الصنف البشري المعروف بأوسترالوبيثيكوس أفريكانوس تمثيلاً جيداً حيث أطلق عليه كنية *Zinjanthropus* . وبعد





الفك العلوي للإنسان الحالي وشبيهه عند أوستراوبيثيكوس (زينجانثروبوس)

مقارنة أسنان وفكوك هذا الصنف مع الصنف الآخر المعروف بـ *Paranthropus* شوهدت الإختلافات الظاهرة في تكوينها ، لأن الصنف الأخير كان يستعمل النباتات كغذاء رئيسي على ما يبدو ، بينما تطور الأول نحو إستعمال القوت غير النباتي(٥٩) .

ومهما يكن الأمر ، فإن أصل الإنسان وتأريخه – ككائن بايولوجي – يرتبط بالمملكة الحيوانية ككل وبتأريخها ، لأنه يشترك مع هذه المملكة في عديد من الخصائص ، وتبدو هذه الخصائص المشتركة كثيرة وواضحة مع بعض الحيوانات بالذات ، مثل الغوريلا والشمبانزي ، في حين تبدو الخصائص المشتركة الأخرى بينه وبين حيوانات أخرى كالأسماك والطيور أقل بكثير ، وإنطلاقاً من هذه الحقيقة ينظر البايولوجي إلى الإنسان بوصفه النتاج النهائي لعملية تطورية طويلة متتابعة الحلقات ، يمكن تعقبها حتى ظهوره على الأرض لأول مرة إنطلاقاً من إنتمائه إلى العالم الحيواني وليس النباتي ، وإنقسام هذا العالم إلى صنف ذو الخلية الواحدة وصنف آخر ذو الخلايا الكثيرة وإنقسام كل مرتبة في هذا العالم إلى عدد من الرتب ، ينتمي الإنسان من خلالها إلى مرتبة الثديات الرئيسات والحبليات (أي الحيوانات ذات المحور الطولي الذي يضم حبلاً طويلاً يشكل جزءاً من الجهاز العصبي) وأن أعظم تخصص مر به في عملية تطوره كان نمو حجم مخه ، والتنظيم الفائق للجهاز العصبي ، ولعل أهم التغيرات التي طرأت على تطور المخ هي نمو القدرات الترابطية ، وخاصة القدرة على إستخدام الرمز ، أي إختراع بعض الرموز والإشتراك في فهم مدلولها ، وهو الأساس الذي يسر ظهور اللغة عند الإنسان . وفي هذا الجانب من موضوع عملية التطور ، يلتقي العلماء بمشكلتين أساسيتين هما أولاً صعوبة تحديد فترة

---

(٥٩) راجع تفاصيل هذا الموضوع في المرجع السابق ، ص ١٧ وما بعدها .

إنفصال سلالة الآدميات عن العالم الحيواني ، وثانياً ضبط نقطة إبتداء التطور التي يمكن وصف أسلاف البشر عندها بأنهم أصبحوا بشراً و لم يعودوا مجرد أشباه بشر . وقد أوضحت الكشوف التي تمت بعد دراسة هياكل الإنسان – القرد في أفريقيا الجنوبية عام ١٩٢٥م (*Paranthropus*) أنه كان هناك نوعين رئيسين من هذا الكائن ، نوع صغير ونوع آخر كبير ، ومع ذلك فإن هذا الصنف يُعتبر من ناحية تركيبة اليدين والقدمين والحوض وترتيب الأسنان وسمات الجمجمة من أكثر الأصناف قرباً إلى الإنسان كمخلوق منتصب القامة الذي كان يمشي على قدمين حيث أطلق عليه لويس ليكي *Zinjanthropus* ثم أطلق على الهياكل المثيلة لهذا الصنف في أفريقيا كنية (الإنسان الماهر *Homo habilis*) وهو ما يسمى في آسيا بـ(إنسان جاوه) وهو نوع بشري ينتمي إلى فصيلة الإنسان الحديث . وعلى العموم ، فإنه بات من المعروف تلك الملايين من السنين التي مرت على مسيرة الحياة على الكرة الأرضية كما أثبتته الدراسات الجيولوجية ، لكن الإنسان لم يحتل من هذه الملايين إلا فترة قصيرة من الأزمنة التي مرت بتلك الحياة اوكانت تقع ضمن الحقبتين الزمنيتين المعروفتين بالثالثة والرابعة من عمر الأرض ; *Teritiary Quaterrary* حيث أن أقدم أثر للإنسان تثبته بقايا هياكله العظمية التي تتصل بعصر البلايستوسين (أي بطبقة الباليوليث الأدنى) ثم مرّ بمراحل معقدة أثناء التطور إلى أن ظهر إنسان جاوه(٦٠) .

---

(٦٠) مرت الحقبة الرابعة من عمر الأرض بعصرين متميزين هما :

١ – عصر البلايستوسين *Pleistocene* الذي دام نصف مليون سنة تقريباً وشهد ظاهرة التحمد خلال أربع مراحل تخللتها فترات مطيرية وهي تدل على عمليات التحول المناخي على الكرة الأرضية من حالة التحمد إلى حالة الدفئ وإرتفاع درجة الحرارة وظهور بوادر الحياة المختلفة ، لكن بوادر الحياة الإنسانية كانت تشير في هذا العصر إلى درجة التطور الفسيولوجي والذهني لأقدم صنف للبشرية وعلاقة هذا الصنف بالإنسان الحالي هي إحدى المشاكل العويصة في موضوع التطور



جمجمة إنسان جاوه المعروف بيثاكنثروبوس (هومو إيروكتوس)
الذي عاش في أواسط عصر البلايستوسين
محفوظة في المعهد الجيولوجي بجامعة أوتريخت - هولندا

لقد تم العثور على أولى حفريات سلف الأنسان الحديث في جاوه بواسطة طبيب

الفسيولوجي ، وقد عُرف نوع متأخر من هذا الصنف بالنياندرتال نسبة إلى وادي نياندر بألمانيا حيث أكتشفت بقايا من هياكله العظمية ويعتقد أن هناك روابط بين إنسان الكهف هذا مع الإنسان الأوربي الحالي تظهر في الملامح الجسمانية والعادات الإجتماعية ، وأن الخيط الذي يربط بينهما يتركز بصورة رئيسية في هيأة الرأس وشكل الجمجمة ، وقد أشار آلان مان أستاذ علم أصول الأجناس في جامعة بنسلفانيا يوم ٨ / ٢ / ١٩٩٢م للصحفيين خلال الإجتماع السنوي للجامعة الأمريكية لتقدم العلم «أن العلماء يرون أن هناك صلة بين إنسان الكهف الأوربي والإنسان الأوربي المعاصر وتخالف هذه الأدلة بعض النظريات السابقة القائلة بأن الأجناس المعاصرة متصلة بجنس بشري وجدت آثاره في أفريقيا كان يعيش قبل ٢٠٠ ألف سنة » ثم أشار آلان مان إلى « مينا الإنسان الأفريقي المعاصر تختلف عن مينا أسنان الأوربي المعاصر التي تتشابه بقدر كبير مع مينا أسنان النياندرتال » .

٢ – عصر هولوسين *Holocene* وهو عصر يلي الفترة المطيرية التي أعقبت المرحلة الرابعة من العصور الجليدية حيث ظهر خلاله الإنسان الحديث المدرك أو العاقل وقد أطلق عليه علماء الآثار عصر الباليوليث *Paliolithic Period* وبرأي الجيولوجيين تتطابق فتراته زمنياً مع فترات عصر البلايستوسين وهو أحدث قسم من عمر الأرض تتميز معالمه بالتغيرات المناخية والجوية التي شملت أغلب المناطق الشمالية من الكرة الأرضية حيث أدت إلى تجمد القارات والمحيطات وخاصة بأوربا .

لقد إستنتج العلماء من خلال الدراسات الجيولوجية حدوث ثلاث فترات دفيء في المناطق المذكورة أعلاه ، إلا أن آثاراً أكتشفت لفترة مطيرية رابعة في القارة الأمريكية لا نجدها في قارات العالم القديم . وبالرغم من أن بعض المهتمين بهذا الموضوع يشيرون إلى أن مظاهر التجمد في العصور الجليدية لم تصل غلى جنوب قارة آسيا أو إلى أفريقيا في الوقت الذي كان الجليد يغطي جميع المناطق الشمالية لقارات آسيا وأوربا وأمريكا ، لكن من المؤكد اليوم أن تلك المناطق الجنقبية كانت تخضع لظواهر الفترة المطيرية الشديدة [راجع تفاصيل هذا الموضوع في رسالتنا المعنونة باللغة البلغارية «دراسات حول تأريخ كوردستان قديماً»] . ويجدر الإشارة هنا إلى أن ما إقترحه البروفيسور زيونر في حينه حول تقسيم العصر الجليدي إلى أربعة فترات قد حصل على رضى أغلب المؤرخين وأعتبروا نظريته ذات قاعدة موثوقة بها [*Zeuner, Dating the Past, 1958*] فقدر هذه الفترات كما يلي :

هولندي هو الذكتور أيوجين ديبوا(٦١) عام ١٨٩١م وأطلق عليه في البداية (الإنسان القرد المنتصب القامة) يرجع تأريخ إلى ما قبل ٥٠ - ١٥٠ ألف سنة وينسبها بعض الباحثون إلى عصر البلايستوسين الأوسط ويقودنا هذا التحديد التأريخي ، علاوة على الخصائص الفيزيقية لتلك الحفريات وكذلك البقايا الثقافية المتقدمة المرتبطة ببعض الحفريات المكتشفة ، يقودنا كل هذا إلى نتيجة لا مفر منها ، وهي أن إنسان جاوه قد تطور من أحد أنواع الإنسان القردي الجنوبي وتنتمي أدوات عمله من فؤوس وأدوات قاطعة صنعها عن طريق الترقيق بالطرق على سطح الأداة إلى المرحلة الأبيفيلية ، كما تم إكتشاف عدد من العينات القريبة من هذا الشكل في الصين والتي أطلق عليها إسم (إنسانُ بكين) ، فأوحى كل ذلك بوجود نوع حيواني قديم شبيه بالإنسان كان يتميز بقدر من التنوع والإنتشار المكاني الواسع وتؤكد بعض الشواهد أن هذا الإنسان قد عرف إستخدام النار في أغراض التدفئة والطهو . ومنذ ذلك الحين عُثر على عينات مثيلة لها أو على مستوى أعلى منها في أفريقيا كتلك التي وجدها *Olduvia George* في تنزانيا أو ما أكتشفت منها في المجر أو بالقرب من هايدلبيرج بألمانيا .

أ - الفترة الجليدية الأولى ، حدثت قبل ٦٠٠ ألف سنة .

ب - الفترة الجليدية الثانية ، حدثت قبل ٢٥٠ ألف سنة .

ت - الفترة الجليدية الثالثة ، حدثت قبل ١٢٠ ألف سنة .

ث - الفترة الجليدية الرابعة ، حدثت قبل ٢٠ ألف سنة .

(٦١) ولد العالم الهولندي *Dubois (Eugene)* في مدينة آيسدن عام ١٨٥٨م وتوفي في هايلين عام ١٩٤٠م ودرس الطب في أمستردام وأكمل دراسة التشريح عام ١٨٨١م ثم إرتبط بالفن العسكري منذ عام ١٨٩٦م ، وفيما بين عامي ١٨٩٥م - ١٨٩٦م بدأ يعمل في حقل التشريح في كل من سومطره وجاوه ، وأثناء تحرياته إكتشف في ترينيل عام ١٨٩١م هيكلاً عظمياً لكائن يشترك فيه صفات الحيوان والإنسان فسماه (الإنسان القرد قائم البنية *Pithecanthropus erectus*) ثم أصبح أستاذ الجيولوجيا في جامعة أمستردام .

من الملاحظ أن هناك رابطة بين حجم المخ الكبير نسبياً عند إنســان جـاوه والأدوات المتقدمة التي كان يصنعها ، ثم أن هذه الأدوات ، بالإضافة إلى كبر حجم الجسم وإزديـاد قدرته على السير على قدمين ، مكنته مـن مطـاردة طرائـد أكـبر حجمـاً . والمعـروف أن الإنسان القردى الجنوبي لم يكن يأكل اللحم إلا إذا حُصل عليه ، وكـان يصطـاد الطرائـد الصغيرة فقط ، أما الطرائد الكبيرة التي كان يأكلها فيبدو أنها كـانت مـن الحيوانـات الـتي فكت بها الحيوانات المفترسة الضخمة . أما إنسان جاوه فكان قـادراً علـى مطـاردة وقتـل حيوانات كبيرة الحجـم وفي ظـل ظـروف مناسـبة لـه ، بحيـث يمكـن القـول بأنـه كـان في الأساس صياداً و لم يكن مجرد جـامع للمـواد الغذائيـة النباتيـة والطرائـد الصغـيرة . وهنـاك إحتمال كبير أن إنسان جاوه قد عرف لغـة . ويلاحـظ أن متطلبـات صيـد طرائـد كبـيرة وظهور علاقات إجتماعية أكـثر تعقيـداً قـد فـرض أعبـاء جديـدة علـى الجهـاز العصـبي ، وساعد على نموّه بشكل أسرع ، وهكذا أخذت تنمو بسرعة عملية التغذيـة الإسـترجاعية هذه بين ألوان التكيف الثقافي من ناحيـة والتطـور البـايولوجي مـن ناحيـة أخـرى ، وهـي العملية التي كانت تبدو واضحة من قَبْـل عنـد الإنســان القـردي الجنوبـي . وهكـذا يـرى البعض أن إنسان جاوه هو الصنف الذي تطور نحو الإنسان الحديث في عدة مناطق مختلفـة من العالم ، وأن نموذج أقدم إنســان عـاقل معـروف لنـا عبـارة عـن جمجمـة شـتانهايم (في ألمانيا) وبقايا جمجمة ســوانس كومـت (في إنجلـترا) . وبـالرغم مـن أن سـعة الجمجمـة في هاتين العينتين تقرب من سعة الجمجمة عند الإنسان الحديث ، إلا أننا نجـد أجـزاء أخـرى من الجمجمة أكبر حجماً وأثقل وزنـاً ، مثـل عظـام الحـاجبين وتطـور الفـك في جمجمـة شتانهايم . وترجع هاتان الجمجمتان إلى فترة دافئة في عصر بلايستوسين ، هي فترة مينـدل الواقعة بين دورين جليديين أجـبرا الإنســان بإسـتعمال النـار. وإذا كـان هنـاك شـكوك في إستعمال النار من قبل إنسان *australopithecin* ، فإنــه مـن المؤكـد قـد إسـتعمله هومـو كتـوس *homo erectus* في منطقـة *Chou Kou Tien* بـالصين الـذي كـان يقاربـه

في التكامل إنسان *Paranthropus* (وهو أحد فروع أوسترالوبيثيكين) . وقد شوهدت في ترانسفال الوسطى بأوربا مجموعات كبيرة من هياكل هذا الصنف من البشر الذي إستعمل أدوات الصيد ، بينما كانت الهياكل المستخرجة في كالكبان من صنف *homo sapiens* (من العصر الباليوليثي) عاش قبل ٥٠ ألف سنة بمعيار كاربون ١٤ (*C 14*)(٦٢) . وبعد

---

(٦٢) من الطرق العلمية التي طبقت من أجل تحديد أزمان المواد الأثرية الظاهرة التي تعرف بمصطلح *Isotopes* أو العناصر المشعة *Radio - Active* أي وجود عدة أشكال للعنصر الواحد ذات أوزان ذرية مختلفة ، والعادة في هذه النظائر أنها غير ثابتة ، لأن ذراتها مشعة فتتحول إلى عناصر أخرى . فمن العناصر التي أستخدمت في تحديد أزمان العصور شكل من أشكال «الكاربون» يختلف عن الكاربون الإعتيادي ١٢ ، ولذلك عرف بإسم «كاربون ١٤» ، وكان أول من طبّق إستخدام «الكاربون ١٤» في تحديد أزمان الآثار هو العالم الطبيعي *Libby* من جامعة شيكاغو منذ عام ١٩٤٨م ، وتبعه باحثون آخرون . فالواقع أن الأشعة الكونية *Cosmic Rays* الآتية من خارج الجو الأرضي تولد بتفاعلها مع نايتروجين (آزوت) الأرض نوعاً من الكاربون المشع (*C 14*.) نظير الكاربون الإعتيادي . وإن هذين النوعين من الكاربون موجودان في ثاني أوكسيد الكاربون في الأجواء الأرضية بنسبة ثابتة تقدر بنحو واحد من البليون من «كاربون ١٤» لكل غرام واحد من «كاربون ١٢» الإعتيادي . وتمتص ثاني أوكسيد الكاربون المحتوى على هذين النوعين من الكاربون الأجسام الحية (الأجسام العضوية) وخاصة النباتات ، ولكنه يدخل أيضاً في بناء أجسام الحيوانات عن طريق غذائها بالنباتات . وتبقى نسبة الميتين لهذين الشكلين من الكاربون ثابتة في الأجسام الحية ما دامت على قيد الحياة ، ولكن متى ما مات العضو الحي توقفت عملية إمتصاص الكاربون . وبما أن الكاربون ١٤ عنصر مشع فيبدأ بالإشعاع من جسم العضو الميت وتتناقص نسبة وجوده بمرور الأزمان إلى أن يتلاشى حيث يتحول إلى عنصر النايتروجين ، في حين أن الكاربون الإعتيادي ذا الوزن الذري ١٢ يظل ثابتاً . وقد وجد أن تناقص وزن النوع الأول من الكاربون ١٤ يسير على نسب منتظمة ، فإنه يفقد نصف وزنه في مدى كل ٥٦٠٠ عام أو ٥٧٥٠ عام ، أي ما يسمى بدورة «نصف العمر» في ظاهرة العناصر المشعة ، وبعد مضي هذه الدورة يفقد نصف الوزن المتبقي

فترة إنتشار الجليد مرة أخرى ، ظهر إنســان النياندرتـال في القـارة الأوربيـة مـزوداً بجهـاز مضغي قوي أصغر حجماً بقليل عن نظيره عند إنسان جاوه ، كما أن عظام حاجبيه أكـثر غلظة ، وكذلك منطقة مؤخر العنق (وهي الجزء الخلفي من الجمجمـة في منطقـة العنـق) . ورغم ذلك فإن المخ في جمجمة نياندرتال كان أكبر حجماً في المتوسـط مـن مـخ الإنسـان الحديث . وقبل ٥٠ ألف سنة مضت ، ظهـرت فجـأة بعـض الأشـكال الحديثـة للإنسـان الحديث سمي صنفها الأوربي بـ(إنسان كرومانيون) ، وإعتقد البعض ومنهم لورنـج بريـس أن إنسان نياندرتال في أوربا يمثل نوعاً وسيطاً حيث تطور فيما بعد نحو الإنسان الحديث .

الإنسان العاقل الحديث ... ←← ... إنسان نياندرتال الكلاسيكي

↑..... إنسان نياندرتال ← إنسان أروديسيا

إنسان شتاينهايم (الإنسان العاقل ما قبل العصر الموستيري)

↑

الإنسان الماهر ↖

إنسان جاوه (الإنسان القردي الأفريقي) ↑ إنسان جاوه (الإنسان القردي الجنوبي)

الشعبة الرئيسية في الإنسان القردي الجنوبي

↑

راماپثكوس (نوع من قرد الشجر)

رسم بياني يؤشر على الآراء المختلفة عن العلاقة العرقية بين البشر

إلى أن يتحول إلى عنصر النايتروجين . ويمكن قياس ما يتبقى منه في المادة العضوية الميتة بواسطة جهاز كهربائي حساس يسمى بـ *Geiger* .

ومهما يكن الأمر ، فإن الكاربون ١٤ هو من الوسائل الثابتة في تحديد أزمان المواد الأثرية لحد يومنا هذا ولا يمكن الإستغناء عنه .

الفصل الثاني

مراحل تطور الإنسان في كوردستان

جرت خلال القرن العُشرين تحريات جيولوجية وأثرية في كوردستان أوصلتنا إلى معرفة بعض الحقائق عن بداية الحياة فيها ، فقد أثبتت هذه التحريات على أن الجبال في هذه البلاد تكونت تدريجياً بعد أن ظهرت حركة الجبال الإلتوائية بسبب إصطدام الألواح القارية مع بعضها التي أصطلح عليها إسم الجبال الألبية وقد جرت هذه الحركة في الزمن الثالث من حقبة الحياة الحديثة (تريتسير) ثم رافقت هذه الحركة حدوث أماكن للنشاط الزلزالي والبركاني في عدد من البلدان(١) .

إستُكْمِلَ بناء جبال زاگروس في عصر عُرف بالبليوسين بعد أن كانت السلاسل الشمالية مع جبال طوروس قد تكاملت في عصر الميوسين ، لكن المناطق المتموجة والسهلية الجنوبية ظهرت في عصر *Pleistocene* البلايستوسين(٢) ، وقد درس بعض العلماء (وخاصة البروفيسور رايت *H. E. Wright*) موضوع التعرية الجليدية في جبال كوردستان حيث وديان بعضها مليئة بالركامات الجليدية مع إرسابات ثلاجات عصر البلايستوسين(٣) . فأشار رايت إلى أن جبال كوردستان تُشكل جزءاً من القوس الجبلي

---

(١) حول تفاصيل هذا الموضوع راجع دراسات كل من زيونر وجورج رو :

F. E Zeuner, Dating the past, 4th ed. London 1958, P. 145 ff.
G. Roux, Ancient Iraq, Plican Book, 1966, P. 47 ff.

(٢) راجع المصدرين السابقين .

(٣) راجع :

H. E. Wright, Geological Setting of four prehistoric sites in northern Iraq, American schools of oriental research. Bulletin No. 128 : 11 - 24 .

المتمثل بجبال طوروس – زاگروس الممتدة عبر جنوب تركيا ، شمال العراق وجنوب غرب إيران ، وهذا القوس الجبلي يفصل هضبتي إيران والأنضول عن منخفض بلاد وادي النهرين . ويصل إرتفاع قمم هذه الجبال ، ضمن هذا القوس في الجزء الممتد من منطقة جيلو داغ بجنوب تركيا وحتى منطقة هلگورد البالغ إتساعها ٢٥٠ كم إلى إرتفاع يتراوح ما بين ٣٠٠٠ م – ٤٠٠٠ م ، إلا أن إرتفاع القمم يبدأ بالإنخفاض كلما إتجهنا نحو الجنوب الشرقي ويصل إلى إرتفاع يتراوح بين ٢٢٠٠م – ٢٨٠٠م ، لكنه يرتفع محلياً في زَرْده كوه في جنوب إيران إلى ٤٠٠٠م ، وأن الجزء الذي يمتاز بكونه أكثر إرتفاعاً من هذه السلاسل عموماً يتكون من نطاق من الصخور المتحولة *Metamorphic Rocks* ، أما السلاسل الخارجية منها فتكون سلاسل إلتوائية طويلة من مكونات الصخور الكلسية الميسوزوكية *Mesozoic Limestone* تنتهي بسلاسل من التلال الملتوية من الرسوبيات البليوسينية *Pliocene* الأحدث .

في كوردستان ؛ دُرست آثار الثلاجات البلايستوسينية بشكل أساسي في ثلاثة مناطق ، في هلگورد ومنطقة وادي رواندز في الجنوب (العراق) ، ومنطقة جيلو داغ في الشمال (تركيا) ، والدليل الدقيق لمناخ هذا العصر هو تكوين الثلاجات ، وقد أشار الجيولوجي دي مورگان *De Morgan* عام ١٩٠٩م إلى ظواهر ومخلفات الثلاجات في جبال زاگروس في كوردستان الشرقية ولورستان (غرب إيران) ، كما أن هانس بوبك *Hans Bobek* هو الآخر أشار عام ١٩٤٠م إلى وجود آثار ثلاجات بلايستوسينية واسعة في منطقة جيلو داغ . وعلى العموم ، فإن النظرية المناخية سوف لن تشترط الأجوبة للمشاكل الخاصة بمناخ عصر بلايستوسين في كوردستان ، فهذه الأجوبة تأتي فقط من الشواهد التي يمكن الحصول عليها عبر الدراسات الميدانية في حقول الجيولوجيا والباليونتولوجيا والتأريخ المحدد للمواد المتحجرة التي بدأتها كل من الباحثة دوروثي گارود ورالف سوليكي في كوردستان الجنوبية . وعلى كل حال ، فقد إتفق المؤرخون على إطلاق مصطلح (التأريخ القديم)

على تلك الأدوار التأريخية التي تبدأ منذ أن إخترع الإنسان الكتابة وحتى سقوط روما بيد البرابرة عام ٤٧٦م ، أما الأدوار التي تسبق هذه المرحلة فهي تُعرف بـ(عصر ما قبل التأريخ) ، أزمان طويلة في القدم تبدأ منذ أن وجد الإنسان على الكرة الأرضية قبل ملايين من السنين . وعلى هذا الأساس ، فإن نهاية عصور ما قبل التأريخ وبداية العصور التأريخية تختلف بإختلاف مرحلة التدوين في كل قطر من أقطار العالم . وكما تبين في الفصل السابق ، فإن الكرة الأرضية شهدت تطور بعض مراتب الحيوانات العليا وظهور الإنسان العاقل الناطق والصانع للآلة . فاللغة وصنع الآلة (أي إبتداء الحضارة) هما السمتان اللتان ميزتا الإنسان عن سائر المملكة الحيوانية ، وما كاد ينتهي أقدم عصر من عصور ما قبل التأريخ وهو عصر الباليوليث (العصر الحجري القديم) المقابل لعصر البلايسوسين حتى حدث تطور بايولوجي خطير على الكرة الأرضية ، وهو إنتقال صنف البشرية القديمة *Palaeo Anthropic* قبل نحو ٥٠ ألف عام إلى نوع الإنسان الحديث *Neo Anthropic* أي ما يسمى بالإنسان العاقل *Homo Sapiens* وهو جد الإنسان الحديث ، ويمكننا توضيح هذه المراحل في كوردستان بناء على نتائج الحفريات التي حصلت عليها البعثات الأجنبية والمحلية ، والدلالة البارزة لكون تلال وقدمات جبال كوردستان هي إحدى الأماكن الأساسية لبدء الحياة القروية وقيام الزراعة تثير الإنتباه إلى البيئات الفيزيكية والمناخية السابقة التي أثرت في هذا الإنتقال الحضاري الهام . وإن تحول المناخ الذي أعقب الفترة الجليدية إلى ما يشبه المناخ الحالي يمكن الإستدلال عليه من الفترة التي بدأت فيها ممارسة الزراعة في كوردستان قبل ١١٠٠٠ – ٩٠٠٠ سنة .

وعلى العموم ، فإن عصور ما قبل التأريخ (أو العصور الحجرية) تتفرع ، إنطلاقا من مفهومها التكنولوجي بإستعمال الحجر كوسيلة لتمشية أمور العيش إلى طورين متميزين عُرف الأول بـ(العصر الحجري القديم *Paleolithic*) والثاني بـ(العصر الحجري الحديث *Neolithic*) . وأهم ما يميز هذين العصرين هو أنه بالإضافة إلى طراز الأدوات الحجرية

المتميزة لكل منهما كان الإنسان في العصر الحجري القديم يعتمد في عيشه على جمع القوت و لم ينتجه بالزراعة أو بتدجين الحيوان وكان إصطياد الحيوان وجمع مصادر القوت الأخرى أساس حياته الإقتصادية . أما في العصر الحجري الحديث فقد تبدلت حياة الإنسان تبدلاً جوهرياً حيث إهتدى إلى إنتاج قوته بيده وضمان عيشه بالزراعة وتدجين الحيوان .

لقد لاحظ علماء الآثار في بعض البلدان أن العصر الحجري الحديث لم يعقب العصر الحجري القديم مباشرة بل توجد بينهما فترة تختلف في قصرها وطولها من قطر إلى آخر سميت بـ(العصر الحجري الوسيط *Mesolithic*) ، كما توجد فترة حضارية مهمة تفصل ما بين نهاية العصر الحجري الحديث وبين بداية العصر التأريخي يطلق عليها (العصر الحجري – المعدني *Chalcolithic*) الذي تميز بإختراعات ومنجزات حضارية ومثّلت فجر الحضارة الإنسانية . ومما يجدر ذكره هنا هو أن عصراً حجرياً كذلك سبق العصر الحجري القديم سمي بـ(العصر الحجري السحيق *Eolithic*) والأدوات الحجرية الساذجة تقرن بأعمال إنسان هذا العصر ، كما نسبت إلى هذا الدور طائفة من الأدوات الحجرية تسمى بالأدوات الحصوية وبعد فترة زمنية لا يمكن تحديد طولها تبدأ أولى أطوار العصر الحجري القديم .

وقع العصر الحجري القديم في دهر البلايستوسين الذي أتصف ببرودته الشديدة بتأثير الفترات الجليدية الأربعة التي شهدتها الأجزاء الشمالية من الكرة الأرضية ، ويخمن تأريخ أول فترة من هذه الفترات في حدود ماقبل ٦٠٠ ألف سنة وإنتهى آخر فترة في حدود ١٥ ألف أو ١٠ آلاف سنة مضت ، وسميت هذه الفترات بأسماء مناطق الثلاجات الألبية في أوربا وهي :

١) *Günz* ما قبل ٦٠٠ ألف – ٥٤٠ ألف عام

وفترة غونز _ مندل قبل ٥٤٠ ألف – ٤٨٠ ألف عام .

٢) *Mindel* ما قبل ٤٨٠ ألف – ٤٣٠ ألف عام

وفترة مندل – رس قبل ٤٣٠ ألف عام – ٢٤٠ ألف عام

٣) *Riss* (قبل ٢٤٠ ألف عام – ١٨٠ ألف عام

ورس – ورم قبل ١٨٠ ألف عام – ١٢٠ ألف عام

٤) *Würm* قبل ١٢٠ ألف عام – ١٥ ألف أو ١٠ آلاف عام .

وكان يستتبع هذه الفترات تغييرات في الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية . وفي الأجزاء الجنوبية من الكرة الأرضية التي لم يصل إليها زحف الثلاجات الجليدية بإستثناء كوردستان التي شهدت ظواهر آخر عصر جليدي ، كان يحدث أبان كل عصر جليدي عصر ذو الأمطار الغزيرة وهناك إحتمالات في وجود آثار ترسبات جليدية بكوردستان الجنوبية (في منطقة جبل پيره مەگرون وعلى قاعدة الجبل الجنوبية المعروفة بـ« قره چەتان ») .

أ) العصر الحجري القديم :

ينتظم العصر الحجري القديم بشكل عام في ثلاثة أدوار أو مراحل هي إبتداءاً من الأقدم :

١) العصر الحجري القديم الأدنى *Lower Palaelithic* ويتضمن الأطوار التالية :

أ – الدور الآبيفلي *Abbevellian period*

ب – الكلاكتوني *Clactonian*

ت – الآشولي *Acheulean*

ث – اللفالوازي *Levallosian*

لم يُعثر في كوردستان على آثار واضحة لهذا العصر بإستثناء ملتقطلت سطحية هنا وهناك مشكوك في نسبتها إلى دور واضح من أدوار هذا العصر ومن قبيل ذلك الأدوات

الحجرية التي جمعتها مديرية الآثار العراقية (عام ١٩٤٨م) في الموضع المسمى (بـرده بَلْكـه) الواقع على بعد نحو ميلين شمال شرقي جمجمـال في الطريـق المؤدى إلى السـليمانية حيـث تتكون هضبة الموضع من طبقة الترسبات الكلسية مـن عصـر البلايستوسـين المترسـبة فـوق صخور عصر الميوسـين . وأعقـب جمـع تلـك الملتقطـات السـطحية تحريـات أثريـة قصـيرة أجراها في هذا الموضع الباحثان رايت وهاو(١) حيـث تـأكد بنتيجـة السـبر الأثـري الـذي أجرياه في الموضع أن أصل تلك الأدوات الحجرية الملتقطة يعود إلى مستوطن مكشوف (في العراء) يرجع تأريخه إلى العصر الحجري القديم ، هو الآن مطمور تحت طبقـة مـن الطمـي والحصي يبلغ ثخنها نحو خمسة أقدام ، الأمر الذي يدل على علاقته مع عصر ممطـر ، لعلـه كان آخر العصور الممطرة المقابل لآخر عصـر جليـدي في أوربـا ، وإن الأدوات الحجريـة المكتشفة في الموضع مصنوعة بطريقة التشظية ، أي أنها أدوات من الشظايا ، وتحتوي على أدوات ذات حدين وبضع فؤوس حجرية يدوية على هيئة القلـب وبعضهـا لوزيـة الشـكل صنع بعضها من شظايا كبيرة فيها شئ قليل مـن فـؤوس رقيقـة حسـنة الصنـع وكثـير مـن الفؤوس الغليضة الساذجة الصنع ، كما وجـدت عـدة أدوات مـن نـوع الحصويـة كـانت تستعمل للقشط وكانت أدوات الصوان الدقيقة علـى أنـواع مختلفـة مـن مقاشـط سـاذجة مصنوعة من قطع صوانية لا شكل لها البته وكذلك من شظايا وكسر لا توجد على حافـة أو أكثر من حافتها علامة تدل على الإستعمال أو الصقل ، أما اللـب فعلـى أنـواع فمنهـا القرصية الشكل والمتعددة الوجوه وكثير من هذه الأنواع هـو متوسـط أو صغـير الحجـم .

---

(١) أنظر : *H. E. Wright and B. Howe, "Preliminary Report On The Sounding at Barda Balka" in SUMER, (1951), P. 107 ff.; H. E. Wright in the Bulletin of the American Schools of Oriental Research (ASOR), No. 128, (1952), p. 11 ff.*

والرأي السائد عن هذه الأدوات أنها تشبه الأدوات الآشولية والكلاكتونية والمستيرية المحلية ، وقد خُصص لزمن هذه الأدوات بداية العصر الجليدي الأخير في حدود ١٢٠ ألف عام قبل الآن . وإضافة إلى الفؤوس اليدوية التي كانت تشبه شكل القلب أو اللوزة والمكاشط المصنوعة من قشرة حجر الصوان شوهدت أدوات مصنوعة من حجر الكلس جرى تكويرها ثم أزيلت منها طبقتان قشريتان أو أكثر لإستعمالها للكشط . وكما يذكر كل من روبرت برايدوود وبروس هاو أن نتائج حفريات عام ١٩٥١م أظهرت في هذا الموقع مخلفات وأدوات لجامعي القوت والصيد عاشوا في المرحلة الوسطى من عصر الباليوليث أي أواخر عصر البلايستوسين وشوهدت مثيلاتها في كل من چم بازار وفي الطبقات السفلى لجرمو في نفس المنطقة ، وهناك دلائل جيولوجية وأركيولوجية بالنسبة لعظام الحيوانات والفؤوس اليدوية وآلات الصيد في هذه المواقع تشير إلى علاقتها مع العصر الجليدي الثالث والرابع *Würm* - *Riss* فيما بين ١٠٠ ألف – ٥٠ ألف سنة مضت .

وعلى العموم ، فإن أغلب الصناعات البدائية في كوردستان كانت متشابهة ، فمثلاً أن أدوات العصر الموستيري التي أكتشفت في الطبقة *D* من كهف شانيدر هي من نمط الأدوات التي شوهدت في الطبقة *C* من كهف هزارميرد وكذلك تلك التي أكتشفت في برده بلكه وأدوات كلي سور قرب بيستون في كوردستان الشرقية . ومن جهة أخرى ، فقد شوهدت في هذه المواقع بقايا من عظام الحيوانات تتألف بالدرجة الأولى من أسنان وكسر العظام لحيوانات وحشية كالثور والحمار بالإضافة إلى الفيل من النوع الذي عاش في الهند ، وعلى هذا الأساس فإن هذه الآثار هي مخلفات الصيادين الأوائل الذين حاولوا تدريجياً السيطرة على البيئة الطبيعية . وبجانب التقارب الشديد الذي يظهر بين أدوات ونتائج التحريات التي أجريت في جملة كهوف كوردستان الشمالية (بجبال نمرود داغ غربي بحيرة وان وجبال هيكاري وقارص التي تشبه مثيلاتها في الطبقة *C* من كهف

شانيدر بكوردستان الجنوبية) وكذلك تلك التي شوهدت في كهوف الجبال البختيارية بكوردستان الشرقية مثل (تنگ پبدا) عام ١٩٤٩م ، فإن من بين الأدوات المكتشفة في بلاد الكورد عموماً شوهدت مثيلاتها في كل من الهند وأواسط آسيا . وقد أعطت نتائج التحريات التي جرت في كوردستان الشرقية دليلاً لتتابع المناخ في العصر المذكور على أساس دراسة حبوب اللقاح في الإرسابات البحيرية(٢) .

أكتشفت مثل هذه المواد الأثرية التي تشمل من الناحية التقنية والتشريحية معالم العصر الحجري القديم المبكر والمتوسط كذلك في سيدي زين بتونس وفي روديسيا وسانغوان بالوسط الشرقي من قارة أفريقيا وحتى في البنجاب بالهند . أما ما شوهدت من مخلفات ومواد في كهوف كوردستان مثل پله گەوره في جبل برناند بشمال شرقي بازيان و براك الواقع قرب آكري وحاجيان بمنطقة بيخمه وكَيْوانيان بشمال غربي شقلاوه وبابخال بجبل برادوست وسبيلك بشمال غربي شقلاوه ، فإنها من صنف ما أكتشفته دوروثي گارود في كل من كهفي زرزي وهزارميرد . فگارود وجدت عام ١٩٢٧م في زرزي آلات دقيقة من العصر الحجري القديم يرتقي زمنها إلى إثنيّ عشر ألف سنة ، كما عثر فيه هاو على مواد من أواخر العصرين الحجريين القديم والوسيط ، ومن خلال النتائج التي وصلا إليها كل من رايت وهاو تبين أن كهف زرزي يعاصر زمنياً موقع بالي گەوره والطبقة *B* من كهف شانيدر . أما في هزار ميرد فقد إكتشف بريدوود عام ١٩٢٨م أدوات تعود إلى الدور المُستيري من العصر الحجري القديم وتؤرخ بـ ٥٠ ألف سنة وفترة السكنى في هذا الكهف كان يعاصر فترة السكنى في كهف شانيدر .

---

(٢) *Judith Pullar, Early Cultivation In The Zagros, Iran (Journal Of The British Inst. Of Persian Studies) Vol. XV, 1977, PP. 15 - 37 .*

٢) العصر الحجري القديم الأوسط ***Middle Palaeolithic*** أو المستيري:

تقع الفترة الزمنية لهذا العصر في أواخر الفترة الجليدية الثالثة وفي العصر الجليدي الرابع ، وكان أقدم إكتشاف للأدوات الحجرية الممثلة لهذا العصر في كوردستان ما أظهرته عام ١٩٢٨م الباحثة الأمريكية دوروثي گارود *D. Garrod* في كهفي (زَرْزي وهزارميرد) الواقع على بعد ١٣ ميلاً جنوبي السليمانية حيث وجدت الأدوات الحجرية من هذا العصر في أسفل طبقات هذين الكهفين(٣) . كما وُجدت آثار هذا العصر أيضاً في كهوف أخرى بكوردستان مثل بابخال وبيستون ولعل أشهرها كان كهف شانيدر الذي دُرست أدواتها المستيرية وبقايا هياكل إنسان النياندرتال التي أكتشفت في طبقتها الرابعة *D* بشكل جيد منذ عام ١٩٥١م من قبل رجال البعثة الأمريكية للدراسات الأثرية برئاسة رالف سوليكي أستاذ قسم الدراسات الأنثروبوليجية بجامعة كولومبيا بنيويورك .

يقع كهف شانەدەر في الجناح الجنوبي من جبال برادوست بكوردستان الجنوبية وهويطل على وادي الزاب الأعلى بالقرب من مركز ناحية شانەدەر ، وقد شرع رالف سوليكي *Ralph Splecki* بالنيابة عن جامعة مشيغان الأمريكية وبرخصة من مديرية الآثار العراقية أن ينقب في هذا الكهف فيما بين أعوام ١٩٥١م – ١٩٦٠م وبلغت التنقيبات في الموسم الأخير عمقاً من الكهف يبلغ ٤٥ قدماً (١٤ متراً) وهي تتألف من بقايا أربعة أدوار أو طبقات أثرية رئيسية حددها سوليكي بالأحرف *A, B, C, D* التي لها علاقة بالتوالي مع العصر الحجري الحديث والعصر الحجري الوسيط والعصر الحجري القديم

---

(٣) أنظر :

D. Garrod, "The Palaeolithic Of Southern Kurdistan, Excavations In The Caves Of Zarai and Hazar Merd" In The Bulletin Of The Amarican School Of Pre-historric Research (1930) .



جمجمة رجل من صنف نياندرتال

وهي مطمورة في الطبقة D من كهف شانيدار



جمجمة رجل النياندرتال بعد تنظيفه وتركيبه

الأعلى والعصر الحجري القديم الأوسط (المستيري)(٤) . ففي الطبقة الأخيرة إستوطن نوع إنسان النياندرتال حيث أمكن تحديد زمن هذا العصر من الكهف بطريقة فحص (الكاربون ١٤) ما بين ٦٠ ألف و ٤٥ ألف سنة مضت ، وهذا يلائم التأريخ المقدر للدور (اللفالوازي) في الأجزاء الأخرى من غربي قارة آسيا . أما الأدوات التي وجدت في الكهف من الدور المستيري فأشهرها مزارف أو مثاقب حجرية شبه مثلثة ، جيدة التشظية ، والمقاشط . وفي الطبقة D أكتشفت بقايا عظام حيوانات متنوعة غير مدجنة كالثيران والغنم والمعز وأصداف السلاحف(٥) .

---

(٤) يحدد رالف سوليكي موقع هذا الكهف كما يلي في التقرير الذي أرسل نسخة منه إلى الأخ عبد المجيد الزيباري الذي رافقه مع رحال بعثته إلى شانيدر في أواسط التسعينات من القرن العشرين وكان منشوراً في الأصل في الجزء ١٣٩ ، العدد ١٥٥١ ، الصفحات ١٧٩ – ١٩٣ من مجلة (العلم) عام ١٩٦٣م : *Science, January 18, 1963, Vol. 39, No. 1551, PP. 179 - 193 :*

«Shanidar cave is situated at longitude 44° 13'E, latitude 36° 50'N, « about 400 kilometers due north of Baghdad, within the outer folds of the Zagros Mountains. The cave, of limestone-solution origin, is about 2,5 kilometers from the Greater ZAb River, a major tributary of the Tigris River. The precipitous mountains there reach an elevation greater than 1900 meters. The region is relatively well wooded. There is still some wild game to be seen in the area.

The cave lies at a measured elevation of 765 meters, facing south. The mouth is about 25 meters wide and 8 meters high, and the cave extends about 40 meters to the rear, with a maximum width of about 53 meters. Its earthen floor is about 1200 square meters in area. ».

(٥) نشرت نتائج مواسم التنقيبات في تقارير بالدرجة الأولى في مجلة (سومر) وضمن المجلدات الثامن (١٩٥٢م) والتاسع (١٩٥٣م) والحادي عشر (١٩٥٥م) والثالث عشر (١٩٥٧م) والرابع عشر (١٩٥٨م) والسابع عشر (١٩٦١م) . يقول سوليكي حول هذه الموضوعات ما يلي :

تُوِجت المكتشفات الأثرية في كهف شانەدەر بالعثور علـى أربعـة هيـاكل عظميـة في الطبقة الرابعة D التي تمثل الدور المستيري ، من نـوع إنسـان النياندرتـال الـذي يُعـد آخـر الأنواع البشرية العتيقة البائدة . فيعود أحد هذه الهياكل إلى طفل قُدّر عمره بستة شهور ، وقد عُثر عليـه في موسـم عـام ١٩٥٣م وتعـود الهيـاكل الثلاثـة الأخـرى إلى أفـراد بـالغين (وجدت في موسـم ١٩٥٦م – ١٩٥٧م) . وجدير بالإشـارة هنـا إلى أن ذراع فـرد مـن هؤلاء الأفراد كانت مشلولة وعاطلة منـذ الـولادة ثـم قطعـت بعدئـذ بسـكين مـن حجـر الصوان . والمرجح أن هؤلاء قد ماتوا من جراء حادثة وقعت في الكهف حيـث تسـاقطت صخور سقفه عليهم بسبب من الأسباب ، وقد قدرت أزمان ثلاثة هيـاكل في حـدود ٤٥ ألف عام قبل الآن ، في حين أن الهيكل الرابع رجح أن يعود في زمنه إلى حدود ماقبل ٦٠ ألف عام بدلالة عمق الطبقة التي وجد فيها في الكهف .

«The archeological investigation of two sites in Shanidar valley have been made more significant through the use of interdisciplinary studies. The combined information provides concrete data regarding man and his environment in this region from the Middle Paleolithic age (perhaps 100,000 years ago) to the present.

The significance of the Shanidar Valley investigations is that here, in this one locality, there is an almost continuous sequence of human history dating from the time of the Neanderthals. The information derived from these investigations contributes to biological, paleontological, climatological, and geological studies, as wel as archeological and anthropological onces-the major concerns of the project. The Shanidar data do much to elucidate man's history in a most interesting period of his existence-the time of the Neanderthals and the replacement of this long-dominant people by Homo sapiens ...»

أن الهياكل العظمية لكهف شانەدەر على قدر عظيم من الأهمية بالنسبة لظهور الإنسان في بلاد الكورد قبل أكثر من ٦٠ ألف سنة(٦) ، ومع أنه ليس أقدم نوع من الأنواع البشرية التي عاشت في العصر الحجري القديم بيد أن بقاياها تشير إلى الإمكانيات المحتملة في العثور مستقبلاً على أنواع أقدم . لقد شوهدت آثار هذا الإنسان تحت ٨,٥ مترٍ من أرضية الكهف ويقول سوليكي أن ثلاثة من سكان الكهف النياندرتاليين قتلوا وحطمت جماجمهم بالصخور قبل ٦٠ ألف سنة ، لكن ٧,٥ متراً تحت هذه الأرضية كانت خالية من أي أثر لحياة الإنسان حيث تزامنت هذه الطبقة مع فترة البرودة القاسية لعصر جليدي . ويرى أحد مرافقي سوليكي المدعو ستيوارت أن هناك علاقة بين هذا الصنف من النياندرتال وأولئك الذين شوهدت هياكلهم في كهف تابون بجبل الكرمل بفلسطين ، إلا أن أدوات العمل وسمات الثقافة بين المجموعتين فتختلف على ما يظهر حيث تمثل بقايا شانيدر سمات العصر الموستيري بشكل أوضح إنتشرت بصورة عامة فيما بين غرب أوربا وشمال أفريقيا حتى أوزبكستان بأواسط آسيا(٧) .

وتحت ٥,٤ مترٍ شوهدت في شانيدر آثار فترة دافئة سادت كوردستان قبل ٥٠ ألف سنة ، أما تحت ٤,٣ مترٍ إستمرت هذه الظاهرة حتى ٤٤ ألف سنة مضت .

في الواقع ، لا يُعرف ماذا جرى لنياندرتالي شانيدر ، وآثار الطبقة العليا للعصر الباليوليثي في هذا الكهف تشير إلى أن الإنسان من صنف *Homo sapien* قد إستوطن في

---

(٦) في مجلة *World Archaeology, Volume 10, No. 3* كتب رالف سوليكي في ٣٠ مايس ١٩٧٨م مقالاً بعنوان *Contemporary Kurdish winter-time inhabitants of Shanidar cave, Iraq* تحدث فيه عن مستقبل التحريات في هذا الكهف *Shanidar cave featurs* (راجع ص ٣٢٦) .

(٧) راجع المصدر السابق .



كهف شانيدار (شانِدَر)



صورة تمثل أعمال إنسان النياندرتال في الطبقة *D* من كهف شانيدار

(الفترة الموستيرية من العصر الباليوليثي)

هذا المكان ، لكن فترة البرودة القاسية عادت مرة أخرى قبل ٢٦ ألف سنة إلى كوردستان فترك هذا الإنسان الكهف متجهاً نحو المناطق الحارة ثم عاد إليه قبل ١٥ ألف سنة .

٣) العصر الحجري القديم الأعلى *Upper Palaelithic* :

يمثل هذا االعصر الطور الأخير من العصر الحجري القديم ويتزامن مع آخر العصور الجليدية وأن أبرز ما يميز هذا العصر ، بالإضافة إلى نوع أدواته الحجرية المتميزة بصناعتها وأشكالها ، ظهور نوع الإنسان العاقل أو الإنسان الحديث *Homo sapiens* وقد أطلق سوليكي على هذا العصر في كوردستات كنية (العصر البرادوستي) نسبة إلى جبال برادوست التي يقع فيها كهف شانيدر .

وجدت الأدوات الممثلة لهذا العصر في عدة أماكن بكوردستان ومن بينها جملة من كهوف إستوطنها إنسان هذا العصر ، وكان أقدم إكتشاف لأدواته الحجرية ما وجدته الباحثة الأثرية دوروثي گارود في كهفي زرزي وبالي گەورە بمنطقة جمجمال الذي تحرى فيه الأستاذ هاو *Bruce Howe* كما عُثر عليها في جملة كهوف أخرى تحراها الأستاذ روبرت بريدوود *Robert J. Braidwood* وجماعته في الأعوام ١٩٥٤م – ١٩٥٥م مثل كهف كَيْوانيان وبراك في منطقة رواندز ، كما عُثر على هذا النوع من الأدوات في الطبقة *C* من كهف شانيدر وأمكن تقدير زمن هذه الطبقة مع العصر الحجري القديم الأعلى أو الدور البرادوستي (فيما بين ٣٤ ألف – ٣٥ ألف سنة قبل الآن) .

تتكون أدوات هذا العصر من أدوات النصال *Blades* وهي الصناعة المميزة لهذا العصر في معظم الأماكن التي وجد فيها على أن هناك أدوات خاصة بكوردستان تسمى الأزاميل *Gravers* وهذا من جملة الأسباب التي حملت الأستاذ سوليكي على إطلاق تسمية (البرادوستي) على هذا العصر في كوردستان . وظهر هذا النوع من الأدوات في الأجزاء العليا من الطبقة *C* في كهف شانيدر وفي معظم الطبقة *D* وهي من طراز الأدوات

الدقيقة الصغيرة المشهورة بـ *Microlith* كما وجدت أنواع من المقاشط *Scrapers* الصغيرة المستديرة والنصال الدقيقة في الكهوف الأخرى مثل زرزي . وتشير بعض الأدوات المصنوعة من الحجر البركاني المسمى *Obsidian* إلى إتصالات تجارية مع المناطق المشهورة بكونها مصدر هذا الحجر ولاسيما منطقة بحيرة وان .

ب) العصر الحجري الوسيط :

يأتي هذا العصر من بعد نهاية العصر الحجري القديم ، وهو في الأغلب طور إنتقال حضاري من العصر الحجري القديم نحو العصر الحجري الحديث ، وتتميز من ناحية أدواته الحجرية بدقة أحجامها لذلك أطلق عليه مصطلح عصر الأدوات الحجرية الدقيقة *Microlithic* التي إشتهرت في كوردستان الجنوبية بالنمط الزرزي نسبة إلى كهف زرزي ، وقد وجدت أدواته الممثلة في عدة أماكن بعضها كهوف وملاجئ جبلية وبعضها قرى ومستوطنات في الأرض المكشوفة مثل بالي گەوره وكريم شار والطبقة *B* من كهف شانيدر وملفعات وگرد چاي وزاوي چەمي شانەدەر حيث أظهر (الكاربون ١٤) رقم ١٠,٠٠٠ ق.م. كحد أدنى لزمن هذه الأدوات . ففي بالي گەوره شوهدت بقايا أشجار الحور والعرعر أستعملت في مواقد النار ، وأن ما يُلاحظ في أدوات هذه الفترة هو أن طريقة التشظية والصقل والتنظيم هي على شكل قطع ذات ثلاثة رؤوس وكانت الأعمال الهندسية منحوتة الجانبين شديدة الشبه مع ما وجدت في المواقع حوالي بحر قزوين في الشرق وفلسطين (كرمل) في الغرب وكذلك في يبرود بسوريا وأبي حلكة في لبنان .

ومع أن الإنسان الكوردستاني قد إعتمدَ على صيد الحيوان في هذا العصر كمصدر أساسي لحياته الإقتصادية ، إلا أن هناك إمارات مهمة على إنتقال هذا الإنسان إلى أسلوب في العيش صار يعتمد بالتدريج على جمع النباتات وظهر لديه أولى بوادر الزراعة التجريبية

المحدودة كما تشير إلى ذلك أحجار الرحى والمدقات والمساحق والسلال وغير ذلك من الأوعية المنزلية المستعملة في تهيئة الحبوب التي شوهدت أقدم أصنافها بكثرة في المستوطن المعروف بـ(زاوي چەمي شانەدەر) قرب كهف شانيدر على نهر الزاب الأعلى وكذلك في كل من كريم شار وملفعات وگردچاي وغيرها من المستوطنات التي تشير غالباً إلى مرحلة الإنتقال من طور زاوي چەمي شانەدەر نحو طور قرية (جرمو) الذي يُعد بداية العصر الحجري الحديث حيث إتضحت مظاهر الحياة الزراعية وتدجين الحيوان فيها بشكل جيد وتم إكتشاف آثار الزراعة الأولية في التلال وعند قدمات الجبال وإستناداً إلى إستخدام طريقة الفحص بكاربون ١٤ ، فإن هذا التغيير في الحياة الإقتصادية حدث في كوردستان قبل ١١ – ٩ ألف سنة . تشير معالم الحياة في المراحل المتأخرة من العصر الحجري القديم وفترة الإنتقال إلى العصر الحجري الوسيط ومنه إلى العصر الحجري الحديث وقيام المجتمع الزراعي على القصر الزمني نسبة غلى العصر الحجري القديم ، وهذه الظاهرة نجدها في مجمل المواقع الأثرية التي أكتشفت فيما بين البحر الأبيض المتوسط غرباً وحتى أواسط آسيا شرقاً ويرجع السبب في هذا إلى الإعتدال الذي طرأ على المناخ خلال هذا العصر بينما سادت البرودة قبل ٢٦ ألف سنة على هذه المواقع فتركها الإنسان ثم سكنها قبل ١٥ ألف سنة بعد أن عاد الدفئ غلى الخط المار بين قره كَمار في أفغانستان وحتى أواسط كوردستان . وهكذا إستوطن الإنسان الحديث بكوردستان وكذلك في البلاد القفقاسية خلال أواخر العصر الجليدي الرابع فيما بين ٢٣ – ١٣ ألف سنة مضت وكان هناك إنتقال مستمر للمجتمعات البدائية في هذه المناطق نرى مخلفاتهم الزرزية في كل من هزار ميرد وبابخال وبالي گەوره وحاجياه وبراك ووارواسي وتوركاكا وكوريخان (في كوردستان) وبيلت وهوتو على بحر قزوين . وعلى حد قول سوليكي ، فإن الثقافة الميزوليثية إنتشرت في هذه المواقع بتأثير الثقافة البرادوستية بشانيدر ولأجل توضيح معالم

هذا العصر سنتحدث عن المواقع التالية :

زاوي چەمي شانەدەر : يقع هذا المستوطن على ضفة نهر الزاب الأعلى وعلى بعد ٤ كم من كهف شانيدر ويُعتبر من أقدم القرى التي ظهرت فيها بوادر الحياة الزراعية وتدجين الحيوان(٨) ، وقد نقب فيها رالف سوليكي أبان مواسم عمله في كهف شانيدر عام ١٩٦٠م ، وظهر من التحريات أن أقدم بقايا المستوطن تقع على عمق يتراوح ما بين المتر الواحد والمترين . وتتألف بقايا السكنى في هذه القرية من جدران من الطين غير منتظمة شُيدت على أسس من حجارة الحصى الكبيرة ، كذلك وجدت معالم أكواخ مستديرة ، وسجل فيها دوران من البناء . ومع سذاجة هذه البيوت السكنية ، فإنها تمثل أقدم بيت شيدها الإنسان يوم بدأ حياة الإستقراروإنشاء القرى في كوردستان ، ووجدت من بين المواد المنزلية أدوات بسيطة كالرحى والأحجار المستعملة للدق والسحق والهواوين الحجرية .

إستمر إستيطان القرية مدة طويلة نسبياً ، وكان صيد الحيوان المهنة الرئيسية لسكانها كما تدل على ذلك بقايا العظام الكثيرة ، والغالب على حيوانات الصيد في الطبقة السفلى من الموضع نوع من الغزال الأحمر أو الإيل ، كما وجدت عظام أغنام كانت في الطبقى السفلى من النوع الوحشي المصطاد ولكن سرعان ما دُجن في الطبقة العليا من المستوطن . أما الماعز فظل غير مدجن ، وقد كان السكان يهيئون الحبوب بالهواوين والمدقات ، ووجدت مناجل من العظام مما تدل على إستئناف الزراعة البدائية في هذه القرية ولكن عدم العثور على بقايا من الحبوب المكربنة *Carbonized* يجعل من المتعذر الجزم بأن

---

(٨) لزيادة المعلومات عن هذا الموقع راجع دراسات دوروثي كارود وجيمس ميلارت :

A. E. Dorothy Garrod, "Primitive Man in Egypt, Western Asia and Europe" in Cambridge Ancient History (1965), Chap. III.

J. Mellaart, "The Earliest Settellements in Western Asia" in IBID, Vol. I, Chap. II, (1967), P. 1 ff.

الإنسان في هذا الطور قد بدأ بزراعة الحبوب البرية وتدجينها ، وإذا إنتفى مثل هـذا الجـزم فيمكن تفسير مثل هذه الأدوات المنزلية بأنها أستعملت لتهيئة الطعام من الحبوب التي كان الإنسان يحصل عليها بالجمع مضافاً إلى ذلك أثمار البلوط التي توجـد في هـذه المنـاطق منـذ أقدم الأزمان ، كما أن القواقع كانت تؤلف جزءاً مهماً مـن غـذاء سـكان القريـة . ومـن خلال هذه الآثار نرى أن البوادر الأولى للإنقلاب الإقتصادي من إنتـاج القـوت وتدجـين الحيوان بكوردستان تمثله قرية زاوي جمي التي قُدر زمنهـا علـى أسـاس الكـاربون ١٤ بـ ١٠٨٧٠(+ – ٣٠٠) أو ٩٢١٧ عام زائد (+ – ٣٠٠ عـام) قبـل الميـلاد لبقايـا طبقاتهـا السفلى ، وعلى هذا الأساس يمكن تقدير زمن حدوث الثورة الزراعية في بلاد الكـورد في حدود الألف ١١ – ١٠ قبل الميلاد ويعاصر هذا التأريخ تقريباً الطور النطوفي في فلسـطين ومن خـلال أشـكال الأدوات حـددت السـيدة روزا سـوليكي زمنهـا بفـترة تسـبق عصـر الحجري الحديث وسمتها بـ*Protoneolith*(٩) .

أما علاقة كهف شانيدر بقرية زاوي چەمي فتظهر من ظاهرة إتخاذ أهل هذه القريـة الطبقة *B-1* من الكهف للإستيطان فيه خلال الفصول الشتوية وشـوهدت في هـذه الطبقـة نحـو ٢٦ قـبراً يرجـح أنهـا تعـود لأهـل هـذه القريـة ، وعُـثر في هـذه القبـور علـى أدوات وتجهيزات جنائزية ذات دلائل مهمة . ففي أحد القبور العائدة إلى إمرأة شابة وجدة مغـرة حمراء وقلادة من خرز صغيرة ووجد في قبر آخر سكين من الصوان مثبت بالقـير في قبضـة طويلة العظم ، كما وجدت معالم دكاك صغيرة من الأحجار الخشـنة أحدهـا بهيئـة قـوس يشبه جدار السور المقوس الذي عثر عليه كذلـك في القريـة . كـل هـذه الأمـور تشـير إلى نـوع مـن الشـعائر والطقـوس الخاصـة بـالدفن وبمعتقـدات أقـدم السـكان المسـتقرين في كوردستان . وهناك أشياء مثل الحجـر الأوبسـيدي والقـير والنحـاس الخـام عـثر عليهـا في

---

(٩) *R. S. Solecki, Sumer, Vol. XVII; XVIII, Baghdad, 1961, 1962*

الكهف وفي القرية تشير إلى إتصالات تجارية لسكان هذه المنطقة مع المناطق المحيطة ببحيرة وان وديار بكر وكركوك . وتدل التقنية التي صنعت بها الأدوات الحجرية في هذا الموقع على جمع بين الأساليب القديمة من الأطوار السابقة وبين أساليب حديدة مشتقة من الفنون الزرزية (العصر الحجري الوسيط) ، فمن بين الأدوات المصنوعة بالأساليب الجديدة الأدوات الحجرية المصنوعة بطريقة الضغط والصقل والنقر . والجدير بالملاحظة في هذه الأدوات أنه لم يُعثر من بينها على أدوات مصنوعة من الطين ، كالفخار ودمى الطين ، كذلك لم يُعثر عل أقراص مغازل أو أدوات مشابهة تدل على الحياكة بالنول ، على أنه وجدت قطع من السلال والحصر ، كما شوهدت بعض الأدوات المصنوعة من العظام مثل المخارز وآلات القشط والأزاميل الصغيرة والسكاكين ومقابض المناجل التي كانت نصالها المصنوعة من العظام تُثبت بالقير . وقد صنع الكثير من الأدوات العظمية على هيئة أشكال هندسية أستعمل بعضها زينة ، كما وجدت في هذا الموقع جملة مواد للزينة أيضاً كخرز القلائد المعمولة من العظام ومن أسنان بعض الحيوانات وبعضها من حجر الستيتات *Steatite* ومن خام النحاس ودلايات أو قلائد من حجر الأردواز *Slate* المزينة بالحزوز(٨).

كريم شار : يقع مستوطن كريم شار (كريم شهر) على ضفاف نهر چەمي گەورە وعلى بعد ميل في شرق جرمو قرب چمچمال . ويبدو أن هذا الموقع كان منطقة إستقرار فصلي

---

(٨) حول تفاصيل هذا الموضوع راجع دراسات رالف سوليكي في المراجع التالية :

R. Solecki, "Zawi Chemi Shanidar. A Post Pleistocene Village Site in N. Iraq" Report of Vth International Congress on Quaternary (Warsaw 1961), Vol. IV, (1964) ; R. S. Solecki, Prehistory In Shanidar Valley Northern Iraq, Report From Science, lannary 18,1963, Vol. 139, No. 1551, pages 179 - 193 .

فقط ، وأهم ما يتميز به الإنتاج الحضاري هنا هو وجود المناجل لحادة المصنوعة من الظران ، كما عثر على تمثالين صغيرين مصنوعين من الطين ، ويلاحظ أنه لم يكشف في مخلفات هذا الموقع عن بقايا واضحة للمنازل ، بينما تشير الفخاريات البدائية فيه إلى المرحلة الإنتقالية من العصر الميزوليثي نحو العصر النيوليثي . وظهر من بين الآثار المستخرجة في هذا الموقع بعض النماذج المتطورة لصناعة النصل من حجر الصوان وأشكال حجرية دقيقة كان سكان القرية يستعملونها عند إستقرارهم الفصلي فيه ، وشوهدت مثل هذه الأعمال الميكروليثية في گرد چاي على نهر الزاب الأعلى قرب قرية گرد مامك وكذلك في كاني سور وخورانامك وخرابه قره چيوار ، وأغلب ما أكتشفت في تتوسط فيما بين فنون كريم شهر وجرمو .

ملفعات : أما في مستوطن **ملفعات** الذي يقع على نهر الخازر في شمال غرب أربيل ، فالإنتاج الحضاري فيه يتصل بنهاية الألف السادس قبل الميلاد أي بنهاية مرحلة كريم شهر حيث وجدت فيه على بيوت محفورة في الأرض ذات حيطان مدورة مشيدة من الحجارة غير المهندمة وتباليط من الحصى والحجر كما شوهدت هنا بقايا جدران حجرية غير منتظمة لمساكن إتخذت الشكل البيضاوي . أما الأدوات فقوامها بعض الفؤوس والهواوين وعظام الحيوانات وبقايا طبقات هذه المساكن كانت تحتوي على آثار شاغليها تشبه في نوعيتها مخلفات سكان كريم شهر(٩) .

وعلى العموم ، فإن أدوات الكهف شانيدر (الطبقة *B*) وزاوي جمي وكريم شهر وملفعات تدل على معالم التحول من العصر الحجري المتوسط إلى العصر الحجري الحديث

---

(٩) حول تفاصيل هذا الموضوع راجع

J. Mellaart, "The Earliest Settlement In Western Asia from the Ninth to the End of the fifth Mellennium B. C. " In C.A.H., Vol. I, Part I, (1970), P. 257f.

، العصر الذي تتشابه أدوات العمل للإنسان خلاله في جميع مستوطنات كوردستان بعضها مع البعض الآخر ، لكن هذه الأدوات والصناعات المحلية بكوردستان تتخذ في العصر الزراعي طابعاً خاصاً يختلف عن تلك التي شوهدت في بعض مناطق غربي آسيا . ومع ذلك ، من المستطاع مشاهدة بعض التقارب مع تلك التي أكتشفت في وادي النطوف بفلسطين وفي كل من شمال سوريا وقيليقيا وحتى مناطق آمون ومرسين على البحر الأبيض المتوسط . وتزيد هذه العلاقة في الفترات المتأخرة ، لذلك نجد أن خط الروابط الآتي من أريحا بفلسطين المار بجرمو في كوردستان يمتد نحو سيالك جنوب كاشان بإيران وحتى جيتون في أواسط آسيا . ولعل أساس المعيشة في المستوطن المعروف بكوردستان الشرقية بـ(تبه سراب) قرب كرمنشاه كان يتقارب مع مثيله في أقطار غربي آسيا ، وبالرغم من عدم إكتشاف المساكن فقد شوهدت هنا صحون وأدوات الطبخ والطعام المصنوعة من الفخاريات غير المشوية وعليها نقوش بدائية بسيطة ، أما أدوات العمل فقد صنعت من حجر الأوبسيد وتشبه صناعتها بالتي أكتشفت في موقع جرمو(١٠) . وبجانب مظاهر الحياة الزراعية ، تشاهد في تبه سراب آثار بيوت كثيرة من العصر الحجري المتوسط هي من الصنف الهندسي لمساكن كريم شهر .

وبناءاً على ما ذكر ، يمكن الإشارة إلى أن هناك في كوردستان نوعين من أنواع المستوطنات الزراعية ، الأولى لها صلة بالعصر الحجري الحديث المبكر ، وتختلط معالمه أحياناً مع معالم العصر الميزوليثي مثلما نشاهدها في كرد چاي والطبقات الدنيا من جرمو حيث صناعة الفخار في هذه المستوطنات لا تزال بدائية . أما النوع الثاني فهو ما يشاهد في الطبقات العليا من هذه المستوطنات وقد تقدمت فيها صناعة الفخار وأصبحت متينة وثخينة تشبه مثيلاتها في أريحا وسيالك وسامراء وجتال هيوك . وبعد هذه الفترة إنتشرت

---

(١٠) راجع : *R. Ghirshman, Iran, Pelican Book, 1954, P. 28f.*

مستوطنات لها علاقة بالعصر الحجري المعدني الذي يسبق مرحلة ظهور الكتابة وبدء التدوين .

ج) **العصر الحجري الحديث *Neolithic Period* والثورة الزراعية في كوردستان :**

تعتبر مرحلة العصر الحجري الحديث من أهم المراحل في حياة البشر ، فقد إتخذ الإنسان منذ هذا العصر الزراعة حرفة له ، وأدى ذلك إلى الإستقرار وظهور المجتمع القروي ، مما أدى إلى نشأة نوع جديد من تفكير الإنسان وسلوكه في مختلف مظاهر حياته وذلك على أساس المبادئ والأسس التي يقوم عليها المجتمع الجديد . فمجتمع العصر الحجري الحديث يقوم على أساس الإستقرار الزراعي وليس على أساس الإنتقال من مكان إلى آخر . وقد أدى هذا الوضع الجديد الذي ظهرت معالمه الأولى في كوردستان(١١) إلى تطور في السلوك الإنساني فأصبح التعاون بين مختلف الأفراد ضروري للمعاونة في فلاحة الأرض والدفاع عنها ، وقد تطور هذا النوع من التفكير إلى وجود مصلحة في الإرتباط بالأرض المزروعة مما أدى إلى الشعور بالوطنية المحلية ، وكان ذلك بداية نشأة القرى في العصر الحجري الحديث(١٢) . وهكذا بدأ الإنسان يستغل في هذه المرحلة الإمكانيات المتاحة في بيئته لصناعة أدواته وتشييد منازله فشيدها في أول الأمر من الطين المتوفر في بيئته الزراعية ، وصنع منه كذلك الأواني الفخارية التي إستخدمها في مختلف شؤونه المنزلية ، وكان لإستقراره خلال هذا العصر أثره في تطور مفاهيمه الفكرية الأولى وخاصة فيما يتصل بعبادة الآلهة والإيمان بالبعث ما بعد الموت وقضية الخلود في العالم الآخر .

---

(١١) طه باقر ، عصور ما قبل التأريخ في وادي الرافدين على ضوء التنقيبات الأثرية في كردستان العراق ، مجلة المجمع العلمي الكوردي ، المجلد الأول ، العدد الأول ، بغداد ١٩٧٣م ، ص ٦٠٢ .

(١٢) رشيد الناضوري ، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتأريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الأول ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١١٩ .

أثبت علم الآثار بالتعاون الوثيق مع علم الحياة النباتية لما قبل التأريخ ، أن الزراعة لم تظهر لأول مرة في وديان الأنهار الخصبة ، بل في السهول والوديان الداخلية التي ترويها مياه الأمطار وفي المناطق التي شهدت لفترة طويلة النمو الحر لحقول الحبوب البرية وعلى الخصوص سفوح جبال زاگروس وكوردستان . وكذلك من خلال التحريات الأركيولوجية التي أجريت في سهل وادي الرافدين وبادية الشام ومناطق الجزيرة العربية وسواحل البحر المتوسط ومنطقة الأحراش في الجهات الشرقية من البحر الأسود وبحر قزوين وكذلك في شمال أفريقيا شوهدت أن الإنقلاب الزراعي وتربية الحيوان قد تأخرت فيها عن مرتفعات زاگروس وكوردستان بآلاف من السنين ، لأن أصول الأنواع الحيوانية والنباتية التي دجنها الإنسان وعلى رأسها الغنم والماعز والبقر والخنزير ، والقمح والشعير والحمص والعدس كانت محصورة في منطقة جغرافية من غربي آسيا تمركزت في المنطقة الممتدة من هضبة الأنضول في الغرب مروراً بكوردستان إلى حد جبال هندكوش في الهند(١٣) . وهكذا فإن هذه المنطقة كانت أقدم مهد لوجود الأصول الوحشية للحيوانات والنباتات التي دجنها الإنسان في آسيا وأقدم نقطة لإستقرار البشر في مساكن مستقرة . ففي كوردستان هيأت الظروف والأحوال الطبيعية من مناخ ملائم وديمومة مياه أمطار ووجود حيوانات ونباتات وحشية صالحة للتدجين المسرح منذ العصر الحجري الوسيط (مطلع الألف العاش قبل الميلاد) لتحقيق ذلك الإنقلاب الإقتصادي المهم في الزراعة الذي ظهرت القرى الفلاحية مثل جرمو وشمشاره ومطاره وتبه سراب وتيلكي تبه وتل حلف على إثره في المناطق المتموجة والسهول . ومع عظم الإنقلاب الذي حدث في حياة الإنسان الكوردستاني خلال هذا العصر ، فإن مجموعات بشرية خارج هذه البلاد ظلت

---

(١٣) أنظر *J. Mellaart, Cambridge Ancient History, Vol. I, II (1967), Chap. VII.*

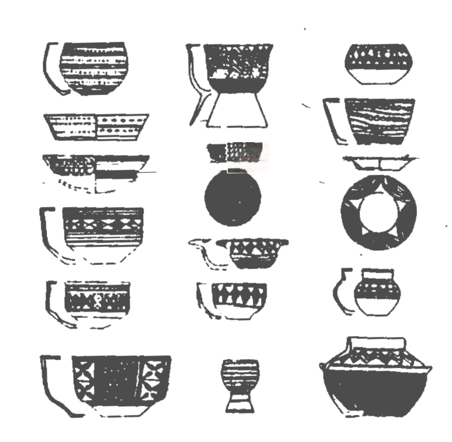
تعيش في مراحل الصيد وفي مرتبة أدنى في سلم الرقي الحضاري . لقد إكتشف المنقبون في القرى النيوليثية بكوردستان أدوات تتصل بواقع المجتمع الزراعي مثل رحى الطحن البسيطة المؤلفة من حجرين أحدهما يضـرب أو يـدور فـوق الآخـر ، والأطبـاق الفخاريـة لتقشـير الحبوب وفركها ثم المعازق والمحاريث الحجرية والمناجل المكونة من نصال صغيرة من حجر الصوان ورؤوس النبال والسهام . والمرجح أن يكون الإنسان قد عرف هنا الغزل والحياكة بدلالة ما وجد من أقراص المغازل . أما الأواني الفخارية فقد كـان في البدايـة مـن النـوع السمج الساذج الغفل من الزخرفـة والألـوان والزينـة . ولعـل المـرأة هـي الـتي إهتـدت إلى تدجين\الحبوب البَرية بالزراعة ، أي أنها هي التي إكتشفت الزراعة على حد قـول گوردن چايلد(١٤) ، وكانت أعمال المرأة بالإضافة إلى أوضاع الأطفـال وتربيتهـم طحـن الحبـوب وتهيئة الغذاء وكذلك الغزل لصنع الملابس وتهيئـة جلـود الحيوانـات وتدجـين الحيـوان في الحظائر ، أما أهـم واجبـات الرجـل فكـانت صنـع الأدوات الحجريـة والأسـلحة البسـيطة وحماية قطع الأراضي المزروعة وصيد الحيوانات وتهيئة الحقول لزرعها مرة أخرى .

إستتبع إنقلاب العصر الحجـري الحديـث الإقتصـادي في أقـدم القـرى الزراعيـة مثـل جرمو بكوردستان تطورات إجتماعية مهمة ، منها نشوء فكرة الملكية الفردية ، وأسـاليب الحفاظ على ملكية الحقل وأدوات الإنتاج والحيوانات المدجنة ورعيها خارج المستوطنات ، ولعل أهم تطور أحدثته الزراعة في حياة الإنسان الكوردستاني تحريـر القسـم الأعظـم مـن نشاطه وطاقته بضمان إنتاج قوته بالزراعة التي كانت في هذه البلاد ديمية وكـانت محـدودة الجهد لم تكن تتطلب سوى الحرث البسيط والبذر والإنتظار الى موسم الحصاد والجني .

---

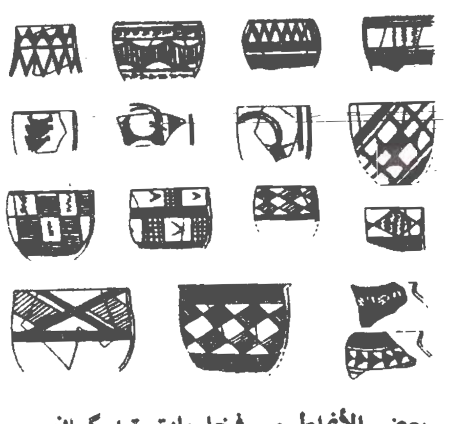
(١٤) راجع :

G. V. Childe, New Light on the Most Ancient East, London (4th ed. 1952), P. 61 .



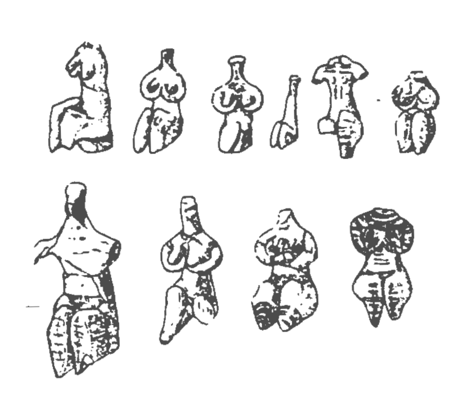
أعمال فخارية أكتشفت في تبه سبز

كوردستان الشرقية



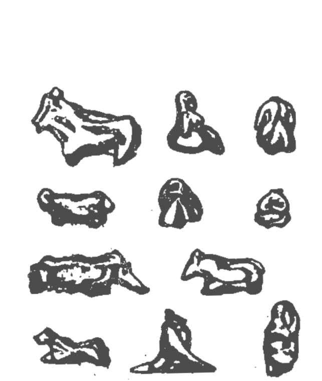
بعض الأنماط من فخاريات تبه گيان

كوردستان الشرقية



دمى تصور الإلهة الأم في شهربازار

كوردستان الغربية



دمى تصور الإلهة الأم في جرمو

كوردستان الجنوبية

أوحت الـدورة الزراعيـة في كوردسـتان الإنسـان بصـورة عامـة فكـرة قيـاس الزمـن والتقويم ، ولاسيما التقويم السنوي الشمسي ، حيث يمكن قياس السنة من وقت بـذر إلى وقت بذر آخر أو من زمن حصاد إلى حصاد آخر ، ويحتمـل أن الإنسـان إستعان لضبـط مثل هذه المواسم وتعاقبها ومواعيدها بإقترانها بطلوع بعض النجوم والكواكب على غـرار ما يمارسـه الفلاحـون الآن في كوردستان . وإذا كنا نملك قدراً ضئيلاً من معلومات حول أصول الديانة عند إنسان العصر الباليوليثي ، فإن ظهور بـذور الديانـة عنـد إنسـان العصـر الزراعي هي أكثر وضوحاً لدينا ، ولعل أول معبود تصورتـه المجتمعـات الفلاحيـة كـان ذا صلة بقوى الأرض المنتجـة وخصبهـا وزراعتهـا . وإن أول معبـود إلـتزم الإنسـان بعبادتـه يرجح أن يكون إلهة تمثل الأرض وخصبها ، وهي التي يطلق عليها الباحثون (الإلهة – الأم) التي إشتهرت في كوردستان بكنية نينـا وشاووشـكا أو حيببـا أو حيـوا (حـواء) في مطلـع العصر التأريخي حيـث أن الدمـى الطينيـة المعمولـة بهيئـة نسـوة بدينـات مبـالغ في حجـوم أثدائهن ، كما شوهدت في جرمو وتبه سراب ، تمثل تصورات المجتمع الزراعي عن شـكل هذه الآلهات ، مما يحتمـل أن الإنسـان قـرن خصـب الأرض وإنتاجهـا الزراعـي بإخصـاب الأنثى بعضو الذكر ، ولعل هذا يفسر لنا تلك الآلات الغريبة التي تمثـل عضـو الذكـر الـتي وجدت في عدة مواضع مـن المسـتوطنات النيوليثيـة في كوردسـتان والأنضـول(١٥) وكـان يستعمل أثناء إقامة الطقوس الدينية من أجل الإلهة المذكـورة . وعلـى العمـوم ، فقـد حمـل العصر الحجري الحديث في طياته كما نرى ذلك في آثار جرمو جنين إمكانيـات المستقبل في توسع الإنتاج وتقسيم العمل والتخصص في الفلاحة وإنتاج الأدوات إلى غير ذلـك مـن الأوجه الأخرى في التقدم التكنولوجي الذي أصبح أسـاس الحيـاة المتطـورة عنـد مجتمعـات العصور التأريخية .

---

(١٥) راجع كوردن جايلد *Gordon. V. Childe* المصدر السابق ، ص ٥٧ .

تؤرخ حضارة قرية جرمو التي قدرت بيوتها ما بين ٣٠ - ٣٥ بيتاً بـ ٦٧٥٠ عاماً ق.م. عاش فيها ما يقرب من ١٥٠ فرداً وتقع قرب جمجمال بنحو ٣٥ كم شرقي كركوك وتتكون من ست عشرة طبقة أثرية تمثل مراحل تطور هذه الحضارة . زارت هذا الموقع بعثة من مديرية الآثار العراقية في الأربعينات ثم شرعت بعثة من جامعة شيكاغو (المعهد الشرقي) تنقب فيه منذ عام ١٩٤٨م برئاسة الأستاذ بريدوود وإستمر العمل فيه إلى عام ١٩٥٥م ، وأظهرت هذه التحريات وجود ست عشرة طبقة أثرية أو دور سكنى في هذا الموقع(١٦) .

وقد كشف في الطبقات الأثرية الأولى التي تمثل فترة ما قبل صناعة الفخار على الأدلة التي توضح توصل الإنسان إلى مرحلة الزراعة والإستقرار . فقد عثر على حبوب القمح المتكربنة ، كما إستأنس الإنسان هنا الماعز والكلاب والأغنام والخنازير لكن البقر لم يزل تدجينه غير واضح لدينا وتشير عظام البقر في جرمو إلى أن هذا الحيوان كان يصطاد مع الغزال والخنزير الوحشي ، وكانت القواقع تؤلف جزءاً مهماً من قوت السكان .

ترك أهل جرمو وراءهم سكنى الأكواخ المستديرة التي شاعت في الأطوار الأولى من حياتهم ثم تعلموا فن بناء البيوت . شيدت المنازل من كتل الطين المكبوس ، وأحياناً يلاحظ أنه كان لبعضها أساس من الحجر ، وسويت حيطان المنازل بطبقة من الطين كملاط وغطيت أرضية المنازل بحزم من البوص الذي غُطي بطبقة من الملاط (أي بلطت

---

(١٦) نشرت نتائج الحفريات في عدد من المجلات والكتب الأمريكية مثل :

American Journal of Archaeology, LIII, P. 40ff.
Antiquity, XXIV, (1950), P. 189ff.
Bulletin of the American Schools of Oriental Research, No. 124 (1951), P. 12ff.
J. Braidwood & B. Howe, Prehistorical Investigation In Iraqi Kurdistan, Chicago - Illinois, (1972), P. 33ff.

الأرضيات بالطين المفروش على القصب) وأستعمل القصب مـع الخشـب لتسـقيف الدور وصممت هذه المنازل على هيئة مستطيلة وكانت تتكون من عدد من الحجرات الصغيرة .

صنع إنسان جرمو معظم أدواته من الحجر ، فعثر علـى العديـد مـن الأدوات المتصلـة بالعمل الزراعي مثل المناجل والفؤوس والأجـران ، كمـا صنـع مـن الأحجـار العديـد مـن الأواني الحجرية التي صنعت بجودة من الحجر الجـيري ، كمـا شـوهدت في بعـض البيـوت الملاعق المصنوعة من العظام والإبر العظمية للخياطة كما تدل أقراص المغـازل علـى معرفـة سكان هذه البيوت غـزل القنـب والصـوف وإتخذوا مـن الأحجـار بعـض أدوات زينتهـم كـالخواتم وصنعـوا القلائـد ذات الخـرز وبعضهـا مـن المحـار والصـدف والأسـاور والحـزرة ودلايات . وفيما يتصل بالصناعات الفخارية ، فإن الإحدى عشرة طبقة الأولى من الموقـع كانت خالية من الآثار الفخارية تمثل الطور القديم من العصـر النيوليثـي *Pre - Pottery Neolithic period* الذي لم يُصنع فيه الفخار ، ويلاحـظ أنهـا لم تبـدأ في الظهـور إلا في الطبقات الخمس الأخيرة من الموقع وربما كان ذلك راجعاً إلى إستيفاء الإنسان في المراحـل السابقة لحاجياته من الأواني بصناعة الأواني الحجرية الجيدة . ومن الجدير بالإشارة إلى أن الأواني الفخارية التي عثر عليها في الطبقتين الخامسة والرابعة وهي الأقدم تتميز بأنها أفضل من الأواني التي عثر عليها في الطبقات الثلاث الأخيرة وهي الأحدث عهداً . وزينت هـذه الأواني بخطوط حمراء مائلة تشبه مثيلاتها التي شـوهدت في تبـه گوران علـى نهـر الكرخـة جنوب كرمنشاه بكوردستان الشرقية التي تتكون مـن إحـدى وعشـرين طبقـة أثريـة كمـا شوهدت فيها أدوات الإنتاج الزراعي كالهواوين والرحى والمناجل من الألف السادس قبـل الميلاد ، وعثر بجانب هذه الأدوات علـى بعـض حبـوب الشـعير المتكربنـة وثبتـت المنـاجل المصقولة على إمتداد حافتها في مقابض خشبية .

كشفت في جرمو عن أمور مهمـة عـن العصـر النيوليثـي ليـس بالنسـبة لكوردسـتان فحسب بل بالنسبة لغربي آسيا . فنجد في زراعـة الحبـوب هنـا خلاصـة تجارب الأطـوار

السابقة في إختيار نوع الحبوب الملائمة للتدجين ، حيث بعض أنواعها ما زالت غير بعيدة عن أصولها الوحشية ومنها *Einkorn Wheat* ، ولكن ظهر إلى جانب هذا النوع من القمح النوع المسمى *Emmer Weat* وكذلك نوع الشعير المعروف بـ *Hulled two. row Barley* والعدس والحمص الحقلي *Field Peas* كما إستمرت ثمار بعض الأشجار تستعمل من قبل السكان كالبلوط والفستق . أما العادة الغالبة في الدفن فكانت تدفع السكان إلى أن يلحدوا موتاهم في قبر يُحفر تحت أرضيات بيوت السكنى . وفي وسعنا أن نلمح طرفاً من الحياة الدينية في جرمو من دلالة دمى الطين الممثلة للحيوانات المختلفة ، ودمى الطين التي تمثل نسوة بدينات حبالى من النوع الذي فُسر بأنها أقدم نموذج لتماثيل الإلهة – الأم .

أما في تبه سراب بشمال شرق كرمنشاه ، فتوضح المادة الأثرية فيها إتصالها كذلك بالمجتمعات الزراعية القروية خلال الألفين ٧ – ٦ ق . م . وهي تشبه تلك التي كشف عنها في جرمو وإن كانت تظهر تفوقاً في بعض المصنوعات وبخاصة الفخار والأواني الحجرية وبعض الأدوات المصنوعة من حجر الظران والأوبسيد . ومن الأشياء التي وجدت في تبه سراب ، بجانب عظام الحيوانات ، شجر الفستق والقواقع والقمح البدائي الذي مارس سكان هذه القرية في زراعته . أما الفخار المتمثل في الفخار اللامع والمصقول ذا اللون الأحمر والأصفر الضارب للحمرة فيتطابق مع مستوى الأواني الفخارية في تبه گوران وقد يشير ذلك إلى معاصرة سراب للمراحل الأخيرة للعصر الحجري الحديث في گوران .

وفيما يتصل بشكل المنازل في تبه سراب ، فيلاحظ أن المساكن كتنت عبارة عن أكواخ مصنوعة من القصب أو أغصان الأشجار مما يشير إلى أنها قد أستخدمت كمسكن في بعض فصول السنة فقط وليست بهدف الإقامة الدائمة وأن الذين عاشوا فيها كانوا يجمعون ما بين مهنة الزراعة والرعي وكانت توجد مساكنهم الدائمة في أسفل الوادي . ومن المظاهر الفكرية المعبرة في هذه الحضارة وجود بعض التماثيل الطينية الصغيرة التي

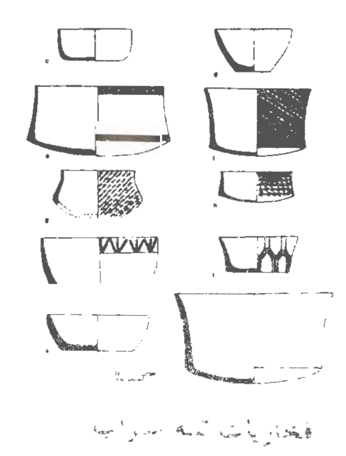
كانت تمثل الإلهة – الأم وعدداً من الحيوانات المفترسة . وعلى العموم ، فإن الحياة الإنسانية فيما قبل التأريخ شهدت في كوردستان ثلاثة تحولات أساسية ، كان كل منها يحدث إنقلاباً شاملاً في مختلف مناحي الحياة ، ويعطي للحضارة الإنسانية نقلة حاسمة في شتى مظاهرها ومضامينها وهي :

١) التحول الذي حدث في مطلع العصر البلايستوسين الأعلى بدأ منذ ٥٠ ألف سنة قبل الميلاد إنفصل الإنسان خلاله من عالم الحيوان وكيّف نفسه تجاه الطبيعة من أجل إستغلالها وتوجيهها لمصلحته وعُرف ثقافته المتعلقة بهذا العصر بالثقافة الباليوليثية .

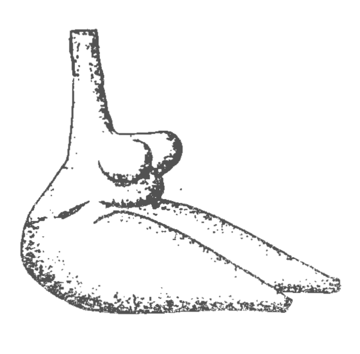
٢) التحول الذي حدث في الألف العاشر قبل الميلاد وذلك بتأثير ثلاثة عوامل حاسمة وهي الإستقرار في الأرض وبناء المستوطنات الثابتة ، وإكتشاف الزراعة والبداية المنظمة لإنتاج الغذاء ، ثم تدجين الماشية .

٣) التحول المتعلق بالثورة المدينية *Urban Revolution* وذلك بظهور المدن ذات التنظيمات السياسية والدينية .

ومع بدأ الكتابة في الألف الثالث قبل الميلاد ، يبدأ العصر التأريخي في كوردستان .



فخاريات تبه سراب



دمية تمثل الإلهة الأم في تبه سراب



الباب الرابع



الباب الرابع

الفصل الأول

سوبارتو

مهـد الأمـة الكوردية

صـاغ الأكديـون كنيـة Subārtu, Subārt'um, Subārtum, šubāru سـوبارتو ، سـوبارتوم أو شـوبارو(١) كجهـة مـن جهـات العـالم الأربـع مـن الصيغـة ***SU** ki* «أرض

---

(١) كانت اللاحقة السومرية *-tu / -tum* تلحـق الأسمـاء الطوبوغرافيـة والجغرافيـة عنـد العراقيـين القدماء مثل إيـلامتو ومارتو وأورارتو Ilâm-tu, Mār-tu, Urār-tu . وظلت تُستعمل في الأكديـة بإختزال حرف الميم منها حيث ورثتهـا العربيـة كمـا نسـمعها في أسمـاء مـن نمـط (المدينـةُ والقريـةَ والدَولةُ) . وكما يشير أرنست هرتسفيلد *E. Herzfeld* إلى أن *H. Winkler* لم يعطـى مـبرراً ، في إطلاق تعبير شار šar kiššatim (ملك كيش) على ملوك سوبارتو ، والحقيقة فـإن هـذه الكنيـة كانت تعني ملك الأقوام أو الأمم (في سوبارتو) ، بينمـا إستطاع *A. Ungnad* مـن تقديـم أمثلـة مشابهة لمرادفات هذه الكنية مثل شوراو šu.ra.a.ù.e الأورارتية وصيغـة الآيديوغـرام (سـو *Su*) المشيرة إلى سوبارتو في نصب كيله شين مبرهناً بصورة صحيحة عن علاقة هذه الكنية مـع مشتقاتها مثل شوبريا šupria, Subria الآشوريتين اللتان كانتا تُعبران عن منطقة تقع على شمال شـرقي آميـد (ديـار بكـر الحاليـة) ، إلا أنهـا كـانت تُعـرف عنـد الأورارتيـين كذلـك بـ(لوبـدي) . ولمـا كـان الأورارتيون يدونون (شوراو) بدلاً من (سو) لم يطرحوا فكرة كون ملوك هذه البلاد يحكمون أقواماً عديدة (شار كيشّاتي) كملوكهم . ويظهر أن المبرر الوحيد في هذه القضية هو تفـاخر الكتبـة بكـون ملوكهم حكام أمتهم وغيرها من الأمم . حول تفاصيل هذه النظريات راجع :

E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden 1968, P. 206

سو»(٢) الســومرية المختزلـة مـن سـوبير *Su.Bir* . فـالمقطع الأول (سـو) في هـذه الكلمـة

---

(٢) بعد غاراته على سوبارتو وآمورو ، وصف نارام سن نفسه بالقوي ، الملك الكبير لجهات العالم الأربع ، إلـه أكـد dannum, šar kibrāt arbaᶜim, ilum Akkadim [حول هذا النص راجع : *C. J. Gadd & L. Legrain, Publications Of The Joint Expedition Of The British Meseum and The Mesuem Of The University Of Pensylvania To Mesopotamia, Philadelphia, 1928, P. 73; E. Herzfeld, Op. Cit. P. 65 .*

ويرى أونغناد *A. Ungnad* أن نارام سن كان يقصد بـ(الجهات الأربع kibrāt arbaᶜi) كل مـن سومر وسوبارتو وعيلام وآمورو ، وكان لهذا التعبير المتكـرر في النصـوص اللاحقـة للملـوك معنـى مجـازي [أنظـر إلى *A. Ungnad, Subartu, Beitrage Zur Kulturgeschichte und Volkerkunde Vorderasiens, Berlin - Leipzig, 1936, s. 45*] . فكلمة (كيبراتو) مشـتقة من (كوبـوررو) الأكديـة الـتي ترجمهـا داريـوس في لوحـة بهسـتون بالفارسـية القديمـة إلى آردَسـتانه ârdastāna, "corner-pillar, frame of doors and windows «الإطار أو الزوايـا» . وعلـى هذا الأساس فإن جذر هذه الكلمة ليس سامياً ولا علاقة لها بمفهوم العظمة ، وإنما أستعملت كتعبـير عام من قبل الملوك السومريين والأكديين الذين تصوروا أن بلادهم تتوسط الدنيا ومحاطة بأربع زوايـا من الشرق والغرب والشمال والجنـوب [راجـع هرتسـفيلد ، نفـس المصـدر ، ص ٢٠٥] . وكـان نارام سن أول أكدي أطلق على نفسه (شار كيبرات أرباعيم «الملك الكبير لجهات العـالم الأربـع») حيث قلده فيما بعد ملوك سومر وأكـد الآخرون . وعندما تلقب بوزور شوشيناك ملك عيلام بهـذا اللقب ، فإنه لم يكن في الواقع يحكم بلاداً أخرى ، وإنما كان قد أغار على سـومر وأكـد وإسـتعار منهم هذا اللقب ثم ظهر بجانبه لقب شار كيشّاتيم (ملك الأمم) الـذي لا يُعتـبر مرادفـاً لكنيـة (شـار كيبرات أرباعيم) المسجل في بروتوكول الملك الآشوري توكولتي نينورتا الأول كما يلي :

«šar kissati, šar ᵐᵃᵗ Aššûr, šar kibrāt arbaᶜi,
ᵈšamšu kissat niši ᵖˡ, šarru dannu,
šar ᵐᵃᵗ Karduniaš, šar ᵐᵃᵗSumeri u Akkadî
šar tâmti elênîti šaplîti, šar huršâni u nāmê rapšûti,
šar ᵐᵃᵗ Subari, Qûti, u šar kullat matâti Ni.i.ri».

المركبة يشير إلى السوئيين ، أما المقطع الثاني فكان يعني في البداية (الجنة) ، ثم (سهوب أو مقاطعة) وأخيراً أولئك الذين يعيشون في الخارج حيث ظلّت هـذه الكلمة عند العراقيين بصيغة (برّه) ويعنون بها «الخارج» ، ثم إشتقوا منها صيغة (برّاني) بمعنى الخارجي أو الأجنبي . وعلى هذا الأساس كان يتم التعبير عن رجل سوباري بـ *Lu. Su* .

دخل إصطلاح سوبير أو سوبارتو ـــ م (= سوگير) إلى التأريخ منذ الألف الثالث

«ملك بلاد آشور ، ملك الجهات الأربع ، ملك مشرق الشمس ومغربها ، الملك العظيم ، ملك كاردونياش ، ملك سومر وأكد ، ملك البحر الأعلى والأسفل ، ملك سوباري وكوتي وملك كل البلدان ... إلخ» راجع :

Keilschrifttexte aus Assur historischen Inhalts : Deutsch Orientgesellschaft wissensch. Veröffentlichungen (KAH) II, n. 58].

لقد ورث زعماء آشور لقب (ملك آشور والملك العظيم) من تراثهم ، لأن الملوك المنحدرين من هذه السلالة إعتبروا آشور بدورهم مركز العالم تحيطها من الجنوب كاردونياش (سومر وأكد) ، ومن الشرق كوتي ومن الشمال نائيري – بيايناـ بالإضافة إلى آشور نفسها ، فوصف عدد منهم نفسه بملك ملوك مشرق الشمس ومغربها **ša šarrâni s̱ît šamsi u erêb šamsi unaššiqu**.

وكذلك **ša ultu tāmtim elît adî tāmtim šaplit ibêluma** « ملك البلدان من البحر الأعلى حتى البحر الأسفل » تماماً كما أطلق ملوك بني أيوب على أنفسهم لقب (ملك أمراء الشرق والغرب) ، كما أصبح ركن الدولة شاه سلطان (٤٧٦ – ٤٧٧ هجرية) في إقليم كرمان (صاحب البرين والبحرين) وظلّ سلاطين آل عثمان في وقت لاحق يستعملون هذا اللقب في بروتوكولاتهم .

وإختفت كنية (ملك الجهات الأربع) تدريجياً من ألسن سكان وادي الرافدين ، لكن العرب إستحدثوا بعد ظهور الإسلام لقب (ملك البر والبحر) وحتى أن أحدهم أشار إلى أنه (شمس الدنيا) ويعنى بالتالي (**šar kiššati** « ملك الشعوب ») ، وهذا اللقب يتباين بطبيعة الحال عن المفهوم الجغرافي لـ(**kibrât arbacim** كيبرات أرباعيم « كبير الجهات الأربع ») .

قبل الميلاد(٣) كبلاد كانت تقـع بـين Parâhšî في شمـال عيـلام وجبـال أمـانوس في شمـال غرب سوريا الحالية(٤) . ومن الواضح أنه لم يكن لسـوبارتو غـير المفهـوم الطوبوغـرافي أو

---

(٣) راجـع : *A. Ungnad, Subartu, Beitrage Zur Kulturgeschichte und Volkerkunde Vorderasiens. Berlin - Leipzig 1936. S. 45* .

وكما يشير أفرام سبايزر فإن الصيغة الأكدية لـ(سوبير) كان (سوبارتو) علـى غـرار (إيلامتـو) ، وأن أقدم وثيقة تأريخية سُجل عليها هذا الإسم هي لوح نارام سن المدون بالأكدية حيث تُقـرأ بالسـومرية على أساس صيغة الآيديوغرام كـ(su - bār - tim) ، راجع بالإنجليزية والألمانية والروسية كل مـن سبايزر و دياكونوف وخاجيكان :

E. A. Speiser, Mesopotamian Origins. The Basic Population Of The Near East. Philadelphia 1930, P. 125ff.
Hurrisch Und Urartäisch Von M.I. Diakonoff. Vom Verfasser Autorisierte übersetzung Aus Dem Russischen Van Karl Sdrembek. München 1971, S. 6 ; M. Л. Хачикян, *Хурритский и Урартски Языки. Издателство Академия Наук (АН) Армиянской ССР, Институт Востоковедениеб Ереван 1985, стр. 6*]

كان السوباريون يسكنون في أرابخـا (كركوك) منذ مطلع العصر التأريخي كمـا تشـير إليهـم الوثـائق السومرية والأكدية وكان كل من مقاطعي نَـوار وبارهشي يقعان على الجهات الشرقية من بلادهـم ، راجع : *E. Herzfeld, The Persian Empire. Wiesbaden 1968, P. 157 ff.*

(٤) أنظر إلى النصوص المكتشفة في أور *Ur Excavation Texts (UET) I, 274.* . إن الصيغـة الكاشية *su-gur-a* تقابل *Šu-mali-ia* الآرية و *Humaliya* الهندية التي ظلت في الكوردية بصيغة شەمالّ šemāl (الرياح الشمالية) ومنها دخلت إلى العربية بمفهـوم جهـة الشـمال . وإستناداً على أقوال سبايزر [Mes. Orig. 126] فإن مدينة بإسم سوباري كـانت تقـع في الألـف الثـاني ق. م. قرب أريدو بجنوب وادي الرافدين ، وقد قرأ الآيديوغرام لهذا الإسم العالم بوبيل عام ١٩١٤م [راجع : *Hisorical Gramm.Texts (HT), PBS IV 1 (1914), P. 121*] ، وفي نص آخر شوهد هذا الإسـم بصيغــة *su?-'a-a-ra* حيــث كــانت قراءتهــا الصحيحــة بصيغــة ســواري suwāri .

الجغرافي كما دونه نارام ســن في فـترة أعتـبرت منـاطق الكوتيـين واللولوبيـين مـن ضمنهـا

كانت تسمية هذه المدينة مرادفة ربما لدى السومريين لمعنى (جهة الشمال) عندما كانت بهـا تنتهـي حدود دنياهم كما كانت تنتهي بإيلامتو في جهة الشرق ومارتو في الغرب والخليج في الجنوب . وفي الواقع لا يمكن التأكيد على إعتقادات سبايزر ، لأن سوبارتو كانت مقاطعة واسعة إعتبرها المنجمـون جزءاً من جهات العالم الأربع حيث أعتبرت آشور فيما بعد جزءاً من سوبارتو (الشــمال) . ومهمـا يكن الأمر ، فإن إصطلاح سوبير هو من إخــتراع الســومريين . ويشـير نـص بـابلي قديـم مـن عهـد سرجون إلى أن «سوبارتو ظهر أخيراً بكثرة سكانها حيث إمتلكوابالقوة أكد » . راجع

Jorgen Laessoe, People Of Ancient Assyria. English copy, London 1963, P. 25.

وعلى كل حال فإن كنية *SU.BIR* شوهدت لأول مرة في نص يرجع إلى عصر لوغال آنــي مونـدو *Lugal - anni - mundu* الذي حكم مدينة أدابا (تل بسمايه الحالي) خلال الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد أي قبل العصر السرجوني في أكـد ، وقد وردنا نسخة مــن هـذا النـص مـن مدينـة إيسن دُونت في وقت لاحق ، وفيها إشارات مهمة حول مقاطعات وبلدان مثـل عيـلام وماراهشـي (الصيغة السومرية لپاراهشي) وكوتيوم وسوبير وآمورو (مار تو) وســوتيوم . حـول هـذا الموضـوع راجع كل من پوبيل وهرتسفيلد :

A. Poebel ,Histirical and Grammattical Texts (HGT), PBS V (1914),75, col. 4. 10, and 27 - 28. ; E. Herzfeld, The Persian Empire, P. 55f.

وإستناداً على هذه الحقائق بنى أقرام سپايزر إعتقاداتــه حـول تـأريخ وادي الرافديـن ومـا تحيطـه مـن البلدان التي صنفها السومريون القدماء على أساس وحدات سياسية [راجع سپايزر ، نفـس المصـدر ، ص ١٢٥] ، وبناءً على النص السومري للملك آدابا لوگال آني موندو ، فإن سوبير كـانت تقـع بـين كوتيوم وآمورو ، وبذلك كانت تشمل مجمل المناطق الشمـالية لوادي الرافدين .

كانت الصيغة الأكدية لسوبير هي «سوبارتو» علـى غـرار «عيلامتـو» ، وقـد شـوهدت هـذه الصيغة لأول مرة في سجل نارام سن كانت تُقرأ بالكتابة الصوريــة (الآيديوغـرام) السـومرية بصيغـة سوبارتيم كمضاف إليه ووُصف كـ(كَلام *KALAM*«بلاد») . راجع :

Royal Inscription from Ur (URI) 274, col. 1. 13., ed. C. J. Gaad and L. Legrain, Publications of the Joint Expedition of the British Museum and the Museum of the University of Pennsylvania to Mesopotamia, Philadelphia, 1928

فكان يحكمها زعماء حملوا كنيــة إنسـي سـوبارتو(٥) *ênsi (k) Subartu* . وهنـا جدير

وللتأكيد شوهدت نسخة من هذا النص في مدينة أور وهي لا تخرج عــن قـاعدة النسـخة الأصليـة ، ونسخة نارام سن تحتوى بدقة على نفس المعلومات . فالنسخة الأكدية تبدأ كما يلي :

NIM^ki Kà.li.sa.ma a.di.mà pa.ra.ah̲.se^ki u KALAM. SUBAR su.bar.tim^ki a.di.mà GIS.TIR^ki gis erenim,

«نارام سن ، ملك أكد ، حاكم ؟ ... بلاد عيلام ، كلهـا ، بعيـداً حتى بارهشـي وبـلاد سـوبارتو وحتى غابة الأرز» [راجع المصدر السابق وكذلك هرتسـفيلد ، نفـس المصـدر ، ص ٦٥] . وبذلـك يشير هذا النص إلى أن بلاد سوبارتو كانت تبدأ من بارهشـــي في شمـال شـرق عيـلام وتسـتمر حتى جبال أمانوس في بلاد آمورو . راجع :

Royal Inscriptions from Ur (URI), ed. C. J. Gadd and L. Legrain, Publications of the Joint Expedition of the British Museum and the Museum of the University of Pennsylvania to Mesopotamia) Philadelphia, 1928, P. 73, note to col. 1

أعطى ملوك وادي الرافدين إهتماماً خاصاً لأخبار سوبارتو حيـث إعتبروهـا بـلاداً واسـعة أكـثر مـن كوتيوم التي إعتبرها ملك آدابا جزءاً منها ، بينما ميّز النص المكتشف في أور كما في نــص حمورابي بلاد كوتيوم عن سوبارتو ، أما لولو فلم يُعتبر من ضمن هذه البلدان . وكما يقول سبايزر في مؤلفـه [*Meso. Orig. P. 126*] ، فإن سوبارتو شملت كل شمال وادي النهرين وكان لها مفهوماً جغرافياً لا غير . وعلى هذا الأساس لم يستعملها نارام سن بمفهوم أثـني حيـث شملـت في زمانـه كذلـك موطـن الكوتيين وربما جزءاً من بلاد اللولو . وبناءاً على ذلك ، فإن سوبارتو كانت أوسع مساحة مـن بـلاد الأكديين والسومريين وشملت مجموعات أثنية عديدة .

(٥) راجع *A. Ungnad* ، نفس المصدر ، ص ٤٥ . وعلى رأي هرتسفيلد ، فإن مسلة نارام سـن المكتشفة في منطقة ديار بكر والموجودة حالياً في المتحف البريطاني تشير إلى غارات الأكديين إلى هذه المناطق من بلاد السوباريين . وتشهد المسلة المكتشفة في سوسه (عاصمـة العيلاميـين) علـى الغـارات التي شملت المناطق الواقعة على شرقي نهر دجلة وإنتصار الأكديين هناك علـى شـعب اللولـو ، ولعـل صورة دربندي كاور في قرداغ تشهد على مثل هذا الحـدث . وكمـا نقـرأ في نصـوص لوغـال آنـي موندو ، فإن نصوص نارام سن تشير إلى أن سوبارتو شملت المناطق العليا حتى في جبال أمـانوس الـتي

بالإشارة إلى النصين السومريين المسجلين على لوحين يعودان إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد على حد قول العالم الأثري الفرنسي ثيورو دانجين يتحدثان عن شعب سوبارتو بصيغة (سو) الساكن قرب *UMA - DA KAR - DA - ka* «مقاطعة قردى»(٦) ، وعلى حد قول درايفر أن بلاد السوئيين كانت تقع إلى الجنوب من بحيرة وان(٧) . وبناءاً على هذه الأقوال ، فإن الأراضي الكوردية الحالية فيما بين بحيرة وان (تركيا) في الشمال والحسكة (سوريا) في الجنوب سميت في النصوص المسمارية السومرية والأكدية بلاد سو وكوردا التي شملت مقاطعة كَرْدا (قردى) . وهذه المصادر تشير إلى إرتباط المقاطعات الشمالية لسوريا مع سوبارتو التي شكلت المركز على حد قول *J. J. Finkelstein* فينكلشتاين . والقراءة الأخيرة لهذه الكنية الواردة في السطر ١١ من سجل إدريمي(٨) ملك أيمخد في ألالاخ

لم تُعتبر من بلاد آمورو ، ويرى أونغناد [*Ungnad, P. 117*] أن سوبارتو بهذا المفهوم الواسع كانت تعني كل الشمال بالنسبة للأكديين وقد أشارت بعض النصوص إلى ملك حلب وأمانوس من ضمن ملوك هذه البلاد [راجع *KBO III, 13, BOTU II, 13*] .

(٦) راجع ثيورو داجن :

Thureau - Dangin, Notice Sur La Trois, eme Collection de Tablettes. Revue d' Assyriologie, Tom.V, No. 3, Paris 1902, P. 99,101; VI, 67.

(٧) بناءاً على كتاب (الشرفنامه) للأمير شرف خان البدليسي ، فإن مينورسكي يقارن في مقاله (الكورد) المنشور في دائرة المعارف البريطانية بين موقع (سوي) قرب بتليس وكنية (سو) الواردة في النصوص السومرية ، في حين كانت سوبار (أو شوبريا) بنظر الآشوريين تقع إلى الجنوب من مدينة موش الكوردية ، راجع بالروسية الصفحة السابعة من مقال ملكشفيلي ***Г. Л. Мелекшвили, Наири-Урарту, Урариски Клиописные Надписи.Москва,1960, Стр.*** 7 وهي شوراو الحالية قرب ديار بكر (كوردويني القديمة) . للإستزادة من هذه المعلومات ، راجع أرنست هرتسفيلد ، نفس المصدر ، ص ١٥٨ وما بعدها .

(٨) كانت ألالاخ (تل عطشانه) في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد عاصمة مملكة أيمخد التي نشأت قرب مدينة حلب الحالية ، وحكمها إدريمي في أواسط القرن الخامس عشر ق. م. عندما أصبحت حماه شمال نوهاشه عاصمة له . حول هذا الموضوع راجع :



نصب إدريمي ملك ألالاخ (تل عطشانة)
عامل الإمبراطور سلوسستار الميتانني
القرن الخامس عشر ق . م .

جاءت من قبل *Landesberger* بصيغة *SU.BIR* . ولا ريـب في إعتبـار مقاطعـة ألالاخ (تل عطشانه) في القرن السادس عشر قبل الميلاد جزءاً من بلاد سـوبارتو وشملـت كذلـك مملكة نوهاشه **Nuḫašše** (نوهاسه الحثية ولوكوس الآرامية ولوهوتي الآشورية) التي كانت تقع إلى الجنوب من حلب وردت أخبارها في سجلات تل العمارنة بمصر . ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن الكنية الآشورية الحديثة نوهـادو *nu - ha - DU* الـتي يفضـل أونغنـاد قراءتها بصيغة *Na-ḫa-sa* كانت ترادف سوبارتو على هذا الأساس وقد دعم هذا الـرأي فون سودين(٩) . أن قراءة أونغناد قـرّب الموضـوع مـن حقيقتـه بتعـاقب أسمـاء مقاطعـات وردت في نصـوص بوغـاز كويـي(١٠) مثـل **Kizwatna, Ḫalpa, matSu -bā-ri-i** «كيزواتنا وحلبـا وسوباري» ، وأن نوهاشه تتطابق بالضبط جغرافياً مع سوبارتو إسـتناداً على مقترحات أونغناد . أمـا حمورابـي فقـد إسـتعمل في مدوناتـه كنيـة سـوبارتو بمعناهـا

B. Landesberger, Assyrische Königsliste und «Dunkles Zeitalter». "Journal of Coneform Studies (JCS) 1954" 8, 55, n.99.

(٩) *W. Von Soden, Syllabar 51 ; Akkadische Handworter - Buchlieferung 7. 1966, s. 662ff.* وفي العصر الأكدي كانت سوبارتو تشمل كل المناطق الشمالية لـوادي الرافديـن

(١٠) راجع *Keilschrifttexte aus Boghazköi (KBo), Lepzig - Berlin, I, 22 rev. 4ff.*

وحول إنتقادات نظرية لاندسبيرغر راجع *C. J. Gadd, Kirkuk: Tablets from Kirkuk, Revue d' Assyriologie et d' archeologie orientale (RA) XXIII, Paris 1926, P. 66*

ويشير سبايزر إلى أنه يجب عدم تجاهل أقوال لاندسبيرغر كلياً . وربما مصدر الخلاف في هذه القضيـة برأيه تأتي من تضارب المعنى الأثني والجغرافي لكنية سوبارتو . وفي الواقع ، فـإن للكنيـة بـدون شـك مفهوم جغرافي كانت تضم على أغلب الإحتمال المناطق الشرقية من نهر دجلة بشكل عام ، وبالتـالي سكنها مجموعات أثنية حملت هذه الكنية وتسرب أبناؤها حتى إلى مناطق نهر الفرات الوسطى حيث عرفت بواسطتهم جهات أخرى بهذه الكنية .

الحدود كبلاد شملت نوعاً متميزاً من السكان(١١) . وكأمر واقع ، فإن القصد من هذه الكنية في البداية كان نوعاً من سكان متميزين ، في حين شملت تدريجياً مختلف الأقوام ومنهم الآشوريين(١٢) . ورغم قلة المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع في القرن الماضي ، فإن الحقيقة أدت بفنكلشتاين إلى أن يقول في المؤتمر ٤٣ للمستشرقين الذي عُقد في كمبرج يوم ٢٥ آب من عام ١٩٥٤م :

« *A major factor contributing to the dificulties attending the subject of Subartu, Subarians and Hurrians has been the paucity of onomastic evedence both for the ethnic and the geographic aspect of the problem* ».

وكان گيلب *I. J. Gelb* قد إستطاع قبله بنصف قرن أن ينظم ٢٩ إسماً علماً يمكن تعريفها بأسماء سوبارية ، ومن ضمنها عُرف خمسة أشخاص كسوباريين(١٣) . ومهما يكن الأمر ، فإن أغلب المناطق الشمالية لوادي الرافدين عُرفت في المصطلحات البابلية بسوبارتو. ومختلف السكان من غير الساميين ، سواء كانوا من الخوريين أو اللولو أو من غيرهم ، شملهم إصطلاح سوباريين الذي كان يعني في الوقت نفسه (الشماليين) أو (سكان المناطق العليا) . وبكلمة أخرى ، فإن التفتيش عن قوم معين بإسم سوباري هو جهد عقيم لأنه كان يعني موقعاً جغرافياً واسعة الأرجاء لا غير . أما التأكيد على

---

(١١) راجع : *E. A. Speiser, Mes. Orig.* **P.127.**

(١٢) *A. Ungnad, Beiträge zur Assyriologie VI 5. 20.*

(١٣) راجع العدد التاسع من مجلة الدراسات المسمارية :

J.J. Finkelstein, "Subartu and Subarians In Old Babylonian Sources " Journal Of Cuneiform Studies (JCS) 9, New Haven, Connecticut, U. S. A 1955, P.7.

وكما يعتقد سبايزر [ص ١٢٧ من نفس المصدر] ، فإن الناس المتميزين أثنياً بصورة خاصة مثل اللولو والكوتي والآشوريين عُرفوا جميعاً بالسوباريين . وحول بعض جوانبهم اللغوية راجع كتاب سبايزر .

العلاقات الأثنية فيمكن أن يكون من خلال المسميات الأخرى . واليوم ، يمكننا تمييز سكان سوبارتو من الخوريين واللولوبيين والكوتيين الذين أصبح أحفادهم يُعرفون عند الإيرانيين بأهل كوهستان (سكان ميديا) ، الإصطلاح الجغرافي الذي ترجمه العرب في بداية العصر الإسلامي إلى (بلاد الجبل) كما نراه في كتاب نزهة القلوب لحمد الله المستوفي القزويني وغدت هذه البلاد مقسمة إلى الكور (جمع كورة)(١٤) .

---

(١٤) أستعملت العرب الإصطلاح السومري القديم ***kur*** كور (كورة) بمعنى المقاطعة . ومن الجدير بالإشارة إلى أن الآشوريين لم يستعملوا مصطلحاً بمفهوم الشمال كما عند البابليين ، وإنما كانت تعني هذه الكنية عندهم الشرق . حول هذا الموضوع راجع :

P. Dhorme, "Abraham dans le cadre de l'histoire, " Revue Biblique (RB), Paris 1928, P. 178.

أما إصطلاح كوهستان (بلاد الجبل) الإيراني فلا يزال مستعمل كـ(كويستان) من قبل الكورد في كوردستان الجنوبية بمعنى «المراعي العليا الباردة» بدلاً من الزوزن (زۆزان) المستعمل في كوردستان الشمالية والوارد ذكره في معجم البلدان لياقوت الحموي . فمصادر وفروع نهر الفرات التي كانت تمر بقرب ملاطية وكوبجين وتمر ١٠٠ ميلاً تقريباً نحو الجنوب ومروراً بـ ٦٠ ميلاً إلى الشرق من حلب لم تكن معروفة لدى الأكديين تماماً ، لذلك أصبحت تسمية (البلاد العليا) عندهم مرادفة لـ(البلاد الشمالية) فإستعاروا الإصطلاح السومري **<u>H</u>arsag** وحولوه إلى **<u>h</u>ursâni** كما نقرأه في سجل الملك سرجون الأكدي . راجع :

Poebel, Hist. Gramm. Texts v, 34, VI, 1.] and in Narâm Sîn Ur n⁰ 274 : "the lord of the Upper Countries, aliâtim" [later êlâti, cf. Landsberger OLZ 1931, col. 130f.

أو كما إعتبر نارام سن [Narâm Sîn Ur n⁰ 274] نفسه سيد البلاد العليا (علياتيم أو عيلاتم في وقت لاحق) [راجع *Landsberger OLZ 1931, col. 130f.*] . ولإعتبارات طوبوغرافية متعلقة بمجرى نهري دجلة والفرات إعتبر الأكديون مملكة ماري وكل مناطق فرات الأوسط بين آونة وأخرى من ضمن البلاد العليا (عيلاتم) .

وهكذا ظلّت طبيعة كوردستان الشمالية مبهمة عند الأكديين حيث أطلقوا عليها إصطلاح *hursâni* خورساني(١٥) .كما دونه كل من سرجون ونارام سن معتبران أنفسهما في سجلاتهما سادة البلاد العليا (علياتم) أيضاً(١٧) .

أما بالنسبة للآشوريين ، وإن كانوا قد ورثوا إصطلاح (علياتم) من الأكديين ، لكنهم إستعملوه حسب معايرهم الجغرافية ، فكان من المعقول أن يسموا المناطق الواقعة على نهر دجلة شمال نينوى ، وخاصة بدليس چاي وبحيرة وان بـ(علياتم) ، بينما لم يطلق شمشي عدد ولا الآخرون من ملوك آشور هذه الكنية على لبنان أي مناطق أمانوس وأنتي طوروس رغم تحديدهم لأماكنها في سجلاتهم . وأصبحت هذه الكنية تُعبر عند الآشوريين عن مقاطعة إدارية وليست جغرافية كما كانت الحالة عند السومريين والأكديين . وكالأكديين الذين فتحوا طريقهم عبر المناطق العليا لنهر الفرات ، فإن الآشوريين وسعوا بدورهم علياتم بقدر توسعهم السياسي والإداري في هذه البلاد

وقد إستعمل الحثيون إصطلاح KUR UGU بمعنى البلاد العليا وحددها فورير إبتداءاً من جبال طوروس لحد نهر هاليس بينما مدّ غوتز هذه الحدود نحو الشمال الشرقي حوالي سيواس وتصور أن تضييقاً حصل في تقليل مقاطعاتها ومنه تومينّا وپالا وتومانا . حول هذا الموضوع راجع :

Kleinasien zur Hethiterzeit, in AO, 1924, 7ff., and Kizzuwatna, 1940, map

فكما يقول هرتسفيلد ، فإن هذه المواقع تتصل بنهر الفرات الأعلى ووديان مراد صو وعلى بعد ١٨٠ – ٢٨٠ ميلاً عن سيواس ، وكانت KUR UGU تشمل كذلك ديار بكر . راجع هرتسفيلد ، نفس المصدر ، ص ٥٨ .

(١٥) هرتسفيلد ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(١٦) *Poebel, Hist. Gramm. Texts V, 34, VI, 1.*

(١٧) وفي وقت لاحق أصبحت الكنية عيلاتي ، راجع :

E.Herzfeld,LOC;Landsberger OLZ 1931, col. 130f.

فإنتشرت سلطتهم فيها عبر ديار بكر .

وفي هذا الصدد يمكن القول بأن عدداً من المصطلحات الجغرافية والأثنوغرافية التي إستعملها سكان وادي الرافدين كانت تنبع من واقعهم ومعاييرهم وفهمهم لمظاهر الطبيعة والمجتمعات . فالإصطلاح السومري (*ideogr. Mā ri + tu*) المعروف عند الأكديين بـ(عَمورو «سكان سوريا القدماء») على سبيل المثال كان يعني في نفس الوقت (جهة الغرب) أو حتى (الرياح الغربية) وكانت هذه المفاهيم معمولة بها عند السومريين والأكديين ، لأن العموريين أنشأوا مملكتهم في المناطق الوسطى من نهر الفرات وحوالي وادي نهر الخابور الجنوبي (غرب وادي الرافدين) وذلك خلال النصف الأول من الألف الثاني ق. م. وأصبحت مدينة ماري (تل الحريري) مركزاً لهذه المملكة(١٨) .

ومنذ إنتشار مصطلح (إيبر ناري «عبر النهر») المقصود به نهر الفرات ، فإنه حلّ محل إصطلاح آمورو ، ولكن ليس كما يؤكد ذلك العالمان لاندسبيرغر وجينسين *P. Jensen*
eine ethnische Bezeichnung liegt diesem Namen nich zugrunde" - sadû
amurrê «جبل الغربيين » [راجع *ZA x, 338*] ، لكن هذا الإصطلاح شوهد في سجلات تل العمارنة بصيغة amurrî mât وتعني (البلاد الغربية) ، في حين أخذ يعني (الرياح الغربية) صيغة *IM MAR. TU* في المصادر الأخرى . ومن الجدير بالملاحظة هنا فإن الأكديين إستطاعوا أن يتعرفوا في نهاية الألف الثالث على اليونانيين (ياوانا *iawana*) الساكنين بعد بلاد سوبارتو وسجلوا كنيتهم وأخبارهم على النحو التالي :

iawana ša ina tā [mtum u sa i]na nibirtum nār marratum asbû «اليونانيون القاطنون في البحر وأولئك على ساحل المحيط» ، ثم سجّل الملوك الإخمينيون على سفح جبل بهستون وبرسيبوليس وشوشه في فترة لاحقة هذا الإصطلاح بصيغة يونا :

yônā tyê daryahya uta tyê huškahya . ومن جهة أخرى ، فإنه بالرغم من أن

---

(١٨) راجع : د . سامي سعيد الأحمد و د . جمال رشيد أحمد ، تأريخ الشرق القديم ، من منشورات جامعة بغداد ١٩٨٨م ، ص ٢٠١ وما بعدها .

الآشوريين كانوا قد تعرفوا على الآخيين بصيغة أهياوا (أخياوا) وهي المصطلح الذي أطلقه الحثيون على اليونانيين من سكان جزيرة قبرص(١٩) ، إلا أن الإيرانيين ظلوا يطلقون مصطلح (يون وجمعه يونان) على جميع القبائل اليونانية ولا يزال معمول به في اللغات الكوردية والعربية والتركية لحد اليوم ، بينما إستعار الآشوريون كنيتهم القومية من إسم معبودهم الكبير آشور(٢٠) مثلما إشتهر بنفس الطريقة الكاشيون والعموريون والخلديون .

---

(١٩) إن حوليات الملك الحثي مورسيلي (١٣٠٠ - ١٣٤٠ ق. م.) تشير إلى علاقة هذا الملك لفترة عشر سنوات بالملك أوختاليوس ملك أرزاوا الذي طلب اللجوء بمرافقة ولديه إلى البحر حيث مات هناك . لقد نشر غوتز وهرتسفيلد قطعة من هذه الحوليات في دراساتهما التالية :

A. Goetze [In Friedrich, Kleinas. Forschgn. I, 1, P. 95f; BO. 8245; cf. also E. Herzfeld, The Persian Empire, P. 92],

A. Goetze [In Friedrich, Kleinas. Forschgn. I, 1, P. 95f; BO. 8245; cf. also E. Herzfeld, The Persian Empire, P. 92],

حيث ورد فيها خبر مصير إبنه كما يلي :

... and son of Uhhalius ... who from the sea ... to the ki{ing of the - country} Ahhiyavâ ... with ... I sent

وهنا نستطيع أن نشير إلى أن المقصود من البحر هو جزيرة كانت تابعة لملك أخّياوا . وقد إستعمل الإخمينيون هذا المصطلح بصيغة (*tyê drayahya*) وكانوا يقصدون بسكانها يونانيو جزيرة قبرص وسجلوا إسمها عادة بعد مصر وقبل سبارطة وليديا ويونا . حول هذه المصطلحات في كتابات بهستون راجع :

Sir Henry Rawlinson in The Journal of the Rpyal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, 1846 - 1851

(٢٠) لم يكن آشور كمعبود معروفاً لدى الشعوب السامية ، بينما كان الإله عمورو زوج الإلهة عشيرات هو إله الحرب حيث إشتهرت به كنية العموريين ، وعلى أغلب الإحتمال ، فإن كنية

ومن الأمور التي يجب توضيحها هنا هي ما تتعلق بالتقاليد الآسيوية الغربية التي تفسح لنا بعض المجال للتعرف على أسماء أقوام ظهرت على مسرح الأحداث بإنتماءاتهم الدينية وكنية أحد أعضاء مجمعهم الإلهي ، لكن بوصول العناصر الهندية – الإيرانية إلى شمال وادي الرافدين تغيرت هذه التقاليد تدريجياً حيث إشتهرت أسماء وحدات القبائل الإيرانية أما بتأثير الظواهر الجغرافية أو بالمسميات الطوبوغرافية السائدة في سوبارتو . وعلى هذا الأساس إستعار الإخمينيون لأنفسهم كنية Pārs - u / Pārs - ua / Pārsumaš المشتقة من الإصطلاح الجغرافي الأكدي القديم لمقاطعة پارَهْشي ، ثم حوّل الآشوريون هذا المصطلح إلى پارسوماش(٢١) وغدت إقليماً من أقاليم ميديا في جنوب بحيرة أورميه ، وأخيراً أصبح يُعرف بكوهستان(٢٢) . وبنفس الطريقة إشتهر إسم الفرث (پورث) من خلال الكنية الجغرافية لبلادهم الأصلية پارثاڤا (توركمانيا الحالية) ، في حين عُرف الساسانيون بإسم ساسان كاهن معبد أناهيتا وجِد أردشير مؤسس الدولة الساسانية . ومع كل هذه الحقائق فقد عنى سكان وادي الرافدين القدماء من مفهوم سوبارتو كل المناطق الشرقية والشمالية التي إحتوت مقاطعة بارَهشي وأوركيش ونَوار وكوتيوم وزاموا وسيموروم وأوربيللوم(٢٣) وحتى آشور(٢٤) ، وأطلقوا عليها أحياناً إصطلاح ālim Hurra ki «أرض

الخوريين مرتبطة بإله الشمس خوار (خور) الهندي الآري الذي شوهدت في الكاشية والسنسكريتية والميتانية بصيغة (سوار (š) *Suarr / Suriya*) . وعلى نفس الأساس عُرفت القبائل الكاشية بإسم المعبود كاش كما إشتهر الأورارتيون بإسم المعبود (خلدي) .

(٢١) هذه هي صيغة آشورية للإصطلاح الأكدي *Pârahs - î / Pârahs - u.* .

(٢٢) كان للمصطلح الطوبوغرافي *Kur - da* نفس الحالة عند تطوره نحو مفهومه الأثني كما جرى لمصطلح *Pârs - ua* . حول هذا الموضوع أنظر إلى الفصل التالي من هذا الباب .

(٢٣) تتمثل اليوم هذه المناطق بكوردستان الشرقية والجنوبية . راجع الصفحات التالية .

(٢٤) راجع :

B. Landesberger, Zeitschrift für Assyriologie und verwandte Gebiete (ZA) XXXV, Berlin - Leipzig, S. 230.

خورّا العالي» ، وقد غزاها زيمريليم ملك ماري المعاصر لملك بابل حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق. م.) بجيشه الجرار . أما إصطلاح ماتوم عليتوم «البلاد العليا» فقد ظهر أحياناً بدلاً من سوبارتو في بعض سجلات ملوك وادي الرافدين ، وإن نص زيمريليم (١٧٥٩ – ؟)(٢٥) الذي يتحدث فيه عن غزواته في ماتيم عليتوم ضم توتّول وكان هذا جزءاً من سوبارتو في الأصل والمقصود منه المناطق العليا لنهر خابور(٢٦) ، في حين شملت البلاد العليا *šā elenum* كل من قرقميش وزلماقوم التي ظهرت فيها فرسان السوبارتو من الميران(٢٧) . وكل هذا التخبط في إستعمال الإصطلاحات ظهرت في الواقع خلال العصر الأكدي القديم .

ومهما يكن الأمر ، فإن بروز جذور أسماء الأعلام السوبارية لا يدل على وجود عنصر أثني بإسم السوباري(٢٨) ، وأن الدلائل الجغرافية التي ظهرت في المكتشفات الأثرية تقدم لنا حقيقة واضحة مفادها أن سوبارتو ، بنظر البابليين كانت أرضاً

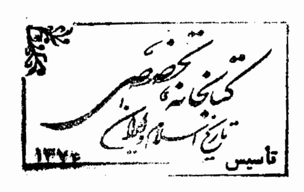
---

(٢٥) في النصف الأول من القرن العشرين ، إكتشف أعضاء البعثة الأثرية الفرنسية في مكتبة قصر زيمريليم بمدينة ماري (تل الحريري) حوالي ٢٠٠٠٠ لوحاً مسمارياً [أنظر إلى الأرشيف الملكي في ماري *Archives Royales de Mari (ARM) II, 21, 17 ff.*] بينما احرق حمورابي هذه المدينة بين أعوام ١٧٥٩ – ١٧٥٠ ق. م. [راجع مؤلفنا ، تأريخ الشرق القديم ، ص ٢٠٧ وما بعدها] .

(٢٦) *ARM I, 18, P. 26f.*

(٢٧) حول هذا الإصطلاح راجع الفصل التالي من هذا الباب .

(٢٨) كما نسمي (العراق) اليوم .



واسعة الأرجاء تبدأ من حدود عيلام إلى جبال أمانوس شمال غرب سوريا كما نقرأ هذه الحقيقة في سجل سرجون ملك أكـد(٢٩) الذي يقول فيه :

iš - ta mãt hur - sag eri / nni adi As - sa - as // - za - as // ki mat SU . BIR ki

كما يضيف سرجون(٣٠) قائلاً :

ma - tã m c a - ll - tãm ... Ma - ri - am I - ar - mu - ti - a - am ki Eb - la ki a - di - ma GIŠ. TIR giš ERIN ù KUR. KUR. KU [أي بلاد الجبال] .

ومن جهة أخرى ، فقد حدّد حمورابي في يومياته موقع سوبارتو في الجهة الشـرقية لنهر دجلة (أي في كوردستان الجنوبية الحالية) وسجّل هذه المعلومات كما يلي(٣١) :

Mã rhãš ki ta SU. B î R ki Qutium ki Ešnunna ki ù Malgiki ki Ešnunna ki SU. BIR *Qutium ki ; Qutium ki* SU. BÎR ki *Tukrîš ki*

وفي نفس الوقـت ، فـإن إصطـلاح سـوبارتو أصبـح يعـني تدريجيـاً عنـد السـومريين والأكديين جهة (الشمال) التي كانت تسكنها مجموعات أثنية متنوعة(٣٢) ، وكـان أغلـب هذه المجموعات غير سامية وغير هندية آرية تكلموا بلغات محلية غريبة(٣٣) لم يكن يفهمها

---

(٢٩) عاش سرجون مؤسس السلالة الأكدية في القرن ٢٤ ق. م. وكانت كنيته في اللغات السامية شاروكين الذي يفيد معنى الملك الصادق أو الملك الشرعي .

(٣٠) *PBS XV, 41 obv. V - VI + PBS V, 34 obv. V - VI* .

(٣١) راجع كل من سدني سميث وأونغناد :

Sidny Smith, Ur Excavation Texts (UET) I, London 1928, P. 73 ; Ungnad, Subartu... P. 46ff. ; (Hamm. 30, 32).

(٣٢) *Jorgen Laessoe, People of Ancient Assyria. London1963, P.25 (English Edition).*

(٣٣) في الواقع ، كان النوزيون (سكان موقع يورغان تبه بجنوب كركوك) يسجلون أسماء الأعـلام السوبارية بدقة أكثر ، بينما كان البابليون ، ولبعدهم عن ثقافة ولغات سكان سوبارتو ، غير دقيقين في تسجيل هـذه الأسمـاء ، وقـد إعـترف حمورابي في سـجل مـن سـجلاته بهـذه الحقيقـة قـائلاً :



عـدد من الأسرى السوباريين الذين ساقهم سرجون
إلى مدينتـه أكـد في الألف الثالث ق. م.
متحف لوفـر

سكان المناطق السفلى من وادي الرافدين ، وبسبب غارات وغزوات الملوك السومريين والأكديين نحو المناطق الشمالية لبلادهم وإتساع معلوماتهم الجغرافية عن تضاريسها وطبيعة سكانها ، فقد تغير معنى سوبارتو على ما يبدو منذ العصر الأكدي المبكر ، فسماها نارام سن (٢٢٩١ – ٢٢٣٥ ق. م.) كلام سوبور Kalām Subûr أو سوبارتيم Su - bār - tim حيث جلب نظره هناك خيولها المتميزة التي سماها بحمير سوبور(٣٤) ENšî SUBUR[ki] مما يدل على توافد الهنود الآريين مع ENšî (الخيل) ، الحيوان الغريب عن الأكديين والسومريين ، إلى المناطق الكوردية الحالية منذ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد . ومن المعلومات الواردة في سجل ملك أكد تلك التي تخص حقيقة وسعة مساحة بلاد سوبارتو الغنية بمواردها بحيث كانت أخبارها تصل حتى سوريا والأنضول خلال هذه الفترة المبكرة من تأريخ الإنسانية ، ومن الطبيعي أن يبدأ الجيران كالأكديين والعموريين والحثيين بغزوها من كل حدب وصوب .

Qutim (ki) Subârtu (ki) Tukrîš (ki) ša sadù - sunu nesù lišan - sunu ergu

« كوتيوم وسوبارتو وتوكريش ، جبالها بعيدة وألسنتها معقدة (غير مفهومة) » . حول هذا النص راجع :

E. M. Speiser, Mesopotamian Origins. Philadelphia 1930, P. 89 f.

(٣٤) يقول نارام سن ... *a - di - ma GIŠ. TIR gišERIN* راجع [UET I 274 i 12 ff.]

ثم يتحدث عن :

ENSI.ENSI SUBUR[ki] U EN.EN a-li-a-tim



مسلة نارام سن (٢٢٥٠ - ٢٢٠٠ ق. م.)

رمز غارات الأكديين على بلاد سوبارتو

متحف لوفر

الفصل الثاني

المناطق والمدن الرئيسية

في

بلاد سوبارتو

١) ألابريا Alabbria :

عُرفت المناطق العليا لنهر الزاب الصغير جنوب غرب بحيرة أورميه التي تتجمع عليها الثلوج في كل سنة ببلاد ألابريا (ألابيريا) من قبل ملوك آشور ، وقد شملت هذه البلاد كذلك المناطق الشمالية الشرقية لموطن اللولوبيين المعروف بـ(زاموا) طالما سلكها ملوك آشور مع عساكرهم من أمثال سرجون الثاني وتيغلات بلاصر وأسرحدون ويمرون من محور بنجوين الحالي ويعبرون سهل مريوان بالقرب من بحيرتها الصغيرة وذلك للإستيلاء على ألابريا (أردلان) في منطقة سينيخيني (سنندج الحالية بكوردستان الشرقية) وإحتلال مدن في سبيل نهبها من أمثال خارخار وإيلليبي وكيساسسو . أما شالمانصر الثالث فلم يصل أثناء غاراته خلال أعوام ٨٤٣ ، ٨٣٥ ، ٨٢٩ ق. م. إلى أبعد من ألابريا ، بينما ساق شمشي عدّد الخيول والحمير والبغال من كيلزانو وخوبوشكيا في شمال هالمان . ومن سكان ألابريا إستلم سرجون أثناء غاراته الثامنة والتاسعة الهبات وكانت تتركب من مجموعة من الخيول المعروفة بـ(نيسايا وأرصبيني)[١] .

---

(١) راجع ص ٢٤١ – ٢٤٤ من كتاب هرتسفيلد الموسوم بعنوان :
E. Herzfeld, The Persian Empire. Wiesbaden 1968, P.24, 191,241 and 244.

٢) ألـزي Alzî :

أستعملت هذه الكنيـة في الكتابـات الآشـورية المتـأخرة بصيغـة ألشـي بينمـا شـوهدت في المدونات الحثية التي أكتشفت في بوغاز كويى كـ(ألزي) . كـانت هـذه البـلاد تقـع على الضفاف الجنوبية لنهر الفرات وعلى منابع نهر سپنه سيعر بين خيني وپالو وكـانت تشـمل كذلك أنزيت التي دونها اليونانيون بصيغة أنزيتيني(٢) Ανζιτενε ، وهـي غـير أرزنيـني أو أرزون السريانية وأرزنيك الأرمنية مع مدينتها تيگرانوكرتـا (ميافـارقين) بـين بتليـس چاي وبطمان صو شمال نهر دجلة حيث تنفصل عن ألزي – إنزيتيني عن طريق سوفانيني(٣) .

وصف بطليموس أنزيتيني كموقع بين الفرات ومنابع نهـر دجلـة ويعـرف بالكوردية ئاوي أرغني (أرغنه صو) . ومدينته هي أنزيتا التي سمته العرب بتل أنزيـت (بطـن هـنزيت) الواقعة فيما بين بحيرة كولجيك وخربوط (خـار بـرت السـجلات الإخمينيـة الواقعـة على الطريق الملكي) . وفي الحوليات الجغرافيـة لسـركجي ، فـإن أنزيـت كـانت تعتـبر مقاطعـة بيزنطية تقع بين كوبيكي في الشمال وإنجيل في الجنوب وأشار إلى *Cowk* و *Horê* (قلعـة أنزعيت) ، فالأولى هي بحيرة گولجيـك (ثوبيتيـس اليونـاني) ، والأخـرى هـي خـار بـيرت

---

(٢) راجع الترجمة العربية لحوليات تيغلات بلاصر المنشورة في مجلة المقتطف ، الجـزء التاسـع ، أيلـول ١٨٩٧م ، ص ٦٥٨ ، الهامش ٢ .

(٣) تسمى المنطقة الواقعة على الجهة الشرقية من نهر دجلة كذلك (أرزن) ومحددة بالزرم أو الزرب (وبالأرمنية جرم) ، الإسم الذي إشـتهر عنـد الإغريـق بصيغـة كنـتريتيس (بوهتـان صـو) . أنظـر إلى الكتاب السادس لبلينيوس *Pliny VI, 118 A<r>zoni* ، وربما تتطـابق هـذه المدينـة مـع أرزن أو أرزيف الواقعة في إليشي وهي قسم من *Anzavac*^{c}*ik*^{c} المعروفة عند العرب بالزوزن في بوهتـان . وهناك أرزن أخرى معروفة بأرزن الـروم قـرب البلـدة المعروفـة بقـاليقلا عنـد العـرب ، وقـد سماهـا البيزنطيون ثيودوسيوبوليس وأما العرب فحولوها إلى أرضـن الـروم . لمزيـد مـن التفصيـلات راجـع هرتسفيلد ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(قلعة خار) . فمنطقة كوبيك *Sophene - Copckc Sahunocc* تقع على شمال مراد صو وتشمل مدن خوزات ومزگرد ، ولكنها شملت قديماً كذلك *Alzi-Enzitene* ، وهكذا كانت تتاخم إنجليني ، المدينة الرئيسية التي تسمى الآن إنجيل (إنجيلا في المصادر الآشورية) على نهر آوي أرغانه على مسافة ٢٠ ميلاً شمال آميد (ديار بكر) وأقل من ١٥ ميلاً جنوب منجم النحاس لأرغني . وعلى هذا الأساس فألشي – أنزي(٤) مع مراد صو في الجنوب يشكلان المنطقة المثلثة ، ونهر الفرات في الجنوب مقابل ملاطية (في الجنوب الغربي) والسلاسل العالية لجبال طوروس التي تمتد بين بحيرة گولجيك ونهر أرغني في الجنوب الشرقي . وكان في شرق أنزيت مقاطعتان ، وهما Palna.tun في الشمال و Balahovit في الجنوب ، وكانت الأولى على شمال مراد صو بين مزگرد وپالو ، والأخرى حوالي پالو وعلى نهر مراد صو . وقد ورد إسم پالو في المدونات الحثية بصيغة پالا .

٣) أرّامو Arramu :

كانت مدينة أرّامو (أو *A-ra-mi*) في علاقة مع مدينة أشنونا ورد إسمها في نص من نصوص سلالة أور الثالثة السومرية يتزامن مع العام الأخير من حكم الملك شولگي(٥) ،

---

(٤) لا يزال الكورد الظاظا (زازا) يستعملون صيغة (هانزي) مع اللاحقة (ي) كما نراها في ترجمة الخوارزمي لكتاب بطليموس .

(٥) أن الفقرة المتعلقة بهذا الموضوع كانت حول الحصول على الحيوانات والتصرف معها :

erin As-nun^ki erin A-ra-mi^ki erin Bl-da DUN^ki. ولا نملك مواداً مكتشفة حول علاقة هذه المدينة مع الآراميين . راجع :

J. J. Finkelstein, "Subartu and Subarians In Old Babylonian Sources", Journal of Cuneiform Studies (JCS) 9, New Haven, Connecticut, U.S.A., P.2.

بينما يتبين في سجلات نارم سن الأكدي(٦) أن موقع أرّامو كان في مقاطعة سيموررّوم وتَطابق هذين المكانين من الأمور الأكيدة ، وحسب التقارير البابلية فإن القصد بهذه المنطقة كان وديان نهر الزاب الصغير التي كانت في إتصال مع أشنونا(٧) .

٤) أرّابخا Arrapha :

في سجله حول رحلته الطويلة ، وبعد المرور من خلال أرّابخا(٨) ، يصف سرجون الأكدي الطريق العالي المؤدي إلى الزابين . أما نارام سن فقد إعتبر هذه المناطق من ضمن سوبارتو(٩) ، وكانت نوزي مدينة في أواسط أرّابخا ، المنطقة التي كانت تتاخم من الغرب جبل حمرين حيث فصلها عن تيرهان وسامراء ، ومن الشرق كانت تتصل بجبال كوردستان . أما نهر ديالى الذي كان يمر من خلال مقاطعتي هالمان ونـوار فكان يُشكل الحدود الجنوبية لأرّابخا ، وفي الشمال كانت حدود أرّابخا تصل إلى نهر الزاب الصغير ، وأحياناً كانت تضم مؤقتاً مناطق حذيب وأربيل ، وإن أخبار مدن گانخار وسيموررّوم ولولوبوم وخومورتوم وكيماش وكاگال وأوربيللوم وردت في سجلات حكام السلالة الثالثة في أور على أنها مدن أرّابخا . وفي خريطة بطليموس المشوهة تظهر أرّخاباخيتيس في منطقة أكثر شمالاً ، إلا أن تحديد موقع مدينة أرّابخا فهو صحيح في هذه الخريطة .

---

(٦) راجع *I. J. Gelb, Materials for the Assyrian Dictionary I 217. 220.*

(٧) فنكلشتاين ، نفس المصدر *J. J. Finkelstein, Op. Cit.*

(٨) راجع هرتسفيلد ، نفس المصدر ، ص ١٥٢ .

(٩) قبل القرن الرابع عشر ق. م. لم يكن هناك ملك آشور ، وحتى أن شمشي عدد الأول (١٨١٢ – ١٧٨٠ ق. م.) لم يطلق على نفسه لقب شار مات آشور «ملك بلاد آشور» وإنما شار كيسّاتي على حد زعم هرتسفيلد [*E. Herzfeld, The Persian Empire, P. 10*] وعلى ختمه المطبوع على قطعة آجر يعتبر نفسه باني معبد مدينة آشور bâni bît dAssur . وعلى نسخة بابلية

جديدة المكتشفة في معبد نين كيغال قرب ترقه على نهر الفرات يظهـر بروتوكـول يـورد فيـه خـبر مفاده «أن ساكين هو قائد الإله إنليل إيسّك آشور» . وفي الرقيم الثامن من نفس المعبد يـورد النـص التالي sar kissati sakin dEnlil, pâlih dDagan, issak dAssur «إنليل هو إله أكد وداگان هو إله ترقه (وماري) ، وإيساك هو إله آشور» . وعلى صخرة أكتشف في آشور تأتينا العبارة :

šar kiššati, bāni bît dAššur, mustemki mātim birit mārIdiqlat u mārPurâtim

« ملك كل الأمم ، باني معبد مدينة آشور وموستيمكي البلاد الواقعة بين دجلة والفرات» . راجع : *F. Delitzsch, Lesestücke, MDOG 1905, P. 21, and M. Streck, in ZA XXI, 1906, 460* . وتقبع وثيقة شمشي عدد الأول التي تتحدث عن غاراته على منطقة ماردين وسـنجار كذلـك في متحف لوفر بباريس . والنصـوص هـي قسـمين ، الأول يتحـدث عـن الغـارات في أرّابخـا ثـم في أوربيللوم ، وبالتتابع نحو جنوب كركوك و ٦٨ ميلاً نحو الشرق ، ثـم إلى الشـمال نحـو أربيـل و٦٨ ميلاً نحو الشمال الشرقي من آشور . لقد بنى شمشي عدد في أرّابخا معبداً لإلهه عدد وقـدم الأضـاحي له وللإله شمش . حول تفصيـلات هـذا الموضـوع راجـع هرتسـفيلد ، نفـس المصـدر ، ص ٢١٤ .

ولحسن الحظ فقد أورد شمشي عدد أسماء البلدان المحيطة بسومر وأكد في الفقرات التالية :

The paragraph on routes begin with :

6 "[from ---] on the bank of the Euphrates [to] Zupri, country Mari ki,

7 [from to] Ia.bu.se.e, country Ra.pi.qu ki,

8 [from to] M[a.as]kan.sarri, country Assur ki,

9 [harrân, highways of] the (rivers) Tigris and Euphrates"...etc.

ويضيف هرتسفيلد قائلاً :

We may assert now, that the "highways of the Euphrates", as the definition of the first lost name by "on the bank of the Euphrates" indicates, were connected in the lost beginning of the original, with Assyria.

Line 10 - 11 likewise give a route starting from Assyria :

10 [from --]<.a to Lubdi, country Ar.rap.ha ki "

11 harrâna n narZa.ba.an e.li.i ù sap.li.i "

القديمة) لعالوم آشور ᶜâlum Assur في القرن التاسع عشر ق. م. ولكن القطع الأثرية التي أكتشفت في ماردين وسنجار(١٠) والمنسوبة على الأغلب لشمشي عدد الأول (١٨١٢ – ١٧٨٠ ق. م.) والموجودة حالياً في متحف لوفر بباريس تشير إلى غاراته المتكررة في هذه المناطق . أما السجلات الخورية المكتشفة في قلعة كركوك فزمن تدوينها يرجع إلى هذه المرحلة حيث يورد فيها خبراً مفاده أن دمتو كيرخي شيلواخو «حصن

The name "highroad of Upper and Lower Zab" is again only possible in the mouth of an Assyrian; a Babylonian would say "Lower and Upper Zâb". The country of Arrapha was a territory conquered by Narâm Sîn and often mentioned in the documents of Ur III, but never under that name which does not appear before the second millennium. The northern point of a road called "of the Upper and Lower Zab" is necessarily situated north of the Upper Zab. So, the damaged first name may have been [Ne.n]u.a., Nineveh. The southern point, Lubdi, is often mentioned as frontier post of Arrapha, on the course of the Diyala. It is at the same time a point of Shamshi Adad's southern frontier "from Aridi to Sûhi". Since it was on the highroad that crosses the Diyâla between Baradân Tepe and Jalawla, it is Baradan Tepe, a mound dominating the whole region. The roads so far discussed start at Assur or Nineveh and radiate from there, through Subârtu to the Euphrates, down the Tigris, and through Arrapha to the Diyâla.

Between the Arrapha road and the continuous road through Gutium and Niqqum, 14 - 16 as says Herzfeld [dependence on the annals of Assyrian king Shamshi Adad, cf. The Persian Empire, P. 222] are two road sections in 12 and 13 lines of the annals, through Lullubi and Armani. Lullubi is Zâmua (mod. Shârazûr), Arman must be Hulwân, both regions lie between Arrapha and Gutium. The two section apparently branched off from the Arrapha road to the SE, and the point for the Lullubi road would naturally be at Kirkuk, for Arman road at Tuz Khurmâtu or at Kifrî.

(١٠) راجع : *Der Alte Orient* (*AO*) 2776 (Leipzig)



دمتو كيرخي شيلواخو
حصن مدينة شيلوا
(قلعة كركوك حالياً)

مدينة بني شيلوا» كانت تحوي عدداً من المخازن الخاصة لحفظ المؤن عُرفت آنذاك عند البابليين ببيتاتو كوباتو «قبو الأغذية» . وبعد ٣٠٠ عام نرى هذه البلاد تحت نفوذ الميتانيين بدليل إكتشاف رسالة الملك شاوشتّار في نوزي المرسلة إلى عامله إتخيا (إتخي تيلا) السوباري ، وكان أغلب الأسماء التي شوهدت في هذه السجلات محلية لها صلة بلغة سكانها من الكوتيين والخوريين . في الواقع لم يستمر الحكم الميتاني فترةً طويلةً في هذه الديار ، فبعد زوال المملكة الميتانية قُسمت سوبارتو فيما بين الآشوريين والكاشيين وظلت أرّابخا ومعها دمِتو كرخي شيلواخو (قلعة كركوك) فيما بين القرن الثالث عشر والثاني عشر ق. م. جزءاً من مغانم ملوك آشور الذين لم يتركوها في سلام ، وأثناء عبورهم من خلالها كانوا يثقلون كاهل سكانها بالجزية والأتاوات .

تتحدث المصادر التأريخية(١١) المتزامنة مع الفترة المذكورة عن الحروب بين إنليل نيراري الآشوري وكوريگالزو الثالث الكاشي ملك بابل في ١٣٣٠ ق. م. التي إنتهت على حدود أرّابخا بحيث قسّما البلاد من مدينة ساسيلي في سوبارتو حتى كاردونياش على قسمين وحددا أراضيهما وجبهتيهما ، فصارت بلاد وادي الرافدين تُعرف في البرتوكولات الرسمية الكاشية بجبهتيه (سوبارتو – آشور وكاردونياش – بابل) . لقد عُيّن موقع ساسيلي في سجل من سجلات توكولتي نينورتا الأول حوالي ١٢٥٠ ق. م. بعد أن أغار هذا الآشوري على كوتيوم (منطقة أردلان بكوردستان الشرقية) مشيراً إلى أن مدينة تَرْسينا كانت تقع في المنطقة الجبلية بين مدينة ساسيلي وبَرْپانيش على نهر الزاب الصغير ، وكما يظهر من سياق السجل الذي يتحدث عن الغارات على كوتيوم ، فإن

---

(١١) أنظر إلى خارطة هرتسفيلد في :

Paikuli, Monunents and nscriptions of the Early History of th Sasanian Empire. Berlin 1924.

المقصود بموقع هذه المدينة هو سهل رانية وقلعه دزه على منابع الزاب الصغير . ومـن جهـة أخرى ، فإن مدينة أرّابخا ولوبـدي وكـركـوك وبـرَدان تبـه(١٢) كـانت تُعـرف بمعـاقل

---

(١٢) راجع : J. Seidmann in Mitteilungen der Altorientalischen Gesellschaft (MAOG) IX, 3,Leipzig 1935 .

عندما عبرت القوات المقدونية نهر الزاب الصغير ، يخبرنا بلوتارخ [في الكتاب ٣٥ من حياة إسكندر] بأن الجيش المقدوني توجه بعد معركة گوگميلا نحو بابل عبر أرباخي Arpahi (أرّابخا) ، ومما جلب نظر المقدونيين هنا هو مشاهد النيران التي كـانت تلتهـب مـن داخـل الأرض وسيول النفـط الجاريـة عليها في موقع سماه بلوتارخ بـ Κορκοῦρα «كوركـورا *Korkoura*» فهوبكـل تـأكيد موقـع بابـا گرگر الحالي ضمن أرّابخي التابع لميـديا . ومما لا شك فيه أن لكنية كركوك الجغرافية علاقـة مـع هـذه التسمية في العصر الهلليني لحقتها اللاحقة السـوبارية *ak-* وغـدت بصيغـة *Korkourak* . لذلـك ، فإن ما يدعيه هرتسفيلد من أن هذه التسمية مختزلة من التسمية الآرامية (Karkhâ d bêth Slôkh كَرْخـا د بيـت سـلوخ) فهـو غـير صحيحـة [راجـع أرنسـت هرتسـفيلد ، Χïρχασελεϋkoϋ. الإمبراطورية الفارسية *The Persian Empire, Wiesbaden 1968, P.153*] في حـين لم يحكـم السلوقيين كركوك ، ومنذ عام ١٢٨ ق. م. كانت أفراد أسـرة سكسـية بإسـم إزديـن ملـوك هـذه المدينة وإشتهر منهـم إثنـان بإسـم شـهرات حيـث بنـى أحدهـم مدينـة شـهراكرت (آلتـون كوبـري الحالية)على نهر الزاب الصغير . وفي نفس الفترة حكمت أسرة سكسية أخـرى في أربيـل إشـتهر مـن ملوكها مونوباز وزوجه هيلينا وإبنهما إيزاتيس [راجع ص ٢٥٣ في كتاب الحرب اليهوديـة ليوسـف الفـلاوي *Josephus, Ant. Jud. xx 35, and Bell.Jud.v 253*] . وبنـاءاً علـى دراسـات *Koschaker* ، فإن الزواج الفراتريارخالي (الأقارب) كان شائعاً بين هؤلاء السكس .

بدأ التبشير بالمسيحية في كركوك منذ عام ١٠٠ الميـلادي وأصبحـت المدينـة مـن أوائـل مراكـز الأسقفية في الشرق حيث آمن بها أفراد بيث إزدين بعدما أطلق البيزنطيون علـى المدينـة كنيـة كرخـا τοῦ ' Ιζδεμ (= karkhâ) ΧαλΧάs or oíkos .

تتحدث سجلات نوزي عن بعض أخبار ديمتو كـيرخي شـيلواخو [راجـع الدراسـات السـامية لجامعة هارفارد *Harv. Sem. Stud. IX, 21*] . وديمتـو في الخورية تعنـى (القلعـة) وتقـابل كنيـة *ugâru* الأكدية ، أما كيرخو الخورية (القلعة) فتعني دورو *dûru* في الأكدُية الـتي يستعملها العرب

كاردونياش ، وعلى هذا الأساس شكّل نهر الـزاب الصغير حـدود المملكـة الكاشـية مـع آشور ، وفي الفترة التي عقد عدد نـيراري الأول إتفاقـاً مـع نـازي ماروتـاش الكاشـي بـدأ القائد أريك دين إيلو يوسع رقعة حدود سـلطة المملكـة الآشـورية في أرّابخـا وظـل هـؤلاء مستمرون في سياسة التوسع حتى في فترة حكم شـالمانصر الأول وتوكولـتي نينورتـا الأول حيث جعلا أرّابخا (عام ١٢٥٠ ق. م.) جـزءاً مـن مملكـة آشـور . وإستناداً علـى رسـالة شاوشّتار الميتاني المكتشفة في نوزي ، فإن أرّابخا ظلـت متطابقـة مـع موقـع كركـوك ، إلا أنها لم تكن يوماً من الأيام مدينة كوتيـة بحتـة مثـل كاسـور (نـوزي لاحقـاً) ، ومـع ذلـك فالمدينة كانت معرضة دائمـاً لغـارات الكوتيـين(١٣) . وفي عـام ٩٠٠ ق. م. هـاجم عـدد نيراري الثاني (٩١١ – ٨٩١ ق. م.) بلاد نامري عن طريق كيرخي (كركوك) وقتل من قتل ونهب ما أراد ، وصارت كرخي مع إقليم أرّابخا تابعة له . وبعد أن قضى العيلاميـون علـى الكاشـيين في بـابل أغـار شـيلهاك إينشوشـيناك علـى أرّابخـا . وفي بعـض الرقيمــات المكتشفة في نوزي نرى من بين ١٥٠ إسماً يورد أسماء مدن أرّابخـا ونوزي وتيتتورو (آلتون كوبري) . وقد لعبت أرّابخـا دوراً أساسياً أثناء تقـدم القـوات الميديـة – البابليـة المشـتركة

بصيغة (دار) وقد ظلت الصيغة السوبارية لهذه الكنية بصيغـة (كَرخـا) عنـد الآراميـين . لمزيـد مـن تفصيلات هذا الموضوع راجع :

Beiträge z. Ass. Wb., OIChie. Assyriol. Stud.I, 1931, 50; Schaeder in Islam IX, 32.

فتسمية قلعة كركوك مرتبط تأريخياً بإسم إبن الملك شيلوا تيشوب . فاللاحقة الحورية للتملك (خـو) المشتقة من (خي) تلحق إسم العلم (شيلوا) في هذه الحالة فتلفظ محليا في ١٥٠٠ ق. م.´ كـكرخي شيلواخو ، ومن هذا المنطلق تبقى التسمية في المدونات الآرامية بصيغة (كرخا) .

(١٣) *J. Gadd in Revue d'assyriologie et d'archéologie orientale (RA) XXIII, P. 64; Thureau-Dangin in RA XXVII, 13; Ungnad, Subartu 116.*

نحو نينوى في نهاية القرن السابع قبل الميلاد ، وبعد سقوط الإمبراطورة الآشورية إستوطن فيها عدد من القبائل الميدية والإسكيثية بجانب القبائل الآرامية التي إستقرت فيها أيام حكم تيغلات بلاصر الثالث ، وقد سميت المقاطعة في هذه الآونة بكنية ميدية على صيغة *Garamaea* (وفي الآرامية أصبحت بيث كرماي حيث تحولت إلى با جرمي في العربية) ، وهذه التسمية غير مشتقة من التسمية الأثنية للقبائل الآرامية كما يعتقد هرتسفيلد ، وإنما هي الصيغة المحلية لكلمة گيراميك (وفي العربية جرميق ومزادها الجرامقة) التي ظلت في الكوردية كوريثة شرعية للميدية ، بصيغة گرميان (المناطق الحارة) ، ولا يزال قسم من أقسام كركوك يُعرف لحد الآن بـ *Bêgermê* .

٥) إلليبي Ellipi :

ذُكرت أخبار بلاد إلليبي في الكتابات المسمارية التي تعود إلى زمن كل من آشور ناصربال الثاني وأسرحدون(١٤) . وكانت القوات الآشورية في زمن حملات سرجون الثاني تتوجه إليها أثناء غاراتها على ميديا ، وقد شوهد إسم إلليبي في عديد من السجلات الملكية(١٥) ونصوص المعاهدات والإتفاقيات وأدعية المعابد . ففي كتابات

---

(١٤) راجع : *Parpola, Alter Orient und Atles Testament (AOAT) 6, s.v. Ellipi.*

يقول فورير *E. Forrer* أن أومانالداش *Ummanaldash* هرب من عيلام إلى إلليبي بعد قهره من قبل آشور بانيبال . وعلى كل حال فالمصدر لا يذكر إلليبي ، وإنما يقول أنه هرب إلى الجبال . ونتيجة لذلك فإن آخر ذكر لإلليبي كان في زمن أسرحدون . راجع :

E. Forre, Provinzeinteilung, P. 102 .

(١٥) لقد كُتب عن إلليبي مقالات عديدة ، وأول من ساهم في هذا المضمار كان العالم شرايدر : *E. Schrader in his Keilinschriften und Geschichtsforschung (PP. 174 ff.)* . وقد إستطاع شرايدر أن يقدم معلومات جيدة حول هذا الموضوع . ثم قام بهذا العمل عالم آخر بإسم ستريك *Streck [Zeitschrift für Assyriologie und Vorderasiatische Archäologie*

سرجون إعادة لبعض الأحداث التي يتخللها إسم إلليبي كما في الجملة التالية(١٦) :

KUR mādāi rūqūti ša pāt šād bikni adi KUR ellipi KUR rāši šā itē elamtu .. ..

وقد ترجم شرايدر هذا النص كما يلي : « الميديون البعيدون المجاورون لجبل بيكني وحتى إلليبي وراشي التي قرب عيلام ...(١٧) » . أما لوكينبيل فترجمه بصورة مغايرة بعض الشيء قائلاً : « الميديون البعيدون على حد جبال بيكني ، كما بلاد إلليبي وراشي التي تقع على حدود عيلام(١٨) » . وهناك مصادر أخرى تشير إلى إتصال إلليبي بعيلام ، وعند وفاة ملك إلليبي المدعو تالتا ظهر صراع بين أبنائه . فالمدعو نيبي طلب العون من عيلام ، لأن لهذه الأخيرة كانت مصالح سياسية وإقتصادية في إلليبي . أما الإبن الآخر المدعو أسبابارا (*Ishpabarra* أو *Aspa-bara* «سواره») الذي طلب حقه في عرش مملكة والده فإلتجأ إلى الملك الآشوري سرجون الثاني لكي يستلم عرش إلليبي(١٩) . وعلى هذا الأساس فالتصادم

(ZA) XV, 1900, PP. 376 ff.] وقد حدد ستريك مكان إلليبي في شمال لورستان ، وتبعه بيلربيك وكاميرون وكونيغ وساغس ويونغ *Billerbeck, Susa (Leipzig 1893), P. 81; Cameron, History of Early Iran (Chicago, 1936), P. 141; König, Reallexikon der Assyriologie (RLA II), P. 357; Saggs, Iraq XX (1958), P. 210 and n. 5* وقد أدخل يونغ *T. C. Young* كل من مقاطعتي ماهي دشت وشاه آباد من ضمن إلليبي وقال أنها تمتد حتى شمال ماهي دشت [راجع *T. C. Young, Iran V (1967), PP. 13 ff. and n. 39*].

(١٦) *H. Winckler, Sargon, P. 98, 11-18* وكذلك راجع دراسته في *(I:11; III:11; V:18. All in Hogo Winckler, Sargon).*

(١٧) راجع الصفحة ١١٠ من الدراسة السابقة لوينكلر حول نص سرجون .

(١٨) *LAR II, P. 54*

(١٩) *Louis D. Levine, "Geographical Studies in theNeo-Assyrian Zagros - II", IRAN, vol. XII, (1973).*

بدأ بين الآشوريين والعيلاميين في مناطق لورستان(٢٠) حيث دعم شالمانصار الثالث في إحدى غاراته الإيلليبيين . وفي سنة ٨٤٣ ق. م. أنهى العاهل الآشوري حملته بعد أن جمع الهدايا والأتاوات من ملك إلليبي في ممرات توگلياش(٢١) التي كانت تقع قرب أشنونا على نهر ديالى وكانت حدودها تصل حتى دير(٢٢) وكانت المنطقة الجبلية لتوگلياش في الواقع جزءاً من جبال زاگروس . وفي هذه الحالة يمكن القول أن إلليبي كانت تقع على شرق توگلياش في شمال غرب لورستان(٢٣) . وهناك دلائل أخرى تدعم قضية تحديد موقع إلليبي في شمال لورستان . فبعد نهب وسلب بلاد الكاسيين وياسوبيگالي رجع سنحاريب في حملته الثانية إلى إلليبي(٢٤) ، بينما لا يشير النص إلى أن إلليبي وياسوبيگالي كانتا متجاورتين . وإذا ما وضعنا إلليبي في شمال لورستان وياسوبيگالي قرب سَرْبول زهاو نرى أن هذه الحملة كانت من الشمال نحو الجنوب . وهناك مسلة لسرجون الثاني أكتشفت في نجف آباد تحتوي بشكل مفصل على أخبار الحوادث خلال الحملة السادسة لهذا العاهل الآشوري ، ومن الجدير بالملاحظة في هذه المسلة أنها لا تحتوي على كون بلاد إلليبي إحدى أهداف الغارات الآشورية . ومهما يكن الأمر ، فإن حكام إلليبي كانوا متورطين خلال هذه الحملة الآشورية بدعم ثوار خارخار . أما بالنسبة لموقعها فيظهر في مسلة سرجون التي تزن طنين أنه كان على طريق خوراسان شمال لورستان . ومن

---

(٢٠) هناك معلومات أخرى حول إلليبي وطموح العيلاميين في الإستيلاء عليها خلال الحملة الثامنة لسنحاريب ، فكانت مع أنزان وبارسواش حليفة لعيلام ضد آشور .

(٢١) راجع : *Die Welt des Orients (WO) I/6 (1952), P. 472, II. 21-22.*

(٢٢) *Iran XI, P. 23, n. 109*

(٢٣) لم يغزو شالمانصار الثالث إلليبي ، ومع ذلك فقد قدم ملوك إلليبي الأتاوات للآشوريين دفعاً للبلاء . وبناءاً على ذلك فكانت توگلياش التي قدمت نفس الأتاوة جارة للإيلليبي .

(٢٤) راجع : *OIP* II, P. 28.

الممكن الرجوع في هذه الحالة كذلك إلى المواد الأدبية وليس الجغرافيـة ، فكـان لإلليبي في متن هذه المواد علاقة مع نامري والميديين(٢٥) . ولكن من سوء الحـظ ، فإن أغلـب هـذه المواد غير سالمة . وهناك كذلك سجلات بشكل رسائل تحتوي على أخبار هذه البلاد .

ذكرت إلليبي ، كما سُجلت في الحوليات ، مرة مع شـونگيبوتو أو *Bit-Sangibutu* ومرة أخرى مع *Uriake* المذكورة في الكتابات الملكية ، ومـع ذلـك فـالحديث عـن إلليبي يجري في هذه المصادر أكثر من غيرها من المناطق . وبناءاً على رأي *Louis D. Levine* فإن إلليبي كانت تقع في منطقتي نفوذ العيلاميين والآشوريين في زاگروس . وفي هذه الحالـة يمكن التأكيد على أن شمال لورستان هـو الموقـع الحقيقـي لبـلاد إلليبي ومناطقهـا الجنوبيـة كانت الوديان التي تؤدي إلى طريق خوراسان ومجاورة لعيلام . وفي الشمال كـانت تجـاور خارخار ، وإستناداً على أقوال شالمانصار ، فإن غرب إلليبي يشكل حالياً المناطق الحدوديـة المتموجة بين العراق وإيران . أما شرقاً فمن الصعوبة تحديد حدودها(٢٦) .

٦) كوتيـوم **Gutium / Qûtîum** :

كـانت كوتيـوم (بـلاد الكوتيـين) مقاطعـة مسـتقلة لم تدخـل ضمـن سـوبارتو علـى الأغلب ، وسجلت كنية كوتيوم لأول مرة في لوح يعود إلى فترة حكم لوگال آني موندو حاكم مدينة آدابا (تل بسمايه) خلال الربـع الأول مـن الألـف الثـالث قبـل الميـلاد(٢٧) .

---

(٢٥) راجع : *Winckler, Sargon, P. 176, I. 31.*

(٢٦) راجع : *L. D. Levine, Ibid., P. 102.*

(٢٧) سُجل هذا الإسم بجانب جبال الأرز وعيلام ومارَهشي وكوتيـوم وسـوبير وآمـورو وسـوتيوم وسومر . راجع : جمال رشيد أحمد ، دراسات كردية في بلاد سوبارتو ، ص ٣ ، راجع كذلك :
Poebel, Histor. and Gramm. Texts, Univ. Penns. Bab.Sect. vol.v, n. 75, and vol. VI, 135; ZA 1922, s. 43f.; H. Güterbock, ZA N.F. VIII, 1934, text 40ff., transl. 44ff.

ولمزيد من التفصيلات راجع الفصل الخاص بالكوتيين في كتاب سبايزر :

وكما يظهر من نصوص ملوك وادي الرافدين ، فإن هذه البلاد كما هي مُسجل في النصوص الآشورية كانت تقع بين ماراهَشي وباراهسو Pârâhs - u أو Pārs - u (منطقة كرمنشاه في كوردستان الشرقية) وكذلك سوبارتو (كوردستان الشمالية) وتمركزت في أرّابخا (كركوك وحواليها) . وعلى كل حال ، فإن كوتيوم ، إستناداً على السجلات الأكدية ، شملت الأراضي الواقعة بين أوربيللوم في الشمال وجبال حمرين ، في حين كان رعاتهم ومواشيهم زمن ملك أكد شال كالي شاري (٢٢٩١ – ٢٢٣٥ ق. م.) يصلون حتى شمال بابل قبل أن يغزوها . وفي نص لوگال آني موندو (من الجيل التاسع ما بعد الطوفان حسب الأساطير السومرية) وردت أسماء عدد من البلدان مقابل سومر مثل عيلام وماراهشي وكوتيوم وسوبارتو وآمورو وسوتيوم . وكانت كوتيوم من بين البلدان التي تخترقها محاور إستعملها ملوك وادي الرافدين أثناء غاراتهم إلى بلاد سوبارتو مثل سرجون الأكدي أو شمشي عدد الأول الآشوري الذي أشار في سجل من سجلاته إلى أن :

14 " from Hi.iz.za.at to KA.GAL.ti, country Ak.ka.di.i ki "
15 from KA.GAL.ti to Hal.la.ba, country Gutium ki "
16 from Hal.la.ba to Zu.mi.ru.ni.i, country Niqqum ki ".

١٤) من جزات إلى كاگالتي هي بلاد أكد .

١٥) من كاگالتي إلى حَلَابا بلاد كوتيوم .

١٦) من حللابا إلى زيمزروني بلاد نيققوم .

فهذا المحور الذي يمر بثلاث أقطار هو أطول المحاور . من كاگالتي يصل إلى كوتيوم كمحور أول ، ومن حللابا إلى نيققوم محور ثاني ، أما المحور الذي كان يتفرع من هذا الخط ويتوجه إلى أرمان ولوللوبي الواقعتان على شرق طريق أرّابخا وعلى غرب طريق كوتيوم وعلى جنوب الخط الأول فكان يشكل المحور الثالث ، وأطول هذه المحاور هو الثالث الذي كان على جهة أكثر شمالاً حيث يستمر نحو الشمال الغربي والجنوب الشرقي

وكانت أرض كوتيوم تتوسع وتمتد نحو كوردستان أردلان وتجاور كل من أرمان ولوللوبي وآشور ، ومن الجنوب بإتجاه الشمال شَكَّلَت كاگالتي نقطة الحدود الغربية لكوتيوم شمال لوللوبي ، وغدت كل هذه المحاور جبهات الآشوريين وأهداف غاراتهم .

إذا كانت أسطورة لوگال آني موندو ، قديمة إلى الحد الذي ذكرناه ، فتأريخ الكوتي بجانب سوتي في هذه الحالة يرجع إلى أقدم عصر من العصور التأريخية ، فكانت في البداية «دگالا» وبعد ١٢٥٠ عام أصبحت ريالتو « أو نابخار كوتي » . ومن خلال سرد أسماء عيلام – ماراهشي –كوتيوم – سوبارتوم – آمورو في النصوص ، فالناسخ الميسوبوتامي كان يبدأ محوره من الجنوب نحو الشمال ثم الغرب ، فكوتيوم في هذه الحالة كانت تشمل الجهات الشمالية الشرقية لوادي الرافدين التي صارت في وقت لاحق قسماً من ميديا .

أما في زمن آگوم كاكريمي (١٦٠٢ – ١٥٨٥ ق. م.) الذي أعتبر ملكاً على كوتيوم ، فإن التصورات حول الكوتيين كانت مبهمة وغير واضحة وحدد النُسّاخ موقع سكناهم في منطقة أرّابخا عندما إعتبروا كركوك عاصمة كوتيوم . وفي بعض المصادر إمتدت كوتيوم إلى إتجاه أكثر شرقاً ، بينما أعتبر أحياناً خارج أرّابخا شرقي الحافة الشمالية الغربية لجبال زاگروس وخارج باراهشي – كاششو شمال الطريق العالي المودى من عقبة حلوان إلى عقبة همدان وبعيداً عن خارخار ونهاوند وإلليبي (فرحان محلات) وسيماش (گولپّايگان – أصفهان) . وكما يقول هرتسفيلد ، فإن هذه المقاطعات تُعتبر اليوم قسماً من كوردستان وهمدان وطهران وآذربيجان ونهاوند وأصفهان أي بلاد ميديا ككل(٢٨) . ونرى سرجون الثاني يستعمل كنية كوتيوم كما يلي :

E. A. Speiser, Mesopotamian Origins. The Basic Population Of The Near East. Philadelphia 1930.

(٢٨) هرتسفيلد ، نفس المصدر ، ص ١٩١ .

ištu ^{mat}ia.at.na.na ša, qabal tâmtim salam ^{d}šamši adi pât ^{mat}mu.Şu.ri.ù ^{mat}mu.uš.ki ^{mat}amurrê^{ki} rapastum ^{mat}hatti ana sihirtisu ^{mat}gu.ti.um^{ki} ^{mat}madai ruqûti sa pât sad bikni adi ^{mat}ellipi

« من قبرص في البحر غرباً إلى تخوم موزري وموسكي وسوريا الواسعة وحاتي (قرقميش) ، كلها ، وكذلك كوتيوم(٢٩) والميديون البعيدون وأولئك بالقرب من جبل بيكني حتى بلاد إلليبي ... » . ففي هذا النص ونصوص أخرى نرى أن لكوتيوم مفهوم جغرافي تأريخي ، بينما لا نرى هذه الحقيقة بالنسبة للميديين البعيدين ، فيرى هرتسفيلد على هذا الأساس أن كوتيوم كانت تسكنها الميديون القريبون حيث أصبح فيما بعد جزءاً من ميديا الكبرى بجانب أكبتانا والري ومن ضمنها كوردستان ووديان قزل أوزون إلا أن كل من مانتياني وآذربيجان ونهاوند وأصفهان أستثنيت منها . لقد حكم آگوم كاكريمي كل هذه المقاطعات والبلدان بإسم «ملك كوتي» . وقبل أن يقرر الكاشيون بالهجوم على بابل ، فإن الكوتيين وسعوا نفوذهم كذلك داخل إيران الحالية ، فأصبحت (كار كاسسي) عاصمة كوتيوم كما أصبحت أكبتانا عاصمة المادا (الميديين) فيما بعد(٣٠) . وفي همدان حصل هرتسفيلد على لوح برونزي كان قد أكتشف في شمال المدينة يمكن وصفه بـ(رسالة تصويت) وتتضمن بعض الجمل مثل *Uzakki aunêti* و *sar Abdadana Aššuraia* وتفسير هذا اللوح من قبل هرتسفيلد كان كما يلي :

«To § 1 : *The merchant is a foreigner, hostis, and must enter in clientela, riksê, and pay a tax, ilku to his hospes, here the king, consisting in this case of two woollen garments only, seemingly of goat's hair. UDU "sheep" is determinative for sheep and goats, MAS; so in the Kirkuk tablets, at first only in accounts of both animals after the Kassite period generally. GAL is a goat over two years old*(31) . *The list v. Rawl.*

---

(٢٩) راجع : *H. Winkler, II, pl. 30, n. 64, 1. 66ff.*

(٣٠) *E. Herzfeld, Op. Cit. P. 194*

(٣١) *Landsberger, Archiv für Orientforschung (AOF) X, Berlin 1935, s. 152ff.*

14 enumerates among material of foreign origin precisely "siG gu.ti.um <sipatum> [qûtu.t]um, wool from Gutium",, cf. Ungnad, sub. 90, which may also be goat's hair. In the Kurdish city Sihna goat's hair is used for rugs. It is not said that wool was an object of the trade of this merchant, and garments are a common tax. The four signs of the king's name on the Hamadan tablets are all polyphonic; no combination gives it a Semitic semblance. The name is indigenous, and the reading most true to kind is Ud.gur.lim.sah, cf 1. Gurparanzah, 2. Gurpâzah, 3. Kilamzah, 4. Kingistilenzah, 5. Hilpi.issuh, 6. Tunamissuh, and 7. Burnamissuh. » .

وبناء على المعلومات التي أوردها كل من سدني سميث وأرنست هرتسفيلد ومايك

Sidney Smith; E. Herzfeld [The Pers. P. 241];Th. J. Meek [Nuzi III, P.XI]

فإن هذه الأسماء ذات جذور كوتية . ونرى هناك مصطلحات أخرى مثل *be.ta.al.lu.uk*

من نوزي و *na.lu.uk* من كاكمو (توروككي في ميديا) و *Sir.uk.duh* و *El.*

Napir.a.su or -a.ruk ، وقد إعتقد كل من بورك *F. Bork* وماير *G. R. Meyer* في

AOF XII, 1939, s. 368 أن الإصطلاح السوباري *ari.k* ذو صوت مشدد لفعل

بسيط بمعنى «سيعطي» .

لقد كان محور كوتيوم الغربي في خدمة الأهداف العسكرية الآشورية منذ زمن شمشي عدد وأريك ديني وقد سلكه دارا الثالث للوصول إلى همدان بسلام ، وتشير مفردات مثل *eriqqu qutîtu* (عربة كوتيوم) إلى دور الصناعة الكوتية لدعم العمليات العسكرية في هذا المحور وذلك بفضل كثرة الخيول الجيدة في هذه البلاد . أما في الشرق ، من أبولات إلى كاگالتي ، فكانت تكثر مواقع ومنابع النحاس زمن الملك السومري جوديا(٣٢) ونهبها بإستمرار باقي الملوك .

---

(٣٢) هرتسفيلد ، نفس المصدر

أكتشفت في آشور أربعة أعمدة مدونة من زمن سرجون الثاني وفيها شروحات ومفردات تتعلق بالمدن والمقاطعات وموضوعات جغرافية تأريخية مثل كاردونياش وأسسان أنسان وسوبارتو وآمورو ثم ڤاكاد وكور كوتيوم (مات كوتي) ومات أاداني . ويظهر من هذه النصوص أن مدخل كوتيوم ـ ميديا كان موقع أبولاتي على يسار حلابا . وفي الجهات الجنوبية الشرقية من حلابا كانت زوميروني تقع في بلاد نيققوم خلف كوتيوم . ولقد أغار أريك دين إيلو الآشوري في نهاية القرن الرابع عشر ق. م. على هذه المواقع ، فتفاخر به إبنه عدد نيراري قائلاً «أريك دين إيلو فاتح مدينة كاسيد في بلاد توروكي ونيقيمخي وكل الأراضي والجبال وغابات البلاد الواسعة للكوتيين»(٣٣) . وعلى ما يظهر فإن لبلاد توروكي في الغرب كانت علاقة مع بلاد توكريش الخورية . وفي سجل حمورابي ملك بابل [*Hammurâpi Ur no 146, Herzfeld, Ibid, P.234*] كانت كوتيوم الخامسة وتوكريش الأخيرة من المواقع الجبلية ***hursâni sibitam*** بالنسبة للبابليين ، وقد دوّن هؤلاء هذه الأسماء الجغرافية من الغرب بشكل منظم (كوتيوم ، ماراهشي ، توكريش ، عيلام) . وهكذا لدينا في بروتوكول أريك دين إيلو بدلاً من كوتيوم ونيققوم وتوكريش صيغ كيتي *Qêti* نيقيمخي *Nigimhi* وتوروككي *Turukki* . ومع ذلك فقد إستعمل كل من شمشي عدد وحمورابي كنية توكريش بصيغة توروككي ، وعلى كل حال فهذه الأسماء هي مترادفة(٣٤) . ويرى هرتسفيلد أن هذه الحالة تُعاد كذلك مع Parahše وPaharašše بينما نيقيقوم مشتقة من نيقيمخي بزيادة لاحقة الصفة السوبارية (- خي - hi) لأسماء الأقوام (وهي لاحقة خورية في الواقع) ، وقد سميت المناطق الجنوبية من حلب عندما أغار عليها الملك الحثي شوبيلوليوما بكنية سوبارية (موكيشخي) وهذا ما يدل أن

---

(٣٣) *E. Herzfeld, The Persian Empire, P. 238*

(٣٤) نفس المصدر ، ص ٢٣٤ .

اللهجات السوبارية إمتدت من همدان في الشرق لحد أوغاريت على البحر المتوسط(٣٥) . وفي نص حيثي قديم من بوغاز كويي(٣٦) ذُكر ملك توكريش كذلك بصيغة سوبارية أو بالأحرى خورية (*Du.ug.ri.is.he ebirni* « سيد دوكريس »)(٣٧) .

لقد دخل حمورابي في العام ٣٧ من فترة حكمه في عدة معارك على نهر الزاب الصغير وإنتصر على جمهور التوروككيين وكاكموم وكور سوبارتوم وأغار على قوات سرجون الثاني الآشوري فارضاً غرامته على حلفائه من سكان ماننا في كوردستان الشرقية مطالباً لكي يحافظ على هذه المنطقة من هجمات كاكمو ، سكان المناطق الجنوبية الشرقية . وعموماً كانت هذه الكنية مهجورة الإستعمال مثل لوللومي وكوتيوم وسيماش. وأثناء الحديث عن الزعماء الميديين ، يذكر سرجون كاكموم كمقاطعة صغيرة في منطقة همدان وكان حاكمها *vispatis* زعيماً مادياً بلقب **Aspabāra**, (الخيّال) . وأخيراً ، فإن نابونائيد يُشير في سجله إلى أنه « في شهر تموز ، وعندما كان كورش على *Upê* ، دخل في معركة مع القوات الأكدية ، وقهّر شعب أكد ... وفي ١٤ سيبار إستولى على المدينة من غير مقاومة» . ويضيف نابونائيد قائلاً « وفي اليوم السادس عشر دخل أوكبارو (گوبرياس) حاكم كوتيوم (ميديا) ومقاتلو كورش إلى بابل بدون قتال . وحتى نهاية الشهر بدأ جنود كوتيوم يحرسون أبواب إيساككيل »(٣٨) .

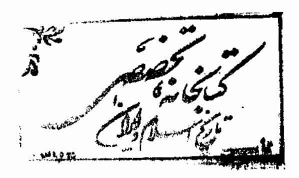
---

(٣٥) المصدر السابق .

(٣٦) *KBO XXVII, 28.*

(٣٧) أقدم ملك كوتيوم سُجل إسمه في الألف الثالث هو كيكلب أتل . حول هذه الحقيقة راجع :
G. Wilhelm, Grundzuge Der Geschichte und Kultur Der Hurriter, Darmstadt, 1982, s. 12.

(٣٨) راجع السطور ١١ – ١٥ من العمود الثالث لمدونات نابونائيد .



٧) هالمان Halmān :

يشير أرنست هرتسفيلد في كتابه « الإمبراطورية الفارسية » المطبوع في فيسبادن بألمانيا عام ١٩٦٨م(٣٩) ، إلى أن الطريق العالي المؤدي من بابل إلى أكبتانا تصل إلى مرتفعات حلوان في إيران ، تلك المرتفعات التي عرفت في النصوص المسمارية منذ الألف الثالث ق. م. بأرمان ، إيالمان ، هَلْمان ، هَلْبَن أوحَلوان(٤٠) كما عُرفت عند اليونان بخالونيتيس *Χαλωνῖτις* أو *Kélônes* وإلتقى أليكساندر المقدوني بالخالونيتيسيين في شمال سيتَكيني(٤١) وكانوا يسكنون في مكان سماه بوليبيوس [*Polybius in 220 B.C.*] بـ *Kallônîtis* وأغار عليه أنطيوخوس الثالث المقدوني على حد قول إسيدوروس *Isidorus of Charax* . وكان كل من مدن خانقين وقصر شيرين وسربول(٤٢) في كوردستان الجنوبية والشرقية هي المدن الرئيسية في كيلونيس القديمة التي إشتهرت مقاطعتها بهَلْبَنْ (حلوان) . وفي عام ١٨٧٨م أشار شرايدر إلى أن هَلْمان (ومرادفها أرمان) ذُكرت في النصوص المسمارية في مكان حلوان قرب سربول زهاو على طريق

---

(٣٩) هرتسفيلد ، الإمبراطورية الفارسية ، ص ٢٣ .

(٤٠) هناك بعض القرابة فيما بين إسمي هَلْبَن وحلب ، إذ أطلق الآشوريون على حلب أحيانا إسم هَلْمان ، وقد ناقش هذا الموضوع كل من ﮔاد وسدني سميث وقد إستندوا على ما جمعه *Ehelof* من النصوص الحورية في بوغاز كويي . وفي الصفحة ٥٠ من موضوع «سوبارتو» لأونغناد نقرأ الإسم بصيغة *URUhal.pa.a.pa (in 1. 13)* و *URUe.eb.la.a.pa (in15)* ويماثل وضع أرمان وإيبلا في نصوص أور .

(٤١) أطلق على سيتاكيني الواقع بين جبال لورستان ونهر دجلة في وقت لاحق إسم أبولونيا *Apollonia* وظهر في الفارسية كـ ᵓPLVNYᵓ وعند ثيودور باركوناي نراه بصيغة ᵓBR.M-ᵓ وكان يقع في سهل (موبذ ميشان) ، بينما ورد في العربية بصيغة العفرونية [راجع ياقوت الحموي ، معجم البلدان) وهو وهو في الواقع الإسم القديم لواسط .

(٤٢) وفي الفارسية الوسطى hlpᵓn أي halβân أو بالعربية (حلوان) وهو غير مشتق من كلمة (حلو) العربية . واليوم ، فإن هذا الإسم لا يزال مستعملاً في الكوردية بصيغة (الوَنْد أو الون) .

خوراسان المشهور(٤٣). وقد أيده F. Delitzsch في نظريته المتعلقة بجغرافية بابل(٤٤) ، ثم وافق بيليربيك على هذا الرأي(٤٥) . وحتى أن أولمستيد ذهب إلى حد غيّر فيه أسلوب قراءة الإسم إلى هَلمان الذي ذكره شالمانصار في سِجل غارته على هاشمار عام ٨٥٩ ق. م.(٤٦) . وقد تطرق فيه إلى ممر سميسي *«ina nîribê sa Simesi ina rês mât Halman»*، وفي عام ٨٣٨ ق. م. حدد منبع نهر سيروان في نَوار ، ونرى أقدم ذكر لـــ [Si] mesi (بلاد أرمانو) في بيان سير حملة سرجون وشمشي عدد الخامس وكان آريدي الواقع على شمال ممر سيميسي بين ثلاثة أزواج من نقاط بالنسبة لمملكة آشور مثل كرند الحالية في إيران(٤٧) . وفيما بين هذا الممر وبعض التلول قرب سهل كرمنشاه وعلى بُعد حوالي ١٥ ميلاً جنوب غرب المدينة وديان لسلاسل جبال سميت في العصر الساساني ماهي دروڤاسبان (في الغرب) وماهي شَهرياران (في الشرق) ، ومن المعروف أن القصد بماه في العصر الإسلامي هو الـ(ماد) وجاء عند إيسودوروس بصيغة Mηδια κάτω مقابل άνω η وهمدان وسماه الفرس ب(دزى مرج) والعرب بـ(مرج القلعة) مع مدينة كرند ثم ماهي

---

(٤٣) راجع : *Keilinschriften und Geschichtsforschung, Giessen 1878, P. 169.*

(٤٤) *F. Delitzsch, Wo lag Das Paradies, Leipzig 1881, P. 205*

(٤٥) راجع : *A. Billerbeck, Das Sandchak Suleimania und dessen persische Nachbarlandschaften zur babylonischen und assyrischen Zeit. Leipzig, 1898, P. 151.*

(٤٦) *A.T. Olmstead, "Shalmaneser III and the Establishment of the Assyrian Power", JAOS XLI (1921), PP. 379-80, n. 74.*

(٤٧) إشتهرت كوردستان الشرقية عند الآشوريين بخيولها الممتازة ، وقد ساق شالمانصار الثاني عام ٨٤٣ ق. م. عدداً كبيرا من هذه الخيول بواسطة أسرى نوار إلى نينوى . وفي عام ٨٥٩ ق. م. تشير الحوليات إلى خيول آريدي ، المدينة الملكية لـ(نينني) في شمال عقبة حلوان ، كما يمتدح شالمانصار شراب آريدي .

دَشْتَ مع هارون آباد (زبيدية) وماسبنان ومهرگان كدك إلى الجنوب . ففي الألف الثالث ق. م. إشتهرت وديان نامري فيما بين هلمان وبيت هَنْبان ببلاد نَوار التي شكلت خطاً طويلاً من الشمال نحو الجنوب بعكس حدودها من الشرق إلى الغرب وكان نهر سيروان (وفي الكوردية شيروان ، وعند بطليموس جورروان ويقابله تورون العيلامي وتورنات الآشوري وتامرّا الآرامي والعربي) يمر من خلالها .

أن نظرية شرايدر حول تطابق هالمان وأرمان مع حلوان *Holwân* لم تُطعن إلا عندما طرح *E. Forrer* رأيه عن منطقتين حملتا هذه الكنية(٤٨) معاً . فالأولى هَلْمان تتطابق مع حلوان ، أما الثانية أرمان فكانت تقع شرق مندلي ، وقد رفض *W. F. Albright* قول فورير وحاول التأكيد على وحدة معنى وموقع كل هذه الصيغ(٤٩) . ومن خلال لوحة آنوم – بانيني في سربول زهاو نستطيع التأكيد على أن حلوان كانت منطقة سكنى اللولوبيين . وعندما جدد *H. Güterbock* المواد المتعلقة بهذا الموضوع ظل على رأي فورير(٥٠) . وأخيراً جمع *J. A. Brinkman* كل المواد التي تدعم رأيه حول أرمان(٥١) ، فرأى أنها مدينة تقع على شرق نهر دجلة بين الزاب الصغير ونهر العظيم (رَدانو القديم) . وقد رأى أن أرمان مرادف لهالمان والخلاف لهجوي بحت . وأخيراً أشار إلى أن موقع هذه المنطقة كانت جنوب نهر ديالى .

---

(٤٨) *Provinzeinteilung, PP. 45-7.*

(٤٩) راجع :

W. F. Albright, "A Geographical Treatise on Sargon of Akkad's Empire", JAOS XLV (1938), P. 213.

(٥٠) راجع :

H. G. Güterbock, "Die Historische Tradition bei Babyloniern und Hethitern", ZA XLIV (1938), P. 73.

(٥١) *An. Or. 43, P. 195, n. 1195.*

وللكنيتي أرْمان وهَـلْمان تأريخ طويـل في الأدبيـات المسـمارية ، إذ تظهـر أرمـان في النصوص الجغرافية لسرجون الكبـير(٥٢) أو لسـرجون الأول الآشـوري(٥٣) . أمـا هَلمـان فتشاهد في ألواح نوزي(٥٤) . وقد أسـتعمل هـاتين الصيغتـين في العصـر الآشـوري ، وإن مرد تعادل الكنيتين جاء من سجلات شالمانصار حيـن إستعمل هذا كنيـة هلمـان وأرمـان معاً أثناء غاراته على حلوان عام ٨٥٠ ق. م. (٥٥) وتبعه قائده دايان آشور عام ٨٢٨ ق. م. وكذلك سنحاريب (٧٠٢ ق. م.) في الإغارة على ذات المنطقـة بنفـس الكنيـة . فمـن السجل الأول نلتقط المعلومـات التاليـة : في سـنة ٨٢٨ ق. م. تركـت القـوات الآشـورية نامري وعبرت ممر سيميسي على مدخل بـلاد هَلْمـان(٥٦) . وفي سـنة ٨٥٠ ق. م. كـان مردوك بيل أوساتي قد هرب من عند القوات الآشورية وهاجم مدينـة گانـاتي علـى جبـل ياسوبي في هلمان أو أرمان وظل هناك لاجئاً . فهنا نرى ثلاث إحتمالات لموقـع هلبـان ، فشيلهاك إينشوشيناك العيلامي تحدث في سجله عن أخبار هذه المنطقة (٥٧) . وثانياً كانت

---

(٥٢) راجع : *Keilinschrifttexte aus Assur verschiedenen Inhalts (KAV), P. 67, n. 92, I. 13.*

(٥٣) *E. Weidner, Archiv für Orientforschung (AfO) XVI (Berlin 1952 3), P. I ff.*

(٥٤) *H. Lewy, "A Contribution to the Historical Geography of the Nuzi Texts", JAOS LXXXVIII (1968), P. 155.*

(٥٥) نرى كنية أرمان مسجلة على أبواب بالاوات في آشور . حول ذلك راجع :
Die Welt des Orients. (WO) IV, Göttingen 1967, P. 466, 1. 46; BA VI / I (1903), P. 147, 1. 80; KAH II, 110, r. I = WO ! (1947), P. 67] while others simply refer to the area as "the mountains" (WO II (1954), P. 34, II. 37-8; WO II (1955), P. 150, II. 79-80).

(٥٦) *WO II/3 (1956), P. 230, 1. 190.*

(٥٧) *F. W. König, Die elamischen Königsinschriften, AfO XVI (Graz 1963), P.*

قريبة من نامري ، وثالثاً كانت گاناتي مدخلها ، وأخيراً ربما كانت تقع في منطقة تسمى ياسوبي . فإذا كانت نامري مدخل هلبان وهي المنطقة الواقعة على نهر ديالى جنوب دربندي خان ، فالوصول إليها كانت تتحقق من خلال الجبال عبر ثلاث محاور . كان المحور الأول يقع على جهة الشمال الشرقي ويؤدي إلى زاموا . فبذلك تبقى الجبال الشرقية لنامري أو الواقعة على الجنوب الشرقي هو المحور الثاني . أما الثالث فنراه في سجل مردوك بيل أوساتي على نهر ديالى وقرب جبل حمرين ، ومع ذلك فهذا الكلام قابل للمناقشة(٥٨) . فإبتداءاً من گاناناتي ، فإن الجبال الجنوبية الشرقية لنامري كانت تشكل مناطق اللجوء ، فنامري وگاناناتي كانا ركيزة هَلْمان والنقطة المؤدية إلى سربول زهاو .

أما الإشارة الثالثة في هذه القضية فكانت متعلقة بمنطقة عرفت بإسم ياسوبي وهي التي حددها بريكمان كموطن للياسوبيگاليين الذين ذكرهم سنحاريب خلال غاراته عليهم(٥٩) . ولأسباب تكتيكية توجه سنحاريب إلى بلاد الكاسنين والياسوبيگاليين(٦٠) . ويقول بريكمان أن القصد ببلاد الكاسيين هي ملاجئ نامري الجبلية ، فأصبحت نامري في هذه الفترة محاطة من الشمال الشرقي ببلاد زاموا ومن الجنوب الغربي ببابل ومن الشرق ببارسوا والمحور الوحيد المفتوح أمامهم كان في الجنوب الشرقي . وهكذا فقد إلتجأ الكاسيون من نامري من هذا المحور بنفس الصورة التي هربوا عام ٨٢٨ ق. م. أيام دايان آشور وعام ٨٥٠ ق. م. أيام مردوك بيل أوساتي .

II,54b 1. 3; Brinkman, An. Or. 43, P. 195, n. 1195

(٥٨) *Unger (RLA III, PP. 139-40)* حدده *Unger* في شمال جبل حمرين بينما قال *Weidner* أنه في جنوب هذا الجبل ، راجع : *Weidner [AfO IX (1933), P. 97]*

(٥٩) *An. Or. 43, P. 195, n. 1194.*

(٦٠) *OIP II, P. 26, 1. 66* و *passim*

من المفيد الإشارة هنا إلى أن الغارات الآشورية كانت تجري في منطقة سربول زهاو ، لأن طريق الوصول إلى هـذه المنطقـة مـن خـلال نـامري وزهـاو كـان أسـهل مـن المحـاور الأخرى . ومن المعروف أن منطقة سربول في إتصال بنهر ديالى وبطريق خوراسـان . وبمـا أنها منطقة جبلية ، فصارت دوماً محلاً للجوء في التأريخ . وفي أحد أحجار كـدوررو مـن زمن نبوخذنصر الأول نرى ذِكْر هَلمان في علاقة مـع نـامري . وعلـى كـل حـال ، فـإن لدينا في التأريخ هـلمان في سربيل زهاو وأرمان فيما بـين نهـري الـزاب الصغـير وديـالى . وهذه الملاحظات نراها مع ذكر موقع أوگارسالو في حوليات عدد نيراري (٩١١ - ٨٩١ ق. م.) حيث سُجلت مـع لاهـيرو وتـَبِعها دير ثـم أرّابخـا ولوبـدي(٦١) . وفي سـجلات نوزي نجد كذلـك أخبـاراً تتعلـق بهَلمـان ونـامري ، ويشـير *H. Lewy* إلى مدينـة بإسـم هَلمانيوي في نامري(٦٢). إلا أن تطابقها مع هلمان المذكورة أعلاه غير صحيحـة ، وعلـى أغلب الإحتمال كانت هَلمانيوي في جنوب نوزي . ومن جهة أخرى يشير هرتسفيلد إلى أن الوصول إلى الطريق العـالي المـؤدي مـن بـابل إلى أكبتانـا كـان عـادة عبـر خـالونيتيس (حلوان) الذي سمي أحيانا بأرمان أو إيالمان في الألف الثالث ق. م.

وخلاصة القـول ، فـإن السـجلات التأريخيـة الـتي أمـر ملـوك سـومر وأكـد وآشـور بتدوينها تتطرق إلى منطقتين متباينتين بإسم هـَلمان وأرمان ، فالأولى تقع في سربول زهـاو ، والثانيـة شملـت المنـاطق الجنوبيـة لنهـر الـزاب الصغـير سميـت *Ugarsallu* وأسـتعمل المصطلحان كمترادفين أحياناً لقرب تلفظهما . فبما أن النوزيين هم أقرب الناس للنـامريين ، فقد دونوا أخبار المناطق القريبة منهم بصورة أصح فسموا أرمان أوگارسللو الـتي تشـاهد في النصوص الآشورية بصيغة هَلمانيوي .

---

(٦١) *J. J. Finkelstein* نفس المصدر

(٦٢) *F. W. König, Ibid, P. 128, 37, 1. 85.* نفس المصدر ، ص ١٢٨

٨) خمازي **Hamâzî** :

ذُكر إسم خمازي في حدول إثبات الملوك كمركز لسلالات ميثولوجية (أسطورية) ، ومن خلال هذا الجدول يبدو أن كيش كانت مسيطرة عليه وإستعمل فورير هذا الإسم بصيغة *Hamâzî* الذي أبعد منه إساك سوبارتو (وزير أو نائب ملك سوبارتو) المدعو *Zigulaë* أسبوتي وحدد مكانه في المنطقة الجنوبية الشرقية لكوتيوم على حدود بابل : *"den südöstlichsten Gau von Gutium an der Grenze Babyloniens"* ، في حين أن الملاحظة التأريخية الوحيدة عند أرنست هرتسفيلد هو : أن وزير أراد سن في أور كان هو إيساكٌ في لغش وحاكم على كل من *Basime* وأوربيللوم وخمازي وغيرها من البلدان(٦٣) . والرسالة المكتشفة في إيبلا (تل مرديخ ٧٠ كم جنوب حلب) توضح العلاقة الدبلوماسية بين إيبلا وخمازي عندما حاول ميساليم ملك كيش أن يهاجم سوريا ، ويُعكس مضمون الرسالة رغبة ملك إيبلا المدعو (اركب دمو) في أن يحصل من مملكة خمازي على جنود أقوياء ومدربين ومقابل ذلك بعث بعشر قطع من الأثاث الخشبية مع حليتين بيد سفير مملكة خمازي إلى ملكها المدعو (زيزي) . ومن جهة أخرى ، فإن مملكة كيش كانت تعمل أحياناً على إبراز قوتها إتجاه الممالك المجاورة ، ومما يؤيد ذلك هو النص المكتشف في كيش الذي يشير إلى المعارك التي جرت بين قوات خمازي وكيش(٦٤) . وبالرغم من تهديدات قوات كيش الخمازيين وشمال وادي الرافدين على العموم ، إلا أن الحكم الكاشي في بابل إنتهى بيد اللولوبيين سكان خمازي(٦٥) كما يورد في جدول

---

(٦٣) راجع : *E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden 1968, P.227.*

(٦٤) *G. Pettinato, The Archives of Ebla, An Empire Inscription in clay, New York, 1981, P. 73,108; Reallexikon Der Assyriologie, III, s. 70-71.*

راجع كذلك الصفحة ٤٣ وما بعدها من مؤلفنا [تأريخ الكورد القديم ، أربيل ١٩٩٠م] .

(٦٥) راجع سجل الملوك السومريين في : *Thorkild Jacoben, The Sumerian King list, Chicago 1939, P. 97-99.*

إثبات الملوك . ومن خلال هذا الجدول ، يبدو أن حمازي لم تنل إستقلاله إلا بعد سقوط كيش وإنتقال زعامة القسم الجنوبي من العراق إلى يد سلالة الوركاء ، ويُحتمل أن سقوط كنيش كان على إثر هجوم خاطف قام به اللوللوبيون ، لذلك يشير نص من نصوص الجدول المذكور الذي ترجمه جاكبسون [*Th. Jacobsen, The Sumerian King List, P. 97 - 99*] إلى أن :

Kiši ki Gis Tukul Ba.An.Sig Nam. Lugal. Bi
Ha.ma.ziki Se Ba. Tum Hamaziha Ta. Ni.Is Lugal. Am Mu 60 x 6i Ak
Hamaziki Gis Tukul Ba. An.Sig Nam Lugal Bi Unugki Se Ba Tum

« كيش ضُربت بالسلاح وملوكيتها إلى حمازي قد إنتقلت ، وفي حمازي صار ختانيش ملكاً وحكم ٣٦٠ سنة . حمازي ضُربت بالسلاح وملوكيتها إلى الوركاء قد إنتقلت » .

٩) خارخار Harhar :

كانت مدينة خارخار وما حواليها من الأراضي في مرتفعات زاگروس من ضمن المقاطعات التي كانت آشور تعتبرها من المواقع الإستراتيجية المهمة لتنفيذ سياستها التوسعية بالإضافة إلى أطماعها في الإستيلاء عليها ونهب ثروات سكانها ، وقد أصبحت تُعرف بـ(كار شاروكين) من قبل سرجون الثاني الآشوري . وفي خارخار بدأ الآشوريون يحتكون بالميديين ، ومن هنا إنتبه هؤلاء بالخطر الآشوري وبدأوا يجمعون المعلومات حول تحركاتهم العسكرية والإدارية . لا توجد مصدر موثوقة بها تتحدث عن موقع خارخار ، كتقارير سير العمليات العسكرية(٦٦) . ومع ذلك نرى في آخر قسم من سجل حملة

---

(٦٦) بصورة عامة وبدون تحديد دقيق ، أشار شرايدر إلى موقع خارخار في غرب ميديا [راجع : *Keilinschriften, P. 174*] وإقترح بيلليربيك منطقة سنندج (سنه) [*Sulaimania, P. 62*] بينما رأي ستريك هذا الموقع في شمال بارسوا [*ZA XV [1900], P. 348*] ، ولكن الدلائل التي أتى بها يونغ أثبتت موقع خارخار في شمال ماهي دشت وربما قرب سنندج [*Joung, Iran V, P. 15*]

شالمانصار عام ٨٣٥ ق. م. ، أنه إنتقل من پارسوا إلى ميسّي وإلى آمادايا (ميديا) وأرزياش ثم خارخار(٦٧) . ومن سوء الحظ ، فإن موقع أرزياش غير واضح لدينا في حين كانت آمادايا متداخلة مع أراضي خارخار . ولعل أهم وثيقة في هذا الصدد هو النص المقدس الذي يشير إلى أن سيسيرتو حصن خارخار كان يقع على حدود إلليبي(٦٨) . وهذا القول بالإضافة إلى إشارات شالمانصار ، فإن خارخار كانت تقع في مكان ما بين پارسوا وإلليبي من جهة الشمال أو الشمال الغربي(٦٩) . وأثناء غارة سنحاريب الثانية فصل العاهل الآشوري مقاطعة بيت باررو عن إلليبي وضمها إلى أراضي حاكم خارخار(٧٠) . أما سبب غارة سرجون فكان طرد القائد الآشوري من خارخار على يد السكان ، ثم طلبهم العون من إلليبي . ومن الواضح إن هذه المدينة كانت قريبة من موطن الميديين الذين دخلوا في صراع مع الآشوريين ، فكان هذا من الأسباب غير المباشرة لوصول شالمانصار إلى خارخار(٧١) ، وقرب خارخار من ميديا يظهر في عديد من النصوص الآشورية(٧٢) ومن مسلة سرجون التي يشير فيها أنه سيغزو المقاطعة الميدية زاكروتي قرب خارخار(٧٣) . والمناطق الأخرى مثل (المقاطعات العليا والسفلى للنهر) التي دونها سرجون في غاراته السادسة والسابعة كانت تقع حوالي خارخار ، إلا أنه لم يشير

---

(٦٧) *WO II/2 (1955), P. 136, 1. 121.*

(٦٨) *Knudtzon, Gebete, no. 72.*

(٦٩) لقد عبر شالمانصار هذا المحور عام ٨٣٦ ق. م. من بارسوا شمالاً نحو ميسّي ثم شرقاً نحو آمادايه (الأراضي الميدية) . وللرجوع أخذ الطريق القريب من إلليبي ثم رجع إلى الجنوب ، وعلى هذا الأساس يظهر موقع خارخار وكأنه في جنوب أو شرق بارسوا .

(٧٠) *OIP II, PP. 28-29, II. 26-32.*

(٧١) *Winckler, Sargon, P. 110, 1. 66.*

(٧٢) *ABL, 126; Winckler, Sargon, P. 146, 1. 17.*

(٧٣) *Levine, Two Stelae, P. 40, 1. 46*

إلى موقع خارخار بالتحديد ، ومن بقية المصادر لا تصلنا معلومات دقيقة(٧٤) ما عدا تلك التي تورد في كتابة خورساباد مجددة موقع خارخار على نهر(٧٥) يحتمل أنه كان في أواسط أو شرق ماهي دشت ، ووجود هذه المدينة في النصف الأول من الألف الثاني وخلال العصر الآشوري الحديث يدعم وصف موقع المدينة .

١٠) كيروري Kirruri :

بناءً على ما يورد في التقرير المدون على اللوحة الصخرية الكبيرة المتعلقة بأخبار حملة عام ٨٥٦ ق. م. ، فإن الملك الآشوري شالمانصار الثالث كان قد إنسحب من زاگروس إلى سهول آشور من خلال ممرات كيروري "التي تقابل أربا – ئيلو" . ولا شك أنه قصد بأربا ئيلو مدينة أربيل الحالية ، أما المقصود بالممرات المقابلة لأربيل(٧٦) فهي تلك التي تقع على الأغلب أما على طريق كويسنجق أو محور شقلاوة(٧٧) . ومن المعروف أن عدداً

---

(٧٤) ذُكر خبر خارخار في نص من نصوص عدد نيراري الثالث [*I R 35: 1:6*] وفي عدد من الرسائل [*Parpola, AOAT 6, s.v*] وفي قائمتين [*ADD 919 (=Forrer, Provinzeinteilung, P. 54) and V R 12: 6, cols. III l. 6.*] شوهد إسم *Kar(a)har* في نصوص سلالة أور الثالثة وبابل القديمة وهو يطابق خارخار [راجع : *Goetze, JNES XII (1953), PP. 118-119*]

(٧٥) *E.Herzfeld, Archaeological History of Iran (London 1935),P. 15.*

(٧٦) راجع :

Louis D. Levine, Geographical Studies In The Neo-Assyrian Zagros, IRAN "Journal of the British Institute of Persian Studies, Vol. XI, 1973, P.14".

(٧٧) إمتدت كيروري من شرق أربيل مباشرة نحو بحيرة أورميه على حد قول شرايدر ، راجع :

E.Schrader, Keilinschriften und Geschichtsforschung, Giessen 1878, PP. 162-3

وقد أيده في ذلك بيلربيك ، راجع : *A. Bellerbeck, Das Sandchak Suleimania und*

من الممرات تتخلل السلاسل الجبلية لزاكروس حتى تؤدي إلى بلدة رواندز ، المركز الذي يتفرع منه ، بالإضافة إلى ممر سبيلك وآلانا ، مسالك عدة نحو جهة الشرق . ففي المنطقة التي تقابل أربيل لا نجد موقعاً غير هذا المحور لكي يتفرع منه ممرات كالتي يشير إليها العاهل الآشوري ، فإذا إستثنينا ممر سبيلك البعيد بعض الشيء ، فيكون ممر جبل سفين مقابل أربيل هو المقصود بكيروري لدى الآشوريين . وعلى هذا الأساس فإن الموقع بمعناه العام يتحدد في المنطقة الواقعة بين سفين ورواندز لا أكثر . وبذلك فإن كيروري كان يشمل بعض المناطق حوالي رواندز ومنها بلدة موساسير التي كانت تقع بين ممر كيله شين وقرية سيدك . وفي هذه الحالة لا يمكننا التأكيد على أن حدود كيروري قد وصلت حتى بحيرة أورميه ، وإنما إمتدت نحو الشرق والجنوب الشرقي من رواندز ولكننا لا نملك الدليل على أن خط هذا الحدود قد ضمت موقعي گەورە شينكه وخانه .

وأخيراً فإن كيروري كانت في إتصال مع وادي نهر الزاب الصغير ، وتتبين هذه الحقيقة من مصدرين ، الأول هو أن الملك الآشوري توكولتي نينورتا الثاني تقدم مع قواته من هذه المنطقة نحو الجنوب من خلال محور الجبال العالية (الممر المعروف الآن بـ« دۆلّي آلانا » على أغلب الإحتمال) حتى وصل إلى نهر الزاب الصغير . وثانياً ، فإن ناصربال الثاني إتخذ هذا المحور معكوساً مبتدءاً من آشور عبر نوممي التي كانت تقع قرب جبل إيتيني

---

dessen persisch Nachbarlandschaften zur babylonischen und assyrischen Zeit, Zeitschrift für Assyriologie und des Vorderasiatische Archäologie. Leipzig (ZA) 1898, P. 20 . وبناءً على قول ستريك ، فإن كيروري مع گيلزانو يقعان الآن في وسط كوردستان في غرب البحيرة المذكورة ، راجع :

M. Streck, Das Gebiet der heutigen Landschaften Armenin, Kurdistan und Westpersien nach den babylonisch-assyrischen Keilinschriften, ZA XIII (1898), PP.57-100; ZA XIV (1899), PP. 103-72; ZA XV (1900), PP. 257-382

في زاموا (على طريق دوكان) متجهاً نحو كيروري . وفي الواقع ، فإن هذه المحاور التي تشكل مثلث الزابين وتؤدي إلى رواندز نادراً ما أستعملت قديماً لغرض العمليات العسكرية . وبالرغم من قلة المصادر التي تتحدث عن كيروري ، فإننا من خلال الحملتين الآشوريتين إستطعنا أن نحدد موقع كيروري بين أربيل ورواندز ويشمل بالطبع شقلاوه وسهلي هرير وديانا ورواندز ، المناطق التي حاول الآشوريون إدارتها في وقت لاحق مقابل خطر توسع نفوذ الأورارتيين في هذا المحور .

وتحديد هذا المكان لمنطقة كيروري يأتي من خلال تطابق ممر ذُكر في المسلة المذكورة يستمر في جبال زاكروس نحو ممر كيله شين الذي وضع كل من الملكان الأورارتيان نصبهما فيه . وعلى هذا الأساس رأي وايدر أن الموقع يقع بين آشور وأورميه [*Weider, AfO III (1926), P. 158, n. 8*] ثم تبعه في الرأي ميخائيل [*Michel , WO 1/2 (1947), P. 65, n. 2*] ومن بعده عارضه بوخمير [*Bochmer, BJV (1965), P. 192*]. ورغم محاولات أولمستيد في تثبيت كيروري مع موقع (تورا غاره) جنوب آميدي (العمادية) [راجع : *The Calculated Frightfulness of Assur Nasir Apal ", JAOS XXXVIII (1918), P. 219, n. 28*] . فإن هذا النوع من الإقتراحات ألغيت . ومن جهة أخرى ، فإن فورير أدخل سهل حرير (دشتي هرير) ضمن كيروري [راجع فورير *Forrer, Provinzeinteling, P. 38*] ، وقد وافق سبايزر على هذا الرأي ، لأنه كان يشير إلى موقع كيروري بين أربيل ورواندز [راجع : *Speiser, AASOR VIII (1928), P. 23*] ، ثم قلل برينكمان من مساحة كيروري بدون أن يعارض رأي فورير حيث حصره في سهل هرير [راجع : *Brinkman, An. Or. 43, P. 278, n. 1808*] . وهكذا ، بجانب رأي ويلسون *Kinnier-Wilson* الذي أشار إلى كيله شين مع ممره كموقع لكيروري [راجع الصفحة ١٠٥ من مجلة العراق : *Iraq* XXIV (1962), P. 105] ، فإن كل من برينكمان وفورير وسبايزر إتفقوا على تحديد الموقع بشكل عام .

١١) كوتموخي Kutmuhî :

أطلق الآشوريون عـادة على هذه المنطقة كنية كومـوخ(٧٨) (وباليونانيـة گوماگيني) . وقد وصل الملك الآشوري تيغلات بلاصر إلى هذه المنطقة من "خلال مرتفعات كاشياري" (طور عابدين وقرجه داغ) مستمراً من سوفان دره على نهر دجلة إلى نمـرود داغ ، الموقع المشهور بتمثال أنطيوخوس حاكم گوماگيني(٧٩) . وبعد الغارة على جميع مناطق كوتموخي ، طـارد تيغـلات بلاصـر الموشـكيين (بنـو ماشـك المذكوريـن في التـوراة) حتـى ميلديـس وميليتيني (ملاطيه) شمال گوماگيني(٨٠) . وبهذه المناسبة سجّل الملك الآشوري أخبـار هـذه الحملة في مسلته كما يلي :

العمـود الأول :

٦٢ – ابتداء تملكي عشرون الفاً من رجال

٦٣ – الموشكايا وملوكهم الخمسة

٦٤ – الذين على مدى خمسين سنةً من أرض إلزي (على الضفة الجنوبية من الفرات قرب ينبوع نهر سبنه سعر ... ج . ر)

....

٦٩ – إستسلمو وإنحدروا وأرض كموخ(٨٠) (گوماگيني ... ج . ر)

---

(٧٨) راجع حوليات تيغلات بلاصر في *69. 69, Almuqtatif, XI, 1897, P. 658.* وكذلك راجع الترجمة العربية لهذه الحوليات من قبل جرجي أفندي بـني المنشـورة في الجـزء الثـامن مـن السـنة الحادية والعشرين لمجلة (المقطتف) ، أغسـطس (آب) ١٨٩٧م الموافـق لربيـع الأول ١٣١٥ هـ ، ص ٥٩٤ وما بعدها .

(٧٩) *E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden 1968, P. 116.*

(٨٠) نفس المصدر . كان كوموخ يقـع في زمـن تيغـلات بلاصـر (١١١٤ – ١٠٧٦ ق. م.) علـى ضفتي نهر الفرات بكوردستان الشمالية الغربية مبتدءاً مـن مـدن كومـوخ القديمـة (المـدن الكورديـة الحالية) ميليتيني (ملاطيه الحالية) على الشمال ومروراً ببيرجيك وآميد (ديار بكر) وحتـى مرعـش . وإن جبل كاشياري أو كاشيارا عرف عند الكورد بجبل ماسوس ثم أستعرب الإسم إلى طور عـابدين

٧٠ – إمتلكوها فإتكالاً على آسور ربي

٧١ – جمعتُ مركباتي

٧٢ – وجيوشي

....

٧٢ – ولذلك ما تمهلتُ وجيل كاشيارا (جبل ماسوس أو طور عابدين ... ج . ر)

٧٣ – صقع حزن إجتزتهُ

٧٤ – فالعشرين ألفاً محارباً منهم

٧٥ – وملوكهم الخمسة في أرض كموخ

٧٦ – حاربتُ وهلاكهم

....

٩١ – زحفتُ وأرض كموخ

....

٩٤ – إستجلبت ومدنها بالنار

في العصر الإسلامي [راجع الصفحات ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، الهامش ٤ من مجلة (المقتطف) ، الجزء التاسع ، أيلول ١٨٩٧م .

(٨١) مدينة سيرس الوارد ذكرها في حوليات تيغلات بلاصر الأول هي ساريسّا وكذلك ساريس الواقعة على الجهة الأخرى من نهر دجلة التي يشير إليها شالمانصار الثاني أيضاً حيث ساق منها أسرى بعد رجوعه من كوموخ التي كانت تقع على شرق آوي أرغني (أرغانه صو) في شمال ديار بكر ، المنطقة التي ترك فيها العاهل الآشوري كتابته ، وعلى ما يظهر من موقع هذه الكتابة ، فإن حروبه جرت في منطقة ما جنوب كل نهر دجلة ومدينة آميد (ديار بكر) . وفي وقت لاحق سجل الجغرافي اليوناني سترابو [*Strabo XVI, 1, 24*] مدن كوردويني من الغرب نحو الشرق بإسم ساريسا وساتالكا وبيناكا "*Sàreisa, Sàtalka, Pínaka*" التي كانت تقع في بيث قردو جنوب آميد وتمتد من حصنكيفا إلى جزيرة إبن عمر على جانبي نهر دجلة . كانت بيناكا (فينيك) على الضفة الشرقية وعلى بعد ١٢ ميلاً شمال الجزيرة وعلى بعد ٨ ميلاً جنوب حصنكيفا كانت تقع ساريس (وفي الكوردية شيريش) [راجع : *E. Sachau, Reise in Syrien und*

العمود الثاني

١) أحرقت ودككت واحتفرت وبقية

٢ – أهل كموخ الذين من أمام سلاحي

٣ – هربوا إلى مدينة سيرس (وهي ساريسا إحدى مدن كوردويني على نهر دجلة)

٤ –على أقصى عدوة دجلة ... إلخ .

وفي زمن آشور نيراري الخامس (٧٥٣ - ٧٤٦ ق. م.) ، فإن حاكم كوموخ كان *Kund - Aspi* كوند أسپي(٨٢) (وفي الكوردية كونده ئەسپ) ، الكنية التي تحولت في

وراجع ياقوت الحموي الذي يشير إلى [*Mesopotamien, 416, and in ZA. XII, 1897* ساريس في شمال طور عابدين (كاشيان) ، الموقع الذي يطابقه سخاو مع موقع ساريسا ويؤيده كيبرت *E. Sachau, Reise in Syrien und Mesopotamien, 416, and in ZA. XII, 1897* وراجع كذلك *E. Herzfeld, The Persian Empire, P. 148, 149* [

(٨٢) لقد دَوّن ملوك آشور لعدة مرات كنية *Kundaspi, Kuštaspi* راجع :

J. Scheftelowiz, *Die Sprache der Kossaer*, KZ (Zeitschrift für Vergleichende Sprachforschung auf dem Gebiete der Indogermanischen Sprachen {"Kuhn's Zeitschrift"}, Göttingen, 1902, s. 276; Ed. Meyer, Die Altesten Datiereten Zeugnisse Der Iranischen Sprache und Der Zoroastrischen Religion - KZ 1908, Bd. 42; H. S. Neberg, *Die Religionen Des Alten Iran*, Lepzig, 1938, P. 333, 473 ; R. Hauschild, Uber Die Fruhesten Arier im Alten Orient. Berlin, 1962, P. 473].

والصيغة الكوردية الأصيلة لهذه الكنية التاريخية للزعماء هي (*Gunda Aspa*) التي تشاهد في السجلات الإيرانية كـ(*Wind Aspa, Wist Aspa*) ، راجع بالروسية :

Е, А, Грантовский, Ираноязычние Племена Предней Азии в IX -VII вв Ло н,э,, М, 1964 وقد حمل أحد القواد الساسانيين كنية *Kunda Gus Asp* ، وإن المقطع الأول من الإسم (كونده) يعني «المحارب ، الشجاع أو البطل» ، أما المقطع الثاني (أسبا) فيعني كما في الكوردية «الحصان» . واليوم نرى في كوردستان بعض الأسماء الطوبوغرافية من هذا النمط مثل كونذَكي ديري على نهر الزاب الكبير وكوندوك قرب زاخو .

زمن تيغلات بلاصر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق. م.) إلى صيغة *Kust - Asipi* «كوست أسيپي» كما يقول أرنست هرتسفيلد ، حمل إسما تراقياً لها صفة فريجية(٨٣) .

١٢) لوبدا Lubda :

كانت مدينة لوبدا معروفة في المصادر المسمارية بصيغة (لوبدي) . وفي عام ١٣٠٠ ق. م. تقريباً سجّل عدد نيراري الأول لتوضيح حدود مملكتـه(٨٤) «الذي أفنى السكان الأعداء من لوبدي ورابيقو إلى إلوهات (أي أورفه) وأخضع المدن [وسرد أسمائها من الشرق إلى الغرب وكلها تقع حوالي نُصيبين وسركاني (رأس العين وأورفه)] إلى حد جبال كاشياري وإلوهات .

وكما يقول هرتسفيلد(٨٥) ، فإن بَرَدان تبه الواقع على نهر ديالى كان يسمى قديماً كذلك لوبدي ، بينما نرى في كتابابت تيغلات بلاصر (١١١٥ – ١٠٧٧ ق. م.) أن مدينة أرمان ومقاطعتها أوگارساللو كانا يقعان في آشور السفلى بين الزاب الصغير وديالى(٨٦) . وكانا بدورهما متصلان بلوبدا كما يشير إليهما نفس النص ، وكانت لوبدا تقع في مكان ما قرب كركوك وأوگارساللو وقد سُجل في منطقة الزابين ، بينما نرى أن هرتسفيلد يشير إلى وجود لوبدا كذلك في مقاطعة شوبريا الأورارتية قرب ديار بكر حيث طابق ماركوارت إسم الشوبيريين مع السوسپيريين (ساسپيري) الذين ذكرهم سترابو ،

---

(٨٣) هرتسفيلد ، نفس المصدر ، ص ١١٨ .

(٨٤) *E. Weidner in Altor. Bibl. I, n⁰ xx, 1.*

(٨٥) *E. Herzfeld, The Pers., P.104.*

(٨٦) *E. Weidner, "Die Feldzüge and Bauten Tiglatpilesers I", AfO XVIII (1958), P. 350, 1. 37 f.*

وعلى هذا الأساس فإن مقاطعة ديار بكر الحالية كانت تُعرف عند الأورارتيين بلوبدي وليس شوپريا(٨٧) . ومن جهة أخرى ، فهو يشير إلى أن لوبدا هي بَـرَدان تبه على نهر ديالى التي ربطها تيغلات بلاصر الأول بـ(رَدانو) ، القنال الواقع بين نهرى عُظيم وديالى وكذلك مع أرمان – حلوان وجلولاء وأرتميتا(٨٨) .

١٣) لوللوميْ Lullumê :

تظهر لوللومي في كتابات آشورناصربال ككنية تأريخية ، وكان سكان زاموا قبل ٢٥ سنة من هذا التأريخ يطلقون على جبلهم العالي كنية " *Kinipa* " ، وعندما قام عدد نيراري الثاني بحملته «تحرك من الزاب الصغير على حدود بلاد زاموا وعبر كيرخي وزاموا وإتجه نحو بلاد نامري» . فكيرخي هذا هو (كيرخي شيلواخو أي كركوك) . أما سرجون الثاني فقد قام بدوره في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد بحملة «من خلال بلاد لوللومي التي تسمى زاموا» ، وإستعمل كنية لوللومي التأريخية كمثيلتها سيماش وكوتيوم ونرى كذلك في نص عدد نيراري لوللومي وزاموا كإسمين مترادفين لمنطقة واحدة .

وفي مدونات نوزي من القرن ١٥ – ١٤ ق. م. نرى أن نوللو (لوللو الألف الثالث ق. م.) هم جيران لإقليم أرّابخا تمركزوا في مقاطعة شهرزور وقد إحتل آنوبانيني في نهاية الألف الثالث ق. م. منطقة سربول زهاو وحلوان حيث تشاهد تفاصيل هذا الحدث من خلال النصوص المكتوبة في لوحته المرسومة على سفح جبل سماه باتير *Patir* .

---

(٨٧) هرتسفيلد ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .

(٨٨) نفس المصدر ، ص ١٠٤ .



مسلة آنوبانيني على جبل باتير

سربول زهاو

١٤) مانناي Mannea :

في بداية الألف الأول ق. م. كـان هنـاك بلـدٌ (شـعبٌ ؟) في جنـوب بحيرة أورميـه إشتهر لأول مرة في النصوص الآشورية المسمارية عام ٨٤٣ ق. م. بـ(مانّنـاي) ثـم أطلـق عليه الأورارتيون كنية (مانّـا)(٨٩) ، كما ذُكر سكان هذا البلد في السطور ٢٧ ، ٥١ من

---

(٨٩) كانت مانّنـاي (مانا ، ماننــا ، مِننــا ، مَننــاش ، وفي التـوراة مِننـي) الـتي ذكـر الآشـوريون أخبارها لأول مرة عام ٨٤٣ ق. م. تضم في البداية المناطق التي تُشكل الآن حوض نهر جغتـو وأصبحت مدينة إيزرتو = زرته عاصمتها مملكة شهيرة تأسست في شرق كوردستان خـلال نهايـة القرن الثامن ق. م. بعدما بدأ بعض حكام الأقاليم الخاضعة للأورارتيين بالعصيان عليهم زمن ملكهـم روسا الأول ، وقد تحالفت معها المملكة الآشورية ، ومن خلال هذا الموقف بـدأ المـاننيون يواجهـون كل القوى المعادية للآشوريين ، وعند توسعها تداخلـت حـدود المملكـة المانية مـع حـدود المملكـة الآشورية ، وخاصة بعدما إتخذ قسم من بلاد زاموا (موطن اللوللوبيين) تسـمية مانّنـا بسـبب زعامـة المانيين السياسي على الإتحادات القبلية في هذه البلاد [راجع *R. Ghirshman, Iran, P. 90ff.*] .. لقد إستطاعت المملكة المانية أن تحافظ على شخصيتها السياسية المتميزة بالرغم من الحروب المتكـررة بين الآشوريين والأورارتيين علـى أراضيهـا . ومـن جهتهـم بـدأ الآشـوريون بتجميـع قواهـم ، فقـام سرجون الثاني بحملة قوية على بلاد أورارتو عام ٧١٤ ق. م. حيـث قضـى علـى الجيـش الأورارتـي قضاءً مبرماً إلا أن الملكية الأورارتية ظلت قائمة إلى زمن روسا الرابع (٥٩٠ – ٥٨٥ ق. م.) .

إتخذت المملكة المانية المكانة البارزة في العهد السرجوني من بين المَمالك المحلية الـتي نشـأت في جنوب أورميه من الناحية السياسية والحضارية وأخذت تصارع الأزمات التي نشأت حولها وواجهت مباشرة الصراعات السياسية والعسكرية التي ظهرت بين دولتي آشور وأورارتو . وفي عـام ٧١٩ ق. م. وكذلك عام ٧١٤ ق. م. تحالف حكام أقاليم قبائل زيكرتو الميـدية مع الأورارتيين ووقفوا بوجـه ملوك مانّنـا ، لكن المانيون إستطاعوا أن يتحالفوا مع الآشوريين مـن أجـل القضـاء علـى أعدائهـم ، وبعد القضاء على قبائل الزيكورتو عظم شأن دولة مانّنـا عام ٧١٤ ق. م.

وفي النهاية عندما إنتهى دور المانيين في التأريخ كانوا يحاربون البابليين بجانب الآشوريين [راجع : *D. J. Wiseman, Chronicles of Chaldean Kings, P. 54, 1. 5.*] . وهكـذا ، ففـي

سفر إرميا (العهد القديم من الكتاب المقدس) بصيغة مينني بجانب آرارات (أورارتو) وأشكناز (أشكوز أو الإسكيث) ومادا (الميديين) . كانت ماناي بلاداً جبلية يجري فيها نهري تَتَـفو وجغَتو ، وتضم المدن الكوردية المعاصرة مثل مهاباد وسقز وشنو (أشنويه) والأراضي التي تحيط ببحيرة أورميه (أرمايد أو أورميتا القديمة)(٩٠) . وأصبحت إيزرتو (سجلها شالمانصار الثالث بصيغة زرتا) عاصمة للمملكة المانية ، ومن أشهر مدنها كانت زيبيا (وتهجأتها الكوردية زيويه) التي سجلها آشور بانيبال بصيغة (أوزبيا) ، أما مدينتها الأخرى ميسسي أو ميسا (وفي الأورارتية ميستا) فكانت تقع على بُعد ١٢,٥ ميلاً غرب وشمال غرب مدينة مياندواو الحالية على حد ما هو مسجل في كتابات تاش تبه ، تلك الكتابات التي تشير أيضاً إلى قصر في ميستا بُني من قبل الملك الأورارتي مينوا . ويقع مدفن فخرقا قرب مهاباد على طريق هذه المدينة المانية ، ثم فصل كل من شمشي عدد الخامس (٨٢٣ – ٨١٠ ق. م.) وعدد نيراري الثالث (٨٠٥ – ٧٨٢ ق. م.) هذه المدينة عن بلاد ماناي . وبعد سقوط آشور أصبحت بلاد ماناي على العموم جزءاً من

نهاية القرن الثامن ق. م. ، ومن بين القوى المحلية التي كانت ترفض توسع رقعة أراضي المملكة الأورارتية في كوردستان الشرقية على حسابها (وخاصة زمن روسا الأول) كانت المملكة المانية . ومن جهة أخرى ، بدأت المملكة الآشورية تجمع قواها وهاجم سرجون الثاني عام ٧١٢ ق. م. القوات الأورارتية التي كانت قد أخضعت بلاد السوبارين وظل الأورارتيون لحد زمن روسا الثاني . وفي عام ٦٠٨ ق. م. تحالف نبوبولاصر مع الميديين وتقدم مع قواته حتى بلغ منطقة أوراشتو ، وأن إستعمال مصطلح (منطقة) من قبل البابليين جاءت لأغراض سياسية وورد على لسان النبي إرميا خلال السنة الرابعة لحكم صدقيا (٥٩٦ ق. م.) في إسرائيل حيث كانت اليهود يصفون تصدي آرارات ومينني وأشكناز (الإسكيث) ضد بابل ظاهرة إلهية لإنقاذهم من عبودية البابليين .

(٩٠) كانت ماناي تحد في الشمال وفي الشمال الغربي مملكة أورارتو ، بينما كانت حدودها في الجنوب تتاخم الحدود الآشورية وبلاد زاموا . حول تفاصيل هذا الموضوع راجع :

R. Ghirshman, Iran, A Plican Book, 1954, P. 80

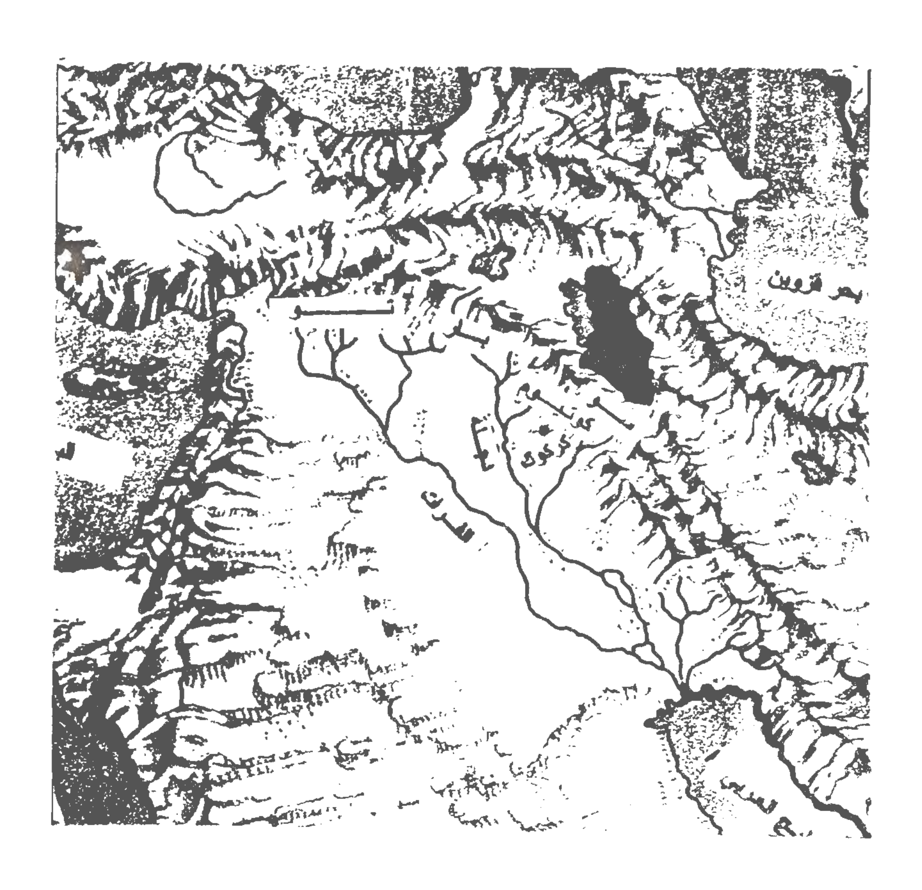
إمبراطورية الميديين بدون أن يحتلوها بالقوة . وفي ٧١٩ ق. م. وكذلك في ٧١٤ ق. م. تحالف أحد زعماء الإتحاد القبلي الزاكروتي الميدي مع الأورارتيين ووقف متحدياً سلطة المانيين مما دفع هؤلاء بدورهم أن يشددوا تحالفهم مع الآشوريين ، وعندما قُضي على قوة الزاكروتيين (زيكورتو) سطع نجم المانيين وبدأ عصرهم الذهبي منذ عام ٧١٤ ق. م. حيث إستطاعوا من ضم الأراضي الواقعة على نهر آراس في شمال بحيرة أورميه ، وفي الغرب وصلت نفوذهم حتى نهر الزاب الكبير في كوردستان الجنوبية(٩١) . وبناءاً على ذلك ، فإن المملكة المانية إحتوت على أغلب المناطق الكوردية الشرقية الحالية .

بعدما وحّدوا مقاطعات سنه وسقز وموكريان ، بدأ المانيون يضمّون المقاطعات الواقعة بين بحيرة أورميه ونهر آراس (كوردستان الشمالية) إلى مملكتهم . وخلال النصف الأول من القرن السابع ق. م. توسعت رقعة هذه المملكة نحو الغرب ووصلت حدودها إلى نهر الزاب الكبير شمال أربيل (كوردستان الجنوبية) . ومع بداية القرن الثامن ق. م. ظهر على رأس الدولة الأورارتية ملوك إستطاعوا صد التوسع المانني والآشوري معاً . وبالرغم من ندرة المصادر ، إلا أن الكتابات الأورارتية (مثل نصب كل من إشبويني ومينوا في كيله شين « ٨١٠ ق. م. » ونصب طوبزاوه) تشير إلى تلك الحملات التي قام بها الملوك الخلديون على مناطق نفوذ المانيين . فقد إستطاع مينوا من إحتلال المناطق الواقعة على أعالي نهري دجلة والزاب الكبير وكذلك المناطق التي كانت ضمن حدود المملكة المانية في جنوب بحيرة أورميه ومنها منطقة شنو (أشنوية) الحالية ، وإستطاع كل من

---

(٩١) راجع بالروسية ص ١٧٣ من كتاب (تأريخ الميديين) لدياكونوف :

И. М. Дъяконов, История Мидии. М-Л 1956, стр. 173 ff.



المناطق التى إحتوتها مملكة مانا

إشبويني وإبنه مينوا من تأسيس إمبراطورية على حساب المانيين والآشوريين كانت توازي مساحة الأراضي التي إحتوتها الإمبراطورية الآشورية وحتى أنها جاوزتها بعض الأحيان .

تذكر سجلات ليمو (ضباط) شالمانصار الرابع بصيغة وجيزة عام ٧٨٢ ق. م. الحملة الأولى من الحملات الستة على أورارتو التي تمت في السنين ٧٨١ ، ٧٨٠ ، ٧٧٩ و ٧٧٥ ق. م. وقادها ، على أغلب الإحتمال قواد قديرون مثل تورتانو وشمشي ئيلو الذي كان في نفس الوقت حاكماً لكل من حران وأرّابخا كما كان ضابطَ ليمو في ٧٨١ ق. م. ، وقد سجّل في تل بارسيب بعد إستيلائه على معسكره خبر دحر قوات الملك الأورارتي أركشتي عقب رجوعه من جبهة الكوتيين (أي المانيين)(٩٢) ، ولكن يتبين من ماجريات الأحداث أن غموضاً تُغطي على هذا الإنتصار الآشوري ، لأن أركشتي قد عسكر بعد إنتصاراته ومعه عدد كبير من الأسرى وأسلاب منهوبة إستولى عليها في ماننا وبوشتو بين عامي ٧٨٠ و ٧٧٩ ق. م. كما وضع يده على كل من إركيوني عام ٧٧٨ ق. م. وشنو (أشنويه) عام ٧٧٧ ق. م. وعلى الجبال المشرفة على آشور ، ثم رجع إلى ماننا عام ٧٧٦ ق. م. وعام ٧٧٥ ق. م. وفي عام ٧٧٤ ق. م. كان له تحركات قليلة . وعلى ما يظهر ، فإن الموضوع الذي يورد في سجل شمشي ئيلو هو تصديه لهجمات أركشتي . وحتى هذه الفترة كانت ماننا بشكل واضح موضع الهجوم من كل حدب

(٩٢) لقد شوهدت أخبار هذه الحوادث في نص أورارتي دوّن على قطعة حجرية أكتشفت في دهوك وورد إسم ماننـاي فيه بصيغة ماننـا . راجع :

R. D. Barnett, Urartu, The Cambridge Ancient History, Vol. III, Part 1, 1982, P.346, n. 248 .

وصوب وبدأت قوات الإمبراطوريتين آشور وأورارتو تدخل في مناوشات على أرضها ، وكانت هناك محاولات جدية من كل الجوانب للإستيلاء على مراكز كوردستان الحالية بإعتبارها جبهات رئيسية بالنسبة لكل أطراف الصراع ومفتاحاً لتأمين السيادة على الجبهة الماننية .

إعترف سرجون الثاني في بداية حكمه بـ(آزا إبن إيرانزو) ملكاً على مانناي ، أما روسا الأورارتي فحاول أن يجد وسيلة لإغتياله ، فإستعمل كل من بگداتي حاكم أويشديش المجاورة لمانناي وميتتاتي الميدي أمير قبائل زيكورتو التابعة لدولة مانناي كمخلبي قط كما يقال ، وقرر أن يخلع آزا من عرشه ويُعيّن شقيقه أوللوسونو في مكانه ، وقد نجح روسا في خطته كما يقول *R. D. Barnett* حيث إستطاع أن يستولي على ٢٢ حصناً وقصبة حدودية ماننية وجزءاً من أراضي أويشديش من أجل التأمين(٩٣) . وفي هذه الحالة وقعت مسؤولية كبيرة على عاتق سرجون وقرر أن يتحدى هذا الواقع . فقد قُبض على بگداتي وسُلخ جلده حياً ، وفي عام ٧١٥ ق. م. أستعيدت ٢٢ حصناً إلى مانناي مع إخضاع حكام مقاطعتي أنديا وزيكورتو . وفي ٧١٤ ق. م. رجع سرجون إلى كالح مع كثير من الأسلاب والغنائم والحمير والجمال معتبراً ذلك نهاية للأورارتيين ، إلا أن زعيم الماديين في هَنْكمَتانا (همدان) المدعو دَهيَوْكو أو دَيّاكّو(وعند هيرودوت Δεοκεσ) إنتفض ضد سياسة التوسع الآشوري في ميديا ، لكن القوات الآشورية إستطاعت من القبض عليه عام ٧١٢ ق. م. حيث نفته إلى حماه بسوريا . أما إبنه كشتريتا(٩٤) فقد تزعم الإتحادات القبلية الميدية ووضع يده على أمور القبائل الإخمينية ،

---

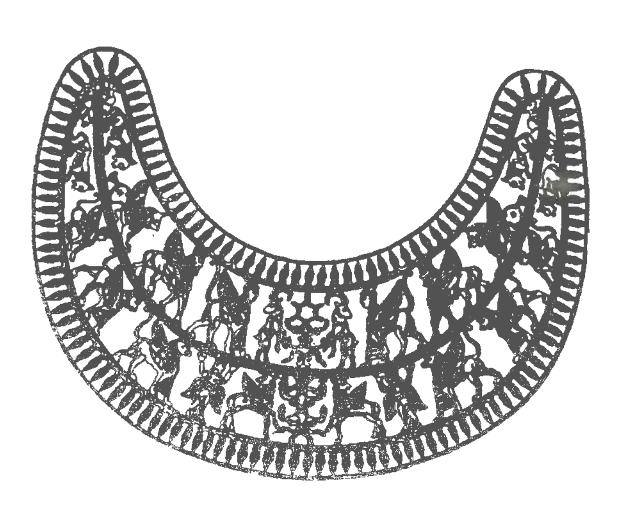
(٩٣) راجع : *R. D. Barnett* ، نفس المصدر ، ص ٣٥٢ .

(٩٤) الصيغة المحلية لكنية (دياوكو) كان دَهْيا – ووككو *Dahyâ-ukku* (أي الحاكم) ، أما



بعض الهدايا المقدمة إلى ملك ماننى

صورة نُقشت على مزهرية – متحف لوفر



من الأعمال الفنية المانية اكتشفت في سقز

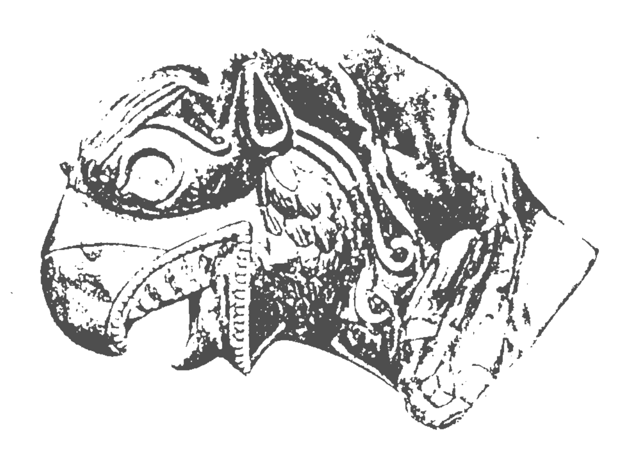
وتحالف مع الكيميريين والماننيين ، وبذلك أصبح سيد بلاده . وفي عام ٦٧٣ ق. م. أعلن كشتريتا ثورته ، وبعد إنتصار أسرحدون في أول عام من حكمه (٦٨٩ ق. م.) على الكيميريين على مقربة من خوبيشنا في الأنضول أراد أن يتوجه نحو جبهة الميديين ، لكن القبائل الإسكيثية بزعامة إشباكا (أسپاكا) تحالفت مع كل من الأورارتيين والماننيين بعدما وجدوا لهم موطناً للإستقرار في جنوب بحيرة أورميه ، إلا أنهم إستمروا في غاراتهم حتى بلاد زاموا(٩٥) .

وفي وقت لاحق ، ورث أرگشتي (٧١٤ - ٦٨٠ ق. م.) المعاصر لأسرحدون العرش الأورارتي بعد روسا الثاني وأثار حفيظة الآشوريين أكثر من مرة عند إحتلاله لقلاع على حدود السيادة الآشورية ، فأعاد هؤلاء كل من حصن تابال عام ٧١٣ ق. م. ومليتيني وتارخونازي عام ٧١٢ ق. م. وكوركوم مع موتاللو عام ٧١١ ق. م.

لقد سكن الإسكيث أيام آشوربانيبال على أرض المانناي في الجهات الجنوبية من بحيرة أورميه ، وتدل على هذه الحقيقة الكنوز المكتشفة عام ١٩٤٧م قرب مدينة سقز والمشهورة بكنوز زيويه ، وفي هذه الأثناء وخلال أعوام ٦٦٠ - ٦٥٩ ق. م. وكنتيجة للصراع الآشوري - الأورارتي تعقدت الأمور في بلاد مانناي إلى درجة كبيرة أدت في

كِشتاريتو فهي الصيغة الآشورية للكنية الميدية خِشثَريتا (أي الملك) حيث سجلها هيرودوت بصيغة كياكسارس *Cyaxares*. وإعتبره ابن فرائورتيس *Phraortes* وحفيد دياكو ، وفي الواقع كان هو فرائورتيس نفسه .

(٩٥) حول دور الإسكيث السياسي في جنوب بحيرة أورميه راجع الكتاب الأول لهيرودوت :
Herodotus, I, 103, 104, 106.



عمل فني ذهبي من زيويه (القرن السابع ق. م.)

متحف طهران



منظر يبين الحياة العادية في ماننا ي (حسانلو)

متحف طهران

النهاية إلى قيام إنتفاضة شعبية ضد السلطة الحاكمة فيها ، وكانت من نتائجها مقتل الملك (أخشيري) ، كما إلتجأ الملك (أوالي) إلى الآشوريين لمساعدته في الرجوع إلى الحكم في بلاده مقابل دفعه لأتاوة سنوية معينة لهم(٩٦) . وبهذه الصورة غدت دولة المانا حليفة للآشوريين وإشتركت معهم في الوقوف أمام الدولة الكلدية في بابل ثم الدخول في صراع معها . لقد عانت مانا من مشكلتين هامتين ، وهما الخطر الذي داهمها من جانب الميديين من الشرق والجنوب وخاصة أيام دياكو وخشثريتا ، ثم ظهور النزاعات الداخلية بين زعمائها المحليين حول إستلام السلطة في زرته العاصمة . وفي الواقع ، فإن المانيين كانوا قد أحرزوا في بداية القرن السابع ق. م. سلسلة من الإنتصارات على الآشوريين قبل أن يتحالفوا معهم ، لكن إنضمام القبائل الإسكيثية إلى جانب الآشوريين فيما بين عامي ٦٧١ - ٦٧٠ ق. م. عقّد الظروف السياسية والعسكرية في مانا ، وخاصة عندما بدأت هذه القبائل بالنزوح نحو الأراضي المانية من الشمال ودخول الميديين إليها من الجنوب . وأخيراً ، وفي معركة كابَلينا على نهر الفرات إندحر المانيون والآشوريون أمام قوات العاهل البابلي نبوبولاصر ، وبعد النهب والسلب سيطر الميديون على الوطن الماني بدون قتال وأخضعوا السكان فيه لدولة ميديا الناشئة . وفي أعوام ٥٩٠ - ٥٨٠ ق. م. أصبحت البلاد المانية جزءاً من الإمبراطورية الميدية .

لم يُدرس لحد الآن تأريخ المانيين ، وما نعرفه عنهم هو عن طريق ما أبقوه من آثار نادرة في بلادهم الأصلية ومن خلال السجلات الآشورية التي ترجع إلى العهد السرجوني ،

---

(٩٦) راجع بالروسية كتاب تأريخ الميديين لدياكونوف :

Льяконов, История Мидии, М, 1956, Стр. 283.

راجع كذلك :

Charles Burney & David Marshal Lang, The Peoples of the Hills, London 1971, P. 14ff].

وكان السكان في هذه البلاد يتكونون من مجموعات قبلية رعوية مستقرة ذات لهجات متباينة بعض الشئ ويتحدرون في الأصل من الكوتيين واللوللوبيين وحتى الخوريين ، إلا أنهم تأثروا تدريجياً بالميديين ، وتُعتبر المملكة المانينية ، في الواقع ، النواة الثقافي والسياسي لقيام الإمبراطورية الميدية . والجدير بالإشارة هنا إلى أن زوال دولتي أورارتو وآشور لم يكن من جراء الهجمات الميدية والإسكيثية والكيميرية بقدر ما كان نتيجة للصراع الطويل بين الدولتين المذكورتين إشتركت فيه المانيون لفترة طويلة ، ولكن الضربة القاضية أتت أخيراً من الميديين والبابليين معاً . وإذا كان البابليون قد حصلوا على أكبر رقعة من أراضي الإمبراطورية الآشورية ، فإن الميديين صادروا جميع الممتلكات التي تعود إلى مملكتي أورارتو ومانناي .

أما من ناحية بناء الإقتصاد القومي لدولة ماننا فكان يتمثل بزراعة الحبوب التي ذاعت صيتها بإسم (الحنطة المننية كما يورد في التوراة) وتربية الحيوانات والرعي ، وهي من الأمور التي كانت متطورة في هذه البلاد ومن ضمنها تربية الخيول . ومن خلال المكتشفات الذهبية والفضية والنحاسية والحديدية في المناطق الجنوبية لبحيرة أورميه نتعرف على مدى رقي صناعة المعادن في المدن المانينية ، وتشير فنون هذه الصناعة إلى المستوى الرفيع لثقافة الطبقة الأرستقراطية التي عاشت في كل من زرته وزيويه وأويشديش وتضاهي أحياناً الفنون الأورارتية والآشورية . ولعل ما أكتشف في المواقع الكوردية مثل سقز وحسانلو وزيويه من مواد تدل على صنف حضاري متميز للمانيين وهي من جملة أجمل ما تحتويه المتاحف الإيرانية . وعلى بُعد ٤٢ كم شرق مدينة سقز كانت تقع مدن مانينية عديدة أصبحت بعد سقوط المملكة المانينية قاعدة مهمة ومراكز إقتصادية شهيرة للميديين ، ونتيجة لتطور العلاقات الإقتصادية داخل المدن المانينية ظهرت طبقة أرستقراطية إلى جانب الطبقات الأخرى ، وساعدت هذه الظاهرة على تفاقم التناقضات بين أفراد

هذه الطبقات وكان جانباً مهماً من ذلك الصراع الداخلي بين الكتل الرئيسية للطبقة الحاكمة والسكان الأحرار وكان من نتائجه إنتفاضة عام ٦٦٠ – ٦٥٩ ق. م. التي أثرت سلبياً على المملكة المانية ومهدت السبيل على سقوطها .

وكما يقول لوي ليفاين *Louis D. Levine* ، فإن الحوليات الآشورية تضم بصورة منتظمة أخبار مانناي ومادا في نفس الوقت وتُميّز مواقع سكناهم ، لكن الجغرافية التأريخية لبلادماننا كانت بنظره معقدة لايمكن تطبيقها في أماكن أخرى(٩٧) . فالآشوريون لم ينظروا إلى المانناي كوحدة سياسية يحكمها حاكم أو ملك واحد ، وإنما كانت منقسمة إلى مقاطعات كبيرة وصغيرة ، وكل واحدة منها عُرفت بكنية معينة حكمها ملك مستقل وظهرت بين سكان هذه المقاطعات بعض الأحيان علاقات عديدة ومتنوعة ، كل هذه المقاطعات عرفت عند الآشوريين بالمانناي .

منذ أن كانت ماننا ومقاطعاتها بعيدة عن آشور أكثر من أماكن أخرى في جبال زاگروس وقبل أن تتوضح الحالة الجغرافية لهذه البلاد عُرفت مواقعها بصورة متشعبة . ومروراً ببحيرة أورميه فقد وصلت حدود البلاد المانية أحيانا لحد نهر آراس على الحدود الإيرانية – القفقاسية ، ومع ذلك لم تتحدد هذه الحدود بصورة كاملة . وكانت ماننا في الأصل تشمل أغلب مرتفعات زاگروس الوسطى والشمالية التى جاورت آشور ، أما حدودها الشرقية فكانت بعيدة عن آشور . وبعد إكتشاف بعض الوثائق الجديدة ظهر عدد من الحقائق حول موقع هذه البلاد . فأشهر هذه الوثائق هى كتابات تاش تبه التي

---

(٩٧) راجع :

Louis D. Levine, Geographical Studies In The Neo-Assyrian Zagros-II, IRAN, vol xii, 1973, P. 13.

(٩٨) *König, AfO VIII, P. 59, n. 17.*

إكتشفها راولينصون وحُلّت رموزها فيما بعد(٩٨) . والنص يشير إلى إحتلال الأورارتيين لهذه المنطقة المانية . وعلى هذا الأساس كانت ماننا تحيط بحيرة أورمية من جهة الشرق(٩٩) . فأيد هذا التفسير ثيورو دانجين أثناء دراسته لأخبار الحملة الثامنة لسرجون(١٠٠) . فدانجين رسم هذه الحدود جنوبا عبر نهر زَرينه رود من جهة والمقاطعات الشمالية لبحيرة أورميه حوالى جبل سهند جنوب تبريز من جهة أخرى(١٠١) . أما بوهمر R. Boehmer فقد أضاف معلومات أخرى على أقوال ثيورو دانجن(١٠٢) . فهذا دعم رأى A. Godard أثناء مطابقته لزيويه قرب سقز مع زيبيا المانية(١٠٣) بالإستناد على بعض المكتشفات الأركيولوجية التي تؤيد تقارب الإسمين(١٠٤) . وعلى كل حال فقد ظهرت في النقوش أسماء مقاطعات مانية صرفة مثل ميسسى وأويشديش وزيكورتو وكوموردو(١٠٥) . ولعل ميسياندا(١٠٦) هي ميسسى نفسها مع أنديا(١٠٧) دونت بصورة

---

(٩٩) راجع : W. Belck, " Das Reich der Mannaer ", Verhand. der Berl. Gesell. für Anthropologie (Berlin, 1894), PP. 480-481.

(١٠٠) TCL III, P. i-xx.

(١٠١) نفس المصدر .

(١٠٢) راجع : R. M. Boehmer, "Volkstum und Städte der Mannaer ", Bagh. Mitt. III (1964), PP. 11-24.

(١٠٣) A. Godard, Le Trésor de Ziwiyé (Haarlem 1950), P. 5.

(١٠٤) Bagh. Mitt III, P. 20. من خلال بعض الأعمال الفخارية المكتشفة فى زيويه ظهرت أنها تعود إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد .

(١٠٥) حول ميسسى وأويشديش و سوريكاش راجع TCL III, 11, 51, 91 أما حول زيكورتو فأنظر إلى Winkler, Sargon, P. 104 وحول كوموردو فراجع Pieokorn, Ashurbanipal, P. 52, 1, 60 .

(١٠٦) Winckler, Sargon, P. 104, 1. 37.

(١٠٧) C. J. Gadd, Iraq XVI (1954), P. 177.

خاطئة . لقد ورد إسم مقاطعة أنديا غالباً في علاقة مع زيكورتو وهي بالتأكيد مانية ، ولهذا النوع من الأسماء المانئية أهمية تأريخية لسببين ، أولاً ، لأن من الصعوبة تعيين موقع مانئا ، وثانياً لفصلها عن دويلة أخرى إشتهرت بإسم vis-à-vis في مرتفعات زاگروس .

وهكذا ، فإن أقصى الحدود المانئية في الجنوب كانت ميسسي التي ذُكرت في سجل سرجون المتعلق بحملته الثامنة وسماها (المقاطعة المانئية) ومن خلال هذا السجل الذي يشير إلى مسيرة سرجون من بارسوا نحو *Missi* ميسسي(١٠٨) نعرف أنها كانت تقع شمال كرمنشاه الحالية وهي *Messi* المذكورة في سجل حملة شالمانصار عام ٨٣٥ ق. م.(١٠٩) . وقد ذُكرت ميسسي(١١٠) كذلك بصيغة *Mesu* من قبل آشورناصربال أثناء حملته على زاموا ، أما في مسلة شمشي عدد الخامس فقد سُجلت هذه الكنية بصيغة *Mesaya* ماسايا(١١٢) ، وفي سجل آشورناصربال كانت ميسسو تقع في المنطقة الجبلية قرب بحيرة زريبار(١٣) شرق شهرزور (وهي بالتأكيد مَصو الحالية شمال غرب بنجوين التي أشرنا إليها في مؤلفنا «دراسات كردية في بلاد سوبارتو») . وعلى ما يظهر ، فإن المناطق الشمالية لخط هورامان كانت بلاد مانئا أما في الجنوب فكانت تبدأ أراضي بلاد بارسوا *Parsua* .

---

(١٠٨) *TCL* III, 1. 51.

(١٠٩) *WO* II/2, P. 156, II. 120-121.

(١١٠) *AKA*, P. 324, 1. 82.

حول تفصيل هذه الحملة راجع دراسة سبايزر *Speiser, AASOR VIII (1928), PP. 22 ff.* وثيورو دانجين *Thureau-Dangin, TCL III, P. v,* يميّز المطابقة بدون مناقشة .

(١١١) *IR* 30: 42.

(١١٢) ومن الممكن مطابقة تسمية ميشتا الواردة في السجل الأورارتي بتاش تبه مع ميسسي الآشورية حول تفاصيل هذا الموضوع راجع *von Soden, GAG, 30h, 34d, 96g* .

(١١٣) راجع : جمال رشيد احمد ، دراسات كردية في بلاد سوبارتو ، بغداد ١٩٨٤ ، ص ٥٤ .

أما مقاطعة سوريكاش التى ذكـرت أخبارهـا مـن قبـل سـرجون أثنـاء حملتـه الثامنـة فكانت تقع على شمال ميسسي(١١٤) ، ولكن شالمانصار الثالث أغار عليها أيضاً عـام ٨٤٣ ق. م. وسماها ببساطة ماننـا(١١٥) . وتحديد حدودها يأتينا من خلال المحور الذي سار عليه كل من شالمانصار وسرجون . وفي السجل المتعلق بالحملـة الثامنـة نـرى أن سرجـون بـدأ مسـيرته مـن مقاطعـة سـومبى في زامـوا قاطعـاً المنـاطق الجبليـة المرتفعـة قبـل الدخــول إلى سوريكاش(١١٦) . وكل هذه المحاور الجبلية بين سومبى وسوريكاش واقعة الآن على شرق مدينة السليمانية حيث تستمر حتى خانه في الشمال كما يقول رايت(١١٧) وكانت تتعـرج على منطقة ميسى قرب بحيرة زريبار . وفي نفس الوقت ومن أجل الوصول إلى منطقة بانـه إستعمل الآشوريون بعـد مقاطعـة زامـوا محـور رانيـه ودربنـدى رامَكـان وممـر كـاني رَش للوصول عبوراً بمنطقة سردشت ، ويظهر أن موقع سوريكاش كان حوالى بانه .

والمقاطعة المانية الأخرى شمال سوريكاش فكانت أويشديش التي كانت تجاور حدود الأورارتيين الذين إستقطعوا بعض أجزاءهـا وكـانت واضحـة الحـدود(١١٨) . وقـد مـدت دولة أورارتو حدودها بالقوة إلى جنوب بحيرة أورميه في نهاية القرن التاسع قبل الميـلاد ممـا أدى هذا العمل إلى قيام سرجون بغارته الثامنة ، إلا أن المناطق الجنوبية لبحيرة أورميه رغم هذه الغارة ظلت تحت السيادة الأورارتية . والوجود الدائمي للأورارتيـين في هـذه المنـاطق

---

(١١٤) *TCL III, 1. 31.*

(١١٥) *Wo, 1/6, P. 472, 1, 61; II/1, P. 36, 1. 34.*

(١١٦) *TCL III, 11. 12-13.*

(١١٧) *JNES II (1943), P. 176-177.*

(١١٨) حول حدود أويشديش مع أورارتو راجع : *TCL III, 1. 167* وهنـاك ذكـر لمقاطعـة أوكشتي في حوليات الملك الأورارتـي أركشتي ابـن مينـوا وهـي على أغلـب الإحتمـال أويشـديش الآشورية ، حول ذلك راجع : *AfO VIII, no. 80, 9, IV; no. 82, 9, IV* .

أدى إلى توسع نفوذهم في الوديان الواقعة على السواحل الجنوبية للبحيرة التى كانت ضمن مقاطعة أويشديش . وهناك أخبارُ آشورية تشير إلى إمتداد النفوذ الأورارتى إلى أويشـديش ، ففى الرسالة المرقمة *ABL 381* يتكلم الناسخ عن مانينين يعيشـون فـى المـدن الأورارتيـة الواقعة على سواحل البحيرة ، كما إستوطنوا في المدن الواقعة على سواحل بحـيرة وان بعـد مشاركتهم في الإنتفاضات ضد الأورارتيين مـن أجـل تحريـر أويشـديش كمـا تشـير إليهـا الرسالة الآشورية المذكورة بصورة واضحة . فالمقاطعة المانية التى كـانت تحـد أويشـديش إشتهرت بإسم زيكورتو التى حافظت غالباً على إستقلالها ، ومن خلال هذا الواقع ، فـإن موقعها غير واضح في سجلات الآشوريين والأورارتيين لأنهـم لم يحتلوهـا . ففـي السـجل المتعلق بالحملة الثامنـة لسـرجون يظهـر أنهـا كـانت تقـع في مكـان مـا بـين جنـوب ماننـا وأويشديش ، حاول الآشوريون الوصول إليه من ميسسى قبـل الوصـول إلى پانزيش علـى حدود أنديا . وكان هذا المحور يؤدي شمالاً إلى مناطق نفوذ الأورارتيـين(١١٩) ، وتحديدنـا لموقـع أنديـا يـأتي إعتمـاداً علـى موقـع زيكورتـو(١٢٠) . وآخـر المقاطعـات الـتي سـجل الآشوريون أخبارها هي كومـوردو الـتي عـبر منهـا الملـك الآشـورى آشـوربانيبال(١٢١) . ومثلما يورد في هذا السجل فإن الأورارتيين وقعوا في ورطة أثناء غزواتهم في بـلاد ماننـا ، فقد إحتل روسا ١٢ مدينة مانية كانت تقع على حدود أورارتـو وأنديـا ونـايري(١٢٢) . وهناك في خورساباد لوحة آشورية تحوي حوليات سرجون حيث تصور سكان أويشديش

---

(١١٩) ليفاين ، نفس المصدر *Louis D. Levine, Op. Cit. P. 115*

(١٢٠) راجع : *E. g. Winckler, Sargon, P. 104, 1. 45; 148, 1. 20; P. 176, 1. 38;*
TCL III, II. 14, 76, 154, 162.

(١٢١) *Pipkorn, Ashurbanipal, P. 52, 1. 60.*

(١٢٢) *AfO XIV (1941-44), P. 46, II. 12 ff.*

وزيكورتو الذين إنتفضوا ضد العاهل الآشورى خلال حملته السادسة . وفي السنة السابعة لحكم سرجون كانت هناك إنتفاضات كثيرة في هذه البلاد قامت ضد الأورارتيين(١٢٣) . وفي الواقع تشير السجلات والرسائل الآشورية إلى كثير من المشاكل التي ظهرت بين الأورارتيين والمانيين ، وخاصة مع الزيكورتيين(١٢٤) . وكل هذه الأحداث التي تتعلق بالصراع حول أويشديش لا تستطيع أن تعين الحدود الطبيعية لجميع المقاطعات المانية رغم أن خمسة ملوك أورارتيين تحدثوا في سجلاتهم أيضاً عن ماننا(١٢٥) ، ومن أشهرها هو نصب تاش تبه قرب مياندواو(١٢٦) الموقع الذي كان أصلاً مستوطناً مانياً إحتلها الأورارتيون ، كما تأتينا أخبار ماننا من خلال سجل أرگشتى الأول الذي يتكلم فيه عن إحتلاله لأراضيها التي كانت تحد مناطق النفوذ الآشوري(١٢٧) . وتشير هذه الحقيقة إلى أن مقاطعات مانية أخرى في الجنوب كانت تُدار في هذه الفترة من قبل الآشوريين .

ومن المعلومات الواردة أعلاه ، يمككنا أن نشير في النهاية إلى أن بلاد المانيين كانت تبدأ جنوباً من بلاد بارسوا إلى بلاد الأورارتيين في الشمال وتجاور زاموا وآشور في جهاتها الغربية ، أما شرقاً فلا يمكننا تحديد حدودها . وبكلمة أخرى ، فإن الأراضي الواقعة بين بحيرة أورميه شمالاً وحتى بحيرة زريبار قرب مريوان جنوباً كانت تدخل ضمن بلاد ماننا وشكلت سلسلة جبال زاكروس جبهاتها الغربية .

---

(١٢٣) ليفاين ، نفس المصدر

(١٢٤) *E. g. ABL 215, 434, 198, ect.*

(١٢٥) إشبويني ومينوا وأركيشتى الأول وساردور الأول وروسا الثاني . وحول حوادث ماننا في السجلات الأورارتية راجع : *König, AfO VIII, no. 17, P. 59.*

(١٢٦) *König, AfO VIII, no. 17, P. 59.*

(١٢٧) نفس المصدر .

١٥) ميديا Media :

كانت ميديا ، كما مُسجّل في النصوص المسمارية ، تلي بلاد ماننا أشيرت إليها كإحدى مقاطعات جبال زاكروس ، ولعب سكان هذه المقاطعة في التأريخ دوراً سياسياً مهماً قبل الفرس وجاء ذكرهم لأول مرة في سجلات شالمانصار الثالث(١٢٨) ثم تحدث كل من تيغلات بلاصر الثالث وسرجون الثاني(١٢٩) . ومن أسباب عدم إستطاعة الآشوريين في تعيين حدود ميديا بصورة دقيقة تكمن في أنها كانت واسعة الأرجاء ، لكننا ، وإعتماداً على بعض الحقائق ، يمكننا التعرف على موقعها وحدودها . فتمركزها في أكبتانا يعني أن الأراضي المحيطة بهذه المدينة كانت مسكونة من قبل القبائل الميدية ، أما مقاطعة خارخار فكانت في مساس مع هذه القبائل(١٣٠) ويُشير حاكمها الآشوري إلى أن الميديين كانوا يسكنون داخل مركز هذه المقاطعة(١٣١) الذي كانت الحملات الآشورية غالباً ما تبدأ منه وكان يُشكّل حوماً مصدر قهرهم . وبناءً على الإعتقادات الآشورية ، فإن الأراضي الميدية كانت تقع بين ماهي دشت والوند على طريق خوراسان العظيم ، ففي وثيقة سرجون المتعلقة بحملته السادسة يظهر أن العاهل الآشوري تقدّم من خرخار إلى زاكروتي(١٣٢) وكان مسار تلك الحملة تقع على محور هذا الطريق

---

(١٢٨) راجع المصدر *WO II (1955), P. 156, 1, 121* الذي سُجل فيه *KUR a-ma-da-a-a* (كور آمادا) وهي مرادفة لـ *KUR ma-da-a-a* أو *mad-a-a (= KUR -a -a)* التي تُشاهد في سجل الملك الآشوري شالمانصار .

(١٢٩) *D. J. Wiseman, Chronicles of Chaldean Kings, P. 57, 1. 24 ff.*

(١٣٠) في بعض النصوص المسمارية أعتبرت خارخار موقعاً ميدياً وبالصيغة التالية :

URU *Harhar* ša KUR *Madaya*

راجع مجلة (العراق) ، الجزء السابع ، ص ١٣ ، ٨٧ [Iraq VII, P. 87, 13]

(١٣١) *ABL, 556, 21*

(١٣٢) *Levine, Two Stelae, P. 40, 1, 46*

وعلى شرق ماهي دشت وسُجلت زاكروتي في الوثيقة الآشورية كمدينة ميدية . وهكذا ، فإن هذه المدينة كانت تقع بطبيعة الحال على شرق ماهي دشت ، ربما في منطقة بيستون التي كانت تُعتبر الجبهة الغربية لميديا . وقد دوّن الآشوريون أسماء مناطق أخرى كمستوطنات ميدية سُجلت في القسم الثاني من أخبار الحملة السادسة بمسلة نجف آباد ، وبعد هذه المناطق من الصعب تحديد الحدود الشرقية لميديا ، بينما بإمكاننا تحديد هذه الحدود شمالاً وجنوباً . ففي الشمال كانت تبدأ البلاد المانية ، وبالرغم من مجاراتها لإيلليبي ، لكنها أعتبرت غالباً جزءاً من ميديا(١٣٣) . وفي الجنوب كان الميديون يتحركون بإستمرار بين منطقة كاماسآب وطريق خوراسان . وبناءاً على هذا الواقع ، هناك موضوعين لتحديد المقاطعات التي إنتشر فيها الميديون . ففي الموضوع الأول ، فإن جبل بيكنى الذى حارب الآشوريون الميديين الوارد ذكره في السجلات المسمارية يعني جبل دماوند الحالي الواقع شرق طهران . والموضوع الثاني يتعلق بـ(باتوشارا *Patusharra*) التي تسمى الآن خوهر وتقع في خوراسان(١٣٤) . ولمطابقة بيكني مع دماوند هناك ثلاثة أسباب ، الأول تحديده في المصادر الآشورية كجبل عظيم في إيران لا يمكن أن يكون غير دماوند ، وثانياً وصفه كتعبير مجازي بالجبل اللازوردي الذي تغطيه الثلوج . وأخيراً وصف الموقع بالقرب من مناجم اللازورد في بَدَخشان وهو بالتأكيد جبل دماوند . ولكن من بين كل ملوك آشور ، إستطاع سرجون فقط من الوصول إلى أبعد نقطة في جبال زاگروس ، وفي كل سجلاته لا نرى أي خبر عن عبوره لسلاسل الوند ، وتشهد على ذلك مسلته التي نصبها في نجف آباد غرب همدان ببعض الأميال . فوصول الآشوريين إلى جبل بكني لا تزال تحتاج إلى بعض المعلومات الأخرى .

---

(١٣٣) *Levine, Geog. Studies, P. 118.*

(١٣٤) راجع دراسات هاوبت :

P. Haupt. "Epenthesis of i in Old Persian", JAOS XLIV (1929), P. 158.

أما تطابق باتوشاررا مع خوهر فقد جاء بناءاً على قاعدة لغوية ولا يمكننا من تصديو وصول الآشوريين إلى هذه المنطقة من طريق خوراسان شرق طهران الحالية ، ففي هذه الحالة ، فإن موقع باتوشاررا يجب أن يكون في غرب إيران . وعلى كل حال ، فإن أهم المحاور التي سلكها الآشوريون في كوردستان كانت طريق خوراسان العظيم . ومن هذا المنطلق يمكن مقارنة بيكني كذلك بالوند ، ففي هذه الحالة يمكننا التعرف على قلب الوطن الميدي في هذه المنطقة الواقعة على غرب العاصمة همدان .

وأخيراً يرى ليفاين *L. D. Levine* أن ميديا كانت معروفة لدى الآشوريين من خط طريق خوراسان شرق خارخار إلى الوند أو أبعد من ذلك ، وكانت تحد في الشمال مع ماننا وفي الجنوب مع إلليبي وبعد سقوط آشور إمتدت حدودها أكثر نحو الغرب(١٣٥) .

١٦) نائيري Naîrî :

كانت المناطق الواقعة على غرب بحيرة أورميه وجنوب بحيرة وان فيما بين الفروع العليا لنهري دجلة والفرات (مركز كوردستان الحالية) تشتهر في حوليات الملوك الآشوريين بكنية مبهمة غير واضحة سُجلت بصيغة Naîrî نائيري(١٣٦) التي تعتبر مهمة

---

(١٣٥) راجع ليفاين ، نفس المصدر ، ص ١١٩ .

(١٣٦) راجع تفاصيل هذا الموضوع في المصادر التالية :

Fisher Weltgesschicte, 4, Die Alorientalischen Reiche, III, Die Erste Halfte Des 1. Jahr. Tausends; Dr. Jamal R. Ahmad & Dr. Fawzi Rashid, The Ancient History of the Kurds, Erbil 1990, PP. 78-83.; R. D. Barnett, Urartu. The Cambridge Ancient History, Volume III, Part 1, Chapter 8, PP. 314-370.

مجلة المقتطف ، الجزء الثامن من السنة الحادية والعشرين ، أغسطس (آب) ١٨٩٧ الموافق ٢ ربيع الأول ١٣١٥ والجزء التاسع من السنة الحادية والعشرين ، ١ سبتمبر (أيلول) ١٨٩٧ الموافق ٤ ربيع

لتوضيح تأريخ الأورارتيين(١٣٧) . فتوكولتي نينورتا الأول (١٢٤٣ - ١٢٠٧ ق. م.) ابن شالمانصار دَوّن في أول عام من فترة حكمه أخبار غارته على أراضي كوتي (*Qutî*) وأوقمانو الجبلية وكذلك على أراضي ملوك آخرين في بلاد سوبارو (سوبارتو) ، ثم قهر أربعين ملكاً في بلاد نائيري وإمتلك أراضيهم كما إمتلك أراضي الكوتيين والسوباريين(١٣٨) . وإستمر في غاراته نحو الشمال حتى وصل إلى سواحل البحر العليا لنائيري «أي بحيرة وان» التي كانت محكومة من قبل عدد من هؤلاء الملوك الأربعين(١٣٩)،

الثاني ١٣١٥ والجزء العاشر من سنة الحادية والعشرين ، ١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٩٧ الموافق ٤ جمادى الأول ١٣١٥.

Г. Л. Меликишвилиб Урартские Клинописные Надписи,.Москва 1990, Стр. 7-24ю .

(١٣٧) أن جذر كنية نائيري غير معروف ، وعلى الأغلب تنحدر من الكلمة الخورية نهريه (نيهريه) ، وهي إسم المنطقة التي كانت تقع على شمال جبال كاشياري (طور عابدين) على حد قول ملكشفيلي الذي يستمر قائلاً :

[Саио происхждение термина «Наири" не совсем ясно. Скорее всего он находится в связи с названием хурритской области («Нахриа"), лежащей к северу от Кашиярских гор (совр. Тур-Абдин). Возможно, это название и превратилось у ассирийцев в общее обознечение севера, так как древние караванные пут на север шли именно через эту территорию.]

راجع :

Г. Л. Меликишвили, Наири-урарту. Урартские Клинописные Надписи, Москва 1960, стр.8 .

(١٣٨) *R. D. Barnett, Urartu, CAH, v III, Part 1, 1982, P.330.*

(١٣٩) نفس المصدر

ثم تسكت السجلات الآشورية عن هذا الموضوع لأكثر من قرن ، وأخيراً بدأ تيغلات بلاصر الأول (١١١٤ – ١٠٧٦ ق. م.) يُدوّن أخبارها من جديد ، ويتحدث عن حروبه في مناطق كَدموخو وپاپخو[١٤٠] التي كان يحكمها كيلي تيشوب ابن كالي تيشوب الملقب بكنية إيرروپي ، وهذه الأسماء بالإجماع هي خورية[١٤١] .

سجل هذا العاهل أخبار حملته على مسلة في يونجالو بوادي مراد صو غربي بولانيك وملازكرد يُخبرنا فيها أنه وصل إلى بلاد دايّانو (دايّان) . ويتفاخر كملوك آشور الآخرين أنه قتل ودمّر وأحرق كل البلاد التي مرّ بها ، ثم يشير إلى أنه تعرّج من هناك نحو البحر الأعلى (بحيرة وان) . وفي الواقع ، فإن المناطق الجبلية الواقعة خلف جبال هيكاري وجودي ، ومن ضمنها نائيري وكل المناطق الواقعة فيما بين طور عابدين في الجنوب الغربي ولحد بحيرة أورميه في الجنوب الشرقي ووادي چروخ في الشمال الشرقي (مركز كوردستان) ، كانت لحد هذه الفترة (القرن الثاني عشر ق. م.) مجهولة وموحشة لدى الآشوريين . وفي العام الثاني من فترة حكمه ، سار نحو بلاد سوگو في شرق بابخو وحارب هناك في السنة التالية مع ٢٣ ملكاً نائيرياً (ثم قلّب هذا العدد إلى ٦٠ ملكاً) ، وكان يقود عرباتهم سييني ملك دايّان الذي قَبض عليه وساقهُ إلى آشور ثم عفى عنه وسمح له أن يعيش حراً (١٤٢) ، وسجل العاهل الآشوري في حولياته أسماء ٢٣ مقاطعة

---

(١٤٠) سُجلت أسماء هذه المقاطعات كما يلي : *Papkhu, Katmukhu, Bushu, Mummu, [A]madanu, Nikhanu, Alaya, Tepurzu and Purukuzzu* ويمكن قراءة الإسم الأخير كـ *Purulumzu* ، والإسم بابخو يقرأ أيضاً بصيغة كورخو وخابخو . راجع المصدر السابق .

(١٤١) راجع تفاصيل هذا الموضوع في الفصول التالية .

(١٤٢) يقول تيغلات بلاصر في نهاية العمود الرابع من كتاباته « ستون ملكاً من بلاد نايري زيادةً عن الذين ذهبوا لمعونتهم تبعتهم بعمودي حتى البحر الأعلى وفتحت حصنهم الأكبر » ثم يستمر في العمود الخامس قائلاً « وسلبهم وعروضهم وفنيتهم سلبتُ ومدنهم بالنار أحرقت

على التوالي(١٤٣) ، إلا أن جميعها غير معروفة بصورة واضحة ونسب كل من تومي وخيموا لدايان . ومن المحتمل أن يكون خيموا هو خيمي الذي ذُكر في المصادر الحثية بصيغة *Khimuwa* . أما تومي فكانت تقع في جنوب بحيرة أورميه وذُكر إسمها بجانب دايان ، ولعل الإسمان يشيران إلى الجهات الشمالية والجنوبية لبلاد نائيري بين المناطق العليا لبينگول داغ وجبال پلاندوكين وينابيع قره صو شمال سهل أرضروم ، وعلى هذا الأساس كانت حدود ديان تصل حتى نهر أرسانياس في شمال غرب بحيرة وان . ومرة أخرى يغطي الصمت السجلات الآشورية التي لا تتطرق إلى أخبار هذه البلاد حتى أواسط القرن العاشر . ثم يُسجل تيغلات بلاصر الثاني (٩٦٦ - ٩٣٥ ق. م.) في نفق من أنفاق ينابيع نهر دجلة أخبار ثلاثة حملات قام بها إلى بلاد نائيري (من بحر آمورو العظيم إلى بحر نائيري العظيم «بحيرة وان») . وفي زمن عدد نيراري (٩١١ - ٨٩١ ق. م.) تحركت

ودككتُ واحتقرتُ وجعلتها ركاماً وخراباً واسراباً من الخيول والبغال والعجول ومحتويات بيوتهم مما لا يُحصى عديدهُ استرجعتُ وجميع ملوك كل بلاد النايري احياءً يدي استأسرتهم ولهؤلاء الملوك بسطت الرحمة وأبقيت على حياتهم و(من) اسارهم وعبوديتهم بحضرة آسور ربي اعتقتهم وقسماً بالعظماء أربابي انِ في مستقبل الأيام إلى لأبد الأبد يكونون عبيداً (لي) جعلتهم يقسمون وأولادهم أبناءَ مملكتهم أخذتهم رهائن واثنى عشر مئة جواد و ٢٠٠٠ ثور ضربتُ عليهم جزيةً وتركتهم في بلادي . سيني ملك داياني الذي لم يخضع لربي آسور أسيراً مضفّداً لمدينتي آسور استحضرتهُ والعفو بسطتهُ لهُ ومن مدينتي آسور ترفيعاً للأرباب العظام إلى أعلى الذرى حياً تركتهُ يذهب وبلاد نايري الفسيحة الأرجاء أخضعتُ على مدى سعتها وكل ملوكها اخضعتُ تحت قدمي ...إلخ » .

راجع مجلة المقتطف ، العدد التاسع ، ص ٧٣٦ .

(١٤٣) وردت الأسماء بتحقيق [Barnett, P. 330, n. 123] على النحو التالي :

Tumme, Tunube, Tuala, Kindaru, Uzula, Unzamunu, Andiabe, Pilakinnu, Aturginu, Kulibarzinu, Shinibirnu, Khimua, Paiteru, Uiram, Sruria, Abaenu, Adaenu, Kirinu, Albaya, Ugina, Nazabia, Abarsinnu and Dayaenu. .

قوات آشورية مرة أخرى إلى هذه المنطقة ذكر الآشوريون في هذه الفترة خبراً عن أوروئاتري بصيغة (أوراتري) . وفى هذه الفترة قام الملك بغارات على بلاد لوللومي وخابخي وزاموا وحتى نامرو ، ثم إستمر نحو قومانو وميخرو وسالوا وأوراتري مستعملاً في سجله الأشكال القديمة للأسماء . وقد قصد باللوللومي اللوللوبيين ، ولكن المنطقة كانت تحيط وديان نهر الزاب الصغير التي سكنها الكوتيون ، وفي أربع سجلات الملك عدد نيراري نرى أنه يستعمل إصطلاح خابخو كجانب من بلاد نائيري . والمعلومات التي توردنا من هذه السجلات تشير إلى أن نائيري أستعملت بجانب أوروئاتري ، والمنطقة الواقعة جنوب شرق بحيرة وان كانت الموطن الحقيقي لأولئك الناس الذين إشتهروا فيما بعد بالأورارتيين الذين عاشوا ضمن ثمان إتحادات سياسية التي أصبحت بمرور الزمن قاعدة لظهور المملكة الأورارتية ، وفي الأقسام الجنوبية الغربية من بحيرة أورميه يمكننا مشاهدة الآثار التي تعود إلى هؤلاء ومنها موقع موصاصير . في الواقع لم يطلق هؤلاء على أنفسهم كنية أوروئاتري أو شعب أورارتو ، فملوكهم دونوا كنية نائيري أو بياينيلي ، في حين كان نائيري عند الآشوريين إسماً مرادفاً لأورارتو . وهكذا يظهر أنه بالرغم من كثرة ورود كنية نائيري ، فإن كلمة أورارتو لم تورد لا في القرن الثالث عشر ق. م. ضمن كتابات توكولتي نينورتا ولا في القرن الثاني عشر ضمن كتابات تيغلات بلاصر الأول . فأوروئاتري لم تكن الموطن الأصلي للأورارتيين على ما يظهر وإنما المناطق الجنوبية الشرقية من مملكة أورارتو قامت في وقت لاحق في أرض نائيري هي مهد هؤلاء . وهذا الواقع يتحدد مع وضعية كل من خيممي ولوخا الواقعتان في سوگي وخابخو حيث خربهما شالمانصار الأول و لم تقم لهما قائمة إلا بعد قرنين من الزمان . وفجأة ظهرت نائيري في نص من نصوص آشور بيل كالا (١٠٧٣ - ١٠٥٦ ق. م.) في فترة جرت في هذه البلاد تغييرات جذرية في حالة المجتمع . ففي السنة الثالثة لحكمه أرسل هذا الملك قوة ضد (بلاد أوروئاتري) الذي يحدده خلف جبال خيني ولاتكون ونهر سامامونا ، في حين لم يذكر

كنية نائيري ، ثم يذكر أسماء ٣٢ مدينة إحتل جميعها وهي غير معروفة لدينا ماعدا كل من زيقونو (وهي زينكون في سجل شالمانصار الأول ومعروفة كذلك بزيئيقوني في الكتابات الأورارتية اللاحقة وكانت تقع في قلب أورارتو) وكيريشتو التي ربطها تيغلات بلاصر الأول بخابخو . وعلى كل حال ، فإن سجل آشور بيل كالا ملئ بأخطاء تتعلق بمواقع المدن في بلاد أورارتو ، فلا نرى من الحاجة أن نخوض في تفاصيلها .

١٧) نامري – نوار Nāmrî / Nawār :

في الجهات الجنوبية الشرقية من أرّابخا وفي هورين شمال حلوان وعلى بُعد ٢٥ ميلاً شمال غرب كِرند عاصمة نوار هناك نصوص ولوحة مرسومة على صخرة مستقرة على وادي يسمى شيخان يحدد هرتسفيلد في الصفحة ١٥٤ من كتابه (تأريخ الإمبراطورية الفارسية) زمنها فيما بين فترة حكم سلالتي أكد وأور الثالثة . والنص هو كما يلي :

1. Hub.ba.ni-	5. salmmam us.zi.iz	9. pì.ri.su
2. pî.ri.ni	6. i nu ma la a ba an	10. ù su.um.su
3. mār ik.ki-	7. u.te.$^{ir}/_{ra}$	11. ^{d}UD ^{d}UDU
4. ip.ša.ah.ma.at	8. ša šalmam i.sir	12. i.NI.NI.ku

« خوباني بيريني ابن إكيب شاحمات أقام هذا النصب ... من يخربه ؟ النصب ستفنى سلالته وأحفاده من قبل شمش وتيشباك »

أن لإسم نامري ومرادفه نامار ونوار تأريخ حافل بالأحداث التي دُرست تفاصيلها بشكل أو بآخر من قبل المستشرقين(١٤٤) . ويقول العالم الأثري الفرنسي ثيورو دانجين

---

(١٤٤) على سبيل المثال *E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden 1968, P. 154.* *Louis D. Levine, Geographical Studies in the Neo-Assyrian Zagros, IRAN, Vol. XI, 1973; E. Schrader, Keilinschriften und Geschichtsforschung, Giessen,*



H̲ub. ba. ni pî. ri. ni mār ik. ki-ip ša. ah̲. ma. at

خوباني يريني ابن إكيب شاخمات

في الصفحات ١ - ٤ من العدد التاسع من مجلة الدراسات الآشورية إن هذه التسمية شوهدت ضمن نصوص الألواح التي تعود إلى العصر الأكدي القديم [أنظر بالفرنسية إلى *F. Thureau-Dangin, "Tablet de Samarra", Revue d'assyriologie et d'archéologie orientale (RA) IX, Paris, 1912, 1-4.*]

وإستمر الحديث عنها خلال العصر الآشوري(١٤٥) ، وسبب توقف الحديث عن نامري ناتج عن إعتبار هذا الإقليم جزءاً من المناطق الكاسية(١٤٦) . وعندما سجّل نبوخذنصّر الأول رسالة إلى ريتي مردوك على حجر كدّورو كانت تحمل صورة خيل ، الحيوان الذي وصل إلى هذا الإقليم قبل نزوح الإيرانيين إليها . وكان ريتي مردوك رئيس بيت (بطن) كارزيابكو *bêl bîti sa bît PKarziapku* وقائد العربات التي كان يسوقها على يمين

Sandchak Suleimania- und dessen persische Nachbarlandschaften zur 1878; F. Delitzsch, Die Sprache der Kossaer, Leipzig 1884; A, Billerbeck,, Das babylonischen und assyrischen Zeit, Leipzig, 1898; M. Streck, Das Gebiet der heutigen Landschaften Armenien, Kurdistan und Westpersien nach den babylonisch-assyrischen Keilinschriften, Zeitschrift für Assyriologie und Vorderasiatische Archäologie (ZA), XIII, 1898.

(١٤٥) حول الوجود الآشوري في العصر الحديث راجع :

Perpola, Alter Orient und Altes Testament (AOAT) 6, P. 257; W. Schramm, "Das land Zab der assyrischen köninginschriften", Orientalia. Nova Series (Or., N.S.) 38, Roma, 1969, P. 126-127.

إن العلاقة بين لوح سامراء ونصب شيخان لم يجلب إنتباه أحد ، ومن المعروف أن معبد نرغال بُني من قبل ملك نوار وأوركيش الذي كان يستقر في شمال حلوان ولا علاقة له بسامراء ، حول ذلك راجع : *E. Herzfeld, Ibid. P. 157*

(١٤٦) *D. D. Lukenbill, The Annals of Sannacherib (Chicago, 1924).*

الملك *GISmagarra.su sa imitti* . وكان هناك ضابط آخر ينتمي إلى صنف أقل رتبة يسير على يسار الملك ، وأحياناً كان هناك الثالث كمساعد للآمر ويسمى *salsu rakbu* الكلمة المشتقة من ركوب العربة . وبعض المعلومات الواردة في حجر كدّورو هي :

العمود ١ ، السطور ٤٧ وما بعدها(١٤٧) :

Col. I, 47 ff: "Ritti Marduk, concerning the town of bît Karziapku in the land, qaqqar of matNawar, all that there are, which under a former king had been freed, but through enemies had, contrary to their laws, come under ilku (vassalage, corvée) of Nawar, informed the king, his lord ... and the king consulated the judges and (to) the towns, as in days of old, (he gave) their freedom, zakûtum, from the whole ilku, (decreeing): officers of the king and the governor, saknu, of Nawar, and the lunâgiru, are not to enter the town; the master of the horse, lurab ûrê, is not to bring stallions or mares, ûra u fûrâêpl, into the towns; sibit, requisition of cattle or sheep is not to be carried out for the king or the governor of Nawar; a pu.lu.uk or a load of pines, imêrburâsi, is not to be rendered; the master of the saddle horses awelsa pithali, is not to enter the towns, nor to take therefrom mares as riding horses; the fences, [m]akkalti? kîrê, of the plantations and the date-palm groves no man is to cut down etc.... From all ilku of Nawar whatsoever, Nabuchadnezzar ... freed the towns of Ritti Marduk, the mâr Karziapku, in the territory of matNawar, all that there are, for ever. And the soldiers quartered in those towns he appointed for special protection (only) of the governor of Nawar and the nâgiru".

---

(١٤٧) *Th. Dangin, Un synchronisme entre la Babylonie et l'Elam, in RA X, Paris 1913, P. 9ff.*

لم نر من الحاجة ترجمة هذا النص إلى العربية ، لأنه في الأصل مترجم من الفرنسية إلى الإنجليزية .

ومن بين الشاهدين الذين دُون أسماءهم في هذا العمود هم .كل مـن تـاب أسـاب مـردوك ابن إساكيل زيرو ، ساكنو حاكم حلوان ، إنليل نادين سومي ، مار خببـان سـاكنو نـوار وكل من نابو كودّوري أوسور وناكير نوار .

العمود الثاني : خُرب هذا العمود ويظهر عليه أن أحد أعضاء أسرة مـاري هانبـان الـذي تلقب باللقب الكاسي (يانزو «الحاكم») ورث الحكم في نوار أيام شالمانصار الثـالث عـام ٨٤٣ ق. م. ولهذا اللقب صلة بـأبناء أسرة (بيت هانبان) الذين حكموا منطقـة كرمنشـاه على مر الألف الأول ق. م. ورثوا الحكـم مـن أبنـاء (بيـت كارزيـابكو) الذيـن كـانوا في علاقة جيدة مع الحكام الكاشيين في بابل . وكـان الضبـاط والجنـود المذكوريـن في النـص يمثلون الحكم العسكري بجانب الحكم المدني في هـذه البـلاد . فكلمـة ***qêpu*** تعـني (المقيـم «قائمقـام» أو مفـوض الملـك) ، ***rab ûrê*** وكذلـك ***rab pit<u>h</u>ali*** الـتي تمـاثل الكلمـة الآشورية ***rab sîsê - are*** أي الخيالون « الفرسان العسكريون في الجيش» .

العمود الثالث ، السطر ٢٦ ومابعده :

Col. III, 26 : "Whenever in aftertime one of the mârê <u>H</u>abban or any other man who may be appointed as governor of Nawar or as qêpu, prefect of Nawār ... with regard to the cities of bât Karziapku, which the king has freed from the ilku of Nawar, shal ... again place them under its ilku or obliterate, change [anything written on the kudurru, ^{aban}nâra] or destroy, coneal it ...may Šumalia, lady of the snowy mountains, who dwells upon the summits, who enters the houses, kâbisat quppâti, Adad., Nargal and Nanâ, the gods of Nawār, ^{d}MUŠ (= sa<u>h</u>an) the shining god, mâr bîti sa ^{âl}Di.e.ir, the heir of (the town) Dêr, Sin, and the Bêlit Akkadi, the gods of bît <u>H</u>abban ... punish him!"

وبحمل المعلومات المتعلقة بموقع نامري تأتينا من السجلات الحديثة الآشورية ، كما نرى في أسطورة حيثيـة أن الإله كومـاربي رئيس مجمع المعبودات السوبارية يحارب الإلـه تيشـوب

معبود كوميا(١٤٨) السوباري . وفي الواقع فقد إمتدت حدود نوار ، على حد قول أرنست هرتسفيلد ، حتى هامبان (منطقة كرمنشاه) في الشرق . وهناك في ألواح سامراء إشارات حول تطابق نوار مع نامري كما يقول لاندسبيرغر(١٤٩) . وحسب تصورات الآشوريين ، فإن نوار كانت تقع إلى جهة الجنوب من بلادهم بعد نهر الزاب الصغير(١٥٠) . وكان هذا المحور يتجه نحو الجهات الشرقية الواقعة بعد إقليم زاموا على ما يظهر(١٥١) . ويمكن إعتبار التخوم الجنوبية لنامري من الأدلة المهمة لكشف موقعها حيث إجتاحها شالمانصار الثالث عام ٨٣٥ ق. م. . ففي خلال هذه الحملة عبر شالمانصار نهر الزاب الصغير ثم إجتاح جبلاً سماه هاشيمور ودخل بعده إلى بلاد نامري(١٥٢) . وتحديد موقع هاشيمور يأتينا بشكل أدق من نص شمشي عدد الخامس الذي سجله أثناء حملته على بابل(١٥٣) ويقول أنه عبر أيضاً جبل إيبيه (جبل حمرين) شمال نهر ديالى ثم وصل نهر

---

(١٤٨) لم يستطع هرتسفيلد من تحديد موقع كوميتا ، أما حول الأسطورة فهو يقول أنها لا تساعدنا في تحديد موقع أوركيش شرق نوار [هرتسفيلد ، نفس المصدر ، ص ١٥٧] . كانت هذه المدينة مركز عبادة تيشوب (تِيْشيبا الأورارتي) رب العواصف يعينها كيرنوت ويلهلم بمدينة زاخو الحالية على الحدود العراقية التركية ، راجع كتاب ويلهلم بالألمانية :

G. Wilhelm, Grundzüge Der Geschichte und Kultur der Hurriter, Wissenschaftliche Buchgesellschaft, Darmstat, 1982,

وراجع الصفحة ٨٨ من الترجمة الروسية لهذا الكتاب ، طبعة موسكو ١٩٩٢ . أما حول كوميا فراجع : *I. Read, "Studies in Assyrian Geography, RA, 72, P. 177.*

(١٤٩) *E. Herzfeld, LOC.*

(١٥٠) *Louis D. Levine, Ibid. P. 22; Wo II, 2 (1955), P. 162, 1. 93.*

(١٥١) *MAOG IX, P. 14, II. 23-24.*

(١٥٢) *Wo II 2 (1955), PP. 154-156.*

(١٥٣) *AfO IX (1933-34), P. 92.*

ديالى . وبعد إحتلاله مدناً ثلاثة في هذه المنطقة عرج نحو الشرق عابراً جبل هاشيمور ثم إتجه نحو الجنوب . وعلى هذا الأساس ، فإن جبل هاشيمور كان يقع قرب ديالى أسفل حمرين(١٥٤) . ويعتقد وايدنر أن المقصود بهاشيمور هو القسم الشرقي من جبل حمرين الواقع جنوب ديالى(١٥٥) . ومهما يكن الأمر ، سواء كان حمرين هو الجبل المقصود أم لا ، فمن المفروض أن يكون هاشيمور جبل من الجبال الواقعة في هذه المنطقة عبره شالمانصار قبل دخوله إلى تامري(١٥٦) . وعلى العموم ، فإن الأخبار التي تصلنا من مختلف المصادر عن موقع نامري تتناقض بعضها مع البعض الآخر ، فلم تتحدث هذه المصادر مثلاً عن مدن في نامري ، وبناءً على هذا الواقع ، فإنها لابد قد وقعت حوالي جبل حمرين ، في حين يشير شمشي عدد الخامس في نصوصه عن حدود نامري مع كلدو وعيلام وأرامو ، المناطق المفروضة وقوعها على شرق نهر دجلة(١٥٧) . فمُحارات هذه البلدان مع نامري تعنى شيئاً كثيراً من الناحية الجغرافية ، وقد جاءنا حول هذا الموضوع معلومات إضافية من شالمانصار الثالث . ففي عام ٨٤٣ ق. م. تقدم شالمانصار من نامري إلى توگلياش وإستمر نحو الجنوب الغربي لمرتفعات زاگروس(١٥٨) . وبما أن توگليناش كانت تقع في

---

(١٥٤) هذا النص يساعدنا في مطابقة هاشيمور مع هاشمار الذي يسمى الآن (دربندي خان) بداية ديالى المارة بجبل بَرَناند . فموضوع تطابق الإسمين جاء من قبل بيليربيك ثم تبعه أفرام سبايزر :
Billerbeck [Sulemania, P. 30, n. 3] ; Speiser, AASOR VIII (1928), P. 26, n. 49].

(١٥٥) AfO IX (1933-34), P. 97 والرأى الثاني لوايدنر هو وقوع هاشيمور في أرض زاموا .

(١٥٦) هذا الموقع لهاشيمور يجعلنا أن نعيد النظر إلى موضوع حملة عام ٨٣٥ ق. م. فبعد أن عبر شالمانصار نهر الزاب الصغير إتخذ مجرى نهر دجلة سبيلاً للوصول إلى بابل ثم هاجم نامري من الخلف ، وكان لهذا العمل هدف إستراتيجي بدلاً من أن يتخذ طريق أرابخا – كفري محوراً نحو نامري . ومهما يكن الأمر ، فإن الدخول إلى هذا البلد كان من الجهة الشرقية المقابلة لجبل مكحول

(١٥٧) *J. R. Brinkman, An. Or. 43, P. 200, n. 1227.*

(١٥٨) *WO I/6 (1952), P.472, 11. 9-21.*

منطقة ديالى أسفل جبل حمرين ، فإنه من الواقع أن يكون نـامري على نهـر ديـالى شمـال سلاسل هذا الجبل(١٥٩) .

في بداية حكم شالمانصار ، كانت نـامري مملكـة مسـتقلة(١٦٠) ، ولم تُـدار مـن قبـل الإدارة الآشورية ، في حين كانت أرّابخا ضمن هذه الإدارة ، وبنـاء على هـذا الواقـع ، لم تتوسع حدود مملكة نامري نحو أرّابخا في الشمال أو المناطق التي كانت تُدار من قبل حاكم أرّابخا ، بينمـا كـانت حدودهـا الشـرقية تصـل إلى مضيـق بازيـان في زامـوا . وعلـى هـذا الأساس فمملكة نامري كانت تقع فيما بين بازيان وجبل حمرين . ومن جهة أخرى ، فإن حدود نامري كانت تصل حتـى پارسـوا(١٦١) ، وكمـا يظهـر في خلاصـة بعـض نقـوش ملوك آشور أن هذه البـلاد كـانت تصـل إلى سـفوح جبـال زاگروس(١٦٢) . ومـن المفيـد الإشارة إلى أن النصوص الآشورية تتحدث عن نهـر نـامري ، وهـو بـدون شـك سيروان أحد فروع ديالى الـذي يمـر مـن منطقـة دربنـدي خـان . وفي نـص مـن النصـوص يتكلـم سنحاريب عن إسكان بعض الهاربين من الكاسيين واليوسوبيگاليين في مدينتـين مـن المـدن الواقعة على نهر ديالى (أي في نامري) وهمـا هارديشـپي وبيـت كوبـاتي وربـط إدارتهمـا بإقليم أرابخا . ومع ذلك لا يمكننا تصديق وجود إدارة آشـورية في نقطـة أبعـد جنوبـاً مـن أرّابخا . وفي هذا المجال فإن قـول سـرجون في إدارة نـامري مـن قبـل حـاكم لوللومـي هـو صحيح(١٦٣) . فإذا فرضنا أن هذا هو حاكم زاموا ، فموقع نامري يكون بعيداً عـن إطـار نهـر ديـالى ، كمـا أن علاقـة هـذه المنطقـة بحـاكم أرّابخـا هـو أيضـاً غـير واضـح

---

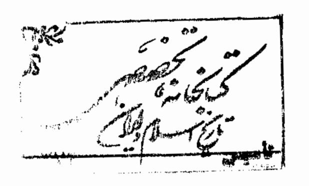
(١٥٩) *Cf. J. R. Brinkman, An. Or. 43, P. 200.*

(١٦٠) *Brinkman, An. Or. 43, P. 200.*

(١٦١) *WO II/2 (1955), PP. 154-156, II. 111-120; WO II/2, (1956), PP. 230-232, II. 185-187.*

(١٦٢) *D. G. Lyon, Keilschrifttexte Sargon's (Leipzig 1883), P. 3.*

، ولكن العصيان الذي واجهه سنحاريب في هـذه المنـاطق أدى بـه أن يعتبرهـا مـن ضمـن ممتلكاتـه . ومهمـا يكـن الأمـر ، فـإن نصـين بـابليين قديمـين يشـيران إلى شـهرة إمـرأة نوارية(١٦٤) تلقبت بكنية ناواريتوم *Nawaritum* . وفي كلا النصين يعزوا البابليون موقـع بلاد هذه المرأة بقرب أشنونا وعيلام وكوتي . ويشير أحد النصين (*ARM VI: 27: 8'*) إلى أن نواريتوم قادت كملكة نوار ١٠٠٠٠ من المحاربين الكوتيين ، ونفس الحقيقة نراهـا في نص لاحق . وفي أيام نبوخذنصر(١٦٥) (العصر البابلي المتوسط) سُجل إسم نـاوار في عدد من أحجار كدورو . وهناك في نص من نصـوص هـذه الأحجـار إشـارة إلى إمتنـاع حاكم نامري من دفع الضرائب المستحقة علـى مقاطعـة كارزيـابكو ، ويظهـر مـن سياق النص أن هذه المقاطعة كانت نامرية تقع قرب حلوان . وخلاصة القول ، فإن كل الدلائل (مثل المصادر الآشورية الحديثة وألواح سامراء) تشير لحد اليوم إلى أن موقع نامري أو نوار كان فيما بين قره داغ وجبل حمرين أي فيما بين النفوذ الآشوري والبابلي .



---

(١٦٣) *Winkler, Sargon, II, 45, E. 15-21.*

(١٦٤) *ARM II : 26: 9; ARM VI: 9; ARM XV, P. 153.*

(١٦٥) *BBSt. VI: P. 33 ff.*

١٨) پراهْشو Parāhš-u :

من بين الدويلات العديـدة المتميزة في مرتفعـات زاگروس الـتي سُـجلت أخبارهـا في الكتابات المسمارية السومرية والأكدية كـانت پراهْشـو (وفي الآشـورية پارسوا *Parsua*) التي صارت في وقت لاحق الكنية القومية للفرس (١٦٦) . وفي نقـش مـن العهـد الكاشـي يشير الملك آگوم كاكريمي إلى ثلاثة أنواع من الصخور ، نوعين منها جُلبا من هذه المنطقـة وأشتهرا بصخور مَرهاشي ، كما عُرفت في السجلات المســمارية السـومرية والأكدية بـ *(Sum.) zà.du₈.si. mar.ha.ši = (Akk.) (du.su.ú) pa.ra.ši.a "stone of marhaši"* على حد قول شييل [*P. Scheil RA XV, 116*] . ويشير سياق النص إلى أن آگوم يملك هذه المنطقة من دون عيلام وهي جزء من كاششو . وفي العصر الإسلامي أشار حمد الله المستوفي القزويني إلى هذا النوع من الصخور التي سماها بالمرقشيثي حيـث كانت تكـثر في جبال هُوَيْن بلورستان الصغرى(١٦٧) .

---

(١٦٦) سجلت هذه الكنية بصيغ مختلفة وجميعها تعني نفس المنطقة ، راجع حول هذه الصيغ عند :
Parpola, Alter Orient und Altes Testament (AOAT) 6, PP. 274-275.
فتقارب بارسوا مع بارسوماش وجد تأييداً من قبل ليون [راجع *Lyon, Sargon, 3, 15 with Iraq XVI, P. 199, 3.*] ونجد الحرف (ش) في كلا الصيغتين بارسواش وبارسـوماش ، كمـا نـرى هذا الحرف كذلك في كنية ماننا ومانناش [راجع *Parpola, AOAT 6, PP. 236-7*] وهذه الظاهرة لم يميز المكان الذي سجل أخباره كل من سرجون [*TCL III*] وشالمانصار عام ٨٤٣ ق. م. فإعتماداً على المصادر الآشورية يظهر الإسم عند الأورارتيين بصيغة (بارشوا) [راجع مثلاً كونيـغ *F. W. König, Handbuch der Chaldischen Inschriften, AfO VII (Graz, 1955-57)*] وعند الإخمينيين بصيغة پارسا .

(١٦٧) راجع هرتسفيلد ، الإمبراطورية الفارسية ، ص ١٨١ . والصيغة العربية لإسم هذه الصخـور هي مرقشيثا القصدير المشتقة من الصيغة الآرامية مرقسيسا ، أما صيغتها اليونانية هي :
κασσίτερος μαρκασσίτης

إنتصر ريموش ابن سرجون الأكدي على أبالگماش ملك پراهسي *šarru Para.ah.se* وأطلق على نفسه في Ur n° 9 لقب nêr elamtim[ki] u pa.ra.ah.se[ki] «الذي أخضع عيلام وباراهسي» كما ذكر نارام سن في Ur n° 274 النص «شاملاً عيلام مع باراهسي NIM[ki] ka.li.sa.ma a.di.ma pa.ra.ah.se » وهذا ما يؤكد على باراهسي جزءاً من عيلام في الأصل . وفي السنة الرابعة من حكم Pûr.Sîn في سومر وأكد كان هناك إيسّاك (حاكم) باراهسي هو ليبانوك ساباس ، الإسم الذي ينتمي إلى نفس اللغة التي ينتمي إليها كل من آروك سيبوري حاكم أبدادانا وسوبوس موت حاكم كاكمي . إن إنتهاء أبالگماش مع حرفي (–اش) كإسم من الأسماء الكاشية ظاهرة تشير إلى ما يسمى بأسماء *El.theophoric* ومنها لاگامار والأسماء الملكية الكوتية مثل وارلگب ، إيارلگب ، إيارلگنده وأرلگن .

وبعد حوادث الكوتيين ، خضعت باراهسي ككل عيلام إلى النفوذ السومري والأكدي ، ولمصالح سياسية ، فقد تزوجت بنت شولگي بإساك (حاكم) باراهسي وسميت *nam.nin* «سيدة ماراهشي» ، بينما تزوجت إبنته الأخرى بإساك أنشان والثالثة بإساك زابسالي وأصبحن جدات للسلالات الحاكمة في كل من عيلام وسيماش وأنشان . وقد أشارت الوثائق الإقتصادية والتجارية إلى عدم وجود التعامل الضريبي بين عيلام وباراهسي ، وإذا كانت تصوراتنا حول بوزور سوسيناك وإيلو مُطَبل صحيحة ، فإن أنشان في هذه الحالة كانت قد إستردت إستقلالها مع كل من سيماش وعيلام إلى أن قهّرها گونگونوم حاكم لارسا . ومصادر الألف الثالث ق. م. التي تشير إلى هذه الحوادث أوردت الإسم بصيغة پرهاشي بينما أصبحت في عهد حمورابي يتداول بصيغة مَرهاسي ، كما ظهرت كذلك في سجلات لوغال آني موندو وسلالة أور الثالثة والأساطير الأكدية التي شوهدت بين وثائق بوغاز كوبى . أما في السجلات الآشورية ، فنرى أن الحديث يجري حول صخورمَرهاشي = پرهاشي pa.ra.ši.i = mar.ha.ši ،. بينما سجل الحثيون هذا الإسم

بصيغة Parasi التي ترجمها البـابليون والآشـوريون إلى مـَرهاسي(١٦٨) . وعلـى حـد قـول أرنست هرتسفيلد وإعتماداً على نظرية كل من گاد وسيدني سميث ، فإن عيلام وفي شمالها بَراهسي ثم سوبارتو في شرقي نهر دجلة شكلت عند إي أنناتوم ملك لغـش مفهـوم كـل شمال وادي الرافديـن وبعدهـا كـانت تـأتي حلـب وأمـانوس(١٦٩) . أمـا في ألـواح أرّابخـا ونوزي التي تعود إلى أواسط الألف الثاني ق. م. فنرى هذا الإسم بصيغة Parāhše القديمة أو Pahrašše وأحياناً Paharasse في بعـض اللهجــات المحليــة(١٧٠) . ولعـل النوزيــون إستعملوا إسم جيرانهم بصورة أصح ، لكن الإملاء الأكدي مَرْهاسي يتناقض مع التهجئـة الصحيحة لأنه سامي التعبير(١٧١) . ولاشك من أن پاراهسي وصلت إلى أرّابخا مـن خـلال منطقة هورين ، وقد شملت أراضي پاراهسي الواسعة في بعض الأحيان كل من نـوار وبين هانبان . وكما ذكرنا ، فإن لبيت هانبان كان مفهوماً جغرافياً – سياسـياً عُرفـت بعـد أن حكمها أفراد من سلالة ماري هامبان الذيـن تلقبـوا بـاللقب الكاشـي (يـانزو «الحـاكم») وكانوا كذلك ساكنو (مفوضوا الملك) في نـوار . وقد أطلق شالمانصار الثـالث عـام ٨٣٥ ق. م. على هؤلاء لقب (يانزو نـوار) ، وعندما قبـض عليهـم ونفـاهم سمـاهم ianzu mâr

---

(١٦٨) *E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden 1968, P.184*

(١٦٩) نفـس المصـدر ، ص ٦٦ . يشـير هرتسـفيلد في الصفحـة ١٨١ مـن نفـس الكتــاب إلى أن الأراضي الواقعة خارج الجبهات الشرقية لسيتاكيني وعلى شمال سهول خوزسـتان وغـرب گولپايگان كانت تُعتبر جزءاً من باراهسي – ماراهسي .

(١٧٠) يشبه كل من *Paharasse, pahrase* بالصيغة العيلامية والفارسية الحديثة *pahirissen* جد *Hubanmana* الذي عاش في ١٣٠٠ ق. م. وحرف الهاء يختفي عـادة في اللغـة العيلاميـة علـى غرار أسماء مثل *Turhumet>Turmitta, Salahsa>Sarišša* .Subar

(١٧١) إن ظاهرة تحول باراهسي إلى مارهاسي لا تزال تُسمع في العربية مثل (رحبة ورحابة ومشتى ومشاتة ...إلخ) . وحتى أن إسم بغداد يتحول إلى مغداد وبكة إلى مكة . وفي الأكدية كـان الحـرف (م) يتحول إلى (و) . حول هذا الموضوع راجع *Ungnad, Sub. 44, 1* .

Habban «أبناء بني هبّان» . والأسرة التي يمكننا أن نُرّجعهم إلى سَهان أوسور في ١١٥٠ ق. م. وسَهان سوم إيديّن في ١١٨٠ ق. م. كانت كاشية ، ولم يظهر إسمهم في نصوص نوزي التي تعود إلى العصر الميتاني ، وإنما بعض الشئ في عصر آگوم كاكريمي . ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن الكاشيين أصبحوا يمثلون الطبقة الأرستقراطية الحاكمة في بلاد وادي الرافدين الوسطى وجعلوا اللغة البابلية المحلية بجانب لهجتهم الزاگروسية لغة دولتهم الرئيسة ، ومن بين أهم الأعمال التي إشتهروا بها هي كتابة النصوص القانونية والإقتصادية والإدارية والعلاقات الدولية بتحديد حدود الأقطار على أحجار من الأوبسيد سموها بالكدّورو . ومن المظاهر الجديدة التي تُنسب لهم تأريخهم الأحداث بسني حكم ملوكهم ، كما شيدوا بعض المدن الجديدة ومنها دور كوريگالزو .

لقد ضمت پاراهسي ، في الحقيقة ، الأراضي الواقعة من آوي شيروان (نهر سيروان) في الشمال حتى سهول خوزستان في الجنوب وشملت أراضي الفيليين في كل من بيشكوه وبشتكوه مع عاصمتهم كرمنشاه . وبناءاً على ذلك فأقدم الصيغ السومرية والأكدية Pârsumāš > Parsuwāš والصيغ الآشورية Pâraẖš-u / Pâraẖš-î (Paẖarašše, paẖrase) مشتقة من الصيغة الأصلية Pâharâšî التي كانت تُعبر عن المناطق الشمالية لعيلام (مقاطعة كرمنشاه الحالية) وكانت معروفة لدى ملوك الآشوريين بشكلها الواسع على أنها مركز خيول ناسايي وقد سكنتها القبائل الإيرانية(١٧٢) . إن خيول هذه المنطقة الكوردية كانت

---

(١٧٢) كانت باراهشي ، الوطن الأصلي للكاشيين ، في الواقع ، أقدم مهد للخيول ومنه ساق العيلاميون والسومريون قبل العام ٣٠٠٠ ق . م. أفضل الخيول وأحسن الأحجار والصخور إلى بلادهم مثلما يشهد على ذلك بروتوكول آگوم كاكريمي (١٦٠٢ – ١٥٨٥ ق. م.)] حول ذلك راجع كل من هرتسفيلد ، المصدر السابق ، ص ١٦ ، ١٨٥ ودراسات يونغ :

T. Cuyier Young Jr., The Iranian Migration in to the Zagros. IRAN. Journal of British Inst. Of Persian Studies. Vol. V, 1967, P. 11 .

ممتازة ومرغوبة من قبل الآشوريين . وبجانب الخيول فقد ساق كل من سنحاريب وشمشي

وعلى كل حال ، فإن أقدم صورة للخيل والعربة ببلاد الرافدين شوهدت في مخلفات أور وأشنوناك وماري وفي المرحلة اللاحقة نرى في أضرحة الملوك بأور صور الخيول والبغال والحمير ، وقد إستعمل الأكديون في عهد نارام سن مقطع أنسو *ANSU* مع الأسماء المركبة لهذه الحيوانات ، فسموا البغل *ANSU BAR AN = parû* و الجواد *ANSU LIBRA RA* والعَجل *agalu* . حول ذلك راجع :
B. Meissner, Pferd in Babylonien, MVAG XVIII, 1913, s. 12
وعندما نشرت هذه الأخبار ، أكتشفت في بوغاز كويي سجل خاص عن تربية وسباق الخيول عام ١٣٨٠ ق. م. [*F. Hrozny, Arch. Orientalny III, 432 - 461*] ويقول أدوارد ماير أن ما سجله حمورابي هو ليس الحصان ، لأن هذا الحيوان وصل إلى بلاد الشرق الأوسط مع مجيئ الهنود الآريين [*Eduard Meyer, Sb. Pr. Ak. d. W. 1908, I, 9. Jan., P. 2*] كما نشر أونگناد عام ١٩٠٧م فقرتين من الرسائل التي تعود إلى عهد حمورابي (١٧٩٠ – ١٧٥٠ ق. م.) المرسلة من آهوني إلى بيلانوم [*A. Ungnad [OLZ 1907, col. 638 f., and Dilbat, P. 22, n. 4*] إذ يقول الكاتب في الفقرة الأولى : « *To Ahuni from Bêlânum : Samas and Marduk may keep you alive! Take 1 kor grain as fodder for the horses, ANSU.KUR.RA, that the horses have enough to eat and do not go hungry*] أما في الفقرة الثانية فيتكلم الكاتب عن *qapût sîsê* في بلاد سوخي (أي عانه وهيت) في مناطق الفرات الأوسط . إن كلمة *qapût* الأكدية تعني qᵓbvtᵓ الآرامية (حظيرة أو الإصطبل للخيول) ، وكان سوخي أحد الأسواق كانت تُباع فيه الخيول . ورسائل حمورابي تخلو من كلمة (الخيل) ، وإذا تحتوي على كلمة *ANSU* فإنها تعني في هذه الحالة كل حيوانات الركوب والحمل ومن ضمنها الجمال *ANSU.A.AB.BA, imêr gamalu* التي تماثل كلمة الماشية كالأبقار والجواميس والخرفان . ومن جهة أخرى ، فإن الألواح الآشورية القديمة المكتشفة في كانيش (كبدوكية) تشير إلى إستيراد الخيول إلى هذه البلاد خلال القرن ١٩ ق. م. وسمي *rab sîsê* وفي وقت لاحق *rab ûrê* وكذلك *rab pithalli* وكانت ألقاباً للفرسان . ومعنى (راب أوراتي) في العصرين الكاشي والبابلي دعمه قطعة من السطر الخامس للعمود الأول لحجر كدورو العائد لريتي مردوك حيث نرى فيها هذه العبارة *"the rab ûrê shall bring neither stallions nor mares, ûrê u ûrâtê,*

عدد الخامس البغال والحمير من حلوان و گيلزانو وخوبوشكيا شمال حلوان إلى بلادهما ، وحتى أن شمشي عدد نهب وسلب كلياً مدينة مان (أو سوبي) عاصمة ميسا (تاش تبه الحالية) بكردستان الشرقية . ومن هنا وكذلك من ألابريا في الجنوب نهب سرجون خلال حملتيه الثامنة والتاسعة عدداً كبيراً من الخيول التي إشتهرت بخيول ميسايا وأرسيبيني . وفي حوليات ملوك أورارتو نرى نفس الظاهرة في سلب الخيول والجياد والمواشي من كوردستان الشرقية . فسَردور مثلاً ساق عام ٧٥٠ ق. م. ٢٥٠٠ حصاناً من بَرواتاي خلف ماننا ، المنطقة التي سجل الآشوريون إسمها بصيغة Barûᵓa في ميديا و ٣٥٠٠ حصاناً من أوشكياني (أوشقايا الآشورية) ، المنطقة التي كانت تقع إلى جنوب شرق بحيرة أورميه وكذلك إستلم ١٠٤٠٨ حصاناً و ١٣٢ حميراً من شورا . كما أن سرجون إستلم عام ٧١٤ ق. م. ٤٠٦٩ حصاناً وأكثر من ذلك حميراً وأسلاباً أخرى من ٤٥ زعيماً من زعماء الميديين الأقوياء في منطقة همدان . وبعد أن ربطها بمقاطعة پارسوا بدأ يستلم من

---

in to the towns of bît Karziapku" «لا يجلب الفحل ولا الفرس » وهو مسؤول عن مجموعة من الخيول . نفس العمل كان يقوم به (راب ترباسي أو ترباسو) خلال الحملة الثامنة لسرجون ، وقد سمي هذا المسؤلان في الجيش أيام الساسانيين (ماديگانپاد وأزوپاد) [هرتسفيلد ، الإمبراطورية الفارسية ، ص ١-٩] .

تحدث الأورارتيون عن خيولهم خلال القرن الثامن ق. م. فسماها مينوا في سجلاته بخيول أرسيي *ANSU.KUR.RA ar.ṣi.bi.ni ti.ni,* [راجع : *Lehmann - Haupt, c. I. chald. col. 83*] ، وأرسيي منطقة كانت تقع إلى شرق بحيرة أورميه سماها الآشوريون (أرزابيا) وورد في اليشت ٥ من كتاب الآفيستا بصيغة (أرزافيا) أي جبل الصقور جاء ذكره في موضوع كاوي أوسان . وإشتهر نفس الصنف من الخيول بإسم ميسايا أيام آشوربانيبال ، وكانت ميسا منطقة في جنوب البحيرة المذكورة قرب نصب تاش تبه . وفي زمن إسرحدون إشتهرت خيول كوسايا التي كان الآشوريون يستولون عليها في بارسوا ويسوقونها بجانب ميسا المانية . حول تفاصيل هذا الموضوع راجع :
Waterman, Royal Correspondence of the Assyr. Empire, nos 61 and 165

الميدين الخيول سنوياً *madan sîsê shattisham elishunu uktîn* . أن هـذه البـلاد لم تشتهر بنيسايا – هرسين بقدر ما إشتهرت بخيولها الأصيلة(١٧٣) . ومـن هـذا المنطلـق ظـلّ إسم فَرَس أو فارس في اللغة العربية يـدل علـى أصـل مصـدره في كنيـة پـارس أو پاراهسـو (كرمنشاه وحواليها) بكوردستان الشرقية(١٧٤) . ومن هذا المنطلـق دخلـت أسمـاء الجبـال والصخـور والعربـات والكـلاب الزاگروسـية ضمـن المفـردات الآشـورية مثـل كنيـة أور

---

(١٧٣) *E. Herzfeld, P. 25.*

(١٧٤) طبع شيل P. Scheil عام ١٩٢٣م لوحا مسمارياً يرجع إلى ماقبل العهـد العيلامـي [راجـع *Mémoires de la Délégation en Perse (MDP) XVII, n° 105, Paris 1923*] ويحتـوى على بعض المواضيع المتعلقة بالحمير ، ويقول هرتسفيلد أنه يشمل كذلك البغال والخيول . وعلى كل حال فإن الصورة المرسومة في اللوح هي لرأس أحـد صنـف مـن هـذه الحيوانـات ، وإذا كـان كـلام هرتسـفيلد صحيحـاً ، فـالخيول كـانت موجـودة في عيـلام خـلال الألـف الرابـع ق. م. فهرتسـفيلد [راجع *E. Herzfeld, Iran in the Ancient East, London 1941, P. 122*] يقـول: «أن العلامات البكتوغرافية من عهد جمدت نصر (ما قبل العهد السومري) التي نشرت من قبـل لانغـدون عام ١٩٢٨م تمحي الشكوك حول عدم وجود الخيول في وادي الرافدين » ثم يقول :

The pictographic signs of the contemporary proto-Sumerian tablets from Jamdat Nasr, as saus Herzfeld [cf. E. Herzfeld, Iran in the Ancient East, London 1941, P. 122], published by St. Langdon in 1928, remove the last possible doubt and prove the presence of the horse also in Sumer at the same remote antiquity: n° 130 is the head of an ass - notice the divergent direction of the ears - and is the origin of the later cuneform sign for ass, ANSU; n° 129 adds to this head - with changed direction of ears and different mane - the sign for mountain, KUR (phonetic complements are not yet used), hence ANŠU.KUR, later ANŠU.KUR.RA, *the known ideogram for Akk. "sîsû, hors". The little ivory figure from Susa, representing an equus Przewalsky true to life [cf. Pictographic Inscriptions from Jamdat Nasr, Weld Collection in the Ashmolean*

مَرْهاسي *Ur mar.ḫa.si* السومرية التي تُرجمت إلى كَلَب پارهاسي *ka.lab pa.ras.si.i* في الأكدية المقصودة بها الكلاب الميدية التي تسمى في الكوردية (تانجي أو تاژي) وكذلـك خيول مـَرهاسي "*ANSU.KUR.RA mar.ḫa.si = *si.su.u pa.ra.si.i*" ومـن هـذه الكنية جاءت كلمة (فرس) العربية .

وفي عام ٨٣٥ ق. م. أغارت قبيلة حملت إسم پارسوا أو پارسوما على بيـت هانبـان حيث إشتهرت المنطقة الواقعة بين عقبة حلوان وعقبة همـدان عنـد خضوعهـا للآشـوريين بإسم هذه القبيلة .

حارب قوات پارسوا وأنزان و پاسيم وإلليپي المشتركة في معركة هلوله بجانب عيـلام

Museum, List of signs n^os 1396 - 1406], belongs to that prehistoric period.
Sum. KUR *"country" and "mountain", is never used for Sumer itself, hence the word combines the two not differentiated notion "foreign country" and "mountain". There are no mountains in Sumer, but one can see at sunrise the blue outline of the Luristan mountains at many places on the southern Tigris. The only possible observation was generalized : the homeland is a plain, mountains ar foreign lands. Therefore* IM.KURA *"mountain - wind" means "East", opposed to* IM.MARTU *"West", but* KUR.MARTU, *Akk.amurrû, does not mean "western mountain", but "western country", the flat Syrian desert. Th. Dangin [Archiv Orientalny 1927, P. 271] insisted on the meaning "âne étranger", not "âne de l'Est" of* ANSU.KUR.RA. *The term proves at any rate that the donkey was indigenous, the horse imported. But since the term ANSU.MARTU, Akk. imêr amurrû, (a real) "donkey of the west" exists, the different interpretation would have a bearing only on the question, whether the ideogram for "horse" clearly expresses theprovenance from the Luristan mountains or allows the alternative of the Syrian prairies. The fact that at a prehistoric period the hors was known in Elam speaks strongly in favour of Luristan as a region from which the first horses were imported.*

وبابل ضد سنحاريب الذي قام بحملته الثامنة على هومانومينا ملك عيلام (٦٩٢ – ٦٨٩ ق. م.) . ومن زمن *Tepti.huban.Inshushinak* تشير القائمة الملكية الرسمية ونصوص المعبد إلى أن پارسوا وأنچان لعبا نفس الدور في دعم العيلاميين الذين سجلوا الإسم الأول بالصيغة الآشورية مَرهاسي المنحدرة من الأصل البابلي وشوهدت أيضاً في نصوص بوغاز كوبي . وهكذا ، فإن المقصود بكنية (پاراهسو وپارسوا) هو نفس المقاطعة التي إتخذها الإخمينيون كنية قومية لهم بصيغة پارسا(١٨٥) بعدما سكنوا في ربوعها في الفترة الواقعة فيما بين ٨٤٠ – ٦٩٠ أو ٦٤٠ ق. م. ، وبعد هجرتهم إلى أنزان أطلقوا تسميتهم الأثنية على هذه الأنحاء من إيران وإختفى أنزان تدريجياً .

وعلى كل حال ، فإن أغلب المستشرقين يتفقون فيما بينهم حول موقع پارسوا في جنوب بحيرة أورميه ومن ضمنهم ثيورو دانجين الذي إستند في رأيه على محور الحملة الثامنة لسرجون الثاني(١٨٦) . فخطط هذا المحور فيما بين موقع السليمانية الحالية مروراً ببانه وسقز ، بينما إعتقد كل من رايت(١٨٧) ومينورسكي(١٨٨) أنها كانت واقعة على السواحل الجنوبية لهذه البحيرة . فرايت غير المتخصص في التأريخ القديم إستند في رأيه على معلومات عن طريق تضاريس كوردستان وآذربيجان والعمليات العسكرية الآشورية

---

(١٨٥) *Pârsa* < *parsua* هي الصيغة الفارسية المشتقة التي كانت في الميدية بصيغة **pârspa* مثل *kassû, *kasua* التي أستعملت كذلك بصيغة *Kaspa* .

(١٨٦) *TCL III, map.*

(١٨٧) راجع آراء رايت في المصدر التالي :

E. M. Wright, "The Eighth Campaign of Sargon II of Assyria (714 B.C.) JNES II (1942), PP. 178 ff.

(١٨٨) راجع رأي مينورسكي في المصدر التالي :

V. Minorsky, "Mongol place-names in Mukri Kurdistan ", BSOAS XIX (1957), PP. 77-81.

التي جرت فيها ، فأشار إلى أن المحاور الثلاثة التي إستعملها سرجون ومنها وادي سلدوزكانت ضمن بلاد پارسوا . ومن جهة أخرى ، حاول مينورسكي أن يطابق پارسوا مع الموقع الحالي قلعة پاسوه في المجرى العلوي لنهر الزاب الصغير وغير بعيدة عن سلدوز . ثم حاول أن يجد تبريرات حول إختفاء حرف الراء من (پاسوه) . وقد كان جورج كاميرون قد نشر رأيه حول هذا الموضوع في الصفحة ١٤٩ من دراسته عن التأريخ المبكر لإيران [*George Cameron in his History of Early Iran (P. 149)*] مشيراً إلى أن الدلائل التي تأتينا من فترة حكم تيغلات بلاصر الثالث تؤكد على أن پارسوا كانت تقع إلى الجنوب من بحيرة أورميه بمسافة حيث عبره الإخمينيون نحو منطقة فارس الحالية . وهناك عديد من الأقوال المتضاربة حول هذه البلاد ، فدياكونوف ، إستناداً على فراي يقول أن كنية پارسوا تعني في الفارسية (البلاد الحدودية) وهي في علاقة مع پارس وپارثيا ، وبَرر فراي تعدد مواقع پارسوا إستناداً على تحرك القبائل الفارسية من الشرق إلى مختلف المناطق من غرب إيران . ومن الذين أيدوا نظرية كون پارسوا مقاطعة كانت تقع جنوب بحيرة أورميه هم *T. C. Young, Jr. ; J. V. Kinnier-Wilson ; R. Boehmer ; C. Burney* حيث أشار كل من يونگ وبوهمر إلى أن پارسوا كانت تمتد نحو الجنوب بناءً على هجرة القبائل الفارسية كما وجدها تغلات بلاصر الثالث(١٩٠) . أن سبب حصول هذا

---

(١٨٩) حول أقوال دياكونوف راجع دراسة فراي التالية :

R. Frye, The Heritage of Persia (London, 1962), P. 48 .

(١٩٠) راجع المصادر التالية :

T.C.Young, "The Iranian Migration into the Zagros ", Iran V (1967), P. 17; J.V.Kinnier-Wilson, The Kurba'il Statute of Shalmaneser III ", Iraq XXVI (1962), P. 111; R.Boehmer, " Zur Lage von Parsua im 9. Jahrhundert vor Christus ", BJ V (1965), PP. 193-8; C.Burney and D.M.Lang, The People of the Hills (London, 1971), P. 123 .

التناقض في قصة موقع هذه البلاد هو لكون تغلات بلاصر قد إعتمد في كتابة سجله على سجلات سرجون التي تعود زمنها إلى الفترة التي كانت الحدود الشمالية لپارسوا أكثر قرباً من بحيرة أورميه . حاول يونگ أن يحل هذه المشكلة بطريقتين . ففي الطريقة الأولى إقترح أن يكون فراي مصيباً في قوله المتعلق بإشارة تيغلات بلاصر عن وضعية پارسوا في جنوب أورميه . أما بوهمر فقد لجأ ببساطة إلى تناقضات سجل الحملة الثامنة لسرجون . وبجانب هؤلاء فقد طرح آخرون بعض الآراء حول موقع هذه البلاد ، ومنهم أولمستيد الذي أشار إلى أن پارسوا ، خلاف ما طرحه كل من بيلربيك وستريك ، كانت تقع أكثر جنوباً وغرباً من بحيرة أورميه(١٩١) . وتبع فورير أولمستيد بإشارة جديدة حول الموضوع حيث قال بأن پارسوا كانت تقع في منطقة سنندج الحالية مستنداً في قوله بحجج غير واقعية . ولعلنا نجد في أقوال سدني سميث رأياً قريباً من الواقع(١٩٢) . فقد أشار سميث إلى وجود ثلاثة أدلة تدعم موقع بارسوا ، ينطلق الدليل الأول من أخطاء خطة مسيرة سرجون ، والدليلين الآخرين يتعلقان بتحديد هذا الموقع في مكان أكثر جنوباً وغرباً من البحيرة المذكورة . وفي هذه الحالة حدد سميث مكان پارسوا شمال أردلان ببعض الأميال وبالذات في سلدوز ، بينما قال ساگ أنها كانت أكثر جنوباً نوعاً ما(١٩٣) .

نستنتج من هذه الأقوال المذكورة أعلاه حقيقة وجود منطقتين بهذا الإسم في مرتفعات زاگروس ، إحداها جنوب بحيرة أورميه مباشرة ، والثانية في منطقة أكثر جنوباً

---

(١٩١) راجع : *A. T. Olmstead, Western Asia in the Days of Sargon of Assyria (Lancaster, 1908), P. 118.*

(١٩٢) راجع : *S. Smith, " Parsua and Solduz ", Professor Poure Dauoud Memorial II (Bombay, 1951), PP. 66-67.*

(١٩٣) *Saggs, "The Nimrud Letters, 1952-Part IV; The Urartian Frontier ", Iraq xx (1958), P. 210, n. 9.*

من هذه البحيرة ، ولكن ليس محـل فـارس اليـوم . فمـا قصـده شـالمانصار الثـالث كـانت المنطقة الأولى ، وما جاء في سجلات كل من تغلات بلاصـر الثـالث وسـنحاريب فهـي المنطقة الثانية . أما سجلات سرجون فلا تحدد المكان بدقة .

ومن أجل التعرف على موقع پارسوا بدقـة ، علينـا دراسـة المصـادر الـتي تتطـرق إلى أخبار هذه البلاد وتحليلها بصورة شاملة ، وأغلب هذه المصادر تعـود إلى سـجلات ملـوك آشور مثل تغلات بلاصر الثالث وآشور بانيبـال . ومـن بـين نصـوص وبيانـات الحمـلات الآشورية وردت كنية پارسوا خمس مرات من قبل شالمانصار الثالث وأقل من هذا من قبل سرجون(١٩٤) ، وفيما بين فترة حكمهما لم يتغير الموقع . وبناءاً على هذه المستندات يمكن التأكيد على حقيقة هذا الموقع مع مقارنته بالذي مُسجّل في كل من سِجل شالمانصار عـام ٨٤٣ ق. م. وأخبار الحملة الثامنة لسرجون عام ٧١٤ ق. م. ففـي أقـوال الإثنـين تـورد حقيقة مسيرة الحملة متطابقة حتى مقاطعة پارسوا ، وإنطلاقاً من آشـور ، يذكـر الملكـان وصولهما إلى هذه البلاد عبر زاموا ومانّنـا ثم ألابريا . وهكذا فـالنصوص(١٩٥) الـتي تعـود إلى هذين الملكين تدعم وقوع پارسوا جنوب مانّنـا ، وخلال خمس حملات آشـورية علـى مرتفعات زاگروس ذُكرت پارسوا مرتين كمقاطعة من مقاطعات نامري الواقعة علـى نهـر

---

(١٩٤) أن السنين التي سُجلت خلالها كنية (بارسوا) من قبل شالمانصار هي ٨٤٣ ، ٨٣٥ ، ٨٢٩ ، ٨٢٨ ق . م . وحول حملة ٨٤٣ راجع *WO 1/6 (1952), P. 472* مع النصوص المستنسخة :
WO 1/6, P. 470, n.c.; WO II/1 (1954), P. 36; and WO II/2 [1955], P. 152. In WO II/2 (the Obelisk),
وحذفت بارسوا في هذه النصوص لأنها أعتبرت جزءاً من نـوار . وحـول الحملات الأخرى فراجع :
Obelisk (835 = Wo II/3 (1955), PP. 154-6; 829 = WO II/3 [1956], PP. 226-8; 828 = WO II/3, P. 230).

(١٩٥) *TCL III, PP. 8 - 10*

ديالى المجاورة لآشور مباشرة . وعلى هذا الأساس ، فإذا كانت پارسوا كذلك في إتصال مع هذه المواقع ، فتحديد حدودها جنوب بحيرة أورميه أمر مقبول . ومن جهة أخرى ، فإن بلاد نانري كانت في إتصال مع زاموا في جهاتها الشمالية الشرقية كما ذكرنا ، وفي الجنوب الشرقي كانت تجاور هالمان وياسوبيگاللي ، وجهاتها الشمالية الغربية كانت محتلة من قبل حكام أرّابخا التابعين للآشوريين ، أما في الجنوب الشرقي فكانت تحد سلسلة جبال حمرين والمدن التابعة لبابل(١٩٦) . وعلى أساس هذا الواقع كان يبقى محور الشرق المؤدي إلى جبال زاگروس (ماهي دشت) هو السبيل الوحيد لتحديد موقع بلاد پارسوا . أما الدليل الآخر لموقع هذه المقاطعة فنجده في حوليات شالمانصار الثالث التي دونها خلال حملة عام ٨٣٥ ق. م. وكذلك تلك التي دونها سرجون الثاني في ٧١٤ ق. م. ففي كلا المصدرين إشارة واضحة إلى حدود پارسوا مع مينسسي(١٩٧) . وعلى العموم ، وكما يظهر من المصادر الآشورية ، فإن پارسوا كانت مقاطعة لها أهمية تسربت إليها القبائل الإيرانية للإستقرار فيها . والجبال الواقعة على شمال غرب ماهي دشت التي من المفروض أن تكون جزءاً من پارسوا لم يستقر الفُرس فيها ، وإن الروابي التي تشاهد هنا وهناك تشير إلى ماجريات الماضي في هذه البلاد التي إستوعبت يوما ما عدداً كبيراً من السكان . وعلى كل حال ، فقد شملت پارسوا الأجزاء الشمالية لماهي دشت التي ترتبط جغرافياً مع نامري ومع منطقة بحيرة زريبار (ميسسي) . وحتى العصر الميدي لم يتحد سكان هذه المناطق من مرتفعات زاگروس في وحدة سياسية ، فكان الآشوريون يغيرون عليها بكل سهولة(١٩٨) . وتدقيق باقي المصادر الآشورية يُعزز

---

(١٩٦) *Iran XI, P. 26.*

(١٩٧) وهي مصو قرب بنجوين ، راجع كتابنا «دراسات كردية في بلاد سوبارتو ، ص ٥٤ .

(١٩٨) فعلى سبيل المثال يذكر شالمانصار أنه إستلم الهدايا من ٢٧ ملكاً من ملوك بارسوا . حول هذا الموضوع راجع : *WO II/2 (1955), P. 156, 1, 119*

المعلومات الواردة في السجلات المتعلقة بالحملات العسكرية . فالسجل المتعلق بالحملات الستة لسرجون يعطينا دليلين لأحوال پارسوا(١٩٩) . وخلال إحدى الحملات يتحرك سرجون إلى مرتفعات زاگروس من خلال *Mancca* ثم يغير على *Karalla* التي من المفروض أنها كانت تقع في منطقة زريبار . ومن كارالا توجه من خلال شورگاديا وكيشيسيم التي كانت تضم بيت ساگبات نحو ماهي دشت . وهكذا نرى مرة أخرى أن پارسوا تقع فيما بين زريبار وماهي دشت(٢٠٠) . أما المواد المذكورة من قبل سنحاريب(٢٠١) وتغلات بلاصر(٢٠٢) فهي أمر مشكوك فيه . ففي نصوص تغلات بلاصر نرى أن پارسوا تُذكر مع نيقو وتوگلياش ، وهما مقاطعتان مشكوكتان في أمرهما . ومن جهة أخرى ذُكرت پارسوا أيضاً مع بيت كاپسي وزاكروتي على أساس أنهما يقعان في شمالها(٢٠٣) . فإذا كان هاتان المنطقتان قريبتين من المقاطعة المقصودة ، فالمنطقتان المذكورتين أعلاه كانتا مستقلتين عن پارسوا تماماً وربما كانتا في الجهات الجنوبية منها . ومن إشارة سنحاريب المتعلقة بتحالف قوات كل من إيلليبي وأنزان وپارسوا مع عيلام ضد قواته نفهم أن تقارب پارسوا مع عيلام لم يكن سياسياً بل وجغرافياً أيضاً .

كان آخر ذكر لأسم پارسوا في المصادر الآشورية في زمن آشوربانيبال . ففي قطعة من حولياته يشير العاهل الآشوري إلى أن كورش ملك پارسوماش أرسل إبنه إليه كرهينة دليلاً على عدم إنحيازه إلى العيلاميين(٢٠٤) ، وإن هذا النص يخلو من تحديد موقع پارسوماش خلال هذه الفترة ، ومن المعروف أن كورش كان أحد الملوك الإخمينيين الذين

---

(١٩٩) حول هذه الحملة راجع : *Levine, Two Stelae, PP. 29 ff.*

(٢٠٠) راجع وينكلر *Winckler, Sargon, P. 124, 1, 139.*

(٢٠١) *OIP II, P. 43, P. 91, 1. r.9; P. 88, 1. 44.*

(٢٠٢) *Rost, Tiglath-pileser III, P. 44, 1, 18; P. 50, 1. 20; P. 62, 1, 29.*

(٢٠٣) *Young, Iran V, P. 17.*

(٢٠٤) *Afo VII (1931), P. 4, 1. 7.*

إستقروا في مقاطعة فارس جنوب غرب إيران الحالية ، وعلى هذا الأساس يكون المقصود بپارسوماش مقاطعة فارس(٢٠٥) .

ومن جهة أخرى ، فإن الحديث عن موقع پارسوا بدون دراسة الكتابات الملكية الأورارتية يكون ناقصاً . ففي هذه الكتابات جاء ذكر پارسوا مرتين ، وأقدمه كان أيام كل من إشپويني (٨٣٠ – ٨١٠ ق. م.) وولي عهده مينوا (٩١٠ – ٧٨٦ ق. م.)(٢٠٦) ، ثم في زمن أرگشتي (٧٨٦ – ٧٦٤ ق. م.)(٢٠٧) . وقد سُجل هذا الإسم بجانب ميشتا ، المنطقة الواقعة قرب مياندواو التي ذكرت أيضاً في كتابات تاش تبه(٢٠٧) ، التل الذي يُعتقد أنه ميشتا نفسها(٢٠٨) ، وميشتا كانت في نفس الوقت في إتصال مع ميسسي المجاورة لپارسوا على حد ما هو مذكور في الكتابات الآشورية . ففي هذه الحالة كانت پارسوا تشمل المناطق الجنوبية لمياندواو(٢٠٩) . وبالتأكيد لم يتواجد مثل هذه الكنية في سواحل بحيرة أورمية الشمالية ، كما يقول لويس ليفاين ، وأدق تحديد لهذه البلاد يأتينا من أقوال آشوربانيبال حيث نجد پارسوا تشمل المناطق الجبلية الشمالية الغربية لماهي دشت التي شملت الحد الشمالي لماهي دشت نفسها ، ومن الصعوبة تحديد مدى توسع هذه الأراضي نحو الشرق . أما في الشمال فكانت تحدماننا وفي الغرب نامري ، لكن ذكرها إختفى لفترة طويلة ثم ظهر أيام آشوربانيبال لكي يعني به مقاطعة فارس الحالية(٢١٠) .

---

(٢٠٥) وبالرغم من عدم وجود دليل ثابت عن موقع بارسوا ، فتبقى القضية المتعلقة بالتحديد المناسب لهذا الموقع حتى يثبتها المستقبل . وقد تغير الواقع مرة أخرى عندما أغار الإسكيثون والكيميريون على جنوب أورميه أيام إسرحدون الآشوري .

(٢٠٦) *König, Chaldischen Inschriften, P. 40, no. 7, II.*

(٢٠٧) *König, P. 86, no. 80, 5, V.*

(٢٠٨) *König, P. 59, no. 17.*

(٢٠٩) *König, PP. 6 and 59-60.*

(٢١٠) *Levine, Op. Cit., P. 112.*

١٩) سيموررروم Simurrum :

يظهر إسم سيموررروم في نصوص مدينة نوزي قرب كركوك مرات عديـدة كموقـع قريب منها(٢١١) . ففي الكتابات السومرية دُون هذا الإسم بصيغة *si.úr.ru* بينما ترجمـه الأكديون إلى *al - Za.ban* (الزابان) ، كما يقـول هرتسـفيلد ، وبعدمـا صـارت المنطقـة تشتهر بصيغة (سـومارّاتي) في زمـن كـل مـن آشـوربانيبال وشاماشـوموكين(٢١٢) إعتقـد البعض أن المقصود بهذا الإسم هو سامرّاء . فتحديد موقع سيموررروم على بُعـد ١٥ ميـلاً شمال غرب پردىٰ (آلتون كوبري) على نهر الزاب الصغير هو أقـرب إلى الصـواب(٢١٣) . وبالرغم مما يورد في نصوص نوزي من تحديد مكان سيموررروم شمال كركوك ، وبالإضافة إلى كنيتها الأكدية (الزابان) ، فقد حدد وايدنر خطـأ موقعهـا في الجهـة الجنوبيـة للوبـدي وعلى بعد ٨٠ ميلاً مـن نهـر الـزاب الصغـير(٢١٤) . وعلـى كـل حـال ، فـإن مـا تذكـره نصوص نوزي من أخبار المناطق المجاورة لها هي الأصح(٢١٥) ، وقد سُجل هذا الإســم في وقت لاحق بصيغة شومَرّاتي في زمن شماشوموكين على غـرار نـامري ونـامريتي وأوتواتـي وكنناناتي وغيرها حتى غدت بصيغة سوميرا في النصوص الآرامية(٢١٦) .

٢٠) أوربيللـوم *Urbillum* :

كان أراد سين وزير *Sê.sî* (٢٠٣٦ – ٢٠٢٨ ق. م.) ملك أور إساكاً علـى لگش

---

(٢١١) راجع : *Keilschrifttexte aus Assur verschiedenen inhalts (KAV) 183, 18.*

(٢١٢) *E. Herzfeld, Ibid. P. 75.*

(٢١٣) راجع : *Meissner, Orientalisstiche Literaturzeitung (OLZ), Leipzig - Berlin 1919, s. 69 f.*

(٢١٤) *AfO, IV, P. 79 f.*

(٢١٥) *Keilschrifttexte aus Assur verschiedenen Inhalts (KAV, Lepzig) 183, 18.*

(٢١٦) *E. Herzfeld, The Persian Empire, P. 75.*

وحاكماً على كل من بَسيمه وأوربيللوم وحمازي وغيرها من المقاطعات(٢١٧) . ذكرت أخبار مقاطعة أوربيللوم مراراً في سجلات سلالة أور الثالثة كجزء من أرّابخا . وفي قطعة من مسلة أكتشفت في ماردين أو سنجار(٢١٨) وتقبع في متحف لوفر بباريس وتُنسب لشمشي عدد الأول (١٨١٢ - ١٧٨٠ ق. م.) يورد خَبر الغارة التي قام بها هذا العاهل الآشوري على أوربيللوم ثم أرّابخا عندما كانتا مقاطعتين منفصلتين عن بعضهما في هذه الفترة . وبعد فجوة في سياق الأحداث ، نرى أن هذه البلاد أصبحت بعد ٣٠٠ عام جزءاً من الإمبراطورية الميتانية ، ولعل رسالة الإمبراطور شاوششتار إلى عامله السوباري إتخيا (إتخي تيلا) حاكم نوزي جنوب كركوك تَدل على ذلك الإرتباط السياسي لكوردستان الجنوبية مع الميتانيين .

ومن جهة أخرى ، كان موقع مدينة أوربيللوم من المواقع الإستراتيجية الذي أشرف على المحور المشهور أيام الإخمينيين بـ(الطريق الملكي) حيث كان يوصل هذا الطريق حسب قول هيكاتاييوس وإعتماداً على أقوال هيرودوت (*Herodotus v, 52*) بلاد ماتييني شمال غرب ميديا إلى بَدْراي وبَكْساي . وكان طول هذا المحور ١٣٧ فرسخاً . وبعد أن عَبر موقع *Saphe* سار أليكساندر المقدوني على هذا الطريق حتى إلتقى فيه قوات غريمه داريوس الثالث في موقع كوگميلا ودخل معه في معركة عرفت بإسم أربيلا ، الإسم المحوّر من أوربيللوم . وفي الكتاب السادس عشر للجغرافيا [*Strabo, XVI, 1, 3*] يشير سترابو إلى أن نينوى كانت تقع في سهل آتوريا ثم كانت تأتي بعده *Καλαχηνη* (كلخو ونمرود)

---

(٢١٧) *E. Herzfeld, The Pers. P. 227.*

(٢١٨) راجع :

Der Alte Orient (AO) 2776, de Genouillac in RA VII, 151 ff.; Ed. Meyer, GdA. I, 2; Forrer in Reall. Assyr. I, 243., 1930.

وتليهما Αδιαβηνη (أديابيني) . ويضيف قائلاً « أن آتوريا تجد مقاطعة أربيلا ويقع لوكوّس (الزاب الأعلى) فيما بينهما ، وتقع أربيلا في السّهل الواقع بعد لوكوس ويليها كابرؤس (الزاب الصغير) على بُعد مساوٍ لنهر لوكوّس والمنطقة تسمى Αρτακηνη (أرتَكيني) » . وفي الواقع ، فإن المنطقة الواقعة بين الزابين إشتهرت ببلاد أديابيني ، الصيغة الرومانية لحذيب الآرامية وليس أرتكيني ، ومن الممكن أن سترابو قد قصد مكاناً آخر بهذا الإسم . ومهما يكن الأمر ، فإن كل من آريانوس وديودوروس وكورتيوس يُبلغوننا عن وصول أليكساندر إلى أربيل خلال الليلة التي تلت المعركة ، وتقدم بمشاركة بعض قوات حرسه ومرافقيه نحو أكبتانا من خلال الجبال الكوردية وليس من خلال الطريق الملكي .

ومنذ العهد السلوقي (القرن الثاني ق. م.) أصبحت أوربيلوم (أديابيني) تحت حكم أمراء السكس الذين إشتهر منهم إيزاتيس (عزة) وإبنته هيلينا زوج مونوبازوس وشقيقته في آن واحد حيث آمنوا باليهودية ودفنوا في أورشليم(٢١٩) .

٢١) أوركيش **Urkîsh** :

كانت أوركيش مقاطعة في بلاد سوبارتو ، وقد ورد إسم حاكمها (آن آري) بجانب نوار سين حاكم نوار في لوح يرجع زمنه إلى فترة حكم پور سين في أور فكّ رموز النص المكتوب في هذا اللوح العالم الأثري الفرنسي ثيورو دانجين(٢٢٠) . وليس من الغريب أن نجد هذا الإسم كذلك في منحوتة هورين ، إلا أنه لم يستمر في الإستعمال كثيراً بعد فترة

---

(٢١٩) *Josephus, Ant. Jud. XX 35, and Bell. Jud. V 253.*

(٢٢٠) راجع :

TH. Dangin l.c. and Ungnad, Sub., 143; the tablet in de Genouillac, Tabl. de Dréhem.

كتابة هذه المنحوتة . وقد أشار بوليبيوس في كتابه الخامس [*Polibius, V, 51*] إلى أن أنطيوخوس الثالث عبر دجلة قرب ليبان آشور ووصل بعد ثمانية أيام إلى أبولونيا التي كانت تقع على الضفة الجنوبية لنهر ديالى وقضى على قوات مولون عام ٢٢٠ ق.م. في موقع بين جلولاء (گنناتي) وخانقين (پادان) ، ثم عبر 'Ορεικον όρος «جبل أوروخ» على بُعد ١٣٨ ميلاً جنوب كركوك ، وهذا الإسم مشتق من كنية أوركيش القديمة ، المنطقة التي إحتوتها أرّابخا حتى سلاسل حمرين التي فصلتها عن سيموررروم ، بينما كانت تحدها من الشرق هورين مع نوار التي كانت تمتد حتى حلوان(٢٢١) .

٢٢) زاموا Zāmuā :

من بين جميع مقاطعات جبال زاگروس التي تطرقنا إلى جغرافيتها التأريخية لا نجد معلومات كافية مثل تلك المتعلقة ببلاد زاموا ، وهناك عدة أسباب لهذه الظاهرة ، أولها يرتبط بالحملات الكثيرة التي قام بها آشور ناصربال الثاني على هذه البلاد(٢٢٢) ، وثانيها يرجع إلى موقع زاموا القريب من حدود نفوذ الإمبراطورية الآشورية التي كان من السهل إحتلالها أكثر من البلاد البعيدة الأخرى(٢٢٣) . وأخيراً ، فإن زاموا كانت تحتل مناطق واسعة من كوردستان الجنوبية التي وجد المستشرقون فيها مجالاً أوسع لدراسة آثارها أكثر من أقسامها في الشمال والشرق . وهكذا ، فالسجلات الحافلة بأخبار زاموا(٢٢٤)

---

(٢٢١) نفس المصدر

(٢٢٢) *E. Herzfeld, Ibid. P. 157.*

(٢٢٣) *AKA*, P. 268.

(٢٢٤) حول التفصيلات عن زاموا راجع :

Parpola, Alter Orient und Altes Testament (AOAT) 6, P. 381-2.

تساعدنا مباشرة في التعرف على جغرافيتها التأريخية بصورة أكثر دقة من المقاطعات الأخرى . فأهم ظاهرة يمكن ملاحظتها في هذا المجال هي أن كنية هذه البلاد إشتهرت في النصوص الآشورية بثلاثة صيغ وهي على التوالي (زاموا ومازاموا وزاموا شا بيتاني) ، لكن صيغة زاموا كانت متداولة أكثر من غيرها حيث سُجلت لأول مرة في حوليات عدد نيراري الثاني وهي الشكل الوحيد الذي إستعمله آشور ناصربال الثاني في نصوصه ، كما أستعملت من قبل سرجون الثاني وإسرحدون وظهرت ضمن الرسائل ونصوص العقود التجارية . وآخر مرة ظهر هذا الإسم في السجلات المسمارية كان في رسالة كُتبت خلال حكم آشور بانيبال ، بينما ظهرت صيغة مازاموا في مسلة شالمانصار الثالث ، ثم تكررت كتابتها في قائمة الشخصيات وشوهدت كمقاطعة في كتابات تغلات بلاصر الثالث ، كما أنها أستعملت مرتين في المراسلات الملكية الآشورية . أما صيغة زاموا شا بيتاني فأستعملت فقط من قبل شالمانصار الثالث إضافة إلى زاموا التي تظهر في مسلته .

إن الحديث عن تناوب هذه الصيغ جاء لأول مرة من قبل سايك عام ١٨٨٢م وأشار في حينه إلى أن زاموا أستعملت لتمييزها جغرافياً عن زاموا شا بيتاني(٢٢٥) . أما ستريك وبيلربيك فقد شاركا من جانبهما في تفسير تناوب هذه الصيغ(٢٢٦) . ومنذ هذه الفترة ، فإن كل ما يتعلق بزاموا حُصرت في نصوص آشورناصربال وفي تلك السجلات الملكية التي تتطرق إلى هذه البلاد(٢٢٧) . ولأجل تفسير هذه الملابسات نقول أن شالمانصار دوّن

---

(٢٢٥) *JRAS XIV (1882), P. 389.*

(٢٢٦) *ZA XV (1900), P. 261 ff. and Suleimania, P. 18 ff.*

(٢٢٧) إن أول حديث مثل هذا جاء من قبل أولمستيد ، راجع :
A. T. Olmsted in JAOS XXXVIII, P.209 ff.
والحديث عن الحملات على زاموا يبدأ من الصفحة ٢٢٩ ، ويقول لويس ليفاين ما يلي :

هذا الإسم بصيغة مازامو في مسلته عام ٨٥٥ ق. م. وفي نفس السنة إستعمل الإسم بصيغة زاموا شا بيتاني(٢٢٨) . وقد إستنتج ستريك من هذه الحقيقة كون التسميتين أستعملتا لنفس الغرض ، ثم طابقهما مع الصيغة الثالثة . فالمعلومات المتعلقة بمعرفة الطرق المؤدية إلى زاموا وزاموا شا بيتاني تأتينا من سجلات آشورناصربال وشالمانصار وسرجون الثاني ، فمن أقوالهم يظهر أن محور زاموا وزاموا شا بيتاني هو واحد يعبر جبل كوللار . وعلى كل حال فأغلب المعلومات حول تحديد موقع زاموا تأتينا من نصوص آشورناصربال حيث يمكن ملاحظة جبل كوللار فيها بجانب ممر بابيت (ممر بازيان الحالي على طريق كركوك - جمجمال - السليمانية) ، وعلى هذا الأساس فالمقصود بجبل كوللار هو سلسلة جبال بازيان(٢٢٩) ، أما بابيت فهو الإسم القديم لممر بازيان الواقع

"Special attention should be paid to the footnotes, where much of the geographical argument was contained. Olmstead's argument was marred by three important shortcomings. First, he relied heavely on modern place names to fix ancient once. Second, he did not understand the terrain, and thus was misled on the course of the campaign..Finally, while he recognized two new important documents for the geography of Zâmua, ADD 1096 and ABL 635, he did not fully understand them. Much more significant was the work of Speiser".

راجع : *. Louis D. Levine, Ibid, P. 17*

(٢٢٨) *WO II/2 (1955). P. 148, 1. 50.*

(٢٢٩) راجع مقال سبايزر في مجلة الدراسات الآشورية *Speiser [AASOR VIII, P. 19-20]* حيث يطابق فيه كوللار مع جبل *Kolar* الحالي ، بينما يرى ليفاين [*IRAN XI, P.18*] في أول خطأ أن هذا التطابق جذاب ، ثم يستمر قائلاً :

«at first glance this identification is appealing, «the geography of the area, ... makes it almost impossible. No documented route passes from Assyria over

على جانبي سلاسل جبال قره داغ(٢٣٠) الـتي كـانت تفصـل جهـتي كولـلار(٢٣١) وتحـدد الخط فيما بين كل من مقاطعتي زامـوا وزامـوا شـا بيتـاني . وفي عـام ٨٤٣ ق. م. هـاجم شالمانصار مدينة بـيرتو في زامـوا شـا بيتـاني(٢٣٢) . وأثنـاء الغـارة الأولى علـى زامـوا عـبر آشورناصربال الثاني ممر بابيت وإستولى على مدينة بيروتو(٢٣٣) . وعنـد مقارنـة النصـين

Kolâr to the Sulaimaniya area. Indeed, Kolâr is only a small segment of a larger but not particularly important range in the Qalâ Çulân area. Such an approach to Zâmua would be unsuitable to a campaign whose general thrust was eastward (as was for example Sargon's eighth), as it would have involved doubling back from the east to the west and then turning east again. Finally, it is expected that the sources would draw attention to the most important ranges in the area, the Bâziân ranges, and not to one of several unimportant ridges well off the main track. In the light of this, as says Levine, the equation of Kullâr and Kolâr must be abandoned. » .

(٢٣٠) راجع :

E. A. Speiser, Annual of the American Schools of Oriental Research. VIII (New Haven 1928), P. 3.

(٢٣١) يقول ليفاين أن إسم الممـر غير مشتق من إسم الجبل ولا من إسم المملكـة الـتي ظهـرت في هذه البلاد وإنما من إسم القرية التي نشأت عليها هذه المدينة كما نقرأها في *ADD* **1096, I, II.** . وربما السبب الذي أدى بآشورناصربال أن يُسـجل بـابيت بـدلاً مـن كولـلارِ أو بونـايس يكمـن في كونـه حصل على إنتصار ساحق في هذا الممر على إتحادات قوى زاموا غداة وصوله إلى هذه البلاد وبالتـالي إستعمل إسم المعركة بدلاً من الأسماء الأخرى للأرض التي جرت فيها . أما بونايس فقد ذُكـرت مـن قبل شالمانصار الثالث وذلك لأنها أصبحت جزءاً من مازاموا .

(٢٣٢) *WO (Die Welt des Orients) I 6 (1952), P. 470, 1. 59.*

(٢٣٣) *AKA, PP. 303-30, II. 25-9.*

نفهم أن بيروتو أو بيرتو لفظة أكدية تعني الحصن ولعل الآشوريين إستعملوها هنا بهذا القصد ، إلا أننا نراها بنفس الصيغة في نصوص أخرى كإسم مدينة في بلاد زاموا(٢٣٤) . وبالإضافة إلى هذه المدينة فقد إستولى آشورناصربال هنا على مدينة أخرى بإسم بوناسي(٢٣٥) . وفي مسلة شالمانصار الثالث نرى أن زاموا شا بيتاني تقع في ممرات بونايس(٢٣٦) ، وبكل تأكيد ، فإن بونايس هي بوناسي(٢٣٧) ، وكل هذه الشواهد تدل على وحدة المقاطعتين . ومن الجدير بالإشارة إلى أن مدينة واحدة بإسم إيدي(٢٣٨) ذكرت في زاموا شا بيتاني من قبل شالمانصار الثالث خلال حملة عام ٨٥٥ ق. م. ، لكن الحادثة الوحيدة الأخرى التي جرت في مكان هذا الإسم سُجلت بجملة قصيرة على طاسة أكتشفت في تل حسانلو بكوردستان الشرقية لا تفيد هنا موضوعنا(٢٣٩) .

وآخر وسيلة لنا في البحث عن أخبار هذه البلاد هي مقارنة أسماء الأعلام التي إشتهر أصحابها في كل من زاموا ومازاموا وزاموا شا بيتاني ، ومن أهم هذه الأسماء هي تلك التي تنتهي بلاحقة (تياري) ظهرت في كتابات آشورناصربال مثل كيرتياري ملك لاربوسا في زاموا(٢٤٠) . وبناءاً على ما يقول سبايزر ، فإنه من الممكن مقارنة هذا الإسم مع كل من

---

(٢٣٤) لقد إستعمل توكولتي نينورتا الأول في كتاباته كلمة *Birite* عند دخوله لأرّابخا [راجع *AfO XII, P. 27, l. 79*] وجاءت بصيغة *Birte* في *ABL, 311* عند الحديث عن زاموا كمدينة وليس كحصن ، بينما كُتبت بصيغة *Birate* كموقع بين بارسوا وآشور .

(٢٣٥) *AKA, P. 306, l. 34.*

(٢٣٦) *III R 8 : 76.*

(٢٣٧) *G. Hüsing, OLZ (1896), P. 360.*

(٢٣٨) *WO/I 6 (1952), P. 462, I, 12; WO/II 2 (1955), P. 148, l. 51.*

(٢٣٩) *Journalof NearEastern Studies (JNES) XXIV (Chicago 1965), P1.XXIX*

(٢٤٠) *AKA, P. 307, l. 40.*



صورتان من صور بوابات بالاوات

تُبيـّن أعمـال وقسـوة قوات شالمانصـّار الثالث الآشوري

تجاه سكان كوردستان القـدماء خلال القرن التاسع ق . م .

نيقديارا حاكم إيدي في زاموا شا بيتاني ذُكر أثناء حملة شالمانصار عام ٨٥٥ ق. م. وميكديارا حاكم سونباي ذُكر من قبل شمشي عدد الخامس(٢٤١) . وهذا المكان هو نفس سونباي الذي ذكره سرجون الثاني في زاموا فيما بعد(٢٤٢) . وهكذا نرى أن الأسماء كانت متقاربة بين سكان زاموا وزاموا شا بيتاني .

لقد بدأ سبايزر دراسته بوصف طويل عن مناطق السليمانية وشهرزور وإستند في هذه الدراسة على المعلومات الواردة في حوليات الملوك القدامى(٢٤٣) ، ثم حاول أن يختصر عدداً من نصوص حوليات آشورناصربال مطابقاً في نفس الوقت الأماكن الواردة في هذه الحوليات مع مواقع الخرائط المعاصرة . وعلى كل حال ، فهو إعتمد بصورة رئيسية على نصين (ADD 1096 & ABL 635) وأهمهما كان منشوراً من قبل أولمستيد قبل ذلك بفترة . وقد إعتقد سبايزر أيضاً أن للنُصوص التي تتطرق إلى الأماكن في بلاد زاموا أهمية للتعرف على جغرافية المنطقة . ومن هذا المنطلق وبناءاً على تطابق بابيت مع بازيان حدد سبايزر موقع بيروتو ولاگالاگا في وادي بين سلسلة بازيان وجبل بـرَناند. ومن جهة أخرى طابق جبل نيسير مع پيره مەگروون وحدد بونايس في الشمال الغربي وبارا في الشمال وفي الجنوب الغربي من نيسير . وبعد كل هذا الجهد حدد موقع دور لوللومي في جنوب شرق بارا وأراكدي في منطقة بنگرد الحالية قرب موهان في جنوب شرق السليمانية(٢٤٤) ، وإستناداً على هذه المعلومات حدد سبايزر الحملتين الأولتين على

---

(٢٤١) *AASOR VIII (1928), P. 18.*

(٢٤٢) *Louis D. Levine, "Geography..." [IRAN XI. P.19]..*

(٢٤٣) *AASOR VII (1928), PP. 1-14.*

(٢٤٤) تقع بونايس في خارطة سبايزر على الجهة الشمالية الغربية لجبل نيسير (پيره مەگرون) . ويظهر من النصوص الآشورية أن تفاصيل هذه الخارطة التأريخية صحيحة رغم أنه أشار في الصفحة ١٨ من كتابه [*Mesop. Origin*] أن موقع هذه المدينة هو في الجهة الجنوبية الشرقية من نيسير .

زاموا . ومهما يكن من أمر ، فإن تفسيره للحملة الثالثة على زاموا تشير إلى وسعة هذه البلاد حيث حدد مركزها في موقع حلبجة الحالي وكانت تمتد حدودها نحو شرق هذه المدينة . وهكذا ، فإن سبايزر رسم على راحته هذا الواقع . فعلى رأيه كانت زاموا مقاطعة تقع على الجهات الشمالية الشرقية لسلاسل بازيان التي كانت تفصلها عن المناطق الآشورية في أرزوخينا(٢٤٥) ، وكانت تمتد من نهر الزاب الصغير إلى نهر ديالى وتنفصل عن هذه المنطقة بمررات هاشيمور (دربندي خان الحالية) . وفي الجبهة الشرقية توسعت زاموا إلى حد هَوْرامان ، في حين وصلت حدودها في الشمال إلى نهر قَلا چوْلان شاملة مناطق زريبار ، وكان المركز الحضاري لهذه البلاد سهل شهرزور مع مدنها العامرة .

نستطيع أن نوضح مسألة توسع أراضي زاموا بصورة أدق بالإعتماد على نصوص شالمانصار الثالث ، ففي هذه النصوص إشارات إلى بحر زاموا شا بيتاني . ومن المعروف أن هناك بقعتين في كوردستان الشرقية يمكن أن يطلق عليهما بحر بالمفهوم القديم ، وهما بحيرتي أورميه(٢٤٦) وزريبار(٢٤٧) اللتان وقعتا في بلاد زاموا شا بيتاني . وبعد ستين عاماً من دراسات ستريك وعند حديثه عن بارسوا ، تطرق بوهيمر بشكل تفصيلي عن وضعية

---

(٢٤٥) يجب تصحيح موقع أرزوخينا وتحويله من المناطق المرتفعة نحو السهول ، وتأتي توقعات سبايزر عن هذه المقاطعة من إعتماده على وثائق نوزي ونمرود . حول هذا الموضوع راجع :

H. Lewy, "A Contribution to the Historical Geography of the Nuzi Texts", JAOS LXXXVIII (1968), PP. 160-2.

(٢٤٦) راجع آراء ستريك بالألمانية في المصدر التالي :

M.Streck, Zeitschrift für Assyriologie und Vorderasiatische Archäologie. (ZA) XV, Leipzig 1900, P. 263.

(٢٤٧) *E. A. Speiser, AASOR VIII, P. 19.*

أورميه(٢٤٨) ، فهو طرح برهانين ليطابق بهما بحر زاموا شا بيتاني مع أورميه . فالبرهان الأول يتعلق بالحديث عادة عن كثرة مياه البحار في النصوص المسمارية مثل بحر الكلدانيين (الخليج الفارسي) وبحر نائيري (بحيرة وان) ، وعلى أساس كثرة مياه زاموا شا بيتاني رأى بوهيمر أن المقصود به هو أورميه ، لأن بحيرة زريبار أصغر مساحة . أما في البرهان الثاني فإستند على تلك الأخبار المتعلقة بهروب ملك إيدي عام ٨٥٥ ق. م. إلى بحر زاموا شا بيتانيى المفروض أن يكون أورميه . وبالرغم من ذلك ، فإننا لا يمكننا أخذ هذين الرأيين أساساً لهذا الموضوع لكون وسعة المياه لا يُعتبر مرجعاً لكشف الأحداث التأريخية ، ثم أن هروب الملك إيدي نحو أورميه هي مجرد ظن وليس حدث تأريخي ، وأخيراً فإن الآشوريين لم يطلقوا بحر زاموا شا بيتاني على أورميه وإنما سموها «بحر نائيري الأسفل» نسبة لبحر نائيري الأعلى (بحيرة وان) . وبعد بوهيمر ناقش كينر ويلسون موضوع التطابق بين التسميتين في كتابات شالمانصار الثالث(٢٤٩) ، إلا أن الأسباب التي يأتي بها في هذه المناقشة تحتاج إلى التنقيح(٢٥٠) كإستعمال إصطلاح بحر نائيري الأسفل الذي تدعمه

---

(٢٤٨) راجع آراء بوهيمر في المصدر التالي :

M. Boehmer, "Zur Lage von Parsua in 9. Jahrhunderd vor Christus" Berliner Jahrbuch fär Vor-und Frähgeschichte V (1965), PP. 189 ff.

(٢٤٩) *"The Kurba'il Statue of Shalmaneser III", Iraq XXIV (1962), P. 102.*

(٢٥٠) يشير كينر ويلسون إلى أن تأريخ إصطلاح بحر زاموا شا بيتاني يرجع إلى عام ٨٤٣ ق. م. حيث كان إصطلاحي بحر نائيري الأعلى وبحر نائيري الأسفل متداول في الكتابات الآشورية في هذه الفترة ، وفي هذه الحالة لا يكون المقصود ببحر زاموا شا بيتاني سوى زريبار ، والضعف في رأي ويلسون يكمن في إشارته إلى أن الأراضي المحتلة من قبل الآشوريين عام ٨٤٣ ق. م. كانت تحيط ببحيرة أورميه ، والواقع فإن هذه الأراضي كانت تقع على جنوب تلك البحيرة وليس حواليها ، وهذا الكلام لا يؤكد كون هذه البحيرة هي بحر زاموا شا بيتاني . فما أكتشفت في موقع حسانلو من آثار تشير إلى النفوذ الآشوري في هذه المنطقة من كوردستان الشرقية . حول ذلك راجع :

الكتابات الأورارتية المكتشفة عام ١٩٦٨م في منطقـة شـنو (أشنويه) والقابعـة في متحفـي الجامعة بفلادلفيا وميتروبوليتان للفن بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة . في الواقـع أكتشـفت هذه الكتابات في موقع قلعة گاه وأقتلعت من بين مجموعة آثار أورارتية أخرى كانت تعود لمجموعة أعمال كل من الملك مينوا (٨١٠ - ٧٨٦ ق. م.) ووالده إشبويني . إن كتابـات قلعة گاه بجانب مسلة كيله شين وتلك في تاش تبه تؤكـد علـى أن هـذه الأراضـي المحيطـة ببحيرة أورميه كانت جزءاً من مملكة أورارتو في نهاية القرن التاسع ق. م.(٢٥١) ، وقد بدأ الحكم الأورارتي في هذه المناطق زمن مينوا أو قبله بعدد من السنين و لم يعترض هذا الحكم قوى عالمية أخرى ، لذلك فالمقصود بكنية بحر نائيري الأسفل لابـد يكـون هـو أورميـه لا غيرها ، فبحر زاموا شا بيتاني يكون المقصود به بحيرة زريبار . وزيـادة علـى ذلـك ، ففـي فترة الحملة الثالثة لآشورناصربال على زاموا شا بيتاني هرب المنتفضون من هذه البـلاد إلى الجبال في الجهات الشرقية من بلادهم ، أي نحو بحيرة زريبار . وخلال حملة شالمانصار عام ٨٥٥ ق. م. إلتجأ الملك إيدي إلى قرب البحيرة المذكـورة حيـث كـانت منطقـة زريبـار (فيما بين بنجوين ومريوان) مكاناً حصيناً للزامويين . وفي حالة مطابقتنا لبحـر زامـوا شـا بيتاني مع زريبار ، فإن أقوال آشورناصربال يكون قريباً من الواقع أكثر من قول آخـر . ففي الجنوب ، كانت سلسلة قره داغ تشكل حاجزاً أمـام زامـوا تجـاه الآشـوريين ، كمـا ذكرنا ، وشكّل كل من نهري الزاب الصغير وديالى الحدود الشمالية والجنوبية لهذه البـلاد

R. H. Dyson, Jr., "Prehistoric Iran as seen from Hasanlu", JNES XXIV (1965), PP. 198-203

(٢٥١) حول مكتشفات قلعة كاه راجع :

O. Muuscarella, "Qalatgah : An Urartian site in North-western Iran", Expedition XIII /3-4 (1971), P. 47.

التي كانت تحيطها جبال زاگروس العالية مثل پيره مگرون في الغرب وجبال هورامان في الشرق وتلك التي تلى سهل شهرزور في الجهات الجنوبية . وبالرغم من المعلومات الواردة في الكتابات الآشورية ، فإن إستعمال كنية مازاموا في نصوص شالمانصار لا يتطابق مع مازاموا المدونة في النصوص اللاحقة ، وسبب هذه الظاهرة يرجع إلى التغيرات التي حصلت على النفوذ الآشورى في هذه البلاد أيام عدد نيراري الثاني وشالمانصار الثالث وآشورناصربال الثاني . ففي زمن شالمانصار وبعده بفترة كانت هذه البلاد أو قسم منها كمقاطعة مندمجة بمملكة آشور ، ومن سوء الحظ ، فإن النصوص التي تتحدث عن التوسع الجغرافي لمازاموا في هذه الفترة غير واضحة ، لذلك يصعب علينا تمييز حدود مازاموا ضمن جغرافية بلاد زاموا . وهناك بعض المعلومات تشير إلى أن زريبار لم تكن جزءاً من مازاموا(٢٥٢) وإنما إرتبطت بأحداث حملات سرجون السادسة(٢٥٣) في هذه البلاد ، وقد إستمر هذا الترابط لفترة وجيزة حيث إمتدت نفوذ ماننا إليها . ومهما يكن الأمر ، فإن زاموا لم تكن مركزاً للتجمع السكاني فحسب ، وإنما كان منبع الخيرات التي كان الآشوريون يطمعون في نهبها دائماً .

---

(٢٥٢) لقد إلتجأ أهل زاموا إلى منطقة زريبار لكونها أقرب وأمنع الأماكن للإلتجاء ، ومع ذلك لحقهم الآشوريون في هذه الأنحاء .

(٢٥٣) راجع دراسات ليفاين في المصدر التالي :

Louis D. Levine, Two Neo-Assyrian Stelae from Iran, Royal Ontario Museum, Art & Archaeology Occasional Paper 23 (Toronto, 1972), P. 30.

الفصل الثالث

السوباريون ... أو أقوام كوردستان القدماء

من أصعب الموضوعات المتعلقة ببلاد سوبارتو ، كما يقول فنكلشتاين ، هي التعرف على لغات تلك الأقوام التي سكنت فيها منذ مطلع العصر التأريخي ، ومن بينها الحوريون الذين تَوَزعوا في أكبر رقعة من هذه البلاد خلال الألف الثاني قبل الميلاد بحيث أصبح الإصطلاحان (سوبارو) و(خورّ – ا) يعنيان مفهوماً أثنياً وجغرافياً واحداً في سجلات السومريين والأكديين(١) . وعلى هذا الأساس إعتبر أونگناد كنية (سوبارتو) مرادفة لكنية (خورّو *Hurr-u*)(٢) ، إلا أنه كان في سوبارتو بجانب الخوريين مستوطنون قدماء آخرون كالكوتيين (*Qûtî / Qûtu*) واللوللوبيين (*Lullu - bi*) الذين كانوا يجاورون الكاشيين في الجهات الجنوبية من مقاطعاتهم ويتوزعون في المناطق الشرقية والجنوبية من كوردستان الحالية مثل همدان وسربول زهاو والوند(٣) وسيروان وكركوك وشهرزور وكانوا بطبيعتهم جبليين إتخذوا من معظم مقاطعات جبال زاگروس موطناً لهم وعن طريقهم تسربت الحضارة الإنيوليثية تدريجياً نحو المناطق الجنوبية لوادي الرافدين . وبصورة عامة يمكننا تصنيف هؤلاء السوباريين على النحو التالي :

---

(١) *J. J. Finkelstein, Subartu .... P. 1.*

(٢) *A. Ungnad, Ibid.*

(٣) أنظر رسالتنا التالية باللغة البلغرية :

Студи Върху Историята На Кюрдистан В Древноста"Studii Wirhu Istoriyata Na Kurdistan W Drewnostta" . The disertation Kliment Ohridski / Sofia University 1973. In Bulgarian .

١) كوتـي *The Qutî* :

عاش الكوتيون في المناطق المحصورة ما بـين نهـري الـزاب الأسفل وديـالى عُرفـت في السجلات المسمارية بـ(كوتيـوم) وشـكلت كركـوك وحواليهـا مركـز هـذه البـلاد وغـدا سكانه قوة سياسية كبيرة خلال الألفين الثالث والثاني ق. م. ثـم توسـعت نفوذهـم علـى حساب سكان المناطق الوسطى لوادي الرافديـن وإحتلـوا جنـوب هـذا الـوادي منـذ عـام ٢٢٣٠ ق. م. واضعين نهاية للحكم الأكدي في زمن الملـك شـار كـالي شـاري وبـدأوا يديرون الشؤون السياسية والإدارية من بعده في المدن السومرية والأكدية(٤) .

تشير الوثائق التأريخية (من الألف الثالث والثاني ق. م.) بـأن (كوتـي) كـانت كنيـة تُطلق كذلك على الناس الذين سكنوا في شرق وشمال وشمالي شرق بلاد اللوللوبيـين ، ثـم كانت تعني جميع القبائل التي عاشت في المناطق الشـمالية الشرقية مـن بـابل . وفي الألـف الأول ق. م. كان الأورارتيون يعنون بهذه الكنيـة سـكان ماننـا وميـديا بصـورة عامـة ، بينما ميّـز سرجون الثاني الآشوري هؤلاء عن الميـديين .

كان أول ملك كوتي ورد إسمه في الكتابات المسمارية هو إيرريدوپيزير الـذي عـاصر الملك الأكدي نارام سن(٥) ، ويبدو أنـه فـرض سيطرته لفـترة قصـيرة علـى مدينـة نيپـور

---

(٤) راجع الصفحات ٢٥ – ٥١ ، العمود السادس ، الجزء الثـاني مـن طبعـة أكسـفورد للنصـوص المسمارية *Oxford Editions of Cuneiform Texts (OECT), II, pl. IV, col. 6. 25 - 51*
ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن أسباب إنهيار مملكة أكد ترجع بالدرجـة الأولى إلى توسـع حدودهـا أيام سرجون ونارام سن ثم إستعمال الشدة والقسوة تجاه السـوباريين بشـكل عـام والضعـف الـذي دبّ في كيان هذه المملكة أيام حكم شار كالي شاري . للمزيد من المعلومات حول هذه الفترة راجع
C. J. Gadd, A Sumerian Reading - Book (Oxford, 1924) 64 ff.

(٥) من بين المواد الأثرية لمدينة نيبور (نفر) القابعة في متحف جامعة بنسـلفانيا إكتشـف *Hilprech* في القـرن المـاضي نسـخة مـن الكتابـة الطويلـة للملـك الكوتـي إريدوبـيزير *e-er-ri-du-pi-zi-ir* (والأصح *en-ri-da-pi-zi-ir*) ملَقّباً نفسـه *da-ním sàr gu-ti-im ù ki-ib-ra-tim ar-ba-im*

(نفر) حيث ترك فيها كتابة مطولة وصف نفسه فيها على أنه ملك الجهات الأربعة .
ومن الملوك الكوتيين الذين ذكرتهم النصوص المسمارية هو الملك الرابع سار لگب الذي إشتهر كذلك كـ(سارلاگ) في كتابات شار كالي شاري المعاصر له (٢٢٢٣ - ٢١٩٨ ق. م.) وكانت فترة حكم هذا الملك تمثل مرحلة خطرة على الإمبراطورية الأكدية فقام شار كالي شاري بشن حملة على الكوتيين لكي يوقف تسربهم نحو أكد نفسها . أما الملك الكوتي السادس المشهور الذي ذكرته النصوص المسمارية فهو إيلولوميش الذي هدّد كيان الدولة الأكدية بعد أن مات شار كالي شاري حيث أسقط هذه الدولة ولقّب نفسه بالملك القوي لأكد ، ومنذ هذه الفترة فإن مجموع الملوك الكوتيين الذين حكموا بلاد سومر وأكد كان ٢١ ملكاً(٦) . وعلى حد قول سبايزر [*Mes. Orig. P. 109*] أن

«القوي ، ملك كوتيوم وجهات العالم الأربع» حول تفاصيل هذا الموضوع راجع :
Hilprecht,, The Earliest Version of the Babylonian Deluge Story and The Temple Library of Nippur (Pennsylvania. University. Babylonian Expidition. Series D : Researches and Treatises v 1 {Philadelphia, 1910} chap. IV ; cf. Poebel, PBS IV 1, P. 134]
إن هذا اللقب (من دون مصطلح ملك كوتيوم) هو في الأصل لنارام سن الأكدي . لذلك إعتقد جاكوبسون *Theorkild Jakobsen* أن حكم السلالة الكوتية في بلاد سومر وأكد يبدأ منذ أن إحتلها إيريدوبيزير وتلقب بهذا اللقب [راجع *The Sum. King List, P. 117* «قائمة ملوك السومريين»] .

(٦) حول أسماء ملوك الكوتيين راجع المصادر التالية :
Thorkild Jacobsen, The Sumerian King List. Chicago 1939, PP. 97 - 99; C. F. Lehman - Haupt, Materialien zur älteren Geschichte Armenien und Mesopotamiens, "Abh. der könig... Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen", Phil. - Hist. Klasse NF Bd. 9, Nr. 3 (1907) .

هناك إعتقاد بأن إيكولابا مؤسس السلالة الآشورية في القرن الثالث والعشرين كان يحمل لقباً كوتياً .

وبناءً على النظام الملكي الأوليغارشي الذي كان يستند على الإنتخاب الحر عند الكوتيين ، فقد إستغرب السومريون والأكديون من هذا النظام الذي يجب أن يكون مُنزّلاً من السماء حسب أساطيرهم الدينية إذ نظموا قوائم ملوكهم الذين حكموا منذ الألف الثالث قبل الميلاد بعد رجوع الحياة الإنسانية إلى مدنهم بعد الطوفان ، وقد وجد النساخون زمن ريم سين فرصة لتنظيم هذه القوائم وخاصة أثناء حكم العيلاميين في لارسا ونيبور . وعلى أساس التغيرات السياسية والإجتماعية التي جرت في المدن أثناء الحكم الكوتي ، كان الكاتب السومري يسأل نفسه :

"a - ba - am Lugāl a - ba - am nu Lugāl" « من هو الملك ومن هو غير الملك » ويستمر متسائلاً « هل كان إيكيكي هو الملك ؟ هل كان نانوم هو الملك ؟ هل كان إيمي هو الملك ؟ هل كان إيلولو ؟ الذين حكم كل منهم ثلاثة سنوات » وبنفس الطريقة سأل الأكديون أنفسهم قائلين :

"ma - nu - m šârrum ma - nu - um lā šārrum" حول هذا الموضوع راجع كل من :

A. Poebel, Historical Texts (HT), PBS IV, 1 (1914) P. 133; E. A. Speiser, Mesopotamian Origins, P.97.

وقد تأتي هذه الغرابة بنظر السومريين والأكديين بسبب الإختلاف الذي كان موجوداً بين تقاليد المجتمع الرعوي الكوتي التي سادت على السلطة السياسية وبين تقاليد المجتمع الزراعي الطبقي في النظام العبودي السائد في دويلات المدن السومرية والأكدية حيث كانت العلاقات الإقتصادية في المجتمعين المتميزين تحدد العلاقات السياسية بين الناس . فمثلاً ، كان زعيم الإتحاد القبلي الكوتي يُنتخب من قبل مجلس الشيوخ لمدة قصيرة لإدارة الأمور العسكرية والسياسية في البلد ، بينما كان الملك السومري أو الأكدي يحكم بأمر الآلهة طول حياته . وجدير بالإشارة هنا إلى أن المشاكل السياسية التي حدثت في المدن الأكدية زمن شار كالي شاري لم تكن بسبب حكم ملوك الكوتيين أو قصر مدته ، لأن ذلك الحكم كان قوياً وكانت الضرائب تُجبى من جميع المناطق بإنتظام وساد الهدوء أغلب مراحل فترة الحكم الكوتي ، ثم أن قصر مدة الحكم كان فقط زمن الملك الثاني وحتى السابع الذين حكم كل واحد منهم ست سنوات (ما عدا إينمباگيش الذي توفي قبل إنهاء مدة

إعتبر السومريون والأكديون هذا العهد من الفترات المظلمة في تأريخ بلادهم السياسي ، على أن حكمهم هناك لم يكن عاماً شاملاً ، فلم يسيطروا على جميع أقسامها وبدأت سيادتهم تتقلص قبل القضاء على آخر ملك لهم ، والدليل على ذلك هو أن إثبات الملوك تذكر سلالة حكمت في الوركاء من بعد العهد الأكدي وأن بعض ملوكها عاصر فترة حكم الكوتيين ، كما قامت في لغش سلالة من الحكام السومريين عاصر بعض حكامها الفترة المذكورة وخلفوا مآثر مدونة ، منهم أور - بابا الذي إمتد حكمه إلى مدينة أور أيضاً . فسبب إختلال النظام في العهد الكوتي بنظر أهل البلاد الأصليين يرجع إلى التباين الذي كان موجوداً بين نظامهم العبودي والحرية الفردية التي كان الكوتيون يتمتعون بها في مجتمعهم البدوي وأن العلاقات القانونية لم تُشرّع بناءً على المفاهيم الأسطورية التي كانت تسود في مدن سومر وأكد أيام كان الكهنة ورجال المعابد أصحاب سلطات فيها . وعلى هذا الأساس تحرر العبيد في هذه المدن ، وكان أغلبهم من السوباريين ، لأن الحياة الرعوية الكوتية لم تكن بحاجة لطاقات العبيد ، وهذه الظاهرة كانت جانباً رئيسياً في التخلف بنظر السومريين .

وفي أواخر العهد الكوتي كان أحد الأمراء السومريين المسمى أوتو - حيكال يحكم في مدينة الوركاء سجّل لنا نصاً تأريخياً يتحدث فيه عن إنهائه لحكم الكوتيين في بلاد سومر وأكد بعد أن جمع محاربيه وسار على رأسهم للقاء قوات الكوتيين بقيادة الملك تريكان الذي مرّ على حكمه أربعين يوماً فقط ، فهزمه وقضى على قواته .

الحكم) ، ثم تلاه إيارلكب الذي حكم خمسة عشر عاماً ، ومن بعده بدأ الملوك يحكمون أكثر من هذه المدة وقد وصلت لحد ثلاثين سنة . أما الملك الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فحكموا مدة تقل عن سنتين ، ومن بعد الملك السادس عشر بدأت تطول مدة الحكم مرة أخرى . ومع ذلك فقد كان الأمراء السومريين والكديين يشغلون المراكز العليا في إدارة شؤون الدولة والجيش الذي كان أغلب جنوده من الكوتيين .

وبناءاً على هذا الواقع ، ورغم إستخفاف الأكديين بالنظام السياسي الأوليغارشي الكوتي ، إعترف السومريون بالملكية الجديدة في بلادهم ، لأنهم أدخلوا أسماء ملوك السلالة الكوتية ضمن قائمة إثبات حكامهم(٧) حيث سادوا على إدارة مدنهم لأكثر من

---

(٧) في قائمة الملوك السومرية نقرأ المعلومات التالية :

العمود السابع (السطور ٢١ – ٢٨) : « حكم أور أوتو ست سنوات ، ثم حكم خمس ملوك مدة ٣٠ عاماً ، وقضي على أوروك بالسلاح ونُقلت ملكيتها إلى الجبال ، وفي قبيلة الكوتيين ظهر ملك بدون إسم [لوكال مانو – توك] ، ثم أصبح إيمتاي ملكاً وحكم ثلاث سنوات وحكم إينكيشوش ست سنوات وسارلكب ست سنوات وشولمي ست سنوات وحكم إيلولوميش ست سنوات وحكم إينيماباكيش خمس سنوات وحكم إيارلكب ١٥ عاماً وحكم إيباتي ثلاث سنوات وإيارلا حكم ثلاث سنوات وكوروم سنة واحدة وحكم هابيلكين ثلاث سنوات ولَيرابوم حكم سنتين وإيرارّوم سنتين وهابلوم سنتين وبوزوور سين إبن هابلوم حكم سبع سنوات كما حكم إيارلكندا سبع سنوات وحكم سيئيوم سبع سنوات وتريكان أربعين يوماً ، والمجموع الكلي لحكم الكوتيين ٩١ عاماً و ٤٠ يوماً » .

العمود الثامن : « القوة مع الأسلحة ، نُقلت ملكيتها إلى أوروك ، وفي أوروك أصبح أوتو – حيكال ملكاً وحكم ٧ سنوات و ٦ أشهر و ١٥ يوماً ... إلخ » .

COL. vii 21 - 28

....

21 Ur Utu(k) reigned 6 years.
5 kings
reigned its 30 years
Uruk was smitten with weapons ;
25 its kingship
<to> the horde of Gutium was carried

In the horde of Gutium
A king without name! [lugal mumu - tuk]
29 Imtaē became king and reigned 3 years;
30 Inkishush reigned 6 (var. 7) years;

Sarlagab reigned 6 years;
Shulmeë (var. Iarlagash) reigned 6 years;
Elulumesh reigned 6 (var. 7) years;
Inimabakesh reigned 5 years;
35 Igeshaush reigned 6 years;
Iarlagab reigned 15 years;
Ibate reigned 3 years;
Iarla<ngab> reigned 3 years;
Kurum reigned 1 year;
40 Habil-kîn (?) reigned 3 years;
Laerabum (?) reigned 2 years;
Irarum reigned 2 years;
Ibranum reigned 1 year;
41 Hablum reigned 2 years;
45 Puzur-Sîn, son Hablum,
reigned 7 years;
Iarlaganda (?) reigned 7 years
Siëu(m)(?) reigned 7 years;
Tiriga(n) reigned 40 days.
50 21 kings
reigned its 91 years and 40 days.

Col. VIII
The horde of Gutium

<was smitten with weapons;>
its kingship to Uruk was carried
In Uruk Utu-hegal became king
and reigned years 7x60+7, days
(emend to 7 years, 6 months, 15 days).
1 king

للإستزادة من هذا الموضوع راجع قائمة إثبات الملوك السومرية لجاكبسون :

لسكانها(٨) ، إلا أن أغلب المشاكل والصراعات التي حدثت في هذه الفترة التأريخية كانت تقوم أصلاً بين الحكام والزعماء مما أدى إلى السومريين والأكديين أن ينظروا إلى الكوتيين كثعابين الجبال .

أما عن اللغة الكوتية ، فإن كل ما نعرفه عنها هي من خلال الألقاب الملكية غالباً . فقد إحتوت السجلات المسمارية السومرية هذه الألقاب بشكل منظم وضمن قائمة خاصة ، وهي توضح جانباً مهماً من القضية اللغوية الكوتية . فهناك ثلاثة ألقاب تبدأ مقاطعها الأولى بـ(وارلا ، إيارلا ، أرلا) حيث تشبه المقطع الأول للإسم الطوبوغرافي أيالمان أو أرمان (حلوان) . أما المقطع الثاني في هذه الألقاب فهو (– لاگا) ، إلا أن هذه الألقاب تنتهي عادة أما بحرف (ب ، ش أو ن) مثل الأسماء إيارلگاب ، إيارلا ، إيارلاگان –دا التي نشرتها أوكسفورد(٩) ، وقد سُجلت هذه الألقاب بصيغ أخرى مثل وارلگابا ، إيارلگاش وإيارلگان(١٠) . واللقب الأخير هو من نمط لقب آخر لملك كوتي حكم في سومر وأكد في نهاية فترة السيادة الكوتية وهو تريكان ، أي أن قسم من هذه الألقاب كانت تنتهي بحرف النون ، وكانت شائعة بين سكان جبال زاگروس ، في حين كان هناك ألقابٌ كوتية

Th.Jacobsen, The Sumerian King List, Chicago 1939, PP. 117-121

(٨) أن المصادر التي تشير إلى أحوال مدن وادي الرافدين أثناء الحكم الكوتي تؤكد على تمتع بعضها بالإستقلال التام وكان يدير أمورها الحكام المحليون (إينسيك) ، وقد نظم الكوتيون في هذه الآونة قائمة الأوقات الزمنية وخاصة في مدينة لغش . [راجع *RLA II, P. 133 f.*] وكان لمدينة أوروك تقويم (روزنامه) خاص لها رغم التقويم السامي الذي ساد فيها حتى سقوط أكد .

(٩) راجع : *OECT II, pl. IV, col. 6; E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 97.*

(١٠) لقد أعتبرت اللغة الكوتية من صنف لغة البنانا . ففي المصادر الآشورية نرى ذكر لمناطق **لاگالاگا وتاگالاگا** وحتى **لاگابگلاگا** قرب أولوبولاغ القريب من جبل كينيبا أو نيسير (بيره مكرون) في منطقة السليمانية الذي أشتهر بشاد كوتي (جبل كوتي) . حول ذلك راجع :

أخـرى مثـل لاسـيراب وشـارلاك وغيرهمـا(١١) . فالنهايـة –ان وكذلـك – اك في الإسـم الأخير لا يزالان يُسمعان في الألقاب الكوردية المعاصرة مثل *Ser-ak, Zîr-ak, Rûn-âk, Kenîz - ak, Bal-ak, Baht-ak, even Res-ok, or Dîl-ân, Ser - ân, Soz - ân, Sor - ân, Sâz- ân, Seyr - ân* . أمـا بالنسـبة للاحقـة (ش) فكـانت تسـتعمل على الأغلب مع أسماء الأقاليم مثل سيما – ش وكيمـا – ش وتوكريـ – ش ، ومـن المحتمـل أن يكون هذا الحرف نفس النهاية لإسم پرها–شي ومثيلاته ، وعلى ما يظهـر فـإن للحـرف (سي) الذي ساد في أسماء مدن اللوللوبيـين علاقـة بـالحرف المذكـور(١٢) في حـين نـراه في إسم هَدّانيش ملك خمـازي . ويشـير ميخـائيل ديـاكونوف في الصفحـة ١٠٩ مـن كتابـه (تأريخ الميديين ، موسكو ١٩٥٦) إلى أن هذه اللاحقة تتواجد في بعض اللغات القفقاسية وهي تشير إلى حالة *Ergative* ويضيف بأن الكوتية كـانت لغـة مسـتقلة لهـا قواعـد ثابتـة وبعض العلاقات مع اللغات الأخرى لسكان زاگروس . ومن الجدير بالإشـارة هنـا إلى أن نهاية الأسماء الكاشـية (– أش أو – يـاش) المشـابهة للشـين الكوتـي كـانت تعنـى (الإلـه) أستعملت لتبريك ألقاب الملوك من نمط گانداش وبوگاش وكاشتلياش وأسماء الأماكن مثـل توپلياش وكاردونياش . وهكـذا نـرى العلاقـة بـين اللاحقتـين (ش ، س)(١٣) الكوتـي –

Annual of the American Shcools of Oriental Research, New Haven (AASOR) VIII 17 .

(١١) حول لاسيراب راجع دراسات بوبيل : *A. Poebel, LOC.*

(١٢) يُحتمل أن يكون لقب إيلولوميش في الأصل أكدياً بصيغة (إيلولـوم) لحقتـه اللاحقـة الكوتيـة (يش) ، وإيلولوم هو ذلك الذي أصبح حاكم أكد بعد مـوت شـار كـالي شـاري ، وفي السـجلات السومرية جاء هذا اللقب بصيغة (إيلولو) .

(١٣) راجع : *E. A. Speiser (Mes. Orig. P. 98)* ، ولعل هذا الصوت (س) هو الحـرف المتداول في اللغة الخورية وحتى في الحثية . وحول كيماش راجع :

اللوللوبي مع (ياش) الكاشي ، وبهذه المناسبة حاول سبايزر أن يجد علاقة بين نهاية إسم مدينة لگش السومرية وأسماء المدن الكوتية(١٤)

ومن جهة أخرى ، فإن اللاحقة (ب) التي تظهر في الألقاب الملكية الكوتية مثل وارلگ ـ ب ولاسيرا ـ ب ، إنما لها دلالة فعلية أكثر من إسمية على حد قول سبايزر(١٥) . ويشير إلى أننا نرى في المفردات العيلامية واللوللوبية نفس هذه اللاحقة أو بصيغة (پ *p*) كانت تلعب دور علامة الجمع في الأسماء ومع حرف العلة كانت تستعمل في الكوتية كالعيلامية واللوللوبية . ففي نقش من نقوش أراد ننار حاكم لگش نجد التعبير ما – دا كو – تي –

S. Smith, Early History of Assyria (EHA), New York 1927, P. 378, and A. Poebel,, ZA XXXIX 129 ff.

وكان ملك كيماش خلال فترة حكم السلالة الثالثة لأور يحمل لقباً عيلامياً أو بالأحرى لوللوبياً هو هونيني مثل آنوبانيني وتردوني . وفي نفس الوقت نرى بعض الألقاب المتشابه لملوك كوتيوم وبارسوا مثل *Igesa'u - s* الكوتي و *Sidga'u* ملك بارسوا .

(١٤) إعتقد سبايزر أن مصدر اللاحقتين هي اللغة الكوتية ، وعلى حد قوله ، فإن كوتيين كانوا يعيشون في سومر منذ أقدم السلالات [أنظر إلى *E.A.Speiser, Mes.Orig. P.99*] وقد أثبتت حفريات مديرية الآثار العراقية في منطقة جبال حمرين أن مستوطنات سومرية كانت متواجدة في جنوب كوتيوم [راجع : فوزي رشيد ، أقدم الكتابات المسمارية المكتشفة في حوض سد حمرين] . وكما يقول سبايزر ، فإن سكان ماقبل العصر السومري في جنوب حمرين كانوا لابد من العناصر العيلامية التي أدت وجودهم هنا إلى نارام سن على أن يقوم بحملاته على الكوتيين الجبليين الذين نزحوا بدورهم نحو الجنوب أيام واراد سين وريم سين وسلالة أور الأولى ، وأن إزدهار لغش في زمن گوديا صادف عصر الحكم الكوتي وكانت لهذه المدينة السومرية علاقات متكررة مع الشمال ، فنرى مثلاً أراد – ننار حاكم لغش المعاصر لشو – سين كان في نفس الوقت حاكم أوربيللوم [حول هذا الموضوع راجع : سبايزر ، نفس المصدر] .

(١٥) سبايزر ، نفس المصدر *E. A. Speiser, Ibid.*

بو – وم كي ما(١٦) *ki-ma* *Gu-te-bu-um* *ma-da* كمقاطعة في كوردستان الحالية .
فـ(كوتي – بـوم *Gute - bu-um*) هو في حالة الجمع وتعني الكوتيون تماماً كما دُوّن
إسم اللوللو أحياناً بصيغة لوللوبوم(١٧) *Lu-lu-bu-um ki* .

إشتهر الكوتيون بنظر السومريين والأكديين كجنس أبيض وأشقر ، وكان الإقبال على شراء عبيدهم أكثر من غيرهم بعد أن كانوا يتمتعون بالحرية وعدم الخضوع لأية سلطة في بلادهم . وهناك معلومات قليلة عن حياتهم الإجتماعية والثقافية ، ويدعى السومريون أن بلادهم شهدت ركوداً سياسياً وحضارياً أيام حكمهم ، لذلك لا نملك غير إسم ٢١ ملكاً من ملوكهم(١٨) وشذرات من إدعاءات السومريين والأكديين حول عدم معرفتهم من هو الملك ومن هو غير الملك(١٩) . وفي بداية السيادة الكوتية على المدن السومرية والأكدية ، لم يكن الكوتيون بطبيعة الحال يؤمنون بالقيم الروحية لسكانها ولا يقدسون طقوس معابدهم ولا نظامهم العبودي ، لذلك حرروا النامروتي(٢٠) . ويظهر من خلال الألقاب السامية مثل عيبرانوم وحابيل كين وكوروم وسيئوم ويوزور سين وحابليوم

---

(١٦) راجع : *G. A. Barton, The Royal Inscription of Sumer and Akkad, (RISA), New Haven, 1929 , P. 260. 16, line 20.*

(١٧) سبايزر ، المصدر ذاته *E. A. Speiser, LOC.*

(١٨) حمل بعض الملوك ألقاباً ذات مقطع كوتي وأكدي مثل كل من إيلوميش *E - Lu - Mêš* و *Laerâbum* . حول هذا الموضوع راجع :
Th. Jacobsen, The Sumerian King List. Chicago 1939 ; Fisher Weltgeschichte, Band 2, S. 97, 98, 114, 115.

(١٩) *C. J. Gadd, A Sumerian Reading - Book (Oxford, 1924) P. 64 ff.*

(٢٠) كانت كلمة نامروتي **nâmrûtî** تعني الأمة السوبارية أو العبدة الشابة التي كانت في الغالب من الكوتيين وهي مشتقة من نامرو «عبد من الشمال» .

عند الكوتيين ذلك التأثير الثقافي الأكدي عليهم ، ومع ذلك فقد حافظوا على لغتهم المستقلة عن العالم السامي ، لذلك فقد ميّز حمورابي كوتيوم من الناحية اللغوية عن مقاطعة توكريش التي سكنتها الخوريون . وعلى كل حال ، فقد إندمج الكوتيون تدريجياً بثقافة السومريين والأكديين وخاصة في الفترة الواقعة بين الملك الثاني والسابع اللذان حكم كل واحد منهما ست سنوات (ماعدا إينيماباگيش الذي توفي قبل أن يُكمّل فترة حكمه ، ثم إيارلگب الذي حكم ١٥ عاماً ومن بعده إمتدت هذه الفترة حتى وصلت إلى ثلاثين سنة إذا إستثنينا منهم الملوك الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الذيّن حكم كل منهم سنتين فقط) . ووصل الأمر إلى حد ، لم يتدخل الكوتيون في الشؤون الخاصة لأهل البلاد الأصليين وأبقوا الناس في مناصبهم الإدارية وحتى العسكرية مثل القائدان نبي إنليل الأكدي وأور نينازو السومري ، إلا أن الجنود كانوا من الكوتيين(٢١) .

إنتهت فترة حكم الكوتيين في جنوب وادي الرافدين حوالي عام ٢١٣٠ ق . م. عندما قضى أوتو حيكال Utu - Ḫegāl أمير أوروك على ملكهم تريكان(٢٢) كما ذكرنا ، وتركوا المدن السومرية والأكدية بسلام و لم يعاودوا الكرة مرة أخرى في حكم هذه المدن ، لكنهم إنتشروا في أجزاء مختلفة من كوردستان الحالية وحتى في المناطق التي إشتهرت فيما بعد ببلاد آشور ، وعلى هذا الأساس إتخذ أكلوم (ربما تعني الحاكم) إيتيتي

---

(٢١) راجع مؤلفنا [تأريخ الكورد القديم ، أربيل ١٩٩٠م ، ص ٥٣ وما بعدها] .

(٢٢) حدد جاكبسون موقع إنتصار أوتو حيكال على تريكان في موقع مورو يوم ٢١ حزيران من عام ٢٤٠٣ ق. م. (؟) . وأن ما يعزز هذا الرأي ، حسب قوله، هو أن هذا الإنتصار لا يحدد زمن حكم أوتو حيكال ... لأن حكم السلالة الثالثة في أور بدأ في ٢٣٩٢ ق. م. الذي يمثل العام الأول لحكم أور – نامو (ك) . وبهذه الصورة نرى أن فترة إنتصار أوتو حيكال تسبق هذا التأريخ بسبع سنوات وستة أشهر وخمسة عشر يوماً . [راجع قائمة إثبات الملوك ، ص ٢٠٤] .

في هذه الفترة لقب إياكولابا وهو من الألقاب الكوتية(٢٣) . ومن بين أقدم حكام آشور نجد أسماءً من نمط أوشپيا وكيكيا اللذان إعتقد سبايزر أنهما خوريان في الأصل(٢٤) . ثم

---

(٢٣) راجع كل من :
Keilschrift - texte aus Assur historischen Inhalts(KAH) II, no. 1. 1-3, E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 109.

(٢٤) على ما يظهر ، فإن مفردات هندية – آرية مثل كاكيا (أو كاكا) قد إنتشرت في لغات شعوب مرتفعات زاكروس خلال الألف الثاني ق. م. حول تفاصيل هذا الرأي راجع :
A. Clay, Personal Names from Coneiform Inscription of the Cassite Period. New Haven 1912, "Yale Oriental Series" Vol. I".
وقد وجد سبايزر بعض العلاقة بين هذه المفردات واللغة الميتانية ، لكنه قال أن أوشبيا وكيكيا هما حوريتان على أية حال . راجع نفس هذا الرأي عند ملكشفيلي [**G. A. Melikishvili, Nayri - Urartu, Tbilisi 1954, Str. 92**] . ومن الجدير بالذكر هنا هو ، أن المقطع الأول من إسم السائس الميتاني المشهور في البلاط الحثي بإسمه الخوري كيكولي هو (كيك) الذي لم يظهر في سجلات كركوك فحسب ، على حد قول سير سدني سميث ، وإنما دخل إلى أسماء بعض حكام كبدوكيا ، راجع *Sir Sidny Smith [Early History of Assyria (EHA) New York, 1927, p. 112]*
وراجع كذلك *G. Contenau, Les tablettes de Kerkouk (Paris, 1926) 4.*
وفي الحقيقة ، فإن عدد من حكام كوردستان القدماء تلقبوا بكنية كاكا أو كيكيا مثل كاكي حاكم خوبوشكيا خلال مطلع الألف الأول ق. م. [راجع بالروسية كتاب القبائل الإيرانية في الشرق الأدنى لكرانتوفسكي :
Е. А. Грантовский, Ираноязичние Племен Предней Азии в XI - VII в До Н. Е. Москва 1970, стр. 129 .
وقد سُجل بصيغة كاكيا عام ٨٥٩ ق. م. كا سُجل عام ٨٥٦ بصيغة كاكي ، حول ذلك راجع :
K.. Tallqvist, Assyrian Personal Names, Heisingfors, 1918, P. 110; F. Justi, Iranisches Namenbuch, Marburg 1895, S. 152

دخلت البلاد الكوتية ومنها آشور اللاحقة ضمن الإمبراطورية الميتانية منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد ، وتوزع الكوتيون في أنحائها بحيث أدت هذه الحالة بالملك الآشوري شالمانصار الأول (١٢٨٠ - ١٢٦١ ق. م.) أن يقول خلال حملته على المناطق الشمالية لبلاده «أن دم الكوتيين يسيل كالمياه من حدود أورارتو حتى كوتموخي» ، كما يبلغنا توكولتي نينورتا بعد أحد عشر عاماً (عام ١٢٥٠ ق. م.) بأن الكوتيين يعيشون أيضاً على نهر الزاب الصغير . وفي الواقع ، فإن الرسائل التي أكتشفت في أرشيف الموقع شمشاره (شوشاره القديمة) بقرب رانيه ، وهي متبادلة بين الملك المحلي كواري والسلطات الآشورية(٢٥) ، يمكن أن تربط قصص الحوادث الواقعة بين الفترة الأكدية

أما في كتابات شالمانصار المدونة عام ٨٣٦ فقد جاء هذا اللقب بصيغة كيكي ، راجع :

J. Laessoer, A Statue of Shalmanser III, from Nimrud, - "Iraq" London 1959, Vol. XXI Fragment E, Stk. 26.

كما نرى هذا اللقب مسجل بصيغة كاكي عام ٧٤٤ ق. م. [راجع بالكوردية مؤلفنا الموسوم بعنوان دراسة لغوية حول تأريخ البلاد الكوردية ، بغداد ١٩٨٨م] . وفي عام ٥٢٠ ق. م. كان كاكيا رجلاً من الميديين *Lu ma-da-a* ، وفي كتاب الشاهنامه للفردوسي إشارة إلى أن البطل كاكويى كان أحد أحفاد الملك الميدي أژدهاك . حول هذا الموضوع راجع :

W. Eiles, Kleinasiatisches., "Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft" (ZDMG), Leipzig - Wiesbaden, S. 202

وفي اللغات الإيرانية ، وكما في الكوردية ، فإن كلمة كاكا أو كاكوي تعني الأخ الكبير ، العم أو الخال ، والكاكائية هم طائفة من الطوائف الكوردية المعاصرة .

(٢٥) كان أغلب هذه الرسائل مدونة على قطع طينية ذات النمط البابلي شوهدت مثيلاتها في كل من بابل وماري على نهر الفرات مرسلة إلى كواري ملك مدينة شوشاره (محل قرية شمشاره الحالية في سهل رانيه) الذي كان متعاوناً مع إشمي داغان أحد قواد شمشي عدد بكوردستان الجنوبية أما الذين أرسلوا هذه الرسائل فيحملون أسماءاً أكدية وخورية وآخرون لم يحملوا أسماء أكدية ولا

(الألف الثالث ق. م.) ومشاركة الكوتيين ضمن قوات كورش الإخميني على بابل عام ٥٣٩ ق. م.(٢٦) . وتدل هذه الرسائل على أن القبائل التُرروكية التي وقفت بوجه

حورية (وإنما على الأغلب كانت لوللوبية وكوتية) . وقد ترجم *F. S. Browne* قسم من هذه الرسائل على حد قول العالم الأثري الدانماركي يورگين لاسو في الصفحة ١٤٤ من كتابه سكان آشور القدماء [*Jorgen Laessoe, People of Ancient Assyria, London 1963, P. 144ff., translated by F. S. Browne*] ، فكان ٤٠ نصاً من هذه الرسائل يتحدث عن قضايا إدارية وتوصيات . ومن بين الرسائل الموجهة إلى كواري نجد شخصاً يحمل إسماً سامياً (أكدياً) بصيغة شمش ناصر بجانب كل من نَوْرَم شرور وياشوب عدد الذان حملا إسمين آموريين .

يرجع زمن هذه الرسائل إلى أواسط الألف الثاني ق. م. ونجد إسم الملك كواري مدونة في سجلات نوزي وشهربازار وألالاخ وماري . ومع الأسف فقد أشعل النار في قصر كواري أثناء غارة من الغارات لا نعرف مصدرها وأحرق عدد كبير من الألواح المدونة في غرف هذا القصر ، وكان أطول رسالة ظلت سالمة مرسلة إلى كواري من قبل شمشي عدد الأول ملك آشور ويرجع زمنها إلى الفترة ما بين أعوام ١٧٤٨ – ١٧١٦ ق. م. حيث نرى في رسالة أخرى أن الكلام يجري حول شوبات إنليل عاصمة شمشي عدد . وبالإضافة إلى هذه الرسائل شوهدت ثلاث رسائل أخرى مرسلة إلى كواري من قبل أشخاص يحملون الأسماء الخورية التالية : تليو – شارري وتيندوري وشيبراتو ، أما الأسماء الواردة في هذه الرسائل من نمط أوشتان – شارري ابن أوللوم – تيشني فكان لأفراد من القبائل التورروكية . أما توندوري فقد شوهد كذلك في سجلات نوزي فهو إسم خوري وبالرغم من إكتشاف هذه الرسائل في شمشاره ، إلا أن جميعها مكتوبة باللغة الأكدية ، اللغة التي إستعملها كذلك النساخون الخوريون في نوزي خلال إنتشار النفوذ الميتاني . وكمرسلين شوهد في هذه الرسائل عدداً كبيرا من أسماء الأعلام الخورية ، وهذه الظاهرة تدل على أن أكثرية المسوطنين هنا ومنهم كواري نفسه كانوا من الخوريين .

(٢٦) حول السنين الأخيرة في مدينة بابل راجع :
R. C. Thompson, "The Babylonian Empire". Cmbridge Ancient History (CAH), Vol. III. 1965, P. 206 - 212.

الآشـوريين كـانت كوتيـة واقعـة تحـت التأثـير الخـوري . وتوضـح سـجلات مـاري أن التُرروكيين الجبليين هـددوا النفـوذ الآشـوري في شوششـاره وأخـيراً وضعـوا النهايـة لهـذه النفوذ ، وعندما إستلم كواري رسائله من شمشـي عـدد ، حـاول القـائد الآشـوري إشمـي داغان أن يتفـاهم مـع خصمـه ليـدايا قـائد التُرروكيين في مدينـة أوتـا . وتشـير رسـائل شوششاره إلى أن زعيماً كوتيـاً آخر يسمى إندوششي شكل خطراً كبيراً على الآشـوريين وعزز موقعه العسكري في شيكشابيوم ، المدينة التي يُحتمـل انهـا كـانت تقـع في الجهـات الجنوبية الشرقية من سهل رانيه . وفي النهايـة ، كـان التُرروكيون يـتربصون علـى الخلـف الآشوري الضعيف مع سكان شوششارة لكي يجدوا فرصة لضربه ، وتعطينا رسائل شمشي عدد إلى تابعه كواري صورة واضحة عن الوضع المتأزم في شوششاره وعـن تخـاذل القـائد الآموري جاشوب عدّد أمام الكوتيين حيث يُبَلّغ العاهل الآشوري ملك شوششاره ببعـض النصائح التي ترجمها ليسو إلى الإنجليزية كما يلي :

«He dose not know his own work, and the oath the swears he dose not know either, He swears an oath as if it were something he were doing in his dream ».

ثم أمر القائد الآشوري إشمي داغان لكي يقول لكواري ما يلي :

«Say to Kuwârî : Thus says your lord. A messenger from ***the Qutians*** *who is now in* ***Shikshabbum*** *has come to me and has told me the following : "The Qutian Endushshe his very self said to me : If my father,*(27) *Shamshi-Adad's army has approached Shikshabbum, do not take up arms. I will never trangress against my father. If they have given you orders to leave, then leave. If they have not given you such orders, then stay." Such were his [i.e. the messenger's] words to me. Who can tell whether these words are true or false? Perhaps they have had information from the city [Presumably Assur or Shubat-Enlil] and have taken the matter into their own hands. or perhaps they are acting under*

---

(٢٧) لقد أستعملت كلمة (الأب) للدلالة على الإحترام الزائد لكاتب الرسالة تجاه سيده .

*[i.e. the messenger], and he mentioned to me matters of a domestic character instructions from their own place-who can tell? However I interrogated him concerning the men who associate with **Warad-Sharrim.** He (also) mentioned as a sign a ring that I (once) gave to the messenger **Mutushu**. Finally the matter stands thus : Etellini, a colleage of **Mutushu**, has fallen ill at **Arrapha**, and he mentioned the men's sickness to me. He declared all the indications to me. For this reason I was inclined to believe their statement, and so I asked him about news from Warrad-Sharrim, and he said " He (i.e. Warrad-Sharrim) has received news from Endushshe in the form of the following declaration : I have no intention of usin violence against Shushaâ in the land that is subject to my father's hand." Thus he said. Warrad-Sharrim should (therefore) be able to bring me joyful tidings. Be sur of that.».*

أن تفسير هذه الرسالة يستند بعض الشيء على تلك الحوادث التي كانت تقع في مقاطعة رانيه بين الغزاة البابليين والآموريين والآشوريين والسكان المحليين لكوردستان من الكوتيين والخوريين خلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد . وعند الحديث عن السلام مع القائد الكوتي إندوشي ، يتبين أن الكوتيين كانوا أشداء وأقوياء وفي وضعية الدفاع العام عن بلادهم أمام المعتدين من حكام الممالك السامية و لم يحاولوا غزو شوششاره التي كانت محتلة من قبل الآشوريين وموالية بالإكراه إلى الملك شمشي عدّد إلى درجة كان على ملك شوششاره المدعو كواري أن يعتبره والده الذي يجب أن يطيعه . ويتبين من سياق المعارك ، أن إندوشي كان قد تحالف مع سكان الجبال الكوردية الذين كانوا في علاقة سلبية مع إنتشار النفوذ الآشوري في بلادهم وقد شوهدت طلباً من طلبات هذا الزعيم الكوتي من كواري في إحدى الرسائل المكشفة بشمشاره يقول له « إنني أريد تمثالاً لك وآخر لي مصنوعان من الذهب ، وعلى الأخ أن يحتضن أخيه »(٢٨) . ومن سياق هذا

---

(٢٨) أن هذا الطلب يوضح إمكانية الكوتيين في صهر وصب المعادن كالذهب لصنع التماثيل وبهذه المناسبة يشير ليسو إلى :

الحديث يظهر أن كواري الخوري لم يكن حليفاً للآشوريين من كل قلبه ، لذلك يعتبره إندوشي الكوتي أخاً له . وبعد موت شمشي عدّد وخلال نهاية حكم حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق. م.) علا شأن بابل بعد التغيرات التي جرت على مدن الآموريين ، فقام حمورابي بغزو مساكن التُرروكيين وأراضي كاكموم وبلاد سوبارتو لغرض نهب ثرواتها المعدنية ، وبعد إجراء الإستكشافات الأثرية في حوض سد دوكان ، ظهرت تفاصيل غزوات حمورابي في هذه المناطق من خلال السجلات التي أستخرجت من عدة مواقع ، وفي إحدى الرسائل التي كانت ضمن أرشيف قصر كواري ، إشارة إلى إنتشار النفوذ البابلي هنا بدلاً من النفوذ الآشوري ، وبعد سقوط بابل بيد مورسلي الحثي إنتشرت نفوذ الإمبراطورية الميتانية بين السوباريين (الكوتيين واللولوبيين والحوريين) التي أثرت جذرياً على لهجاتهم وثقافتهم . ومنذ عام ١٦٥٠ ق. م. بدأ الخوريون بالإنتشار في إطار المملكة الميتانية التي دامت نفوذها من جبال زاگروس حتى البحر المتوسط لمدة ١٥٠ عاماً ، وفي هذه الفترة تمازجت مصالح زعماء السوباريين مثل زازيا وليدايا التُرروكيين وإندوششي الكوتي وملوك اللوللو وكواري الخوري وأدت هذه المصالح إلى تحالفهم وإنتشار رعاياهم

« the Ranya plain consists geologically of deposits laid down in a lake that covered the area in the remote past. The transformation of the plain into a reservoit has cost Kurdistan one of its most fertile area. It may well have been this very fertility that caused the land of Shusharrâ to be covered from many quarters at the time of Shamshi-Adad. Kuwârî's home-town seems at the same time to have been an important focus of trade in metals and ores as well as a centre for matal-working. Bronze axes and spears like those shown in some plates may very wellhave been made at Shusharrâ, for in 1958 continuation of the excavation in Shemshâra, conducted under Iraqi auspices, led to the discovery of stone mould for the casting of axe-heads of a similar type, the texts, too, speak of stores of tin or tin ore to be used in the making of bronze ».

في عموم كوردستان وشمال وادي الرافدين ، وعندما يطرح ليسو سؤالاً عن نتائج هذا التحالف السوباري يجيب نفسه(٢٩) على هذا السؤال قائلاً :

" The names found in the decuments of Kuwârî's archives do not seem to suggest that there were any Indo-Europeans present at Shusharrâ in his time. "

وفي وقت لاحق سجّل الملك الآشوري عدّد نيراري (١٣١٠ - ١٢٨١ ق. م.) تقريراً عن إنتصاراته على الكاشيين والكوتيين واللوللومي والشوبارو(٣٠) . وفي هذا التقرير يظهر سكان زاگروس ضمن ثلاث مجموعات خضعت لآشور . فالملك يشير في هذا التقرير إلى أن والده أريك دين إيلو كان حاكماً على البلاد الجبلية الواسعة للكوتيين(٣١) . ثم تابع شالمانصار الأول (١٢٨٠ - ١٢٦١ ق. م.) الغارات على أوروئاتري وخانيگلبات ، ولكن الكوتيين لم يخضعوا له ، فكتب عن هذه الحالة قائلاً : « عقب ذلك نجح الكوتيون الذين يعدون كنجوم السماوات ومتضلعين في القتال في التمرد عليّ وأقاموا العداوة معي »(٣٢) . وهذا القول يشير إلى وسعة أرض الكوتيين إبتداءً من أرّابخا في الجنوب حتى أورارتو في الشمال وإلى قوتهم الكبيرة وإلى تحديهم

---

(٢٩) نفس المصدر . ومن دون شك ، فإن هذه الفترة كانت عصر إستقرا الهنود الآريين في مرتفعات زاكروس وشمال وادي الرافدين وإمتزاجهم بالسكان المحليين لبلاد سوبارتو وقيادتهم للسلطة السياسية للسوباريين التي نتجت عنها ظهور المَلكة الميتانية في الشمال ومملكة كاردونياش في بابل بعد سقوط سلالة حمورابي فيها عام ١٧٤٦ ق. م.

(٣٠) راجع المصدر التالي :

Altorientalische Bibliothek (AOB), Vol. I : "Die Inschriften der altassyrischen Könige," ed. by E. Ebeling, B. Meisser, and E. F. Weidner, Leipzig, 1926, S. 57-58.

(٣١) راجع : *Keischrifttexte aus Assur historischen Inhalts (KAH), Vol. I, l. c. 21; E.A. Speiser, Mes. Orig. P. 110f*

(٣٢) راجع سبايزر ، نفس المصدر .

الإمبراطورية الآشورية . كما نرى في نفس التقرير خبر سيلان الدم الكوتي كالمياه من حدود أوروئاتري حتى كوتموخي(٣٣) . وبهذه الصورة كان الكوتيون منتشرين كذلك فيما بين أرمينيا وسلسلة جبال طور عابدين في كوردستان الغربية . ومن جهة أخرى ، يخبرنا توكولتي نينورتا (حوالي عام ١٢٥٠ ق. م.) أنه إلتقى بالكوتيين على نهر الزاب الصغير شمال أرّابخا(٣٤) . وعلى هذا الأساس ، فإن موطن الكوتيين توسّع من جبل لالار قرب شوششاره في شمال شهرزور حتى الجزيرة وبلاد كوتموخي(٣٥) . وهكذا يظهر أن كوردستان برمتها كانت موطن الكوتيين قبل حصول التغيرات الأثنية واللغوية فيها بيد الهنود الآريين .

أما عن الأعمال الفنية التي تُعَبّر عن المستوى الحضاري للكوتيين فهي نادرة جداً ، وذلك لوقوعها بيد السومريين والأكديين الذين حطموا أغلبها بعد أن تركها الكوتيون في مدنهم ، أو قضى عليها البابلون والآشوريون والعموريون أثناء غزواتهم على ربوع الموطن الكوتي . ويعتقد دياكونوف معتمداً على آراء مختلفة بأن اللوحة المكتشفة في كوردستان والمشهورة بلوحة شيخان ، هي من أعمال الكوتيين ، وتدل الكتابات التي عليها أنها تعود إلى الألف الثاني ق . م. أو أقدم من ذلك بفترة وتصور شخصاً (ملكاً ؟) بإسم ليشير - بيراني منتصراً على أعدائه . كما أن لاسيراب الملك الكوتي في سومر نذر دبسة قتال وأرسلها إلى سيبار تحمل كتابة تذكارية جاء فيها « أن إلهي الكوتيين هما عشتار وزن» . ومن جهة أخرى ، فإن الرأس البرونزي المكتشف حوالي مدينة همدان والمحفوظ لحد الآن في متحف برايمر گاليري بنيويورك هو رأس أحد الملوك الكوتيين(٣٦) ،

---

(٣٣) نفس المصدر .

(٣٤) *KAH I, No. 16. P. 19-23.*

(٣٥) *KAH I, No. 17. P. 7-8.; E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 112.*

(٣٦) راجع بالروسية الصفحة ١١٦ من كتاب (تأريخ الميديين) لدياكونوف .

И. М. Дьяконов, История Мидии. Москва 1956, Стр. 116.

وما يماثل هذا العمل أكتشف في سلماس بكوردستان الشرقية . ومع ذلـك ، فـإن تـأريخ الكوتيين يحتاج إلى دراسات أوسع وأعمق ، وأن مخلفاتهم الأثريـة في وادى الرافديـن أقـل بكثير من مخلفاتهم الكتابية .



منحوتة ليشير بيراني في هورين شيخان



الرأس البرونزي لأحد ملوك الكوتيين

[illegible] ، برايجو غاليري – نيويورك

٢) لوللو The Lullu :

لو نظرنا إلى النصوص المسمارية التي تحوي أخبار اللوللوبيين ، نجد أن كنيتهم الأثنية قد ورد بصيغتين ، الأولى (لولوب *LU. LU.B*) أو (لولوبوم *LU. LU.BUM*) والثانية (لولو *LU. LU*) ، وهذان النوعان من الأسماء قد نُسب إلى لغة مجهولة أطلق عليها الباحث المسماري الأمريكي *J. Gelb* عند دراسته لنصوص سرجون الأكدي المكتشفة في منطقة ديالى [*Sargonic Texts From The Diyala Region, 1952*] إسم لغة البنانا *Banana Language* . والدليل الآخر على أن الأسماء المنسوبة إلى لغة الـ(بنانا) هي أسماء لوللوبية يتوضح من خلال ترجمة النصوص المسمارية الأكدية التي ظهرت فيها تلك الأسماء ، لأن الأكديين هم أول من سيطر على بلاد اللوللوبيين حيث إستعبدوهم وجلبوا عدداً كبيراً منهم كعبيد إلى أكد ، ولهذا وجدنا أن أغلب أسماء الأفراد المسجلة في السجلات الأكدية هي من صنف البنانا . ومع ذلك ، هناك أسماء علم لوللوبية تستطيع أن تساعدنا في التحكم على قرار إنتماء اللغة اللوللوبية ، كما وأن الأصوات والمصطلحات في هذه الآثار اللغوية تكفينا لتميزها وتوضيحها .

أن علاقة اللوللوبيين مع السوباريين تظهر من مصطلح لو– لو سوبور (سكان سوبور) الذي نراه في نص من نصوص مدينة فارا . وفي نفس الوقت جاء تفسير كنية لو–لو في نص من نصوص سلالة أور الثالثة كتعبير عن *lù SU A*ki « رجلٌ من بلاد سو» . والتعبير المحلي عن هذه الكنية كانت بصيغة لوللو – بي أو لوللو – مي التي دونت في سجلات كركوك حيث نرى فيها هذه الكنية أحياناً بصيغة (نوللو) ، وكانت بلادهم على حد تعبير ناسخي هذه السجلات هي *mā t Nu-ul-lu-a-i-û* ، ومن المعروف أن التبدل الحاصل بين صوتي اللام والنون ظل مستعملاً حتى العصر الميتاني ونراه في صيغتي خانيگلبات وخاليگلبات ولا يزال متداول في الكوردية مثل صيغتي إسم مدينة گلاله وگراره . وفي بداية القرن العشرين وبعد إتمام الحفريات في موقع نوزي (على بُعدِ ٢٥ ميل

جنوب كركوك) ، قدّم أفرام سبايزر بعض المواد والشواهد المتعلقة بأقوام سوبارتو ولغاتهم(٣٧) ، فاللاحقة الشفهية (بي ، مي) الملحقة عادة بكنية لوللو كانت تستعمل كذلك في العيلامية ودلّت على حالة الجمع ، على حد قوله . وعلى هذا الأساس ، فإن لوللوبي أو لوللومي كانت تعني «شعب لوللو » أو ماشابه ذلك ، وهذه الظاهرة نراها في إسم نهري زا – با «الزابان» حيث لا زالت حالة المفرد لهذا الإسم في الكوردية هي زيْ *Zê* ومزادها يكون بإضافة لاحقة الجمع (ان) عليه فتغدو بصيغة (زا –ب – ان) .

لا يُعرف حدود الموطن الذي إستقر فيه اللوللوبي(٣٨) ، إلا أنهم تمركزوا في منطقة

---

(٣٧) راجع : *E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 101.* وحول بلاد *Nu-ul-lu-a-i-u* أنظر إلى : *Harvard Semitic Series (HSS) V 8. 9.*

(٣٨) ومن دون شك ، فإن صيغة الجمع السومرية الأصيلة لكلمة *LU. LU'* " كانت تعني بجرد (الناس) وكان مفردها ' *LU* " يعني (الرجل) . أما في الحثية فمصطلح *DUMU LU.ULU LU* كان يعني « الإنسانية » [راجع *Cord Kühne (Münster), Das Ritualfragment KBo XVI 56 + KUB XXXIV 85. Festschrift H. Otten, ed. E. Neu, Ch. Rüster. Wiesbaden 1973, S. 162ff.*] ، وقد إنتقلت كلمات من هذا النمط من بلاد الرافدين عبر سوريا والأنضول حتى سواحل البحر المتوسط على حد قول سبايزر ، وأكثر من ذلك ، فقد إكتشف كريتيشمير بعض المفردات العيلامية عند سكان جزيرة صقلية [راجع *P. Kretschmer, "Das nt - suffix," Glotta XIV (1928) 319, n. 1*] . وفي الواقع ، فإن الكنية القديمة للوللوبيين التي شوهدت في سجلات أرّابخا بصيغة لوللو أو نوللو كانت تعني الجبليون الذين يُجلب منهم العبيد [راجع : *Saarisalo, Aapeli, New Kirkuk Document Relating To Slaves. Studia Orientalia (SO), Vol. V. Part 3, Helsinki 1934, PP. 65 - 68.*] بينما كانت لوللو في المستوطن الحوري بقطنة بسوريا تعتبر من أسماء الأعلام [راجع : *Ch. Virolleaud, Syria VIII (1928), P. 95.*] وفي صقلية ليلوبي كانت تعني طبقة إجتماعية ، أما في السجلات الأورارتية فقد سُجلت بالصيغة الأكدية مع اللاحقة *ina* - الخلدية على حد قول تسيريثيلي [راجع كتابات الملك سردور الحديثة : *M. Tseretheli, Die neuen haldischen Inschriften König Sardurs von Urartu ,*

چمچمال وبازيان والسليمانية (زاموا القديمة) وسهل شهرزور وألوند وزهاو بكوردستان الجنوبية والشرقية . وكان هذا الموطن يتوسع ويتقلص بتأثير الحملات الأكدية والآشورية والأورارتية عليه ، وقد حدده الملك سرجون الأكدي في سجلاته بين منطقتي أورونا وصينو اللتان نشأت فيهما مملكة خمازي في الألف الثالث ق. م. وفي العصر الآشوري إنتشر اللوللوبيون في الأراضي الواقعة بين بحيرة أورميه في الشمال ونهر سيروان (أحد فروع ديالى) في الجنوب وكان مركز بلادهم يقع على ضفاف نهر الزاب الصغير في شمال شرق سيموررووم وكوتيوم (شهرزور الحالية)(٣٩) . وخلال الألف الثالث ق. م. كان اللوللوبيون *Lu-llu-p; Lu-llu-me* يعيشون في المنطقة التي تلي أرّابخا مباشرة على حد قول

Heidelberg, 1928, S. 54 وقد ناقش لاندسبيرغر في مقاله الموسوم بعنوان (خابيرو ولوللاخو) : [راجع : *Kleinasiatische Forschungen, (KAF) Leipzig 1929, P. 321-334*] تلك العلاقة بين لوللو و لوللاخو ، وقد حدد لوللاخو كصيغة أصيلة للمفهوم الأثني للوللوبيين وتعني بالتالي الجبليون أو السكان الفطريون . وجاء في سجلات نوزي خبرٌ عن خابيرا إبن نولي [راجع : *E. Chiera, Inheritance Texts (Paris 1927) 6, 16,*] كما ورد كل من خابيرو ولوللو أو نوللو في سجلات كركوك ، وحال لاندسبيرغر أن يشرح لولـلا – اويلو الوارد في ملحمة الخلق [راجع : *Keilinschriftliche Bibliothek (KB) VI, P. 126, 6*] كرجل متوحش أو ما شابه ذلك ، ومن هذا المنطق كانت الكلمة تعني (العبد) . وخلال النصف الأول من الألف الأول ق. م. كانت كلمة لوللو تعني الغريب ، الأوجنبي أو حتى العدو . حول هذا الموضوع راجع بالروسية : И. М. Дъяконов, *История Мидии.* М. 1956, стр. 101.

(٣٩) نفس المصدر ، وكانت الصيغة الساسانية لكنية شارَزور الكوردينة هي سيارزوُر [راجع تأريخ أردشير *Th. Nöldeke, Geschichte des Artachsir i Papakan. Götengen 1879*] بينما سجلها هيراكليوس بصيغة سيازوُرون أو سيارسوُرون [راجع هرتسفيلد ، الإمبراطورية الفارسية ، ص ١٨ وما بعدها] ، والصيغة الآرامية لهذه الكنية خلال السنين ٥٤٤ – ٦٠٥ الميلادية كانت سيرزوُر أو سيارزوُر .

سرجون الأكدي(٤٠) ، وإن هذه الحقيقة تؤكدها وثائق وسجلات أرّابخا ، وقد واجهوا القوات الأكدية الغازية على بلادهم وخاصة أيام نارام سن الذي صوّر إنتصاراته في مسلته المشهورة التي نهبها العيلاميون وأكتشفت في سوسه . ومن سجلات حملات آشورناصربال على زاموا إستطعنا التعرف على أسماء بعض المدن اللوللوبية التي كانت تقع خلف ممر بازيان(٤١) . وعلى أغلب الظن ، فإن منحوتة دربندي گاور في قره داغ تصور أحد ملوك اللوللوبيين بخلاف ما إعتقد كل من إدموندس وسدني سميث وسبايزر(٤٢)على

---

(٤٠) *Keilschrifttexte aus Assur verschiedenen Inhalts (KAV) 92. S. 10-11.*
كانت هذه الصيغة للإسم تنتهي بلواحق عيلامية ، وكانت اللاحقة ك ***k***- و ر ***r***- تستعمل مثل الحرف – پ أو – ب . وعلى هذا الأساس كانت كلمة سونكيك ***sunki-k*** تعني «ملكٌ *(a)* ***king***» و سونكير ***sunki-r*** «الملكُ ***The King***» وسونكيب ***sunki-p*** «الملوك» و ***sunki-me*** فكانت تعني «المملكة» . وهكذا فكنية ***Lullu-b*** ; ***Lullu-p*** كانت تعني «اللوللوبيون» أما لوللومي ***Lullu-me-me*** فتعني «مملكة اللوللو أو بلاد لوللو» ، وعلى الأغلب فإن هذه الظاهرة اللغوية كانت مستعملة كذلك عند الكوتيين . ففي نقش أراد نينار حاكم لغش نرى مصطلح بلاد الكوتيين بصيغة *ma-da Qu-te-bu-um* *ki* *-ma* [راجع *G. A. Barton, The Royal Inscription of Sumer and Akkad (RISA) New Haven 1929, P.260. 16, line 20.*] وهنا نرى أن لاحقة الجمع – ب متصلة بنهاية إسم كوتي كما نراها كذلك في إسم *Lu-lu-bu-um*ki . راجع سبايزر [Speiser, *Mes.Orig.* P.100] .

(٤١) راجع :
E. A. Speiser, Southern Kurdistan in the Annals of Ashurnasirpal and today, Annual of the American Shcools of Oriental Research (AASOR) VIII, New Haven 1928, P. 1 - 42

(٤٢) راجع آراء هؤلاء في المصادر التالية :
-- *C. J. Edmonds, Two Ancient Monuments in Kurdistan, "The Geographical Journal LXV, P. 63 - 64"*

أنها لنارام سن . وإذا كانت لوبدو آشوخ على نهر الزاب الصغير في سيموررروم لا تُعتبر جزءاً من لوللوبوم ، فإنها على الأقل كانت مسكونة من قبل عدد كبير من اللوللو . وقد إنتشر هؤلاء من سهل شهرزور بإتجاه الجنوب الشرقي نحو هالمان وزهاو قرب سَري يول زهاو(٤٣) وأصبحت هذه الأنحاء الواسعة تدريجياً موطن اللوللوبيين(٤٤) . ويظهر من منحوتة آننوبانيني في زهاو أن هذا الملك اللوللوبي قد غزا هالمان ، ومن أجل تمجيد إنتصاراته أقام عدة مسلات في هذه المناطق وأهمها تلك المنحوتة المدونة باللغة الأكدية(٤٥) . وعلى ما يظهر من نمط الكتابة ، فإن آننوبانيني حكم بعد نارام سن بمدة قصيرة ، أي بعد الغزوات التي قام الأكديون على بلادهم ، وإن لإسمه علاقة بالإله العيلامي هانوباني أو هومبان . ووقوف هذا الملك أمام الإلهة الأم بإجلال وإحترام مقدماً لها رموز الإنتصار تنفي الإدعاءات الأكدية على كون اللوللوبيين أمة متوحشة ، ولعلنا نصيب جانب الصواب فيما لو قلنا أن آننوبانيني حرر بلاده نتيجة سقوط أكد بيد

-- *S. Smith, Early History of Assyria (EHA), New York 1927, P. 97.*
-- *E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 88.*
Джамал Рашид Ахмед, Студи върху Историята на Кюодистан в Древноста.. София 1973 .

(٤٣) تسمى هذه المنطقة بالكوردية بكنية Ser pûl î Zahāw

(٤٤) *E. A. Speiser, Op. Cit.*

(٤٥) حول نصوص هذه المنحوتات راجع :

G. A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad (RISA), New Haven 1929, P. 150 - 151.

وبناءاً على أقوال هوزينگ ، فإن لإسم آننوبانيني علاقة مع إسم المعبود العيلامي هومبان أو أومبان ،
[راجع : *G. Hüsing, "Annubani - Annubani - ni," Der Zagros und seine Völker, AO IX nos. Leipzig 1905, S. 16 ff.*] بينا يرى آخرون أن الإسم مركب من مقطعين ، آنو (إله السماوات السومري) و بانيني (الفعل الأكدي الذي يماثله الفعل العربي بناني أو خلقني) .

الكوتيين(٤٦) . وبالرغم من الحملات الأكدية المتكـررة علـى سـوبارتو ، فـإن اللوللوبيـين حافظوا على إستقلالهم السياسي على الدوام . ومن خلال إحدى الرسـائل المدونـة بـالخط المسماري المكتشفة في موقع إيبلا (تل مرديخ ٧٠ كم جنوب حلب) نتعرف علـى وجـود علاقات ديبلوماسية بين اللوللوبيين (مملكة حمازي) والكنعانيين (مملكة إيبـلا) ، ومضمـون الرسالة يُعكس لنا رغبة ملك إيبلا المدعو أركب - ديمو في أن يحصل من اللوللوبيين علـى جنود أقوياء ومدربين(٤٧) ومقابل ذلك بعث بعشر قطع من الأثاث الخشبية مع حليتين بيد سفير مملة حمازي إلى ملكها المدعو زيزي . ومن خلال سجلات وادي الرافديـن يتبـين أن مملكة حمازي كانت في حرب مع مملكـة كيـش السـومرية الـتي حـاولت أن تسـيطر علـى أراضي المملكة اللوللوبية(٤٨) . والمعلومات التأريخيـة المتوفـرة لدينـا تؤكـد علـى أن مملكـة كيش كانت تعمل على إبراز قوتها تجاه الممالك المجاورة لهـا ، وممـا يؤيـد ذلـك هـو أحـد

---

(٤٦) كانت بلاد اللوللو مستقلة قبل غارات الكوتيين على سومر وأكد حيـث أقـام فيهـا ملوكهـا منحوتاتهم ومسلاتهم ومنها تلك التي تحمل إسم تار-دو-ني المنتهي بنهاية مثل نهاية إسم آنوبـانيني يتحدث عنها أرنسـت هرتسـفيلد في *"Reisebericht." ZDMG LXXX (1926), S. 232* .
وعلى هذا الأساس لا يرى هوزينگ أن آنوباني من الأسماء السامية .

(٤٧) *G. Pettinato, The Archives of Ebla, An Empir Inscribed in clay. New York 1981, P. 108.*

وحول مملكة حمازي وحاكمها هدّانيش راجع : *OECT II, pl.II, col. 4. P. 38-39*

(٤٨) *Reallexikon Der Assyriologie, III, S. 70 - 71* وفي قائمة إثبات الملـوك السـومرية نرى أن العهد الزاهر للحكام الأوائل في مدينة أور قد إنتهى بسبب غزوات العيلاميين الآتين من أوان [*Awan by weapons was smitten; its kingship passed to Kîš* راجع : *OECT* pl. II, *col. 4. P. 17-19*] . وعلى رأي سبايزر ، فإنه دور ميسـليم في إعـادة الوضـع إلى حالتـه الطبيعيـة بعيد الإحتمال كالذي تتحدث أساطير كيش عن قيام الملكية في كيش بعد الطوفان [راجع سبايزر ، المرجع السابق ، ص ٣٦] .

النصوص المسمارية المكتشفة في كيش حيث ذكر لنا معركة دارت رحاها مابين كيش وحمازي ونص آخر من بين النصوص المكتشفة في إيبلا قد أشار إلى أن ملك كيش المدعو ميسا لم كان ينوي السيطرة على إيبلا ، لذلك تعاون اللوللوبيون مع مملكة إيبلا(٤٩) . وكما نرى في قائمة إثبات الملوك السومرية ، فإن مملكة كيش إستطاعت لمدة قصيرة أن تغير على مملكة حمازي إلى أن سقطت بيد سلالة أوروك(٥٠) . وفي الواقع ، فإن مملكة حمازي لم تنل إستقلالها في البداية إلا بعد ظهور سرجون الأكدي وفرض سيطرته على دويلات المدن السومرية(٥١) حيث فسح إنشغاله بتوحيد المدن السومرية والأكدية المجال أمام مملكة حمازي لنيل إستقلالها . وفي زمن حفيده نارام سن (٢٢٦٠ – ٢٢٢٣ ق. م.)

---

(٤٩) *H. Klengel, Lullubum. Mittieilungen Des Instituts Für Orientforschung, Band XI. Heft 3, 1966, S. 350.* وحول الحرب بين الخمازيين وقوات كيش السومرية راجع : *Reallexikon Der Assyriologie, III, S. 70 - 71.*

(٥٠) نقرأ في قائمة إثبات الملوك السومرية المعلومات التالية :

Kîš ^{ki} GIš TUKUL BA. AN.SIG = Kîš was attaked by arm
NAM. LUGAL. BI = Its royality
HA. MA. Zî ^{ki} SE BA. TUM = to Hamâzî had carriaged
HA. MA. Zî HA. TA. NI. Iš = in Hammâzî , Hattânîš
MU 360 AK = ruled 360 years
HA. MA. ZI ^{ki} GIS TUKUL BA. AN. SIG = Hammâzî was attacked by arm
NAM. LUGAL. BI UNUG^{ki}.SE BA. TUM = Its royality to Uruk had carriaged

« كيش ، ضربت بالسلاح ، ملوكيتها إلى حمازي قد إنتقلت ، في حمازي ، ختانيش صار ملكاً وحكم ٣٦٠ عاماً ، حمازي ، ضربت بالسلاح وملوكيتها إلى الوركاء قد إنتقلت ...» .

(٥١) حول ملكية سرجون راجع :

A. L. Oppenheim, "Sargon of Agade" in Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (ANET), Princeton 1955, PP. 267 - 268.

إتحد اللوللوبيون عندما كان يحكمهم الملك ساتوني مع بلاد سيدوري ضد الأكديين الغزاة ، وبعد إنسحاب قوات نارام سن من سوبارتو تحرر اللوللوبيون من الإحتلال الأكدي .

لا نسمع عن اللوللوبيين كقوة سياسية بعد حملة نارام سن إلا نادراً . وفي العصر الآشوري ، وبالأخص في زمن آشورناصربال ، أي بعد ما يقارب من ألفي عام نسمع عن هؤلاء وقد إرتبط إسمهم ببلاد زاموا التي دخلت مراراً ضمن الإمبراطورية الآشورية وكان بعض الملوك الآشوريين خلال القرن الثاني عشر ق. م. من أصل لوللوبي كما ذكرنا . وبعد زوال الحكم الكوتي في المدن السومرية والأكدية ، عادت الجماعات اللوللوبية لتقع تحت سيادة الدول التي ظهرت من بعد هذا الحكم . فنصوص سلالة لغش الثانية (٢١٦٤ - ٢١٠٩ ق. م.) قد أشارت إلى أن الحاكم نمخاني (٢١١٣ - ٢١٠٩) عيّن إبنه لو - ننا حاكماً على خمازي . وكتابات سلالة أور الثالثة (٢١١١ - ٢٠٠٣ ق . م.) وبالأخص كتابات الملك شوسين (٢٠٣٦ - ٢٠٢٨ ق. م.) رابع ملوك السلالة المذكورة قد أشارت إلى أنه قد عيّن مستشاره المدعو إيرننا حاكماً على أربيل وأميراً على خمازي وعلى سكان سو وأراضي كَردا . وعلى كل حال ، فأخبار اللوللوبيين وصلت في هذه الفترة إلى مصر حيث ورد على لسان ملوك السلالتين ١٨ و ١٩ من المملكة الحديثة إذ تطرق تحوتموس الثالث إلى ذكرهم من خلال حديثه عن الخوريين والميتانيين في شمال سوريا(٥٢). وإضافة إلى ذلك ، فقد إستمر ذكرهم في المصادر المسمارية إلى ما قبل سقوط العاصمة الآشورية نينوى عام ٦١٢ ق. م. حيث أن كتابات الملك تيغلات بلاصر الثالث

---

(٥٢) *J. Simons, Handbook For The Study Of Egyptian Topographical Lists Relating To Western Asia, (Leiden 1937), NR. IV, Z. 9.*

(٧٤٥ – ٧٢٧ ق. م.) قد جاء فيها ذكر اللوللوبيين الذين ظلوا منذ سقوط أكد متحالفين مع الكوتيين وغيرهم من السوباريين(٥٣) . ولهذا السبب ولوقف توسع رقعة بلادهم أرسل حاكم لغش نيمخاني إبنه لو – ننا لكي يحكم حمازي(٥٤) حيث كانت حتى آشور قبل التحولات اللغوية فيها في مطلع الألف الثاني ق. م. جزءاً من موطن اللوللوبيين وملوكها الأوائل حملوا ألقاباً لوللوبية كما ذكرنا(٥٥) . ومن جهة أخرى ، فإن الدور السياسي لهؤلاء في سوريا دُوّن من قبل السلالتين ١٨ و ١٩ المصرية عندما قام

---

(٥٣) *J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London 1963, P. 15.*

(٥٤) راجع دراسة زميلنا (مملكة حمازي) المنشورة في العدد ٢١ من مجلة (كاروان – المسيرة) ، أربيل ١٩٦٤م ، ص ١٤٧ .

(٥٥) كان هؤلاء الملوك برأي سبايزر هم أداسي ولوباي (؟) وبازاي ولوللاي . حول هذا الموضوع راجع كل من *E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 90. Cf. also E. F. Weidner "De Grosse Königslist aus Assur," Archiv für Orientforschung (AFO) III 70. P. 1 - 7, Berlin, and E. Nassouhi, "Grand liste des roid d'Assyrie," AFO IV (1927). 4, col. 2. P. 17 - 19.* . ومن الواضح أن هذه الأسماء هي غير سامية ، وإن اللاحقة – سي si- في إسم أداسي تنتشر غالباً في أسماء الأماكن اللوللوبية بينما نراها منتشرة في أسماء الأعلام الكوتية والكاشية ، للتفاصيل راجع دراسات ألبرايت *W. F. Albright* في المجلة العلمية التالية : *Society of Oriental Research " (JSOR) VIII, (Toronto 1924), P. 54 - 55 .* وقد سمى سبايزر الإسم الذي تلحقه هذه اللاحقة بـ *a gentilik termination* حيث أن لوللايي *Lullai* تعني «رجل من اللوللو» وبازاي تعني «رجل من بازو» ، ولا تزال هذه اللاحقة مستعملة في الكوردية بنفس المعنى مثل بارزاني وزيباري وبوتاني وموكرياني ...إلخ . وفي نفس الوقت نرى أن بازاي هو إسم علم وكان إبن لوللاي [راجع : *AFO, IV 3. P. 21*] وقد إنتشرت هذه اللاحقة في آشور عندما كان يحكمها ملوك اللوللو قبل إنتشار الثقافة السامية فيها على حد قول ألبرايت .

تحوتموس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٦٨ ق. م.) بحملتـه العسكرية على سوريا وجابه فيها مقاطعات الإمبراطورية الميتانية بشمال وادي الرافدين(٥٦)..

ومن الإشارات التي أكدت على أن اللوللوبيين قد إنقسموا إلى مجموعات عديدة بعد زوال الحكم الكوتي تلك المذكورة في إحدى الرسائل الموجهة إلى كواري ملك شوشاره(٥٧) يذكر فيها مرسلها شيبراتو *Shepratu* بأن ملوك اللوللوبيين (وليس ملك واحد) يعانون نقصاً في الحبوب ، لذلك هم يتقدمون بطلب السلام مع ملك شوشاره(٥٨) . والإشارة الأخرى التي تؤيد إنقسامهم إلى وحدات متفرقة وردت على على لسان الملك الآشوري تيغلات بلاصر الأول (١١١٤ - ١٠٧٦ ق. م.) حيث جاء فيها بأنه قد أخذ ٢٥ صنماً للمعبودات اللوللوبية ووزعها على المعابد الآشورية . ومن

---

(٥٦) راجع كتاب المرشد إلى قوائم الدراسات الطوبوغرافية المصرية لسيمون :
J. Simons, Handbook For The Study of Egyptian Topographical Lists Relating To Western Asia, (Leiden 1937) Nr. IV, S.9.

(٥٧) نرى الصيغة القديمة لإسم شمشاره في رسالة تَلبو شارري المرسلة إلى كواري المتعلقة بموضوع بناء المساكن في هذه المدينة ويقترح له بعض المقترحات ، وإن هذا الإسم مرتبط بسلسلة من وثائق مدينة ماري التي يوضح فيها ياسماه عدد لأخيه إشمي داغان عن التقرب من شوشاره لمهاجمة التُرروكيين . فشمشاره هي شوشاره القديمة التي أطلقت على المدينة والمنطقة معاً . للمزيد من المعلومات راجع : *J. Laessoe, People of Ancient Assiria, 146ff.*

(٥٨) راجع : *L. Laessoe, The Shemshara Tablets, P. 77ff.* بجانب الرسائل الشخصية التي وصل عددها إلى ٥٠ رسالة في أرشيف شمشاره ، فإن أهم التقارير التأريخية (وصل عددها إلى ٤٠ تقريراً على حد قول العالم الأثري الدانماركي ليسو) التي تتحدث عن الوضع السياسي بكوردستان الجنوبية خلال العهد الآشوري المبكر هي تلك المرسلة من قبل إشمي داغان خليف شمشي عدد الأول وقائد الحملات العسكرية على الممالك المحلية إلى شقيقه ياسماه عدد . فقد قام إشمي داغان بالإغارة على مملكة توكريش التي دافع عنها الكوتيون واللوللوبيون معاً ، كما توجه إلى كل من قبرا وتورروكوم اللتان كانتا في علاقة جيدة مع مملكة شمشاره في سهل رانيه .

جهة أخرى ، فإن سجلات ماري توضح المواقف الآشورية من السكان المحليين على نهر الزاب الصغير عند الصراع مع التُرروكيين الكوتيين والتحالف الذي قام بين هؤلاء واللوللوبيين ومملكة كواري في شوششاره حيث يبلغنا جاسم إيل في رسالة من رسائله المدونة بعد عام ١٧١٦ ق. م. بأن العداوات إنتهت أخيراً وأن معاهدة عقدت بين الأطراف المتصارعة بعد أن أجريت عقد زواج بين الأسر الحاكمة في المنطقة حيث تزوجت بنت زازيا ملك التُرروكيين بموت عسكور إبن إشمي داغان الآشوري قائد شمشي عدد الأول(٥٩) . وهناك رسالة أخرى من رسائل أرشيف شوششاره يرجع زمنها إلى فترة الصراع الدائمي للتُرروكيين مع الآشوريين وهي مرسلة من شمشي عدد الأول إلى كواري يعرض له عن إرسال القائد جاشوب عـدّد الأهَزمي إلى منطقته في فترة أقام التُرروكيون إتفاقاً مع إشمي داغان ، لذلك ، فإن الأخبار تشير إلى أن ليدايا زعيم التُرروكيين وأحد أعداء إشمي داغان في معركة مدينة أوتا وقائد الحملة على شوششاره قد أقام حلفاً مع الآشوريين . وعندما درس العالم الأثري الدانماركي *Jorgen Læssoe* رسائل شمشاره ، رأى فيها إتفاقاً رسمياً بين شمشي عدد وكواري حول إيواء الجنود لمقاومة التُرروكيين ، ويقول شمشي عدّد «أن الأعداء يجب أن يلحقوا إلى عشائرهم» وهم بلا شك العشائر الكوتية واللوللوبية التي تأتينا أخبارهم في رسائل مدينة ماري كأعداء الآشوريين الذين وضعوا نهاية للنفوذ الآشوري في كواري والمناطق المحيطة بها بعد موت شمشي عدد .

ظلت العلاقات تأريخياً بين اللوللوبيين وسكان وادي الرافدين عرضية ، فبعد عصر نارام سن وما عدا عمليات حمورابي نسمع قليلاً عن الحالة السياسية في بلاد اللوللوبيين

---

(٥٩) راجع :

J. R. Kupper, "Northern Mesopotamia and Syria". Cambridge Ancient History (CAH), 1973, P. 1ff.

حتى جاء آشورناصربال الثاني (٨٨٢ – ٨٥٩ ق. م.) بعد ثلاثة عشر قرناً لكي يخمد الإنتفاضة في زاموا بأربعة حملات عسكرية فيما بين أعوام ٨٨٤ – ٨٨٠ ق. م. ففي الحملة الأولى كان نور – عدد هو ملك اللوللوبيين في بابيت (بازيان) ، وبعد معركة دموية إحتل الآشوريين المدن اللوللوبية مثل بابيت ودگارا وكاكري ، بينما تقهقر آميخا ملك المقاطعة المركزية اللوللوبية زيمري وإنسحب إلى جبل كينيبا (جبل نيسير) حيث عاود القتال مع الآشوريين ، وقد أقام آشورناصربال هنا نصباً بقرب التصبين الذين أقامهما كل من تيغلات بلاصر (١١١٦ – ١٠٩٠ ق. م.) وتوكولتي نينورتا (١٢٤٣ – ١٢٢١ ق. م.) . وفي عام ٨٥٩ ق. م. دخل شالمانصار زاموا وإحتلّ جبال نيكديم ونيكديارا ، وفي عام ٨٤٤ ق. م. هاجم نامري من خلال زاموا ، لذلك إنضم مردوك مودَمِق ملك نامري إلى المنتفضين وإلتجأ إلى الجبال ثم هاجم كرخي عام ٨٢٩ ق. م. ، وعندما حاول شالمانصار إحتلال جبل كينيبا المقدس (پيره مهگرون) ، خسر الآشوريون كل طاقاتهم في الحرب ضد اللوللو(٦٠) .

أما فيما يخص نمط حياة اللوللوبيين خلال الألف الثالث ق. م. فإن النصوص الإقتصادية التي جاءتنا من مدينة گاسور (نوزي في وقت لاحق) قد أظهرت لنا على أنهم كانوا يعيشون على تربية الحيوانات والمتاجرة بها ، أي أنهم كانوا مهتمين بالحياة الرعوية أكثر من إهتمامهم بالحياة الزراعية ، لأن التجار آنذاك كانو يعتبرون منطقة اللوللوبيين خير سوق لبيع الحبوب(٦١) . وعندما إنتهت فترة سيادة الكوتيين على سومر وأكد بدأ هؤلاء يعيشون على شكل جماعات متفرقة تحولت بمرور الزمن إلى عدة عشائر بحيث كان لكل عشيرة إلهها وحاكمها الخاص بها ،. وأن تأثير الجانب الديني االآكدي ظل سائداً

---

(٦٠) ي . م . دياكونوف ، تأريخ الميديين ، ص ١٥٦ (موسكو ١٩٥٦م ، الطبعة الروسية)

(٦١) *Harvard Semitic Series, X, 42, P. 6f.*

عندهم كما توضحه صورة عيشتار أمام آنوبانيني في زهاو(٦٢) . ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن بين اللوللوبيين إشتهر نحّاتون ماهرون الذين أقاموا منحوتات دربندي رامكان ودربندي كاور وزهاو وهورين وشيخان ، لذلك إستغلهم ملوك آشور لإقامة منحوتاتهم في مدنهم حيث جلب آشورناصربال عدداً كبيرا من البنائين اللوللو إلى عاصمته(٦٣) .

قدمت كتابات شوسين في التأريخ معلومات هامة عن علاقة اللغة التي تكلم بها السوئيون (السوبارتيون) واللوللوبيون حيث ذكر لنا أحد نصوص هذا الملك أن لغة السوئيين واللوللوبيين كانت متشابهة وعلى النحو التالي :

U . BA	KUR	SHUBUR	KI	HA. MA.ZI
آنـذاك	بـلاد	شوبَر	أرض	حمازي

EME . HA MUN

مشابهة لغة

أي « في ذلك الوقت تكلم سكان بلاد شوبَر ومنطقة حمازي لغة متشابهة »(٦٤) . وقد حاول هوزينگ أن يبين علاقة اللغة اللوللوبية مع العيلامية ، إلا أننا لانملك لحد الآن غير

---

(٦٢) *Fischer Weltgeschichte, Band 2, Altorientalischen Reich, s. 125*

(٦٣) د. جمال رشيد أحمد ، د. فوزي رشيد ، تأريخ الكورد القديم ، ص ٥١ ، دياكونوف ، نفس المصدر السابق .

(٦٤) حول تقارب لغة اللوللوبيين مع السوباريين راجع :

D. O. Edzard, Die Zweite Zwischenzeit Babyloniens. Wiesbaden 1957, S. 31.

شذرات من اللاحقات في الأسماء اللوللوبية التي لا تساعدنا في التعرف على بناء الجمل في اللغة اللوللوبية رغم بقاء بعض المسميات الجغرافية اللوللوبية في اللغة الكوردية . فهذه اللاحقات والأصوات القليلة النادرة لدراسة اللغة اللوللوبية ، سمة كافية وواضحة لدراسة اللغة اللوللوبية على حد إعتقاد سبايزر(٦٥) . فيرى هذا العالم الأمريكي ، أن اللاحقات من نمط (ـَ ك ، ـ ر ، ـ س ، ـ ان) كانت تستعمل كذلك في اللغة العيلامية مع حروف العلة والمعلقة أو بدونها ومع الحروف الصامتة الصحيحة مثل *P* التي تشير إلى الجمع ، مثال ذلك (سلسلة جبال سيم – اكي «وفي الكوردية المعاصرة سمّاقه») في زاموا و(سلسة آز – يرو) قرب السليمانية التي تسمى الآن أزمر عند الكورد . ومن جهة أخرى ، يسود الحرف (ر) في نهاية بعض الأسماء الطوبوغرافية مثل جبل كولل –ار (كوللار) وجبل باتير الذي نقش عليه آنوبانيني منحوتته وكذلك نهر (إيد –ير) ومدن (زام –ري) و(با –ري) ومناطق (لا –ره) وجبل (لا –لار) ومضيق (هاشمـ –ار) وغيرها(٦٦) . وكان هناك مدناً تنتهي أسماؤها أما بـ (ـ ئو) مثل ميسو (وفي الكوردية مه صۆ) أو أرزيزو أو بـ(ـ سي) مثل بونا – سي أو بـ(ـ ان) مثل أرمان أو هدون(٦٧) . وعلى هذا الأساس فإن لهذه الأسماء في كوردستان كنهري الزاب (زا – با أو زا – بان) وأزمر وكَلار مدلولات لغوية لوللوبية .

---

(٦٥) سبايزر ، نفس المصدر .

(٦٦) راجع دراسات سبايزر في :

E. A. Speiser, Southern Kurdistan in the Annals of Ashurnasirpal and today, Annual of the American Scools of Oriental Research (AASOR) VIII, New Haven 1928, P. 28.

(٦٧) راجع : *G. A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad (RISA), New Haven 1929, P. 150.*

٣) الكاشيون *The Kušš* :

كان الكاشـيون (Kušš, Koss,Kassu) جيراناً جنوبيين للوللوبيين وتمركزوا في المقاطعات التي كانت تقع شمال عيلام وجنوب شرق سوبارتو (المناطق الوسطى من جبال زاگروس) وإشتهروا في التأريخ بإسم معبودهم (كاش *Kass / Kuss*) الذي سجله اليونانيون فيما بعد بصيغة كيسسايي *Κισσαει* (١) .

ورد هذا الإسم بصيغة كاسسو لأول مرة في النصوص العيلامية في نهاية الألف الثالث ق. م. منتهية بالنهاية الأكدية (– و) ، وظهر هذا الإسم في سجلات أرّابخا (كركوك) بصيغة (كوشّو ـ خاي)(٢) ، وكلمة (كوش) الواردة في التوراة كلن يقصد بها الكاشيين وهي مقتبسة من الكتابات البابلية التي سُجلت كـ(كاشّو) حيث ظلّت مستعملةً حتى العصر الهلليني عندما أطلق عليهم المقدونيون إسم كوْسساييوْي *Κοσσαιοι*(٣) .

إنتشر مصطلح كاششو أو كوششو تيمّناً بإسم معبود سكان البلاد الكاسية الذي إشتهر في كتابات نوزي بكوششي خَربي (كوششي السيد أو البعل)(٤) وبدأ هؤلاء

---

(١) حول هذه الحقيقة راجع المصادر التالية :

Fr. Delitzschl, Die Sprache der Kossäer (Leiozig 1884) 1 f.; E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 121 ; M. Diakonoff, Op. Cit.

فيما لو لم تكن هناك علاقة بين هذه الكنية مع مقطع إسم المعبود كوش الهندي – الآري في تسمية جبل الهند (هيندوكوش «وفي الإيرانية هيندو كوه») ، فإنها في الحالة هذه تعني معبود أو إله الأرض (*âš, Jâš*) عند الكاشيين مضافة بلاحقة زاگروسية (*k-*) .

(٢) سبايزر ، نفس المصدر .

(٣) راجع بالروسية كتاب إ . م . دياكونوف ، تأريخ الميديين ، موسكو – لينينغراد ١٩٥٦م ، ص ١٠١ ، وأنظر إلى طه باقر ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

(٤) إن كنية *Ku-us-si-ia* المدونة في سلسلة الدراسات السامية بجامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية [*Cambridge (HSS) V 73*] هي صيغة أخرى لـ(كوشي خربي) . حول تفاصيل هذا الموضوع راجع سبايزر *E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 124.* .

السكان العيش ضمن إتحادات قبلية ثم إستقر قسمٌ مفهم في المناطق التي جرت فيها تحولات إقتصادية ، وتذكر الوثائق التي تعود إلى النصف الأول من الألف الثاني ق. م. كثيراً من أسماء الكاشيين عملوا كطبقة مسودة بين مجتمعاتها في مواسم الحصاد أو كانوا مستخدمين على الحقول في مدن وادي الرافدين الوسطى والجنوبية(٥) ، إلا أنهم تحرزوا من هذه الحالة بوصول العناصر الهندية - الآرية إلى بلادهم حيث جعلوهم يهيمنون على السلطات السياسية في هذه المدن(٦) ، لكن خلفاء حمورابي ، وخاصة سمسو إيلونا وأبي - إيشوخ إستطاعوا أن يصدّوهم لبعض الوقت ، فإتجهوا عبر نهري ديالى ودجلة إلى الجهات الشمالية الغربية وتمركزوا في منطقة الفرات الأوسط ولبثوا فيها ردحاً من الزمن إلى أن دخل الملك الحثي مورسلي الأول إلى بابل وقضى على الأسرة الأولى التي تولت مقاليد الحكم فيها خلال القرن السادس عشر ق. م. . ولم يشكل هذا الغزو وبالتالي موت سمسو - ديتانا ، آخر ملوك البابليين ، سوى نقطة إنطلاق لتغيير شامل في هذه البلاد ، وكان قد مهّد لهذا التغيير من الناحية البشرية قبل مدة من الزمن للتغلغل وتثبيت النفوذ لفترة ٥٧٦ عاماً (فيما بين ١٧٤٦ - ١١٧١ ق. م.) ، سواء كان هذا عن سبيل مسلح أو سلمي . ولقد أكد أونكناد على أن السنين التسعة التي حكم خلالها سمسو - إيلونا في بابل كانت بداية حكم السلالة الكاشية(٧) . وجدير بالإشارة إلى أن تيليبينوس إبن مورسلي الأول

---

(٥) سبايزر ، نفس المصدر ، ص ١٢٠ وما بعدها .

(٦) راجع : *R.C. Thompson, Cambridge Ancient History (CAH) I, ch. XV.*

يعترف أونغناد بحكم سمسو - إيلونا في بابل لمدة ٩ سنوات (١٧٤٠ ق. م.) أي في بداية الحكم الكاشي ، حول هذا الموضوع راجع :

Mitteilungen der Altorientalischen Gesellschaft (MAOG) Lepzig 1940, XIII, 3 and Archiv für Orientforschung (AOF) XIII,Berlin 1940, 145 ff.

(٧) راجع كل من المجلتين *(MAOG), 1940, XIII, 3 and (AOF) XIII, 1940, 145 ff.*

الحثي دوّن أخبار غزو والده لبابل عام ١٥٩٤ ق. م. ، ذلك الغـزو الـذي توسـعت بعـده النفوذ الكاشي في الجهات الغربية من نهر دجلة حيث إستطاع آگوم كـاكريمي لأول مـرة أن يحكم في بابل(٨) . ومن سـوء الحـظ فـإن سـجلات ملـوك وادي الرافديـن غـير دقيقـة بالإجمال حَول هذا الموضوع ، وبالرغم من أن الكاشيين حكموا بلاد بابل لفترة تقرب من ستة قـرون ، إلا أن الملـك الكاشـي الأول گـانداش(٩) أدارهـا مـن خـارج المدينـة في

---

(٨) راجع مدونات بابل لكينـگ وكذلك هرتسفيلد :

Babyl. Chronicles, L. W. King, 22.; E. Herzfeld, Ibid. P. 41.

(٩) يصف أرنست هرتسفيلد موضوع هذه الفترة من تأريخ بابل على النحو التالي :

The invasion of Babylon by the Hatti, "the Hattû marched against Samsu.ditana, unto the country of Akkad" [Babyl. Chronicles, L. W. King, 22.], referring to the raid of Mursilis I of Hattusa mentioned in a text of one of his successors Telibinus would have taken place about 1594 B.C. according to this chronology, and it seems that only after that raid the Kassites extended their rule over the land west of the Tigris, and that the first Kassite actually rulling Babylon would have been Agum Kakrime. His protocol is :

"šar kaš.ši.i u ak.ka.di šar māt Bāb.ilu ra.pa.as.tim mu.se.si.ib māt Aš.nun.na.ak nišê rapša.tim šar māt Pa.da.an u Al.wa.an šar māt Gu.ti.i, *King of Kassû and Akkadu, king of the vast country of Babylon, he who settled the country Asnunnak with hosts of people, king of the country Padan and Alwan, king of the country Gutu". [cf. k. 4348, v. Rawl. pl. 33; copy of the Assurbanipal library; Delitzsch, Sprache der Kossaeer, 56ff.].*

وإعتماداً على أقوال بنجيس *Ph. G. Pinches* الذي طبع في مايس مـن عـام ١٨٨٤م نصاً ضمـن أعمال مكتبة جمعية الآثار وبيّن فيه أسماء الملوك الكاشيين وسني حكمهم يقول هرتسفيلد ما يلي :

The text which Ph. G. Pinches published in the Proceedings of the Society of Biblical Archeology for May, 1884, has, in chronological order, the folowing additional names :-

Gandas (or Gaddas), 16 years.

فترة حكم آخر ملك عموري من السلالة البابلية المحلية على أغلب الإحتمال ، لذلك فهـو بدأ حكمه خلال القرن الثامن عشر ق. م. ففي هذه الفـترة بـالذات إستطاع الكاشـيون قطف ثمار هذا الغـزو بعـد أن كـانوا منتشـرين في المقاطعـات الواقعـة فيمـا بـين مرتفعـات زاگروس الجنوبية شرقاً إلى نهر الفرات غرباً متاخمين العيلاميين من الجنوب ثقافة ولغـة(١٠) والسوباريين من الشمال(١١) حاصلين على المكاسب السياسية جـراء الصـراع بـين القـوى

Agum-si, his son,	*22 years*
Kastilyasi,	*22 years.*
Ussi (or Dusi), his son	*8 years.*
Adu-me(?)-tas	*...........*
Ur-zi-u-mas	

(١٠) يرى بعض المستشرقين أن اللغة الكاشية كانت في علاقـة مـع الأسـرة العيلاميـة . فالكلمـات المشتركة في هذه اللغات هي من نمط ميرياش (الأرض – وهي هندية – آرية ولا تزال مسـتعمل عنـد الشعوب السلافية بصيغة ميـر) وكذلك كيددار (بمعنى الحاكم) وكيكي (السـماء) . للإسـتزادة مـن هذا الموضوع راجع سبايزر ، نفس المصدر .

(١١) إشتهرت هذه المقاطعة في العصر الهلليني بـ(سيتاكيني Sitakênê) ، ويُسَـجَّل سـتريك هـذه الكنية بصيغة -sa.ti.ki, -- -sat.ti.ki [راجع : *E. Herzfeld, The Persian Empire, P.10*] حيث أصبحت فيما بعد تُعرف بالفارسية الوسـطى ᵓPLVNYᵓ* (أبولونيـا) وبالآرامية ᵓBRVMYᵓ من قبل ثيودور بار كونائي ، وسجل ياقوت الحمـوي هـذا الإسـم بصيغـة (العفرونيـة) وقصـد بهـا مقاطعة واسط في مكان موبذ ميشان الواقعة بين نهر دجلـة ومرتفعـات لورسـتان ومـن سوسـيانا في الجنوب لحد نهر ديالى في الشـمال . وعندمـا يتطـرق هيكاتـايوس إلى Σιτάκη πολις Περσικη لا يحسبها ضمن بابل ولا ضمن ميديا ، وكما يقول هرتسفيلد ، فإن المدينة كـانت النقطـة الأخـيرة في الجنوب وصلها كسينوفون عندما عبر نهر دجلة متوجهاً نحو أوبيس Opis في الضفة الشرقية ، ولكنه أهمل التحدث عن القنوات في غربي دجلة مقابل سيتكي التي أشار إليها بعده أريانوس ، و لم يسـتطع

المتخاصمة في بابل ، وأصبح القرن السادس عشر ق. م. عصر التركز وتثبيت دعائم السلطة السياسية الكاشية في بلاد ما بين النهرين . وفي الواقع ، لم يترام إلينا أي خبر مكتوب عن إحتلال كاشي عسكري لبلاد بابل ، وبما أنه لم تصلنا أخبار مدونة من الكاشيين أنفسهم قبل حكمهم لبابل فتعترضنا مشاكل تأريخية تتعلق بأحوالهم السياسية قبل القرن الخامس عشر ق. م. فعلى ما يظهر أن الملوك السبعة الأوائل من السلالة الكاشية إبتداءً من گانداش المعاصر لسمسو – إيلونا قد حكموا في منطقة الفرات الأوسط خارج بابل ، وأن السلالة الكاشية بدأ حكمها في بابل إبتداءً من الملك

في الوقت نفسه من وصف خط سيره بدقة عندما عبر فيسكوس (ديالى) قرب أوبيس (في نقطة العزيزية الحالية التي سميت قديماً دار العاقول) معتبراً نهر دجلة الحدود الغربية لكل من سيتكيني وميديا يفصلهما نهر ديالى . وبعد الحديث عن أبولودورس أرتميتا (*Apollodorus of Artemita*) يشير سترابو [*Strabo XVI, I, 17*] إلى : «مدينة سيتكيني تقع بين السلوقية وأرض بابل وسوسه وعلى الطريق المؤدي لهذه المدن ... ونقطة العبور من دجلة للآتين من بابل والمتوجهون إلى سوسه كانت مدينة سيتكيني في الضفة الشرقية من النهر ، أما أوبيس فكانت تقع على طريق أكبتانا بعد هذه النقطة ... إلخ» . وبعد بدراي (بدره) وعلى بُعد ٣٠ ميلاً شمال بكساي كان المارون يلتقون بالطريق الملكي (الآتي من ساردیس والمتوجه نحو سوسه المار بكبدوكيا والعابر لنهر الفرات في توميسا «إيزأوغلو» قرب ملاطيه واصلاً لحد Sàphê «سوفان دره» مقابل Pêšhâbûr فيشخابور «نقطة عبور دجلة» ومستمرا خلال بلاد ماتييني « ميديا» على حد قول هيرودوت ثم كان يستمر نحو جلولاء ومنها إلى بدراي وبكساي ماراً من مندلي) بعد قطع ١١ محطة و ٤٢,٥ فرسخاً (حوالي ١٤٦ ميلاً) وكان الطريق بعد المرور بـ *Κεσσοι* (بيث كوساي «بلاد الكاسيين») يصل سوسه ، فكانت بكساي تعتبر نقطة الحدود فيما بين سيتكيني وكيسي ، وبعد مسافة كان المارون يعبرون من خلال وادي موسيان سلسلتين جبليتين في قلب البلاد الكاسية . يورد إسم كل من بدراي وبكساي في السجلات الآرامية بصيغة (بي درايه *Bê Derâyê* وبي كوسايه *Bê Kussâyê*) وإستنسخها الكتاب المسلمون الأوائل بصيغة بادَرايا وباكوسايا المشتقان في الأصل من (دَرْ و كاسي) القديمان .

آگوم الثاني (آگوم كاكريمي *Agum Kakrime*) وهو الذي إنتهز فرصة الغزو الحثي فأثبت حكمه هناك في حدود عام ١٥٩٠ ق. م.(١٢) وبالرغم من ذلك ، فإن هناك ثغرات في تسلسل أسماء ملوك السلالة الكاشية الذين حكموا في بابل حيث دُوّنت على مائتي نص تقريباً . كما أن هناك عدداً من الرسائل والوثائق الإقتصادية والتجارية والقانونية تعود إلى العصر الكاشي في بابل ، ولعل أهم مصدر من هذا العصر هو مجموعة من الرسائل أكتشفت في أرشيف موقع تل العمارنة بمصر تعود إلى الملوك الكاشيين أرسلوها إلى فراعنة الأسرة الثامنة عشرة من المملكة الحديثة(١٣) .

لقد أضفى أحياناً ملوك الكاشيين الأوائل مثل گانداش وآگوم وكاشتلياش على أنفسهم اللقب الملكي القديم (ملك جهات العالم الأربع ، ملك سومر وأكد وملك بابل) ، وإن كان حكمهم لم يستقر بعد ، ذلك الحكم الذي وطد أركانه الملك الكاشي الثاني

---

(١٢) حول هذه الفترة يقول النص البابلي ما يلي : « في زمن شمشي – ديتانا أغار حاتو على أكد» [راجع *L. W. King, Chronicles Concerning Early Babylonian Kings, Vol. II, London, 1907, P. 125.*] وهناك نصوص أخرى تبيين وصول الكاشيين إلى بابل من موطنهم الأصلي في وادي نهر ديالى كالخالص والنهروان وديلتاوه وخاصة تلك المدونة من قبل *Ulaburarias mâr Burnaburarias, sarri, sar mât A.AB.BA* « أولابورارياس إبن بومابورارياس ملك البحر » [راجع *F. H. Weissbach, Babylon. Miscellen, Wissenschaftliche Veröffentlichungen der Deutschen Orient Gesellschaft (WVDOG) IV, Berlin 1903*] وهناك زعم على كون بومابورارياس هو إبن آگوم كاريمي الذي إحتل سومر .

(١٣) حول هذه الرسائل راجع كل من :

J. A. Knudtzon, Die El - Amarna Tafeln, Leipzig 1907 ; E. F. Campbell, The Chronology Of The Amarna Letters, Baltimore 1964 .

عشر المدعو أولام بورياش في مملكة واحدة من أقصى الجنوب لحد حدود بلاد آشور في الشمال إشتهرت في التأريخ بمملكة كاردونياش (مملكة تسليم النفس إلى إله الأرض) في التأريخ(١٤) . فالعهد الكاشي الحقيقي في بابل بدأ منذ حكم آگوم الثاني (آگوم كاكريمي) الذي *Agûm II (Agu^m or Agu-kak-rime = Agûm Kakrîmî 1602 - 1585 B.C.)* إشتهر عند الكاشيين بـ *ursi gurumas* المنحدر من الإله سوقامونو ، كما وصف نفسه كسليل لـ ... - *Abi - gu* - ملك الكاشيين والأكديين وملك البلاد الواسعة لبابل وأشنوناك وملك پادان وألمان وملك كوتيوم ونيشي ساكلاتي (القوم الغبي) ، وبرضى الآلهة إدعى أنه يحكم المقاطعات الأربعة ، ويشير العمود الثامن من نصوصه إلى تقدير آشور باني أبلي ملك آشور له عندما وصفه بالفاتح العظيم(١٥) .

حكم من بعد آگوم تسعة ملوك لا يُعلم ترتيب عهودهم بوجه التأكيد ، ثم يأتي من بعد ذلك الملك المسمى بورنابورياش الأول وخلفه في الحكم أولام بورياش في حدود

---

(١٤) تتركب هذه الكنية الطوبوغرافية من المقاطع التالية :

كار : مصطلح أكدي يعني السكان أو البلاد .

دون أو تون : مصطلح عيلامي بمعنى تسليم النفس .

ياش : الأرض (رب الأرض) .

للتفاصيل راجع بالروسية الصفحة ١٢٧ من كتاب تأريخ الميديين لدياكونوف :

И. М. Дьяконов, *История Мидии*. Москва 1956, стр. 127 .

وبالألمانية وحول الموضوع ذاته يقول لاندسبيرغر في مجلة الدراسات ما يلي :

"The Kossaeer erdreisten sich, ganz Babylonien als kâru, Kolonie, ihres Gottes Dunias umzunennen"

راجع : *Zeitschrift für Assyriologie (ZA), N. F. 1, Lepzig 1924, 223, 2.*

(١٥) وردت هذه الأخبار في النصوص التي حددت كتابتها في معبد بيلوس في بابل بأمر من آكوم ،

راجع : *Th. G. Pinches, The Language of the Kassites. J R A S 1917, P. 109.*

١٥٠٠ ق. م. ، وقد ميّز هذا الملك حكمه بقضائه على آخر ملوك سلالة القطر البحري المسمى اياگامل أي سلالة بابل الثانية التي نشأت في زمن سمسو – إيلونا خليفة حمورابي . وبهذا العمل أعاد أولام بورياش الوحدة السياسية الكاملة في القطر .

أما علاقات الملوك الكاشيين مع ملوك آشور فقد سارت على مبدأ التعايش السلمي بسبب تعادل قواهم وأبرمت بين الطرفين معاهدات لإقرار الوضع الراهن وتحديد الحدود وخاصة تلك المعاهدة التي إتفق عليها بورنابورياش مع بوزر – آشور الثالث ثم تلك التي وقعها كل من كرايينداش وآشور بيل نشيشو في حدود عام ١٤٣٠ ق. م. وهكذا فيبدو أن أهم ما يميز العهد الكاشي قلة ما وقع في اثنائه من إصطدامات حربية .

يشير التأريخ التعاصري *The Synchron. History* إلى أن كنية كاردونياش أطلقت على جميع الكاشيين كما يذكرها توكولتي نينورتا الأول الآشوري في سجلاته ، بينما ذكرهم عدد نيراري عام ١٣٠٠ ق. م. بالتسمية القومية فقال أنه «أهلك جيوش كاسسي» وأن غريمه هو «ملك كاسسي» [راجع *KAH I, 1*] حيث قصد بهم أعدائه البابليين . وإذا كانت كنية كاششو في بروتوكول آگوم لم تُذكر قبل أكد ، فإنها لا تعني بلاد بابل مطلقاً . ومن جهة أخرى ، إستعمل آگوم كنية كاردونياش في خطابه المرسل إلى آمونحوتب الثاني فرعون مصر حيث ذكر فيه أنه «شاررو داننو ، شار بابلي ، شار سوميري وأكادي ، شار كاششي ، شار كاردونياش» ومن بعده يختفي مصطلح شار كاششي (ملك الكاشيين) .

كان العصر الكاشي أطول فترة في تأريخ بلاد بابل عمّها الإستقرار النسبي وحكمت فيها مملكة القطر وليس دول المدن ، لكن الكاشيين كانوا أقلية حاكمة مع سكان البلاد الأصليين ، وقد طغت عليهم حضارتها فإندمجوا بها وصهرتهم في بودقتها ، فإتخذوا لغة البلاد وثقافتها العامة و لم يخلفوا لنا شيئاً كثيراً مدونة بلغتهم بإستثناء أسماء أعلام ملكية وعدد من آلهتهم ومفردات كاشية قليلة مترجمة إلى اللغة البابلية . وأوضح ما يُعبر عن

إندماج الكاشيين بحضارة وادي الرافدين أن أول ملوكهم الذي حكم بابل آگوم كاكريمي (١٦٠٢ - ١٥٨٥ ق. م.) قام بحملة خاصة لإسترجاع تمثال الإله مردوخ وتمثال زوجه صربنيتم من منطقة عانه ، وإحتفل بهذه المناسبة إحتفالاً ضخماً ، ثم قام بإعادة بناء معبد هذا الإله في بابل وخلّف لنا نصاً مطولاً مهماً عن هذا الحدث . كما أن الملك المدعو كرايندداش الذي عاش في منتصف القرن الخامس عشر ق. م. بنى معبداً وهبه إلى الربة إينانا أبانته لنا التنقيبات الأثرية في أوروك (الوركاء)(١٦) . وبالرغم من أن هذا المعبد ليس بذلك المبنى الكبير الجبار ، إلا أنه يُرينا بأسسه وإرتفاع جدرانه صفات خاصة تميزه عن فن البناء الأقدم عهداً في بلاد بابل .

يتألف المخطط العام للبناء من غرفة طولانية الشكل مع صالة أمامية ، ويحيط بالأولى قاعات جانبية صغيرة . وبالإضافة إلى ذلك يتميز المعبد بإرتفاع واجهته الأمامية المبنية من آجر يؤلف صفوفاً متناوبة بأشكال بارزة تمثل آلهة الجبال والمياه . وهذا العمل هو أحد البراهين الحية للحضارة الكاشية الخاصة وعلاقتها بحضارة شعوب كوردستان القديمة . وكانت التزيينات الجدارية فيه شبيه بأسلوب الزخارف الجدارية في باب عشتار بمدينة بابل من عهد متأخر . وعلى العموم شَغَلَ أغلب الملوك الكاشيين أنفسهم في المشاريع العمرانية في مختلف المدن البابلية المهمة وفي مقدمة ذلك تجديد المعابد في نفر وأور ولارسا والوركاء بفن معماري متميز ورثه فيما بعد الإخمينيون وإستعملوه في أبنية عاصمتهم برسيبوليس .

وفي منتصف العصر الكاشي أسس الملوك الكاشيين مدينة جديدة ضخمة على بعد نحو ٢٠ ميلاً غرب مركز مدينة بغداد وتُعرف بقاياها الآن بإسم عقرقوف ، أطلقوا عليها إسم «دور كوريكالزو» حيث أصبحت إلى جانب بابل العاصمة الثانية للمملكة الكاشية. وكان المؤسس الأول لهذه المدينة هو كوريكالزو الأول في القرن الخامس عشر ق. م.

---

(١٦) طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٤٥٠ .

وسلف الملك كرايندااش . أما المجدد والمتمم لبناء المدينة فقد كـان ملـك آخـر يحمـل إسـم الباني الأول وأحد خلفائه وهو كوريكالزو الثالث . وهنا نرى أن الطابع المعماري البـابلي القديم في فن العمارة يتجلى في الكثير من معالم هذه المدينة ، بيد أن هنـاك بعـض الميزات الفنية الخاصة بالكاشيين كالرسوم الملونة على الجدران مثلاً تذكرنا بفـن شـعوب زاگروس وكوردستان . ومن المرجح أن كوريكالزو الثاني هو الذي شيّد برج المدينة (الزقورة) ووسّع معابدها وقصورها ، وكان هذا نشطاً في البناء والتعمير في مدن أخرى . ويُعتبر هذا البرج حلقة مهمة في تطور الزقورات ما بين بداية ظهورها في عهد سلالة أور الثالثة حيث كانت مؤلفة من ثلاث طبقات مثل بـرج أور وبـرج الوركـاء وبـين المرحلـة النهائيـة الـتي تطورت فيها في العهود المتأخرة ولاسيما في العصر البابلي الحديث (القرن السادس ق. م.) حيث أصبحت فيه على الأغلب ذات سبع طبقات . وإلى ذلك ، فإن أجزاء القصور الـتي تم التحري فيها أظهرت نواحي مهمة في الفن المعماري وفي مقدمة ذلك ضخامة الجدران ، وكانت في عقرقوف ثلاثة أمتار وهي مشيدة بـاللبن الكبـير الحجـم . ووجـدت في بعـض هذه الأجزاء من القصور نماذج من الزخارف الجدارية المصبوغة ، وقد زُيـّن البعـض منهـا بأشكال آدمية ذات أهمية خاصة من ناحية الأزياء والملابـس . أمـا المعـابد فكـانت تتسـم كذلك بالسعة وضخامة الجدران وخصصت لعبادة الإله إنليل وزوجه ننليل وإبنهما نينورتا ، وكان هناك على جدران الممر الرئيسي لهذه المعابد الآجر المختوم بإسم الملك كوريكالزو وتدوين إقامته المعابد إلى أولئك الآلهة مع أسمائها وأسماء معابدها . ووجدت في هذه المنطقة كسر كثيرة من تمثال ضخم للملك كوريكالزو نفسه ، وهي منقوشة بخط مسماري يتسم بمسحة القدم وباللغة السومرية .

وفي الواقع ، فإن الكاشيين ، إضافة إلى آلهاتهم المحلية التي عبدوها في بلادهم الأصليـة ، فقد آمنوا ببعض آلهة الهنود – الآريين الذين شكلوا الطبقة الأرستقراطية في مجتمعـاتهم ، ومن بين هذه الألهة سورياش (إله الشمس) المضاهي للإله الميتاني آسـورا والهنـدي سـوريا

وآهورا الإيراني ، ثم الإله ماروتاش ، وهو ماروتاس اليوناني وماروت الهندي الذي ذكره القرآن بنفس الصيغة **(واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ..الخ)** ، وكذلك بورياش (إله العواصف) الذي سجله اليونان بصيغة بورياس وبَـگاش (بَـگا الإيراني و بوّگ السلافي) الذي أشتق منه تسمية مدينة بغداد(١٧) . وبالرغم من إعتقاد الكاشيين بمعبودات بلاد ما بين النهرين ، فإنهم ظلوا يعبدون بجانب آلهتهم الكبيرة المحلية مثل كاش وشيباك وخربي ، كذلك آلهة البلاد المفتوحة .

ولعل من أبرز الظواهر المتميزة للجانب الحضاري في العصر الكاشي هو العلامات المصنوعة من الحجر لتحديد الأراضي الزراعية التي سميت بالـ(كودورو) ، وقد عُثر على العديد منها في مدينة سوسه عاصمة عيلام ، حيث نقلت من بلاد بابل كغنائم لتلك الحرب التي شنها أحد ملوك عيلام على بلاد ما بين النهرين فيما بعد . تتميز هذه القطع بشكلها الطولاني المخروطي الذي يتسم أغلب الأحيان بعدم الإتقان في نحت جوانبه ، ولقد صُنعت هذه الحجارة في الأصل خصيصاً لتكون علامة مقدمة تفصل بين تلك الحقول الزراعية التي قام الملك بإقطاعها لموظفين كبار أو كهنة أو وقفها للمعابد . وكثيراً ما إرتبطت في هذه الحجارة إلى جانب ذلك إمتيازات خاصة كعدم دفع الرسوم والضرائب

---

(١٧) تذكر قائمة إثبات المعبودات (K. 2100) إن الكنية المقابلة لإسم الإله عدد أو حدد وريمون عند الكاسيين هي بورياش وكانت تُنطق (أوبرياش) ، حول هذا الموضوع راجع بنجيس ، نفس المصدر : *Th.G.Pinches, Ibid. P.112*

وقد ظلت كنية بوران في الكوردية تُعبر عن الرعود والأمطار والطوفان وهي نفسها (بوريا) في اللغات السلافية ، بينما بغداد (وفي الأصل Bagâ-dāt) هي الكنية المركبة الهندية – الآرية التي تعني (معمورة الإله بگا) .

مثلاً عن هذه الأراضي الزراعية التي تحددها . تحمل هذه الحجارة بلا إستثناء نص إقطاع الأرض وبجانبه نقشٌ يُمثل صفاً طويلاً من رموز المعبودات أو شعارات لها كشهود على صحة نص الوثيقة .

وإلى الجانب التأريخي في أهمية هذه الأحجار فهي على قدر كبير من الناحية الفنية أيضاً ، لما فيها من المنحوتات البارزة التي تمثل رموز الآلهة كقرص الشمس والهلال رمزي شمش وسن ، وكذلك الفأس أو المحراث الصغير رمز الإله مردوخ والكوكب رمز الإلهة عشتار مع صور الحيوانات العائدة إلى مثل هذه الإلهة . وينقش في ظهر الحجر النص المطول بذكر إسم المالك صاحب القطيعة وتحديد الأرض والإمتيازات الأخرى الممنوحة له وأسماء الشهود ، وتذكر لعنات الآلهة المختلفة في ختام النص على من يكسر الحجر أو يُبدل نصوصه . وعلى العموم ، يمكننا حصر العناصر الحضارية التي أستحدثت بأيدي الكاشيين ببلاد ما بين النهرين في النقاط التالية :

١) تسمية بلاد بابل بكاردونياش (بلاد الإستسلام لرب الأرض) .

٢) إدخال الخيل لأول مرة إلى بلاد بابل وإستعمال العربات التي تجرها الخيول أيام السلم والحرب .

٣) إستبدال تقويم التواريخ وصياغته على أساس فترات حكم الملوك .

٤) إستعمال أحجار كدورو في ترسيم حدود المزارع والمناطق والمقاطعات .

٥) إنتشار اللغة البابلية بخطها المسماري بشكل أوسع حيث جعلها الكاشيون لغة المراسلات الدولية والعلاقات الدبلوماسية وإنتشر من خلال هذه الظاهرة أن إنتشر الخط المسماري في بلاد غربي آسيا وحتى مصر .

٦) إنبعاث الحركة الأدبية وإستنساخ القطع والنصوص السومرية والأكدية القديمة المشهورة مثل ملحمة كلگاميش ونسخة من قصة الطوفان المعنونة (أترا – حاسيس) والقصة الأدبية التي سميت بقصة أيوب البابلي لمضاهاتها لقصة أيوب التوراتية ، كما

وصلت إلينا من العهد الكاشي نصوص طبية مهمة ونصـوص فلكيـة إلى جـانب الكتابـات الخاصة بالتنجيم ولاسيما خصائص الأيام المختلفة وما يتوقع فيها من سعد ونحس . وظهـر في العصر الكاشي أيضاً إهتمام ملحوظ بأساليب نصـوص التعـاويذ والرقـى ، ثـم وصلـت إلينا طائفـة مـن الإثبـات أو المعـاجم بالعلامـات المسـمارية وقيمهـا السـومرية والأكديـة ، وبعضها يتضمن شرح المفردات الكاشية باللغة البابلية .

أما اللغة الكاشية ، فكانت لها صلة باللغة العيلامية على ما يظهر ، بـل وقـد إعتبرهـا هوزينگ اللهجة الشمالية لها(١٨) ، أما سبايزر فحاول إيجاد علاقة بينها وبين الحاتية (ماقبل الحثية) وذلك بناءً على وجود مفردات متشابهة كثيرة فيما بين هـذه اللغـات القديمـة مثـل وجود الحرف (ب) في الكلمة الكاشية ماشـو «الـرب» الـتي أستعملت في الحاتيـة بصيغـة (واشا ــ ب) وميرياش «الأرض» المشتقة مـن مـورو العيلاميـة و ورو الحاتيـة(١٩) . ومـن خلال دراستنا للقاموس الكاشي – البـابلي(٢٠) إستطعنا التـأكد مـن الخلفيـة الزاگروسـية للمفـردات الكاشـية مثـل *sa-ah̲* (وفي البابليـة شمـش «الشـمس») و *h̲u-ut-h̲a* أو *h̲ulah̲ha* وكذلـك *tu-ru-uh̲-na* (وفي البابليـة أددو «ريـح» أو رممـانو «الرحمـن») وكذلك *gi-dir* (وبالبابلية إنورتـا «الحـرب») و *ka-mul-la* (وفي البابليـة إ – يـا «منبـع المـاء») و *su-ga-ab* (وفي البابليـة نرگـال «طـاعون») و *ba-as-h̲u* (وفي البابليـة إيلـو «الإلـه») و *da-ka-as* (وفي البابليـة كَكـابو «الكوكـب») و *da-gil-gi* (وفي البابليـة سَموء « سمو أو سمـاء ») و *nu-la* أو *yan-zi* (وفي البابليـة شـارو «ملـك») و *ma-li* (وفي البابلية أويلو «رجل») و *me-li* (وفي البابلية أر – دو «خادم») و *aš lu-lu* (وفي البابلية *pap-pu-u* «خادم شاب») و *na-as-pu* (وفي البابليـة نـي–ي سـو «روح») و

---

(١٨) G. Hüsing, "Die elamische Sprachforschung," Memnon IV (1910), P. 24.

(١٩) E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 123.

(وفي البابليـة قـاق–قـا–دو «رأس») و *ha-me-ru* (وفي البابليـة *se-e-pu* «قَدَم») و *ya-su* (وفي البابلية *ma-a-tum* «البـلاد») و *ašrak* (وفي البابليـة *mu-du-u* «عاقل ، حكيم») و *sir* (وفي البابليـة *qa-as-tu* «قوس») و *e-me* (وفي البابلية *a-su-u* «ينمـو» و *na-zi* (وفي البابليـة *sil-lum* «سلـــّوم ، ســلامة») و *ka-daš-man* (وفي البابليـة توكولتوم *tu-kul-tum* «مســاعدة») و *sa-ga-rak-ti* (وفي البابليـة *nap-sa-ru* «الخلاص مــن الذنـوب» و *nim-gi-ra-ab* (وفي البابليـة *e-te-rum* «حمايـة» و *u-zi-ib* (وفي البابلية *e-te-rum* «إفعل») و *si-im-maš* (وفي البابلية *li-da-nu* «ذرية ، نسل ») و *sa-ri-bu* (وفي البابليـة *tu-ul-lu-u* «التعليـق») و *sim-di* (وفي البابليـة *na-da-nu* «إعطاء») و *Sibaru* (وفي البابلية شيماليا *Šimalia* «البلاد العليا أو الشمال»)(٢٠) .

ومن جهة أخرى ، كانت هناك لاحقات مشتركة في كل من الكاشية والعيلامية مثل ـ مان *mân* «العون» وـ اك *-ak* ـ والنهاية الإسمية ـ ياش *(I)āš-* وعدد من الســابقات مثل ميري ـ (وفي العيلامية مـورو ـ)كمـا في إسـم ميريـاش **Mîri-yāš** وكيـدار ـ (وفي العيلامية كوتور ـ) وداكيـگي (وفي العيلامية كيـگي) و بورنا ـ «الوجه الجميل»(٢١) .

---

(٢٠) للمزيد عن هذا الموضوع راجـع الصفحـة ١٠٢ مـن مقـال بنحيـس ، لغـة الكاشـيين ، مجلـة الجمعية الملكية الآسيوية ١٩١٧م [*Th.G.Pinches,The Language of the Kassite. JRAS 1917, P.102f.*]

(٢١) لقد رتّب بنحيس مجموعة من المفردات الكاسية الأصيلة نورد منها الأمثلة التالية :

Agissi, Agi-tešub, Agizzi, Agu, albadi, alban, algizzi, Ari (followed by *pami, kime,* or *Tesub*), Ariamma, Arianni, ašlulu (= young slave), ašrak (= wise man), Barsi, bašhu [= god], Bugaš bur [= lord], burna / burra [= ordinance], buzarzar / Buzalzar, dagilgi [= heaven], dakas [= star], Dur / Tur [= Nergal], Eme [= to go forth], Gab, Gidar [= the god En-urta], Gurumas, Hadi, Hala [the goddess Gula], hameru [= foot], Harbe (= the god Enlil), Hardas, Has-mâbu, hašmar, hašme, Hulahha [= Hadad, Rimmon]. Humar or Humurbia - Sah, hut, Ias or yas [= earth], Ikukku, ilulu [= heaven], indas, ippi, Kadas [= trust], Kamullu [= the god Ea], kara,

ومن أجل المقارنة نشر رَداو(٢٢) عدداً من أسماء الملوك التي شوهدت في الرسائل الكاشية وهؤلاء حكموا بابل في الفترة الواقعة بين ١٥٧٠ – ١٠٧٥ ق. م. ، وقد كان بعض هذه الأسماء متأثرة بالعالمين الهندي – الآري والسامي ومحافظة لتقاليدها الزاگروسية مثل :

---

karak, kasyau, Kilamdaku, Kilamdi, Kilan, Kilandi, Kil-tesub, Kubsia, Kunindi, kurîad, saripu [= foot, to hang up], Si-barra or Sugurra [the god Ši-malia], siggar, sigme, simdi [= to Limmergag [or -gak], Mali [= man], Marattaš [= the god En-urta], mašhu [= head], Meli [servant], miraš [= the earth], Mirizir [= Beltis], Nagim, nasbu [= man], Nan [in Nan-tesub], nazi [= protection], nibia, nimgi, nimgirab(i) [= protect], ni... [= righteousness], niras, nula [= king], Pakki, Qa [in Qa-Sugab], sad [in Sad-dirme], Sagarak [= trust], Sah [the sun-god], sali, give], simmaš [= offspring], šipak [the god Merodach], sir [= bow], Sirisas, siristi, Subani [in Subani-Sah], Sugab, Suhisabil, Suigig, Suqamuna [Nergal and Nusku], Taramdi-sah, tessu, tîa(m)ma [in Tia(m)ma harbe], tilias, tilisu [in Tilsu-sah], Tunami(s), Turgu [the god Enlil], turuhna [= wind], udasas, uddi [in Uddi-sah], ugnisa [in Ugnisia sah], ulam [= child], Umbi [in Unbi-tesub], Urbi [in Urbi-tesub], ursi, uzab [= protect], Uzubsia [in Uzubsia-sah],

بينما ربط سبايزر من جهة أخرى اللاحقة الكاشية (ياش) مع اللاحقة الخورية ثم الأورارتية *si/si* بأصل واحد وحاول أن يجد علاقة بين الكاشية والخاتية وذلك من خلال الغزو الذي قام به مورسلي الأول على بلاد بابل فقط . وعلى حد زعمه أن الخاتية كالكاشية كانت تتبادل بعض حروفها مثل مثل الراء مكان اللام وبالعكس كما نسمعها اليوم في الكوردية ، لذلك فإن إسم اللولوبيين دونت أحياناً بصيغة (نوللو) وخانيگلبات بصيغة خاليگلبات . حول تفاصيل هذا الموضوع راجع :

E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 123.

(٢٢) راجع رسائل من أرشيف معبد نيبور إلى الملوك الكاشيين :

Letters to Kassite kings from the Temple-Archives of Nippur, Philadelphia, 1908.

(٢٣) طُبعت هذه الأسماء في خمسة أجزاء للكتابات المسمارية في W. Asia. Pl, 44 ، راجع :

Th. G. Pinches, The Language of the Kassites. J R A S 1917, P. 101ff.

Kassite names		Babyl.translation	English
Ku-ur-gal-zu	(Zagrosian)	Ri-'-bi-si-i	Be my shepherd
Sim-maš-ši-pak	(Zagrosian)	Li-dan-ĩlu Marduk	Child of Merodach
U-lam-bur-yā-āš	(+ Indo-Arian)	Li-dan-bêl-mâtati	Child of the lord of the land
Na-zi-muru-tāš	(Zagrosian)	il-îlu En-urta	Protection of En-urta
Me-li-ši-pak	(Zagrosian)	A-wil-îlu Marduk	Man of Merodach
Bur-na-bur-yā-āš	(+ In.Ar.)	Ki-din-bêl-mâtati	Ordinance of the lord of the land (=world)
Ka-dašmān-d·En-lil·	(+Sum.)	Tukul-ti-îlu-En-lil	My trust is Enlil
U-lam-har-be	(Zagr.)	Li-dan-îlu En-lil	Child of Enlil
Me-li-ha-li	(Zagr.)	A wil-îltu- Gu-la	Man of Gula
Me-li-su-mu	(Zagr.)	A wil-îlu Su-qa-mu-na	Man of Suqamuna
Me-li-d. Si-bar-ru	(Zagr.)	A wil-îlu Si-i-ma-li-ia	Man of Simalia (North)
Me-li-sah	(Zagr.)	A wil-[îlu Samas]	Man of the Sun-god
Nim-gi-ra-bi	(Zagr.)	E-te-ru	Protect
Nim-gi-ra-bi-sah	(Zagr.)	E-te-ru [îlu Samas]	Protect, (o) Sun-god
Nim-gi-ra-bi-bur-ia-as	(+ In.Ar.)	E-te-[ru-bêl-mâtati]	Protect, (o) Lord of the land
Ka-daš-man-bur-ia-aš	(+ In.Ar.)	Tukul[-ti-bêl-mâtati]	My trust is the lord of the lands Na-
zi-ši-pak	(Zagr.)	[Si]-îlu Marduk	Protection of Merdach
Na-zi-bur-yā-āš	(Zagr.)	[Sil-bêl-]mâtati	Protection of the Lord of the lands

وفي هذه القائمة تأتي السطور المقسمة ثم يتبعها سطر من كتابة مسمارية وينتهي بكلمة قابو بمعنى (هو أو يتكلمونَ) . وإعتقد بنحيس أن السطر يجب أن يُقرأ بالصيغة التالية :

Annuuti sarrâni sa Kassû qabû. «هؤلاء هم الملوك الذين يسمون كاششو»

وبالإضافة إلى هذه المعلومات، فإن الأسماء الكاشية تظهر في القائمة التي رتبها هيلبريخت *Hilprecht in Old Babylonian Inscriptions chiefly from Niffer, Philadelphia, 1893, P. 37*

مع التصحيحات التي أجرى عليها ليهمان هاوبت وهي كما يلي :

13. Addu-musêsir (Semitic) 1442-1422 (abt. 20 years).
14. Kadas-man-Sin (+Sem./my trust is the moon-god) 1422-1408 (abt. 15 years).
15. Kudur-Turgu 1408-1393 (abt. 15 years).
16. Šagarkti-buriaš, his son 1393-1373 (abt. 20 years).
17. Kuri-galzu I, Son of Kadašman-harbe 1373-1348 (abt. 25)years).
18. Kara-indaš 1348-1343 (abt. 5 years).
19. Buma-buriaš, son of Kuri-galzu I 1343-1318 (abt. 25 years).
20. Kara-hardaš, son of Kara-indaš 1318-1308 (abt. 10 years).
21. Nazi-bugaš (protection is Bugaš) 1308-1307 (abt. 1 year).
22. Kuri-galzu II, son of Buma-buriaš 1307-1284 (abt. 23 years).
23 Nazi-Maruttaš his son 1284-1258 (26 years).
24. Kadaš-man-Turgu (my trust is Turgu), his son 1258-1241 (17 years).
25. Kadaš-man-buriaš (my trust is the Lord of the lands), his son 1241-1239 (2 years).

26 Kudur- ... -ti (Elam-) 1239-1233 (6 years).
27. Sagark-ti-Suriaš 1233-1220 (13 years).
28. Kaštilyašu, his son 1220-1211 (9 years).
29. Bêl-sum-iddina I (Semitic) 1211-1209 (1½ years).
30. Kadaš-man-harbe (+Sum./my trust is Enlil) 1209-1208 (1 ½ years)
31. Addu-sum-iddina (Semitic) 1208-1202 (6 years).
32. Addu-sum-usur (Semitic) 1202-1172 (30 years).
33. Meli-šipak (man of Merodach),his son 1172-1157 (15 years).
34. Marduk-âbla-iddina (Semitic), his son 1157-1144 (13 years).
35. Zagaga-sum-iddina (Semitic) 1144-1143 (1 year).
36. Bêl-sum-iddina II (Semitic) 1143-1140 (3 years).

ويمكن إضافة بعض الأسماء التي سجلها آگوم كاكريمي في كتاباته إلى هذه القائمة التي يصفها بالمصطلح الكاشي *ursi gurumas* ، كما أن هناك عدداً كبيراً من الأسماء المنتحلة من السامية والآرية نورد منها الأمثلة التالية :

Hasma, Has-mar, Hu[dibti] I, father of Abb[utt]anita (Mitannian), Meli-Sipak, "man of Merodach.", Nazi - Enlil, "protection is Enlil.", Nimgi - sar - îli, " Nimgi is king of the gods.", Sirisas or Siridas, Tâdu, in Mâr (or Mârat) - tâdu, "child of Tâdu.", Udasas, in *Mâr - Udasas*, "son of Udasas.", Usub - šipak, "protect (?), (o) Merodach," in *Mâr - Usub - Šipak ... etc* .

وبالرغم من إهتمام ملوك كاردونياش الهنود الآريين بثقافة البابليين ولغتهم ، فإنهم لم يتركوا إستعمال مفرداتهم وأسمائهم الزاگروسية في التراث الأدبي لحضارة وادي الرافدين عندما بدأوا بإحيائه فحفظوا هذه المفردات في أرشيفهم الخاص وذلك بإستعمال الأنماط الكتابية القديمة التي تشبه في علاماتها المسمارية خط حضارة وادي الرافدين من عصر فجر السلالات (مطلع الألف الثالث ق. م.) ، وعلى هذا الأساس إستطاع البروفيسور كلاي أن يُقدم ١٥ جزءاً من نتائج أعمال البعثة البابلية لجامعة بنسلفانيا تحت عنوان «وثائق أرشيف معبد نيبور من عصر الملوك الكاشيين » وشملت الأسماء التالية :

Simdi-šipak, "give, (o) Merodach.";Simdi-Sugab, "give, (o) Sugab."; simdi-šuqamuna, "give (o) šuqamuna."; Sindi-Buriaš, "give, (o) Lord of the lands."; Sindi-Ubriaš, "give, (o) Wind-god."; Tunamis.

كما كانت هناك مجموعة من الأسماء الكاشية مركبة مع مصطلحات بابلية مثل :

أسماء كاشية – بابلية و بابلية – كاشية مركبة

(a) *Kassite noune or verb and* *Babylonian divine name*	(b) *Babylonian noune or verb* *and Kassite divine name*
Burra-Gu-silim, "Ordinance	Ériba-Šuqamuna, "Augment, (o) of Gu-silim Šuqamuna."
Burra-Ištar, "Ordinance of	Izkur-Šuqamuna, "Šuqamuna Ištar." has recorded."
Burna-Ištar-Agade," Ordinance	Kidin-Šuqamuna, "Ordinance of
of Ištar of Agade" (Akkad).	Šuqámuna" (= Burra-Šuqamuna).
Burra-Rammânu, "Ordinance	Nûr-Šuqamuna, "Light of
of Hadad" (Burra-buriaš).	Šuqamuna."
Meni-Enlil, better, perhaps, Meli-Enlil, "Enlil's man"	Siristi-Šuqamuna, "Šuqamuna's (= Meli root," Harbe)
Nazi-Bêl, "Bel is protector."	Šuqamuna-êris, "Šuqamuna Sindi-Bêl,"Give,(o)Bel planteth."

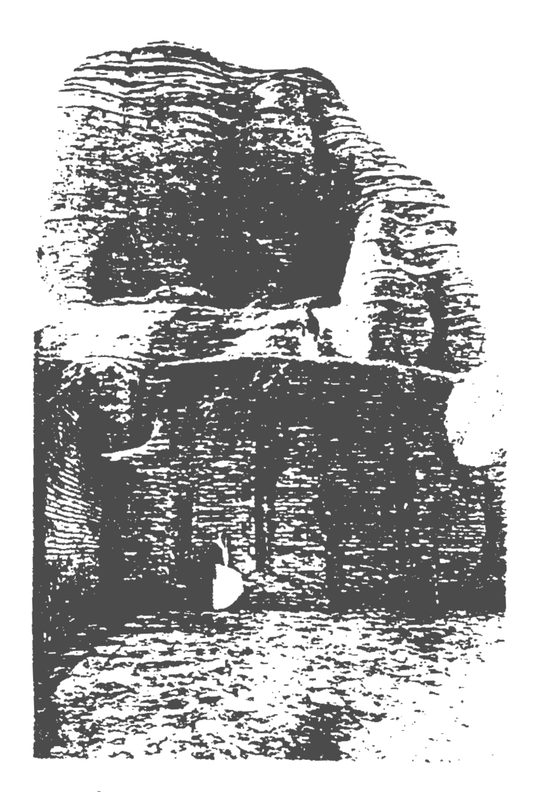
وعلى العموم ، فقد دام الحكم الكاشي في بلاد بابل لحـد عـام ١١٦٢ ق.م. وكـان زواله بسبب تدخل الآشوريين والعيلاميـين بشـؤون بـابل حيث بـدأت الدولـة الآشـورية بالتعاظم منذ القرن الرابع عشر ق. م. وإستطاع الملك آشـور أوبـالط (١٣٦٥ – ١٣٣٠ ق. م.) أن يفرض على الملك الكاشي بورنابورياش الثاني مصاهرة سياسـية بزواجـه لإبنـة الملك الآشوري وقد واتته الفرصة حينما قـُتل زوج إبنتـه في إنقـلاب عسـكري ، فنصـب على العرش أحـد صنائعـه مـن البـابليين ، ثـم إزداد هـذا التدخـل في شـؤون بـابل زمـن شالمانصار الأول (١٢٧٤ – ١٢٤٥ ق. م.) في الوقت الذي حل فيهـا الضعـف وسـاءت أحوالها الداخلية . ومن جهة أخرى قامت سلالة حاكمة قويـة في بـلاد عيـلام ، فـأخذت تتجدد أطماعها وتحرشها في عهد ملكها أونتاش – كال على بابل . وهكـذا وجـد الملـك الكاشي كاشتلياش الرابع (١٢٤٢ – ١٢٣٥ ق. م.) نفسه بين قوتين لا قِبَل له إزاءهما . وأخيراً إندحر في معركة مع العيلاميين و لم يخلص بابل مـن الإحتـلال العيلامـي إلا هجـوم الملك الآشـوري توكولـتي نينورتـا الأول (١٢٤٤ – ١٢٠٨ ق. م.) عليهـا حيـث ظلـت تابعة له طوال سبع سنوات نصب في أثنائها ثلاثـة ملـوك تـابعين لـه . وبعـد مـوت الملـك الآشوري إستعاد الكاشيون إستقلالهم السياسي في بابل ، لكن جاءت الضربة القاسية مـن العيلاميين الذين هجمـوا علـى بـابل وقضـوا علـى السـلالة الكاشـية في حـدود ١١٦٨ أو



صورة ربّة الأسماك في الميثولوجيا العيلامية مرسومة على مسـلة الطامع في عرش الكاشيين

الملك العيلامـي أونتـاش كال – نابيريشا (١٢٥٠ ق. م.)

١١٦٢ ق. م. على يد الملك العيلامي شوتروك ناخونتي الذي دمّر بابل ومدناً أخرى ونهبها ونقل إلى بلاد عيلام جملة غنائم منها مسلات مانشتوسو ونارام سن الأكديين ومسلات من شريعة حمورابي ، ثم نصب شوتروك ناخونتي إبنه ملكاً على بابل ، إلا أن أحد الأمراء الكاشيين المدعو إنليل – نادن – آخي إستطاع أن يستعيد الحكم في بابل غير أنه لم يحكم سوى ثلاث سنوات ، إذ إنتهى حكمه بغزوة أخرى قام بها الملك العيلامي شيلاك – أنشوشيناك عام ١١٦٢ . وهكذا سقطت السلالة الكاشية للمرة الأخيرة و لم تقم للكاشيين أي قائمة سياسية في التأريخ .



بقايا مدينة دور كوريكالزو (قرب عقرقوف)

٤) الخوريون The Hūrr - u :

تؤكد الدلائل المتوفرة لدينا على أن مهد الخوريين كانت البلاد الكوردية الحالية التي تمتد من جبال زاگروس شرقاً حتى البحر الأبيض المتوسط غرباً ، وكان ظهورهم في التأريخ منذ الألف الثالث ق. م. حيث أشارت السجلات المسمارية في الألف الثاني ق. م. إلى أن هؤلاء كانوا سكان المناطق المشرفة على نهر الزاب الصغير (شمشاره وحواليها) بسهل بيتواته وكركوك وأربيل والموصل(١) ووان والجزيرة ووديان نهر الخابور وحتى حلب وحواليها(٢) . وبعدما وقع هؤلاء تحت تأثير الحضارة السومرية والأكدية أصبحوا الوسيط الذي نقل معالم حضارة وادي الرافدين إلى آسيا الصغرى وبلاد الشام .

---

(١) نقصد بالموصل بلاد آشور القديمة التي كانت في الأصل موطن الشعوب غير السامية (وعلى الأغلب الزاگروسية) ، لذلك نرى أن والد أول حاكم في آشور المدعو إتيتي كان أكلوم (الحاكم) الذي عاش في القرن ٢٣ ق. م. واتخذ لنفسه اللقب الكوتي إياكولابا ، كما نجد من بين ألقاب الباتيسي أو الإيشاك (الحكام المحليين) الأوائل في آشور كل من أوشبيا وكاكيا كما ذكرناهما . للتفاصيل راجع *E.A.Speiser, Mes. Orig. P. 109* .

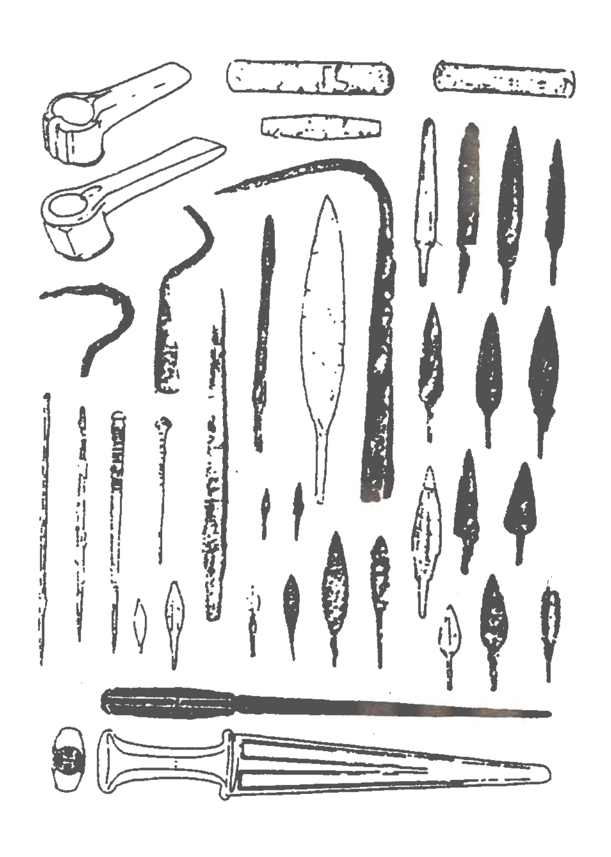
(٢) لقد نقل المؤرخ السوفياتي ميخائيل دياكونوف بصورة خاطئة كل الشعوب الزاگروسية مع ثقافاتهم ولغاتهم إلى أصل قفقاسي وربط الخوريين بالحضارة الكالكوليثية لنهري الكور وآراس ، في حين لم يستطع أن ينكر وجودهم في عيلام وديلبات وألالاخ وقطنه وماري وأوغاريت وتمركزهم في المقاطعات الكوردية مثل :

أولاً) أرّابخا ونوزي في إقليم كركوك الحالي وفي سيباريبا وشوشاره بشهل بتوين .

ثانياً) شهر بازار وخانيگلبات (طور عابدين) والمناطق الواقعة على شرق نهر دجلة .

حول إدعاءات دياكونوف راجع :

I. M. Diakonoff, Hurrisch und Urartäisch. Von verfasser Autorisierte übersetzung Aus Dem Russischen Von Karl Solrembek. R. Kitzinger. München 1971, s. 5ff.



نماذج من أدوات الزراعة وأسلحة القتال

تعود إلى بداية الألف الثاني ق.م.

أكتشفت في مدينة نوزي بكوردستان الجنوبية

ومن أوائل الملوك الخوريين الذين ذكرتهم لنا النصوص المسمارية التي جاءتنا من فترة متأخرة عن حكمه ومن مدينة حتوشَشا عاصمة الدولة الحثية هو كيكليپ – أتَلْ ومقر حكمه كان في مدينة توكريش بكوردستان الجنوبية ، وفترة حكم هذا الملك كانت في نهاية الألف الثالث ق. م. ، والفترة التي تمكن فيها الخوريون من تأسيس دولتهم الواسعة كانت بعد سقوط الإمبراطورية الأكدية وزوال السيادة الكوتية في سومر وأكد(٣) ، والملك الذي كان على رأس هذه الدولة الواسعة يدعى أتـل – شين ويرد أحياناً بصيغة آري – شين حيث ترك لنا لوح من البرونز عُثر عليه في أساس معبد نرگال عليها كتابة مدونة بالخط المسماري وباللغة الأكدية جاء فيها «أن أتـل شين إبن شَتَرْمات هو ملك أوركيش ونوار»(٤) ، وبما أن أوركيش كانت مركزاً لعبادة رئيس المعبد الإلهي الخوري كوماربي ، فلا بد وأنها كانت عاصمة الدولة .

وعند ظهور سلالة أور الثالثة (٢١١١ – ٢٠٠٣ ق. م.) قام ملوكها وخاصة شولگي (٢٠٩٣ – ٢٠٤٦ ق. م.) بعدة معارك مع الخوريين وجلبوا منهم الكثير من الأسرى بحيث أن أسمائهم كانت تتردد ضمن النصوص المسمارية ، ومن أبرز هذه الأسماء أوناب – شين . هذا ويبدو من نصوص سلالة أور الثالثة نفسها بأن مدينة أوركيش بقت بعيدة عن سيادة هذه السلالة ، لأنها لم ترد ضمن أخبار حملاتها الحربية(٥) . وعندما بدأت الموجات العمورية الآتية من سوريا نحو العراق تسلط ضغتها على سلالة أور الثالثة

---

(٣) راجع بالألمانية الصفحة ١٣ من كتاب گيْرنوْت ويلهلم :

G. Wilhelm, Grundzuge Der Geschichte Und Kultur Der Hurriter, Darmstadt, 1982, s. 13 .

(٤) سبايزر ، نفس المصدر ، ص ١٢٠ .

(٥) ويلهلم ، نفس المصدر ، ص ١٤٠ .

في أواخر الألف الثالث ق. م. ، حرر ذلك الخوريين من نفوذ السلالة المذكورة ، بحيث تمكنوا من إعادة سيطرتهم على معظم المناطق الكوردية ، بحيث أن أحد ملوكهم المدعو تيش أتل قد لقب نفسه بـ(رجل نينوى) ، لأن نصوص مملكة أشنونا على نهر ديالى قد أكدت أنه كان مسيطراً على الأجزاء العليا من آشور وبالأخص المدينة التي أعتبرت مركز عبادة الإلهة الأم شاوشكا(٦) . وتيش أتل هذا ترك لنا أقدم كتابة مسمارية خاصة بمعبد الإله نرگال مدونة بالخورية وهي أحسن نموذج لدراسة اللغة الخورية في الألف الثالث ق. م. حيث يقول فيها «تيش أتل ، إينداان (= حاكم) أوركيش ، بنى معبداً للإله نرگال ، وليت هذا المعبد يُحفظ من قبل الإله لوباگادا .. الذي يَهْدُمُه ليت الإله لوباگادا أن يبيده وليت إله الجو لا يتقبل صلاته والسيدة نكار وإله الشمس وإله الجو ليتهم .. للذي يهدمه»(٧) . ومن الحقائق التي يجب ذكرها في هذا المجال هو أن النصوص المسمارية قد ذكرت لنا أسماء العديد من الملوك الأكديين الذين ألّهوا أنفسهم بحيث أنهم وضعوا العلامة الدالة على الألوهية أمام أسمائهم . ومن خلال أحد الأختام الإسطوانية الخورية تبين لنا أن تيش أتل قد وضع أيضاً العلامة الدالة على الألوهية أمام إسمه ووصف نفسه بملك كاراخار (خارخار) الواقعة في أعالي نهر ديالى(٨) ، كما قام ملوك خوريون آخرون بتأليه أنفسهم مثل أدي سين ملك سيموررروم وإبنه زاردامو ملك كاراخار ، ومنذ هذه الفترة إشتهر ملوك خوريون حكموا شمال وادي الرافدين ومنهم :

١) أتل شيني ملك بوروندوم (قرب غازي عين تاب) .

) شوكروم تيشوب ملك إيلاخوت (بين كركميش والبحر المتوسط) .

٣) نانب شاويري ملك خابوراتوم (قرب تل عجاجة على نهر دجلة) .

٤) شادوشري ملك أزيخينوم (قرب نوزي) .

٥) تيش أولمية ملك ماردنام (ماردين الحالية) .

---

(٦) أنظر إلى دراسة ويگنر حول تقاليد عبادة شاوشكا في آسيا الصغرى :

٦) شين نام ملك أورشوم (على نهر الفرات قرب أورفه) .

٧) أنيش حوربي ملك خاشوم (قرب كركميش)(٩) .

مع مطلع الألف الثاني ق. م. بدأ الحوريون بالإنتشار نحو جهات عديدة إثر الضغوط التي جاءتهم من الشمال والشرق نتيجة تسرب القبائل الهندية – الآرية إلى جبال زاگروس ومرتفعات كوردستان ومنذ هذه الفترة بدأوا يتوزعون من مناطق وان وشوششاره ونوزي(١٠) إلى تبه گەوره وتل بيلا قرب الموصل وإلى شمال سوريا وخاصة إلى ألالاخ (تل عطشانه) الواقعة بين حلب وأنطاكية واللاذقية وحتى فلسطين . وبما أن مصادر الحثيين تنقل لنا الأخبار والسمات القومية للشعوب المجاورة لهم

Wegner, Gestalt Und Kult Der Ishtar- Shawushka In Kleinasien Hurritologische Studien 3 .

(٧) راجع : *D. O. Edzard, Reallexikon Der Assyriologie 4, s. 507 - 514*

(٨) *E. Sollberger, Two New Seal - Inscriptions, Anatolian Studies, 30, 63 - 65, PL (لوح) IV .*

(٩) بخصوص هذه الممالك راجع :

Repertoire Geographique Des Textes Cuneformes, Wiesbaden, 1980, Band 3 .

(١٠) كانت نوزي إحدى المراكز التأريخية المهمة التي إهتم بها المستشرقون ، راجع دراساتهم في :

J. R. Brinkman; V. Donbaz, A Nuzi - type tidennûtu - Tablet Involving Real Estate. - Oriens Antiquus (OA) 16, Roma 1977, P. 99 - 104, Tablets V - VII.
E. Cassin, Le palais de Nuzi et la royautè d'Arrapha. - La palais et la royautè 19 - e Rencontre Assyriologique Internationale (RAI) Paris 1974, P. 373 - 392.
Chow W. Wing - Kin, Kings and Queens of Nuzi. - Dissertation Brandeis University (DBU) University Microfilms Ann Arbor 1973, P. 73 - 32, 371.
B. L. Eichler, Indenture at Nuzi. The Personal Tidennûtu Contract and its Mesopotamian Analogues. - Yale Near Eastern Researches, 5. New Haven - L0ndon 1973.
I. J. Gelb; P. M. Purves; A. A. MacRae, Nuzi Personal Names. Oriental Institute of the University of Chicago. Publications, 57. Cicago 1943.
D. Stein, Khabur Ware and Nuzi Ware. Their Origin, Relationship and Significance. - Assur, 4 1, 1984, P. 1 - 65.

فأطلقوا على لغة الخوريين كنية (خور – ليلي *Hur-lili*) بينما تعرفوا إليهم بإسم عام هو (خور – ليش *Hur-lês* و خور – لاش *Hur-lâs* وكذلك خورلوش *Hurlus*)[١١] وجميعها في حالة الجمع[١٢] أي (الخوريون) ومفردها كان بصيغة خور- لو سُجلت بشكل *Hu-u-ur-lu-u*[١٣] والحروف الصوتية في هذه الكنية تتغير أحياناً فنراها بصيغة *HAR* أو *HUR*[١٤] وعلى هذا الأساس كانت تُقرأ بدون النهايات الحثية بصيغة (خورري *Hurri*) ، أما البلاد الخورية فقد عُرفت في الرسائل الميتانية التي أكتشفت في تل العمارنة بصيغة *Hurrû-he* (*KUR*) أو *Hurwû-he* المشتقة في الأصل من خوررووگيْ أو خورر[١٥] . وقد ذكرت هذا الإسم في العهد القديم بصيغة (حوريم *Hôrî (m)*)[١٦] التي لم تكن تشير إلى الخوريين من الناحية الأثنية ولا اللغوية على حد قول الإختصاصي

---

(١١) حول النصوص الحثية راجع :

E. Forrer, Boghazköi Texte in Umschrift, "Die Inschriften und Sprachen des Hatti-Reiches," Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft (ZDMG)LXXVI, Leipzig 1922, P. 133-140.

(١٢) *F. Hrozny, "Churri," Archiv Orientalni (AOR) I, Prague 1929, P.91ff.*

(١٣) *E. A. Speiser, Mes. Orig. P. 130.*

(١٤) حاول جيجر في القرن التاسع عشر أن يجد علاقة بين هذه الكنية وإسم المعبود الإيراني (خوار أو خور) الذي كان يُنطق عند الميتانيين بصيغة (سوار) وعند الكاشيين (سوريا) . حول هذا الرأي راجع : *W. Geiger, Ostiranische Kultur in Altertum. Erlangen 1882; S. 29.*

(١٥) حول أرشيف تل العمارنة راجع :

J. A. Knudtzon, Die El-Amarna Tafeln, Vorderasiatische Bibleothek (V A B) II, Leipzig 1915, S. 1575.

(١٦) راجع سفر التكوين من العهد القديم للكتاب المقدس ، ص ٣٤ ، سطر ٢ *Gen. 34. 2.*

الألماني في تأريخ الخوريين گيرنوت ويلهيلم(١٧) ، ونظريات كل من علماء الآثار والمؤرخين مثل بيدريج هروزني *B. Hrozny* وأونغناد *A. Ungnad* وأفرام سبايزر *E. A. Speiser* وبول *P. Pohl* وميخائيل دياكونوف *I. M. Diakonoff* حول هذا الموضوع لا تزال تحتاج إلى دراسات أوسع وأشمل(١٨) . وتعني الكلمة الخورية (خورادي *(hur (a) + di* «حام ، راع ، نصير» كما تُشاهد في النصوص الأكدية والآشورية وكذلك في نصوص أوغاريت على حد قول ويلهلم(١٩) ، وبدون (*-adi*) كانت لهذه الكلمة علاقة بالأوساط العسكرية . وبعد تراجع الهكسوس (ومعهم الخوريين) إلى آسيا نرى في سجلات المملكة الوسطى في مصر هذا المصطلح مدون بصيغة *H,'rw (hur)* التي كانت تشير إلى سكان سوريا وفلسطين ، وفي الترجمة اليونانية للعهد القديم من الكتاب المقدس سُجلت الصيغة العبرية *Hurri* بصيغة *Xoρραιos* وذلك بتشديد الراء . وهذه الترجمة تقودنا إلى حقيقة مفادها أن إسم الخوريين دُوّن في العهد القديم بوضوح أكثر من النسخ الحديثة للكتاب المقدس ، وفي مثالين إحتوتهما قصة شحيم(٢٠) وردت الصيغة

---

(١٧) راجع هذا الرأي في :

Gernot Wilhelm, Grundzüge Der Geschichte und Kultur Der Hurriter. Wissenschafliche Buchgesellschaft. Darmstadt 1982.

(١٨) راجع دراسات هؤلاء في المصادر التالية :

F. Hrozny, Le Hittite histoire et progres du dechiffrement; des textes - Archiv Orientalia (Ar Or), 3 P. 272 - 295; A. Ungnad, Subartu. Beitrage Zur Kulturgeschichte und Volkerkunde Vorderasiens. Berlin - Leipzig 1936; E. A. Speiser, Introduction to Hurrian. The Annual of the American Scools of Oriental Research (AASOR), 20, 1948, P. 4; A. Pohl, Personalnachricten. - Orientalia (Or), 20, P. 476 - 495; I. M. Diakonoff, Die Arier im Vorderen Orient. Ende eines Methos - Or, 41, P. 91 -120.

(١٩) گيرنوت ويلهيلم ، نفس المصدر .

(٢٠) سفر التكوين ، ص ٣٤ ، السطر ٢ .

اليونانية Χορραιος «خوررايوس» محل الصيغة العبرية חֹרִי «خور» . وكحقيقة ، فإن سكان مدينة شحيم لم يكونوا ساميين ويمكننا تمييز التشابه الخطي بين الكلمتين חֹרִי و חִוִּי ببساطة ، وأخيراً يتبين هذا التمييز من النص العبري نفسه . ففي سفر التكوين (ص ٣٢ ، السطر ٢) نرى الكلمة חִוִּי بدلاً من חֹרִי وفي نفس الوقت نجد الثانية مرة أخرى في الفصل ذاته بالصيغة نفسها (v. 20) والقصد منهما هو واحد . وهكذا ، فإن الخوريين كانوا منتشرون بشكل واسع على ما يظهر أكثر مما يورد في التوراة ، وليس من البعيد أن تكون هذه التسمية قد شملت كذلك سكان إيدوم . فالتسمية كانت منذ أقدم الأزمنة تُعبر عن السكان الذين عاشوا في الكهوف القريبة من إيدوم ، إلا أن زمن وجودهم في أواسط فلسطين فغير معروف . وقام عدد من المستشرقين بتحليل أصل هذه التسمية إعتماداً على المخلفات الأثرية ، فإعتقد العالم الأثري التشيكي هروزني أن جذر هذه التسمية مشتق من كلمة (خوررو) الأكدية . أما سبايزر فشكّ من هذا القول ، لأنه لم يجد علاقة بين هذه التسمية واللغات السامية . وظهور هذه الكنية في النصوص الحثية إنما هي من أعمال الخوريين أنفسهم . وظاهرة وجود عدد كبير من الخوريين في فلسطين لا تحتاج إلى مناقشة طويلة . فرغم عدم ورود خبر في التوراة عن الخوريين الذين يعيشون في منطقة يزرائيل ، لكن أسماء الأعلام الخورية المسجلة في ألواح تعنك التي أكتشفت بوادي يزرائيل تبين حقيقة كون سكان هذه المنطقة من الخوريين ، وقد درس غوستاف *A. Gustavs* هذه الأسماء التي كان أغلبها هي خورية وأكثر بكثير من الأسماء الكنعانية(٢١) . وهذا الواقع ينطبق على أماكن أخرى في فلسطين خلال أواسط الألف

---

(٢١) *A. Gustavs, Die Personalnamen in den Tontafeln von Tell Ta'annek (Ein Studie zur Ethnographie Nordpalästinas zur El-Amarna-Zeit), Leipzig, 1928.*

الثاني ق. م. فالمواد الأثرية التي يمكن أن تقدم برهاناً جزئياً حول هذا الموضوع تدعم بعض الحقائق التي نحن بصددها . وعلى حد قول سبايزر ، فإن لأسماء بعض هذه الأماكن غير السامية مثل جوردان *Jordan* وكريتان *Cretan* علاقة مع العالم الهندي – الأوربي(٢٢) ، وليس من البعيد أن تكون للطبقة الميتانية التي قادت الحوريين إلى هذه الأماكن لهم دور في هذه الفترة . وهناك مصادر أخرى تشير إلى إنتشار الخوريين في فلسطين حيث عُرفوا أحيانا في الكتاب المقدس بالحثيين ، إذ بعد إجتياح الحثيين لمملكة ميتاني وكونهم القوة الأساسية في شمال سوريا لفترة ما ، إستعاروا إسم الخوريين وعناصر ثقافتهم في هذه الأنحاء ، وعلى هذا الأساس كان الإسرائيليون يعتبرون الخوريين جزءاً من المجتمع الحثي في سوريا . وبالنسبة للآشوريين ، فإن جميع الجهات الغربية من بلادهم كانت تُشكل مملكة الحثيين ، وعلى هذا الأساس عُرف سكان مدينة أسدود في فلسطين بـ(حاتي الخائن)(٢٣) . ومن الجدير بالذكر ، فإن حيثيوا عهد النبي إبراهيم هم الحاتيون الذين عاشوا مع الخوريين جنباً إلى جنب في فلسطين خلال الألف الثالث ق. م. كما ظهروا كذلك في سوريا والأنضول حيث ورد أسمائهم الزاگروسية بجانب الأسماء الآشورية

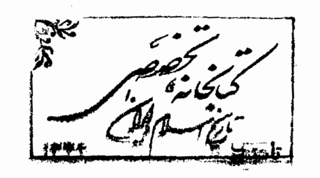
---

(٢٢) راجع الدراسات التالية :

E. S. Speiser, Mes. Orig. P. 134; E. Meyer, GA. Geschichte des Altertums, I. 2 (4th ed.), Stuttgart, 1921, S. 476.; E. Hommel, "Der Name und die Legend des Jordan in altkanaanäischer Zeit," Journal of the Society of Oriental Research (J S O R) XI,Toronto, 1927, S.169 ff..

(٢٣) راجع تفاصيل هذا الموضوع عند كل من جيرا وسبايزر :

E. Cherra & E. A. Speiser, "A New Factor in the History of the Ancient East," AASOR VI (1926), P. 75 -92.



في مدونات المدينة المعروفة بـ(كانيش) المركز التجاري المهم في الأنضول ، كما إنتشر في فلسطين إسم المعبود الخوري بوري وكانت هناك مدينة فلسطينية بإسم خوررا(٢٤) .

أما نصوص شهر بازار (وفي الكوردية شارباژێر)(٢٥) فتحوي شواهداً تشير إلى وجود مجتمعات خورية عديدة في شمال وادي الرافدين خلال عام ١٧٠٠ ق. م. ومن جهة أخرى أكتشفت في أرشيف ماري (تل الحريري قرب آلبو كمال على الحدود العراقية - السورية) بعض السجلات التي تحتوى على أدعية دينية سُجلت باللغة الخورية بدون أن تترجم إلى الأكدية . والمغني المشهور في معبد نرگال المدعو كولبي - أتل الذي إقترح شمشي عدد أن يرسله إلى إبنه ياسماه عدد في شوبات إنليل كان يحمل إسماً خورياً وهو إبن حصري أموم الذي حمل إسماً عمورياً ، وفي ماري حمل كثيرون أسماءَ خورية . ويمكن أن تُنسب نصوص ألالاخ إلى فترة حكم حمورابي في بابل إذ ظهرت فيها نصف أسماء الأعلام خورية الأصل . كما زاد عدد المستوطنات الخورية في جنوب وادي الرافدين أيام حكم حمورابي ومن أهمها كانت في مدينة ديلبات على بعد ٢٠ كيلومتراً جنوب

---

(٢٤) راجع كيرنوت ويلهلم ، نفس المصدر . وبالرغم من الرسائل التي أرسلت من قبل الملك الميتاني توشراتا إلى كل من آمونحوتب الثالث وإبنه آمونحوتب الرابع (أخناتون) دونت باللغة الخورية ، إلا أنها عُرفت بالرسائل الميتانية بدلاً من الرسائل الخورية ، لأن ٤٩٣ سطراً التي أكتشفت في تل العمارنة كانت مرسلة بإسم الملك الميتاني . راجع دراسة هوغو وينكلر حول هذه الرسائل :

H. Winckler; L. Abel, Der Thontafelfund von el Amarna. Königliche Mussen zu Berlin. - Mittheilungen aus den orientalischen Sammlungen. H. 1. 1889

في حين جاءت تسمية البلاد الخورية وكذلك الشعب الخوري في الوثائق الحثية التي أكتشفت عام ١٩٠٦ بحتوشا بصيغة *H̲UUR*. بينما اللغة الخورية فعرفت بـ (خورليلي ***h̲urlili***) المشتقة من *h̲urrohe* < *h̲urwohe* . راجع بالكوردية مؤلفنا (دراسة لغوية حول تأريخ البلاد الكوردية ، بغداد ١٩٨٨م) ، الصفحات ٨١ - ٣٣١ .

بابل ، أما سكان المستوطن الخوري في نيبور ، فكانوا يشكلون مجموعات معزولة مسالمة إذ لم يخلقوا مشاكلاً مع السكان القدماء للمدينة .

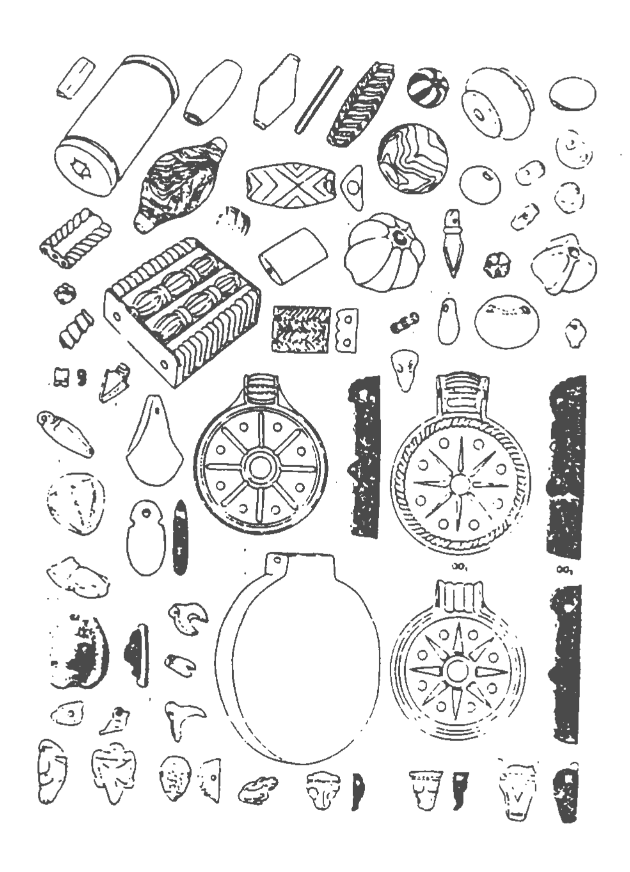
إن المصادر المكتشفة في خارج سوبارتو توضح محور إنسياب الحوريين إلى البلاد المجاورة من الأراضي الكوردية الحالية بإتجاه الجنوب والجنوب الغربي وذلك في بداية الألف الأول ق. م. حيث أصبحوا يمثلون أكثرية السكان في قطانوم (مستوطن كوردي واقع في شمال سوريا يسمى الآن مِشرفة) وأوگاريت (رأس شَمْرا قرب اللاذقية) ، كما أن أسماء أمراء أورشليم المركبة بأسماء الآلهات الخورية مثل عبدي – حيبا *ᶜAbdî - <u>H</u>epâ* (١٣٨٠ – ١٣٥٠ ق. م.) التي ظهرت في وثائق تل العمارنة دليل على إنتشار النفوذ الخوري في فلسطين(٢٥) . وعَقِب إنتشار الخوريين بعد عام ١٦٨٩ ق. م. بإستعمال السلاح بدأت هجرات سلمية نتيجة ضغوط القبائل الهندية – الآرية التي جاءت من الجهات الشرقية عابرة هضبة إيران وصاعدة نحو زاگروس ثم توزعت في شمال وادي الرافدين في الجهات الغربية(٢٦) . أما وجود الحوريين في نوزي (يورغان تبه جنوب كركوك)(٢٧) فتدعمه آلاف السجلات التي أكتشفت في هذا الموقع الأثري ويرجع

---

(٢٥) *J. LÆSSOE, People... P. 84* .

(٢٦) راجع كتاب هجرة النود – الآريين إلى إيران لـگر يشمان :
R. Ghirshman, L' Iran et la migration des Indo - Aryens et des Iranien. Leiden 1977.

(٢٧) حول إكتشاف وثائق نوزي يقول العالم الأثري ستار *R. Starr* أن شخصاً بإسم عطية كان يحرث الأرض في يورغان تبه (ليلان) رأى ألواحاً مدونة في مخبأ داخل الأرض ، فملأ ٤٠ خرجاً من هذه الألواح ونقلها مع ٢٠ حماراً إلى بغداد لكي يبيعها هناك [راجع أقوا ستار في المرجع التالي :
R. S. Starr, Report on the excavations at Yorgan Tepa near Kirkuk, Vol. 1. *Cambridge, Mass.*, 1939, P. XXXIX.] . وتقول كاتارزينا گروز Katarzyna Grosz « أن تأريخ إكتشاف هذه الألواح غير معروف » وتضيف المعلومات التالية على هذا الموضوع :



بعض الأعمال الفنية لسكان مدينة نوزي

في النصف الأول من الألف الثاني ق.م.

كوردستان الجنوبية

زمنه إلى القرن السادس عشر ق. م. ، والوثائق التجارية مدونة بلغة أكدية متميزة نوعاً ما

"The exact date of discovery is unknown; the story was told to Dr. W. Corner, the resident Civil Surgeon who around 1925 passed it on to E. Chira, then the Annual Professor of the American Shcool of Oriental Research who, at that time enquiring about the place of origin of the so - called Kirkuk tablets. (K. Grosz, The Archive Of The Wullu Family. Copenhagen 1988, P.9). The city of Kirkuk was mentioned together with Yorgan Tepe as the place of origin of the tablets. Starr provides the following information about their discovery:
" A few of these inscriptions have come to light in recent years from wellshafts, or cuts into the side of the citadel of the modern city of Kirkuk, or from surface erosions in the immediate vicinity...". (R. S. Starr, Loc.).
Dr. W. Corner who had succeeded in securing a larg group of tablets for the Baghdad and British Museums wrote in 1925 to C. J. Gadd, then working on the first major publication of Yorgan Tepe and Kirkuk texts :
*"...As far as I can make out, these tablets were found as a result of a fall of earth in the Kirkuk mound about 2½ years ago. The tablets found consisted of : **(1)** about nine or ten tablets which found their way to the 'Iraq Museum about November 1923, **(2)** a batch of about thirty or more secured by me for the 'Iraq Museum about Desember 1924, **(3)** a bach of about eighteen secured by me in driblets during January and February, 1925, and brought home, with the permission of 'Iraq authorities... The tablets were all secured from one man who was their finder, and, as far as Ican make out, no tablets, or practically none, exist of this particular find apart from those mentioned above... Agood number of these tablets when found had clay envelopes. The finder will not state the exact spot of finding the tablets, giving vague replies, but I am quite certain... that these tablets come from the Kirkuk mound..."*
And further :
" There is a definite story, personally told me by a respectable Kirkuk man, from personal knowledge, of a similar find of tablets at the same spot about 10 or 12 years ago. This was war - time and most of the tablets were bought by a German (?) engineer who was there at that time. The find also took place after a fall of earth." (J. C.Gadd, Tablets from Kirkuk. Revue d'assyriologie et d'archèologie orientale. (RA) 23, Paris 1926, P. 51.) .

تتضمنها بعض التعبيرات الخورية وذات تهجئة وصياغة ونحو محلي تداوله السكان الخوريون لمدينة نوزي(٢٨) . وفي مدينة آشور أكتشف مئات من الألواح المدونة بالخورية

Dr. Corner was regrefully concluded that any excavation, even of the slightest nature, was out of the question, because of danger to foundations. The spot where the tablets were found was on the side of the mound, and, before excavating, about three houses on top of the mound would have to be first bought up". (Ibid). Then K. Grosz says : " According to Dr Corner, two falls of earth took place at the edge of the Kirkuk mound: the first some time befor, or during World War (when the mysterious German engineer acquired his [collection]), the second about 1923. Since several tablets from Kirkuk in the European collections were bought around 1912 it can be concluded that, unless there was yet another fall of earth, this year is the terminus ante quem of the first find of tablets in Kirkuk. ".

(٢٨) أن أرّابخا هي أقدم تسمية للقسم الغربي من مدينة كركوك الحالية المعروفة الآن بالـ(عَرَفَه) وكانت موطن الكوتيين في الألف الثالث ق. م. وأن إسم كركوك غير مشتق من التعبير الآرامي كرخا د بيث سلوخ «مدينة بلاد سلوقس» كما يورد في دائرة المعارف الإسلامية ، إنما أقدم صيغة لهذا الإسم هي دمتو كرخي شيلواخو **Dimt - u Karhî Šîluâhu** «قلعة مدينة شيلوا» ، وشيلوا هو الملك الخوري شيلوا – تيشوب . راجع :

E. Herzfeld, The Persian Empire. Wiesbaden 1968, P. 154.

ويضيف هرتسفيلد معلومات قيمة حول هذا الموضوع قائلاً :

The ancient names of Kirkuk and Yorgan Tepe were identified in 1926 by C. J. Gadd in his pioneer publication "Tablets from Kirkuk". Despite its title, the publication contains tablets from Yorgan Tepe as well as from Kirkuk. Gadd noted that the toponomym Arraphe was recurrent in the latter group (published as nos 1 - 51) and suggested that this ancient city be identified with modern Kirkuk. Nos. 52 - 82 of Gadd's edition refer, on the other hand, to the city of Nûzî which Gadd identified eith Yorghan Tepe. In contrast to Arraphe, this toponomym was not already known from other sources.(Gadd, 1926, P. 52 and 64 ff.).

The character of the Nûzî evidence consisting of undateed, formulaic documents difficult. This is true of the absolute chronology as well as of the

تعود إلى ١٤٠٠ ق. م. وكثرة الأسماء الخورية في هذه الألواح تدل على أن الخوريين إستنسخوها وكانوا يحتلون أغلب الوظائف الإدارية في هذه المدينة .

---

internal sequence of the tablets. Only a handful of tablets provide a clue to the absolute chronological setting of the whole period: a letter from king Sausattâr of Mîtânnî about 1420 B.C.(G. Welhelm, Grundzüge ..., Band 45, P. 140 - 141).and an administrative document in which the death of king Parsatatar, his father about 1440 B.C., is mentioned.For more detail about this case see the following chapter of this book.

The internal chronology of the Nuzi material is reckoned in generations; the Têḫîp - tîllâ family archive with its nearly one thousend tablets illuminating activities of six generations constitutes the universal point of reference for all chronological considerations.(Cf. M. P. Maidman, The Tehip - tilla Family of Nuzi: A Genealogical Recostruction. Journal of Cuneiform Studies (JCS) 28/3, New Haven 1976.

... še-e-ni-iw-wu-ta-a-ma-an ti-we šuk-ku kul-le še-e-ni-iw-wu-u-š- ša-an ha-ši-en še-e-ni-iw-we-e-en at-ta-ar-ti-iw-wu-ta-an ^{m}Ma-né-e-na-an še-eni-iw-wu-ú-e pa-a š- ši-id-hi ú-ú-na in-na-ma-a-ni-i-in ni-ha-a-ri a-k[u]-u-u-[ša-ú]... še-e-ni-iw-wu-us ma-ka-a-an-ni-iw-wa[-a-an(?)] gi-pa-nu-u-ša-a š-še in-na-ma-a-ni-i-in ^{m}Ma-né-eš a-k[i-e-en] (?) pu-ug-lu-sa-a-un-na-a-an ... i-i-al-le-e-in-i-in še-e-ni-iw-wu-u š du-be-[na-a-ma-a-an] šu-ú-al-lu-ma-an gi-pa-nu-u-ša-a š-še-na ... [a-i-ma-a-ni-i-in še-e-ni-iw-wu-uš (?)] ma-ka-a-an-ni-iw-wu-ú-un-na gi-pu-né-e-ta an-du-ú-at-ta-a-[an] te-u-u-na-e tis-sa-an ti-iš-<-ša>-an pi-šu-uš-te-e-wa ti-ši-iw-wa-an ma-a-na šu-e-né a-nam-mil-la-a-an un-du še-e-ni-iw-wa-ta gu-lu-ša-ú pa-li-i ......

قطعة من رسالة الملك الميتاني توشراتتا

إلى الفرعون المصري آمونحوتب الثالث